


OPRULU KUT
34



~~اتقان السيوطي~~

من كتب الفقير المعروف بزينة الكتب صاحبه محمد السنبلي الشهير بزاده عفا الله عنه بمنه ولطفه

قطف الازهار في كشف الاسرار للسيوطي عفي عنه

~~الشهير بالاتقان للسيوطي~~

دعا يقرأ عند رؤية هلال المحرم

اللهم انت الازلي الابدي القديم وهذه سنة جديدة اسألك العصمة فيها من الشيطان الرجيم والعون على هذه النفس الامارة بالسوء والاشتغال بما يقربني اليك ... عنك يا الله يا رحمن يا رحيم برحمتك يا ذا الجلال و...

الاستصحاب في اللغة طلب الصحبة يعني الملازمة وفي الاصطلاح الحكم الثابت في الحال لثبوته في الماضي وفي الشريعة هو الحكم بثبوت امر في الزمان الثاني بناء على انه كان ثابتا في الزمان الاول كما لو تيقن بالوضوء يجوز له الصلاة بعد اعادة وضوء بزازية





قطف الازهار عن كشف الاسرار للسيوطي

في اوائل ذي الحجة سنة ١٠٦

اتقان السيوطي

دعا يقرأ عند رؤية هلال المحرم

اللهم انت الازلي الابدي القديم وهذه سنة جديدة اسألك [illegible] الرجيم
والعون على هذه النفس الامارة بالسوء والاشتغال بما يقربني [illegible] عما يبعدني
عنك يا الله يا رحمن يا رحيم برحمتك يا ذا الجلال و[illegible]

الاستصحاب في اللغة طلب الصحبة يعني المستدل يجعل الحكم الثابت معتبرا
للحال ويجعل الحال مصاحبا له وفي الشريعة هو الحكم بثبوت امر في الزمان
الثاني بناء على انه كان ثابتا في الزمان الاول كما لو تيقن بالوضوء
يجوز له ان يصلي بعد اعادة وضوء بزازية





26

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك وحمدك انزلت كتابا ٭ عجبا عجابا ٭ ملاته حكمة وصوابا ٭ واوسعته علوما
وادابا ٭ ونوعته بلاغة وخطابا ٭ وعجزت الفصحا اللد فما احار والديه جوابا وجعلت
وخوفت به فلاتمس النار وعاده لو كان اهابا ٭ ووعدت من تدبره ووضعه مواضعه
ان تجزل له ثوابا ٭ وبعثت به نبيا ٭ سريا ٭ اميا ٭ عربيا ٭ بالسيادة حريا ٭ وبالمكارم
حفيا ٭ وعن المكا[...] ٭ فهديت به ضالا واسعدت به شقيا وارشدت به من كان
في الضلالة غويا [...]رت به حالك الظلما ٭ ونورت به بعد العمى وفرجت به بعد
العما صلى الله وسلم عليه وصحبه ما هاج فيظ وانج ٭ وما صبح وبلج ٭ وفاح طيب
وارج ٭ وقام داع الى الله ببينات وحجج وبعد فان الله سبحانه وله الحمد قد من
علي بالنظر في علوم القرآن وحقايقه وتتبع اسراره ودقايقه حتى صنفت في تعلقاته
كتبا شتى منها التفسير الملقب ترجمان القرآن ٭ وهو الوارد بالاسناد المتصل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ واصحابه الذين شاهدوه وتلقوا منه الوحي
والتنزيل ٭ وسمعوا منه التفسير والتاويل ٭ وقد تم ولله الحمد في خمس مجلدات
وهو مستوعب لغالب آيات القرآن ٭ من غير ان اذكر فيه شيا عن التابعين ولا
من بعدهم ٭ وهذا النوع من التفسير ٭ فان الكلام في معاني القرآن ممن لم يترك
عليه ولا يسع من انزل اليه ٭ انما هو راي محض ٭ فان كان موافق القواعد فهو
التاويل ٭ وان خرج عنها واخطا المراد فتحريف وتبديل ٭ قال صلى الله عليه وسلم
من قال في القرآن بغير علم [...] واسعقاعه من النار ٭ وقال من تكلم في القرآن
برايه فاصاب فقد اخطا ٭ ا[...]جه ابو داود واي برايه من غير استناد الى
دليل ولا برهان ٭ وقال ان في امتي قوما يقرون القرآن ينثرونه نثر
الدقل يتاولونه على غير تاويله ٭ اخرجه ابو يعلى ٭ وقال تعالى ان الذين
يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ٭ قال ابن عباس هو ان يوضع الكلام على غير
موضعه ٭ وكفى بذا[...] وعيدا وتهديدا ٭ فاذن الواجب الاقتصار في التفسير
على ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ٭ فان في ذلك كفاية ومقنعا
ومن زعم انه يأتي [...]ن مما اتوا فانه متهم في دينه مخدوع في عقله ٭ نعم
يبقى النظر في الترجيح اذا اختلفت الرواية عن الصحابة وذلك غير ممتنع
على المتاهل لذلك ٭ اما احداث قول زايد على ما ورد عنهم فلا ولا كرامة ولما
كان هذا التفس[...] [...]ا راليه نقلا محضا ليس فيه اعراب ولا تبيان نكتة
بديعيه ولا اسن[...]ط[...]م الاسناد اردفته بكتب في ذلك ليكون كالتتمة له
[...] [...]راد من كتب التفسير ٭ فاجل ما وضعت من ذلك كتاب الاتقان
في علوم القرآن ٭ وهو كالمقدمة لمن يريد التفسير واكثره قواعد كلية وفيه من

الفوائد

الفوائد ما لم يجتمع في غيره وهو يشتمل على ثمانين نوعا النوع الاول معرفة
المكي والمدني الثاني معرفة الحضري والسفري الثالث النهاري والليلي
الرابع الصيفي والشتائي الخامس الفراشي والنومي السادس الارضي والسماي
السابع اول ما نزل الثامن آخر ما نزل التاسع اسباب النزول العاشر
ما نزل على لسان بعض الصحابة الحادي عشر ما تكرر نزوله الثاني عشر ما تاخر
حكمه عن نزوله وما تاخر نزوله عن حكمه الثالث عشر معرفة ما نزل مفرقا
وما نزل جمعا الرابع عشر ما نزل مشفعا وما نزل مفردا الخامس عشر ما نزل
منه على بعض الانبيا وما لم ينزل منه على احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم السادس
عشر في كيفية انزاله السابع عشر في معرفة اسمايه واسما سوره الثامن عشر
في جمعه وترتيبه التاسع عشر في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه
العشرون في حفاظه ورواته الحادي والعشرون في العالي والنازل
الثاني والعشرون معرفة المتواتر الثالث والعشرون في المشهور
الرابع والعشرون في الآحاد الخامس والعشرون في الشاذ السادس
والعشرون الموضوع السابع والعشرون المدرج الثامن والعشرون
في معرفة الوقف والابتدا التاسع والعشرون في بيان الموصول
لفظا المفصول معنى الثلاثون في الامالة والفتح وما بينهما الحادي
والثلاثون في الادغام والاظهار والاخفا والاقلاب الثاني والثلاثون
في المد والقصر الثالث والثلاثون في تخفيف الهمز الرابع والثلاثون
في كيفية تحمله الخامس والثلاثون في آداب تلاوته السادس والثلاثون
في معرفة غريبه السابع والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز الثامن
والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة العرب التاسع والثلاثون في
معرفة الوجوه والنظاير الاربعون في معرفة معاني الادوات التي
يحتاج اليها المفسر الحادي والاربعون في معرفة اعرابه الثاني والاربعون
في قواعد مهمة يحتاج المفسر الى معرفتها الثالث والاربعون في المحكم والمتشابه
الرابع والاربعون في مقدمه ومؤخره الخامس والاربعون في عامه وخاصه
السادس والاربعون في مجمله ومبينه السابع والاربعون في ناسخه
ومنسوخه الثامن والاربعون في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض التاسع
والاربعون في مطلقه ومقيده الخمسون في منطوقه ومفهومه الحادي
والخمسون في وجوه مخاطباته الثاني والخمسون في حقيقته ومجازه
الثالث والخمسون في تشبيهه واستعاراته الرابع والخمسون في كناياته
وتعريضه الخامس والخمسون في الحصر والاختصاص السادس والخمسون



في الايجاز والاطناب السابع والخمسون في الخبر والانشا الثامن والخمسون
في بدايع القرآن التاسع والخمسون في فواصل الاي الستون في فواتح السور
الحادي والستون في خواتم السور الثاني والستون في مناسبة الايات
والسور الثالث والستون في الآيات المشتبهات الرابع والستون في
اعجاز القرآن الخامس والستون في العلوم المستنبطة من القرآن السادس والستون
في امثاله السابع والستون في اقسامه الثامن والستون في جدله
التاسع والستون في الاسما والكنى والالقاب السبعون في مبهماته الحادي
والسبعون في اسما من نزل فيهم القرآن الثاني والسبعون في فضايل
القرآن الثالث والسبعون في افضل القرآن وفاضله الرابع والسبعون
في مفردات القرآن الخامس والسبعون في خواصه السادس والسبعون
في رسوم الخط وآداب كتابته السابع والسبعون في معرفة تاويله
وتفسيره وبيان شرفه والحاجة اليه الثامن والسبعون في شروط المفسر
وآدابه التاسع والسبعون في غرايب التفسير الثمانون في طبقات
المفسرين، وقد تم هذا الكتاب ولله الحمد وفيه من النفايس المهمة ما لا
يستغني عنه الناظر في القرآن ثم وضعت في الاحكام كتاب الاكليل في
استنباط التنزيل، وهو مجلد لطيف يشتمل على جميع ما ذكره المصنفون
في احكام القرآن مع زوايد جمة ونفايس مهمة ثم افردت كتابا في اسباب
النزول سميته لباب النقول بالغت في اختصاره وتحريره بحيث فاق
الكتب المولفة في نوعه ثم افردت كتابا وجيزا في المبهمات لم يولف في نوعه
اجمع ولا اوجز ولا انفع منه ثم افردت كراسة فيما وقع فيه من الالفاظ
المعربة تتبعت فيها واستوعبت ثم كراسة سميتها معترك الاقران في مشترك
القرآن فايقة في معناها ثم مختصر البسي مجاز الفرسان الى مجاز القرآن
وهذا لم يتم بعد ثم كتابا سميته خمايل الزهر في فضايل السور وهذا
واسباب النزول كلاهما تضمنه التفسير الاول وانما افردتهما لنكت
تعرف من خطبتهما وهذا الكتاب شفعت اي قرنت به تلك ونظمته
معها في سلك في اسرار التنزيل اذكر فيه جميع ما وصل الي علمي من كلام العلما
في النظم القرآني من اسرار التقديم والتاخير والتاكيد والحذف والايجاز
والاطناب والنكت البيانية من التشبيه والاستعارة والكناية والتعريض
والانواع البديعية من الالتفات والتورية والاستخدام والجناس
والمشاكلة والطباق والمقابلة الى غير ذلك من انواعه وسر ما اختلفت
فيه الآيات المتشابهة من تقديم او تاخير او زيادة او نقص او ابدال

كتبه ما خرجت في اعلال الكلمات التي يظن ترادفها من فرق ولم وقع في هذا
الموضع كذا وفي هذا الموضع رد بعضه ام ختمت هذه الآية بيومنون
وهذه يعلمون وهذه يعقلون وهذه يذكرون الى غير ذلك واتبعه
على القرآات المختلفة المشهورة والشاذة اذا كان لكل قراة معنى فان
من وجوه اعجاز القرآن وايجازه تنوع قرآته ودلالة كل قراة على معنى بان
ذلك بمنزلة تعدد الآيات وهذا نوع عظيم من البلاغة ان يكون
اللفظ الواحد بجوهره يقرا على وجهين فيفيد بهذا الاعتبار معنيين وابين
مناسبة ترتيب السور والخفي من مناسبات الآيات الى غير ذلك مما تراه
من النكت والاسرار فاذا تم هذا الكتاب وانضم الى تلك الكتب
استغني بها حصولها عن جميع التفاسير ومع ذلك فلا ادعي الاستيعاب
وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولا الاصابة في جميع ما اورده فان مرام
ذلك لم يجد اليه سبيلا كيف والانسان محل الغفلة والنسيان ومعدن
كلال الاذهان غير اني ابذل جهدي فيما اورده ولا اسقط خطا وانا
متعمد وانما الاعمال بالنيات وان الحسنات يذهبن السيات ومن ذا الذي
ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه وبالجملة فالمومل بذلك
واسع الكرم مفيض النعم جدير بالاثابة حقيق بالاستجابة لا يخيب
لديه طارق امل ولا يضيع عنده اليسير من العمل وقد سميت هذا الكتاب
قطف الازهار في كشف الاسرار وارجوا ان شا الله تعالى ان تم هذا
الكتاب وكان في الاجل فسحة ان اضع كتابا في توافق السنة والقرآن
اذكر فيه كل حديث في القرآن معناه او اشارة اليه تحقيقا لقول الشافعي
رضي الله عنه كل ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن حقق
الله تعالى ذلك بمنه وكرمه سورة الفاتحة افتتح سبحانه كتابه بهذه
السورة لانها جمعت جميع مقاصد القرآن ولذلك من اسمائها ام القرآن وام الكتاب
والاساس فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال قال الحسن البصري
ان الله اودع علوم الكتب السابقة في القرآن ثم اودع علوم القرآن الفاتحة
فمن علم تفسيرها كان كمن علم جميع الكتب المنزلة اخرجه البيهقي في شعب الايمان
وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشري باشتمالها على الثنا على الله
تعالى بما هو اهله وعلى التعبد بالامر والنهي وعلى الوعد والوعيد وآيات
القرآن لا تخلوا عن احد هذه الامور وقال الامام فخر الدين المقصود
من القرآن كله تقرير امور اربعة الالهيات والمعاد والنبوات واثبات
القضا والقدر لله تعالى فقوله الحمد لله رب العالمين يدل على الالهيات

وحديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين شاهد بذلك وللفاتحة
نيف وعشرون اسما ذكرتها بتوجيهها في النوع السابع عشر من الاتقان وذلك
يدل على فخامتها وعظم شانها لان كثرة الاسماء دالة على شرف المسمى وقد
صحت الاحاديث في الفاتحة بانها افضل سورة في القرآن وفي لفظ
اعظم وانه ما انزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في
الفرقان مثلها وان ابليس رن حين انزلت وانها نزلت من كنز تحت العرش
وانها شفاء من السم وفي لفظ مرسل من كل داء وانها رقية وان كل صلاة لا
يقرأ فيها بها خداج غير تمام وذلك كله مما يوضح مناسبة افتتاح القرآن
بها وكذا ما ورد من انها اول سورة نزلت وذكر بعضهم انها نزلت مرتين
مرة بمكة ومرة بالمدينة تفخيما لشانها بسم الله الرحمن الرحيم افتتح سبحانه
بها كل سورة غير براءة تنبيها على شرفها وتعليما للعباد ان يبتدئوا بها في كتبهم
وخطبهم وكل امر ذي بال واختصت بالاسماء الثلاثة لان الاسم الكريم دال
على الذات راجع اليه جميع الصفات مختص به تعالى لم يسم به احد لا في الجاهلية
ولا غيرها قال تعالى هل تعلم له سميا قال ابن عباس اي لا احد يسمى الله اخرجه
البيهقي وعن جابر بن زيد انه الاسم الاعظم اخرجه ابن ابي حاتم والرحمن ايضا
صفة مختصة به اخرجه ابن ابي حاتم عن الحسن البصري قال الرحمن اسم ممنوع
اي لا يستطيع احد ان يتسمى به لان معناه الذي وسعت رحمته كل شيء وذلك
لا يليق بغير جنابه واخرج ايضا عن الحسن قال الرحيم اسم لا يستطيع الناس
ان ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى ولا يعرف في صفاته تعالى ما لا يجوز اطلاقه
على العبد غير هذين فظهرت مناسبة الاتيان في البسملة بهذه الثلاثة
دون غيرها لكن ما قاله الحسن في الرحيم قد ينازع فيه فانه يجوز وصف
العبد برحيم وفي الحديث لن يدخل الجنة الا رحيم قالوا يا رسول الله كلنا رحيم
وظهر لي في الجواب ان مراد الحسن الرحيم المعرف باللام دون المجرد منها كما قال
بعضهم ان الرحمن انما يختص بالله تعالى معرفا بها دون المضاف والمجرد منها كذا
رأيته في كلام بدر الدين بن مالك وقال الحوفي الذي يقتضيه معنى الرحمن
والرحيم ان لا يطلق واحد منهما على العبد غير ان الله يحب التخلق باخلاقه فشرف
عباده بان اجاز لهم التسمية باحدهما وهو غير الابلغ تعالى في حقهم رحمانيتهم
وهو جمع رحيم واما رحمن فلا يجوز اصلا لان كثير الرحمة كثرة مطلقة هو الله
قال ولهذا رتبت الاسماء في البسملة هذا الترتيب فبدئ باسمه الخاص به
ثم بوصفه الخاص به ثم بالوصف الذي يستعمل في غيره من الوجوه قال وهذه الاسماء
جامعة للاصول التي يجب اعتقادها فالله اشارة الى التوحيد والرحمن اشارة

وقوله مالك يوم الدين يدل على المعاد وقوله اياك نعبد واياك نستعين يدل
على نفي الجبر وعلى اثبات ان الكل بقضاء الله وقدره وقوله اهدنا الصراط
المستقيم الى آخر السورة يدل على اثبات قضاء الله وعلى النبوات فقد اشتملت
هذه السورة على المطالب الاربعة التي هي المقصد الاعظم من القرآن وقال
القاضي البيضاوي هي مشتملة على الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك
الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وقال
الطيبي هي مشتملة على اربعة انواع من العلوم التي هي مناط الدين احدها علم الاصول
ومعاقده معرفة الله وصفاته واليها الاشارة بقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم ومعرفة النبوات وهي المراد بقوله انعمت عليهم ومعرفة المعاد
وهو المومى اليه بقوله مالك يوم الدين وثانيها علم الفروع واسه العبادات
وهو المراد بقوله اياك نعبد وثالثها ما يحصل به الكمال وهو علم الاخلاق واجله
الوصول الى الحضرة الصمدانية والالتجاء الى جناب الفردانية والسلوك
لطريقه والاستقامة فيها واليه الاشارة بقوله واياك نستعين اهدنا
الصراط المستقيم ورابعها علم القصص والاخبار عن الامم السالفة والقرون الخالية
السعداء منهم والاشقياء وما يتصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم وهو المراد
بقوله انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال وجميع القرآن
تفصيل لما اجملته الفاتحة فانها بنيت على اجمال ما يحويه القرآن مفصلا
فانها واقعة في مطلع التنزيل والبلاغة فيه ان يتضمن ما سيق الكلام لاجله
ولهذا لا ينبغي ان يتقيد شيء من كلماتها ما امكن الحمل على الاطلاق وقال
الغزالي في كتاب جواهر القرآن مقاصد القرآن ستة ثلاثة مهمة وثلاثة تتمة
الاولى تعريف المدعو اليه كما اشير اليه بصدرها وتعريف الصراط المستقيم
وقد صرح به فيها وتعريف الحال عند الرجوع اليه تعالى وهو الآخرة كما اشير
اليه بمالك يوم الدين والاخرى تعريف احوال المطيعين كما اشير اليه بقوله
الذين انعمت عليهم وحكاية اقوال الجاحدين وقد اشير اليها بالمغضوب عليهم
والضالين وتعريف منازل الطريق كما اشير اليه بقوله اياك نعبد واياك
نستعين ولا ينافي هذا وصفها في الحديث بانها ثلثا القرآن اخرجه عبد في
مسنده لان بعضهم وجهه بان دلالات القرآن الكريم اما ان تكون بالمطابقة
او بالتضمن او بالالتزام وهي سورة تدل على جميع مقاصد القرآن بالاخيرين
دون المطابقة والاثنان من الثلاثة ثلثان قال وايضا الحقوق
ثلاثة حق الله على عباده وحق العباد على الله وحق بعض العباد على بعض وقد
اشتملت الفاتحة صريحا على الحقين الاولين فناسب كونها بصريحها ثلثين

في الوجود الدنيوي من الخلق والرزق وارسال الرسل والرحيم اشارة الى الحشر
لان الرحيم دائم الرحمة وذلك جدير بالآخرة ولان الرحيم خاص بالمؤمنين وثمرة
ذلك انما تظهر في الآخرة كما قال ابن عباس الرحيم الرفيق بمن احب ان يرحمه وقال
العزيزي الرحمن لجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين اخرجهما ابن جرير البيضاوي
انما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق ان يستعان به في
مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها
وحقيرها فيتوجه بشراشره اليه ويتمسك بحبله فان قلت قد علم مما
تقدم ان الرحمن ابلغ فكيف قدم على الرحيم وقياس البلاغة الترقي من الادنى
الى الاعلى يقال فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت هذا قد
اختلف فيه على ثلاثة اقوال احدها ان الرحيم ابلغ وبه جزم ابن عسكر واستدل
بتأخيره عن الرحمن الثاني ان الرحمن ابلغ لان الزيادة في البناء لزيادة المعنى قال
الراغب فعيل لمن كثر منه الفعل وفعلان للذي مع كثرة ذلك منه تكرر عنه وعلى
هذا ففي تقديمه اجوبة احدها مراعاة الفاصلة ثانيها ما تقدم من اختصاصه
بالله ثالثها ان الرحمن يتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها فذكره اولا ثم
اردفه بالرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف قال الطيبي وحاصله
انه ليس من باب الترقي بل من باب التتميم وهو تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة
قال فظاهر كلام الامام انه من باب التكميل وهو ان يؤتى بكلام في فن
فيرى انه ناقص فيه فيكمل بآخر فانه لما قال الرحمن توهم ان جلائل النعم منه
وان الدقائق لا يجوز ان تنسب اليه لحقارتها فكمل بالرحيم رابعها ان الرحمن خاص
بالدنيا لشموله المؤمن والكافر والرحيم بالآخرة فذكر على الترتيب الوجودي
خامسها ان فعلان للامور العارضة وفعيل للصفات الغريزية فوجب تقديم
الرحمن على الرحيم وعروض المعنى فيه من جهة العباد وحدوث الانعام لهم حالا
بعد حال سادسها ان الرحمن اشبه بالاعلام من حيث انه لا يوصف به غير الله فكانه
هو الموصوف فاستحق التقديم على الوصف المحض قال الطيبي وهذا احسن
الاقوال القول الثالث انهما سواء في المبالغة قاله قطرب ورجحه الخويي
فقال الرحمن من كثرت رحمته وكثرت والرحيم من ثبتت رحمته ودامت فان فعلان
كالغضبان لمن كثر غضبه والقصير والعظيم لما ثبت فيه القصر والعظم فكل من
الوصفين يفيد فائدة ويشمل الدنيا والآخرة ولهذا ورد في الحديث رحمان
الدنيا والآخرة ورحيمهما اخرجه الحاكم بهذا اللفظ وقال صاحب المطلع
الرحمن الذي كثرت آثار رحمته والرحيم الذي توجب آثار رحمته ففي الدنيا
تصل رزقه الى كل مؤمن وكافر وحيوان ونبات وفي الآخرة لا تصل الا الى

المؤمنين

المؤمنين غير ان الواصل في الدنيا كثير الكمية قليل الكيفية لقلة الدنيا وسرعة
انصرامها وكثرة شوائبها وفي الآخرة قليل الكمية بالاضافة الى من يصل اليها
وهم المؤمنون كثير الكيفية لوجود الملك المؤبد والنعيم المخلد قال
الطيبي والصحيح ان الرحمن ابلغ لانه يشارك الرحيم في الآخرة بحسب الكيفية
وله مزيد اختصاص بحسب الكمية في الدنيا الراغب الرحمة تارة تستعمل
في الرقة المجردة وتارة في الاحسان المجرد عنها وهذا المراد في وصف الباري
تعالى وقال غيره اختلف في الرحمة هل هي مجاز عن انعام الله على عباده
او عن ارادة الخير فعلى الاول هي من صفات الافعال وعلى الثاني من صفات الذات
الحمد لله رب العالمين قال الخويي فضل السور ما افتتح بالحمد لله وذلك خمس
سور في النصف الاول سورة الانعام والكهف وفي الثاني سورة سبا وفاطر
والفاتحة تشمل النصفين لانها تقرأ اولا وآخرا ومن يبتدئ بحفظه من الآخر
يبتدئ بها كما ان من قرأ من الاول يبتدئ بها فقوله في اول الانعام الحمد لله
الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى اول النعم وهي
نعمة الوجود ومكانه وزمانه وفي الكهف الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
اشارة الى نعمة الشرع الذي به قيام الوجود وهاتان النعمتان في الدنيا
وفي اول سبا وفاطر الاشارة الى الآخرة فان رسل الملائكة للامر الاخروي
اكثر السور من الحمد على النعم الاخروية ويؤيد ذلك انه قال في سورة نعم
الانعام فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فذكر نعمة دنيوية
وقال في فاطر وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن فذكر نعمة اخروية
وحمد عليها واما الفاتحة ففيها الحمد على ما في الدنيا وعلى ما في الآخرة فقوله
رب العالمين اشارة الى نعمة الايجاد وقوله مالك يوم الدين اشارة الى
نعمة المعاد فهي افضل السور الخمسة قال واما ترتيب الفاظها فقوله الله اسم
للذات المقدسة وهو الله ازلا وابدا قبل الخلق وبعد الافناء ثم انه برحمته خلق
واوجد فهو رحمن ثم انه بعد الايجاد رزق وابقى فهو رحيم ثم ان من خلق ورزق
واوجد وابقى انه بكمال النعمة فله الحمد فالحمد لله رب العالمين ثم ان الله تعالى
مرة اخرى يخلق الخلق ويبعث من في القبور فهو رحمن برحمة ثانية لها خلق ثان
ومرة اخرى برزق في الآخرة ويبقى برحمته فهو رحيم فقال مرة اخرى الرحمن الرحيم
ثم انه اذا خلق ثانيا ورزق ثانيا فهو في ذلك اليوم مالك فقال مالك يوم
الدين واذا كان الخلق منه اولا والرزق منه في الاول وكذلك الايجاد والابقاء
منه في الآخرة فلا يجوز ان يعبد غيره فقال اياك نعبد ثم انه من عظمة
نعمه وعظم كرمه لا نقدر على حق عبادته الا باعانته فقال واياك نستعين

ثم ان العباد للزلفى والاقتراب من جناب الحق كما قال تعالى واسجد واقترب
فالعابد سالك فيطلب الهداية ويقول اهدنا الصراط المستقيم • ولابد
الطريق لابد من الرفيق فيقول صراط الذين انعمت عليهم وهم الذين قال الله
فيهم وحسن اولئك رفيقا ثم انه بعد وجدان الطريق واصطحاب •
الرفيق يخاف قطع الطريق فيقول غير المغضوب عليهم ويخاف من يضله
بضلاله وان لم يقطع عليه الطريق • باحتياله فيقول ولا الضالين فهذا
ترتيب في غاية الحسن **قال** ان في هذه السورة من الاسما الحسنى خمسة
صريحة وهي الله والرب والرحمن الرحيم والملك وفيها خمسة مستنبطة من
المصدر او الفعل المحمود من الحمد لله والمعبود من اياك نعبد والمستعان من
اياك نستعين • والهادي من اهدنا والمنعم من انعمت والخمسة المذكورة صريحا
مناسبة للخمسة المذكورة ضمنا فالمحمود يناسب الله ولهذا وجب ذكر كلمة الله عند
الحمد ولم يرد الحمد للرب ولا للمنعم بل الوارد الحمد لله والرب يناسب المعبود
ولهذا قال يا ايها الناس اعبدوا ربكم وقال واعبد ربك والرحمن يناسب المستعان
ويدل عليه وربنا الرحمن المستعان والهادي يناسب الرحيم ويدل عليه قوله
هدى ورحمة تقترن بينهما والمنعم في مقابلة الملك **قلت** ويزاد على هذا
اسم سادس صريح وهو المالك في قراءة مالك وقرائته ويقابله اسم ضمني في
غير المغضوب ثم **قال** قوله الحمد لله رب العالمين كلام لا يقوم غيره
مقامه لا في الفاظه ولا في ترتيبه وبيانه ان لفظ الحمد ان يبدل بلفظ اخر
فاللفظ الذي يظن انه يقوم مقامه اما المدح او الشكر او الثنا او التحية
او الكمال او العظمة او غيرها اما المدح فلا يقوم مقام الحمد لان المدح
ذكر ذاكر واحدا عند غيره باوصاف كماله سواكانت فيه او لم تكن والممدوح
لا يكون في الازل ممدوحا لانه لابد فيه من الذكر عند الغير والازل لم
يوجد فيه انسان لكن الله في الازل محمود لانه في الازل لمتصف بالكمال فهو في
نفسه محمود وان لم يذكره شي بدليل قولهم احمدته اي وجدته محمودا ولا
يقال امدحته بمعنى وجدته ممدوحا **واما** الشكر فلا يقوم مقامه لان
شرطه الاحسان فالمشكور لا يكون في الازل مشكورا والله في الازل
محمود والمشكور لا يكون عند زيد مشكورا باحسانه الى عمرو ويكون محمودا
عنده بذلك فالحمد ابلغ **واما** الثنا فكالمدح **قلت** بل دونه لانه قد
يطلق على الوصف بغير الجميل كما في الحديث فاثنوا عليها شرا **واما** التحية
فابعد لان اصلها الدعا بالحياة او الحيا وهو المطر واما غير هذه الالفاظ
فلا يقوم مقامه ولا يؤدي معناه كما هو ظاهر **واما** قوله لله فلا يقوم

مقامه لفظ آخر لان سائر اسمائه تعالى مشتقة من معنى فلو قيل الحمد للعظيم افاد
ان الحمد له لعظمته وكذا الباقي والحمد لله يفيد ان الحمد له لذاته ولاختصاصه
به تعالى دون سائر الاسما **واما** الرب فلانه يجمع كل صفة من صفات الاحسان
لان الرب هو القائم باصلاح شيء من اول وجوده الى آخر امره فلو اتى بدله
بالموجد لم يفد معنى القيام بالمصالح والاحسان والتربية او بالمحسن لم
يفد دوامه والرب دائم الاحسان وايضا فالرب انسب الاسما بلفظ الله لان
اختصاصه به شرعا في الحديث لا يقول احدكم ربي ولكن سيدي ولهذا
لم يرد في اذكار الصلاة غيرهما **واما** العالمين فلانه لا لفظ اجمع منه في معناه
اذ العالم اسم لكل ما سوى الله ولو قال رب الاجسام لخرج عنه بعض الاشيا
او رب الاشيا لدخل فيه الله وصفاته مع تفاوت ما بين اللفظين من التفاوت
اللفظي المدرك عند السامعين او كل موجود ممكن فلا يخفى طوله مع التفاوت
المذكور **واما** ترتيبه فتقديم الحمد واجب لان المقصود الاشارة اليه لا ان ذكر
الله باسمه وصفته قد تقدم بالتسمية وما كان مقصودا افتقديمه واجب
ليكون اول ما يقرع السمع ولو قيل لله الحمد لذهب الوهم قبل سماع الحمد
الى ان المراد لله الملك او نحوه فلا يفهم المقصود اول وهلة وتقديم الله واجب
ايضا لان تقديم الذات على الصفة واجب وكذا تقديم المضاف على المضاف
اليه في قوله رب العالمين • نعم ان هذه الجملة لا يقوم غيرها مقامها لا في
لفظها ولا في ترتيبها وكذا سائر آي القرآن انتهى كلام الخويي ملخصا **وقال**
الاصفهاني الحمد اخص مطلقا من المدح لاختصاصه بالحي العالم القادر المختار
وهو غاية المدح ولهذا اشتمل لما كانت نهاية المدح بداية الحمد وقع هذا
في اللفظ يحمل الحا الذي هو آخر المدح اول الحمد ولا يقال مدحت الله ولا المدح
لله لانه لا يدل على كونه فاعلا مختارا فلا يدل على اعترافه بذلك الحمد لله فلان
المدح مطلق الثنا سوا استحقه الممدوح ام لا والحمد الثنا على من يستحقه **قال**
وهو اولى مما لو قيل الشكر لله لانه يوهم اختصاصه بانعامه والاول اعم فهو
افضل لما فيه من الحمد على كل حال **قال** والاتيان بالحمد لله اولى من احمد الله
لوجوه **احدها** ان احمد الله يفيد كون القائل حامدا واما الحمد لله فيفيد انه كان
محمودا قبل حمد الحامدين فهو محمود من الازل الى الابد بحمده القديم وكلامه القديم
سوا احمدوا اولم يحمدوا **والثاني** ان الحمد لله يقتضي ان الحمد حق الله يستحقه لذاته
بسبب كثرة اياديه واسباغ نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بخلاف احمد
الله فلا يدل على ذلك فالاول اولى **والثالث** ان قول الانسان احمد الله فيه نسبة
الفعل الى نفسه وهو عجز من ان يجازي حق حمده والحمد لله معناه انه محمود بجميع حمده

الحامدين ورابعها ان الحمد عبارة عن صفة القلب وهي اعتقاد كونه محموداً متصفاً متصلاً مستحق الحمد والتعظيم فاذا لفظ الانسان بقوله احمد الله مع غفلته عن معنى التعظيم اللائق بجلاله كان كاذباً لانه اخبر عن نفسه بكونه حامداً مع انه غير كذلك واما اذا قال الحمد لله سواكان غافلاً او لا فانه يكون صادقاً لان معناه الحمد حق لله وهذا المعنى حاصل مع الغفلة وعدمها وقوله الحمد لله اولى من قوله الحمد لرب العالمين او للخالق او للقادر او لغيرها من الاسما والصفات لان الله اسم للذات الجامعة لصفات الكمال فالحمد لله حمد له على جميع الصفات الكمالية بخلاف غيره من الاسما وفي العجائب للكرماني الفرق بين الحمد والشكر ان الله تعالى حمد ذاته ولا يشكر لان الشكر يستدعي سابقة احسان قلت وهو معنى لطيف ولعله اولى في مناسبة الايمان هنا بصيغة الحمد واللام في الحمد للاستغراق الحقيقي اي جميع المحامد وفي لله للملك او الاختصاص وجملة الحمد لله اما اخبار وفايدته انه تعالى بين ان كل الحمد له لا لغيره واما ثنا اثنى به على نفسه وعلمه عباده واما امرهم به على تقدير قولوا بدليل وقل الحمد لله ويكره اياك نعبد واليه ذهب الكسائي ونقله الكرماني عن جل المفسرين وقرأ الحمد بالنصب على انه مصدر يتعلق بفعل وبالكسر اتباعاً لكسرة اللام وقرئ لله بضم اللام اتباعاً لضمة الدال وقرئ رب بالنصب فقيل على المدح وقيل على الندا وهو لفظ يحتمل الوصف والمصدر قال ابن عبد السلام وله اربعة معان المعبود والمالك والسيد والمصلح ويحمل في كل موضع من القرآن على ما يناسبه فان حمل هنا على المالك عم الموجودات وان حمل على المصلح خرجت الاعراض لانه لا يقبل اصلاح بل يصلح بها وان حمل على السيد اختص بالعقلا لانه لا يقال سيد الجماد والحشرات وان حمل على المعبود اختص بالمكلفين وهذا اخص المحامل والاشبه هنا المصلح لان الاصلاح نعمة ان قلنا الحمد بمعنى الشكر والا فالسيد انسب للثنا ووجه مناسبة المالك للثنا ان من ملك يناسب ان يثنى عليه مملوكه لاستيلائه عليه وعظمته ومناسبة المعبود لشرفه باستحقاق العبادة انتهى وقال الاصبهاني يصح ان يراد به جميع معانيه وذلك مما زاد في وجه مناسبة الاثبات به دون المالك ونحوه الكرماني الرب من التربية وهي تبليغ الشي الى كماله على التدريج الراغب الرب في الاصل التربية وهي انشا الشي حالا فحالا الى حد التمام لا يقال مطلقا الا لله المتكفل بمصلحة الموجودات قال والعالم اسم للفلك وما حواه من الجواهر والاعراض وهو في الاصل اسم لما يعلم به وحمل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالآلة فالعالم آلة في الدلالة على صانعه واما جمعه فلان كل نوع من انواع المخلوقات يسمى عالما وجمع جمع السلامة تغليبا للناس وقال

الجوني لما غلب في العالمين العقلاء مع غيرهم الاكثر من الاولاد الشبح وخدا نبه ضالعه منزلة منزلة الناطق بالحق الرحمن الرحيم تكرار بعض جمل البسملة من الله اي ونكتته قيل التاكيد وقيل الرحمة هي الانعام على المحتاج ولم يكن في الآية الاولى ذكر المنعم عليهم فاعادها مع ذكرهم فقال رب العالمين الرحمن بهم برزقهم الرحيم بالمؤمنين يوم الدين وقال الحليمي في كتابه الذي سماه المناجاة الطورية في المتشابهات النورية يمكن ان يذكر لتكراره وجوه اخر منها انه ورد في الحديث كل امر ذي بال لا يبدا فيه ببسم الله فهو ابتر وفي رواية بحمد الله وذكر في الجمع بين الحديثين ان يجعل التسمية مبدأ الحمد والحمد مبدأ جميع ما عداه وعليه اورد القرآن ولما كانت الجلالة اسمه تعالى والرحمن من الصفات العالية التي لا يصح اطلاقها على غيره والرحيم مرادف الرحمن وقد ذكرت في التسمية سوا وجب رعايتها في التحميد ايضا كذلك والفصل برب العالمين ليس باجنبي بل هو نشط المقصود في مقامه اللايق به فان مقام الحمد مقام يقتضي من البسط ما لا يقتضيه مقام التسمية لان الغرض منها التبرك ومنها الاشارة الى ان التكرار اذا وقع في الكلام البليغ على سبيل التتابع ينبغي ان يفصل بينهما بشي ليكون اجنبيا كما وقع بقوله رب العالمين ومنها الاشارة الى انه ينبغي ان يراعى في التسمية الايجاز وفي التحميد الاطناب ومنها الاشارة الى ان صفة الرحمانية مقتضى الالوهية وصفة الرحيمية من مقتضى الربوبية نظرا الى اللف والنشر المرتب وعموم الرحمانية للمؤمن والكافر وخصوص الرحيمية بالمؤمن ومنها ان التسمية باعتبار تكررها في سائر السور اولى بالاختصار من التحميد ومنها ان التحميد لما كان الثنا بالجميل ينبغي ان يراعى في تكرار انواع الثنا المختلفة كما وقع في القرآن في الحمد لله رب العالمين الحمد لله الذي خلق السموات الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الحمد لله الذي له ما في السموات الحمد لله فاطر السموات بخلاف التسمية فان الانسب ان تكون بافضل الاسما والصفات وهو الله الرحمن الرحيم القاضي بدر الدين بن جماعة فايدة تكرار هذين الوصفين التنبيه على الصفات المقتضية لحمده وشكره وهي سعة رحمته لعباده ولطفه ورزقه وانواع نعمه فالاول لتوكيد الاستعانة والثاني لتوكيد الشكر قال وهذه الآية يعني البسملة جمعت ما لم يجتمع في آية غيرها وهو انها آية مستقلة في الفاتحة عند من قال به وهي بعض آية في النمل وربعها الاول بعض آية في اقرأ باسم ربك ونصفها الاول بعض آية في هود بسم الله مجراها ومرساها وربعها الثالث بعض آية في الرحمن الرحيم على القرآن ونصفها الثاني آية في الفاتحة وبعض آية في البقرة هو الرحمن الرحيم قال القاضي وزعم قوم ان فيه تقديما وتاخيرا

والتقدير الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين قال وهذا التعسف شديد بدنا قاله
احد من المتقدمين قال الكرماني انما ارادها ولا يتقدم الرحمن فقط لانه نبيه
الاعلام والعلم بالتقدير او في ملك يوم الدين قرئ في السبع مالك وملك
فقيل بمعنى وهو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود وقيل
مالك من ملك بفتح الميم وكسرها وملك من الملك بضمها ثم اختلف ايها ابلغ في المدح
فقيل مالك لانه اوسع واجمع يقال مالك الطير والوحش وكل شيء ولا يقال
ملك الطير ولا ملك كل شيء بل ملك الناس ولان الزيادة في البناء تدل على الزيادة
في المعنى وقيل ملك لان كل ملك فلا بد ان يكون مالكا للشيء بخلاف العكس
ولان الملك يتصرف فيما ملك وفيما لم يملك بخلاف المالك ولانه تمدح بالملك
الملك ومنه ماخوذ منه ولم يتمدح بالملك الذي مالك ماخوذ منه
الراغب الملك اي بالكسر ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم والملك بالضم المتصرف
بالامر والنهي في الجمهور فالاول كالجنس للثاني فكل ملك ملك وليس كل ملك
ملكا الخويي ملك يدل على دوام الامر وثباته بخلاف مالك فان قلت
قرئ هنا بالوجهين ولم يقرأ ملك الناس ومالك الملك الا بوجه واحد فهل
لذلك سر قلت لم اقف على كلام لاحد في ذلك فظهر لي في ذلك امران احدهما
ان الفاتحة لكونها ام القرآن واساسه وقع فيها الاسرار كل كلما موشاة
من ايراد الالفاظ فيها على سبيل العموم كما سبق وياتي ولا تقتصر في غيرها
على احد الامرين الثاني ان ملك الناس ذكر قبله برب الناس والرب بمعنى المالك
فذكر بعده ملك ليحصل الجمع بين الوصفين ولو قرئ مالك لكان مع قوله
برب الناس تكرارا محضا فان قيل هنا تقدم رب العالمين قلت
تقدم على سبيل العموم واعيد مالك يوم الدين على جهة الخصوص تنبيها على عظم
هذا اليوم وتفرده بالملك فيه كما اشار اليه الاصبهاني بخلاف برب الناس
ومالك الناس لو قرئ فانهما سواء ليس بينهما عموم وخصوص وعطف الخاص
على العام شايع كثير بخلاف عطف الشيء على مراد فه واما مالك الملك فانه
لا معنى فيه لملك الملك لو قرئ لانه يشبه اضافة الشيء الى نفسه والقصد
الثناء على الله تعالى بانه مالك الملك بخلاف غيره من الملوك فانه ليس مالك
لما هو ملك فيه فتامل واختصاص الاضافة بيوم الدين لما اشرنا اليه من التنبيه
على عظمه والتفرد بالملك فيه لمن الملك اليوم واضافة اسم الفاعل الى الظرف
على طريق الاتساع اي مالك الامر كله في يوم الدين ووقع نعتا للمعرفة لانه
بمعنى الاستمرار كما مر الزمخشري او المضي قيل وحسنه ان اكثر الفاظ القيامة
جاءت بمعنى الماضي تحققا فحمل هذا على معنى المضي دافعا للغرابة ويؤيده قراءة

ملك

ملك يوم الدين بصيغة الفعل الماضي وقيل هو بمعنى الاستقبال بدلا ويوم
مفعول به والمعنى انه تعالى يملك يوم الدين ان ياتي به قال الكرماني
ويؤيده قراءة مالك يوم الدين بالتنوين والنصب وقرأ ايضا ملك بسكون
اللام ومليك قال الخويي اليوم قطعة زمان والنهار اسم لما بين طلوع الشمس
الى الغروب وعبر باليوم دون النهار اشارة الى ان الخلق باسرهم تنقضي امرهم في دون
النهار وقد صح الحديث بانه تعالى يحاسب الخلق في نصف نهار وكذا لم يقل زمان
الدين لانه لا يعلم منه السرعة المذكورة لان الزمان اسم جنس كالنهار والدين هنا
الجزاء قال الخويي وبينهما فرق لطيف وهو ان الدين اسم الجزاء المحسوب
المقدر بقدر ما تقتضيه الحساب اذا كان موجودا ممن معه ونحو له الامر
المجزى فيقال لمن اعطى كثيرا في مقابلة قليل هذا جزاء عملك ولا يقال هذا
دين عملك وكذلك لو احسنت الى رجل فاحسن اليك غيره بدلا عنه فهو جزاء
لا دين واما اذا اعطيت من احسن اليك بحساب مستوفي على قدر ما صنع فهو
الدين ولذلك ورد اللفظ في القرآن لانه تعالى هو المجازي لا غيره ويجازي
بحساب كما قال فوفاه حسابه ثم بعد ذلك يكون العطاء الجزيل والاحسان
الكثير قال وانما وقع في القرآن يوم الدين ولم يقع يوم الجزاء وقال
يوم يجزي الله ولم يقل يوم يدين الله وقال جزاء بما كانوا يعملون ولم
يقل دينا لمعنى دقيق في العربية وهو ان الفعل لا يعلم الا بواسطة المصدر
فاذا قلت فلان جلس او يجلس لا يقتضي ان يكون قد جلس طويلا او مرارا
واذا قلت لفلان جلوس افاد ما لا يفيده ذلك والنظر الى قولك فلان ملك
البلاد ولفلان ملك البلاد والتحقيق فيه ان الفعل زماني والمصدر لا
يقتضي زمانا فاذا قلت فعل ويفعل تميز الماضي والمستقبل والمصدر
يشمل الحالين فهو اعم من الفعل اذا علمت هذا فالجزاء عام فلان كل دين
جزاء وليس كل جزاء دينا لما تقدم في الفرق فقال يوم الدين لانه لو قال
يوم جزاء لتناول يوم دخول الجنة وايام البقاء فيها لانها ايام جزاء لا يوم
الدين ليوم واحد فيه الجزاء بحساب وقال يوم يجزي لزوال ذلك الا انه
لان الفعل يقتضي زمانا واحدا ولم يقل يوم يدين لانه تعالى في يوم الدين
لا يعطي كل احد بحساب بل يعطي المحسنين بغير حساب فهو يوم لا يكون الدين
الا فيه واما ان كل ما فيه يكون دينا فلا فذكر الفعل باللفظ الاعم فان يجزي
اعم من يدين وكذا القول في جزاء ودينا وقال الطيبي في اختصاص يوم الدين
دون يوم القيامة وغيره من اسمائه فائدتان احداهما مراعاة الفاصلة
والاخرى العموم المطلوب في الفاظ هذه السورة فان الجزاء يشمل احوال

القيامة من ابتدا السورة الى المزيد الدائم فقيل ملك يوم الدين وما لك يوم
الدين قيل رب العالمين في الحمل على المفهوم من اي جمل الرب على المالك والمربي معا
فرب العالمين اذن بالتصرف التام في الدنيا ملكا وتربية وملك يوم الدين
دال على مثل ذلك في العقبى تسلطا وقهرا وتوسط الرحمن الرحيم بينهما منادرا
بترجيح جانب الرحمة وانه تعالى رحمن الدنيا ورحيم الآخرة **وقال** الاصبهاني
بعد الدلالة على اختصاص الحمد لله وان الحمد به حقيق في قوله الحمد لله اجرى
هذه الاوصاف عليه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شي عن ملكوته
وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق
ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب ليدل على انه من
كانت هذه اوصافه حقيق بالحمد والثنا عليه بما هو اهله **قال** وقد ذكر
تعالى في هذه السورة من الاسما الحسنى خمسة الله والرب والرحمن والرحيم والملك
والسر فيه ان يقول خلقتك اولا فانا اله ثم ربيتك باسباغ النعم فانا
رب ثم عصيت فسترت فانا رحمان ثم تبت فغفرت لك فانا رحيم ثم لا بد
من ايصال الجزا فانا مالك يوم الدين وذكر الرحمن والرحيم مرة في البسملة واخرى في
اثنا السورة نوقع التكرر فيهما بخلاف الاسما الثلاثة تنبيها على ان العناية
بالرحمة اكثر منه بسائر الامور ثم لما بين الرحمة المضاعفة ذكر ملك يوم الدين حذرا
من الاغترار ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب **اياك نعبد**
هذا هو النوع المسمى في البيان بالالتفات والعرب يستكثرون منه على عادة
افتنانهم في الكلام فانهم يرون ان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان
ذلك احسن تطرية لنشاط السامع واكثر ايقاظا للاصغا اليه من اجرائه
على اسلوب واحد لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسامة من
الاستمرار على حال واحد وقد تختص مواقع الالتفات بلطايف شريفة وفوايد
لطيفة وهذا الموضع من احسن مواقعه فان العبد اذا ذكر الله وحده ثم ذكر
صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة الاقبال واخرها مالك يوم الدين
المفيد انه مالك الامر كله في يوم الجزا يجد من نفسه حاملا لا يقدر على دفعه
على خطاب من هذه صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في
المهمات وقيل انما اختير لفظ الغيبة للحمد وللعبادة الخطاب للاشارة
الى ان الحمد دون العبادة في الرتبة لانك تحمد نظيرك ولا تعبده فاستعمل
لفظ الحمد مع الغيبة ولفظ العبادة مع الخطاب لينسب الى العظيم حال المخاطبة
والمواجهة ما هو اعلى رتبة وذلك على طريق التادب ذكره ابن جني وقيل لانه لما
ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه الصفات العظيمة من كونه ربا للعالمين ورحمانا

ورحيما

ورحيما ومالكا ليوم الدين تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بان يكون معبودا دون
غيره مستعانا به فخوطب بذلك لتميزه بالصفات المذكورة تعظيما لشانه حتى
كانه قيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا غيرك **قيل**
ومن لطايفه التنبيه على ان مبتدا الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه وقصورهم
عن محاضرته ومخاطبته وقيام حجاب العظمة عليهم فاذا عرفوه بما هو له وتوسلوا
للقرب بالثنا عليه واقروا بالمحامد له وتعبدوا له بما يليق بهم تاهلوا للمخاطبة
ومناجاته فقالوا اياك نعبد واياك نستعين **وقال** ابن عبد السلام الخطاب
يشعر بالقرب اذ لا يخاطب الا من يسمع الخطاب فاشعر الالتفات بانه قريب
يسمع دعا الداعين وتسبيح المتوسلين وانما قدم اياك لتفيد الاختصاص اي
لا غيرك وليكون نظرهم من الله الى العبادة لا من العبادة اليه **وفي العجايب**
في تقديم اياك قولان احدهما تعظيما لله والثاني قطعا لمجال العطف فانك اذا
قلت اضربك احتمل ان تقول وزيدا وليس كذلك اذا قدمت فقلت اياك
اضرب **وقال** الخوبي من عادتهم تقديم الاهم والاهم هنا ذكر الله فان
قلت العبد لما ذكر الحمد لله وذكر اوصافه من كونه ربا ورحمانا ورحيما وملكا
حضر قلبه وعلم ان الاهم مخاطبة ربه فبدأ بذكر ربه ثم بذكر عبادته
وهذا من كلام العبد مع الله واما الله تعالى فقال اعبدوا ربكم لانهم
خلقوا للعبادة فبدأ بها لانها المقصود الاهم ثم ذكر ما حملهم عليها فقال
ربكم فان كونه ربا يقتضي ان يعبد وفي هذه لطيفة وهو ان العبد
يطلب من الله وجهه والله يطلب من العبد فعله **قال** واتى في
الحمد بالجملة الاسمية ولم يقل نحمدك وفي العبادة بالجملة الفعلية ولم
يقل العبادة لك لان الحمد له امر ثابت قبل كل خلق وان لم نحمده فحينئذ
بالاسمية الدالة على الثبوت واما العبادة ففعل ما يتحقق بعد وجودنا
فجي بالفعلية الدالة على الحدوث وقرئ يعبد بالبنا للمفعول على ان
ضمير النصب مقام ضمير الرفع **قال** بعضهم وفيه التفات من الخطاب
في اياك للغيبة في يعبد وهذا الالتفات غريب لكونه في جملة واحدة بخلاف
المتقدم ونظيره هذا قوله

اانت الهلالي الذي كنت مرة * سمعنا به والارحبي المغلب

فقال انه بعد انت وكنت **الراغب** العبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من
له غاية الافضال وهي ابلغ من العبودية التي هي اظهار التذلل **واياك**
نستعين كرر اياك ليكون ادل على الاخلاص والاختصاص فانه يفيد المبالغة
في تخليص الاستعانة كالمبالغة في تخليص العبادة وتخصيصها ولو حذف

لم يذكر لان النفد مير المنبد ذلك **وفي** تأخير نستعين مما تقدم من الاوجه في نعبد ونراد هنا مراعاة الفاصلة وتقديم جملة العبادة على جملة الاستعانة لانها المقصود الاهم ولان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستدعي الاجابة اليها **وفي** شرح الحكم لابن عباد من كان من الابرار فمنتهى درجة اخلاصه ان يكون اعماله سالمة من الريا الجلي والخفي طلبا لما وعد الله به من جزيل الثواب وهربا عما اوعد به المخلصين من اليم العذاب وهذا في التحقيق معنى قولنا اياك نعبد اي لا نعبد الا اياك ولا نشرك في عبادتنا غيرك وحاصل امره اخراج الخلق عن نظره في اعماله مع بقاء رؤيته لها والاعتماد عليها **واما** من كان من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم رؤيته لنفسه في عمله واخلاصه انما هو شهود انفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه من غير ان يرى لنفسه في ذلك حولا او قوة وهذا في التحقيق معنى قوله واياك نستعين اي لا نستعين الا بك لا بانفسنا وحولنا وقوتنا فالاول هو العمل لله انتهى وقد ظهر بهذا سر اخر لطيف في تقديم اياك نعبد على اياك نستعين **قال** الزمخشري ونستعين معنى الدعا وطلب الاعانة كقوله اغفر الله لكم **وقال** الحوفي استعان يتعدى تارة بنفسه وتارة بالبا والمرف منهما انك اذا قلت استعنت بزيد كنت انت الفاعل ولكن زيد لا بد منه فهو كالالة كما تقول استعنت بالقدوم اذا عرف ذلك فاختير هنا الاول لان الله هو الفاعل وكذا قوله وربنا الرحمن المستعان ولم يقل به واختير الثاني في قوله واستعينوا بالصبر لان الصبر ليس بفاعل معين وانما هو آلة بها يصل الفاعل الى غلبة الشيطان والنفس **قال** فان اورد على هذا قوله استعينوا بالله واصبروا **قلنا** فيه لطيفة فانه لما حكى الحاكي للعباد قال اياك نستعين الهاما لهم ان تعلم الله لا بد منه ولما امرهم **قال** استعينوا بالله اي لا تتكلوا كل الاتكال بل اجتهدوا واجعلوا انفسكم كانكم الفاعلون المستقلون تاسيا والحاصل الاستعانة لنفسنا ولكل مستعان فيه من العبادة وغيرها ذكره صاحب الكشاف وغيره وقال بعضهم اطلق كلا من فعلي العبادة والاستعانة فلم يذكر لها معمولا ليتناول كل معبود به ومستعان عليه او يكون المراد وقوع الفعل من غير نظر الى مفعول نحو كلوا واشربوا اي اوقعوا هذين الفعلين **وقال** القاضي الضمير المستكن في الفعلين للقارئ ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة والاستعانة طلب العون وهو المظاهرة بالنصرة **اهدنا** الهداية الدلالة والايصال الى المطلوب ويهدي يتعدى الى المفعول الثاني بنفسه كما هنا وباللام يهدي للتي هي اقوم وبالى وانك لتهدي الى صراط

صراط مستقيم **قال** الحوفي حيث جعل الله نفسه فاعلا للهداية وكان المهدي قد اجتهد في الطلب عداه بغير حرف كما هنا فان الطالب اجتهد واتى بالعبادة البالغة في قوله اياك نعبد واياك نستعين والله هو الهادي وكذا والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما كان الفاعل هو الله والمهدي من جاهد عداه بلا حرف وكذا ولهديناهم صراطا مستقيما بعد ولو انهم فعلوا ما يوعظون به ويهديهم اليه صراطا مستقيما بعد فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به وهديناهما الصراط المستقيم اي موسى وهارون ومما نحن المجتهدان ومثل ذلك كثير وسره ان الفاعل اذا كان قويا والمفعول شديد القبول لكون الفعل يتعلق به تعدى اليه بلا حرف **واما** ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط فعداه بالحرف لما كان الهادي غير الله **وقال** يهدي من يشا الى صراط مستقيم لم يذكر اجتهاد المهدي وكذا الحمد لله الذي هدانا لهذا لم يذكر معه اجتهادهم **واما** قل انني هداني ربي الى صراط واجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم معروف **فالجواب** انه كان من التواضع وعدم العجب بمكان فكانه قال هذا الذي اعطاني الله لا اجتهاد لي فيه او نقول هذا هو الهدي الذي هداه الله او لا من غير سعي منه ولا كسب وهو الذي قال فيه ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ثم جا الاجتهاد بعد ذلك شكرا **واما** قول مؤمن آل فرعون اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد فعداه بلا حرف والهادي غير الله لجوابه ان سبيل الرشاد دون الصراط المستقيم فلما كان المفعول اسهل واكثر حصولا عداه من غير حرف **واما** قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط حيث عداه في الاول بلا حرف وفي الثاني به والهادي فيهما الله وذكر الاجتهاد فانه لما قال يهدي به صارت الهداية كانها منسوبة للكتاب فصار كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ثم عداه للاول بلا حرف لان سبل السلام دون الصراط المستقيم في الشرف فان الصراط المستقيم هو الذي للانبيا والاوليا والسبل للمؤمنين باسرهم تعدى الى الادنى بغير حرف والى الاعلى بحرف ابانة لخطر احدهما وشرفه على الاخر انتهى كلام الحوفي ملخصا **وقال** الراغب الهداية دلالة بلطف قال واما استعمالها في نحو فاهدوهم الى صراط الجحيم ويهديهم الى عذاب السعير فانه على سبيل التهكم مبالغة في المعنى كقوله فبشرهم بعذاب اليم **وقول** الشاعر ، تحية بينهم ضرب وجيع ، قال وهداية الله للانسان على اربعة اوجه **الاول** الهداية التي عم بها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التي اعم منها كل شي بقدر فيه حسب احتماله كما قال اعطى كل شي خلقه ثم هدى **والثاني** الهداية التي جعلها للناس بدعائه اياهم على السنة الانبيا وانزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله

وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا **الثالث** التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو
المعني بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى ومن يؤمن بالله يهد قلبه **الرابع**
الهداية في الآخرة إلى الجنة وهو المعني بقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا
سيهديهم ويصلح بالهم والانسان لا يقدر يهدي أحدا إلا بالدعاء وتعريف الطرق
دون سائر أنواع الهدايات وكل هداية نفاها الله تعالى عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعن البشر وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا هذه وكل هداية
نفاها عن الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة التي هي التوفيق والرابعة
التي هي الثواب وإدخال الجنة نحو كيف يهدي الله قوما كفروا الآية انتهى
وإنما قال اهدنا ولم يقل اهدني لأن الدعاء مهما كان أعم كان أقرب إلى الإجابة
ثم المطلوب إما زيادة ما منحوه أو الثبات عليه أو حصول المراتب المرتبة
عليه قاله القاضي **الصراط المستقيم** أي الدين الحق الذي هو الإسلام من
استعارة المحسوس للمعقول قال ابن عبد السلام ونكتته أن الصراط الطريق
والطريق هو الموصل إلى المقاصد والجزاء فذكر الصراط مشعر بما يدل عليه من
حصول المقاصد ولفظ الدين لا إشعار له بذلك والمستقيم الذي لا عوج فيه
لأنه أقصر من المعوج وأقرب وأسهل **الراغب** والقراءة في السبع بالسين وهي
الأصل والصاد أبدلا لأجل حرف الاستعلاء **الراغب** السراط الطريق المستسهل
من سرطت الطعام ابتلعته والاستقامة يقال في الطريق الحسي وهو الذي
يكون على خط مستو وبه شبه طريق الحق الحوبي الفرق بين الصراط والطريق
والسبيل أن الطريق أعم وهو كل ما يطرقه طارق سواء كان معتادا أم لا
فعيل بمعنى مفعول والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك ولهذا يقال هذه
طريقة فلان ولا يقال سبيله لأن ما يختص بواحد لا يكون سبيلا معتادا
لجماعة فبقي طريقه لأن العام يوجد في ضمن كل خاص ولهذا قال تعالى فاضرب
لهم طريقا في البحر يبسا لأنه طريق لم يسلك قبلهم ولا يسلك بعدهم وقال
فاتخذ سبيله في البحر سربا لأن الحوت تعود السلوك في البحر والذهاب به
وأما الصراط فهو من السبل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج فلا يذهب
تارة يمنة وأخرى يسرة بل يكون على سمت المقصود ويدل عليه تقاليب
الكلمة فإنك تقول هذه الحروف على سطر واحد إذا لم يكن بعضها خارجا
عن سمت بعض والسين والطاء والراء هي حروف الكلمة قال ومما يدل على أن
الطريق أعم من السبيل قوله تعالى ولا ليهديهم سبيلا ثم استثنى وقال ولا ليهديهم
طريقا إلا طريق جهنم فاستثنى من الطريق طريقا وعلى أن الصراط أخص
منهما لم يذكر في القرآن إلا ممدوحا وذكر السبيل لا في معرض المدح كقوله وساء

سبيلا

سبيلا وأضل سبيلا وسبيل الغي وأما صراط الجحيم فمن باب فبشرهم بعذاب أليم
ثم **قال** فإن قيل إذا كان الصراط هو الطريق الذي لا التواء فيه ولا اعوجاج
فما فائدة قوله المستقيم **قلنا** الصراط ما لا يمنة فيه ولا يسرة
وقد يكون فيه صعود وهبوط والمستقيم ما لا ميل فيه إلى شيء من الجوانب
الأربعة لأن أصل الاستقامة في قيام الشخص فإن كان منحنيا أو منقبضا
أو مائلا إلى اليمين أو اليسار فليس بمستقيم وإن وقف غير مائل إلى شيء من
الجوانب الأربعة فهو مستقيم فكذلك الطريق إذا لم يمل إلى شيء من الجوانب الأربعة
فهو مستقيم انتهى **وقرأ** الحسن اهدنا صراطا مستقيما قال ابن جني
في المحتسب ومعناه التذلل لله وإظهار الطاعة له أي قد رضينا منك يا ربنا
بأن يقال له صراط مستقيم ولسنا نريد المبالغة في قول من قرأ اهدنا الصراط
المستقيم أي الصراط الذي قد شاعت استقامته وعلمت حاله فإن قيل
هدايتك ذاك عندنا وكثير من نعمتك ونحن له مطيعون وإلى ما تأمر به وتنهى
عنه صائرون وزاد في حسن التنكير هنا ما دخله من المعنى وذلك أن تقديره
أدم هدايتك لنا فإنك إذا فعلت ذلك بنا فقد هديتنا إلى صراط مستقيم
فجرى ح مجرى قولك لئن لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلقين منه رجلا
متناهيا في الخير ورسولا جامعا لسبل الفضل فزالت به الحال إلى معنى التجريد

كقوله

وفي الله إن لم تعدلوا حكم عادل . وهو تعالى أعرف المعارف وقد سماه
الله عز وجل حكما عدلا فأخرج اللفظ مخرج التنكير فقد ترى كيف آل الكلام من
لفظ التنكير إلى معنى التعريف **قال** ثم إن هذا المرة الجنس ذكرت
معرفته من حيث كان في كل جزء منه معنى ما في جملته الأمر كي إلى قوله واعلم
أن تسليما وتركا للمنتها بأن ولا سوى بغي قولك أن التسليم والترك انتهى **صراط
الذين أنعمت عليهم** قال الكرماني كرر ذكر الصراط لأن الصراط هو المكان
المهيأ للسلوك ولم يتبع الأول ذكر السالكين فأعاده مع ذكرهم أي اهدنا
الصراط الذي سلكه من أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
كما كرر في قوله صراط المستقيم صراط الله لأنه لم يكن مع الأول ذكر المهيئ فكرره
فقال صراط الله أي الصراط الذي هيأه الله للسالكين **وقال**
صاحب الكشاف في زللت ما فائدة صراط الذين أنعمت عليهم من الصراط المستقيم
وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم **قلت** فائدته التوكيد لما فيه من التثنية
والتكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون
ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده حيث ذكره مجملا

وانا منفصلا ووقع الثاني بيانا للاول ايضا خاله وقال الحوفي فابدع البدل
انه لما ذكر حسن الطريق باستقامته وسهولة سلوكه وسرعة الوصول به
الى المقصد فان الصراط المستقيم اقرب الطرق حسن ان يذكر معه حسن
الرفقاء فان الطريق الحسن الطيب قد يترك ويختار غيره لحسن الرفقاء فبين ثانيا
ان هذا الطريق جامع لحسن في نفسه وحسن الرفقاء فيه واختير البدل على الوصف
حذرا من الطول اذ كان يقال الذي هو للذين انعمت عليهم مع ما فيه من تكرير
الموصول وقال غيره المراد بالصراط الثاني غير الاول والمراد به
العلم بالله قال السمين وتخريجه على هذا ان يكون معطوفا على حذف منه حرف
العطف قال في الكشاف واطلق الانعام ليشمل كل انعام فان من انعم عليه
بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه الحوفي الانعام نفع الغير
من دونه امر عظيم خاليا عن العوض والنعمة الراغب هو ايصال الاحسان
الى الغير ولا يقال الا اذا كان الواصل اليه من العقلاء لا يقال انعم على فرسه
وقرأ عمر صراط من انعمت وفي عليهم عشر قراآت ذكرها ابن جني في المحتسب
عليهم بكسر الهاء وضمها مع سكون الميم عليهم بكسر الهاء والميم عليهمي كذلك بالاشباع
عليهمُ بكسر الهاء وضم الميم عليهمو كذلك بالاشباع عليهم بضمها عليهمو كذلك
بالاشباع عليهم بضم الهاء وكسر الميم عليهمي كذلك بالاشباع غير المغضوب
عليهم اما صفة للذين على معنى ان المنعم عليهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي
نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال وصح وصف المعرفة بغير
وان كانت لا تتعرف بالاضافة لان ذاك في شيء له اضداد واحد اما اذا كان
في له ضد واحد ثم اضيفت غير الى ذلك الضد فانها تتعرف لا محالة نحو عليك
بالحركة غير السكون والمنعم عليهم ضدهم المغضوب عليهم فصار متعرفة وقيل
لما كان الذين انعمت عليهم لم تقصد بهم قصد اشخاص باعيانهم قرب من النكرة
وغير المغضوب وان كان نكرة قريب من المعرفة للاضافة الى المعرفة فتوافقا
واما بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال
وقيل حال من صراط الذين على معنى صراطا غير المغضوب عليهم وقيل من الضمير في
عليهم والمعنى انعمت عليهم غير مغضوب عليهم على معنى انهم حصل لهم الانعام وهم موصوفون
بانهم لا يغضب عليهم ابدا فعلى هذا يكون تتميما او احتراسا الحوفي فان قيل
ما الحكمة في انه لم يعطف بحرف ولم يقل انعمت عليهم ولم تغضب عليهم كما قال
الذين آمنوا ولم يلبسوا الذين آمنوا ثم لم يرتابوا قلنا الجواب المشهور
انه لو قال ولم تغضب عليهم كان يقول ولم يضلوا فلا يكون الا بيان متواخية
والذي نقوله انه وصفهم بكونهم منعما عليهم وعدم كونهم مغضوبا عليهم لكن الانعام

عليهم ليس امرا من جهتهم لان الانعام لا يكون انعاما الا اذا كان بغير عوض
فالانعام عليهم من جهة الله وهو فاعله وعدم الغضب عليهم امر من جهتهم
حيث لم يكفروا واتبعوا الله ويذكر الله انعمت عليهم لان صيغة الفعل يتعلق بالفاعل
اقوى وقال غير المغضوب عليهم لان هذا الامر يتعلق بالمفعول
اقوى ولو قال ولم تغضب عليهم كان فيه اسناد الغضب الى الله والله تعالى
ينسب الرحمة الى نفسه كثيرا ولا ينسب الغضب الى نفسه كثيرا الا اذا ذكر
سببه وايضا فقوله انعمت مسندا الى الله يشعر بعظم الانعام لان
العظيم اذا كان له انعام يكون عظيما ولو قال صراط المنعم عليهم لم يفد
ذلك لان الفقير الذي اعطي له يكون ذلك انعاما في حقه وقال
ابن جني لما ذكر النعمة صرح بالخطاب لموضع التقرب الى الله بذكر نعمته
واسند النعمة اليه فلما صار الى ذكر الغضب زوى عنه لفظه فلم ينسبه اليه
لفظا وانحرف الى الغيبة تفاديا عن نسبة الغضب اليه في اللفظ حال المواجهة
وانحرف الى الغيبة وقال السمين في صلة الذين فعلا ماضيا ليدل على ثبوت انعام
الله عليهم وتحقيقه لهم وبصلة ال اسما ليشمل سائر الازمان وجاء به مبنيا للمفعول
تحسينا للفظ لان من طلبت منه الهداية ونسب الانعام اليه لا يناسبه نسبة الغضب
اليه لانه مقام تلطف وترفق وطلب للاحسان فلا يحسن مواجهته بصفة الانتقام
قيل وفي هذه الجملة نوع غريب من الالتفات وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب
فاعله او تكلمه ذكره صاحب الاقصى القريب وغيره وقد سمعت ان بعضهم ذكر
في الفاتحة عدة التفات ولم اقف عليه وقد تتبعتها على اختلاف قراآتها
فوجدت فيها خمس التفاتات اولها رب العالمين اذا نصب على القطع بعد
الحمد لله ثانيها مالك اذا نصب عليه او اياك نعبد بعد الرحمن الرحيم او مالك
ثالثها نعبد بعد اياك في قراءة الحسن رابعها واياك نستعين اهدنا بعد
نعبد في قراءة الحسن خامسها غير المغضوب بعد انعمت الراغب
الغضب ثوران دم القلب ارادة الانتقام واذا وصف الله به فالمراد به
الانتقام دون غيره ولا الضالين دخلت لا لما في غير من معنى النفي او هي
بمعنى غير كما قرئ وغير الضالين الكرماني في دخولها فوائد احدها تعيين
عطف الضالين على المغضوب عليهم ولولا دخولها احتمل عطفه على الذين انعمت
وصراط الضالين لان اللفظ يحتمل ذلك وان ظن كل المعنى وان كان المعنى يأباه وفي
هذا اقتصر الكرماني الثانية دفع توهم انه وصف المغضوب عليهم لان العرب
قد تعطف النعت بالواو الثالثة افادة نفيهما مجتمعين ومفترقين قال
الامام فان قلت من انعم الله عليه امتنع ان يكون مغضوبا عليه وان يكون منه

الضالين فما الفائدة في ذكرهما **قلت** الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف فقوله صراط الذين انعمت عليهم يوجب الرجاء الكامل وما بعده يوجب الخوف الكامل **وح** يقوى الايمان بركنيه وطرفيه وينتهي الى حد الكمال **وقال** الطيبي لما كان الكفار قد شاركوا المومنين في انعام كثير بين بذلك ان المراد ليس الا نعمة واحدة **وقال** غيره النكتة في ذكرهما افادة ان المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى لان المراد بالمغضوب عليهم اليهود وبالضالين النصارى كما صح التفسير بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وابن حبان ونقل ابن ابي حاتم اجماع المفسرين عليه ووجهه **الراغب** بان كل فريق خص بصفة كانت اغلب عليه وان شارك الآخر في صفته وبذلك سقط سؤال الخويي ان كل مغضوب عليه ضال فلا حاجة الى ذكر الضالين وسقط سؤاله ان الضال المغضوب عليه اسوء حالا من الضال والقاعدة تأخير الابلغ لان اليهود اسبق واقدم زمانا ولهذا اعقبت الفاتحة بسورة البقرة وجميع ما فيها من خطاب اهل الكتاب لليهود خاصة ثم بسورة آل عمران واكثر ما فيها من خطابهم للنصارى وختمت بقوله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله في النجاشي واصحابه من مؤمني النصارى وهذا من وجوه مناسبة ترتيب السورتين كانه لما ذكر في الفاتحة الفريقين قص في كل سورة مما بعدها حال فريق على الترتيب الواقع فيها **الراغب** الضلال العدول عن الطريق المستقيم وتضاده الهداية وقال الخويي هو فقد المطلوب بعد حصوله **قلت** وفي هذه الآية مع ما قبلها طباق فان الاول بين اهدنا والضالين والثاني بين انعمت والمغضوب واذا تأملت ما اوردنا في هذه السورة على وجازتها من الاسرار اللطيفة والنكت البديعة علمت مناسبة الافتتاح بها وكونها ام القرآن وافضله واعظم سورة هذا مع انه على كثرته بالنسبة الى ما اشتملت عليه مما لا يدركه افهامنا كنقطة من بحر وقد ورد عن علي رضي الله عنه انه قال لو شئت ان اوقر سبعين بعيرا من تفسير ام القرآن لفعلت

سورة البقرة قد اشرت آنفا الى وجه مناسبة تعقيب الفاتحة بهذه السورة ثم بآل عمران وبعضها ظهر لي وقال بعض الائمة تضمنت سورة الفاتحة الاقرار بالربوبية والالتجاء اليه في دين الاسلام والصيانة عن دين اليهود والنصارى وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين وآل عمران مكملة لمقصودها فالبقرة بمنزلة اقامة الدليل على الحكم وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ولهذا ورد فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى واوجب الحج في آل عمران واما في البقرة فذكر انه مشروع وامر باتمامه بعد الشروع فيه وكان خطاب النصارى في

آل عمران

آل عمران اكثر كما ان خطاب اليهود في البقرة اكثر لان التوراة اصل والانجيل فرع لها والنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى في آخر الامر كما كان دعاؤه لاهل الشرك قبل اهل الكتاب ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الانبياء خوطب به جميع الناس والسور المدنية فيها خطاب من اقر بالانبياء من اهل الكتاب والمومنين فخوطبوا يا اهل الكتاب يا بني اسرائيل يا ايها الذين آمنوا **واما** سورة النساء فتضمنت احكام الاسباب التي بين الناس وهي نوعان مخلوقة لله ومقدورة لهم كالنسب والصهر ولهذا افتتحت بقوله **اتقوا** ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ثم قال واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما اكثر السورة في احكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالارحام وان ابتداء هذا الامر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ثم بث منهما رجالا ونساء في غاية الكثرة **واما** المائدة فسورة العقود وتضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل وما اخذ على الامة وبها تم الدين فهي سورة التكميل لان فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الاحرام وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدين والاموال واحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالوضوء والتيمم والحكم بالقرآن على كل ذي دين ولهذا اكثر فيها من لفظ الاكمال والاتمام وذكر فيها ان من ارتد عوض الله بخير منه ولا يزال هذا الدين كاملا ولهذا ورد انها آخر ما نزل لما فيها من اشارات الختم والتمام **وهذا** الترتيب بين هذه السور الاربع المدنيات من احسن الترتيب **وقال** بعضهم افتتحت البقرة بقوله الم ذلك الكتاب فانه اشارة الى الصراط في قوله اهدنا الصراط المستقيم كانهم لما سألوا الهداية الى الصراط قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية اليه هو الكتاب كما اخرج ابن جرير وغيره من حديث علي مرفوعا الصراط المستقيم كتاب الله واخرجه في المستدرك عن ابن مسعود موقوفا وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة **وقال** الخويي اوائل هذه السورة مناسبة لاواخر سورة الفاتحة لان الله تعالى لما ذكر ان الحامدين طلبوا الهدى قال قد اعطيتكم ما طلبتم هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه وقد اهتديتم الى الصراط المطلوب المسؤول ثم انه ذكر

في اوائل هذه السورة الطوائف الثلاثة الذين ذكرهم في الفاتحة فذكر الذين
على هدى من ربهم وهم المنعم عليهم والذين اشتروا الضلالة بالهدى وهم الضالون
والذين باؤا بغضب وهو المغضوب عليهم وامّا تسميتها سورة البقرة فلان فيها
من قصة البقرة العجيب شأنها وعادة العرب تسمية الجملة من الكلام والقصيدة
الطويلة بما هو اشهر فيها او اشد ندرة او استغرابا ونحو ذلك وورد في
ان تسميتها فسطاط القرآن لعظمها ولما جمع فيها من الاحكام والامثال والمواعظ
التي لم تجمع في غيرها وفي الحديث ان سنام القرآن وسنام كل شيء اعلاه وقد
صح في فضلها احاديث كثيرة ذكرتها في ترجمان القرآن وفي حمائل الزهر
وقال ابن العربي سمعت بعض اشياخي يقول في هذه السورة الف امر والف
نهي والف حكم والف خبر وقال غيره فيها خمسمائة حكم وخمسة عشر مثلا
واشتملت على آيات الرحمة والرجاء والعذاب فيها الى الثمانية وستين وفيها
آية الكرسي سيدة آي القرآن وآية الدين اطول آية في القرآن وآخر آية نزلت
واتقوا يوما الآية وخواتيمها اعطيها ليلة الاسراء من كنز تحت العرش وفيها
الاسم الاعظم وفيها مكي ومدني حضري وسفري وليلي ونهاري وارضي وسمائي
وما نزل مشيعا وما نزل مفردا وفيها ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه الى
غير ذلك الم افتتح سبحانه بالحروف المقطعة تسعا وعشرين سورة وفيها
اقوال كثيرة استوعبتها في الاتقان واصحها سبعة اقوال ارجحها انها من المتشابه
الذي لا يعلم تأويله الا الله اخرج ابن المنذر عن الشعبي قال ان لكل كتاب
سرا وان سر هذا القرآن فواتح السور والسر في ذلك ان الحكيم اذا صنف كتابا
اجمل فيه احيانا ليكون موضع خضوع المتعلم لاستاده وكالملك يتخذ علامة يمتاز بها
من يطلعه على سره ولئلا يسترسل العالم في ابتهاج العلم الى التمرد فبذلك يستأنس
الى التذلل لعز العبودية والمتشابه هو موضع خضوع العقل لبارئه استسلاما
واعترافا بقصوره وقيل هي اشارة الى اسماء من اسمائه تعالى كل حرف من اسم من
باب الاكتفاء وهو من انواع كلام العرب وفنون بلاغتهم وقيل هي فواتح للسور
كما يقولون في اول القصائد بل ولا بل وقيل هي تنبيهات كما في ألا واما التي يستفتح
بها العرب كلامهم للتنبيه قال الخويي انما عدل عن الالفاظ المشهورة
في التنبيه لان القرآن كلام لا يشبه الكلام فناسب ان يؤتى فيه بالفاظ تنبيه
لم تعهد ليكون ابلغ في قرع سمعه وقيل ان العرب كانوا اذا سمعوا
القرآن لغوا فيه فانزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ويكون تعجبهم
منه سببا لاستماعهم واستماعهم له سببا لاستماع ما بعده فترق القلوب
وتلين الافئدة وقيل هي اشارة الى ان القرآن مؤلف من الحروف التي هي ا ب ت

ث فجاء بعضها مقطعا وجاء تمامها مؤلفا ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم
انه بالحروف التي يعرفونها فيكون ذلك تقريعا لهم ودلالة على عجزهم ان يأتوا
بمثله بعد ان علموا انه منزل بالحروف التي يعرفونها ويبنون كلامهم منها وقيل
المقصود بها الاعلام بالحروف التي يتركب منها الكلام فذكر منها اربعة عشر
حرفا وهي نصف جميع الحروف في تسع وعشرين سورة على عدد الحروف
وذكر من كل جنس نصفه فمن حروف الحلق الحاء والعين والهاء ومن الفوقانية
الكاف والقاف ومن الحرفين الشفهيين الميم ومن المهموسة السين والحاء
والكاف والصاد والهاء ومن الشديدة الهمزة والطاء والقاف والكاف
ومن المطبقة الطاء والصاد ومن المجهورة الهمزة واللام والميم والعين
والراء والطاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية القاف
والصاد والطاء ومن المنخفضة الهمزة واللام والميم والراء والكاف والهاء
والياء والعين والحاء والنون ومن القلقلة القاف والطاء ثم اذا استقريت
الكلام وجدت هذه الحروف هي اكثر دورانا مما بقي ودليله ان الالف واللام
لما كانت اكثر تداورا جاءت في معظم هذه الفواتح مكررة ثم انه تعالى ذكر حروفا
مفردة وحرفين حرفين وثلاثة ثلاثة واربعة وخمسة لان تراكيب الكلام
على هذا النمط ولا زيادة على الخمسة كذا ذكره صاحب الكشاف وقال
الزملكاني الم اشارة الى الحروف المعجمة التي منها الم فكانوا على هذا الم انشا
حروف المعجم اجمع كما استدل ببعض الشيء على كله نحو قرأت تفاسيك وانما
خص الم بالتسمية لان الهمزة من الرئة فهي اعمق الحروف واللام مخرجها
من طرف اللسان ملصقة بصدر الغار الاعلى من الفم فصوتها يملأ ما
وراءها من هواء الفم والميم منطبقة لان مخرجها من بين الشفتين اذا انطبقتا
وكذلك سائر الحروف التي هي من فواتح السور لها شأن ليس لغيرها ثم لما انزل القرآن
عربيا اخبر ان ذلك الكتاب الموعود به نزله ولذلك قل ما تلي القرآن كالفرقان
والذكر والهدى الم يذكر بعدها الا ما يتعلق بالقرآن كقوله الم ذلك الكتاب
الم تنزيل عليك الكتاب المص كتاب انزل اليك الر تلك آيات الكتاب طه ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى طسم تلك آيات الكتاب يس والقرآن الحكيم ص والقرآن ق
والقرآن حم تنزيل الكتاب الا ثلاث سور ليس فيها ما يتعلق به العنكبوت
والروم ن وحكمة ذلك

ومن المنخفضة الهمزة والميم والراء
والكاف والهاء والعين والسين
والطاء والقاف والياء والنون
صح

كثرتها
صح

وقيل هي سماء السور ولهذا ناسب كل سورة ما بدئت به حتى لم يكن لترد الم في موضع
الر ولا حم في موضع طس وذلك ان كل سورة بدئت بحرف منها فان اكثر كلماتها وحروفها
مماثل له فحق لكل سورة ان لا يناسبها غير الوارد فيها فلو وضع ق موضع ن لم يكن
لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى فالم جمعت المخارج الثلاثة
الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها وذلك اشارة الى البداية التي هي بدء الخلق والنهاية
التي هي المعاد والوسط الذي هو المعاش من التشريع بالاوامر والنواهي وكل سورة افتتحت
بها فهي مشتملة على الامور الثلاثة وزيد عليها صاد في الاعراف لما فيها من شرح القصص
قصة آدم فمن بعده من الانبياء ولما فيها من قوله فلا يكن في صدرك حرج ولهذا
قال بعضهم معنى المص الم نشرح لك صدرك وزيد في الرعد راء لاجل قوله رفع
السموات ولاجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع
فيها الر مائتا كلمة او اكثر فلهذا افتتحت بالر واشتملت سورة ص على خصومات
متعددة فاولها خصومة النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار وقولهم اجعل الآلهة
الها واحدا ثم اختصام الخصمين عند داود ثم تخاصم اهل النار ثم اختصام الملأ
الاعلى ثم تخاصم ابليس في شان آدم ثم في شان بنيه واغوائهم
وسورة ق بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف منها نحو ستين قافا
وقال صاحب المناجاة الانسب ان يقال ان الكل فاتحة في سورة سبا وفاطر
مرتبا في الاخرى فيقال الم في البقرة قسم بالكتاب لقوله بعده ذلك الكتاب
وفي آل عمران قسم بالله لقوله بعده الله لا اله الا هو وفي الاعراف قسم بالنبي
صلى الله عليه وسلم لقوله بعده كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج خطابا
له عليه السلام ولا يخفى على اللبيب حسن الجمع مما يتعلق بهذه السور الثلاث
من القسم بالمنزل والمنزل والمنزل اليه وفي الرعد قسم باعظم آثاره ومخلوقاته
لقوله بعده الله الذي رفع السموات وفي العنكبوت باكرم انواع المخلوقات
وهو نوع البشر لقوله بعده احسب الناس الآية وفي الروم بالاكرم من النوع الاكرم
وهم الانبياء عليهم السلام وفي لقمان بالوسائط من النوع الاكرم وهم طائفة الاولياء
وفي تنزيل بالصنع البديع والاتقان العجيب في خلق السموات والارض وما بينهما
من المخلوقات في ستة ايام تعالى ولك ان تراعي هذه المناسبة في السور المكررة
فيها الحمد في الفاتحة باعتبار الربوبية للعالمين وفي الانعام باعتبار خلقه
السموات والارض وجعل آيتي الليل والنهار والمشار اليها بقوله وجعل الظلمات
والنور والكفر والاسلام وفي الكهف باعتبار انزال الكتاب وفي سبا باعتبار
ملك لما في السموات والارض وفي فاطر باعتبار تخصيصه صنف الملائكة
بخواص تشعر باجتبائه لهذا النوع من المخلوقات وتعريفهم في نقل الثواب قال

تبين

فهذه قاعدة عزيزة اعطيناكها لتتصرف بها في جميع ما تكرر في القرآن
على هذا الوجه انتهى ذلك الكتاب اوقع ذلك المشار به للبعيد موقع
هذا المشار به للقريب والقرآن حاضر تنزيلا له منزلة البعيد لعلو رتبته
قال الراغب في مفرداته يقال بازاء هذا في المستبعد بالشخص او بالمنزلة لَهُ
ذاك وذلك وقال غيره الاشارة اذا كانت الى غير عين جاز فيها ذلك
وهذا كقوله هذا ما توعدون ذلك ما كنت منه تحيد لا ريب فيه نفي
الريب على سبيل الاستغراق مع وجوده من المرتابين تنزيلا له منزلة عدمه لقيام
الدليل القاطع على نفيه فعول عليه ذكره جماعة من اهل البيان وفي الكشاف
فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت
ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من
وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه وقيل
هو نفي بمعنى النهي والريب اخص من الشك لانه شك مع تهمة قال

ليس في الحق يا امامة ريب ۞ انما الريب ما يقول الكذوب

ذكره جماعة وقال الخويي الشك ما استوى فيه الاعتقادان ولم يستويا
ولكن لم يبلغ احدهما درجة الظهور الذي يبنى عليه العاقل الامور المعتبرة
والريب ما لم يبلغ درجة اليقين وان ظهر نوع ظهور ولهذا حسن لا ريب فيه
هنا فانه بيان لكون الامر ظاهرا لغاية درجة اليقين بحيث لا يحصل فيه ريب
فضلا عن شك وقال غيره لا ريب فيه اخص من لا شك لتقليله بالادغام ولهذا
كثر ذكر الريب فيه واخر الظرف لان تقديمه يوهم اختصاصه بذلك ووجود
الريب فيما عداه من الكتب المنزلة مع تنزهها منه كما ان تقديمه في لا فيها غول
افاد ثبوته في خمر الدنيا قال اهل البيان وهذه الجملة منزلة مع الجملة
قبلها منزلة التاكيد المعنوي من متبوعه في افادة التقرير مع الاختلاف
في معنى الجملتين فانه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى
في الكمال حيث جعل المبتدا ذلك الدال على كمال العناية بتمييزه والتوسل ببعده
الى التعظيم وعلو الدرجة وتعريف الخبر باللام الدالة على الانحصار لمعنى ذلك
الكتاب انه الكتاب الكامل الذي يستحق ان يسمى كتابا حتى كان ما عداه من
الكتب في مقابلته ناقص ليس بكتاب جاز ان يتوهم السامع قبل التامل انه في
ذلك مجازف فاتبع بقوله لا ريب فيه دفعا لهذا التوهم فهو وزان نفسه في
قوله جاء زيد نفسه قالوا وقوله هدى للمتقين منزل منها منزلة التاكيد
اللفظي في اتحاد المعنى فان معناه انه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى
في نفسه هدى من الابهام والتحجيم واما ثانيا به دون هادي كانه هداية محضة

ومعنى ذلك الكتاب لان معناه الكتاب الكامل اي في الهداية او هي المقصود من الانزال فهو وزان زيد الثاني في جاء زيد زيد والهدى مصدر قالوا ولم يجي من المصادر على وزنه الا السرى والبكى والتقى وفي مفردات الراغب الهدى والهداية في موضوع اللغة واحد لكن قد خص الله تعالى لفظ الهدى قال والاهتدا يختص بما يتحراه الانسان على طريق الاختيار اما في الامور الدنيوية او الاخروية وخص الهدى بالمتقين لانتفاعهم به كقوله انما انت منذر من يخشاها وكان منذرا له ولغيره وفيه اطلاق الوصف باعتبار ما يؤول اليه واصل الكلام هدى للضالين الصائرين الى التقوى بعد الضلال فاختصر الكلام ايجازا وتصدرا للسورة التي هي اول القرآن بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده وعن ابن الانباري ان التقدير هدى للمتقين وغيرهم فحذف اكتفا كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد وانما قال في اية رمضان انزل فيه القرآن هدى للناس لان المقصود بيان شرف الشهر وكونه زمان نزول اشرف الاشيا وهو القرآن فاعتبر نفعه العام الذي بالصلاحية فان ذلك ادخل في بيان شرفه ولذلك قال بعده وبينات من الهدى والفرقان **الراغب** حقيقة التقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف ثم يسمى الخوف تارة تقوى وتارة خوفا بحسب تسمية المقتضي بمقتضيه والمقتضى بمقتضاه وصار التقوى في عرف الشرع حفظ النفس عما يوثم وذلك بترك المحظور ويتم ذلك بترك بعض المباحات **قال** ابن جماعة في **تكت** هدى للمتقين وفي لقمان للمحسنين وفي اعراب هذه الجمل احتمالات **قال** الزمخشري وغيره والاولى بالبلاغة الاعراض عن ذلك واعراب كل جملة مستقلة برأسها فالم جملة وذلك الكتاب ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وانما ترك العاطف لشدة الوصل لان كل جملة متعلقة بما قبلها آخذة بعنقها تعلقا لا يجوز معه الفصل بالعطف فتناسقت على احسن نظام لانه نبه اولا على الكلام المتحدي به ثم ثنى بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال وكان تقريرا لجهة التحدي وشدا لاعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فتقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل واحدة من الجمل الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وفي الرابعة حذف المبتدأ ووضع المصدر موضع الصفة وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين انتهى **الذين يؤمنون بالغيب** الآية قال الاصبهاني هذه الجملة كاشفة لمعنى المتقين لاشتمالها على فعل الحسنات وترك

لانه لما ذكرهنا مجموع الايمان قال المتقين ولما ذكر في اول لقمان الرحمة قال المحسنين

الذين

السيآت اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات واصلها وذكر الصلاة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهو العيار الذي يقاس به غيره عليه فان من كانت فيه هاتان العبادتان كان ذلك دليلا على انه يقيم سائر العبادات ولذلك سمى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذكرهما هو كالعنوان لها والزكاة اذا وجدت لم تتوقف اخواتها ان تقترن بها مع ما في ذلك من الافصاح عن فضائل العبادتين واما الترك فكذلك منطوي تحت ذكر الصلاة الا ترى الى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر انتهى وقد تقدم ترتيبها على اللائق من تقديم الاشرف فالاشرف **الامام** انما قدم التقوى الذي هو الترك على الفعل الذي هو الايمان والصلاة والزكاة لما علم تقديم التخلية على التحلية **قال** الراغب والايمان التصديق الذي معه امن **فاما** قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت فهو على سبيل الذم لهم بانهم قد حصل لهم الامن بما لا يقع به الامن **قال** غيره وانما عدي بالبا لتضمنه معنى الاقرار والاعتراف وانما عبر بيؤمنون دون يصدقون لما فيه من زيادة معنى الامن ولتضمن معنى الاقرار والاعتراف ولانه اخص **والغيب** مصدر موضوع موضع الفاعل اي بما غاب عنهم مما لم يروه وذلك الله والجنة والنار ونحوها لانها اخص من لفظ الغائب واقتصر عليه لانه امدح وقد قيل ان فيه الكفاية والشهادة على حد سرابيل تقيكم الحر او على بابه اي يؤمنون بالله حال كونهم بالغيب اي غائبين عنه كقوله يخشون ربهم بالغيب واقامة الصلاة اداؤها والمحافظة عليها باركانها وسننها **قال** ولم يأمر الله بالصلاة حيثما امر ولا مدح بها حيث مدح الا بلفظ الاقامة تنبيها ان اقامتها توفية شرائطها لا الاتيان بهيئاتها الا في قوله فان تابوا واقاموا الصلاة فقد قيل عنى به الاقرار بوجوبها لا اداءها انتهى **و** ذكر الخوئي نحوه وزاد ولهذا لم تذكر في حق المنافقين لفظ الاقامة بل قال واذا قاموا الى الصلاة ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى وقال في حق السكران لا تقربوا الصلاة ولم يقل لا تقيموها وقال في اية الوضوء اذا قمتم الى الصلاة لانه شرط لكل صلاة لا للصلاة التي يؤديها على احسن حال ولو قيل اذا اقمتم كان ولجعل في الصلاة المؤداة بالخشوع والخضوع ونحوها في الصلاة كيف كانت **الامام** اختلف في تفسير اقامة الصلاة فقيل تعديل اركانها من اقامة العود اذا عدله وقيل المواظبة عليها من قامت السوق وقيل التشمير

لما أنها من قامت الحرب على ساق وقيل إذا أدوها تعبيرا عن ذلك بالقيام لأنه بعضها
كما عبر عنها بالركوع والسجود لذلك قال الطيبي فعلى الأول يكون في قوله يقيمون
الصلاة استعارة تبعية وعلى الثاني كناية تلويحية وعلى الآخرين مجاز في
الإسناد وإدخال من التبعيضية في مما رزقناهم صيانة عن الإسراف والتبذير
وعبر بالإنفاق دون الصدقة ليعمها وكل إنفاق في سبيل الخير وقدم المتعلق
للفاصلة وقال الأصبهاني دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض
المال بالتصدق وقال هو بيان لأمر الإنفاق فإن الإنفاق إذا كان مما آتاهم
الله لا يصعب لا في الحال ولا في المآل أما في الحال فلأن ذلك ليس شيئا أوجده هو ولا
بصنعه ولا حصله بجهده بل الله أعطاه من فضله وأما في المآل فلأن من رزق
وهو كريم غني لا يقطع الرزق فيسهل أمر الإنفاق قال والرزق إعطاء
المال ويرزق ما ينتفع به والإنفاق إخراج المال في وجه المصلحة فإن لم يكن
في وجه المصلحة فتبذير وتضييع والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما
أنزل من قبلك قال الأصبهاني يحتمل أن يكونوا هم الأولون وإنما وسط العاطف
كما توسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد على معنى أنهم الجامعون
بين تلك الصفات وهذه على هذا الإثبات في جميع المؤمنين سواء كانوا
من العرب أو من أهل الكتاب ويحتمل اختصاص الثانية بمؤمني أهل الكتاب
لأنه لما كانت السورة مدنية وقد شرف الله المسلمين بقوله هدى للمتقين الذين
يؤمنون بالغيب ذكر بعد ذلك أهل الكتاب الذين آمنوا بالرسل كعبد الله بن سلام
ونظرائه فإن في هذا التخصيص مزيد تشريف لهم واستدعاء ترغيب
لأمثالهم في الدين وقوله بما أنزل إليك أي القرآن كله وعبر عنه بلفظ
الماضي وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا
للمنتظر النزول منزلة النازل وقال الخويي الأول إيمان بالأمور
النظرية والثاني بالأمور السمعية قال وإنما قال هناك ومما رزقناهم دون
ومما رزقوا ولم يقل هنا بما أنزلنا إليك بل أنزل بالبناء للمفعول لأن بعض الكفار
كان يتوهم أن الرزق من غير الله كالكواكب وكما في الرجل تعالى مما رزقناهم
دفعا لذلك قال واستعمال قبل مع من حسن فيما تنفي الاستمرار وفائدته
هنا أن ما أنزل إليهم سيتم ليبطل بإنزاله منزول ما أنزل إلى النبي صلى الله عليه
وسلم وإنما انتهى حكمه بتلاوته وبالآخرة أي بالدار الآخرة أو بالحياة الآخرة
إلا أنه تعالى حيث صرح بموصوف الآخرة ذكر الدار دون الحياة وحيث صرح بـ
موصوف الدنيا ذكر الحياة دون الدار وذلك لأن الدار للإقامة وهي تبقى عن
الملك والقرار وأما الحياة في النفس فعرض فيام لا يقال لدار الآخرة لنعيم أنها

للاقامة

للاقامة ولم يقل دار الدنيا لأنها ليست للإقامة وقال الحياة الدنيا لأنها عرض
ذكره الخويي هم يوقنون قال صاحب الكشاف في تقديم بالآخرة وبناء يوقنون
على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف
حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل
إليك وما أنزل من قبلك قال الإمام اليقين العلم بالشيء بعد أن كان صاحبه شاكا
فيه فلذلك لا يقال تيقنت وجود نفسي وأن السماء فوقي ويقال ذلك في العلم
الحادث بالأمور ضروريا أو استدلاليا انتهى فلذلك عبر به هنا لأن الآية
إن كانت في غير أهل الكتاب فواضح أنهم كانوا في شك من أمر الآخرة أو فيهم
فقد كانوا فيها على غير علم حيث قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة إلى
غير ذلك من اعتقاداتهم الفاسدة فيها وقد زال كلها بإيمانهم وحصل اليقين
الراغب اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها
يقال علم يقين ولا يقال معرفة يقين وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم
قال الأصبهاني وهذه الجملة من عطف الخاص على العام لأن الغيب
يعم الآخرة وغيرها قال الكرماني في هذه زيادة وصف لم يدخل تحت
الإيمان لأن المقلد مؤمن غير موقن واليقين علم يحصل بالدليل وقال الخويي
فإن قيل الإيمان بالله وبالرسول ليس دون الإيمان بالآخرة فكيف قدم المعمول
هنا للتقديم المؤذن بالاهتمام بخلاف ذلك فالجواب أن الخوف من
الكفر بالآخرة أشد وأكثر فوجب الاهتمام به لأن دلائل الوحدانية لا عقلية
ودلائل النبوة بالإعجاز وأمر الآخرة إنما يتيقن بإخبار الله ورسوله لا بدليل
نظري فأكد أمرها بالتقديم وبالضمير الطيبي ووزان قوله تعالى هدى
للمتقين إلى ينفقون وزان قوله الحمد لله رب العالمين إلى مالك يوم الدين
ووزان قوله إياك نعبد وإياك نستعين وزان أولئك على هدى من
ربهم وأولئك هم المفلحون قال وهاهنا سر دقيق وأنه تعالى حكى
في أول الفاتحة مدح العبد لباريه بسبب إحسانه إليه وترقي فيه ثم مدح في
أول البقرة عبده بسبب هدايته له وترقي فيه على الأسلوب والحد أولئك على
هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون قيل الاستئناف البياني كأنه قيل
ما للمتصفين بهذه الصفات اختصوا بذلك فأجيب بأن الإشارة إيذانا بأن المذكورين
قبله أهل لاكتساب ما يرد بعده من أجل الخصائص التي عددت لهم وفي
على إلى الاستعلاء تمثيل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به
شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل فهو استعارة
تمثيلية تبعية وإنما نكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كما يقال لو أبصرت

زيدا لا عمرا رجلا قال الكرماني وانما اعيد ذكر الهدى وقد تقدم لبيان ان الهدى المذكور من الله لا من غيره كما زعم بعضهم ان الهدى من عند انفسهم وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فجعل كل واحد من الاثرتين اي الاختصاصين في تميزهم بها من غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كانت مميزة على انفرادها واعيد العاطف لاختلاف الخبرين بخلافه في اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد لان التشبيه من حيث المعنى وهو الغفلة لا من حيث الغفلة والصورة فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى متصلة بها كمال الاتصال فهي من العطف بمعزل وهم ضمير فصل وفائدته التاكيد والاختصاص والتعريض باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح ولذلك عرف الخبر باللام وهو يفيد الحصر والاختصاص ايضا والفلاح الفوز بالبغية والظفر بالمطلوب قال بعضهم ليس في كلام العرب كلمة اجمع للخير من لفظ الفلاح الراغب الفلاح الظفر وادراك البغية وذلك ضربان دنيوي واخروي فالدنيوي الظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا وهي البقاء والغنا والعز والاخروي اربعة اشيا بقا بلا فنا وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل ولذلك ورد لا عيش الا عيش الاخرة الحولي ومن افلح نجا من امر عظيم ونال خيرا كثيرا ودرا ادرفيه ان الذين كفروا وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى لما قدم ذكر اوليائه وعباده المخلصين بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى لهم خاصة وانهم هم الفائزون بالفلاح عقبه بذكر اضدادهم وهم الكفرة الذين لا ينفع فيهم الهدى وسواء عليهم انذار الرسول وعدمه وقطعت قصتهم من قصة المؤمنين ولم تعطف عليها كقوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين القصتين في الغرض والاسلوب فان الاولى مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين والثانية مسوقة لبيان ان الكفار صفتهم كيت وكيت والاصل في الجملة التي تدخل ان عليها ان تقع جوابا لسؤال محقق او مقدر وتحقيق ذلك انها للتاكيد فانما يحتاج لها اذا كان الخبر للمخاطب ظن بخلافه الجزئي ودخول ان هنا في غاية الحسن لامرين معنوي ولفظي اما المعنوي وهو انه قد ظهر دليل عدم انتفاعهم بالانذار لان الكتاب العزيز المعجز المتحدي الهادي نزل عليهم ولكنهم لم يؤمنوا فلا يؤمنون بغيره فوقع التاكيد بان لقطع الطمع في ايمانهم واللفظي وهو ان لا يتوهم العطف على الذين يؤمنون لو قال والذين كفروا واتلوه في بيان المستغنين فقوله الذين كفروا لا يصلح له لا لفظا ولا معنى وموافقة اللفظ للمعنى فصاحة

قال

قال وانما قال كفروا بلفظ الماضي ويؤمنون بلفظ الحال والمستقبل للمغايرة بين لفظي الفعلين ولئلا يتوهم لو قيل آمنوا انصرافه لمن آمن قبل البعثة من غير امة محمد صلى الله عليه وسلم او لمن آمن قبل نزول هذه الآية دون من تاخر مع ان البشارة خاصة بمن آمن بعد البعثة وعامة لمن آمن قبل نزول الآية وبعدها الى يوم القيامة واما كفروا فالمعنى فيه ظاهر الا ان المراد من تقدم كفره على نزول الآية وبعدها الى يوم القيامة ممن علم الله انه لا يؤمن الراغب استعمال الكفر في الدين اكثر والكفران في جحود النعمة اكثر والكفور فيهما جميعا سواء مبتدأ وجملة ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبره ولا يجوز عكسه لان الجملة لا تقع مبتدأ فقط ولان الاستفهام لا يتقدم عليه خبره كذا قال الاصبهاني ورجح الامام عكسه لان هذه الجملة في تاويل المصدر المفرد والمراد وصف الانذار وعدم الانذار بالاستواء وما كان وصفا فهو الخبر والتي عليها فالجملة خبر ان وقيل سواء وحده خبرها وما بعده مرتفع على الفاعلية وجزم به البيضاوي والكرماني ولما وقع سواء خبر ان امتنع العطف وقيل في يس وسواء انها جملة مستقلة عطفت على ما قبلها قال صاحب المناجاة ويمكن ان يقال انه تعالى لما وصف الكفار هنا باخص ما وصفهم به في سورة يس فانه ذكر في شانهم آيتين واعطف احداهما على الاخرى وكانت هذه التسوية سدا اوصافهم لم تكن محلا للواو وحيث وصفهم في يس باوصاف كثيرة متقدمة وجعل هذه التسوية آخر اوصافهم المعطوفة بعضها على بعض كانت محلا للواو والاتمام الاصبهاني فان قيل اطلاق انذرتهم ام لم تنذرهم وارادة انذارك لهم وعدمه مجاز والعدول عن الحقيقة اليه يستدعي فائدة زائدة فما هي قلنا قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم معناه سواء عليهم انذارك لهم وعدم انذارك لهم بعد ذلك لان القوم كانوا قد بلغوا في الاصرار ضلالهم واللجاج والاعراض عن الآيات والدلائل الى غاية لا يرجى لهم القبول بوجه وقبل ذلك ما كانوا كذلك فلو قال سواء عليهم انذارك وعدم انذارك لما افاد ان هذا المعنى انما حصل في هذا الوقت دون ما قبله ولما قال انذرتهم ام لم تنذرهم افاد ان هذه الحالة انما حصلت في هذا الوقت فكان ذلك يفيد حصول الياس وقطع الرجاء منهم الذي هو مقصود الآية وعبر البيضاوي عن ذلك بان العدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والهمزة وام منسلخ عنهما معنى الاستفهام قال سيبويه جرى هذا على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة على صورة النداء ولا نداء الراغب الانذار اخبار فيه تخويف كما ان التبشير اخبار فيه سرور زاد غيره ولا يكون الا في زمن يسع الاحتراز فان لم يسع فاشعار لا انذار قال البيضاوي والاقتصار عليه

لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب
النفع فاذا لم ينفع فيهم الانذار لم تنفع فيهم البشارة من باب اولى لا يؤمنون
جملة مؤكدة للجملة قبلها او مفسرة لاجمال فيما قبله الاستواء او خبر لان وما قبلها
اعتراض لتقوية الخبر وقيل هي دعاء ختم الله على قلوبهم بيان لسبب تركهم الايمان
به وفي الختم استعارة شبه حكمه عليها بالكفر والشقاوة فلا تعي الخير ولا تقبله
بضرب الخاتم على الشيء كتماله وتغطية لئلا يتوصل اليه وخص به القلوب
لانها محل العقل والعلم والفهم وعلى سمعهم افرده بخلاف القلوب والابصار
لانه مصدر والمصادر اصلها ان لا تجمع وقيل لتوسطه بين جمعين وقيل لو جمع
سامع لانه حصل للاذن عضوا اسماعا وتوحي اسماعهم بالجمع وقدمه لانه اشرف
من البصر اذ له مدخل عظيم في استكمال العقول بوصول المعارف اليه والبصر
لا مدخل له في غير المبصرات ولان السمع متصرف في الجهات الست وتنقص ببطلانه
ببطلان النطق بخلافه كما قدم القلوب لانها اشرف اعضاء الانسان ثم في الكشاف
يحتمل ان يكون السمع داخلا في حكم الختم والتعويل على الثاني
يدل على ذلك قوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولما
كانت القلوب والاسماع محوفة كان اسناد الختم اليها اولى والابصار
لما كانت بارزة ادراكها متعلق بظاهرها كانت الغشاوة لها اليق وفائدة تكرير
الجار في قوله وعلى سمعهم ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين فانه لو لم
يكرر لكان انتظاما والقلوب للسمع في تعدية واحد وعلى ابصارهم
غشاوة التنكير فيه للنوعية اي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس
بحيث غطى ما لا يغطيه شيء من الغشاوات وقرئ بنصبه على تقدير وجعل او على
حذف الجار وايصال الختم اليه بنفسه اي وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ
غشاوة بضم اوله وفتحه وغشوة بكسر اوله وفتحه وعشاوة بعين مهملة
من عشي يعشو ولهم عذاب الراغب العذاب هو الايجاع الشديد واصل
التعذيب اكثار الضرب بعذبة السوط وقيل حمل الانسان على الجوع والسهر وتنكيره
هنا للتعظيم اي نوع لا يعلم كنهه الا الله تعالى انحاؤه وهو العذاب الايصال
الالم الى الحي مع الهوان فايلام الاطفال والبهائم ليس بعذاب عظيم الامام
الفرق بين العظيم والكبير ان الاول نقيض الحقير والثاني نقيض الصغير
فالعظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والمعاني
جميعا وقال الراغب عظم الشيء كبر عظمه ثم استعير لكل كبير فاجري مجراه
محسوسا كان او معقولا عينا كان او معنى واذا استعمل العظيم في الاعيان
فاصله ان يقال في الاجزاء المتصلة والكبير يقال في المنفصلة وقد يقال

فيها

فيها عظيم ومن الناس افتتح سبحانه بذكر المؤمنين وثنى بذكر الكافرين ثم ثلث بذكر
المنافقين وصفاتهم اخرج الفريابي عن مجاهد قال من اول البقرة اربع ايات
في نعت المؤمنين وآيتان في نعت الكافرين وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين قال
الاصبهاني وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما
تعطف الجملة على الجملة من يقول راعى في ضمير من لفظها وفيما بعد راعى
معناها آمنا بالله وباليوم الآخر خص الامرين بالذكر تنبيها على افراطهم في
الخبث لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله واليوم الآخر ليس بايمان
لقولهم عزير ابن الله ولن تمسنا النار الا اياما معدودة فهو اعتقاد على
خلاف صفته فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه تمويها على وجه النفاق والخديعة
كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وفي تكرير الباء انهم ادعوا الكل واحدا من الايمان بين
على صفة الصحة والاستحكام كما تقدم وعلى سبيل الكرماني ليس في القرآن
غيره في تكرار العامل مع العاطف في الاثبات ولا يكون الا للتاكيد وهم اكدوا كلامهم
نفيا للريبة وابعادا للتهمة فكانوا في ذلك كما قيل يكاد المريب ان يقول
خذوني فنفى الله الايمان عنهم باوكد الالفاظ فقال وما هم بمؤمنين وكثر
ذلك في النفي نحو لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قال صاحب المناجاة ولكن
ان يقال لما كان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر ايمانا في الظاهر نفيا في
الباطن وايمانا بالحق وقصدا للباطل وكان في الحقيقة اثباتا في صورة النفي
اعطي حكمه وعومل معاملته من تكرار العامل مع حرف العطف وما هم بمؤمنين
في الكشاف فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم م
الآخر والاول في ذكر شان الفعل اي احدثنا الايمان لا الكفر ليس لذكر شان
الفاعل والثاني لكن مؤمنون اي لا غيرنا والثاني في ذكر شان الفاعل اي ما
هم بمؤمنين بل غيرهم لا لذكر شان الفعل والا لقال وما آمنوا بل كفروا فكيف
يتطابقان قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه من الفعل طريقا بليغا
فسلك بذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب الذي هو انكار ما ادعوه ونفيه من
التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة بغية
من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا
شهد عليهم بذلك فقد انطوى تحت هذه الشهادة نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم
بقولهم آمنا على سبيل القطع والبت ونحوه يريدون ان يخرجوا من النار وما
هم بخارجين منها فانه ابلغ من وما يخرجون منها انتهى واطلق الايمان
على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل تقييده بتقدير ما دل عليه ما قبله
يخادعون الله والذين آمنوا هذه الجملة اما مستانفة جوابا لسؤاله مقدر وهو ما

بالهم قالوا آمنا وما هم بمؤمنين او بدل اشتمال من جملة يقول والمخادعة مفاعلة من الجانبين وذلك خاص بهم وبالذين آمنوا وذكر الله فيها وتحسين لتشريف لجانب المؤمنين او بني مبنى من جانب واحد كعاقبت اللص وتوبدّه فاتركنا ذا يخدعون وقرئ وما يخدعون بالوجهين في الشيع **الا انفسهم** يحتمل المجاز والمواح لان وبال خداعهم المؤمنين راجع الى انفسهم ويحتمل الحقيقة اي وهم في ذلك يخادعون انفسهم حيث يمنّونها الا باطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم تخادعهم حيث تمنيهم وتحدثهم بالاماني **الراغب** الخداع انزال الغير عما هو بصدده بامر يبديه على خلاف ما يخفيه ونسب ذلك الى الله من حيث ان معاملة الرسول كمعاملته ولذلك **قال** ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وجعل ذلك خداعا تفظيعا لفعلهم وتعظيما وتنبيها على عظم الرسول وعظم اوليائه وقول اهل اللغة ان هذا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي رسول الله فيجب ان يعلم ان المقصود بمثله في الحذف لا يحصل لو اتى بالمضاف المحذوف لما ذكرنا من التنبيه على امرين احدهما فظاعة فعلهم فيما تحروه من الخديعة وانهم بمخادعتهم اياه يخادعون الله والثاني التنبيه على عظم المقصود بالخداع وان معاملته كمعاملة الله انتهى وقرئ وما يخدعون وما يخادعون بالبناء للمفعول والتقدير الا عن انفسهم فحذف الجار ونصب على هذا واختاره وهي قوة وقرئ يخدّعون وخدع ويخدّعون بمعنى يخدعون **وما يشعرون** الامام والاصبهاني الشعور علم الشيء علم حس والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لكنهم لتماديهم في الغفلة كالذي لا يحس ومفعول يشعرون محذوف للعلم به والتقدير وما يشعرون انهم ما يخدعون الا انفسهم وان وبال خداعهم راجع اليهم واطلاع الله عليهم والاولى ان لا يقدر له مفعول لان الغرض نفي الشعور على الاطلاق عنهم من غير تقييد بمتعلقه **وقال** الراغب معنى وما يشعرون ونحوه لا يدركونه بالحواس ولو قال في كثير مما جاء فيه لا يشعرون لا يعقلون لم يجز اذ كان كثيرا مما لا يكون محسوسا قد يكون معقولا **في قلوبهم مرض** استعير للشك عجايج الفساد وحقيقته خروج المزاج عن الاعتدال وقيل المراد به هنا الظلمة **قال الشاعر**

في ليلة مرضت من كل ناحية • فما يضيء لها نجم ولا قمر •

والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وهو ما بالهم يخادعون وهي موزونة على قياس نحو وترى من يسلكون الى العية فيه كالطرد والطرد والثقل والثقل **فزادهم الله مرضا** خبر وقيل دعاء **ولهم عذاب اليم** اسناد الالم اليه مجاز وحقيقته لصاحبه **بما كانوا يكذبون** بالتشديد اي رسول الله وبالتخفيف

اي في قولهم آمنا فالكذب الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه والتكذيب نسبة المخبر الى الكذب **واذا قيل لهم** عطف على يكذبون او على يقول آمنا **قال** الاصبهاني والاول اوجه من حيث انه يليه **لا تفسدوا في الارض** الفساد خروج الشيء عن الاعتدال ويضاده الصلاح **قالوا انما نحن مصلحون** اي ان صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد وانوا بانما واصلها ان تكون في حكم يعلمه المخاطب ولا ينكره لانهم ادعوا ان صلاحهم امر ظاهر من شانه انه لا يجهله المخاطب ولا ينكره ولذلك جاء رده مؤكدا بان والجملة الاسمية وتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتصدير الكلام بحرف التنبيه الدال على ان مضمون الكلام مما له خطر في قوله **الا انهم هم المفسدون** **قال** الزمخشري الا مخففة ان التي للعرضا في معنى حقا لقد كان كذا وقيل بما يدل على التقريع والتوبيخ وهو قوله **ولكن لا يشعرون** الدال على نفي احساسهم والاولى ان لا يقدر له مفعول اي لا شعور لهم اصلا وقاعلة الاستدراك الوقوع بين متنافيين وتقريره هنا انهم لما فهموا عن الفساد فقابلوا ذلك بانهم مصلحون واخبر تعالى بانهم هم المفسدون كانوا حقيقين بان يعلموا ان ذلك كما اخبر تعالى وانهم ليسوا مصلحين فاستدرك عليهم هذا النفي واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس اي الكاملون في الانسانية الذين كانهم الناس في الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد تمييز بين الحق والباطل قالوا انؤمن كما آمن السفهاء اللام العهد مشارا بها الى الناس ومن عادى لفظه وهو الناس **قال** الاصبهاني سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة وقد رد تعالى عليهم على نحو ما تقدم فقال **الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** قال الامام وغيره ختمت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان النفاق وما فيه من البغي المفضي الى الفساد في الارض والفتنة امر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان بينهم من التغاور والتحارب فهو كالمحسوس واما امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل فيحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة والسفه فقد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباق **ف** **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم** ساق هذه الآية بخلاف ما سيق له اول القصة وهو قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله اول القصة في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا عليه مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه الصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى رؤسائهم في الكفر صدقوهم ما في قلوبهم وليست هذه الآية بتكرير لتلك وانوا مع المؤمنين بآمنا الجملة الفعلية لانهم في مقام ادعاء حدوث الايمان منهم لا في ادعاء انهم

او حدثون فيه لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقايدهم باعث ومحرك
وسع شياطينهم الجملة الاسمية وهي انا معكم تاكيد للثبات على اليهودية والقرار
على اعتقاد الكفر واطلاق الشياطين على الرؤسا استعارة لمماثلتهم لهم في التمرد
والعتو والاضافة اليهم قرينتها وقرئ ... **قال** الراغب خلا بفلان
اذا صار معه في خلا وخلا اليه انتهى اليه في خلوة **انما نحن مستهزءون** انما تاكيد للجملة
انا معكم لان معناها الثبات على اليهودية وانما نحن مستهزءون رد للاسلام ودفع له
منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد
لثباته **وَأَمَّا** بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر **واما** استيناف كان
شياطينهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا ان كنتم توافقون اهل الاسلام
فقالوا انما نحن مستهزءون **الله يستهزئ بهم** فيه من انواع البديع المشاكلة اي
يجازيهم باستهزائهم اذ حقيقة الاستهزاء محال على الله تعالى لانه من باب العبث والجهل
فاطلق على الجزاء استهزاء مشاكلة كقوله
قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه ✱ قلت اطبخوا لي جبة وقميصا
ومثله ومكروا ومكر الله ولم تعطف الجملة لانها استيناف في غاية الجزالة والفخامة
وفيه ان الله يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي يصير استهزاؤهم في مقابلته كالعدم
وفيه ايضا ان المستهزئ الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين فلا يحوج المؤمنين
ان يعارضوهم باستهزاء مثله ولم يقل الله مستهزئ بهم مع انه المطابق لقولهم انما نحن مستهزءون
لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات
الله فيهم والبلايا النازلة بهم قال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او
مرتين **النكتة** لم يقل الله مستهزئ بهم لئلا يفيد ثبوت الاستهزاء لله دائما وهو
لا يليق بالحكيم العليم ولا استهزأ الله بهم لئلا يدل على انقطاع الاستهزاء عنهم وليس
مراد تعالى الله يستهزئ بهم ليفيد تجدده بحسب الفعل وان ذلك التجدد دائما بحسب
دلالة الجملة الاسمية فالاستهزاء بالمنافقين متجدد من الله دائما **ويمدهم**
قال الراغب اكثر ما جاء الامداد في المحبوب والمد في المكروه فالاول نحو
وامددناهم ... يمددكم ربكم بخمسة آلاف والثاني في هذه الآية ونمد له
من العذاب مدا وقرئ هنا ويمدهم بالضم من امده وقيل مد فيما كانت زيادته
من مثله وامد فيما كانت زيادته من غيره **في طغيانهم** بالضم وقرئ بالكسر الراغب
الطغيان تجاوز الحد في العصيان الطيبي العرف طغى وعدى وبغى ان العدوان
مجاوزة الحد المامور به لانه البد والوقوف عنده والطغيان تجاوز المكان الذي
وقف عليه والبغي طلب تجاوز قدر الاستحقاق تجاوز او لم يتجاوزه واصله الطلب
ويستعمل في التكبر لان المتكبر طالب منزلة ليس لها باهل **يعمهون** قال الامام

العمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير
والتردد لا يدري اين يتوجه **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**
فما ربحت تجارتهم فيه استعارة مرشحة استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار
ثم فرع عليه ما يلائم الاشتراء وهو الربح والتجارة **والضلالة** الجور عن القصد
وفقد الاهتداء استعيرت للذهاب عن الصواب في الدين واسناد الربح الى التجارة
من باب الاسناد المجازي وانما هو حقيقة لاصحابها اي فما ربحوا في تجارتهم
وما كانوا مهتدين مثلهم الآية **قال** الراغب شبه من آتاه الله ضربا من
الهداية فاضاعه ولم يتوصل به الى ما رشح له من نعيم الابد بمن استوقد نارا
في ظلمة فلما اضاءت له ضيعها ونكس فعاد في الظلمة **وقال** غيره لما وصفوا
بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي
باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع على
قلوبهم بذهاب الله نورهم وتركه اياهم في الظلمات وانما سمعوا عن ابن عباس
وغيره في وجه التشبيه ان مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في
ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفأ ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف
وامن فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي مظلما خائفا متحيرا فكذلك المنافقون
اذا اظهروا كلمة الايمان واستناروا بنورها امنوا فناكحوا المسلمين ووارثوهم
وقاسموهم الفيء والغنائم فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وبقوا في
العذاب والنكتة السكاكي متى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقي وكان
منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل كالذي في هذه الآية فان وجه تشبيه
المنافقين بالذين شبهوا بهم في الآية رفع الطمع الى تيسير مطلوب بسبب مباشرة
اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب وانه امر توهمي
غير حقيقي منتزع عن عدة امور والذي هنا بمعنى الجمع ولذلك عاد الضمير عليه جمعا
في قوله بنورهم وتركهم واستوقد بمعنى اوقد وقيل قال غيره ان يوقد والتنكير
في نارا للتعظيم والاضاءة فرط الانارة بدليل جعل الشمس ضياء والقمر نورا واضاء
ياتي متعديا ولازما وهما هنا محتملان والتانيث على الثاني يحمل على المعنى لان ما حول
المستوقد اماكن واشيا **وقرأ** ابن ابي عبلة ضاءت وهي لازمة ابدا ولم يقل انار
تنبيها على قوة ظهورها ولا فان للباطل صولة ثم يضمحل واسناد فعل الذهاب
الى الله تعالى للاشارة الى ان الانطفاء حصل بسبب سماوي وان هذه نار لا يرضاها
الله والفرق بين ذهب به واذهبه ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا
وذهب به استصحبه ومضى به معه والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك
فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقال بنورهم ولم يقل بنارهم مع انه المطابق

لقوله نارا لان في النار شيئين الحرارة والنور فذهب نورهم وبقيت الحرارة عليهم
ولا بضوئهم مع انه المطابق لاضاءت لان الذهاب بالنور ابلغ لان الضوء فيه دلالة
على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقا ما يسمى نورا
والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا ولهذا ذكر عقبه وتركهم في
ظلمات جمعها ونكرها واتبعها على وجه التتميم او الايغال ما يدل على انها ظلمة مبهمة
لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون وهو فعل لا ينوى له مفعول وجمع الضمير
في نورهم وما بعده وافرده في استوقد لان المستوقد واحد عادة والمعنى
جمع وهذا كله على ان ذهب جواب لما وقال قوم الجواب محذوف
اي طفئت وخمدت وذهب استئناف او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان
والضمير للمنافقين ورجح الزمخشري هذا الوجه لما في الحذف من الوجازة والاشارة
الى ان المستوقد بعد الاضاءة حالة لا يمكن ان تبين وتشرح على حد ولو
ترى اذ وقفوا على النار حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وذكر الواحدي وجها
ثالثا وهو ان جملة ذهب اتت مقام جواب لما لانه جعل اطفا الله مثلا
لاذهاب نورهم فاقيم اذهاب النور مقام اطفا النار وجعلت جواب لما
ايجازا واختصارا وترك ان كان متعديا لواحد فبعده حال او لاثنين ف
واحدهما حال صم بكم عمي فيه حذف المبتدا اي هم او المنافقون صيانة اللسان
عن ذكرهم واداة التشبيه وهو ابلغ من ذكرها وهل يسمى مثل هذا تشبيها بليغا او
استعارة مذهبان مشهوران قال ابن جرير وهذه الجملة من المؤخر الذي معناه
التقديم فان معناها عقب قوله وما كانوا مهتدين انتهى ويجوز ان يكون
الضمير المقدر للمستوقدين في مكانها وقرئت الثلاثة بالنصب اما على الذم او الحال
من مفعول ترك فهم لا يرجعون الى الهدى او عن الضلالة قال الطيبي
ويمكن ان ينظر فيه معنى الترشيح لان من شان الحائر طلب الرجوع عند ظهور الضلالة
وهؤلاء لا يرجعون لعدم تبينها وهذا يؤيد ما ذكره ابن جرير من تقدير التقديم
او كصيب الاية ضرب سبحانه للمنافقين مثلا اخر ايضا حالهم بعد ايضاح وكما يحسن
للبليغ ان يجمل ويوجز في مقام يقتضي الايجاز فكذلك يحسن له ان يفصل ويطنب في
مقام يقتضي التفصيل والاشباع شبه تعالى المنافقين في التمثيل الاول بالمستوقد
نارا واظهاره الايمان بالاستيقاد وانتفاعه بالاضاءة وانقطاع انتفاعه
باطفا النار وفي الثاني شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حياة
الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه المنافقين بالظلمات وما فيه من الوعد
والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من البلايا والفتن من جهة اهل
الاسلام بالصواعق وطوى المشبهات في التمثيلين على سنن الاستعارة

بلغ

والتمثيل الثاني ابلغ من الاول لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته
ولذلك اخر لانهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ واو للتساوي
لا للشك او للابهام فانه قال مثلهم كاحد هذين والعرب تبهم ما لا فائدة في
تفصيله كقوله وهل انا الا من ربيعة او مضر اي من احدهما اي من احد القبيلتين
وكصيب على حذف مضاف اي كذوي صيب ليعود عليه ضمير يجعلون وتنكيره لانه
اريد نوع من المطر شديد وفيه مع ذلك مبالغات من جهة التركيب لانه من الصوب
وهو غزارة المطر ومن جهة البنا فان فيعلا من اوزان الصفات المشبهة وهي
ابلغ من اسم الفاعل لدلالتها على معنى الثبوت ومن الوزن الخاصة بالمعتل
وفيه مبالغة وقرئ كصائب وفائدة قوله من السما وان كان الصيب لا يكون
الا منها انه جاء بها معرفة فنفى ان ينصوب من سما اي افق واحد من بين سائر الافاق
لان كل افق من افاقها سما وافاد كونه مطبقا وقوله فيه ظلمات مجاز فانها
تجيء في مكانه وهو السحاب وقيل الضمير عائد على السما بمعنى السحاب على لغة
التذكير وقيل الى الليل كانه عن غير مذكور وجمعها دون الرعد والبرق لانهما
في الاصل مصدران فحقهما ترك الجمع ونكرت الثلاثة لان المراد انواع منها كانه
قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف والمراد بالرعد صوته
على حذف المضاف لان الرعد اسم للملك الموكل به ويجعلون مستانف جواب
سؤال مقدر وفي اصابعهم مجاز لان المراد اناملها فهو من اطلاق الكل على
البعض ونكتته الاشعار بانهم يبالغون في ادخال اصابعهم في اذانهم فوق
الغاية المعتادة في ذلك فرارا من شدة الصوت وقرئ من الصواقع قال
في الكشاف وليس بمقلوب من الصواعق بل هو على الاشتقاق الاكبر وقال
الراغب الصاعقة والصاقعة متقاربان وهما الهدة الكبيرة الا ان الصقع
يقال في الاجسام الارضية والصعق في الاجسام العلوية وقرئ حذار الموت
وجملة والله محيط بالكافرين اعتراضية لان يكاد البرق متصل بما قبل واحاطة
الله بالكافرين مجاز واستعارة تمثيلية والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط قال الطيبي وقوله بالكافرين من وضع الظاهر
موضع المضمر تنبيها على استحقاق اصحاب الصيب العذاب لكفرانهم نعم الله يكاد البرق
استئناف ثان كانه قيل كيف كان حالهم مع ذلك البرق يخطف ابصارهم
الراغب الخطف الاخذ بسرعة ويخطف بوزن يعلم وقرئ بوزن يضرب
ويختطف ويخطف بفتح اليا والخا وكسر الطا المشددة على ادغام التا فيها
وبكسر الخا لالتقا الساكنين وبكسرها واليا اتباعا لها وبفتح الثلاثة وبسكون
الخا وكسر الطا المشددة وضعفت بالجمع بين الساكنين على غير حده وقال

ابن جني هذا الاختلاس فيلطف عندهم فيرونه ادغاما وخطّف من خطف للمبالغة
لا للتعدية ويخطّف فهذه عشر قراآت كلما اضاء لهم استئناف ثالث وقرئ
ضاء مشوا فيه اي في ضوئه الكشاف المشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد
فهو سعي واذا ازداد فهو عدو وفي مصحف ابي مروا فيه وقرأ ابن مسعود
مضوا فيه وفي للظرفية او السببية واذا اظلم عليهم قاموا اي في الكلام
باذا وفي الاضاءة بكلما لتكرر المشي في الاضاءة قطعا لحرصهم عليه وعدم لزوم
الوقوف عند الاظلام لامكان المشي فيه ولا حرص لهم على الوقوف فلم تكن اداة
التكرار مناسبة فيه وقرئ اظلم بالبناء للمفعول ولو شاء الله حذف مفعول
شاء وجواب لو قوله لذهب بسمعهم وابصارهم الى الظاهرة قال ابن حجر ثم
وخصها بالذكر لتقدمها في قوله في اذانهم يخطف ابصارهم وقرئ لاذهب
باسماعهم فالباء زائدة وقوله ان الله على كل شيء قدير جملة استئنافية مؤكدة لمعنى
ما قبلها يا ايها الناس الآيات لما ذكر سبحانه وتعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار
والمنافقين وصفاتهم واحوالهم وما اختصت به كل فرقة اقبل عليهم بالخطاب
ملتفتا عن الغيبة فامر ونهى ودعى الى عبادته وحده ودل على ذلك بانه تعالى
الخالق لهم ولمن قبلهم وامتن عليهم بما خلقه لهم مفترشا ومظلا وما انزل
لهم من الماء وما اخرج لهم من الرزق وكل ذلك من دلائل وحدانيته ثم عاد الى
تصديق نبيه وازال الشبهة فيه فتحداهم ان كانوا في ريب من هذا القرآن
انه من عند الله فليأتوا بسورة من مثله وليستعينوا بمن شاؤا فانهم عاجزون
فمن كان لذلك اثبتوا انه من قوله محمد صلى الله عليه وسلم واخبرهم انهم ان لم ياتوا
بمثله فلا عذر لهم في ترك الايمان ولا جزاء لهم الا النار وادمج في ضمن ذلك انه لا سبيل
الى الاتيان بمثله ابدا ثم وصف النار المتوعد بها وشدة باسها تحذيرا منها ثم
بشر من آمن بالجنة ووصفها ترغيبا فيها وذلك غاية الفصاحة والبلاغة حيث
جمع في خمس آيات جميع المقاصد من الامر بالعبادة والنهي عن اتخاذ الند
والاستدلال بالخلق والامتنان بالماوي وانواع الرزق وتصديق الرسول
والاعذار وازالة الشبهة والاياس والانذار والتبشير الى غير ذلك مما دخل
في ضمن ذلك لحق لكل ان يؤتى به بلفظ الخطاب بعد الغيبة ليهيج السامع
وينبه السامع واتى بالنداء قبل الخطاب لان فيه تحريكا وتنبيها وحي يا الى
نداء البعيد والناسي والغافل والقريب الفطن واذا نودي بها الاقرب
فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوها معنى بالنداء به ايها في
كثرة في كتاب الله النداء بيايها لان فيه اوجها من التاكيد واسبابا من المبالغة
منها ما في يا من التاكيد والتنبيه وما في ها من التنبيه وما في التدرج من

الابهام

الابهام الى التوضيح والمقام يناسب المبالغة والتاكيد لان كل ما نادى
له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده ومن اقتصاص
اخبار الامم الماضية وغير ذلك مما انطق الله به كتابه امور عظام وخطوب جسام
ومعان واجب عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وابصارهم اليها وهم غافلون
فاقتضى الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ الكرماني في العجائب لا نظير في القرآن
لهذا الخطاب لان المراد بالعبادة في الآية التوحيد والتوحيد اول ما يلزم العبد
من المعارف وكان اول خطاب خاطب به الناس خاطبهم باول ما يلزمهم ولانه ذكر
سائر المعارف وبنى عليها العبادات فيما بعدها من السور والآيات قال ولا يرد
على ذلك ان سورة البقرة ليست اول القرآن نزولا لانها وان لم تكن اول نزولا فهي
اوله بعد الفاتحة في اللوح المحفوظ على الترتيب الموجود في المصحف انتهى وقال
صاحب المنتهى التخصيص بلفظ العبادة هنا لانه ذكر بعده الخلق والخلق يناسبه
العبادة لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضا فالخلق اول النعمة
فيما للانسان من النعم الثبوتية والعبادة افضل نعمة تفضل بها عليه واول
عبادة كلف بها التوحيد فكان من المناسب الجمع بينهما الراغب الناس يستعمل على وجهين
احدهما المشار به الى الصورة المخصوصة وذلك عام في الصغير والكبير والعاقل
وغيره والثاني المشار به الى المختص بقوى العلم والعمل المحكم فهو المستعمل على طريق
المدح وهذا المعنى هو المراد في هذا الموضع قوله اعبدوا الامر وحدوا الا انه يشمل
التوحيد والاعمال معا ربكم قال الطيبي فرق بين اعبدوا الله واعبدوا ربكم
لان في الثاني ايجاب العبادة بواسطة رؤية النعمة التي بها تربيتهم وقوامهم وفي
اعبدوا الله ايجابها لمراعاته من غير واسطة وعلى ذلك قوله يا ايها الناس اتقوا ربكم
وقوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حيث ذكر الناس ذكر الرب وحيث ذكر الايمان
ذكر الله وقال البيضاوي انما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي
الربية الذي خلقكم اي بالوصف الدال على الوحدانية واختار هذا الوصف دون
غيره لانه اقرب الطرق دلالة الى الافهام واتمها للخاص والعام ولانه كان يفيد العلم
بوجود الخالق يذكر نعمه علينا فان الوجود والحياة من اعظم النعم وتذكر النعم يوجب
المحبة وترك المنازعة وحصول الانقياد والخلق اعلام الشيء على تقدير واستواء
قاله قطرب وقال الازهري هو بمعنى الانشاء وهو التقدير والايجاد والاحداث
والابداع والاختراع متقاربة والفرق بين الايجاد والاحداث ان في الاول [illegible]
وفي الثاني يفعل على قرب وبين الابداع والاختراع عدم المثال والذين من قبلكم فيه
فائدتان احداهما ان طريق العلم بهما واحد فان الاستدلال على خلقكم كالاستدلال
بخلق آبائكم والاخرى ان من قبلكم كالاصول لكم وخلق الاصول يجري مجرى الانعام

على الفصول فكأنه تعالى يذكرهم عظم انعامه عليهم قبل ايجادهم وقرئ بفتح من
موصولا على زيادة الموصول الاول وقرئ وخلق من قبلكم لعلكم تتقون صورته
صورة الترجي والاطماع ومعناه سبحانه حتم لكنه جرى على عادة خطاب العرب
وايضا فعادة الملوك في مواعيدهم التي يريدون انجازها الاقتصار على لفظ لعل
وعسى ونحوهما وعلى ان يحملوا احالة ويرمز وارمزا فاذا عثر الطالب على شيء من ذلك
منهم لم يبق له شك في النجاح والفوز بالمطلوب ثم لعل متعلقة باعبدوا لا بخلقكم
قال البيضاوي وفيه اشارة الى ان العابد ينبغي له ان لا يغتر بعبادته
وان يكون ذا خوف ورجاء وقال الامام لا يصح ان يقال لعلكم تعبدون وان كان مناسبا لاعبدوا
لانه لا معنى له اذ المراد الامر بالعبادة ليحصل بها اتقاء العقاب فالاتقاء الذي
هو الاحتراز عن المضار مرتب على العبادة فالعبادة فعل يحصل به التقوى لا نفس
التقوى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم قال الامام ذكر سبحانه انواعا خمسة من الادلة ورتبها على هذا الترتيب لان
اقرب الاشياء الى الانسان نفسه وعلم الانسان باحوال نفسه اظهر من علمه باحوال غيره واذا
كان المقصود من الاستدلال افادة العلم كان كل ما هو اظهر دلالة اقوى افادة فكان
اولى بالذكر فلهذا قدم ذكر نفس الانسان ثم ثنى بآبائه وامهاته ثم ثلث بالارض لانها اقرب
اليه وهو اعرف من السماء وقدم ذكر السماء على نزول الماء وخروج الثمرات بسببه لان ذلك
كالمتولد من السماء والارض الكشاف قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات
حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب
في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي
لا بد لهم منه وهو بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم السماء التي هي
كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد
النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل
المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا
الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم
الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات
كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك انه لا بد لها من خالق ليس كمثلها
حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو قادر عليه
وقرئ بدل فراشا بساطا وقرئ مهادا والثلاثة والقرار والوطاء نظائر وقرئ
من الثمرة ولم يقل من الماء والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جمع ثمرة بمعنى
الثمار فالكثرة مستفادة منها حينئذ الثمر البسيط الثمرة في الاصل حمل الشجرة
ثم اطلق على كل ما ينتفع به من زيادة على اصل المال كما يقال العلم ثمرة اي ظهر زيد وعقل

منه اي يهدي صاحبه الى الرشد وقد قيل ان معنى الثمرات هنا جميع ما ينتفع به
مما يخرج من الارض فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون مفعوله متروك اي وانتم
من اهل المعرفة والفطنة والتمييز او محذوف اي وانتم تعلمون انه الخالق
الجاعل المنزل المخرج وان الانداد لا تفعل شيئا من ذلك ولا يكون الها الا من يكون
كذلك وقرئ ندا والند المثل قال الزمخشري ولا يقال الا للمثل المخالف
المناوي وان كنتم لما احتج على الوحدانية بالبراهين القاطعة انتقل الى الاحتجاج
على صدق نبيه فيما ادعاه من النبوة وفيما جاء به من القرآن واول لما افتتح السورة
بالشهادة للقرآن بانه حق ونفي الريب عنه وكان مناسبة ذلك ان هذه اول سورة
القرآن المطولة التي فصل فيها الاصول والادلة والاحكام فناسب ان يكون
مطلعها وافتتاحها ببيان حقية القرآن وانه لا ريب فيه لتقبل القلوب وتصغي
الاسماع الى قبول ما يلقى فيه فكان افتتاح اول سور القرآن بذلك كافتتاح سورة
النور بقوله سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون
في جريان ذلك مجرى الديباجة للكتاب ثم لما كان من وصف الكتاب انه هدى
للمتقين واثنى عليهم ثم استطرد الى وصف اضدادهم من الكفار والمنافقين
[illegible] ولما انتهى الكلام في اوصافهم دعا الناس كلهم الى عبادته
واقام الدلائل على وحدانيته ثم دعا الى ما افتتح به من نفي الريب عن القرآن
ليقيم الحجة عليه ويزيل الشبهة عنه فقال وان كنتم الى آخره وهكذا
[illegible] شان القرآن يفتتح بمقصود ويستطرد منه الى امور شتى لادنى
ملاءمة ثم يعاد الى تتمة المقصود ونوافقه في ريب فيه مجاز من حيث انه جعل
ظرفا محيطا بهم لكثرة وقوعه منهم مما نزلنا فيه التفات عن الغيبة الى
التكلم واتى به دون انزلنا لان المراد النزول على سبيل التدريج وذكر
هذا اللفظ هو اللائق بهذا المكان لانهم كانوا يقولون لو كان هذا من
عند الله ومخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما بحسب الحوادث
على سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا
حينا فحينا بحسب ما يظهر من الاحوال المتجددة والحاجات المختلفة فلو
انزله الله لانزله على خلاف هذه العادة جملة ذكره الزمخشري والامام على انه
قرئ انزلنا على عبدنا وقرئ على عبادنا اي النبي وامته فاتوا بسورة من مثله
في آية اخرى بسورة مثله قال الكرماني لان من زائدة على التبعيض ولما
كانت هذه السورة سنام القرآن واوله بعد الفاتحة حسن دخول من فيها
ليعلم ان التحدي واقع على جميع سور القرآن من اوله الى آخره وغيرها من السور
لو دخلها من لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض والهاء في قوله

تخلص الى بيان وصف المنافقين

من مثله عائدا الى القرآن انتهى قال صاحب المناجاة هذا الكلام لا حاصل له
فان الضمير الذي في مثله ان رجعناه الى القرآن فلا تفاوت في دخول من في هذه
السورة وغيرها في التحدي ببعض القرآن وان رجعناه الى السورة على ضرب
من التأويل ولم يقل به احد فلا تفاوت ايضا في ان يكون التحدي على بعض
السور دون بعض فالتفصيل الذي ذهب اليه تحكم وكون البقرة سنام القرآن
واوله لا دخل له في المقصود فالاحسن ان يقال لما عبر هنا عن القرآن
وحده بما يتضمن ذكره صلى الله عليه وسلم في قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فانه جعل ما نزلنا جنس الجنس وعلى عبدنا فصله اذ المراد محمد صلى الله
عليه وسلم وبه تميز عن سائر الكتب المنزلة وان كانت انزلت على عباده
لان في الاضافة تخصيصا لبعض المراد فكانه قيل وان كنتم في ريب مما نزلنا
على محمد المبعوث بالحجاز ما انزل اليه حسن ادخال من ليحتمل اعادة الضمير
الى كل جنس الجنس وفصله ولما لم يكن في غيرها من السور التعبير عن القرآن على
هذا الوجه لم يحسن قال وهنا وجه لطيف من الله به على عبده الضعيف
وادعوا شهداءكم عبر عن الاستعانة بلفظ الدعاء على عادة العرب في دعائهم
القبائل في الوقائع العظيمة والحروب والشدائد **قال النابغة**

فلما التقت فرساننا ورجالنا ... دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر

ابن جرير الشهداء جمع شهيد وهو المشاهد كجليس للمجالس ويطلق ايضا بمعنى
الشاهد وبالاول فسره ابن عباس فقال يعني اعوانكم على ما انتم عليه قال
ابن جرير اي واستنصروا على الاتيان بسورة اعوانكم وشهداءكم الذين
يشاهدونكم ويعاونونكم على التكذيب ويظاهرونكم على الكفر وبالثاني فسره
مجاهد فقال اناس يشهدون لكم اذا اتيتم بها انها مثله قال ابن جرير والاول
هو الاولى والثاني لا وجه له وقال الطيبي يحتمل ان يراد بالشهداء الاصنام
فالامر في قوله وادعوا للتهكم وان يراد الرؤساء فهو للاستدراج وارخاء
العنان وان يراد الناس العدول فهو لالزام السكت وان يراد الناصر
والمستظهر به دون الله فهو للتحدي والتعجيز **من دون الله** اصل دون
ادنى مكان من الشيء استعير للتفاوت في الاحوال والرتب ثم اتسع فيه
فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد

فان لم تفعلوا اتى بان التي للشك دون اذا التي هي للواجب مع ان المقام [illegible]
لها سوقا للكلام على حسب حسبانهم وطمعهم وتهكما بهم **ولن تفعلوا** جملة اعتراض
بين الشرط وجوابه افادت اليأس عنه وتأكيد العجز والتفريع على ذوي

الاشهاد وواوها استئنافية وعبر في الجملتين بلفظ الفعل دون الاتيان مع انه
المطابق لقوله فأتوا لانه بمعناه مع انه يستطال ان يقال فان لم تأتوا بسورة من
مثله ولن تأتوا بسورة من مثله **فان قيل** لو قال فان لم تأتوا ولن تأتوا لكان المعنى
على ما ذكر ويكون قد حذف مفعوله اختصارا كما حذف مفعول لم تفعلوا ولن
تفعلوا **اجيب** بان في نفي الفعل من المبالغة ما ليس في نفي الاتيان من حيث ان
نفي الفعل الذي هو الجنس في موضع نفي النوع الذي هو الاتيان قال الراغب لفظ الفعل
اعم من سائر اخواته نحو الصنع والابداع والاحداث والخلق والكسب والعمل
لان الابداع اكثر ما يقال في ايجاد من عدم بلا احتذاء ولا اقتداء ولا آلة ولا مادة
وليس ذلك حقيقة الا لله والاحداث ايجاد الشيء بعد ان لم يكن والخلق ايجاد بتقدير
والصنع اجادة الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا ولا ينسب الى الحيوانات
والجماد كما ينسب اليها الفعل والعمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد فهو اخص من الفعل
لانه ينسب الى غير الحيوان من الجماد والى ما يقع من الحيوان بغير قصد والكسب
ما يتحراه الانسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ واما الفعل فهو التأثير من جهة
مؤثر وهو عام لما كان باجادة وغيرها بعلم او غيره بقصد او غيره من انسان او
حيوان او جماد انتهى **فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة** فيه كناية حيث
اقام اتقاء النار الذي هو ملزوم ترك العناد مقامه فهو ابلغ مما لو قال فاتركوا
العناد لان الكناية ابلغ في افادة المقصود لما فيه من الاشباع بتهويل صفة النار
مع الايجاز قال الامام وانما عرفت النار هنا ونكرت في سورة التحريم لان
تلك نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة معرفة
بلام العهد مشارا بها الى ما عرفوه اولا قلت وبهذا سقط سؤال الكشاف
ان صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار
الآخرة توقد بما ذكر وجوابه بانه لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب
او من الرسول صلى الله عليه وسلم والوقود بالفتح ما يوقد به وبالضم المصدر وقرئ
به على تقدير ذوو وقودها او على تقدير وقودها احتراق الناس او من باب زيد عدل
وعلى هذا فالمعنى ليس وقود النار الا ذلك وعلى الاول يجوز ان يكون هناك وقود
آخر ذكره الطيبي **اعدت للكافرين** جملة مؤكدة لما قبلها لان اتقادها بهم واعدادها
لهم متقاربان او بدل منها لصحة وقوعها موقعها او استئنافية كانه سئل لمن كان
وقوعها ذلك فاجيب بانها معدة لهم ذكر ذلك في الكشاف التدبير زاد ابو البقاء او حال
من النار وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وقرأ ابن ابي عبلة اعدها الله تعالى
اعتد لامر كذا اي هيأته **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات** من عادته تعالى ان يذكر
الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط

من اعتراف ما يتلف قبل ذكر الكفار واوعدهم العذاب عقب ذلك ببشارة عباده المؤمنين
العاملين بالثواب الراغب البشارة والبشرى الخبر السار المبسط لبشرة الوجه لان
النفس اذا سرّت انتشر الدم انتشار الماء في الشجر يقال بشرت الرجل وابشرته ٤
وبشّرته وبينها فرق فالاول عام والثاني نحو احمدته والثالث للتكثير الكشاف
فان قلت علام عطف هذا الامر وبشّر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه
قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر ونهي يعطف
عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على وصف
عقاب الكافرين وذلك ان تقول هو معطوف على فاتقوا وردّ هذا بان
اتقوا جواب الشرط وبشّر لا يصح له اذ لا يصح ان يقال فان لم تفعلوا فبشّر
الذين آمنوا واجاب الطيبي بان فاتقوا ليس جزاء للشرط بل مبني عنه وهو
محذوف والتقدير وان كنتم في شك من صحة نبوته وصدق قوله ان القرآن منزل
عليه من عند الله فأتوا بسورة من مثله فان لم تقدروا على ذلك وانتم فرسان البلاغة
فقد صح صدقه واذا صح صدقه فليتق المعاندا النار وبشر يا محمد المصدق
بالجنة قال ثم على هذا التقدير يشتمل العطف على جهات من الحسن منها قرب
المعطوف من المعطوف عليه ومنها رعاية الجهة الجامعة الوهمية بين بشّر واتقوا
لانه في معنى انذر والعقلية لا تعاقبهما في المسببية ومنها اجتماع ثلاث متقابلات
ومنها حذف الجزاء عن الشرط الاول والصدر من الثاني المؤذن بالايجاز الذي هو حلية
القرآن واما عدم اتحاد المسند اليه في فاتقوا وبشّر فيضمحل بنظر الى صدر
الوجوه على ان الاتحاد حاصل كما قررناه وقال صاحب المرشد وهو عطف على
الخبر الذي قبله لا اشتمل على معنى الامر كانه قيل انذر وبشّر السكاكي عندي انه
معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس او قبل فان لم تفعلوا البيضاوي نحو
خاطب المؤمنين بالبشارة كما خاطب الكفار بالتخويف لشانهم وايذانا بانهم احقاء
بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبُشّر فعل ماض مبني للمفعول
معطوف على اعدّت قال بعضهم والفرق بين عمل وفعل ان عمل لما كان
مع امتداد زمان نحو يعملون له ما يشاء من محاريب مما عملت ايدينا لان خلق
الانعام والثمار والزروع بامتداد وفعل بخلافه نحو كيف فعل ربك باصحاب
الفيل كيف فعل ربك بعاد وكيف فعلنا بهم لانها اهلاكات وقعت من غير بطوء
ويفعلون ما يؤمرون اي في طرفة عين ولهذا عبّر بالاول في قوله وعملوا
الصالحات حيث كان المقصود المثابرة عليها لا الاتيان بها مرة او بسرعة
وبالثاني في قوله وافعلوا الخير حيث كان بمعنى سارعوا كما قال فاستبقوا الخيرات
وقوله والذين هم للزكاة فاعلون حيث كان القصد يأتون بها على سرعة من غير

توانٍ

توانٍ ان لهم جنات جمعها لان الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات
كثيرة ونكّرها للتنوع فانها مرتبة مراتب على حسب حال اهلها لكل طبقة منهم
جنات من تلك الجنان الراغب انما قال جنات بلفظ الجمع لكون الجنان سبعا جنة
الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام
وعليون والجنة كل بستان ذي شجر يستر باشجاره الارض تجري من تحتها
الانهار فيه حذف اي من تحت اشجارها ومجاز عقلي اي المياه في الانهار اذ النهر مجرى الماء
الواسع والجري المر السريع كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا فيه تجريد عن حد لقيت
منه اسدا لان الثمرة هي الرزق وذكره في الكشاف الطيبي خرج من ثمرة رزق وهو
هي ملون رزقا اخص من ثمرة لان الثمرة ذات اوصاف فانتزع منها وصف
المرزوقية اي التي يتبع الاكل عليها الحال هذا المعنى فيه هذا الذي اي مثل الذي
فهو تشبيه محذوف الاداة ومواساة الى النوع قاله ابن جرير

وأتوا به الراغب الاتيان مجيء بسهولة فهو اخص من مطلق المجيء وقرئ بالبناء للفاعل
فالضمير للخدمة وجعل الزمخشري هذه الجملة معترضة لتقرير ما قبلها الصفوا
كما قال العطف انها تذييل تؤكد صدقهم في ما ادعوه وقيل هي حالية وفي
قوله به العائد الى رزق في الدارين المفهوم من المشبه والمشبه به في قوله
هذا الذي رزقنا من قبل نوع من البيان يسمى الكناية الايمائية
مطهرة ابلغ من طاهرة والحمل فيه من الاشعار
بان مطهرا اطهرهن وليس ذلك الا الله تعالى وقرئ مطهرات وقرئ مطّهرة بتشديد
الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة وهم فيها خالدون قدم الظرف لمناسبة رؤوس
الآي وقد جمعت هذه البشارة غاية المقاصد فان مجامع اللذات اما المسكن او
المطعم او المنكح وقد وصف الله المسكن بقوله جنات تجري من تحتها الانهار والمطعم
بقوله كلما رزقوا الى آخره والمنكح بقوله ولهم فيها ازواج مطهرة ثم هذه الاشياء
اذا حصلت وقارنها خوف الزوال كان النعيم منغصا فبين ان هذا الخوف
زائل عنهم بقوله وهم فيها خالدون فصارت الآية دالة على كمال النعيم والسرور
قال العطف فقوله وهم فيها خالدون تكميل في غاية الحسن والواو فيها وفي التي
قبلها للحال او العطف ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما وجه اتصال هذه
بما تقدم انه تعالى لما بين ان القرآن معجز وانه من عند الله استنكره الجهال
والسفهاء واهل العناد واستغربوا ما فيه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
فان هذه لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فكيف يكون في كلام الله المعجز اورد هذه
ليبان ان ما استنكروه واستغربوه ليس في محل الاستنكار والاستغراب لان

التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب
وادناء المتوهم من المشاهد فان كان الممثل له عظيما كان الممثل به عظيما وان كان حقيرا كان حقيرا
ولما كانت الاصنام التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل فلذلك
جعل بيت العنكبوت مثلها في الوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا فليست
المثل على ما تقتضيه الحكمة وتستدعيه وفي يستحيي التمثيل البياني كني به عن الترك
وقرئ يستحي بياء واحدة قال الاخفش هي لغة تميم الكرما في الحيا انقباض
يدل على خلق كريم والله تعالى لا يوصف به ومعناه هنا الترك اي لا يترك ضرب
المثل ترك ما يستحيى منه وان في محل نصب او جر وان استحيى يتعدى بنفسه
وبمن وما ابهامية لتاكيد الخسة اي اي مثل كان وقرا ابن مسعود بحذفها بعوضة
بالنصب بدلا وبيانا وقرئ بالرفع فما فوقها قيل في الصغر وقيل في الكبر
فوق يستعمل باعتبار العلو نحو ورفعنا فوقكم الطور وباعتبار الصعود والحدور
نحو اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم وباعتبار العدد نحو فوق اثنتين وباعتبار
الكبر والصغر نحو بعوضة فما فوقها وباعتبار الفضيلة الدنيوية نحو ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات والاخروية نحو والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة
وباعتبار القهر والغلبة نحو وهو القاهر فوق عباده وقيل التقدير وما دونها
فحذف اكتفاء فاما قال الزمخشري فائدة اما في الكلام ان تعطيه
فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب
وانه بصدد الذهاب عزيمة قلت اما زيد فذاهب ففي ايراد الجملتين
مصدرتين باما احماد عظيم للمؤمنين ونعي عظيم على الكافرين فيعلمون انه الحق
من ربهم في ذكر العلم مدحة للمؤمنين كما ان في اضافة رب تعظيمهم دليل
المزية واما الذين كفروا فيقولون عدل عن قوله فلا يعلمون المطابق لما
قبله للاشارة الى ان قولهم هذا دليل واضح على كمال جهلهم بهذا الاشارة به
للتحقير يضل به كثيرا قرئ بفتح الياء ورفع كثير وما يضل به الا الفاسقين
قرئ بفتح الياء ورفع الفاسقين والفسق الخروج عن الطاعة قال ابن الاعرابي
لم يسمع في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق ينقضون عهد الله من
بعد ميثاقه النقض الفسخ وفك التركيب وافساد ما ابرم من حبل او
بناء الكثاف فان قلت كيف ساغ استعمال النقض في ابطال العهد
قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من العهد
من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان
يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا
بتلك الرمزة على مكانه والميثاق ما به الوثوق اسم مصدر كالميعاد والميقات

ان يوصل بدل من الهاء في به او من ما او مفعول له على تقدير كراهة او لئلا اولئك
حق بهم على هذا اولئك على هدى قال ابن عقيل وقد وقع في هذه الآيات
خمس مقابلات بين بعوضة وما فوقها وبين آمنوا وكفروا وبين يضل ويهدي وبين
ينقضون وبين يقطعون ويوصل ذكره بعضهم قلت وسادس بين يعلمون
ويقولون لان المراد بالاول الاعتقاد بالقلب وبالثاني القول الصادر عن
اللسان وهما خلافان في الجملة وذلك كاف في الطباق والمقابلة كيف تكفرون
الآية استفهام تقرير وتوبيخ وتعجيب للمؤمنين من كفر الكفار وبعد قيام البرهان
وجيء بكيف مع انه للاحوال للمبالغة لان انكار الحال يستلزم انكار ذاته لانه
تبع لها فهو نظير كثير الرماد بالنسبة الى الشر لضيف ولذلك الالتفات
الى الخطاب عن الغيبة في قوله فيقولون لان الانكار والتوبيخ مع الخطاب ابلغ
وعدل عن الماضي الى المضارع لافادة التلبس دون الخطاب والتوبيخ على
متلبس به ابلغ منه على ما مضى ولدفع ايهام توبيخ من سبق منه كفر ثم آمن وعطف فاحياكم
على ما قبله بالفاء والباقي بثم لان الاحياء الاول اعقب الموت بلا تراخ والاماتة
بعده تراخت عنه والاحياء الثاني تراخى عنها والرجوع الى الحساب متراخ عن النشور
وتسمية العدم قبل الايجاد موتا مجاز وبالرجعون للمفعول خلاف الى تعالى فتلك
للفاصلة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء حيث وقع ولما ذكر في هذه الآية
دلائل الوحدانية من الاحياء والاماتة اتبعها بما هو اعلى رتبة في افادة المقصود ترقيا
من الادنى الى الاعلى وهو خلق الارض والسما بدليل لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس فقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا واورده في معرض الامتنان
بما جعله لهم ينتفعون به واستغنى بذكر ما في الارض عن الارض مع ارادتها ايضا
وهو نوع من كلام العرب كقولهم راكب الناقة طليحان اي الناقة وراكبها ثم استوى
الى السما اي عمد وقصد اليها بارادته ومشيئته استعارة من الاستوا الذي هو
حقيقة في الاعتدال وثم للتراخي في الرتبة لا الزمان فسواهن جمع الضمير
لان السما في معنى الجنس وقيل لانها جمع سماة وقال الزمخشري هو ضمير مبهم وتفسيره
سبع سموات كقوله ربه رجلا وهذا الوجه هو المنزل فيه من الابهام ثم التفسير
فان المبهم اذا تبين كان افخم واعظم من ان يبين اولا لانه اذا ابهم تشوفت النفوس
الى الاطلاع عليه فاذا تبين بعد ذلك حصل للنفس لذة وهو بكل شيء عليم فان قلت
ختم هذه الآية بالعلم وقال في آل عمران قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه
الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير والمناسب ان الذي
في آية البقرة الختم بالقدرة وفي آية آل عمران الختم بالعلم قلت لما اخبر هنا بانه
خلق الارض وما فيها جميعا على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم وخلق السموات

وميثاقه م

ترجعون

خلقا سويا محكما من غير تفاوت والحال ان الوصف المذكور يجب ان يكون عالما
بما فعله كليا وجزئيا مجملا ومفصلا ناسب ختم الآية بصفة العلم **وإذ قال ربك**
لما ذكر تعالى خلق السموات والارض كما في الحديث واذ منصوب باذكر مقدرا للتصريح
به في عدة مواضع وعبر بالرب لما سبق من خلق ما في الارض الذي هو من المصالح واضافة
الرب الى الرسول ومخاطبته بالكاف تشريفا من الله له واظهارا لاختصاصه به
خليفة قرئ بالقاف **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها** هو من ايراد الاشكال
طلبا للجواب المزيل له وهو متحصل لان الاعتراض المستقبح وقالوا ذلك اما باطلاعهم
عليه في اللوح المحفوظ او قياسا على ما تقدم من الجن **ويسفك الدماء** السفك الصب ولا
يستعمل الا في الدم وقال الجوهري يستعمل في الدمع ايضا زاد الراغب وفي
الجوهر المذاب وقرئ بضم اوله من الرباعي وبالتشديد للمبالغة وبالنصب في جواب
الاستفهام وقال الطيبي قوله ويسفك الدماء منتظم في سلك جوامع الكلم التي
هي من حلية التنزيل فاتى بلفظ السفك الدال على الاراقة والاجرا كالمايع وخص
بالمضارع المبني في مثل هذا المقام عن الاستمرار نحو فلان يقري الضيف ويحمي
الحرم وجمع الدماء وحلي بلام الاستغراق ليتصور بشاعة ذلك الفعل ويستوعب
الازمنة ويتضمن جميع انواع الدماء **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** من غرايب ما قيل
ان فيه تقديما وتاخيرا والتقدير ونحن نسبح ونقدس لك بحمدك اي ونحن وان
سبحنا وقدسنا والحمد والعبادة فلذلك كله بحمدك لا بانفسنا وقال ابن الحجري
اربيت علمت انما نسبح اي نسبح بالثنا عليك وان شئت قدرت نسبح متلبسا
بحمدك **قال اني اعلم ما لا تعلمون** هذا جواب على سبيل الاجمال زاده تفصيلا
بما ابانه من فضل آدم في الآية بعد المفضل انه لا شيء اشرف من العلم واهله وانه
لا ظهر فضله بامر سواه **وعلم** عطف على الجملة وقيل على محذوف اقتضاه الايجاز
اي تجعل في الارض خليفة وعلم وقرئ شاذا بالبناء للمفعول لان الغرض منه
حصول العلم لآدم مع العلم بان الله الذي هو علمه اياها والتشريع الى حطيه
بذلك بقراءة علم بالبناء للفاعل ذكره ابن جني **ثم عرضهم** اعاد الضمير للمسميات
التي في ضمن الاسماء وقرأ ابن مسعود عرضهن وقرأ ابي عرضها **انبئوني** امر تعجيز
سبحانك مصدر بمعنى التنزيه اثبت فعله وهو من المختصات بالله **انك انت العليم
الحكيم** فاصلة في غاية التمكن والاستقرار لان الكلام في علم عجز عنه الملايكة واشير
ان ذلك لله ابداعه وخفي عنهم وجه الحكمة فيه وقدم وصف العلم لانه صفة ذاتية
وليتصل بما يناسبه وهو لا علم لنا ولان الاتقان الذي هو معنى الحكمة ناشئ عن العلم
انبئهم قرأ الحسن انبيهم كما عطيهم على ابدال الهمزة ياء ثم حذفه للامر وفي الآية التفات
الغايب فان ضمير انبئهم للملايكة وضمير باسمايهم للمسميات وكذا في انباهم باسمايهم واعيد

وانما عقبه بذكر كيفية خلق آدم الذي في الوجود عنصر السموات والارض
م

الظاهر

الظاهر اما بالكونه في جملة اخرى وللنص على الاسم العام قاعدة واعلم اهتماما
ببيان المتعلق واعلاما بان هذا الخبر في القصد كالاول تدسيل ذهب قوم الى ان
ادم نبي في ذلك الوقت وارسل الى الملائكة وان هذا الانبا معجزة قال الواحدي
فان قيل من اين علمت الملائكة صحة قول آدم ومطابقة الاسما للمسميات
اجيب بانه يجوز ان يخلق لهم تعالى علما ضروريا عند انبا آدم يدركون به مطابقة
قوله **وإذ قلنا للملائكة** التفات من الغيبة الى التكلم للتعظيم **ابى واستكبر**
جملة مستانفة في جواب من قال ما فعل قال الكرماني ذكر هذه الحالة
في هذه السورة جملة وفصلها في الاعراف بقوله الا ابليس لم يكن من الساجدين
الى آخره وفي سورة اخرى ان جماعة لما تقدم التفصيل في السور المكية اجمل
في البقرة المدنية اكتفا بما تقدم قال الراغب الابا شدة الامتناع فكل ابا امتناع
وليس كل امتناع ابا قال البيضاوي الابا امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه
اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وقال غيره الاستكبار الانفة
مما لا ينبغي ان يونف منه واخر استكبر عن ابى وان كان سابقا عليه لانه سببه ليورد
مورد التعليل له الذي من حقه التاخير في الذكر ولذلك عقب بقوله **وكان
من الكافرين** في علم الله لانه ايضا تعليل للاستكبار وقال الامام لما استثنى
ابليس من الساجدين وكان يحتمل ان يظن انه كان معذورا في ترك السجود بين
تعالى انه لم يسجد مع القدرة وعدم العذر بقوله ابى اذ الابا هو الامتناع مع
الاختيار ثم انه قد يجوز ان يكون كذلك بدون الكبر فبين ان ذلك الابا منع
الاستكبار ثم جاز ان يكون مع عدم الكفر فبين انه كفر **وقلنا يا آدم اسكن انت
وزوجك الجنة** لما ذكر ما يتعلق بآدم من نعمة الايجاد ثم نعمتي العلم والتعظيم اتبعه
بنعمة العيشة الراضية وسكنى دار المسرة واخرت عن نعمة العلم لان العلم غذاء
الارواح وهو اعلى مما للاشباح وعن نعمة التعظيم لانه في نظر العقلاء اهم من الملاذ
الجسمانية قال الراغب الفرق بين افعل انت وليفعل كذا وبين افعلوا كذا ان الاول
تنبيه على ان المقصود بالحكم والباقون تبع له وانه لولاه لما كانوا مامورين
بذلك وعلى نحو قال فمن ربكما يا موسى وليس كذا اذا قيل افعلوا وذكر البيضاوي
نحو **وكلا منها رغدا** وفي الاعراف فكلا بالفا قال في درة التنزيل لان الاصل
في كل فعل عطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتدا وكان الاول مع الثاني
بمعنى الشرط والجزا ان الاصل فيه عطف الثاني على الاول بالفاء كقوله واذ قلنا ادخلوا
هذه القرية فكلوا فعطف كلوا على ادخلوا بالفا لما كان وجود الاكل منها متعلقا بدخولها
فكانه قال ان دخلتموها اكلتم منها فالدخول موصل الى الاكل متعلق وجوده
بوجوده يبين ذلك قوله في مثل هذه الآية من سورة الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا

هذه القرية وكلوا فاتى بالواو دون الفا لان السكنى وهي المقام وطول اللبث لا تختص
وجود الاكل بوجودها لان من يدخل بستانا قد يأكل منه وهو مجتاز فلم يتعلق الثاني
بالاول تعلق الجواب بالابتدا وجب العطف بالواو دون الفا وعلى هذا
وردت آية البقرة وكلا بالواو ولانه بعد اسكن دائما ووردت آية الاعراف
بالفا لانه عطف على اسكن حملا على معنى ادخل ساكنا ليكون في مقابلة قوله تعالى
لابليس اخرج منها مذؤوما مدحورا قال ولكن احد الخطابين قبل الدخول
والآخر بعده مبالغة في الاعذار وتوكيدا في الانذار وقال الكرماني
المراد بالسكون في آية البقرة الاقامة لا ضد الحركة فلم يصلح الا الواو لان معناه
اجمعا بين الاقامة فيها والاكل من ثمارها ولو اتى بالفا لوجب تأخير الاكل الى
الفراغ من الاقامة لان الفا للتعقيب والترتيب والذي في الاعراف معناه
اتخاذ الموضع مسكنا لان الله اخرج ابليس من الجنة بقوله اخرج منها مذؤوما
مدحورا وخاطب آدم فقال ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة اي اتخذا
لانفسكما مسكنا فكلا من حيث شئتما فكانت الفا اولى لان اتخاذ المسكن لا يستدعي
زمانا ممتدا ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقبه وزاد في
البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا خلاف سورة الاعراف
انتهى والحاصل ان الفعل اذا كان كالشرط والمعطوف كالجزا فالفا والا
فالواو والرغد سعة العيش ومناوه وقرئ رغدا بالسكون وهي لغة تميم
وقال ابن جماعة لما نسب هنا القول اليه سبحانه وقلنا يا آدم ناسب
زيادة الاكرام الدالة على الجمع بين السكنى والاكل ولذلك قال فيه رغدا وقال
حيث شئتما لانه اعم وفي الاعراف ويا آدم فاتى بالفا الدالة على ترتيب
الاكل على السكنى المأمور باتخاذها لان الاكل بعد الاتخاذ ومن حيث لا تعطي
معنى عموم حيث شئتما وقال صاحب المناجاة يمكن ان يوجه بوجه آخر
وهو انه لما زاد في البقرة قيد رغدا ومعناه الواسع الرافه كان محلا للواو
لانه لا تحجير فيه اذ يصير كالواجب الموسع وفي الاعراف لما لم يذكر هذا القيد
عطف بالفا تنبيها على ان الجنة محل الراحة والاكل والشرب وعدم التكليف فلا
يلزم الداخل ان يعقب دخوله بنوع من انواع العبادات كما هو السنة للشخص
اذا دخل مكانا ولهذا شرعت تحية المسجد وتحية منزل السفر بركعتين وتحية
البيت بركعتين والذكر لما يؤمر قال ووجه آخر وهو ان سورة الاعراف
اكثر ما سيق فيها من هذه القصة مدخول للفا كقوله فاهبط منها فما يكون لك
ان تتكبر فيها فاخرج فبما اغويتني فوسوس فناسب ان يدخل في فكلا رعاية للتناسب
وحيث الحق في البقرة لذلك عطف بالواو التي هي لاصل الجمع ولا تقربا نهي عن

الاكل بلفظ ابلغ اي لا تحوما حولها فضلا عن ان تنالاها بالاكل وفي ذلك مع تمييزها
بالاشارة وجعل القربان منها سببا لان يكونا من الظالمين مبالغة في النهي ووجهه
مع التوسعة في جانب الامر بقوله رغدا حيث شئتما ازالة العذر في التناول قال
الراغب القصد بالنهي عن قربان الشيء تأكيد الحظر والمبالغة في النهي وذلك
ان القرب من الشيء مقتض للالفة والالفة داعية للمحبة ومحبة الشيء كما قيل
حبك للشيء يعمي ويصم والعمى عن القبيح والصمم عن النهي عنه هما الموقعان فيه
وقيل لا تقربا بالفتح يعني لا تلتبسا بالفعل ولا تقرب بضم الراء يعني لا تدن
هذه الشجرة قرئ هذي بالياء وقرئ الشجرة بكسر الشين والشيرة بالكسر وابدال
الجيم يا وهي لغية فتكونا يحتمل النصب والجزم وكذا كل تركيب مثل هذا
فازلهما من الزلل اي حملهما عليه وذكر ابن عطية انه حقيقة في القدم وانه في الرأي
والنظر مجاز وفي قراءة فازالهما من الازالة عنها الضمير للشجرة على قراءة ازلهما
وللجنة على قراءة ازالهما وعن على الاول للسببية وعلى الثاني للمجاوزة والتعدية
وقلنا اهبطوا قال المفضل الهبوط الخروج عن البلد ودخولها ايضا فهو من
الاضداد انتهى وهو هنا من الاول ومن الثاني اهبطوا مصرا وقرئ بضم البا
ومتاع الراغب المتاع انتفاع ممتد الوقت فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب
عليه قرئ رفع آدم ونصب كلمات وعكسه واكتفي بذكر آدم لان حوا تبع له
كما طوي ذكر النسا في اكثر القرآن طلبا لستر المرأة وقد صرح بها في قوله قالا ربنا
ظلمنا انفسنا الكشاف تلقي آدم كلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل
بها حين علمها قال الطيبي هو مستعار من استقبال الناس بعض الاعزة
وتلقي الغائب اذا قدم لانهم حينئذ لا يدعون شيئا من الاكرام الا فعلوه واكرام
الكلمات الواردة من الحضرة الالهية العمل بها وفي قراءة رفع الكلمات استعمال
ايضا القرآن الافعال ما يستوي المعنى في اسنادها الى الفاعل والى المفعول
من ذلك لقي وتلقى ونال واصاب تقول لقيت زيدا ولقيني زيد ونلت خيرا
ونالني خير ولهذا قرئ لا ينال عهدي الظالمين والظالمون واصبت خيرا واصابني
خير وتلقي آدم وآدم من ذلك وفي الآية حذف اي فقالها فتاب عليه الكلمات
التوبة لفظ يشترك فيها العبد والرب فاذا وصف بها العبد يكون
معناه رجع اليه بعد العقوبة بالمغفرة العقاب التوبة لفظ يكون للرب
وللعبد واصله الرجوع ويختلفان في الصلة فيعدى في العبد بالى اي رجع
عن هربه الى ربه وفي الرب بعلى اي رجع وعاد عليه بالاحسان انه هو التواب
الرحيم جملة استئنافية وقرئ بالفتح للتعليل وقدم التواب لمناسبة فتاب عليه ولانه
موافق لختم الفواصل بالرحيم ولانه لما كان قبول التوبة من ازالة العقاب يقتضي

بني

معناه رجع العبد من المعصية
الى الطاعة واذا وصف بها
الرب يكون م

حصول الثواب وكان الثواب من جهة نعمته ورحمته وصف نفسه مع كونه توابا بانه
رحيم وفي تعقيب الفصل للاشعار بان التوبة نعمة من الله وليست من العبد لئلا
يعجب التائب بل يجب عليه الشكر للتوبة **قلنا اهبطوا منها جميعا** كرره للتاكيد
ولانه نيط بكل حكم غير حكم الآخر تعلق بالاول عداوة بعضهم لبعض وبالثاني
اتيان الهدى والتكليف **قال** الطيبي وهذا هو الاسلوب المسمى في البديع
بالترديد **قال** الامام ولان آدم وحوا لما اتيا بالزلة امرا بالهبوط فوقع في
قلوبهما انه لا هبوط بعد التوبة فاعيد الامر بالهبوط ليعلما ان الامر باق
بعدها وقيل الاول امر بالهبوط من الجنة والثاني من السما **فاما ياتينكم مني هدى** شرط
جوابه الشرط الثاني وجوابه **فمن تبع** في طه فمن اتبع لان اتبع كان جاعة يحتمل ان يفعل
الامر مرة مخالفة للفعل قبله والفعل يشعر بتجدد الفعل وسيا في قصة آدم هنا
لفعله فجي بمن تبع وفي طه جا بعد قوله ولم نجد له عزما وعصى آدم ربه فغوى فناسب
من اتبع اي جدد قصد الاتباع ولذلك قال بعد تبع فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وبعد اتبع فلا يضل ولا يشقى **هداي** قرئ هدي بقلب الالف يا وادغامها
في يا المتكلم وهي لغة فاشية في هذيل واوقع الظاهر موقع المضمر للاهتمام به
وباتباعه وجي به مضافا وسبيله ان يكون بال نحو فعصى فرعون الرسول
لان الاضافة تعرف كال وتزيد افادة التشريف **البيضاوي** جي بان التي
للشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا فابرز في معرض
الشك **فلا خوف عليهم** اي فيما يستقبلونه من العذاب **ولا هم يحزنون** اي على ما
فاتهم من الدنيا فالخوف لامر مستقبل والحزن لامر ماض قال الراغب الخوف توقع مكروه
عن امارة مظنونة او معلومة ضد الامن ويستعمل في الامور الدنيوية والدينية
والحزن خشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم ضد الفرح وقيل اصل الحزن غلظ الهم
من الحزن وهو ما غلظ من الارض وقال بعضهم جمعت هذه الجملة على اختصارها
شيا كثيرا من المعاني لان قوله فاما ياتينكم مني هدى دخل فيه الانعام بجميع الادلة
العقلية والشرعية وجمع قوله فمن تبع هداي تامل الادلة والنظر فيها واستنتاج
المعارف منها والعمل بها وجمع قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جميع ما اعد الله تعالى
لاوليائه لان زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات وزوال الحزن يقتضي
الوصول الى كل اللذات والمرادات وقدم عدم الخوف على عدم الحزن لان زوال
ما لا ينبغي مقدم على طلب ما ينبغي فان قيل كيف نفي الخوف عنهم والاحاديث ناطقة
بان المتقين حتى الانبيا يخافون في الآخرة ويخشون فيقول كل منهم نفسي نفسي اجيب
بانه لا اشكال على القراة المشهورة اذ لا تفيد الاستغراق وقرئ الخوف بالفتح على
افادته تنزيلا للخوف الذي يعقبه الامن الدائم منزلة العدم وفي قوله عليهم اشارة الى

ان الخوف الذي يحصل لهم من اهوال الموقف يسير بالنسبة الى ما يحصل للكافرين فلا
يستعلي عليهم ولما وعد المتبع بعدم الخوف والحزن عقبه بابعاد الذين كفروا وكذبوا
في قوله **والذين كفروا الآية** وقيل وقد حذف من الكلام الاول ما اثبت في الثاني
ومن الثاني ما اثبت في الاول والتقدير فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
ولا حزن وهم اصحاب الجنة والذين كفروا وكذبوا يلحقهم الخوف والحزن وهم اصحاب
النار وهذا يسمى في البديع بالاحتباك وحذف الآخر من اولئك استغنا بوجوده
في الجملة الاولى كراهة توالي مثلين في اللفظ فيما ليس بلازم **الطيبي** كان من
حق هذا الكلام ان يذكر قبل ذكر التوبة لانه وقع عند الامر بالهبوط والتوبة انما
صدرت وهو على الارض لكن قدمت للدلالة على مزيد الاهتمام بشانها وللايذان
بان الذنب مما يجب ان يحترز منه وعلى تقدير صدوره يجب ان يعقب بالتوبة ولا
يمهل فالتقدير قلنا ذلك فهبط آدم فتلقى فتاب **الامام** قرن هذا الكلام بالامر
بالهبوط انعاما على آدم وحوا كانه قيل ان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت
عليكم بما يردكم الى الجنة **قال** بعضهم وفي هذا شبه التفات للانتقال
من نائب الى نائب **يا بني اسرائيل** لما اقام سبحانه دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقب
ذكر الانعامات العامة عقبها بذكر الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود كسرا
لعنادهم ولان الخطاب في السورة معهم لانها نزلت بالمدينة وهم بها فذكرهم اولا
بذكر النعم على سبيل الاجمال وامرهم بالوفا بالعهد الذي اخذه عليهم في محمد صلى الله عليه
وسلم والايمان به وبكتابه ونهاهم عن الكفر به والاستبدال به وخلط الحق بالباطل
وكتم الحق وامرهم بالصلاة والزكاة اللذين هما اشرف العبادات ووبخهم على مخالفة
قولهم فعلهم وارشدهم الى ما يعينهم على تهذيب انفسهم ثم ذكرهم ثانيا على سبيل الاجمال
ايضا تنبيها على غاية غفلتهم ثم اردف هذا التذكير بالترهيب البالغ ثم شرع
بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل وهذا هو النهاية في حسن الترتيب
اذكروا قرئ اذكروا بالتشديد مبالغة **نعمتي** قال بعض الائمة واذكروا في نعمتي
على تنسها لان عبيد المنعم افضل من عبيد النعم وهذا افضل عبيد النعم كثير وعبيد المنعم
قليل والذكر بالكسر والضم بمعنى ما باللسان وما بالقلب وقيل المكسور باللسان
والمضموم بالقلب وضد الاول الصمت وضد الثاني النسيان **التي انعمت عليكم** جرى على
قاعدة العرب من نسبة ما للآباء الى الابناء يقولون لبعضهم هزمناكم يوم كذا اي
هزم آباؤنا آباءكم **قال** الفرزدق وبينا بيت الله نحن ولاته يريد
ان آباءه في القديم ولوه **واوفوا بعهدي اوف بعهدكم** قرا الزهري اوف
بالتشديد **قال** ابن جني وهو ابلغ من المخفف فكانه قال اوفوا بعهدي ابالغ
في توفيتكم وهو ضمان منه سبحانه ان يعطي الكثير عن القليل كقوله من جا بالحسنة

فلا غير امثالها قال بعضهم يقال في العهد وفى ووفى واوفى وفى الكيل اوفى لا غير
قال ابن جريج هو العهد الذي اخذه عليهم في المائدة في قوله ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل الاية اخرجه ابن جرير وقال بعضهم اطلاق العهد على وعد الله تعالى
من مجاز المقابلة على حد وجزاء سيئة سيئة والعلاقة ان وعده لا يخلف فاشبه الملتزم
كالعهد **وإياي فارهبون** مؤكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لما فيه من تقديم
الضمير المنفصل وتاخير المتصل والفاء الموجبة معطوفا عليه تقديره وارهبوا اياي
وان احدهما مقدر والاخر ظاهر وما في ذلك من تكرار الرهبة **وآمنوا بما انزلت**
من عطف الخاص على العام للاهتمام بشانه والحث عليه **ولا تكونوا اول كافر به**
اي من اهل الكتاب والا فقد تقدمهم كفار العرب به او الضمير لما معكم **ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا** استعارة للاستبدال كما تقدم في اشتروا الضلالة بالهدى
وذكر الثمن ترشيح وقليلا للشناعة عليهم وانهم استبدلوا الخسيس بالنفيس **وإياي
فاتقون** قريب من قوله وإياي فارهبون والفرق ان الرهبة عبارة عن الخوف
واما الاتقاء فانما يحتاج اليه عند الجزم بحصول ما يتقي منه فكانه تعالى امرهم بالرهبة
لان جواز العقاب قائم ثم امرهم بالتقوى لان تعين الخطايا قائم وقيل الفرق
ان الرهبة مقرون بها وعيد بالغ الراغب الرهبة مخافة مع تحرز واضطراب
ما لـ وهي دون التقوى فلما خاطب الكافة عالمهم ومقلدهم وحثهم على النعمة
التي يتشاركون فيها امرهم بالرهبة التي هي مبادي التقوى ولما خاطب العلماء
منهم وحثهم على مراعاة آياته امرهم بالتقوى التي هي منتهى الطاعة **ولا تلبسوا الحق**
... الخبث والجزم وقرئ يكتمون **وآتوا الزكاة** الراغب الايتاء الاعطاء وخص
دفع الصدقة في القرآن بالايتاء **واركعوا مع الراكعين** صرح بعد ذكر الصلاة لان
اليهود لا ركوع في صلاتهم او حثا على الطاعة **أتأمرون الناس بالبر وتنسون
أنفسكم** الناعلة ان المنكر بالهمزة عيب ان يليه وقد اشكل على ذلك في هذه الآية
فانه ان كان المنكر امر الناس بالبر فقط كما تقتضيه القاعدة المذكورة فمشكل
لان امر البر ليس مما ينكر او نسيان النفس فقط فكذلك لانه يصير ذكر امر الناس
بالبر لا مدخل له او مجموع الامرين لزم ان يكون العبادة جزء المنكر او نسيان النفس
بشرط الامر ورد ان النسيان ينكر مطلقا ولا يكون نسيان النفس حال
الامر اشد منه حال عدم الامر لان المعصية لا تزداد بشناعتها بانضمامها الى
الطاعة ما اكثر العلماء على ان الامر بالبر واجب وان كان الانسان ناسيا لنفسه
ذكرنا في الجواب انه يحتمل ان يكون هذا المقرر عندهم في التوراة ان الامر
شرطه الامتثال وانه اذا لم يفعل ما امر به يكون امره غير معتد به ولا يثاب
عليه وان كان شرعنا بخلافه فوردت الآية على نسق ما عندهم وجواب ثان

فهو ان البر المذكور هو الايمان بمحمد ولما لم يؤمنوا لم يكن امرهم به طاعة لان شرطها
الايمان وطاعات الكافر غير محسوبة له فانتفى بذلك الاشكال لا انكار عند
ضم الطاعة وقال البيضاوي المقصود من الآية حث الواعظ على تزكية النفس
والاقبال عليها بالتكميل لا منع الفاسق من الوعظ فان الاخلال باحد الامرين
المطلوبين لا يوجب الاخلال بالآخر والبر اسم جامع لجميع انواع الخير كما ان الفجور
اسم جامع لجميع انواع الشر وفي قوله تنسون استعارة تبعية اي تتركونها
كالشيء المنسي والا فالانسان لا ينسى نفسه وفائدة الاستعارة المبالغة والايذان
بانهم تركوا تزكية انفسهم ترك المنسي الذي لا يخطر بالبال **وأنتم تتلون
الكتاب** فرق بعضهم بين القراءة والتلاوة بان القراءة اصلها جمع الحروف
والتلاوة اصلها اتباع الحروف ولا يستلزم الجمع الاتباع **واستعينوا** عطف
على الاوامر قبله وجملة اتامرون الآية كالمعترضة **بالصبر** هو حبس النفس على ما تكره
فيشمل الصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلايا فهو من جوامع الكلم **والصلاة**
افردها بالذكر تعظيما لشانها واستجماعها ضروبا من الصبر ومصداق الاستعانة
بها على الطاعة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الراغب الصلاة جامعة
للعبادات وزائدة عليها لانها لا تصح الا بذل مال فيما يطهر به البدن ويستر
به العورة وذلك يجري مجرى الزكاة وبامساك في مكان مخصوص وذلك يجري مجرى
الاعتكاف وامساك عن المفطرات من الاكل والشرب والجماع وذلك يجري مجرى
الصوم والتوجه الى الكعبة يجري مجرى الحج وذكر الله ورسوله يجري مجرى الايمان
ومجاهدة في دفع الشيطان يجري مجرى الجهاد وفيها ما ليس في شيء من العبادات
الاخر من وجوب القراءة واظهار الخشوع والركوع والسجود ومناجاة الرب
وعدم الالتفات لانه قائم بين يدي الحضرة الالهية غير ذلك ولذلك قال عليه السلام
وجعلت قرة عيني في الصلاة ولا شيء من العبادات يقتل بتركها بعد الايمان
سواها وقيل المراد بالصلاة الدعاء والالتجاء وقيل المراد بالصبر الصوم ومنه
قيل لرمضان شهر الصبر وقدم على الصلاة لان تاثيره في التخلية عما لا ينبغي
وتاثيرها في التحلية بما ينبغي والتخلية متقدمة على التحلية **وإنها لكبيرة** الضمير
للاستعانة وقيل للصلاة وقيل لها وللصبر تنزيلا لهما منزلة الجمع لعدم التنافي
وقيل التقدير واستعينوا بالصبر وانه لكبيرة والصلاة وانها لكبيرة فاكتفى
بذكر احدهما **إلا على الخاشعين** الخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخضوع فا للين
والانقياد الراغب الخشوع ضراعة واكثر ما يستعمل فيما يوجد في الجوارح و
الضراعة اكثر ما يستعمل فيما يوجد في القلب وقال الليث الخشوع قريب
من الخضوع الا ان الخشوع في القلب والبصر والصوت والخضوع في البدن

ومقدار خشع على السكون وقال بعضهم الخاشع من حصل في نفسه هيئة ظهر عنها
في جوارحه سكون وتواضع لله وقال الزجاج الخاشع الذي يرى عليه اثر الذل
والخضوع الذين يظنون فيه اطلاق الظن على اليقين مجازا وقرأ ابن مسعود يعلمون
انهم ملاقوا ربهم قال الواحدي الملاقاة والقاصي ذكرا في القرآن فالمراد بها
البعث في الاضافة الى الرب واضافته اليهم من الاشعار بالبر والاحسان ما لا يحصل
لو اضيف الى غير الرب او لم يضف رب اليهم يا بني اسرائيل الآية اعاد التذكير بالنعمة
توكيدا وقرنه بنعمة عظيمة وهو تفضيلهم على عالمي زمانهم واتقوا يوما اي عذاب يوم
لان اليوم لا يتقى قال القشيري حذر الله الخواص بصفته فقال ويحذركم الله نفسه
عليكم وخواص الخواص بنفسه فقال ويحذركم الله نفسه والعوام بقوله واتقوا يوما
واتقوا النار لا تجزي اي فيه وقرئ بضم اوله والهمز فالاول لغة الحجاز والثاني
لغة تميم وقيل الاول بمعنى تقضي تكافئ والثاني بمعنى تغني نفس عن نفس شيئا في
تنكير الثلاثة من التخويف ما لا يخفى ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل
قدم هنا قبول الشفاعة على اخذ الفدية وعكس فيما سيأتي تفننا وقال ابن جماعة الضمير
في منها في هذه الآية راجع الى النفس الثانية فكانه بين هنا ان النفس الشافعة الجازية
عن غيرها لا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل عنها لان الشافع يقدم الشفاعة
على بذل العدل فقدم الشفاعة وبين في الآية الآتية ان النفس المطلوبة بجرمها لا
يقبل منها عدل عن نفسها ولا تنفعها شفاعة شافع فيها وقدم بذل العدل للحاجة
الى الشفاعة عند رده ولذلك قال هنا لا تقبل منها شفاعة وهناك ولا تنفعها
شفاعة لان الشفاعة انما تقبل من الشافع وانما تنفع المشفوع له الرازي الوجوه
التي يتلقى بها المكاره ويتداوى بها الشدائد اربعة فان الانسان اذا دفع الى
كريهة ذب عنه اصدقاؤه وعشيرته بما في انفسهم من الحمية كالذب الوالد عن
ولده بما بحونه وحلاوه فان لم يكن لهم يد بالمدافعة ولا حيلة على المجالسة عادوا
بوجوه الضراعة وصنوف المسئلة والشفاعة فحاولوا بالملاينة ما قصر عنه
بالمخاشنة فان لم تغن عنه ذلك شيئا لم يبق بعدها الا الفدا بالمال والولد من
الاسر فان لم تغن عنه الثلاثة تعلل بما يرجوه من نصر في الآجل واذا اله في اكاته
فذكر تعالى في هذه الآية على هذا الترتيب فبدأ بانه لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ومن ثم بانه لا تقبل منها شفاعة ثم ثلث بانه لا يؤخذ منها فدا ثم ختم بانهم لا ينصرون
قطعا لرجائهم اذا ما اطمعهم وقال صاحب المناجاة لما كانت عادة العرب
تختلف في دفع المكاره فمنهم من يقدم الشفاعة على الفدا ومنهم من يقدم الفدا
على الشفاعة لان في نفسه زيادة ابا سلك في الآية الاولى طريقة اولئك وفي
الثانية طريقة الآخرين قال ابن عادل فلذا فيها سلك العكس والتبديل وهو

من

من محسنات الكلام قال وهذا الوجه يطرد في جميع ما وقع فيه تقديم
وتأخير انتهى قلت ولو جعل الضمير في قوله منها ولا تقبل منها شفاعة للنفس
الاولى الجازية وفي قوله ولا يؤخذ منها عدل للنفس الثانية المجزي عنها لكان
وجها حسنا ويكون فيه لف ونشر مرتب وذكر هنا مع الشفاعة القبول وفي
الآية الاخرى النفع ومع العدل الاخذ وهنا القبول نفيا للشيء
بطريق نفيه اتقا اصله واتقا ما يترتب عليه فالنفع والاخذ مرتبان على
القبول ويدل بنفي القبول في الموضعين لانه الاصل وجمع ضمير النفس باعتبار النفوس
الكثيرة التي دلت عليها النفس المنكرة وذكره باعتبار معنى العباد والاناسي وقرئ
ولا تقبل بالتحتية مبنيا للفاعل وشفاعة بالنصب وفيه التفات والعدل بالفتح
ما يعدل به الشيء من غير جنسه والنصر اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر
قال الواحدي المعونة قد تكون على صناعة والنصر لا يكون الا مع منازعة
وفي الآية نوع طباق فان في الشفاعة تذللا وفي المناصرة تعززا واذ نجيناكم من
آل فرعون شروع في تفصيل تلك النعمة لانه ابلغ في التذكير واعظم في الحجة
ونعمة الانجاء اول النعم بالنسبة لما بعدها فقدمت وقرئ انجاكم ونجيتكم وآل
اخص من الاهل من حيث انه لا يقال الا لذي الخطر كالانبياء والملوك والعقل فلا يقال
آل سكة ولا آل الدنية ولهذا يقال اهل العلم لا آل العلم واهم حجة تحويله للعراقة والا
على وفرعون قال المسعودي لا يعرف له تفسير بالعربية وقيل انه بلغة
القبط التمساح يسومونكم الراغب السوم الذهاب في ابتغا الشيء فهو لفظ لمعنى مركب
من الذهاب والابتغا فاجري مجرى الذهاب في سامت الابل ومجرى الابتغا في سامه
ذلا سوء العذاب عبر بسوء لانه اسم جامع لجميع الآفات والداء وكل مستقبح يذبحون
وفي سورة ابراهيم قال ويذبحون قال القرا الموضع الذي طرحت منه الواو
تفسير لسوم العذاب والموضع الذي فيه الواو يبين انه قد مسهم من العذاب
غير الذبح من الاستخدام في الاعمال الشاقة فكانه قال يعذبونكم بالذبح وبغير
الذبح وخص ذلك بما في سورة ابراهيم لانه من قول موسى لهم يذكرهم بايام الله كما
امره الله فناسب ذلك الاطناب وقرئ يذبحون مخففا ويقتلون مشددا
ويستحيون نساءكم اصله للبالغات واطلق هنا على الاطفال الانات تسمية
للشيء باسم ما يؤول اليه فان البنات لما لم يقتلن وصلن الى حد النسا وجه البلاء
فيه ان ابقاهن للاسترقاق وان خدمه لا لمحنة عظيمة وفي ذلكم بلاء البلاء
مشترك بين النعمة والنقمة ويصلح ان يشار فيه الاول تكون الاشارة الى الانجا وفي
الثاني الى السوم واشار الراغب الى انهما معا مرادان هنا من باب استعمال المشترك
في معنييه فانه قال في قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم راجع الى المحنة التي في قوله



يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم والى المنجية التي هي انجاكم وكذا قوله وابناؤه
من الآيات ما فيه بلاء مبين راجع الى الامرين كما وصفكما به بقوله قل هو للذين
آمنوا هدى وشفاء الآية قال وسمي الغم بلاء من حيث انه يبلي الجسم وإذ فرقنا
قرأ الزهري بالتشديد قال ابن جني ومعناه جعلناه فرقا ومعنى المخفف شققنا
وأغرقنا آل فرعون المراد فرعون وآله فاكتفى باضافة الثاني الى الاول
وهو من قول كلام العرب سمع راكب الناقة طليحان اي الناقة وراكبها طليحان
وانتم تنظرون الى انطباق البحر عليهم لبعد حزرهم منه ومن غريب ما قيل
فيه انه متصل بقوله ويستحيون نساءكم على التقديم والتأخير وإذ واعدنا
وفي قراءة واعدنا وجه المفاعلة فيه ان الله وعده الوحي وموسى وعده المجيء
الى الميقات وقيل هي هنا من جانب واحد وقيل الوعد من الله وقبوله
من موسى منزل قبول الوعد منزلة الوعد وقيل واعد من الموعد الا انه فيه
واعد ولا يشترط فيه التفاعل بخلاف الوعد والوعيد اربعين ليلة ذكر الليل
دون النهار لان شهور العرب وضعت على سير القمر وهو ليلي والاول الشهر الليلة
فصارت الايام تبعا وقال النقاش لانه قد امر بصيام الاربعين فانما الليل
تبعا ان قيل اصراره لا يفطر فيه لكون الصيام واصلا وفيه بعد وقال
غيره خص الليل بالذكر لانه اشرف من النهار ولانه محل خلوة العالم والملوك واسرارهم
وقرئ اربعين بكسر الباء لغة ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده اي بعد مضيه
وانتم ظالمون بوضعكم العبادة في غير موضعها ثم عفونا عنكم العفو محو الذنب
الراغب العفو القصد لتناول الشيء عفوت عنك كأنه قصد ازالة ذنبه صارفا
عنه فالمفعول في الحقيقة متروك وعن متعلق بمضمر فالعفو هو التجافي عن الذنب
وقال غيره العفو يطلق بمعنى الترك وبمعنى الدروس وبمعنى السهولة وعفو
الذنب فيصح رجوعه لكل منها وقال ابن عطية لا يستعمل العفو بمعنى الصفح
الا في الذنب وإذ آتينا موسى الكتاب اي التوراة والفرقان اي الفارق
بين الحق والباطل وهو صفة للكتاب فعطفه عليه مرادا بهما التوراة من باب
الكرام التي يراد بها تعدد الموصوف والواو هي الداخلة بين الصفات للاعلام
باستقلال كل منها وقيل اريد به الشرع الفارق بين الحلال والحرام فعطفه
على الكتاب من باب التجريد ومن الغريب قول الفراء ان القرآن وان التقدير
ومحمدا الفرقان وقال الزملكاني التقدير وآتيناكم الفرقان لعلكم تهتدون
بما آتيناه من الكتاب الراغب كل موضع ذكر في وصف الكتاب آتينا فهو ابلغ
من كل موضع ذكر فيه اوتوا لان اوتوا قد يقال اذا اوتي من لم يكن منه
قبول وآتيناهم يقال فيمن كان منه قبول الحوفي لا يتأتى من الا عظم

راكب الناقة

في اثبات

في اثبات مفعوله وفي الختم سيعتذرون مناسبة للخطاب لا يكلف الله كلها بحسنه
تهتدي وإذ قال موسى الآية هو من جملة النعم لان التنبيه على ما يخلص به من
الذنب العظيم نعمة واسند الى موسى وحيه بلفظ الغيبة بخلاف ما قبله وبعده
لما تضمنه من الامر بقتل انفسهم وفي الخطاب بذلك الحال تذكر النعمة غضاضة يا قوم
فيه تلطف داع لقبول ما يلقى بخلاف ما لو نودوا باسمهم والنبي يتغير فيح ما صدد ذهم فتوبوا
الراغب التوبة ترك الذنب على اجمل الوجوه وهو ابلغ ضروب الاعتذار فان الاعتذار
على ثلاثة اوجه اما ان يقول المعتذر لم افعل او يقول فعلت لاجل كذا او فعلت واسأت
وقد اقلعت ولا رابع لذلك وهذا الاخير هو التوبة الى قال الراغب ذكر الى لتعد
التوبة تقتضي الانابة بارئكم البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ومميزا
بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة الطيبي ذكر البارئ
هنا دون سائر الصفات مناسب للمقام لان معناه الذي خلقكم ابرياء من
التفاوت وهو نعمة جسيمة وكان من حق الشكر ان يخصوا من له هذه الصفة
بالعبادة دون غيره فلما عكسوا هذه القضية وكفروا هذه النعمة بان عبدوا ما
هو على صلة اي من لا تمييز له اصلا استرد منهم تلك النعمة بان امروا بالقتل وفك ذلك
التركيب الانيق فاقتلوا بدل من فتوبوا لان التوبة نفس القتل وقرأ قتادة فاقتالوا
من الاستقالة وقرئ فاقيلوا من الاقالة ذلكم اشارة الى المصدر المفهوم من
فاقتلوا او من فتوبوا او منهما فتاب عليكم الثاني من قول موسى على حذف اي فان
فعلتم ذلك فقد تاب او من كلامه تعالى على طريق الالتفات من التكلم الى الغيبة في
تقدير فعلتم ذلك فتاب وهذا هو الحسن لن نؤمن لك ضمن معنى نقر فعدي
باللام والغوا في النفي حيث عبروا بلن جهرة اي عيانا استعارة لان الجهر
لا يستعمل الا في الصوت فشبهوا احدهما بالآخر ونصبه على المصدر والمراد
رؤية جهرة لئلا يتوهم ان المراد بها بالرؤية العلم والتخيل على ما يراه النائم قاله
الاصبهاني الراغب الجهر يقال لظهور الشيء بافراط حاسة البصر او حاسة السمع الكرماني
قيل هو متعلق بالقول اي قلتم مقالة جهرة اي جهرتم بتلك المقالة وقرئ
جهرة بفتح الهاء على انه مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة الصاعقة قرئ الصعقة
فقيل هما بمعنى وقيل الصعقة ما يحدث للانسان عن الصاعقة وهي اسم لكل مهول
من نار او زلزلة او رجفة ثم بعثناكم قيل البعث اثارة الشيء من محله ويطلق على
النشر والارسال وحمله صاحب التجريد لعله مشترك وموارد الة ما عليس
عن العرف وظللنا عطف على بعثناكم الغمام السحاب لانه يغم السماء اي يسترها
وكل ساتر شيئا فقد غمه وقال مجاهد هو ابرد من السحاب وارق واصفى
كلوا اي وقلنا فحذف اختصارا للدلالة الظاهرة عليه وما ظلمونا فيه حذف

اي ذكروا هذه النعمة **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** ونعت لكن هنا احسن موقع
لتقدم النفي عليها ومجي الايجاب بعدها وطباق الكلام ان يثبت ما بعد لكن على نحو ما
نفي قبلها ودخلت كان هنا مشعرة بان ذلك شانهم ولي انفسهم ويظلمون مضارع اللفظ
ماضي المعنى وقدم معموله عليه لمراعاة رؤس الاي والاعتنا باخبار من حل به العقا
والاختصاص الزملكاني دخلت كان هنا لانه اخبار عن قوم مضوا اولم يدخل في
قوله ولكن انفسهم يظلمون في آل عمران لانه ضرب مثل لما ارجاعه لقوم حاضرين
زاد صاحب المناجاة مع قوله في اول الاية قوم ظلموا انفسهم فلايات آخره بصيغة
كان ليحصل فيه النوع البديعي المسمى بالعكس والتبديل **واذ قلنا** في الاعراف واذ قيل
لهم لان آية البقرة في معرض تعداد النعم فناسب نسبة القول اليه تعالى بخلاف
آية الاعراف فانها افتتحت بتوبيخهم فناسب ذلك واذ قيل لهم ولهذا ذكر هنا رغدا
لان النعم به اتم وحذفه هناك وقدم هنا ادخلوا الباب سجدا والى خطاياكم لانه جمع
كثرة وهناك خطيئاتكم وهو جمع سلامة واصله للقلة والاول اليق بقلنا وبتعداد
النعم وزاد الواو في وسنزيد لدلالتها على الجمع بينهما وشدة الاتصال والملائمة
وحذفها هناك قطعا واستينافا فكانه قيل وما بعد الغفران فقيل سنزيد المحسنين
ادخلوا هذه القرية فكلوا وفي الاعراف اسكنوا هذه القرية وكلوا وتقدم وجهه
قربنا **رغدا** قال صاحب المناجاة حذف من الاعراف لان فيها اسكنوا والسكون
مشعر بالراحة فلم يحتج الى التنصيص عليه ولان سورة الاعراف اقدم من البقرة فكا
محلا للايجاز قال وهذه القاعدة مستمرة في سور القرآن كثيرا وقد تعكس فيوتى
في الاخير بالزيادة ويترك في الاطول لرعاية التسوية او غيرها من المقتضيات قال
ومن القاعدة زيادة الواو هنا وتركها هناك ومن عكسها زيادة منهم هناك رعاية
لعكس القاعدة فانه من الوجوه المحسنة للكلام ايضا **وقولوا حطة** خبر مبتدا محذوف
اي مسئلتنا حطة واصله النصب وقرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت
لتعطي معنى الثبات كقوله فصبر جميل الكرماني اخرت هذه الجملة هنا عن وادخلوا
الباب **سجدا** لتصدر الاية بادخلوا فيبين كيفية الدخول بخلاف آية الاعراف
فانها صدرت باسكنوا ووجهه الامام بان القصة اذا نقلت من لسان الى آخر
جاز التقديم والتأخير فيه في الصورتين على ذلك فانه من نقل المعنى بخلاف ما اذا
كان الغرض حكاية اللفظ **نغفر** قرئ على البنا للمفعول بالياء والتاء وعلى البنا للفاعل
بالنون والياء وفيه على الاخيرة التفات **خطاياكم** قرئ خطاياكم وخطيئتكم **وسنزيد
المحسنين** قال ابن عباس اي من كان منكم محسنا كانت تلك الكلمة قربة له ومغفرة
ومن كان مسيئا كانت سببا في زيادة ثوابه اخرجه ابن جرير قال في الكشاف اخرج المعطوف
والمعطوف عليه وهما نغفر وسنزيد مع متعلقيهما مخرج الشرط والجزاء اعلاما ان كلا منها

جو

جواب للامر وهو قولوا وان كان الثاني غير مجزوم قال الطيبي فظهر من هذا ان في
الاية الجمع والتفريق فالاول في قوله وقولوا حطة جمع المرتقبين المسي والمحسن
معا في هذا القول المخصوص والثاني في قوله نغفر وسنزيد **فان قلت** كيف عطف
وسنزيد على نغفر وهو مجزوم اجاب عنه البيضاوي بانه اخرجه عن صورة الجواب
الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه تعالى
يفعله لا محالة **قال** الطيبي اراد ان الزيادة اذا كانت من محض الله كانت
اعظم مما اذا كانت مسببة من فعلهم وقال بعضهم عطفت جملة وسنزيد هنا باعتبار
ترتبها على الجملة قبلها وترك العطف في الاعراف باعتبار اقتضائها الاخبار المطلق
وتجيئها على اسلوب الايجاز ولذلك لم يذكر رغدا وقال **...** غيرهم وقال **...**
الرازي ذكر الواو هنا يفيد كون مجموع المغفرة والزيادة جزاءا واحدا لمجموع الفعلين
وتركها هناك يفيد توزيع كل من الجزائين على كل من الشرطين فنغفر لقولوا اشارة الى
التوبة وسنزيد لادخلوا اشارة الى العبادة وحاصله انه افاد بالعطف ترتب
المجموع على المجموع من غير بيان ما لكل وافاد بتركه ما لكل بخصوصه **فبدل الذين
ظلموا** زاد في آية الاعراف منهم ليكون مقابلة قوله في اول القصة ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق فيساوي آخر الكلام اوله ويطابق عجزه صدره فيكون الظالمون
من قوم موسى بازاء الهادين منهم واما هنا فلم يذكر منهم فرقة هادية لذكر امة
عادية مبدلة متبجحة بقوله اذكروا النعم الى ما عدده عليهم من الانعام الى ان اتى
الى قوله فبدل الذين ظلموا فلم يحتج الى منهم لانه لا يتقدمه ما تقدم في سورة الاعراف
مما يقتضيها مع العلم بان المراد الذين ظلموا من المخاطبين بقوله ادخلوا الان وذلك
المعنى الخاص المقتضي لزيادة منهم هناك مفقود هنا وحذف مفعول بدل المتعدي
بالباء اي الذي قيل لهم او لا حذف وضمن بدل معنى قال وفي الاية الكشف انهم كما بدلوا
القول بدلوا الدخول سجدا فدخلوا يزحفون على استاههم كما ثبت في الصحيحين
فانزلنا في الاعراف فارسلنا لان لفظ الرسول والرسالة كثرت في الاعراف
فجاء ذلك موافقا ولان الارسال اشد وقعا من الانزال وهو مناسب لان الاعراف
دون البقرة المسوقة لتعداد النعم **على الذين ظلموا** اوقع الظاهر موقع المضمر
زيادة في تقبيح امرهم وايذانا بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وفي الاعراف عليهم على
الاصل ونكتة التعبير ان هذه الاية مبنية على التفخيم لافتتاحها باسناد الفعل
الى الله كما تقدم **رجزا** قرئ بضم الراء لغة في الضعدات وهو اسم للعذاب قال
بعضهم واصل الرجز تتابع الحركات فحقيقة الرجز العذاب المقلقل لشدته ثم قلقلة
شديدة متتابعة الراغب اصل الرجز الاضطراب والرجز هنا الزلزلة **بما كانوا
يفسقون** في الاعراف يظلمون وهو تفنن قال صاحب المناجاة وخص هذه الاية

بلفظ الفسق كراهة التكرار لتقدم ذكر الظلم فيها مرتين وقال ابن جماعة آية الاعراف مسوقة للتوبيخ كما تقدم والظلم اشد من الفسق فناسب ختمها به وحاصل الخلاف فيه الآتيان اص عشر شيئا الطيبي موضع كان في هذا الموضع من قال الراغب كان ما استعمل من جنس الشيء متعلقا بوصف له موجود فيه تنبيه على ان ذلك الوصف لازم له قليل الانفكاك عنه وقرئ يفسقون بكسر السين لغة

وإذ استسقى موسى لقومه قال ابن عباس كان ذلك في التيه اخرجه ابن جرير قال الطيبي وهو قبل دخولهم القرية فدل على ان الآيات واردة على التقديم والتأخير فيحتمل ان تقول ما بالها ما نصت على ترتيب الواقعة قال والجواب عنه ما ذكره الزمخشري في قوله واذ قتلتم نفسا فادارأتم كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص لتعديد ما وجد منهم فكذا منا لو قصت مقصلات مرتبا كانت كقصة واحدة فالتفريق دل على ان القصد تعديد النعم وتقريعهم على كفرانها نعمة عقيب نعمة فانها وان كانت قصة واحدة لكنها نعم متعددة ومن ثم كررها لفظ اذ اي اذكروا وقت كذا نعمة كذا وصرح في بعضها بذكر موسى واعاده مرة بعد اخرى فانفجرت فيه حذف اي فضرب فانفجرت اشعر بحذفه وبالفاء الفصيحة الى الدلالة على ان المأمور لم يتوقف عن اتباع الامر فظهر اثره في الحال وعلى ان المطلوب من المأمور به الانفجار لا الضرب وقال بعضهم فيه حذف اكثر من ذلك والتقدير واذ استسقى موسى لقومه لما اذ عطشوا وسألوه فاجبناه فقلنا اضرب على حد قوله فارسلون يوسف وفي الاعراف فانبجست قال الراغب الانبجاس يقال فيما يخرج من شيء ضيق والانفجار فيما يخرج من شيء واسع وقال الكرماني الانفجار انصباب الماء بكثرة والانبجاس ظهور الماء وفي هذه السورة واشربوا فذكر بلفظ ابلغ وليس في الاعراف واشربوا فلم يبالغ فيه وقال غيره لما كانت آية البقرة في معرض تعداد النعم ناسب التعبير بالابلغ قال صاحب المناجاة ولما كان المستسقي هنا موسى ناسب الابلغ بخلاف الاعراف فان المستسقي فيها قوم موسى عشرة قرئ بكسر الشين وفتحها لغتان مشربهم مكان شربهم وقد قيل عنهم لتعين مشرب المنفعة التي هي سبب الحياة ذكره بعضهم كلوا على حذف وقلنا من رزق الله فيه التفات من قلنا وعبر به دون منه لذكر الاكل المتعلق بالمن والسلوى ولو قيل منه للخص بالمشرب ولا تعثوا العثي اشد الفساد وقيل الاسراع فيه ولما كان حصول الرزق بلا كلفة مظنة البطر عقب النهي عن الفساد يخرج لنا مما فيه حذف المفعول اي ماكولا مما تنبت الارض فيه الاسناد المجازي من بقلها قال الواحدي هو كل نبات لا يبقى له ساق اذا رعته الماشية وقثائها قرئ بضم القاف

كما حصت آية الاعراف بالظلم لكونه لذكر بستوفى بعد القصة فيها مرتين
م

لغة فيه وفومها قرأ ابن مسعود ثومها بالمثلثة اتستبدلون قرأ ابي اتبدلون بسكون الباء أدنى قرئ بالهمزة من الدناءة وهي الخسة قيل هو مقلوب من ادون اهبطوا مصرا اي من الامصار وقرأ الاعمش مصر بلا تنوين على ارادة البلد المعروفة سألتم قرئ بكسر السين لغة وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي الزمتهم ولصقت بهم لزوم الدرهم المضروب لسكته الراغب الضرب ايقاع شيء على شيء ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها كضرب الشيء باليد والعصا ونحوهما وضرب الارض بالمطر وضرب الدراهم اعتبارا بضربها بالمطرقة وقيل له الطبع لتأثير السكة فيه وبذلك شبه السجية وقيل لها الضريبة والطبيعة والضرب في الارض الذهاب فيها لضربها بالارجل وضرب الفحل الناقة تشبيها بالضرب بالمطرقة وضرب الخيمة بضرب اوتادها بالمطرقة وتشبيها بضرب الخيمة قال تعالى ضربت عليهم الذلة اي التحفتهم الذلة التحاف الخيمة بمن ضربت عليه ومنه استعير ضرب على آذانهم وضرب المثل هو من ضرب الدراهم وهو ذكر شيء يظهر اثره في غيره انتهى وقال القطب يحتمل ان يكون الاستعارة في الذلة بان شبهت بالقبة المضروبة على الشيء المحيط به من كل جانب ثم حذف المشبه به واثبت المشبه مقامه واثبت له الضرب على سبيل التخييل لتكون استعارة مكنية وتخييلية او في الفعل وهو ضربت بان شبه الصاق الذلة ولزومها بضرب الطين على الحائط ولزومه اياه ثم استعير اسم الضرب للالصاق الذلة فتكون مصرحة تبعية قال انما قال وضربت بالواو لا بالفاء تنبيها على انه ليس بمرتب على سؤالهم النوع الآخر من الطعام بل علل ما ذكر بعد في قوله ذلك بانهم الى آخره وقال ان الاب ركي وضربت عطف على محذوف اي فهبطوا فعتوا وافسدوا وضربت الماء ورد الذلة ابلغ من الذل وباءوا بغضب يقال باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته اي صاروا احقاء الكسائي اي انصرفوا به ولا يكون باؤا الا بشيء اما بخير واما بشر وقال غيره بمعنى مطلق الانصراف وقال غيره يختص بالشر الزجاج باؤا بغضب احتملوه الراغب اي حلوا مبوأ اي منزلا ومعهم غضب الله وقوله بغضب في موضع الحال استعمل باؤا تنبيها ان مكانه الموافق يلزمهم فيه غضب الله فكيف غيره من الامكنة واصل البواء مساواة الاجزاء في المكان خلاف النبو الذي هو منافاة الاجزاء وتنكير غضب للتعظيم ويقتلون النبيين بغير الحق الكشاف فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره ~~[illegible]~~ قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لان الانبياء لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئل اليهود وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرئ ويقتلون بالتشديد

حاشية الذلة النعوم عن اهل اليمن

ونبه المشاق وقرئ يقتلون بالتشديد النبيين قال انما نكّر الحق وفي آل عمران
بغير حق لان ما هنا اخبار عن قوم من اليهود بدليل ذلك بانهم كانوا يكفرون وما
في آل عمران للموجودين في عصر الرسول بدليل فبشرهم بعذاب اليم ولقوله ان
الذين يكفرون ويقتلون ولم يقل كفروا لانهم كانوا حريصين على قتل النبي صلى الله عليه
وسلم ولذلك سموه فجاء منكرا ليكون اعم فتقوى الشناعة عليهم والتوبيخ لهم وقال
الكرماني التعريف هنا للاشارة الى الحق الذي اذن الله فيه بقوله ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق وقوله بغير حق اي في معتقدهم ودينهم فكان بالتنكير اولى وقال
صاحب المناجاة القتل بالحق على وجهين احدهما ان يكون حقا للقاتل كولي المقتول
والثاني ان لا يكون حقا له ولكن صادر منه على وجه حق كالحاكم فالمعرف اشارة الى
الاول والمنكر اشارة الى الثاني الكرماني جمع النبيين هنا جمع سلامة لموافقة ما بعده
في الصابئين بخلاف سورة النساء حيث جمع فيها جمع تكسير ذلك بما عصوا كررت الاشارة
للتاكيد وليناطا بما لم ينط اولا قال الامام لخبر الذين وهو كقول من يعاقب
عبده عند آخر ذنب فعله هذا بما عصيتني هذا بما تجرأت على هذا الكذا فيعدد ذنوبه
تبكيتا له قال وبدأ في بيان علة ما انزل بهم من العقوبة بالاعظم فالاعظم عند الكريم
به وجحودهم نعمه ثم بقتل الانبياء ثم بالمعاصي الخاصة بهم ثم المتعدية وهو في نهاية
حسن الترتيب وقيل الاشارة اولا لقوله يكفرون الى القرب ولقوله يقتلون
الى البواء وثانيا بقوله عصوا الى الكفر وبقوله يعتدون الى القتل قال
ابو حيان فيه لف ونشر في الموضعين وهذا من محاسن الكلام ولم يقل واعتدوا
في مقابل عصوا للفاصلة والاعتداء تجاوز الحد في كل شيء ان الذين آمنوا الآية
عادته تعالى اذا ذكر وعيدا او وعدا عقبه بضده ليكون الكلام تاما فلما ذكر في
الآية السابقة حكم الكفرة من اهل الكتاب وما حل بهم من العقوبة اخبر في هذه
هذه الآية بما للمؤمنين من الاجر العظيم وذكر الطيبي ان هذه الآية هنا من باب الاستطراد
وكذا قوله وضربت عليهم الذلة الى آخره قال والدليل على الاستطراد العود الى خطاب
اليهود بقوله واذ اخذنا ميثاقكم والمراد بالذين آمنوا من اهل الكتاب السابقة وقيل
آمن في هذه الملة وقدم هنا النصارى على الصابئين لانهم كتابيون بخلافهم فقدم
الاشرف وعكس في آية المائدة تقديما للاقدم زمانا لان الصابئين قبل عيسى ورفعه
لنوي فيه نية التاخير لان التقديم بالشرف اولى من التقديم بالزمان ورتبت آية
الحج في الازمنة وختمت بالذين كفروا لانهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهم العرب ذكر
ذلك في درة التنزيل قوله فلهم اجرهم بقوله عند ربهم ليدل على عدم انقطاعه وكذا ما
تقدم في الفاتحة على دوامه لانهم لو جوزوا كونه منقطعا لاعتراهم الخوف والحزن
وقرأ ابو السماك والذين هادوا بفتح الدال فاعلوا من الهدى اي راموا ان يكونوا

من الهداة اي راموا ان يكونوا اهدى من غيرهم ولا هم يحزنون التصحيح فيه ليكون
من عطف الاسمية على الاسمية الذي هو افصح وانسب خذوا على حذف وقلنا ما
آتيناكم قرئ وآتيتكم واذكروا قرئ بالتشديد وقرئ تذكروا امر بالتشديد
ايضا توليتم اصل التولي الاعراض عن الشيء بالجسم ثم استعمل في الاعراض عن الامر
والدين الراغب التولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الاصغاء والائتمار اعلم ان
الله تعالى عدد عليهم من النعم عشرا عقبها بذكر قبائحهم واعتدائهم فذكر من ذلك
عدة انواع بعضها مما فعله الاوائل وبعضها مما فعلوه في زمان نبينا صلى الله عليه وسلم
اعتدوا الاعتداء تجاوزة الحد في الباطل كونوا قردة امر تسخير لا طلب خاسئين
صاغرين لعينة قاله فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا هو الاسم من نكل به اذا
فعل به ما ينكل او من نكلته اذا قيدته بالنكل اي القيد تشبيها للعقوبة به لجامع
المنع من الاعتداء وما خلفها من غريب ما قيل فيه انه في نية التقديم عطفا على
ضمير فجعلناها وموعظة للمتقين خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بذلك اتتخذنا
قرئ بالتحتية والفاعل الله هزوا اي مهزوا بنا من اقامة المصدر مقام المفعول
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين نفى عن نفسه ما رمي به على طريق الكناية واخرج ذلك
في صورة الاستعاذة استفظاعا لها ما هي مقتضى الحال كيف هي لان ما سؤال
عن الحقيقة وكيف عن حال الشيء وهو اللائق بالمقام لكن اتي بما لكون اسم البقرة مشتركا
في اللغة او لتوهم انها من جنس لا يعرف لغرابة امرها او استعير جواب كيف
لما او ما بمعنى كيف وجاء ما لونها على بابه لانه سؤال عن جنس اللون ذكر ذلك الزمخشري
وقال الكرماني اجمع المفسرون على ان ما في قوله ما هي بمعنى كيف وليس سؤالا
عن الماهية لا فارض الراغب هو المسن من البقرة سمي فارضا لكونه فارضا للارض
اي قاطعا لها او فارضا لما يحمل من الاحمال الشاقة وقيل لان فريضة البقر اثنان
تبيع ومسنة فالتبيع يجوز في حال دون حال والمسنة يصح بذلها في كل حال فسميت
المسنة فارضا لذلك فعلى هذا يكون الفارض اسما اسلاميا انتهى وقال غيره لانه
فرض سنه اي قطعه وبلغ آخر عمره ولا بكر قال الراغب هي التي لم تلد عوان
هو المتوسط بين السنين اي بين لفظ لا فارض ولا بكر لازالة اللبس وبقي احتمال كونها
عجلا او جنينا بين ذلك اصل بين ان لا يدخل الا على شيئين فصاعدا ودخل على ذلك
لانه وقع مشارا به الى اثنين ولم يثن لفظه على حد ما ذكرنا فيما تقدم وحسنه
كون اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها ليس على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء
الذي بمعنى الجمع الراغب بين موضع للخلل بين الشيئين ووسطهما ويستعمل ظرفا
ومصدرا ولا يستعمل الا فيما كان له مسافة او له عدد ما اثنان فصاعدا ولا يضاف
الى ما يقتضي معنى الوحدة الا اذا كرر نحو ومن بيننا وبينك حجاب ابو حيان الذي

ادنى الله ان في الآية حذف معطوف لدلالة المعنى عليه اي بين ذلك وهذا اي الفارض
والبكر على حد سرابيل تقيكم الحر فهو اكتفا **ما لونها** قرئ بالنصب مفعول يبين وما زائدة
فاقع لونها شديد الصفرة خالصها يقال اصفر فاقع واسود حالك وابيض ناصع واحمر
قاني واخضر ناضر الكشاف فان قلت هلا قيل صفرا فاقعة اي فائدة في ذكر
اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهو الصفرة فكانه
قيل شديد الصفرة صفرتها فهو من باب جد جده وقال الكرماني منهم من وقف
على فاقع ولما كان يقال اصفح الى علامة التانيث وجعل تسر خبرا لونها وانثه لاضافته
الى مؤنث على انه قرئ بالتحتية **تسر الناظرين** اي فرح الناظرين السرور ما سر به القلب
والفرح ما فرحت به العين قال عنترة وعترقته بالفعل لانه من الاعراض الحادثة
ذكر اللون بالاسم لانه من الاشيا الثابتة **ان البقر تشابه** ذكر الفعل لان البقر
اسم جنس والتذكير والتانيث في اسم الجنس جائزان بدليل اعجاز نخل منقعر واعجاز
نخل خاوية وقرئ تشابهت بالتشديد فقيل على زيادة التا في الماضي ثم ادغمت
احدى التائين في الشين وقيل ان البقرة والفعل اشابهت وكتب هو
كقوله وتات حين ماض وقرئ تشابه بالتحتية والتشديد وفتح الها قال الكرماني
وهو خطا باجماع وقرئ ان الباقر وهو جمع او اسم جمع لبقرة وفي تفسير ابي حيان
في تشابه تسع قراءات قراءة تشابه كتقاتل وتشابه بضم الها مضارع اصله تتشابه
فحذف التا وتشابه كذلك مشدد الشين بادغام التا فيها وتشابه بالتحتية
والتشديد والرفع والاصل يتشابه فادغمت التا وتشبه مشدد الشين
والها بلا الف وتشبه ماض كتعلم وتشابهت كتفاعلت وتشابهت بتشديد الشين
وتشابه مضارع ومتشبه ومتشابه ومتشابهة صفات **وانا ان شا الله
لمهتدون** وسط بالشرط بين ان واسمها وخبرها اهتماما بتعلق الهداية بالمشيئة
والموافقة دون الابا اي **لا ذلول تثير الارض** هذه الجملة الفعلية صفة ذلول
داخلة في حيز النفي وهو من باب على لاحب لا يهتدى بمناره ولا يشبع يطاع لان
القصد نفي الاثارة واللفظ نفي الذل ويسمى في البديع نفي الشي بايجابه وقرئ لا ذلول
بالفتح بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهي نفي لذلها ولان توصف به
على حد مررت بقوم لا خيل ولا حمار اي فيهم او حيث هم فالخبر محذوف هذا هو المقدر
وفيه كناية حيث نفى اللازم واريد الملزوم كما يقال مجلس فلان مظنة الجود والكرم
كناية عن ثبوتهما له **ولا تسقي الحرث** قرئ بضم اوله من اسقى **مسلمة** قيل من العيوب
وقيل من الشيات والالوان وقيل من العمل وقيل من الحرام لا غصب فيها ولا سرقة
وقيل من جميع ما ذكر ففيه من انواع البديع الاتساع وهو ان يؤتى بلفظ يتسع فيه
التاويل **لا شية فيها** الشية في اللغة من خواص صفات البقر يقال ثور اشيه

دون ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وكلب ابقع كل ذلك بمعنى البلقة قاله ابن عطية
جئت بالحق اي البين الواضح **فذبحوها** اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف
فذبحوها فيه امر وامتثال البقرة دون غيرها من الحيوان ودونها مرآخرا لانهم عبدوا
العجل فعظم امر البقرة عندهم فاراد الله ان يزيل عن قلوبهم ذلك ويهون عندهم
واذ قتلتم نفسا هو اول القصة في الحقيقة فايراده هنا من باب التقديم
والتاخير قال الاصبهاني ونكتة تاخيره ان كل ما قص من قصص بني اسرائيل
انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم على تلك الجنايات ولما
وجد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منها مستقلة بنوع من
التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزا وترك
المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس
المحرمة وما يتبعه من الآيات العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة
على ذكر القتيل لانه لو عكس لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع
ولذا اردفت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استيناف قصة براسها انه
وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله
اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع ونكتته باخراج الثانية
مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة
وقرئ واذ قتلتم نسمة **فادارأتم فيها** اي اختلفتم
وتنازعتم وتخاصمتم في شان النفس لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي
يدفعه فاطلق اللازم واريد الملزوم فهو كناية وقرئ فتدارأتم على الاصل
وقرئ فدارأتم **والله مخرج ما كنتم تكتمون** جملة اعتراضية ومخرج لحكاية الحال
الماضية ولذا اعمل الزملكاني الخطاب بذلك لليهود عصره صلى الله عليه وسلم ولو
خاطب القاتل لقال ما كنتم تجحدون او تنكرون اذ لا يقال للمدعى عليه
لم ولكن جحدوا انكر ويقال للمخبر كم وكذلك الشاهد الطيبي وان شاء
اسم الفاعل وهو مخرج على المبتدا على الثبات وتوكيد الحكم وان الاخراج واقع
لا محالة **فقلنا** فيه التفات من الغيبة **اضربوه ببعضها** اي فضربوه فحيي
وذكر الها في اضربوه عودا للقتيل المفهوم من قتلتم او على النفس فان تذكيرها
لغة **كذلك يحيي الله الموتى** فيه التفات عن التكلم قال الكرماني والتشبيه
في الاحيا فقط قال ابو حيان ثم ان كان خطابا للذين حضروا القتيل ففيه اضمار
اي وقلنا لهم او لمنكري البعث في عهده صلى الله عليه وسلم فهو من تلوين
الخطاب **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك** المراد بتراخي ثم هنا بعد القصود
اي استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها فانه لما كانه

قسوة القلب من بعد الامور المذكورة الموجبة للينه لعملة القسوة ناسب الإتيان
بثم ونحوه ثم انتم تمترون بعد قوله هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده
في استبعادكم بعد هذه الامور الموجبة لعدم امترائكم بعيد القسوة والقسوة عبارة
عن الغلظ مع الصلابة وفي وصف القلوب بها استعارة تمثيلية شبه حالها في نبوها
من الاعتبار وعدم تأثرها بالآيات بحال الحجارة وهي القسوة ثم استعير لها هذه الصفة
قاله الزمخشري قال الطيبي ويجوز ان يكون في قلوبكم استعارة مكنية ونسبة
القسوة اليها قرينتها قال وهو انسب فهي كالحجارة او اشد قسوة قيل او للشك وهو
محال على الله تعالى واجيب بانها بمعنى الواو او للاضراب او للتخيير التابع
او للإبهام عليه او للشك بالنسبة اليه والمعنى ان من عرف حالهم شبه قلوبهم بالحجارة او
بما هو اشد منها قسوة واختار ابو حيان انها للتنويع وكأن قلوبهم على قسمين قلوب
كالحجارة قسوة وقلوب اشد قسوة منها فاجمل ذلك في قوله قلوبكم ثم فصل ونوّع لما
شبه الحجارة والى اشد منها معقولة ونشر محمل على حد قوله تعالى وكونوا هودا او
نصارى تهتدوا قال ابو حيان وجمعت الحجارة ولم يقل كالحجر مع انه اخصر لمناسبة
مقابلة الجمع في قلوبكم بالجمع ولان قلوبهم متفاوتة في القسوة كما ان الحجارة متفاوتة
في الصلابة فلو قيل كالحجر لافهم ذلك عدم التفاوت من حيث الافراد وقسوة منصوب
على التمييز اما من الكاف او من افعل التفضيل فان كلاهما ينتصب عنه التمييز الكشاف
فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه صيغة التفضيل والتعجب
قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى
ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد
قسوة فان في اشد دلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة في القسوة
لا في شدة القسوة وترك ضمير المفضل عليه ولم يقل منها لعدم الالتباس وقرئ اشد بالفتح
مجرورا عطفا على الحجارة وقرئ قساوة وان من الحجارة الى آخره بيان لفضل
قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة والجملة تذييل للتشبيه
فالواو استئنافية وقيل لعطف البيان على المبين وقيل للحال وفي الكلام حذف اي وقلوبكم
لا تلين ولا تخشع ولا تخشى وقرئ ان بالتخفيف في المواضع الثلاثة فهي مخففة من الثقيلة
لما وقرئ بالتشديد فيها بمعنى الا يتفجر قرئ بالنون الساكنة والتفجير التفجر بسعة وكثرة
والانفجار والانبجاس الانهار فيه حذف اي الماء الذي يخرج منه الانهار وقرئ منها
مراعاة لمعنى ما وان منها لما يشقق قرئ يتشقق وينشق والتشقق التصدع بطول او عرض
فينبع منه الماء بقلة حتى لا يكون نهرا فيخرج منه الماء لم يعترفهما كالذي قبله لانه وليه
ما ذكر هو الانهار وناسب الجمع فلاذ هنا قاله ابو حيان وان منها لما يهبط قرئ
بضم الباء قال ابن جني هي لغة فيها من المكسورة لانه لازم قال وبعضهم حمل الفسو

على ان الفعل متعد اي يهبط غيره اي اذا اتاه الانسان خشع لطاعة خالقه فحذف
المفعول تخفيفا ولدلالة الكلام عليه قال ابو حيان ورتب تقسيم هذه المجاز رتبا
حسنا جدا وهو على حسب الترقي فبدئ بالذي يتفجر منه الانهار اي يخلق ذا خروق
متسعة ثم ثني اليه في نفسه فعل ولا تفعل ثم ترقى الى الحجر الذي ينفعل انفعالا
يسيرا وهو ان يتصدع ويتشقق بحيث ينبع منه الماء ثم ترقى الى الحجر الذي ينفعل
انفعالا عظيما حيث يتحرك ويتدهده من علو الى سفل ثم رشح هذا الانفعال التام
بان ذلك من خشية الله انتهى وعكسه الطيبي فقال ان الآية على التتميم لا الترقي
على وزان قوله الرحمن الرحيم اذ لو اريد الترقي لقيل وان منها لما يتشقق وان منها
لما يتفجر لان التفجر ابلغ من خروج الماء من التشقق وفائدته استيعاب جميع الانفعالات
التي هي على خلاف طبيعة هذا الجوهر وهو ابلغ من الترقي وقوله وان منها لما
يهبط تتميم للتتميم انتهى من خشية الله قال الطيبي هو متعلق بالكل ويؤيده ما
اخرجه ابن جرير عن مجاهد قال كل حجر يتفجر منه الماء او يتشقق عن ماء او يتردى من
رأس جبل فهو من خشية الله نزل بذلك القرآن ووصف الحجارة بالخشية حقيقة
وقيل مجاز وكناية من الطاعة والانقياد واستعارة على حد جدارا يريد ان
ينقض وما الله بغافل عما تعملون وعيد ولا تقع هذه الجملة الا عقب ارتكاب
معصية قال ابو حيان افتتح القصة بان الله يأمركم واختتمها بان الله لا
يغفل فهو العالم بمن امتثل وبمن اهمل وفي قراءة بالتحتية وفيها التفات من الخطاب
قال ابو حيان ونكتته انه اعرض عن مخاطبتهم وابرزهم في صورة من لا يقبل
عليهم بالخطاب وجعلهم كالغائبين لان مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام اقبال
من المخاطب عليه وتأنيس له فقطع عنهم ذلك لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات
افتطمعون استفهام انكار وتعجب والطمع تعلق النفس بادراك المطلوب
تعلقا قويا وهو اشد من الرجاء قيل والخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم
خاصة وهي بلفظ الجمع تعظيما كلام الله قرأ الاعمش كلم الله واذا لقوا الآية نزلت
في منافقي من اليهود وفي قالوا اتحدثونهم لمن لم ينافق منهم قال
في الانتصاف فاختلاف الضميرين هنا كهو في واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
فلا تعضلوهن فان الاول للازواج والثاني للاولياء او لا يعلمون قرئ بالفوقية
على الالتفات وفائدته التنبيه على سماع ما يأتي بعده ثم التفت عن الخطاب
في قوله ومنهم اميون انما لم قال ابو حيان لما بين اولا امر الفرقة التي حرفت
ثم امر الفرقة التي نافقت ثم امر الفرقة التي لامت وانكرت وكل هؤلاء علماء اخذ
يبين امر فرقة العامة التي طريقها التقليد وقبول ما يقال لهم فاستوعب
فرق اليهود وقرئ اميون بتخفيف الميم لا يعلمون الكتاب الا اماني اي الا

استثنا منقطع وقرئ بتشديد اليا وتخفيفها كمفاتيح ومفاتح وان هم الا يظنون
اتى بالمضارع دون اسم الفاعل ليدل على حدوث الظن وتجدده لهم وان دأبهم مقتضى
ظنيات فويل كلمة عذاب وقيل دعا بالثبور وقيل واد في جهنم وهو الصحيح الثابت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قال ابو حيان لم يجئ من هذه المادة الا فاؤها
واو وعينها يا الا ويل وويح وويس وويب للذين يكتبون الكتاب بايديهم هو تاكيد يرفع توهم
المجاز كقوله يطير بجناحيه وقال ابن السراج هو كناية عن انهم اختلقوا ذلك
من تلقاء انفسهم قال ابو حيان واستعمال الايدي في الجارحة اكثر والايادي في
النعمة اكثر وفي يكتبون تجانس وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وفي
آل عمران معدودات اكتفاء باستعمال الجمعين كذا في درة التنزيل قال ويجوز ان
يكون معدودات جمع معدودة قلت ظهر لي في ذلك نكتة وهو ان الرواية
عن ابن عباس وغيره اختلفت في عدة الايام ففي رواية انهم قالوا سبعة ايام وفي
رواية اربعين وطريق الجمع ان فريقا من اليهود قالوا بالاول وفريقا آخر قالوا
بالثاني فلعل ذكر معدودة اشارة الى قول من قال سبعة ومعدودات الذي
هو جمع معدودة اشارة الى قول من قال اربعين او معدودة الذي هو للكثرة للاربعين
ومعدودات الذي للقلة للسبعة والله اعلم بمراده ثم رأيت ابن جماعة سبقني
الى ذلك فلن يخلف الله عهده متعلق بمحذوف اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده اي اعتراضية بين الجملتين اللتين وقع التعادل بينهما او معمول
لقول محذوف منصوب في جواب الاستفهام اي فتقول لن يخلف بلى اثبات
لما بعد حرف النفي اي تمسكم النار ابدا من كسب سيئة البيضاوي الكسب اجتلاب
النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته الاحاطة
حقيقة في احاطة جسم بجسم آخر كاحاطة السور بالبلد فاستعير لموافاة الموت
على الكفر فانه لا ينتفي بكفر شيء من الخطايا وفي قراءة خطيئاته وقرئ خطاياه البيضاوي
الفرق بين السيئة والخطيئة ان السيئة قد تقال لما يقصد بالذات والخطيئة
تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقال غيره افرد السيئة لانه كنى بها
من الشرك وهو واحد وجمع الكبائر لان المراد بها المعاصي وهي كثيرة فاولئك دون
فيه معنى من واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل اتى بالظاهر بدل المضمر للفصل بينه وبين
الاخبار عنهم بقوله بلى الآتين لا تعبدون على تقدير القول اي وقلنا لا تعبدون
وقرئ باليا لان بني اسرائيل اسم ظاهر والاسما الظاهرة كلها غيب وبالتا حكاية لما
خوطبوا وهي خبر بمعنى النهي وهو ابلغ من التصريح بصيغة النهي لما فيه من ايهام ان المنهي
عنه مما ينبغي ان يسارع الى الانتهاء عنه فكانه وقع واخبر عنه وقرئ لا تعبدوا ولذلك
صح عطف وقولوا وما بعده عليه وبالوالدين احسانا على تقدير واحسنوا وقدم

الوالدين

الوالدين للاهتمام ونكر احسانا للتعظيم اي احسانا لا يدرك كنهه وقدم في الآية
الاهم فالاهم فان حق الوالدين آكد من حق ذوي القربى وذوو القربى آكد من اليتامى
لقرابتهم واليتامى آكد من المساكين لضعفهم وحاجتهم وفي التثنية تغليب لان
الوالد حقيقة في الاب والام والدة وقولوا فيه التفات من قراءة يعبدون
بالتحتية للناس حسنا قرئ بفتح الحا والسين وضمها اي قولا حسنا وبضم الحا
وسكون السين على انه مصدر وصف به مبالغة اي قولا هو حسن في نفسه لافراط
حسنه وقرئ حسنى بغير تنوين اتباعا واحسانا مصدر وكذلك وحسنى كبشرى على
انه مصدر كالعقبى زائد عنه معنى المفضل اي صفة محذوف وقد تضمن
هذا الميثاق جميع الاوامر اي العبادات اما اعتقادية وهي التوحيد او
قولية وهي القول الحسن او عملية بدنية محضة وهي الصلاة او مالية محضة
وهي الزكاة او بدنية مالية معا وهي بر الوالدين وما ذكر معهما وقرن البر بالقول
الحسن لانه احد الصدقتين كما في حديث الكلمة الطيبة صدقة ولما كان يحصل
المراد منه ببذل اللفظ لا المال كان متعلقه الناس عموما اذ لا مشقة فيه ثم
توليتم فيه التفات عن الغيبة من بني اسرائيل وفائدته التوبيخ والتقريع
لاستحضارهم توبيخهم والخطاب لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم اسند اليهم
تولي اسلافهم لكونهم على طريقتهم وقيل لهم ولاسلافهم على طريق التغليب
فلا التفات الا قليلا قرئ بالرفع على البدل وانتم معرضون اي وانتم قوم
عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية والجملة اعتراض او حال مؤكدة وجيء
بها اسمية لانها آكد بالخبر انما لا تدل على الثبوت والاعراض والتولية
قيل هما بمعنى وقيل التولية بالجسم والاعراض بالقلب وقيل اخذا من سلوك
الطريق فالتولية الرجوع عودا على بدء والاعراض الاخذ في عرض الطريق
فالمتولي اقرب امرا من المعرض عليهما فنبه على انهم جمعوا بين الوصفين واذ اخذنا
ميثاقكم اعاده لان الاول متعلق بالاوامر وهذا بالنواهي لا تسفكون
اي وقلنا والجملة وما بعدها خبر بمعنى النهي والمراد لا يسفك بعضكم دم بعض
ولا يخرج بعضكم بعضا جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا ودينا وهو
من المجاز بادنى ملابسة وقرئ بضم التا وكسر الفا وبضم التا وبالتشديد
ثم اقررتم وانتم تشهدون هو توكيد لقوله اقررتم شاهدا على انفسكم
وقيل الخطاب بالثاني لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم اي وانتم تشهدون
على اقرار اسلافكم فهو من تلوين الخطاب وذكر له في ميثاق المناهي دون
الاوامر لشدة اعتناء الشارع بالمناهي اذ درء المفاسد اولى في نظر
الشرع من جلب المصالح ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل

والاخراج بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون
اي الحاضرون يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير
الذات وما بعده بيان له كانه لما قيل ثم انتم هؤلاء قالوا كيف نحن فقيل تقتلون
انفسكم تفسير له الطيبي كان مقتضى الظاهر ثم انتم بعد ذلك التوكيد في الميثاق نقضتم العهد
فتقتلون الى آخره اي صنعتم الآن غير الصفة التي كنتم عليها فادخل هؤلاء واوقع خبرا لانتم
وجعل قوله تقتلون جملة مبينة مستقلة ليفيد ان الذي تغير هو الذات نفسها نعيا
عليهم بشدة وكادة اخذ الميثاق ثم تناسيهم فيه وقلة المبالاة به وقيل الخبر تقتلون
وهؤلاء منادى على حذف حرف النداء او اختصاص تقتلون قرئ بالتشديد تظاهرون
بالتشديد على ادغام احدى التائين وبالتخفيف على حذفها وقرئ تظاهرون بضم اوله
من ظاهر وتظهرون بالتشديد وكلها بمعنى التعاون والتناصر وان ياتوكم جي بلفظ الاتيان
مثلا في مقابلة الاخراج طبقا اسارى قال وفي قراءة اسرى وهو الاصل في جمع فعيل
والاسارى على اسارى تشبيها بكسالى كما جمع كسلان على كسلى تشبيها باسرى من في الوزان
قاله عمرو بن العلاء تفدوهم وفي قراءة تفادوهم بمعناه او للمفاعلة وان معنى فدى
دفع الفدى و فاداه بادل اسيرا باسير وقيل فدى اعطى الفداء وفاداه طلب الفداء
وهو محرم عليكم اخراجهم قال الاصبهاني نظم الآية على التقديم والتاخير لان التقدير
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وهو محرم عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم
والضمير للشان او للاخراج واظهره بعده لتراخي الكلام ابو حيان تقدم القتل
والاخراج فخص الاخراج بتاكيد التحريم لانه اشد ضررا من القتل من حيث ان في القتل انقطاع
الشر وفي الحال بخلاف الاخراج وقيل حذف من القتل مثله اكتفاء افتؤمنون استفهام
توبيخ فما جزاء قال الكرماني يحتمل الاستفهام والنفي قاله ابو حيان والجزاء يطلق
في الخير والشر خزي هو ذل يستحيى منه يردون قرئ بالتاء عما تعملون قرئ بالتاء
والياء وفيه على الثاني التفات فلا يخفف عنهم العذاب من باب التنبيه بالادنى على
الاعلى لانه اذا انتفى التخفيف فالرفع اولى ولا هم ينصرون اتى بالمفعول لمراعاة الفواصل
وللعموم ولقد آتينا موسى الكتاب قال ابو حيان مناسبة هذه الآية لما قبلها انا آتينا
موسى الكتاب مؤنفعة لهم اذ فيه احكامهم وشرائعهم ثم قابلوا تلك النعمة بالكفر وذلك
جريه على ما سبق من عادتهم اذ قد امروا وانبياء وهم امروا انبياء فخالفوا امر الله ونهيه
فناسب ذكر هذه الآية لما قبلها وقفينا اي اتبعنا واصل التقفية اتباع القفا كما ان
الارداف اتباع الردف وابناء عيسى تصله بعد ذكر الرسول لان من قبله كانوا متبعين
شريعة موسى واما عيسى فنسخ شرعه كثيرا من شرعه ابن مريم اضافه اليه ردا على
النصارى فيما ادعوه وايدناه من الايد وهو القوة الشديدة وقرئ بالمد تخفيفا له
قال ابو حيان وفرق بعضهم بين القراءتين بان الاول بمعنى المعز والثاني بمعنى القوة بروح

والتكرار وتظاهرون مع

قال سيبويه ووجه الشبه ان كلا محبوس عن تصرفه وقيل الاسرى في اليد والاسارى في الوثاق مع

القدس

القدس هو جبريل اي الروح المقدسة كقولك حاتم الجود فهو من باب اضافة الموصوف
الى الصفة للمبالغة في الاختصاص وقيل القدس هو الله واضيف اليه اضافة تشريف ويؤيده
قراءة ابي حيوة بروح القدس افكلما استفهام توبيخ وتعجب من حالهم بما لا تهوى انفسكم الهوى
اكثر استعماله في ما ليس بحق واسند الفعل الى النفس ولم يقل تهوون اشعارا بان
النفس يسند اليها غالب الافعال السيئة ان النفس لامارة بالسوء فطوعت له نفسه قتل
اخيه بل سولت لكم انفسكم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون خص التكذيب والقتل من بين
سائر قبائحهم لانهما اقبح الافعال الصادرة منهم وقدم التكذيب لسبقه القتل في
الواقع وقال تقتلون على حكاية الحال الماضية لان هذا الامر فظيع فاريد
احضاره في النفوس وتصويره في القلوب وقال الكرماني مراعاة للفاصلة قال غيره
او للدلالة على انهم بعد في ارادة ذلك فانهم حاموا حول النبي صلى الله عليه وسلم بالسم
والسحر واراده طرح الصخرة عليه وتقديم المفعول لتواخي رؤوس الآي وقالوا
قلوبنا غلف اي مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا نفقهه مستعار من
الاغلف الذي لم يختن وقيل المعنى هي اوعية للعلم فلا تحتاج الى ما جاء به محمد والقولان
عن ابن عباس وليسا باختلاف بل الاول على قراءة غلف بسكون اللام جمع اغلف اي في
غلاف والثاني على قراءة ضم اللام جمع غلاف بينه ابن جرير وغيره فقليلا ما يؤمنون
قيل فيه اكتفاء وما نافية اي ما يؤمنون لا قليلا ولا كثيرا ولما جاءهم حذف جواب
لما الاولى استغنى عنه بجواب الثانية واعيدت لما الثانية لطول الكلام ولتقرير
الذنب وتاكيده واوقع على الكافرين موقع عليهم للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم
وليعم غيرهم من الكافرين وقرئ بنصب مصدق حالا وقوله وكانوا من قبل الى آخره جملة
حالية مقررة لجهة الاشكال بئسما اشتروا اي باعوا قال الطيبي هو من الاضداد
فالانفس بمنزلة المثمن والكفر بمنزلة الثمن لان انفسهم لا تشترى بل تباع فهو على الاستعارة
اي انهم اختاروا الكفر على الايمان وبذلوا انفسهم فيه وانما وضع الانفس موضع الايمان
ليؤذن بان الانفس انما خلقت للعلم والعمل به المعبر عنه بالايمان فمن بدلوا الايمان
بالكفر فكانهم بذلوا انفسهم به عذاب مهين ذو اهانة وصف به لان من العذاب ما
يكون مطهرا لا مهينا آمنوا بما انزل الله اي بكل ما انزل الله بما وراءه اي بعده
من الانجيل والقرآن او بما سواه فلم تقتلون اوقع المضارع موقع الماضي لتصويره في
سبيل المشاهدة في القلوب واستحضاره في النفوس واسند اليهم لرضاهم به ان كنتم مؤمنين
جواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه كما ان الشرط الذي قبله محذوف لدلالة ما تقدم
عليه فهو احتباك ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده فائدة اعادة
هذه القصة مع تقدمها في هذه السورة تكذيبهم في قولهم نؤمن بما انزل علينا وانتم ظالمون
اشارة الى ان عبادة العجل واضعين العبادة في غير موضعها او معترضا اي وانتم قوم عادتكم

النظم والفرق بين الحال والاعتراض ان الحال لبيان هيئة المعمول والاعتراض لتاكيد
الجملة بتمامها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور كرر هذه القصة لما علق بها من زيادة
ليست في الاولى وهي قولهم سمعنا وعصينا وقال الكرماني لان الاول في تعداد النعم ولذا
ختمت بقوله فلولا فضل الله عليكم ورحمته والثانية للاحتجاج قالوا اي قال الثقات من
الخطاب سمعنا وعصينا هو منهم على القول بالموجب امرهم بالسماع فاجابوا ولكن على طريق
العصيان ونظيره ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم واشربوا في قلوبهم العجل
قيل هو من قولهم اشربت البعير اي شددت حبلا في عنقه فكانما شد في قلوبهم لشغفهم
به وقيل معناه اشرب قلوبهم حب العجل وذلك ان من عادتهم اذا ارادوا العبارة عن
مخامرة حب او بغض استعاروا له الشراب اذ هو ابلغ ما يتخلل في البدن ولو قيل
حب العجل لم تكن هذه المبالغة فان في ذكر العجل تنبيها انه لفرط شغفهم به صارت
صورة العجل في قلوبهم لا تمحى وقال الاصبهاني الاشراب خلط لون بلون يقال
ابيض مشرب بحمرة اذا كان يخالطه حمرة اي داخلهم حب العجل والحرص على عبادته كما يداخل
الثوب الصبغ وحذف المضاف الذي هو الحب واقيم المضاف اليه مقامه افادة لشدة
تمكن حب العجل وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب بيان ان محل الحب قلوبهم وان
الخلط حصل فيها فاسند الفعل اولا الى الجملة ثم خص القلوب كما تقول ضربوا على رؤوسهم
قال الطيبي وهو من المبالغات والايذان بان المقام يقتضي مزيد التقرير
بئسما يامركم به ايمانكم اسناد الامر الى ايمانهم تهكم بهم كما في اصلواتك تامرك واضيف
الايمان اليهم ولم يقل الايمان لانه ايمان غير صحيح والمخصوص بالذم محذوف اي عبادة العجل
او هي وما قبل من قتل الانبيا والعصيان قل ان كانت لكم الدار الاخرة الآية مناردة
لقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا خالصة الراغب الخالص كالصافي لكن الصافي يقال
فيما لا شوب فيه وقيل شوب دون خالص فانه لا يقال الا فيما كان فيه شوب فزال عنه
من دون الناس قال ابو حيان دون هنا لفظ يستعمل للاختصاص [illegible]
وقطع الشركة نحو هذا لي دونك وقيل المراد بالناس هنا النبي صلى الله عليه وسلم خاصة
من العام المراد به الخصوص فتمنوا الموت قرئ بكسر الواو وفتحها ولن يتمنوه وفي سورة
الجمعة بلفظ لا لان دعواهم في هذه السورة بالغة قاطعة حيث ادعوا كون الجنة
لهم بصفة الخلوص فبالغ في الرد عليهم بلن الذي هو ابلغ النفي وقد ذهب المحققون
الى انه تفيد تاكيد النفي وزاد قوم انها تفيد تابيده ايضا ودعواهم في الجمعة قاصرة
وهي زعمهم انهم اولياء الله فاقتصر على لا قاله الكرماني واوضح ذلك صاحب درة التنزيل
فقال الدعوى الاولى هي غاية المطلوب ونهاية المامول اذ لا مطلوب وراء الجنة فحسن
ان يكون ما يبطل تمني الموت المؤدي الى ابطال شرطهم اقوى ما يستعمل في بابه
والعلم بخلاف دعوى انهم اولياء الله فانهم يطلبون بعد ذلك اذا صح لهم هذا الوصف

دار الثواب

دار الثواب فكانت قاصرة عن الدعوى الاولى فاورد صاحب المناجاة ولهذا اكد النفي
هنا بقوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة الآية ولم يذكر في الجمعة مثل ذلك بما قدمت
ايديهم اي قدموه واسند الى اليد لان اكثر الاعمال تزاول بها والله عليم بالظالمين
ظاهره الخبر ومضمنه التهديد والوعيد اي عليم بظلمهم ومجازاتهم وفائدة تخصيص
الظالمين تخصيصهم بحصول الوعيد احرص الناس الراغب الحرص فرط الشره وفرط
الارادة على حياة بالتنكير اي حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة وقرئ على
الحياة ومن الذين اشركوا اي واحرص من الذين اشركوا وهو محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس
الناس حذف من واضيف وانما جيء بمن في الثاني دون الاول لان افعل اذا اضيف
الى جنسه لم يحتج الى ذكر من [illegible] والى غير جنسه احتاج اليها نحو زيد
افضل من اخوته ولما كان اليهود من جنس الناس لم يحتج الى ذكر من ولم يكونوا من
المشركين احتيج اليها وانما خص المشركين بالذكر مع دخولهم تحت الناس لشدة
حرصهم على الحياة وتوبيخا لليهود لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون
الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها غير مستبعد لانها جنتهم فاذا زاد اليهود عليهم
وهم معترفون بالعاقبة والبعث والجزا كانوا احدير باعظم التوبيخ يود احدهم
استيناف لبيان زيادة حرصهم لو يعمر الف سنة قيل مفعول يود محذوف دل عليه
لو يعمر اي طول العمر وجواب لو محذوف دل عليه يود اي لسر بذلك وما هو
ضمير الشان او احدهم والله بصير بما يعملون قرئ بالفوقية التفاتا والجملة
تتضمن التهديد والبصير يبصر وهو تعالى منزه عن الجارحة اعلاما بان علمه
بجميع الاعمال علم احاطة وادراك للخفيات وبالمضارع وهو عالم باعمالهم
الثالثة والاتية لمواخاة الفواصل قل من كان عدوا الراغب العداوة منافاة
الالتيام فبالقلب يقال العداوة وبالمشي يقال العدو وبالاخلال في العدل
يقال العدوان وبالمكان او النسب يقال قوم عدى لجبريل فيه ثلاث عشرة لغة
قرئ بها جبريل بالكسر وبالفتح وجبرئيل كجحمرش وبلا يا بعد الهمزة وكذلك الا ان
اللام مشددة وجبرائيل وجبرائيل وجبرال وجبرايل بالياء والقصر وجبراييل بيائين
اولاهما مكسورة وجبرين وجبرين وجبرايين فانه نزله الى القرآن اضمر ولم
يسبق له ذكر تفخيما لشانه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفى من
اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمك لم فيه معنى الملك
والا فيقال يعني اذا نزل جبريل بالقرآن على قلبك استوعبه وحفظ معانيه نفوذه
به وتمكن فيه فلا ينسى منه شيء وهو ابلغ من الى وخص القلب لانه محل العقل والعلم
فان قلت حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم
به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت

كيف استفهام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت هو على تقدير فلا وجه لمعاداته حيث
نزله با مصدقا لما بين يديه فالأولى محبته وشكره لصنيعه لا معاداته وهدى
وبشرى للمؤمنين لما فيه بيان ما وقع به التكليف من الأعمال وبيان ما على ذلك من الثواب
فهو من الوجه الأول هدى ومن الوجه الثاني بشرى والأول مقدم على الثاني في الوجود
فلهذا قدم لفظ الهدى على لفظ البشرى وخصهما بالمؤمنين لأنهم الذين اهتدوا به والبشرى
لا تكون إلا لهم من كان عدوا لله الآية أفاد بهذه الآية تلازم العداوات فان من كان
عدوا لجبريل كان عدوا لميكائيل ضرورة خلاف قول اليهود جبريل عدونا لأنه صاحب الزلازل
والعذاب وميكائيل سلم لأنه صاحب المطر والرزق ومن كان عدوا لهذين فهو عدو لسائر
الملائكة ومن كان عدوا للملائكة فهو عدو لرسل الله ومن عادى رسل الله عادى الله لعداوة
واحد منها ولا يستلزم عداوة الجميع وأفرد الملكين بالذكر وإن دخلا في الملائكة
لفضلهما فكأنهما من جنس آخر فإن التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات
وللرد على اليهود في دعوى عداوة جبريل وضم إليه ميكائيل لما كان أميرا للملائكة لم يدخلا
في لفظ الملائكة كما أن الأمير لا يدخل في مسمى الجند وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه
وللاهتمام به فإن اليهود إنما ادعت عداوته خاصة لما كانت عداوة اليهود للنبي
صلى الله عليه وسلم بعينها عداوة رسله لم يفرد النبي بالذكر مع أنهم لم يدعوا عداوته بل ذكروا
أن المانع لهم من اتباعه كونه يأتيه جبريل وهو عدوهم من الملائكة كانت في سبب النزول
ولما كانت عداوة الرسل بسبب إنزال الكتب كما فهم من الآية قبلها ونزول الكتب بتنزيل
الملائكة بدئ بهم في الذكر قبل الرسل لهذا المعنى فلا يلزم من ذلك تفضيلهم على الرسل إلا أن
للتقديم وجه آخر غير الشرف وأوقع الكافرين موقع لهم بيانا لكفرهم بعداوة من ذكر
فإن عداوة كل من ذكر تقتضي الكفر أبو حيان لما كانت الآية للرد على من ادعى عداوة
جبريل صرح به بعدما اندرج في الملائكة ثم في الرسل لأنه منهم فكأنه ذكر في الآية ثلاث
مرات تنويها بشأنه وقرئ ميكال وميكائل وميكائل بهمزة بلا ياء وميكائيل بياء بعد
الهمزة مكسورة وميكئل وميكئيل بهمزة بلا ياء وما يكفر بها إلا الفاسقون البيضاوي
المتمردون من الكفرة قال والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دل على أعظمه
كأنه متجاوز عن حده أوكلما عطف على محذوف أي أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا
وقرأ أبو السمال بسكون الواو فهي أو العاطفة بمعنى بل وقرئ أيضا عهدوا وهو شبيه
بالمصدر المذكور من عاهدوا ومعناه على قراءة الكافة أعطوا عهدا أو أقام المصدر
المحذوف الزوائد مقام معاهدة أو عهاد وقرئ عوهدوا نبذه النبذ الإلقاء
وطرحه لقلة الاعتداد به وقرأ ابن مسعود بدله نقضه بل أكثرهم يحتمل أن يكون من عطف
الجمل فإنه مبتدأ خبره لا يؤمنون أو من عطف المفردات أي بل نبذه أكثرهم ولا يؤمنون
حال رسول من عند الله مصدق قرئ مصدقا على الحال وراء ظهورهم هو تمثيل للإعراض

عنه رأسا بالإعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات إليه واتبعوا عطف على نبذ
ما تتلوا أي تلت وضع المضارع موضع الماضي وقيل على حذف كان أي ما كانت تتلوا الشياطين
قرأ الحسن الشياطون تنزيلا له منزلة جمع الصحيح على ملك أي على عهد ملك وعلى بمعنى في
وقال الكرماني جيء بها أي بعلى لدلالة التعدي على الكذب كما تقول قال عليه وروى عليه
قال ٭ وما كل ما يروى علي أقول ٭ وقال الطبري اتبعوا بمعنى فضلوا في ملك
سليمان أي زمنه ونبوته وحاله أي فضل اليهود ما تتلو الشياطين على شرع
سليمان ونبوته على الملكين بفتح اللام وقرئ بكسرها فعلى هذا هما من البشر هاروت وما
روت قرئ بالرفع على حذف المبتدأ وما يعلمان قرئ بسكون العين من الإعلام و
قرئ وما يعلم الملكان فيتعلمون الضمير لما دل عليه من أحد المرء قراءة الكافة بفتح الميم
وسكون الراء والهمز وقرئ بكسر الراء خفيفة بلا همز وبتشديد الراء وضم الميم وسكون
الراء والهمز وبكسر الميم كذلك وهي لغات وما هم بضارين به من أحد قرأ الأعمش
بضاري قال ابن جني وأمثل ما يوجه به أن المنفعل بضاري أحد به ثم فصل
بحرف الجر وقال غيره بل حذفت النون تخفيفا ولقد علموا الضمير لليهود لأنهم
الذي سبق ظهر الكلام أولا وقصة السحرة مستطردة لمن اشتراه أي اختاره وما له في الآخرة
من خلاق أي نصيب الراغب الخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه ولبئس ما
شروا أي باعوا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ما قدمه ما يصيرون إليه في الآخرة ما فعلوا
ذلك نفي عنهم العلم بمنافع اتباعه لهم في قوله ولقد علموا تنزيلا للعالم الذي لا يعمل بمنزلة
الجاهل لعدم جريه على موجب علمه ولو أنهم آمنوا الآية لما بين ما عليهم من الوعيد أتبعه
بالوعد جامعا بين الترهيب والترغيب كما هو عادته لأن الجمع بينهما أدعى إلى الطاعة وترك
المعصية وجواب لو إنما يكون بالفعلية وعدل هنا إلى الاسمية لما فيها من الدلالة
على ثبوت المثوبة واستقرارها كاختيار الرفع على النصب في سلام عليكم وقيل الجواب
محذوف أي لأثيبوا والمثوبة جملة مستأنفة ونكر مثوبة للإشعار بأن القليل من
ثواب الله خير كثير ٭ قليلك لا يقال له قليل ٭
وفي وصفها بكونها من عند الله تفخيم وتعظيم لها وقرئ لمثوبة بسكون الثاء كمشورة
وجواب لو كانوا يعلمون محذوف يا أيها الذين آمنوا الآية ذكرت أنا قبائح اليهود
لأن فيها ضربا من قبائحهم وهو التعريض براعنا لسب النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يصرح بإسنادها إليهم بل خوطب به المؤمنون على سبيل النهي ودخل فيه التعريض باليهود
في قوله وللكافرين عذاب أليم كما عرضوا بعضوها ولم يصرحوا فطابقت الآية
لخبثهم وقرئ راعنا بالتنوين صفة قولا وقرئ راعونا وارعونا بالجمع وأنظرنا بالقطع
أبو حيان هذا أول خطاب خوطب به المؤمنون في هذه السورة بالنداء الدال على الإقبال
عليهم وذلك أن أول نداء جاء عاما يا أيها الناس وثاني نداء خاصا ببني إسرائيل وهذا الثالث

العظمة التي اشتملت على الملتين اليهودية والنصرانية وثالث نداء لامة محمد المؤمنين
فكان اول نداء نداءها ما امروا فيه باصل الاسلام وهو عبادة الله وثاني نداء ذكروا فيه
بالنعم الجزيلة وتبرؤوا بالتكاليف الجليلة وخوفوا من حلول النقم الوبيلة وثالث نداء علموا
فيه ادبا من آداب الشريعة مع نبيهم وتعظيم من كانت هدايتهم على يده قال ابن مسعود
اذا سمعت الله يقول يا ايها الذين آمنوا فارعها سمعك فانه خير تؤمر به او شر تنهى عنه
اخرجه البيهقي وقال خيثمة ما كان في القرآن يا ايها الذين آمنوا فانه في التوراة يا ايها
المساكين اخرجه ابن ابي حاتم وتقديم لا تقولوا راعنا على وقولوا انظرنا من باب تقديم
التخلية على التحلية **وللكافرين** اللام للعهد اي اليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم في قولهم راعنا فوضع الظاهر موضع ضمير اليهود للاشعار بان قولهم ذلك كان
تهاونا بالرسول ومن اهان رسول الله وحبيبه كان غاليا في الكفر كاملا فيه مستحقا ان
يعذب بعذاب اليم بالغ في الايلام فهي الجملة تذييل والتعريض بالمؤمنين والتغليظ للوصف
ما يود الآية وزيادة من في من خير لتفيد تأكيد الاستغراق الذي افاده تنكير خير الواقع
في سياق النفي وفي محل الذين فاعل يود ومحل كفروا صلة الذين وبيانه بقوله من اهل الكتاب
واقامة الظاهر مقامه اي المضمر اشعار بان كفرهم يدعوهم الى متابعة الحق لكن كفرهم يمنعهم
واقامة لفظ الجلالة مقام ضمير ربكم وتقديمه على قوله يختص ايذان بان الله هو المانح للعطاء
الا الوهبة يختص من يشاء برحمته لا غيره واقامة الرحمة مقام ضمير المنزل من خير اشعار بان
تنزيل الوحي الذي هو الخير عين الرحمة كما ان ارسال الرسول محض الرحمة كقوله وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وفي قوله والله ذو الفضل العظيم تذييل ومن الغريب قول الشيخ ابي اسحاق
الشيرازي ان قوله ولا المشركين مجرور على الجوار **ما ننسخ من آية او ننسها** فيه الجناس
الصارخ وهو اختلاف الكلمتين بحرف متقارب في المخرج وقرأ ابن عامر ننسخ بضم النون
وكسر السين اي نأمر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها وننساها بالفتح والهمز
من النساء يعني التأخير وقرأ ابن عامر وغيره ننسها بالضم وكسر السين بلا همز من النسيان
اي ننسكها اي نمحها من قلبك وقرئ ننسها ذا انسها بتشديد السين وننسها بتاء مفتوحة
مضمومة مع الهمز وتركه فيهما وننساها بنون وتسهيل الهمز وننسها بضم النون وهمز
وننسكها ونسكها فهذه احدى عشر قراءة وفي مصحف ابن مسعود ما ننسك من آية او
ننسخها نجيء بمثلها ومناسبة وضع هذه الآية هنا ظاهرة لان اليهود هم المنكرون للنسخ
وقد تقدم في الآية قبلها انهم لا يودون ان ينزل على المؤمنين خير من ربهم ولما كان
الكفار قد شاركوهم في الامرين ضموا اليهم في الذكر على سبيل الاستطراد والا فالمقصود
في هذه الآيات بالخطاب انما هو اليهود فعقب تلك الآية المخبرة بعدم ودادهم
انزال الخير بهذه الآية المعترضة لامر النسخ الذي هو من مذهبهم انكاره وان ما ننسخ آية
الا انزلنا بدلها خيرا منها او مثلها في الخير على خلاف ما يودونه رغما لهم والاتيان يكون

العظمة في الفعلين الدالة على تعظيم الفاعل وجلالته واستبداده بالفعل وانه لا اعتراض
عليه وفيه التفات عن الغيبة في قوله والله ذو الفضل العظيم الى التكلم الآية تفصيل
لكيفية ابدال المنزل عن الكتب السابقة على سبيل العموم لان تلك الاحكام بعضها منسوخة
وبعضها مقررة وغير الاحكام مثل القصص ومكارم الاخلاق منسأ ومتروك التلاوة
مأمور بالنسيء عنها **الم تعلم** استفهام تقرير **ان الله على كل شيء قدير** اي ومنه النسخ والبدل
وفيه التفات عن التكلم الى الغيبة والخروج عن خطاب جمع الى خطاب مفرد **الم تعلم**
ان الله له ملك السموات والارض اي هو يدبر امرها على وفق ارادته ومشيئته وهو
اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ ابن جرير الخطاب في الم تعلم للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد غيره تعريضا على حد لئن اشركت ليحبطن عملك قال ابو حيان الخطاب لكل
مخاطب وافرد لانه ما من يخص الا يتوهم انه المخاطب بذلك وهو المسمى في فن المعاني بالخطاب
العام على حد ولو ترى الآية العطف انما يصح اتصاله الم تعلم بما قبله اذا جعل خطابا لكل
على حد بشر المشائين لا مختصا بالرسول **وما لكم** فيه انتقال من خطاب المفرد الى خطاب
الجمع **من ولي** اوثر ولي على وال لمبالغة ولانه اكثر في الاستعمال وكذا لم يجئ وال في القرآن
الا في الرعد لمؤاخاة الفواصل **ولا نصير** جمع بينهما لان الولي قد يعجز عن النصرة
والنصير قد يكون اجنبيا **ام تريدون ان تسألوا رسولكم** الخطاب لليهود لان السورة
مدنية وتصديقه بذلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء اي جملة فقد سألوا
موسى اكبر من ذلك وقد ثبت في سبب النزول ان هذه الآية نزلت في قولهم ذلك
ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل اي وسطه كناية عن حصوله
عن الذهاب عن الاستقامة لان الوسط هو المستقيم وما عداه منحرف الحق في الضلال
فقد المطلوب بعد حصوله واصل وضعها في الاشياء المدركة بالقوة الباصرة فيقال
للبعير الذي يفقده المالك ضل ولا يقال لمن خرج للصيد فلم يره ضل الصيد ولا لما لم يدركه
بالبصر فلا يقال لمن نسي علما او مسألة بعد اتقانها ضل فافهم واما استعماله
في الدين لانه لوضوحه وقوة براهينه صار كالمشاهد المدرك بالبصر وكل مولود يولد
على الفطرة ثم ان اسباب الشقاوة تدركه فصار فاقد الدين كفاقد الشيء بعد
حصوله **ود** الراغب الود محبة الشيء وتمني كونه الا انها هي المحبة الكاملة
الود والتمني يستعملان في الماضي والمستقبل ويستعملان في المعاني دون الاعيان والتمني
خاص بالمستقبل **كثير من اهل الكتاب** فيه التفات عن الخطاب في الآية قبلها لما تقدم ان
الخطاب فيها لليهود **لو يردونكم** فيه تلوين الخطاب حيث خوطب المؤمنون بعد خطاب
اليهود **حسدا من عند انفسهم** هو تأكيد على حد ولا طائر يطير بجناحيه اذ الحسد لا يكون
الا من عند انفسهم وقيل هو متصل بود اي ودوا ذلك من عند انفسهم لم يؤمروا به
فاعفوا واصفحوا ابو حيان الصفح قريب معناه من العفو وهو الاعراض عن المؤاخذة

٢٤٩

من توليه صفحة الوجه اعراضا البيضاوي العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك
تثريبه زاد الطيبي فقد يعفو الانسان ولا يصفح ولما تضمنت الآية الوعد بتغيير
حال ناسب ختمها بالقدرة واقيموا الصلاة الآية لما امر المؤمنين بالعفو والصفح عن
اليهود عقبه بالامر بالصلاة والزكاة والحث على الخير تنبيها على انه كما الزمهم صلاح
غيرهم بالعفو والصفح لزمهم صلاح انفسهم بفعل الخير وابرز الامر بفعل الخير في قالب
لا يتوهم غيره معاملة لما في الصيغة الدالة على العموم الشاملة لكل قليل وكثير المعبر عنه
بانه شئ كائن مدخر عند غني لا تضيع عنده الودائع تجدوه اي ثوابه ان الله بما
تعملون بصير لا يخفى عليه عمل عامل فلا يضيع عنده وهو ترغيب في عمل الخير وتحذير من
خلافه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ضمير لف ونشر مجمل اي
وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من
كان نصارى والمسوغ للاجمال في اللف ثبوت العناد بين الفريقين فلا يمكن ان
يقول احد الفريقين بدخول الآخر الجنة فوثق بالعقل في انه يرد كل قول الى فريقه
لامن اللبس وقصد الايجاز وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران وداعيهم الى كان
لفظ من وفي الخبر معناها وقرأ ابي الا من كان يهوديا او نصرانيا حملا على اللفظ ايضا
تلك اشارة الى القولة ~~تعظيما لشأنها~~ وجمعت تعظيما لشأنها او الى الاماني السابقة
وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم
اي تلك الاماني الباطلة المذكورة امانيهم وعلى الاول انما جمعت الامنية الواحدة اشعارا
بانها بلغت منهم كل مبلغ وقيل الاماني الاكاذيب والجملة تضمنت كذبهم في دعواهم الجنة
ونفي دخول غيرهم والجملة معترضة بين القول وطلب الدليل عليه ولم تجعلوه لان الرجا
متعلقا لكن وهذا مستحيل هاتوا اصل احضروا اتوا قلبت الهمزة هاء برهانكم الراغب
البرهان بيان الحجة وهو اوكد الادلة بلى اي يدخل الجنة غيرهم لانها على عكس ما قالوا كما هو
مقتضى هذا الحرف ثم فسره بقوله من اسلم وجهه اي انقاد بجملته وخص الوجه لانه اشرف
الاعضاء الظاهرة تعبيرا او في الراغب اصل الوجه العضو المقابل فاستعير للمقابل
من كل شئ فقيل واجهته ووجهته وقيل للقصد وجه وللمقصد وجهة وعلى ذلك
اسلم وجهه ووجهت وجهي وقيل هو مستعار للذات لله اي مخلصا وهو محسن
باعتقاده الايمان شرط في قبول الاعمال المفهومة من اسلم فهو كقوله امنوا وعملوا الصالحات
وزاد بالاشارة الى الاخلاص وقد جمعت هذه الجملة على ايجازها الايمان والاسلام
والاحسان المفسر في الحديث بان تعبد الله كانك تراه فانه يراك وهو الاخلاص الذي
اشرنا اليه فسبحان من عجز الفصحاء الالداء عن مضاهاة شئ من كلامه الاصبهاني يجوز ان
تجعل من اسلم فاعلا بفعل مقدرا ويكون فله اجره معطوفا عليه وذلك ان اهل الكتاب
لما بنوا كلامهم على النفي والاثبات المفيد للحصر قيل لهم بل يدخلها غيركم ولما ارتد ان

نظرهم

نظرهم على خطاياهم في تلك المقالة على وجه يبعثهم على توخي الثواب ويرشد
غيرهم الى ما به يفوزون بالفلاح عاجلا وآجلا قال من اسلم وجهه لله وهو محسن اي يدخل
الجنة من اخلص نفسه لله لا يشرك به غيره واجتنب الشرك الجلي والخفي عقيدة وتواطأ
ظاهره مع باطنه اخلاصا واحسانا وهذا الكلام سلك فيه غاية طريق الانصاف
بحيث اذا نظر فيه المعاند بجيد الفكر اذعن للحق حتى انه تعالى ما اكتفى بهذا القدر من
الجواب بل ضم اليه على وجه التتميم قوله فله اجره عند ربه واطلق الاجر ليشمل
ما لا يدخل تحت الوصف وجعله من عند مالكه ومدبر امره الرؤف الرحيم واردفه
بما ينبئ عن حصول الامن التام عاجلا وآجلا فقال ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ووقع في كلام الاصبهاني قبل ذلك ان هذا اشارة الى الايمان وهو محسن
اشارة الى الاحسان وفي الآية مراعاة لفظ من اولا ومعناها آخرا وجيء بالرب
دون الله لافادة الاطماع وقد دون ضميره لما في توالي الضمائر من القلق وقالت اليهود
لما فرغ من قدح اهل الكتاب مع المؤمنين اتبعه بقدحهم بعضهم في بعض وفيه نسبة
الحكم الصادر من بعض الى الجميع مجازا او توسعا وهو طريق معروف عند العرب نثرا
ونظما ليست النصارى على شئ في معتقد به كذلك قال الذين لا يعلمون قال الطيبي
هو من قلب التشبيه مبالغة على حد انما البيع مثل الربا مثل قولهم ما اليد التشبيه ان
المفهوم من كذلك فالله يحكم الآية حذف المحكوم به لعلم تقديره ومن اظلم الآية قال
ابن عباس نزلت في النصارى لما خربوا بيت المقدس ومن طريق آخر عنه في قريش لما
منعت النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عند الكعبة وهذا الطريق اصح اسنادا لكن
الاول اقرب الى رعاية النظم لان الآيات السابقة كلها في قبائح افعال اليهود
والنصارى ذكره الاصبهاني في تفسيره قال فان قلت كيف عبر بمساجد وانما
وقع المنع والتخريب على مسجد واحد قلت لا بأس ان يجيء الحكم عاما وان كان
السبب خاصا الراغب المنع الحيلولة بين المريد ومراده ولما كان الذي يقدر يمنع
صيانة صار المنع متعارفا في الصيانة فمن فيه ان يذكر فيها اسمه بدل اشتمال من مساجد
او مفعول لاجله لان المنع او مفعول لاجله او على حذف من وكني بذكر اسمه عن كل ما يؤتى مع
في المساجد من انواع العبادات وسعى في خرابها حقيقة على القول الاول وفي المراد
بها مجاز على القول الثاني الا خائفين من ان يبطش بهم لهم في الدنيا خزي ناسب
لاخلاء المساجد بتعطيل الذكر فيها فجوزوا على ذلك بالذل والهوان واخلاء الذكر
ولهم في الآخرة عذاب عظيم مناسب للتخريب لما في التخريب من اتلاف هياكلهم
وصورهم ولله المشرق والمغرب اي الارض كلها لانهما ناحيتاها وقد وردت روايات
مختلفة في سبب نزول هذه الآية واصح ما ورد انها في القبلة حين حولت وطعن
اليهود في ذلك وبهذا يعرف مناسبة وضع الآية هنا لانها في ضمن تعداد قبائح اهل

الكتاب وتقدم قبلها تعريضا من النسخ والرد عليهم في انكار ذلك وفي وصلها بالآية التي
قبلها ما لا يخفى من المناسبة فان المساجد والقبلة متلابسان وللتنبيه على ان
من سعى من التولية الى جهة القبلة وان لم يمنع من الصلاة في المسجد كمن منع
الصلاة في المسجد وقال الجويني في تفسيره سمعت ابا الحسن ابن الدهان يقول وجه اتصالها
بما قبلها ان ذكر تخريب المقدس قد سبق اي فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوه فان لله المشرق
والمغرب انتهى وما قلته اجود فاينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله قال ابن عباس في الصلوة بامر الله م
اي قبلة الله اخرجه ابن ابي حاتم وقال غيره الوجه والجهة والوجهة القبلة واضافها
الى نفسه تخصيصا وتشريفا ان الله واسع اي يسع كل شيء علما ومغفرة وجودا وفيه
تطابقه لما نسب الى اهل الكتاب من التضييق في امر القبلة عليم بنية عباده حيثما
صلوا وقيل الآية خطاب للذين يخربون المساجد منتظمة مع الآية قبلها والمعنى فاينما
تولوا هاربين بحكم العذاب ويقويه قراءة الحسن تولوا بصيغة الماضي فتكون جملة
ان الله واسع عليم للتهديد وانه لا مهرب من الله ولا مفر اذ ان وضح فيها باسم الله
الدال له على الاستقلال ولانه الحجر واجزاء من الضمير وقالوا اتخذ الله ولدا اسم اليهود
في عزير والنصارى في المسيح والمشركون في الملائكة والعطف على آية وقالت اليهود
فان فيها الفرق الثلاثة او المراد بالذين لا يعلمون المشركون وقرأ ابن عامر قالوا
بلا واو ولما تخلل من الفصل بقصة المساجد والقبلة من غير ذكر قولهم العطف
وقال الاصبهاني هي على الاستئناف كأن سائلا سأل هل انقطع حبل افترائهم على
الله او اشتد ولم ينقطع بل قالوا اعظم من ذلك وهو نسبة الولد الى الله سبحانه خلقه قبلها م
تنزيه نزهه باداته ثم احتج على هذا التنزيه بقوله بل له ما في السموات والارض
اي ملكا وخلقا وعزير والمسيح والملائكة من جملة ذلك واغلبية سببا في الولادة وعبر
بما مع ان المدعى فيهم ذلك من العقلاء للاعلام بانهم في غاية البعد عن الربوبية وفي غاية
التحقير لمدعي العبودية وتنبيها على اثبات مجانستهم للمخلوقات المنافية للولدية
ثم اتى بتغليب العقلاء على غيرهم في قوله كل له قانتون ايذانا بان كل ما في السموات
والارض في التسخير والانقياد بمنزلة المطيع القانت الذي يؤمر فيمتثل ولا يتوقف
عن الامر ولما كان القصد في الانكار على من اتخذ ولدا من العقلاء انخرطوا في سلك
هذا السلك انخراطا اوليا ايذانا بان من كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد
ان يكون من جنس الوالد بديع بمعنى مبدع وهو المنشئ على غير مثال قال ابو حيان
لما ذكر انه مالك لجميع من في السموات والارض وهم المظروف للسموات والارض ذكر الظرف
وبديع بالرفع خبر مبتدا وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على البدل من ضمير له ولما ذكر
ما دل على الاختراع ذكر ما يدل على طواعية المخترع وسرعة تكوينه فقال واذا قضى
امرا اي اراد قضاه اي خلقه وايجاده قال الازهري القضا في القرآن على وجوه

اوجه

مرجعها الى انقطاع الشيء وتمامه فيكون بمعنى الخلق فقضاهن سبع سموات والامر
وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اي امر والاخبار وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
اي اخبرناهم والفراغ وقضي الامر اي فرغ من اهلاك الكفار والوفاء فلما قضى موسى
الاجل والارادة اذا قضى امرا البيضاوي اصل القضا اتمام الشيء قولا وفعلا واطلق
على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه قال وقد تضمنت الآية
بيان فساد ما ادعوه من جهة اوجه التنزيه واثبات الملكية والانقياد والمنافية
للولادة والابداع الذي هو اختراع بلا مادة دفعة بخلاف الولادة فانها انفعال
عن الوالد بانفصال مادته عنه ولهذا اختير هنا على الصنع الذي هو تركيب الصورة
بالعنصر وعلى التكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا والحاصل ان ما شاوه اشياء
سرعة تكوينه الاشياء وتكوينها بامره دفعة بخلاف اتخاذ الوالد فانه يكون باطوار
ومهلة فانما يقول له كن فيكون قال الكرماني فيه ثلاثة اقوال احدها ان هذا عبارة
عن سرعة الايجاد وان لا تعب هناك ولا نصب والامر والقول مجازان لان المعدوم لا يخاطب
والموجود لا يؤمر وبهذا جزم في الكشاف وجعله استعارة تمثيلية والمعنى ان ما بالوجه م
قضاه من الامور واراد كونه يكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف
كما ان المأمور المطيع اذا امر امتثل ولا يتوقف الا بقدر ما يقال له افعل كذا
فيمتثل فاذا لا قول ثمة والقصد بهذه الجملة تاكيد استبعاد الولادة فان من
كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لحال الاجسام في توالدها
الثاني انه حقيقة الا ان حيث ما هو كائن في علمه تعالى كالموجود في صحة الخطاب قلت
وهذا اصح الاقوال الثالث انه خاص بالموجودات التي اراد تعالى نقلها من حالة الى اخرى
وقيل معنى له لاجله ورفع يكون هو الوجه اي فهو يكون وقراءة النصب على الحمل على اللفظ
لانه صيغة الامر وقال الذين لا يعلمون الآية لما حكى تعالى عن الكفار نسبة الولد اليه
سبحانه عقب ذلك بمقالة اخرى لهم تدل على تعنتهم وجهلهم بما يجب لله من التعظيم
وعدم الاقتراح على انبيائهم ولما كان ذلك مما يضيق به صدر نبيه صلى الله عليه وسلم
سلاه باخباره ان ذلك شان الكفار قبلهم مع انبيائهم وزاد في تسليته وطمأنته
وبيان شرفه بان اكد الشهادة له بالرسالة المصاحبة للحق واسندها تعالى الى
نفسه زيادة في التعظيم واقبل عليه بالخطاب مبالغة في التكريم ثم قال
انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ابو حيان بشير مقيس لانه من بشر ونذير غير مقيس
لانه من انذر فالقياس منذر وسوغ ذلك اقترانه ببشير على حد قولهم الغدايا والعشايا
انتهى وزاد تسكين قلبه فقال ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا انما عليك
البلاغ وعلينا الحساب وفي قراءة بجزم تسأل مفتوح التاء نهيا له صلى الله عليه وسلم
عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام بشأنهم تخفيفا عليهم وتهويلا وفي سبب نزول

بهذه الآية ما يقتضي انها نزلت مرتين بالقرآن وانه صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري
ما فعل ابواي فنزلت اخرجه ابن جرير عن محمد بن كعب مرسلا وقيل النهي لتعظيم ما وقع
باصحاب الجحيم من العذاب كما لو سالت عن صاحب بلية فيقال لك لا تسال عنه اي انه في
امر عظيم وقرأ ابي وما تسال وابن مسعود ولن تسأل والجحيم النار العظيم الراغب
الراغب الجحمة شدة تاجج النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
قال الاصبهاني وجه اتصالها بما قبلها انه لما بين في الآية السابقة اصرارهم وتصميمهم
على الكفر والتكذيب مع تبيين الآيات الدالة على حقية الاسلام عقب ذلك بانه
بلغ حالهم في تشديدهم وثباتهم على كفرهم انهم يريدون مع ذلك ان تتبع ملتهم ابو حيان
افرد الملة وان كان لهم ملتان ايجازا او على حد وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا
قل ان هدى الله هو الهدى قال الاصبهاني فيه مبالغات منها اضافة الهدى الى الله
ومقارنته واعادة الهدى في الخبر على حد شعري شعري وتسمية الدين بالهدى لمجيئه جوابا
عن قولهم ملتنا وجعله مصدرا او توسيط ضمير الفصل وتعريف الخبر بلام الجنس القطب
وجه المطابقة بين كلامهم والجواب انهم ما قالوا لن ترضى عنك حتى تتبع ملتنا الا و
زعموا ان اتباع ملتهم هو الهدى لا دين الاسلام فاجيبوا على قصر القلب بان دين
الاسلام هو الهدى لا اتباع ملتهم ولئن اتبعت اهواءهم جمع للدلالة على كثرة اختلافهم
واباطيلهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير قال الكرماني قال
هنا بعد الذي جاءك وفيما سيأتي من بعد ما جاءك لان العلم في هذه الآية علم بالكمال ليس
وراءه علم لان معناه بعد الذي جاءك من العلم بالله وصفاته وبان الهدى هدى الله ومعناه
بان دين الاسلام وان القرآن كلام الله فكان لفظ الذي اليق به من ما لانه في التعريف ابلغ
وفي الوصف اقعد بدليل انه لا يتنكر قط ويوصف به اسم الاشارة بخلاف ما فانها خصت
بالموضع الآتي لان المعنى بالعلم هناك ان قبلة الله هي الكعبة وذلك قليل من كثير من العلم
وزيد معه من التي لابتداء الغاية لان تقديره من الوقت الذي جاءك العلم فيه بالقبلة لان
القبلة الاولى نسخت بهذه الآيات وليس الاول موقتا بوقت وختم الآية الاولى في
بتغليظ من الخطاب لعظم شان العلم الذي فيها وختم الثانية بقوله انك اذا لمن الظالمين
لما كان الثاني منحطا عن الاول وقال في الرعد بعد ما جاءك فاتى بما لان العلم فيها
هو الحكم العربي اي القرآن فكان بعضا من الاول ولم يزد من لانه غير موقت وختمها
ايضا بتغليظ من الخطاب فقال ما لك من الله من ولي ولا واق ولانه وان كان بعض الاصول
فهو مشتمل على الكل الذين آتيناهم الكتاب الآية لما ذكر كفار اليهود وقبائحهم اردفه
بالثناء على من آمن منهم لئلا يظن ان الكل داخلون في الذم كما قال تعالى في سورة
آل عمران ليسوا سواء الآية وضميره في الموضعين للكتاب لتتسق الضمائر وقيل للنبي
صلى الله عليه وسلم لتقدمه في انا ارسلناك ففيه التفات عن الخطاب وقيل لله فيكون

التفاتا

التفاتا عن التكلم يا بني اسرائيل الآية قال الاصبهاني وغيره لما استقصى الله في بيان وجوه
نعمه على بني اسرائيل ثم في بيان قبائحهم في اديانهم واعمالهم ختم الفصل بما بدأ به ليكون ما
حكى عنهم محتوشا بين التذكيرين ومحفوفا بين الوعظين والتخويفين ثم شرع في نوع آخر
من البيان وهو ان ذكر قصة ابراهيم وكيفية احواله والسر فيه ان ابراهيم يعترف
بفضله جميع الطوائف اهل الملل والمشركون فحكى الله عن ابراهيم امورا توجب على المشركين
وعلى اليهود والنصارى الايمان والاعتراف برسالته **واقول** لما تقدم
الرد على اليهود في انكار النسخ وسبب ذلك نسخ القبلة قدم في الرد على ذكر الامر بالتوجه
الى الكعبة ذكر من بناها وهو ابوهم الاكبر ابراهيم الذي ما فخروا بكونهم من ذريته ليكون
ذلك ابلغ داع لهم الى استقبالها لكونها من آثاره ثم منه بسبيل وذكر في خلال ذلك امورا
من شانه كدعوته ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم والثناء على ملته وان من رغب عنها فقد
سفه نفسه وان دينه الاسلام لا اليهودية ولا النصرانية وانه ويعقوب وصيا
بذلك اولادهما الى غير ذلك مما ذكر في اثناء القصة وافتتحها بالثناء عليه باتمام ما امره
به الموجب لجعله اماما يقتدى به وان من تابعه من ذريته في الوفاء كانوا ايضا ائمة الا
من ظلم منهم فقال واذ ابتلى ابراهيم ربه اي اختبره وامتحنه والابتلاء في الشاهد
لاستفادة علم خفي على الممتحن من الممتحن وذلك غير جار في حق الله فهو يعود الى الاعلام
لا الى استعلامه وقيل الابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء يعني اصابة
المكروه بكلمات هي مناسك الحج وخصال الفطرة العشر وسهام الاسلام الثلاثون
المذكورة في قوله التائبون الآية وان المسلمين الآية وقد افلح الآيات ونظائرها من
شأن والكوكب والقمر والشمس والنار والهجرة وذبح ابنه فاطلاق الكلمات عليها مجاز
لانها صادرة عن اوامر وهي كلمات كما سمي عيسى كلمة لانه صادر عن كلمة كن وقرئ برفع
ابراهيم ونصب ربه فالكلمات الدعوات اي اختبرها ابراهيم ربه هل يجيبه قال
اني جاعلك استيناف بياني كانه قيل فماذا قال ربه حين اتم الكلمات وفي الآية من
انواع البديع المراجعة وهي ان يحكي المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين
محاور له باوجز عبارة واعدل سبك واعذب الفاظ قال ابن ابي الاصبع جمعت
هذه الآية ثلاث مراجعات فيها معاني الكلام من الخبر والاستخبار والامر والنهي
والوعد والوعيد بالمنطوق والمفهوم **قلت** احسن من هذا ان يقال جمعت الخبر
والطلب والاثبات والنفي والتاكيد والحذف والبشارة والنذارة والوعد
والوعيد ومن ذريتي قرئ بتثليث الذال وهو عطف على ضمير المخاطب في جاعلك كانه
قال وجاعل بعض ذريتي وقيل المثل ذلك عطف تلقين كانه يلقنه بان يقول كذا كما
يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا قال لا ينال عهدي الظالمين قرئ الظالمون كما
يعني لان ما نالك فقد نلته ولما صدر بالثناء على باني البيت عقبه بالثناء على البيت

فقال واذ جعلنا البيت مثابة للناس اي مرجعا يثوبون اليه كل عام وقيل من الثواب
اي يحجون فيثابون وقرئ مثابات باعتبار الناس وامنا وصف به مبالغة اي ذا امن
واطلق ليعم امن الدنيا والاخرة والناس وغيرهم واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى قرئ
بفتح الخاء على الخبر وهو متصل بما قبله وما بعده وبكسرها على الامر فقيل على تقدير وقلنا
اتخذوا وقيل الخطاب خاص بهذه الامة ثم رجع الى الاول بقوله وعهدنا فالجملة
على هذا اعتراض وقيل الخطاب لليهود عطف على اذكروا نعمتي او على توبوا معتدنا
وجرا لهم عن انكار التوجه الى الكعبة انتقال من هنا كهي في قولك اتخذت من فلان
صديقا واعطاني الله من فلان اخا صالحا دخلت لبيان المتخذ والموهوب وتمييزه
في ذلك المعنى يعني ان الاية من باب التجريد ومصلى قيل موضع صلاة وقيل موضع دعاء
قلت ولا يبعد ارادة الامرين او اختصاص الاول بقراءة الكسر كما بينه سبب
النزول والثاني بقراءة الفتح ان طهرا يحتمل المصدرية والتفسيرية لان في العهد
معنى القول دون حروفه للطائفين والعاكفين والركع السجود اي المصلين استوعب
العبادات الثلاث الخاصة بالمسجد الطواف والاعتكاف والصلاة ابو حيان خص الركوع
والسجود بالذكر من جميع احوال المصلي لانهما اقرب احواله الى الله وقدم الركوع على السجود
لتقدمه في الزمان وجمعا جمع تكسير لمقابلتهما ما قبلهما من جمعي السلامة تنويعا في
الفصاحة وخالف بين وزني تكسيرهما تنويعا في الفصاحة ايضا وكان اخرهما
على فعول لا فعل لاجل كونها فاصلة والفواصل قبلها وبعدها اخرها حرف مد ولين
وعطف العاكفين والركع لان كلا منهما عبادة مستقلة ولم يعطف السجود على الركع
لان المقصود بهما الصلاة والركوع والسجود يشملها فعل واحد وهو الصلاة فناسب
ترك العطف لئلا يتوهم ان كلا منهما عبادة على حيالها هذا بلدا امنا في سورة ابرهيم
هذا البلد امنا قال الكرماني لان الاول اشارة الى الوادي قبل بناء البيت
فدعا ان يجعله بلدا وان يجعله امنا والثاني اشارة اليه بعد بنائه ومصيره
بلدا فدعا بامنه فهو دعاء بامر واحد والاول دعاء بامرين واسناد الامن الى البلد
مجاز كعيشة راضية اي امنا اهله وسكانه وهو ما يأمنون فيه وارزق اهله
من الثمرات من امن بدل بعض خاصة استدركا موافقة لجواب الله له الاول لا ينال
عهدي الظالمين ظنا ان الرزق كالامامة قال ومن كفر اي وارزق من كفر على حد
العطف في ومن ذريتي وضمير قال لله وامتعه قرئ بالتشديد والتخفيف وقرئ فامتعه
فامتعه ثم اضطره بصيغة الامر للدعاء فضمير قال لابرهيم قال ابن جني وحسن
اعادة قال على هذا الامرين احدهما طول الكلام فلما عاوده من اوله اعيدت
لبعدها والاخر انه انتقل من الدعاء لقوم الى الدعاء لاخرين فكان ذلك اخذا في كلام اخر
فاستؤنف معه لفظ القول قال ويجوز في هذه القراءة حمل الضمير لله فاستعمل قال في حكاية

نفسه على ما اعتادته العرب من امر المخاطب لنفسه كقول الاعشى
ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل
وهو المسمى عندهم بالتجريد وقرأ ابي فنمتعه ثم نضطره وقرئ اضطره بكسر الهمزة
لغة في المضارع وبعضهم اطا ابتاعا للراء واذ يرفع حكاية حال ماضية قاله الزمخشري
وقال ابو حيان لا فان اذ تخلص المضارع الى المعنى القواعد من البيت قال الزمخشري لم
يقل قواعد البيت لان في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في
الايضاح بعد الابهام من تفخيم شأن المبين واسماعيل الطيبي اخر عن ابرهيم وفصل
بالمفعول الذي هو مؤخر الرتبة عن الفاعل لان الرافع في الحقيقة ابراهيم واسماعيل
كان معينا ومناولا للحجارة ربنا في مصحف ابن مسعود ويقولون ربنا وهو تصريح
بالمقدر في قراءة الكافة الحوفي حيث وقع النداء بذا الا ثم الله كله هيبة وعظمة
فالمناسب له ذلك الحرف المشعر بالبعد والذل من المنادي ورفعة المنزل للمنادي
واسم الرب المفهوم منه اللطف والرحمة والرأفة والله تعالى قريب من العبد بهذه الصفة
اذ ما من حالة الا والله تعالى محسن للعباد لطفا ورفقا فقيل ربنا ربنا من غير
حرف نداء اشارة الى القرب المذكور قال وامّا قيل يا رب فان السؤال
فيه لا تر العوجر وهم لظلمهم بعدوا من الرأفة والرحمة الطيبي تكرار ربنا للاستعطاف
تقبل منا فرق بعضهم بين القبول والتقبل بان التقبل تكلف القبول وذلك حيث يكون
العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل وهذا اعتراف منهما بالتواضع واعتراف بالتقصير في العمل
انك انت السميع العليم في الختم بها غاية التناسب اذ صدر منهما عمل وسؤال واخر
العليم على غير الترتيب لمناسبته للفاصلة واجعلنا مسلمين قرئ بصيغة الجمع
وارنا في قراءة تسكون الراء وقرئ وارهم مناسكهم وتب عليهم ربنا وابعث فيهم لما
دعا لمكة بالامن ولاهلها بالرزق دعا بان يجعل من ذريته امة مسلمة ختم الدعاء لهم بما فيه
سعادتهم دنيا واخرة وقرأ ابي وابعث في اخرهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب
رتب التعليم على التلاوة كما هو الواقع لان التلاوة اول ما يقرع السمع والتعليم
الذي هو التفهيم بعده والختم بالعزيز الحكيم مناسب لان ارسال رسول على ما وصف
لا يصدر الا عن من اتصف بالعزة وهي الغلبة والقوة وبالحكمة التي هي اصابة
مواقع الفعل وقدم العزيز لانه من صفات الذات والحكيم من صفات الافعال
ويكون الحكيم انسب بالفواصل ومن يرغب استفهام انكار واستبعاد عن ملة
ابراهيم الراغب الملة كالدين وهو اسم لما شرع الله لعباده على لسان انبيائه والفرق
بينها وبين الدين ان الملة لا تضاف الا الى النبي الذي تسند اليه نحو ملة ابرهيم ملة
ابائي ولا تكاد توجد مضافة الى الله ولا الى احاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون
الاحاد فلا يقال ملة الله ولا ملتي ولا ملة زيد كما يقال دين الله ودين زيد
ويخرج

اسقط حرف النداء ايجب وقع بافه فلابد من ذكر او عوض وهو الميم المشددة ونكتته ان الميم

الصلاة ملة الله كما يقال الصلاة دين الله سفه نفسه استخف بها وامتهنها وقيل
جهلها وقيل ضيعها وقيل الاصل سفه في نفسه فحذف الجار وفي الكلمتين نوع من
الجناس ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين الكشاف
هو بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته ومعه ما يوجب الترغيب فيها ابو حيان زاد التأكيد
في الجملة الثانية لانها اخبار عن حاله مغيبة في الآخرة فاحتاجت الى مزيد تاكيد بخلاف
حاله في الدنيا فان ارباب الملل قد علموا اصطفاء الله له الطيبي خص الكرامة الدنيوية
بالاصطفاء والاخروية بالصلاح لان الاصطفاء بالنبوة اقصى شرف الانسان ومنتهى
درجات العباد في الدنيا واما الصلاح فهو الاستقامة على الخير وذلك انما ينفع
في الآخرة واما في الدنيا فهو لا يخلو من ادنى خلل اذ قال له ربه اسلم قيل ظرف لاصطفيناه
اي اخترناه في ذلك الوقت وقيل لاذكر [illegible] على ما ذكر من حاله اي اذكر ذلك
الوقت ليعلم ان المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملته وفيه التفات عن التكلم ووصى
وفي قراءة اوصى والاول ابلغ لدلالته على التكثير الراغب الوصية التقدم الى الغير
بما يعمل به مقترنا بوعظ بها قيل بالملة وقيل بكلمة اسلمت لرب العالمين ويعقوب
بالرفع عطفا على الفاعل والنصب عطفا على المفعول يا بني قرئ اي ان يا بني فان
تفسيرية فلا تموتن ليس نهيا عن الموت لانه ليس بمقدور بل عن ترك الاسلام لئلا
يوافي الموت عليه حضر قرئ بكسر الضاد لغة يعقوب قدم المفعول للاعتناء الموت
اي اسبابه مجاز ما تعبدون اي شيء فعبر بما دون من لانه اعم ابو حيان لم يقل
من لئلا يطرق اليهم الاهتداء وانما اراد ان يختبرهم وينظر ثبوتهم على ما هم عليه
واله آبائك عد العم في الآباء مجازا وقرئ ابيك باسقاط آبائك والجنس واله ابيك
بالافراد وقدم يعقوب لانه السائل ثم ابراهيم لانه الاصل ثم اسماعيل لانه اسن من اسحاق
واشرف الها واحدا بدل يفيد التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي عن تكرير المضاف
لتصحيح العطف على الضمير المجرور والتاكيد ونحن له مسلمون قال ابو حيان لما ذكر
الجواب بالفعل الذي هو نعبد لان العبادة متجددة دائما ذكرت هذه الجملة الاسمية
الدالة على الثبوت لان الانقياد والاستسلام عندهم دائما وعنه تكون العبادة فكأنهم
اجابوا بشيئين احدهما الذي سأل عنه والثاني مؤكد لما اجابوا به فهو من باب الجواب
المربي على السؤال تلك امة الآية قال الكرماني هذا معلوم بالبديهة وانما ذكره
لبيان العدل والانصاف ومثله لكم دينكم ولي دين وللتحذير من الاتكال على عمل
الآباء والاجداد والاستدعاء الى المبادرة بالطاعة قال الكرماني وانما كرره
لان المراد بالاول الانبياء وبالثاني اسلاف اليهود والنصارى وقيل الاول لاثبات
ملة ابراهيم لهم جميعا والثاني لنفي اليهودية والنصرانية وقال الاصبهاني انما اعيدت
ثانيا لان الحجاج اذا اختلفت مواطنه حسن تكريره للتذكير به وقالوا كونوا هودا

نفي التعنت

او نصارى تهتدوا قيل فيه وهو محمول على حذف مقدم في وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى قل بل ملة ابراهيم بالنصب على تقدير نتبع وقيل اغراء
وقرئ بالرفع على تقدير المبتدأ اي بل الذي [illegible] او امرنا ملة او الخبر اي بل ملة ابراهيم
ملتنا وفي الاضراب بيان اثبات انه ليس بهوديا ولا نصرانيا حنيفا حال لازمة وخص
ابراهيم بالذكر دون غيره من الانبياء وان كان الكل مائلين الى الحق مستقيمي الطريقة حنفاء
لان الله اختص ابراهيم بالامامة لما شرعه من مناسك الحج والختان وغير ذلك من شرائع
الاسلام مما يقتدى به الى قيام الساعة وما كان من المشركين فيه تعريض باهل الكتاب
وغيرهم واشراكهم بقولهم في عزير والمسيح قولوا آمنا بالله قال ابو حيان وجه
ارتباط هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر في قوله بل ملة ابراهيم جوابا الزاميا دعوا انهم لما
امروا باتباع اليهودية والنصرانية وانما كان ذلك منهم على سبيل التقليد فيلزم كل طائفة
منها تكفير الاخرى اجيبوا بان الاولى في التقليد اتباع ابراهيم لانهم قد اتفقوا على صحة
دينه والاخذ بالمتفق عليه اولى من الاخذ بالمختلف فيه ان كان الدين بالتقليد فلما
ذكر هذا الجواب الالزامي ذكر بعده برهانا في هذه الآية وهو ظهور المعجزة عليهم
بانزال الآيات وقد ظهرت على يد محمد صلى الله عليه وسلم فوجب الايمان بنبوته فان
تخصيص بعض بالقبول وبعض بالرد يوجب التناقض في الدليل وهو ممتنع عقلا وما
انزل الينا في آل عمران علينا قال الكرماني لان الى للانتهاء الى الشيء من اي جهة كان والكتب
منتهية الى الانبياء والى اممهم جميعا والخطاب هنا للامة لقوله قولوا فلم يصح الا الى
وعلى تختص بجانب واحد وهو العلو فكان مختصا بالانبياء لان الكتب منزلة
عليهم ولا شركة للامة فيه وفي آل عمران قل وهو خطاب له صلى الله عليه وسلم دون
امته فكان الذي يليق به على وقال في الكشاف هذا تعسف بل لان الوحي ينزل من
فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر وما انزل الى ابراهيم
كرر الموصول لان المنزل اليه وهو الصحف العشر غير المنزل الينا وهو القرآن ولما لم
ينزل الى اسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كتب عطفها على ابراهيم لانهم كلفوا
العمل بما انزل اليه والدعاء اليه فاضيف الانزال اليهم كما اضيف في قوله وما انزل الينا
وافرد موسى وعيسى بالذكر من الاسباط لانهما متبوعا اليهود والنصارى والكلام معهم
ولم يكرر الموصول في عيسى لانه انما جاء مصدقا لما في التوراة لم ينسخ منها الا نزرا يسيرا
فالذي اوتيه عيسى هو ما اوتيه موسى وان كان قد خالف في نزر يسير وجاء وما
اوتي بعد وما انزل من تغاير الكلام وتفننا في الفاظه وتفنن العبارة لما في
ذلك من الحلاوة التي لا توجد في سرد الالفاظ على نمط واحد ولما ذكر في الانزال
اولا خاصا وعطف عليه جمعا ذكر في الايتاء خاصا ثم عطف عليه جمعا ولما اظهر الموصول
في الانزال لعلة [illegible] العطف اظهره في الايتاء فقال وما اوتي النبيون وهو من باب عطف

العام على الخاص على حد رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات
وقدم ما انزل الينا على ما بعده وان كان متأخرا في الانزال لانه اولى بالذكر اذ
الناس بعد البعثة المحمدية مدعوون الى الايمان بما انزل الله جملة وتفصيلا وفي
آل عمران والنبيون لان ذكر الانبياء تقدم في قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب لا نفرق بين احد منهم ادخل بين على احد لانه في معنى الجمع لعمومه
وقيل فيه اكتفاء اي بين احد وآخر او نحوه ونحن له مسلمون قدم له لافادة الا
ختصاص والتعريض لهم اسلامهم لا لغرض آخر من سمعة ورياء وطلب مال وفيه تعريض
بمنافقي اليهود الذين اسلموا للرياء والسمعة ونحو ذلك وختم بذكر الاسلام بعد
الاسناد بالايمان جمعا بينهما في الآية بمثل ما آمنتم به قيل مثل زيادة وقيل
الباء هي الزائدة اي مثل ايمانكم وقرأ ابن عباس جمعا بينهما فان آمنوا بالذي
آمنتم به وقرأ ابن مسعود بما آمنتم به وقيل هو من مجاز الكلام تقول هذا الامر لا يفعله
مثلك اي لا تفعله انت ومنه مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود كما قال القائل ولم اقل
مثلك اعني به سواك يا فردا بلا مشبه وقال الزمخشري هو من باب التبكيت لان دين الحق واحد
لا وجه بين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين كالاسلام
لو كوشفها حتى ان آمنوا بدين كذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض
والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم
الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك
للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب
من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه انتهى فانما هم في شقاق
في مبالغة لانه جعلهم ظرفا لهم وهم مظروفون له فهو مستول عليهم من جميع جوانبهم ومحيط بهم
احاطة البيت بمن فيه وهو ابلغ من ان يقال مشاقون والشقاق العداوة قال القاضي ولا يكاد يقال
في العداوة على وجه الحق فسيكفيكهم الله عطف بالفاء اشارة بتعقيب الكفاية عند شقاقهم و
توليهم والمجيء بالسين يدل على قرب الاستقبال لانها اقرب من سوف والذات لا تكفي فهو على حذف
اي فسيكفيك شقاقهم وقال الزمخشري والسين تفيد التوكيد لانها في مقابلة لن قال سيبويه لن افعل
نفي سأفعل وهو السميع العليم ختم بهما لان كلا من الايمان وضده يشتمل على اقوال وافعال ومعتقدات
فناسب الختم بهما فالاول للاقوال والثاني للافعال والاعتقادات ولما كانت الاقوال هي الظاهرة التي
الدالة على ما في الباطن قدمت صفة السميع ولان العليم فاصلة ايضا وتضمنت الصفتان وعدا ووعيدا
صبغة الله اي دين الله او تطهير الله وعبر بالصبغة على طريق المشاكلة لانهم كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون انه تطهير لهم وان به يصير الولد نصرانيا حقا فامر المسلمين
ان يقولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة فهو مصدر منصوب بفعل مقدر وقيل نصب على
اتبعوا وقيل بدل من ملة ابرهيم وقيل اغراء اي عليكم وقرئ بالرفع خبر محذوف اي ذلك الايمان

ومن احسن استفهام بمعنى النفي واحسن للتفضيل فيه اذ لا احسن من صبغة الله ونحن
له عابدون اي وانهم غير عابدين لحذف اكتفاء او الجملة من باب التعريض بالقوم لان ذكر
المخصص بعد ذكر المشترك نفي لذلك المخصص عمن شاركه في المشترك أتحاجوننا بالنون والياء وفيه
لف مجمل على ما سبق ءانتم اعلم ام الله هو تهكم واستهزاء اذ لا مشاركة بين الله وبينهم في العلم حتى
يسأل عن الاعلم وفائدته المبالغة في اقامة الحجة وقطع النزاع لان كل من خوطب بهذا
الكلام بادر الى ان يقول الله اعلم قال ابو حيان جاءت جمل هذه الآيات من ابتداء ذكر ابراهيم
الى انتهاء الكلام فيه على اختلاف معانيه وتعدد مبانيه كأنها جملة واحدة في حسن مساقها و[illegible]
انها مرتقية في الفصاحة ذروة الاحسان مفصحة ان بلاغتها خارجة عن طبع الانسان
سيقول السفهاء قال ابو حيان مناسبة هذه الآية لما قبلها ان اليهود والنصارى قالوا ان
ابراهيم ومن ذكر معه كانوا هودا ونصارى ذكروا ذلك طعنا في الاسلام لان النسخ عند اليهود
باطل فقالوا الانتقال عن قبلتنا باطل وسفه فرد الله ذلك عليهم بهذه الآية وقال [illegible] ما كان
الآيات السابقة كلها توطئة لنسخ القبلة من قوله ما ننسخ من آية الموطن على النسخ الى قوله
ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله الموطن على التحول الى ناحية ابراهيم وبانيه
الكعبة المرغب في التوجه اليها وما تبع ذلك من توصية يعقوب جد اليهود والنصارى اولاده
باتباع ملته وامره تعالى باتباعها وانه لا يرغب عنها الا من سفه نفسه الى ما ذكر في خلال
ذلك من الثناء عليه وبرأته من اليهودية والنصرانية ولم يبق بعد هذه التوطئة البليغة
والممهدات النجيبة الا الصدع بالحكم الحق فصدر بالاخبار بما سيقوله السفهاء عند
وقوعه من باب الاخبار بالمغيبات قبل كونها توطينا للنفوس على ما يرد من الاعداء لان مجيء
الشيء بعد العلم به اخف من مجيئه بغتة واقل تأثيرا ولعظم شأن التحول الذي هو اول نسخ
وقع وكل مبتدأ صعب فكان فيه فتنة عظيمة حتى ارتد لذلك جماعة من الضعفاء ولكون
الجواب بعد الحكم ذلك وهو قوله لله المشرق والمغرب الطف في الحكم بآخر الآية مناسبا
لا قولها اي لا معنى لانكارهم ترك قبلة الى قبلة لان الله سبحانه له جهة المشرق والمغرب
وملكها وهو عام في صالح خلقه فهو يهدي من شاء اليها ما شاء وكذلك اشارة الى المصدر المفهوم
من يهدي امة وسطا فيه تورية مرشحة لان للوسط معنيين المتوسط والخيار وظاهر
اللفظ يوهم الاول لان قبلة الاسلام متوسطة بين المشرق والمغرب وهما قبلتا اليهود والنصارى
والمراد هنا الثاني وهو الخيار كما صح التفسير بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابعد المعنيين
ورشح ذلك قوله لتكونوا شهداء على الناس فانه من لوازم كونهم خيارا اي عدولا الا انهم في محل
خيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والفساد والاوساط محمية محوطة لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا الخلاف اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت
آخرا لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول
شهيدا عليهم قال ابو حيان سمي ادراك البصيرة شهادة وان كان اصله في ادراك البصر لما بين

لما من الالم والكرب من المناسبة الشديدة وانتهى بشهد الآية جمع شهيد وهو ابلغ من شاهد
والشهادة التي .... مفعول ثان لا صفة كنت عليها يعني الكعبة وبيت المقدس وفيه التفات
عن الغيبة في الرسول الا لنعلم المراد به علم المشاهدة وهو الذي يستحق به الثواب والعقاب
وعلم الغيب لا يستحق به ذلك وقيل المعنى ليعلم رسول الله والمؤمنون واسند علمهم الى ذاته وانهم
خواصه واهل الزلفى عنده وقيل لنميز التابع من الناكص كقوله ليميز الخبيث من الطيب فوضع
العلم موضع التمييز لان العلم يقع به التمييز ويؤيده تعديه بمن وقيل المراد الا لنعلم ذلك في
الازل المستمر في الحال والاستقبال وقرأ الزهري ليعلم بالبناء للمفعول ولا يحتاج لما
تأويل من يتبع الرسول فيه التفات من الخطاب في قوله كنت قال ابو حيان ونكتته انه لما كان
التوجه الى الكعبة توجها الى المكان الذي ألفه وله اليه نزاع اتى بالخطاب ولما كانت
الشهادة والتبعية من الامور الالهية اتى بلفظ الرسول ليدل على ان ذلك مختص بالتبليغ
المحض ممن ينقلب على عقبيه كناية عن الرجوع عما كان فيه من ايمان او غيره والرجوع من العقب
اسوأ احوال الراجع في مشيه على وجهه فلذلك شبه به المرتد في الدين وقرئ يقلب بسكون القاف
لغة تميمية وان كانت اي التولية الدال عليها السياق او الجملة الدال عليها جعلنا
لكبيرة قرئ بالرفع على زيادة كان او خبر محذوف اي لهي كبيرة الا على الذين استثناء من
محذوف اي على الناس هدى الله قال القشيري من نظر الى الامر بعين التفرقة كبر عليه
امر التحويل ومن نظر بعين الحقيقة ظهر لبصيرته وجه الصواب فمن كان مع الله في جميع الاحوال
على قلب واحد رأى المختلفات من الاحوال له واحدة سواء غير او قرر او اثبت او بدل
او حقق او حول فهم به في جميع الاحوال قال قائلهم

حيثما دارت الزجاجة درنا ... يحسب الجاهلون انا جننا

ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس قبل التحويل فان سبب نزولها السؤال عمن مات
قبل التحويل فكني عنها بالايمان لانها اعظم شعبه وفيه تنويه اندراج صلاة المنافقين قال
في المنتخب ولولا ذكر سبب نزول الآية لما اتصل الكلام بعضه ببعض وقرئ ليضيع بالتشديد
ان الله تعليل بالناس قدم اعتناء بالمرؤف بهم لرءوف رحيم الرأفة شدة الرحمة وقدم
الابلغ للفاصلة والختم بها مناسب لما قبلها قد نرى قد للتحقيق او التكثير وهو في كلام العرب
كثير جدا تقلب وجهك قيل المراد بصرك فكني بالكل عن الجزء في السماء فيه حال محذوفة
اي طالبا قبلة غير التي انت مستقبلها فلنولينك قدم الوعد قبل الامر ليفرح النفس بالاجابة
ثم انجاز الوعد فيتوالى السرور مرتين ولان بلوغ المطلوب بعد الوعد به آنس في التوصل
من مفاجأة وقوع المطلوب واكد باضمار القسم مبالغة في وقوعه قبلة نكرت لانه لم يجر
قبلها ما يقتضي ان تكون معهودة حتى تعرف ووصفها بقوله ترضاها لتقربها من التعيين
فول وجهك اي في الصلاة وانما يذكرها لان الآية نزلت وهو في الصلاة فاغنى التلبس
بها عن ذكرها والمراد بالوجه جملة البدن وكني به عنه لانه اشرف اعضائه شطر المسجد الحرام

قال

قال بعضهم كل ما في القرآن من المسجد الحرام فالمراد به الحرم كله الا هنا فالمراد الكعبة خاصة
وقرأ ابن مسعود تلقاء المسجد وحيثما كنتم فولوا بدأ بامره صلى الله عليه وسلم ثم امر امته لانهم
تبع له ولئلا يتوهم ان ذلك مما يختص به وزاد التعميم في الاماكن لئلا يتوهم اختصاص ذلك باهل
المدينة شطره قرأ ابن مسعود قبله وابن ابي عبلة تلقاءه انه اي التولي المفهوم من الفعل
وقيل هو ضمير الرسول فيكون التفاتا من ربهم في الاضافة اليهم تنبيه على انه يجب اتباع الحق
الذي هو شريعة من يوصف باصلاحهم كما قال الحق من ربك يعملون بالياء لاهل الكتاب
وبالتاء قيل لهم التفاتا وقيل للمؤمنين ولئن اتيت تسلية للرسول لابائهم وعنادهم وما انت
بتابع قبلتهم بيان لان هذه القبلة لا تنسخ الى يوم القيامة وقطع لاطماع اهل الكتاب وافرد
وان كان لهم قبلتان لاشتراكهما في البطلان كما قيل الكفر كله ملة واحدة وحسن ذلك المقابلة
اللفظية وفي الجملة النفيه لكونها اسمية ومؤكدة بالباء هي مستأنفة لا معطوفة على
الجواب لعدم صحته اذ لا مدخل للشرط فيها وقرئ باضافة اسم الفاعل وما بعضهم
بتابع قبلة بعض افاد ان اهل الكتاب وان اتفقوا على خلافك هم مختلفون فيما بينهم
ايضا كما قال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وقد قيل اهل الباطل لا يتفقون على شيء الا على
عداوة اهل الحق وفي ذلك وهن لكيدهم ولئن اتبعت اهواءهم الخطاب في الظاهر
له صلى الله عليه وسلم وفي المعنى لامته وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير لهم واكثر
استعمال الهوى فيما لا خير فيه الذين آتيناهم هو المخبر من اوتوا الاسناد الينا لما
الله معبرا عنه بنون العظمة وكذا ما يجيء من نحو هذا مراد به الاكرام نحو هدينا و
اجتبينا واصطفينا قيل ولان اوتوا قد يستعمل فيما لم يكن له قبول وآتيناهم اكثر
ما يستعمل فيما له قبول الكتاب قال ابو حيان اذا اريد بالكتاب التوراة وحد
صرفا الى المكتوب المعبر عنه بالمصدر يعرفونه اي محمدا صلى الله عليه وسلم اضمر ولم
يسبق له ذكر تفخيما لشأنه واشعارا بانه لشهرته معلوم بغير اعلام وقال ابو حيان
ليس باضمار وقيل الذكر وهو التفات من ضمير الخطاب الى الغائبة وحكمته انه لما فرغ من الاقبال
عليه بالخطاب اقبل على الناس فقال الذين آتيناهم الكتاب واخبر بانهم يجهلون العلم والوحي
يعرفون هذا الذي خاطبناه في الآي السابقة وامرناه ونهيناه لا يشكون في معرفته
ولا في صدق اخباره وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة كما يعرفون ابناءهم
من بين الصبيان خص الابناء دون الانفس لان الانسان قد يمر عليه
برهة من الزمان لا يعرف فيها نفسه بخلاف الابناء فانه لا يمر عليه زمان الا وهو يعرف ابنه
وان اريد معرفة الوجه والصورة فواضح ان الانسان لا يعرف نفسه بذلك بخلاف
ابنه دون البنات والانا لانهم اكثر مباشرة ومعاشرة والصق واعلق بالقلوب
ذكره ابو حيان الحق خبر مبتدأ او هذا مبتدأ او مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد او للجنس
وقرئ بالنصب على البدل من الحق قبله او مفعول يعلمون من اقامة الظاهر مقام المضمر

تهويلا وتقبيحا او اغراء اي الزم من ربك فيه النقات عن الغيبة فلا تكونن من الممترين الخطاب في
الحقيقة لغيره وهو ابلغ من فلا تمتر لان النهي عن الكون من فرقة موصوفة بفعل ابلغ من النهي
عن نفس الفعل كقولك لا تكن ظالما ابلغ من لا تظلم لان لا تظلم نهي عن الالتباس بالظلم ولا تكن
ظالما نهي عن الكون بتلك الصفة والنهي عن الكون على صفة ابلغ من النهي عن تلك الصفة اذ
الاول يدل بالوضع على عموم الاكوان المستقبلة على تلك الصفة ويلزم من ذلك عموم تلك
الصفة والثاني يدل بالوضع على عموم تلك الصفة وفرق بين ما يدل على عموم ويستلزم
عموما وبين ما يدل على عموم فقط فلذلك كان ابلغ ولذلك كثر النهي عن الكون في القرآن كقوله
فلا تكونن من الجاهلين ولا تكونن من الذين كذبوا فلا تكون في مرية منه قال بعضهم والنادب
المجادلة على مذهبنا الشك ولكل وجهة لما ذكر القبلة التي امر المسلمون بالتوجه اليها وهي
الكعبة وذكر تصميم اهل الكتاب على عدم اتباعها وان كلا من الفريقين مصمم على عدم اتباع
قبلة الآخر اعلم ان ذلك هو بفعله وانه المقدر لذلك والموجه كلا منهم لما قبلته ففي ذلك
تنبيه على شكر الله اذ وفق المسلمين لاتباع ما امره من التوجه واختارهم لذلك ثم قراءة
الجمهور ولكل منونا موصولة بكسر اللام اسم فاعل فالضمير والوصف لله ويضاف كل المحذوف
تقديره طائفة او فرقة او نحوها وقيل التقدير ولكل نبي قبلة وقيل لكل ملك ورسول
ونبي قبلة المقربين العرش والروحانيين الكرسي والكروبيين البيت المعمور والانبياء بيت
المقدس ومحمد الكعبة وقيل الضمير الوصف لكل اي موليها وجهه فحذف احد المفعولين
وقرأ ابن عامر مولاها بالفتح اسم مفعول فالضمير لكل قطعا وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
واحسن ما وجه به انه يتعلق باستبقوا اي استبقوا الخيرات لكل وجهة وقرأ
ابي ولكل قبلة وابن مسعود ولكل جعلنا قبلة ابو البقاء وجهة جاء على الاصل والقياس جهة
كعدة وزنة اينما تكونوا الآية قصد بها الوعظ والتحذير ان الله على كل شيء قدير مناسب
لما قبله لان جمع العالم ليوم القيامة يحتاج الى قدرة عظيمة فبين سبحانه انه قادر عليه
نذر وكان له في عموم كل شيء فلا يعطيه طائع او سالك ساكنا ذكره الطوفي ومن حيث خرجت
قال الاصبهاني كرر استقبال القبلة ثلاث آيات لان هذا من مواضع التاكيد لاجل النسخ
الذي هو مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر
فاختلفت فوائدها الكرماني الاولى لنسخ القبلة والثانية للسبب وهو قوله وانه للحق من ربك
والثالثة للعلة وهي الاكمة وقيل في الاولى وحيث ما كنتم دون ومن حيث خرجت والثانية
بالعكس الجمع في الثالثة منهما تنبيها على ان النبي والمؤمنين في ذلك سواء الشيخ سعد الدين
الاولى لتقرير النبي صلى الله عليه وسلم باجابة دعائه واعطائه متمناه والثانية لتعميم الحكم
حسب الحضر والسفر والحرج عقيبه المأمور والوعيد على من تركه والثالثة لتشريف
الامة بافراد الخطاب وتعليل الحكم بما رتب عليه من الحكم والفائدة ومن حيث متعلق اما بوله
او محذوف اي افعل ما امرت وقوله فول عطف عليه او يجعل ومن حيث خرجت في معنى الشرط

ايابا

وقرئ على الغيبة اي بما يعملون ... بالتاء وبالياء ... (marginal note, partly illegible)

وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة وقوله لعلكم تهتدون خاص بالثالثة ... الازمان والثالثة
صح

اي ايما كنت وتوجهت فالفاء للجزاء انتهى وانه للحق من ربك ازيل به وهم من قد توهم ان
تحويل القبلة لمجرد رضا النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال قبلة ترضاها قاله ابو حيان
وما الله بغافل قال ابو حيان حيث نبه على الحكمة ذكر الرب المقتضي للنعمة وحيث ذكر الوعيد
ذكر الله المقتضي للجلالة والمهابة الطيبي قوله وانه للحق من ربك تذييل لقوله فول
وجهك نحو قولك فلان ينطق بالحق والحق ابلج وقوله وما الله بغافل وعيد تذييل للجموع
يعني من حقيقة هذا المامور به وشأنه ان الله لا يهمل عامله ويعطيه اجره كاملا تاما وهذا
نوع من التاكيد المعنوي وبين ما هو لفظي سوكيد لفظي فقال ومن حيث خرجت الآية
لئلا متعلق بمحذوف اي عرفناكم وجه الصواب في قبلتكم بقولنا ولكل وجهة هو موليها
وبقولنا قل لله المشرق والمغرب الآية او بولوا الا الذين ظلموا استثناء منقطع اي لكنهم
ياتون بالشبهة ويجعلونها مكان الحجة وقيل الا بمعنى الواو اي ولا الذين ظلموا وقرأ زيد
ابن علي الا بالفتح والتخفيف حرف تنبيه والوقف على ما قبله اي الا ها ولا فلا تخشوهم
كقولك الا زيدا فاعرض عنه واقبل علي وقرئ الا حرف جر بمعنى مع فلا تخشوهم قيل ذكر
الخشية دون الخوف لان الخشية حذر من امر قد وقع والخوف حذر من امر لم يقع
ولاتم قيل معطوف على لئلا يكون وقيل على مقدر اي لاوفقكم ولعلكم تهتدون الطوق
الختم به مناسب لما هو في سياقه من الامر باستقبال الكعبة ودفع حجة الناس وقيم العاد
عنهم لان ذلك هداية وحراسة وصيانة عن شبهات الاعداء وهو نعمة جليلة كقوله
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ولكن يريد ليطهركم وليتم
نعمته عليكم كما متعلق باتم اي كما اتممتها بارسال الرسول ووجه التشبيه انها آخر القبلات
كما انه صلى الله عليه وسلم آخر الرسل وان للعرب بهما معا عزا وشرفا لانتسابهم اليهما ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون هو من ذكر العام بعد الخاص وقيل المراد به قصص من سلف ومن ياتي
فاذكروني اذكركم قيل معناه اثيبكم فسمى الثواب ذكرا من باب المقابلة واشكروا لي ولا
تكفرون فيه طباق ومقابلة بين الشكر والكفر والامر والنهي وسأل ابو حيان بدئ
بجملة الامر بالذكر لانه اريد به الثناء والمدح العام والحمد له تعالى وذكر له جواب مترتب
عليه وثنى بجملة الشكر لانه ثناء على شيء خاص وقد اندرج تحت الاول فهو بمنزلة التاكيد فلم
يحتج الى جواب وختم بجملة النهي لانها امر بالشكر لم يكن اللفظ ليدل على عموم الازمان
والتكليف باستحضار الشكر في كل زمان فقد يذهل الانسان عن ذلك في كثير من
الاوقات فنهي عن الكفران لان النهي يقتضي الامتناع من المنهي عنه في كل الازمان وذلك
ممكن لانه من باب التروك وقد تقدم قاعدة انه اذا كان امر ونهي بدئ بالامر وقيل ولا
تكفرون لانه من كفران النعمة ولو كان من كفر الايمان لقيل ولا تكفروا او ولا تكفروا بي الراغب
ان قيل لم اتبع قوله واشكروا لي قوله ولا تكفرون ولم يقتصر على احد اللفظين قيل
لو اقتصر على الاول لتوهم ان من شكره مرة او على نعمة ما فقد امتثل او على الثاني لتوهم

وعيد

ان ذلك نهي عن تعاطي قبيح دون حث على الفعل الجميل فجمع بينهما لازالة هذه الشبهة
وثانيا في الثاني نهيا عن الكفر المطلق وذلك معنى زائد على واشكروا لي يا ايها الذين آمنوا استعينوا
بالصبر والصلاة قال ابو حيان مناسبة هذه لما قبلها ظاهرة لانهم سمعوا من طعن الكفار في
التوجه الى الكعبة والصلاة اليها اذى كثيرا فامروا عند ذلك بالاستعانة بالصبر على الصلاة
ان الله مع الصابرين اي بالمعونة والتأييد ولما كان شاملا للصلاة ايضا اقتصر على ختم
الآية به فاندرج المصلون تحت الصابرين اندراج الفرع تحت الاصل ولما ذكر الصبر عطف عليه
ما يتعلق بالجهاد المحتاج الى الصبر اعظم احتياج فقال ولا تقولوا الآية وفيها تسلية لاقرباء
المقتولين في سبيل الله كما في التي قبلها تسلية للمسلمين عما سمعوا من اذى الكفار في امر القبلة ثم
عطف عليها قوله ولنبلونكم فاخبرهم بذلك قبل وقوعه توطينا لهم لان مفاجأة البلاء تشتد
والعلم به اخف من مجيئه بغتة كالمتقدم خصوصا مع ما رتب عليه من جزيل الثواب وفي الاتيان
بمن الاثر الصبر المطلوب عند الصدمة الاولى بخلاف ما لو اخر نزول الآية واسند
الابتلاء الى الله تهوينا على المؤمنين لانه اذا كان من الحبيب سهل امره كما قيل

ويخفف عني ما الاقي من العنا * بانك انت المبتلي والمقدر

وعندي ان قوله استعينوا بالصبر الى آخر الآيتين توطئة لقوله ولنبلونكم وان الآية
مشيرة الى الامر بالجهاد المصرح به بعد في قوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وهذه
عادة القرآن يلوح بالتكليف الشاق قبل الامر به برهة بدليل قصة تحريم الخمر وما عرض بالتحريم
فيها قبل التصريح وقد ورد ان قوله وقاتلوا الآية اول آية نزلت في القتال فقدمت هذه
الآيات كالتمهيد لها وان كان بينهما آيات كثيرة كما قدم قوله ما ننسخ من آية وما بعده
من الآيات الكثيرة على نسخ القبلة تلويحا به وتمهيدا له وبهذا لما قصد التلويح بالجهاد ذكر
نقص الانفس مضموما اليه غيره من نقص الاموال والثمرات وابتدأ بالخوف والجوع وقدم
عليه ذكر فضيلة من قتل في سبيل الله وقدم عليه الامر بالاستعانة بالصبر والصلاة
ومدح الصابرين وختم ببشارة الصابرين ايضا والارشاد الى ما يقولونه عند نزول
المصيبة وما وعدوا عليه من الصلوات والرحمة وما وصفوا به من الهداية بشيء نكره
للتقليل تسهيلا عليهم وترتيبا وقد ذكرت على وجه الترقي فبدئ بالخوف ثم الجوع لانه
اشد من الخوف واشد منه نقص المال واشد من نقص المال ذهاب النفس واشد من ذهاب
نفس الانسان موت الاولاد لانهم المراد بالثمرات كما قاله الشافعي وبشر الصابرين
الملتزمين جميع انواع الصبر وهو منع النفس عن شهوات الطبع فان كان في مصيبة
خص باسم الصبر ويضاده الجزع وان كان في الحرب سمي شجاعة ويضاده الجبن وفي الغنى
سمي ضبط النفس ويضاده البطر او في نائبة مضجرة سمي سعة صدر ويضاده الضجر او في
فضول الدنيا سمي زهدا ويضاده الحرص او على يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره
او عن شهوة الفرج والبطن سمي عفة او في اخفاء الكلام سمي كتمانا قاله الشيخ سعد الدين وبشر

الصابرين عطف على ولنبلونكم عطف المضمون على المضمون الذي يجوز فيه الاتباع والقطع
في المدح والاستئناف البياني اذا اصابتهم مصيبة فيه الجناس المغاير وهو ان يكون بين
اسم وفعل والمصيبة اصلها اسم فاعل من اصاب وصار لها اختصاص بالشيء المكروه وهي
هنا كل ما آذى المؤمن حتى انقطاع شسع النعل وانطفاء المصباح كما ورد في الحديث قالوا
انا لله وانا اليه راجعون جمعت هاتان الجملتان ما لا مزيد عليه من الاقرار لله بالملك
والعبودية وهو يستلزم التفويض لان المالك يتصرف في ملكه بما يريد والاقرار بالبعث
المستلزم للتنبيه على الموت الذي هو اعظم المصائب وذكره يهون كل مصيبة وقد
كانت تعزية الجاهلية ان يقولوا كل مصيبة ما عدا الفقس جلل اي حقير اخرجه الدينوري
في المجالسة عن شريح ابن عبيد وعلى حصول الجزاء باثابة المصاب وعقاب المصيب
اذا كانت المصيبة على يد ظالم وكل ذلك مما يهون ويسلي ولذلك رتب على هذا القول
ما ذكر من الثواب الجزيل اذا قاله معتقدا معناه واتصف بثمرة محتواه وقد ورد ان
هذا الاسترجاع من خصائص هذه الامة لم يعطه احد قبلها اخرج الطبراني عن ابن عباس
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت امتي شيئا لم يعطه احد من الامم ان يقولوا عند المصيبة
انا لله وانا اليه راجعون واخرج ابن جرير عن سعيد ابن جبير قال لم يعط احد الاسترجاع
غير هذه الامة الا تسمعون الى قول يعقوب يا اسفا على يوسف اولئك اشارة للتعظيم
والدلالة على بعد المرتبة عليهم صلوات قال الموصلي فان قلت الصلاة بمعنى الدعاء فلم
قيل الصلاة عليه مع ان قول القائل الدعاء عليه دعاء بالشر قلت ليست الصلاة بمعنى الدعاء
فقط بل بمعنى الدعاء بالخير فقيل الصلاة عليه اي الدعاء بالخير عليه وفيه فائدة وهي انه يطلب
من الخير ما يغمره ويظهر عليه لكثرته ابو حيان حتى يكون اشارة الى انهم منغمسون في ذلك
قد غشيهم وتجللهم وهو ابلغ من قوله لهم وجمع صلوات ليدل على ان ذلك ليس بمطلق صلاة
بل صلاة بعد صلاة ونكرت لانه لا يراد العموم ووصفها بكونها من ربهم ليدل على ان
ابتداءها من الله اي تنشأ تلك الصلوات وتبتدئ من الله وأتى بلفظ الرب لما فيه من دلالة
التربية والنظر للعبد فيما يصلحه وربته ورحمة قيل هو عطف المترادفين بان
الصلاة من الله الرحمة وقيل الرحمة كشف الكربة وقضاء الحاجة الشيخ سعد الدين لما كانت
الصلاة في الاصل حركة الصلوين ناسب ان يراد بها الحنو والانعطاف ثم الرأفة المناسبة
لذلك ولعطف الرحمة عليها بمنزلة ان قال رأفة ورحمة والله رؤوف رحيم وما يقال ان الصلاة
من الله رحمة فهو اخذ بالحاصل وبان الرحمة ايضا تنبئ عن الرأفة والانعطاف ومنه الرحم
وجمع الصلوات للتكثير كما في لبيك يعني انه لا انقطاع لرأفته ورد وعلى مثل هذا في الرحمة
لتكثر التنعيم وذلك لان جمع الصلوات مع علة من ذلك بلا منه او ما فوقها ليس مما له كبير معنى
ثم حاصل الرأفة والرحمة راجع الى الفضل المسند ودفع المضار انتهى ابو حيان ان اريد بالرحمة
الصلوات فللاحتياج الى التقييد بصفة محذوفة لانها قد تعددت او ما يغايرها فيكون ذكر

منه واولئك هم المهتدون جملة ثانية تدل على الاعتنا بامر المخبر عنه اذ ابرز كل وصف له في جملة مستقلة وبدئ بالجملة الاولى لانها الاهم في حصول الثواب المرتب على الوصف الذي قبله واخرت هذه لانها نزلت من ما قبلها منزلة العلة لان ذلك القول المرتب عليه ذلك الجزا الجزيل لا يصدر الا عمن سبقت هدايته واكدت بقوله هم وبالالف واللام كان الهداية انحصرت فيهم وباسم الفاعل ليدل على الثبوت لان الهداية ليست من الافعال المتجددة وقتا بعد وقت فيخبر عنها بالفعل بل هي وصف ثابت وهاتان الجملتان نظير جملتي اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ان الصفا والمروة قال ابو حيان مناسبة هذه الاية لما قبلها ان الله تعالى لما اثنى على الصابرين وكان الحج من الاعمال الشاقة المتعبة للمال والبدن وكان احد اركان الاسلام ناسب ذكره بعد ذلك اقول ولمناسبة امر القبلة في ان كلا طعن في فعله قوم وكلا من شعائر ابيهم فقد ورد ان قوما تحرجوا من السعي بينهما ورد في السعي بينهما او دنسكم امر اسماعيل والصفا والمروة علمان بالغلبة ولذا لزمتهما اللام الراغب الصفا اي الحجارة الصافية والاية على حذف مضاف اي طواف او سعي فلا جناح عليه ان يطوف بهما من باب ايراد الجواب على طبق السؤال لانها نزلت جوابا لمن قال انا نتحرج ان نطوف بهما لانهما من امر الجاهلية وقرا ابن عباس وغيره ان لا يطوف فلا ابن جني ويكون لا على زيادة كقوله لئلا يعلم اهل الكتاب فيوافق قراءة الكافة وقرئ يطوف من طاف ويطاف بالتشديد واصله يتطوف يتفعل ومن تطوع قرئ التا ماضيا وبالياء وتشديد الطا مضارعا مجزوما خيرا على حذف الجار اي بخير وقرئ به فان الله شاكر عليم قال ابو حيان وقعت الصفتان هنا الموقع الحسن لان التطوع بالخير يتضمن الفعل والقصد فناسب ذكر الشكر باعتبار الفعل وذكر العلم باعتبار القصد واخرت صفة العلم وان كانت متقدمة على الشكر كما ان النية متقدمة على الفعل لتواخي رؤس الاي ان الذين يكتمون مناسبتها لما قبلها ان اليهود كتموا صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة من بعد علمهم اياه ومن صفته انه يتوجه الى الكعبة ما انزلنا فيه التفات من الغيبة في الاسم الظاهر من البينات والهدى قيل هما واحد والجمع بينهما توكيد وقيل البينات الحجج الدالة على نبوته والهدى الاحكام كاية الرجم ونحوها من بعد ما بيناه قرئ بينه بالافراد ففيه التفات من التكلم الى الغيبة اولئك جي باسم الاشارة البعيد تنبيها على ذلك الوصف القبيح وابرز الخبر في صورة الجملتين توكيدا وتعظيما واتى بالفعل المضارع لتجدد مقتضيه وهو الكتم ولذلك جي بصلة الذين مضارعا ليدل على التجدد ايضا لان بقاهم على الكتم كتم وجي بالجملة المسند فيها الفعل الى الله لانه هو المجازي فجاءت الجملة الثانية لان لعنة اللاعنين مرتبة على لعنة الله للكاتمين وابرز اسم الجلالة على سبيل الالتفات اذ لو جرى على نسق الكلام لقيل لعنهم او نلعنهم فان في هذا الاسم من الفخامة التي ليست في الضمير وفي يلعنهم اللاعنون جناس مغاير واللاعنون كل من يتاتى منه اللعن وهم الملائكة والمؤمنون

قال

قاله الربيع بن انس وقيل دواب الارض قاله مجاهد وعكرمة قال الاصبهاني ولم يقل اللاعنات لان من شان العرب اذا وصفت شيئا من البهائم والجمادات بما هو صفة الناس من قول او فعل اجري بعد ذلك كما في غيرها الا ان قبله من بعد ما بيناه فلو ذكر التبس واصلحوا اي ما افسدوا احوالهم وبينوا اي ما كتموا شرطان لا بد منهما في حصول التوبة ولهذا وجب على من تعين اخراجه ذه في فتوى اعلام المستفتي بذلك ليكف فاولئك اتوب عليهم فيه التفات عن الغيبة وانا التواب الرحيم ختم بهما ترغيبا في التوبة عليهم لعنة الله فيه التفات عن التكلم واعاد لعنهم لان الاول في حياتهم والثاني بعد موتهم ذكره الاصبهاني وهو ذلك وجه الربط وان الاية فيمن مات على الكتم ومن لم يتب والملائكة والناس اجمعين ترك الجن من نفسها واجمعون على تقدير ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة وقيل في النار واضمرت تهويلا وتفخيما لشانها وقيل لان اللعنة دالة عليها بالالتزام والاولى ان تعود هو على بعد الى اللعنة مرادا بها النار وعلى ذا استخداما والهكم اله واحد اي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله والاية خطاب لجميع المخلوقين اتى بعد ما تقدم من ذكر حال الكافرين وما قبله نظير قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم وما اتصل به بعد ما تقدم من بيان حال المنافقين وما قبله لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته في الجملة الاولى دلت على نسبة الوحدانية اليه والثانية على حصر الالهية فيه بالنص وان دلت عليه الاولى بالالتزام وقال في المنتخب لما قال والهكم اله واحد امكن ان يخطر ببال احد ان يقول هب ان الهنا واحد فلعل اله غيرنا مغاير لالهنا فازال ذلك الوهم ببيان التوحيد المطلق فقال لا اله الا هو الرحمن الرحيم اي المولى لجميع النعم اصولها وفروعها نبه بذلك على استحقاق العبادة له ولما تقدم من ذكر اللعنة والعذاب جريا على عادة القران من ذكر اية الرحمة بعد اية العذاب وعكسه ومؤخرة مؤكدا وفي الحديث اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو والم الله لا اله الا هو اخرجه احمد وفي سنن سعيد ابن منصور وغيره عن ابي الضحى لما نزلت هذه الاية تعجب المشركون وقالوا الها واحدا ان كان صادقا فليأتنا باية فنزلت ان في خلق السموات والارض جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سما من جنس غير الاخرى ووحد الارض لانها كلها تراب قاله الاصبهاني وقال غيره لم تجمع الارض لثقل جمعها وهو ارضون ولهذا لما اريد ذكر جميع الارضين قال ومن الارض مثلهن واما السما فتارة ذكرت بصيغة الجمع وتارة بصيغة الافراد لنكت تليق بذلك المحل والحاصل انه حيث اريد العدد اتي بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة نحو سبح لله ما في السموات اي جميع سكانها على كثرتهم تسبح له السموات اي كل واحدة على اختلاف عددها قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله اذ المراد نفي علم الغيب عن كل من هو في واحدة واحدة من السموات وحيث اريد الجهة اتي بصيغة الافراد نحو وفي السما رزقكم اامنتم من في السما ان يخسف بكم الارض اي من فوقكم الكرماني قيل لفظ الخلق مزيد لان الايات في

في الشاهد وقيل الخلق الهيئة وقيل المخلوق **واختلاف الليل والنهار** وقدم الليل لانه الاصل
والاقدم **والفلك التي تجري** انث على معنى الجمع وذكر في قوله الفلك المشحون على معنى الافراد
وجعل الصفة موصولا صلته مضارع ليدل على تجدد ذلك الوصف لها في كل ازمانها **في البحر**
ذكر للتوكيد اذ من المعلوم انها لا تجري الا في البحر **بما ينفع الناس** قال ابو حيان اقتصر عليه
وان كانت تجري بالضر لانه في معرض الامتنان وما اما موصولة فالبا للمصاحبة
او مصدرية فالبا سببية **وما انزل الله من السماء من ماء** في ماء من مائه والمجانس لافتض ذاك
بحرف في الاخر وذاك بحرف في الاول ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية **فاحيا به الارض
بعد موتها** نسبة الاحيا والموت الى الارض مجاز عقلي ويسمى مجازا في الاسناد قال
ابو حيان كنى بالاحيا عن ظهور ما اودع فيها من النبات وبالموت عن استقرار ذلك فيها
وعدم ظهوره وهما كنايتان غريبتان لان ما يبرزه بالمطر جعل تعالى فيه القوة الغاذية
والنامية والحركة وما لم يظهر فهو كامن فيها كانه دفين فيها وهي له قبر **وبث** يجوز عطفه
على انزل وعلى احيا والمعنى على هذا فاحيا الارض بالمطر وبث فيها من كل دابة بالخصب فعلى
هذا يكون الاحيا والبث مع الانزال آية واحدة وعلى الاول يكون البث آية مستقلة وهو
الاوفق لان المقصود تكثير الايات والاصح ان يكون الاحيا آية مستقلة مع الانزال
لا على البعضية فالانزال والاحيا كالسبب والمسبب فصارا جميعا كشيء واحد قيل
وعطفه على احيا اللغ من جهة انه يفيد ترتيبه على الانزال في العيان كما انه ثابت في
الواقع بخلاف ما اذا عطف على انزل فانه لا يفيد الترتيب في العبارة ولا يلزم ان الاول
ابلغ والادق لانه نظير قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما
خلقنا انعاما واناسي كثيرا ومن هنا تبعيضية او اسم في موضع المفعول **وتصريف الرياح** قرئ
في السبع بالافراد والجمع وقال ابي بن كعب رضي الله عنه كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة
وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب اخرجه ابن ابي حاتم ولهذا ورد في الحديث اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا وذكر في حكمة ذلك ان رياح الرحمة مختلفة الصفات والهبات والمنافع
واذا جاءت منها ريح اثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان
والنبات فكانت في الرحمة رياحا واما في العذاب فانها تاتي من وجه واحد ولا معارض لها
ولا دافع وقد خرج عن هذا آية يونس وشورى لنكتة تذكر هناك فان قلت فما سني القرآة
بالوجهين قلت الاشارة الى النوعين معا كما هو في كل آية ومن هذا انواع بلاغة
القرآن وتصريف مصدر مضاف للمفعول والفاعل الله وقيل للفاعل اي تصريف الرياح
السحاب ورجحه ابو حيان وعندي انه لازم بمعنى تصرف لا يحتاج الى مفعول **لآيات
لقوم يعقلون** الكرماني خص العقل الذكر لانه به يتوصل الى معرفة الآيات الاصبهاني علمهم
الله في هذه الآية كيفية الاستدلال على الصانع وعلى توحيده وردهم الى التفكر في آياته
والنظر في مصنوعاته تذكرا وابلغها ابرز الظواهر من السموات والارض لخلق السموات والارض

اكبر من خلق الناس وما فوق الاسباب في عالم المشاهدة وضم اليه اختلاف الليل والنهار الذي
الذي هو من اسباب الحوادث المتجددة التابع لخلق السموات والارض الدال على كمال القدرة
دلالة ظاهرة لتجددهما على سبيل التعاقب ثم ذكر الفلك فان جريها على الماء من اقوى الدلائل
على وحدانية الخالق القادر الحكيم ثم ذكر انزال الماء فانه من الآيات الظاهرة التي تغتر بها
ما على وجه الارض من الحرث والشجر والدواب قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي ثم ذكر
ما يترتب عليه ويعقبه من احيا الارض وبث الدواب فيها وهو من الآيات البينات ثم ذكر
تصريف الرياح والسحاب المسخر لانهما من الحوادث الدالة على وجود المحدث ووحدانيته وقدرته
وعلمه واورد عدة آيات لان في كل شيء له آية تدل على انه واحد ولكن بعض الاشيا اوضح
في الدلالة من بعض وعقول الناس في قبولها متفاوتة فان عقل بعض الناس قد يكون له قابلية
ان ياخذ من بعض الموجودات ولا يكون له قابلية ان ياخذ من وجه آخر فبين تعالى دلائل
الوحدانية من وجوه متعددة وطرق متكثرة حتى يحصل لكل حظ ونصيب ثم بين ان هذه
الامور المذكورة آيات لقوم يعقلون **الذين لا يتخذون اندادا من دون الله يحبونهم كحب الله**
فان من اتخذ اندادا من دون الله وخالط حبهم قلبه فقد فسدت فطرته وزال عقله و
دخل في زمرة الاشقيا فلم تغن عنه الآيات وبهذا عرفت اتصال الآية التي بعدها انتهى
كلام الاصبهاني وقال ابو حيان رتب الآيات ترتيبا غريبا بدأ باختراع السموات لان
ذلك ابدع عظيم وقدم السموات لعظم خلقها وشرفها ثم ثنى بذكر ما خص من العالم العلوي وهو
الليل وقدم الليل لسبقه في الخلق على النهار ثم ثلث بذكر ما نشأ عن العالم السفلي وهو الفلك
ثم عقب بالمشترك بينهما وهو انزال الماء من السما واحيا الارض به ثم ختم بما لا يتم النعمة للانسان
الا به وقدم تصريف الرياح على السحاب لتقدم ذكر الفلك على انزال الماء في الذكر ولان الرياح
هي المسيرة للسحاب **ومن الناس** قال الاصبهاني لما ذكر تعالى الآيات الدالة على وحدانيته اعلم
ان قوما بعد هذه الدلالة البينة يتخذون الانداد من دون الله تعالى وقال ابو حيان لما قيد
التوحيد بالدلائل الباهرة اعقب بذكر من توقف واتخذ الانداد ليظهر تفاوت ما بين
الضد والضد ليظهر حسنه الضد وانه مع وضوح هذه الآيات لم ينشأ هذا
هذا الضال بشانها قال والاحسن حمل الناس هنا على الطائفتين من المشركين واهل الكتاب
بدليل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ويؤيده قوله يحبونهم بضمير العقلاء
وروعي في فاعله معنى من ولفظها وفي بعض يتخذ لفظها وفي يتخذ من دون الله اندادا تجريبها
حذف قولهم اتخذت من زيد صديقا وفرئ يحبونهم تنبيه البالغة **كحب الله** مصدر مضاف
الى المفعول فقيل التقدير كحبهم الله وقيل كحب المؤمنين الله وقيل كالحب الذي يجب ان يكون
لله **والذين آمنوا اشد حبا لله** اي من حب الكافرين للانداد ولم يقل احب لله لان ذلك
في فعل الفاعل لا المفعول **ولو يرى** بالتاء خطاب للرسول او لكل مخاطب وهو من رؤية البصر
والذين ظلموا مفعول واذ ظرف لترى اي في حال رؤيتهم اذ رأوا العذاب ومنهم جعلوا

اذ للمستقبل وقرئ على هذا يرون بالبنا للفاعل وللمفعول وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا
فظيعا وان القوة بالكسر استيناف وبالفتح بدل من امرا مفعول لرأيت المقدر وقيل هو مفعول له
والمقدر لرايت خاصة واما على قراءة يرى بالتحتية فهي علمية والذين فاعل وان القوة
بالفتح مفعول وجواب لو مقدر ايضا والمعنى ولو يعلم الذين ظلموا الآن ان القوة
لله جميعا لا للانداد حال رؤية العذاب في الآخرة لما اتخذوها او لآمنوا اذ تبرأ بدل
من اذ يرون الذين اتبعوا هم الانداد المتخذون من الذين اتبعوا اي الكفار وقرئ
بالبنا للفاعل في الاول وللمفعول في الثاني فيتبرؤنهم بالندم على الكفر وراوا العذاب
حال تبرؤا في حال رؤيتهم او عطف وتقطعت عطف على تبرأ بهم بمعنى عنهم الاسباب
وهو كناية عن ان لا ملجأ لهم من العذاب ولا مخلص قال ابو حيان في هذه الجملة من انواع
البديع نوع يسمى الترصيع وذلك في موضعين في اتبعوا واتبعوا ولذا حسن حذف
ضمير الموصول وفي العذاب والاسباب وقال عطف على تقطعت كذلك اي كما اراهم
الله التبرؤ وقيل هو منفصل اي الامر كذلك حسرات ثالث مفاعيل يريهم والمعنى
ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وقيل عليهم اشارة
للاستعلاء والغلبة وما هم بخارجين من النار قال الاصبهاني افاد تقديم هم الاختصاص
فان العصاة من المسلمين يخرجون وقد عدل عنه الزمخشري مع اعتنائه به مراعاة لمذهبه
يا ايها الناس قال ابو حيان مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما بين التوحيد ودلائله اتبع
ذلك بذكر انعامه على الكافر والمؤمن ليدل ان الكفر لا يؤثر في قطع الانعام بدليل
قال ومن كفر ولذلك اتى بالنداء العام ولم يخص الذين آمنوا وقال المروزي لما حذر المؤمنين
من حال من يصير عمله عليه حسرة امرهم باكل الحلال لان مدار الطاعة عليه وقيل
نزلت فيمن حرم البحيرة ونحوها ولذا قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل
نتبع ما الفينا عليه آباءنا وهذا هو التحقيق ونساسب ذكره انما اخذوه عن آبائهم
عن الانداد الذين اتخذوهم قدوة في تحريم ما لم يحرمه الله كلوا مما في الارض ادخل
من التبعيضية لانه ليس كل ما في الارض يمكن اكله او يحل حلالا الراغب هو مستعار
من حل العقدة الاصبهاني في الحلال المباح الذي انحلت عنه عقدة الحظر طيبا صفة
مؤكدة او بمعنى مستلذا او طاهرا قال في المنتخب الاصل في الطيب ما يستلذ وو
به الطاهر والحلال على جهة التشبيه لان النجس تكرهه النفس والحرام لا يستلذ لان
الشرع منع منه خطوات قرئ في السبع بضم الخاء والطا اتباعا وبضم الخاء وسكون
الطا تخفيفا وابقاء على الاصل في المفرد اذ هو خطوة وهي ما بين القدمين اي لا
تتبعوا سبيله ولا تسلكوا طريقه ولا تقفوا اثره وقرأ ابو السمال بفتح الخاء والطا
جمع خطوة وهي المرة قال ابن جني فالخطوات طرق الشيطان والخطوات بالفتح
افعاله وقرئ بضم الخاء وفتح الطاء وبضمها وبهمز الطا جمع خطأة قال الزمخشري النهي

بل زلوها

أ تنبيه لان تحريم ما ذكر

ولا تتبع

عن اتباع خطوات الشيطان كناية عن ترك الاقتدا به وعن اتباع ما سن من المعاصي يقال
زيد اتبع خطوات عمرو ووطئ على عقبه اذا استن بسنته انه لكم عدو مبين تعليل لهذا
التحذير من الاتباع انما يامركم بيان للعداوة والفحشا قيل كل ما في القرآن
من ذكر الفحشا فهو الزنا الا قوله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا فهو منع
الزكاة واصله من الفحش وهو قبح المنظر ثم توسع فيه فاستعمل فيما يستقبح من المعاني
الكشاف فان قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت
شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر وهم لقبولهم لوساوسه وطاعتهم له
بمنزلة المامورين واذا قيل لهم فيه التفات عن الخطاب الى الغيبة للنداء على ضلالهم
فهم فانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى الذين دعوا
الى اتباع شريعة الله التي هي الهدى والنور فاجابوا باتباع ضلال آبائهم الطيبي
الاولى حمل الآية عامة في الكفرة وعليه النظم وذلك انه تعالى خلق المكلفين ورزقهم
ما به يعيشون ويتمتعون واوجب عليهم الطاعة شكرا لتلك النعمة بقوله يا ايها
الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم الآيات وارسل اليهم الرسل ليدلوهم على الهدى ثم
ان الشيطان احالهم حتى كفروا نعمة الله فاذا قال لهم الانبيا اتبعوا ما يرشدكم
الى الهدى ولا تتبعوا ما يضلكم عن السبيل قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فهذا هو
التحقيق لان السورة في بيان اثبات التوحيد والنبوات ووضع الاحكام والتنبيه على
خطا الناس في الضلالات وارشادهم الى الحق فانه تعالى كلما ذكر نبذا من احوال
الامم وقصصهم كر الى هذا المعنى انتهى وبني قيل للمفعول لانه احضر لان الآمر لذلك
هو الرسول واتباعه من المؤمنين ما انزل الله فيه اعلام بتعظيم ما امروا باتباعه اذ نسب
انزاله الى الله الذي هو المشرع للشرائع وكان ينبغي ان يتلقى بالقبول ما الفينا في المائدة
ما وجدنا لان الفى اخص اذ لا تطلق على مطلق الوجود فلا يقال الفيت زيدا
بمعنى وجدت زيدا وانما يقال الفيت زيدا عاقلا والفيته على الهدى وعلى الضلالة
بخلاف وجدت فانها يجوز اطلاقها على مطلق الوجود كما تطلق على الوجود المخصوص
فكان الموضع الاول اولى باستعمال اللفظ الاخص واتى اللفظ المشترك الى الثاني في
الثالث اولو استفهام تعجب وانكار اي يتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون
في المائدة لا يعلمون لان العلم اعلى درجة من العقل ولهذا جاز وصف الله بالعلم دونه
وكان دعواهم في المائدة ابلغ لقولهم حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا فادعوا النهاية بلفظ
حسبنا فنفي ذلك بالعلم وهو النهاية وهنا بل نتبع ما الفينا ولم يكن نهاية فنفي بادون العلم
ليكون كل دعوى منفية بما يلائمها ابو حيان لو في مثل هذا التركيب شرطية كقوله
اعطوا السائل ولو جاء على فرس واضرب زيدا ولو احسن اليك وان ومعناها التنبيه
على ان ما بعدها لم يكن يناسب ما قبلها لكنها جاءت لاستقصاء الاحوال التي تقع فيها الفعل

ولدل على ان المراد بذلك وجود الفعل في كل حال حتى في الحال التي لا تناسب الفعل فلذلك
لا يجوز اضرب زيدا ولو اسا ولا اعطوا السايل ولو كان محتاجا انتهى ومثل الذين
كفروا تشبيه لمن دعي الى اتباع ما انزل الله فاعرض وتولى ولم يجب واصر على ضلاله
كمثل الذي ينعق الكرماني التقدير مثل الذين كفروا معك يا محمد كمثل الناعق مع الغنم فحذف
من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر وهو ابلغ ما يكون من الكلام قلت وهو المسمى في البديع
بالاحتباك وفيه تشبيه داعي الكفار براعي البهايم والكفار بالبهايم وهو الذي اختاره في الآية
سيبويه وابن طاهر وابن خروف والشلوبين والنسق دعا الراعي وتصويته بالغنم ووقع
التشبيه براعي الغنم لانها من ابلد الحيوان الا دعاء ونداء قيل هو من عطف المترادفين قال الراغب
الدعاء كالنداء لكن النداء قد يقال اذا قيل يا وايا ونحو ذلك من غير ان يضم اليه الاسم والدعاء
لا يكاد يقال الا اذا كان معه الاسم نحو يا فلان وقد قال في حرف النون النداء رفع الصوت
وظهوره وقد يقال للصوت المجرد واياه قصد بقوله بما لا يسمع الا دعاء ونداء اي لا يعرف
الا الصوت المجرد دون المعنى الذي يقتضيه تركيب الكلام وقال غيره النداء يختص بالجهر
وقيل بالبعيد وقيل بغير المعين وقال الرماني انما عطف لان الدعاء طلب الفعل والنداء
اجابة الصوت واصل النداء من الندى اي الرطوبة واستعارته للصوت من حيث
ان من يكثر رطوبة فمه حسن كلامه ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق صم اي هم صم
عن الحق فلا يسمعونه بكم عنه فلا يقولونه عمي عنه فلا يبصرونه فهم لا يعقلون شيئا
من التوحيد ومعرفة الله والختم به بخلاف الآية التي في اول السورة لتشبيه الكفار
في اول الآية بالبهايم الذين لا عقل لهم يا ايها الذين امنوا كلوا لما عمم الخطاب بالاكل في الآية
السابقة ميز المؤمنين بهذا النداء تشريفا لهم وتنبيها على خصوصيتهم رزقناكم اسنده
اليه لانه من العطية لما في الرزق من الامتنان والاحسان واشكروا لله فيه التفات من التكلم ان كنتم
اياه تعبدون التقديم للاختصاص اي ان كنتم تخصونه بالعبادة ولا تشركون به انما حرم
لما امر بالاكل من الحلال واراد تبيينه وكانت وجوهه كثيرة بين الحرام لكونه اقل فبقي ما سواه
على الحل حتى يرد منع وهو من الايجاز البليغ ونظيره لما سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يلبس المحرم من الثياب فقال لا يلبس القميص ولا العمايم الحديث فعدل عن المباح الكثير
الى الحرام لقلته وحصره وقرئ حرم بالبنا للمفعول بفتح الحاء وضم الراء مخففا ورفع
الميتة ولحم الخنزير خص اللحم بالذكر والمراد كل اجزايه لكونه معظم ما ينتفع به كما نص على اصل
الصيد في الاحرام والمراد جميع انواع التعرض له وفي البيع يوم الجمعة والمراد كل ما
يشغل وقال ابن عطية خص اللحم ليدل على تحريم عينه ذكي ام لم يذك وما اهل به لغير الله
ما ذكر على ذبحه اسم غير الله من الاصنام الكرماني قدم به هنا واخره في المايدة والانعام
والنحل لان تقديم الباء الاصل وهو يجري مجرى الالف والتشديد في التعدي فصار كحرف
من الفعل فكان الموضع الاول اولى بما هو الاصل ليعلم ما يقتضيه اللفظ ثم قدم فيما سواه

ومنه قولهم الطيالسة

ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله وتقديم ما هو الغرض اولى وقال صاحب المناجاة فان قيل
لم اتى بانما المفيد للحصر قلنا بسبب تقدمه المفيد للحصر ولما لم يوت به فيما لم يتقدمه النهي سعد الدين
الحصر هنا اضافي اي بالاضافة الى ما حرمه المشركون من السوايب والبحاير والسوايب
ونحوها فيحتمل القصر افرادا او قلبا اضافة لا حقيقة فمن اضطر الراغب الاضطرار حمل الانسان على ما يكرهه
ويكون بسبب خارج كمن يضرب او يهدد حتى يفعل منقادا او يوخذ قهرا فيحمل على ذلك ومنه
ثم اضطره الى عذاب النار او داخل وذلك اما بقهر قوة لا يناله بدفعها هلاك كمن غلبه
شهوة خمر او قمار او بناله كمن اشتد به الجوع فاضطر الى ميتة وعلى هذا قوله فمن اضطر
غير باغ وقوله امن يجيب المضطر عام في كل ذلك الاصبهاني اصل الاضطرار عدم الامتناع عن
الشيء فهو غير باغ نصب على الحال وقيل على الاستثناء فلا اثم عليه صرح بنفي الاثم هنا لانه
اول المواضع والمعنى في بقية المواضع به ضمنا لان قوله غفور رحيم يدل عليه الكرماني
قال في الانعام فان ربك غفور رحيم وفي سواها فان الله لانه سبق في سورة الانعام من ذكر
ما فيه تربية الاجسام من قوله وهو الذي انشا جنات ومنها ذكر الحبوب والثمار واتبعها بذكر
الحيوان من الضان والمعز والبقر والابل فكان ذكر الرب فيها اليق وقال صاحب المناجاة لما
كان في الانعام صيغة التحريم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما وقد قال في حقه وما ينطق عن الهوى ولا تربية اعظم من تعليم العلم الذي رباه
ورقاه الى ان صار معلما مع انه امي لا يقرا ولا يكتب كان ذكر الرب انسب وفي غيرها الحكم
بنفي التحريم على لسان رسوله اسنده الى الله فكان لفظ الله اولى بالمقام ان الذين
يكتمون عود الى قصة الكاتمين وقد تقدم ذكرهم كما هو عادة القرآن من الاستطراد من
قصة الى اخرى ثم العود الى الاولى وهو حقيقة الاستطراد وبه يفارق حسن التخلص فانه
ليس فيه العود الى المعنى المتخلص منه وقال ابو حيان لما تقدم الامر باكل الطيبات وذكر ما حرم
اكله ذكرت هذه الآية فيمن كتم ما انزل الله على انبيايه تحذيرا للمؤمنين ان يقعوا في مثل
ذلك وذكر فيها نوعا مما حرم اكله اولئك حتى عن خبر ان جملة لانها ابلغ من المفرد وصدرها باولئك
على حد ما تقدم في اولئك على هدى ما ياكلون في بطونهم الا النار ذكر البطون لنفي المجاز
لان الاكل قد يراد به التصرف نحو فلان ياكل بلد كذا والاهلاك نحو اكل فلان ماله اي
اهلكه واضاعه وقيل التقدير فيحصل في بطونهم لان الاكل لا يكون في البطون وقيل
الظرف حال للنار قدم عليها اي الا النار مستقرة في بطونهم وسمي ما ياكلونه نارا لانه
يؤول اليها الراغب ذكر في بطونهم تنبيها على شرههم وتقبيحا لتضييع اعظم النعم لنيل المطعوم
الذي هو اخس متناول الكرماني قال هنا ذلك وفي آل عمران اولئك لا خلاق لهم وما هنا
ابلغ لان المذكور في الآيات المتقدمة اكثر فالوعيد عليه اكثر ابو حيان رتب على الكتم والاشترا
بالثمن القليل الذي هو كناية عن مطاعم الخسيسة الفانية اربعة انواع من العقاب اكل
النار في بطونهم وذلك مناسب لما اكلوه من المال وان لا يكلمهم الله وذلك جزاء المنع بالدين الذي

الاكل

هو الكتم ولما اثنى عليه انهم شهود زور واخبار سوء حيث غيروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم
وادعوا ان المنعوت هو غيره توعدهم على ذلك بان لا يزكيهم وبان لهم عذاب اليم فالوعيدات الاخر
كل منها عائد الى المجموع والاول كل واحد واحد فالاول للثاني والثاني للاول ولما كان
جملة الكتم مشتملة على فعل مسند الى الله كان فيها قابلها وهو لا يكلمهم الله بفعل مسند اليه ولما
لم يكن جملة الاشتراء كذلك حذف عنه اليه تعالى ولم يقل ما يطعمهم الله في بطونهم الا النار اولئك
الذين اشتروا الاية تأكيد لذم الكاتمين وقدم اشتراء الضلالة بالهدى على العذاب بالمغفرة
لان الاول حاصل في الدنيا والثاني في الاخرة والاول سبب للثاني والثاني نتيجة للاول
وفي لفظة الاشتراء اشعار بايثارهم ذلك لان الانسان لا يشتري الا ما له فيه رغبة ومودة
واختيار وذلك يدل على نهاية الخساسة وعدم النظر في العواقب فما اصبرهم على النار
معنى التعجب والصبر هنا مجاز شبه حالهم باعمال اهل النار والدوام عليها من غير مبالاة
باحوال الصابر في النار كالقائل لمن تعرض لغضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن
وقيل المعنى ما اجرأهم لغة يمانية وقيل ما ابقاهم وقيل ما استفهامية للتوبيخ وقيل ما نافية
والفاعل الله ذلك اي العذاب بان الله نزل الكتاب بالحق اي فكتموه بدلالة ما قبله
او فاختلفوا فيه بدلالة ما بعده ليس البر الاية روى الحاكم في المستدرك عن ابي ذر
انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فتلا عليه هذه الاية ثم سأله ايضا فتلاها
ثم سأله فتلاها قال الكرماني اشتملت هذه الاية على جميع المعارف التي يلزم العبد
الايمان بها وذلك الايمان بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وعلى جميع
الواجبات وهي اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصلة الارحام وبر الايتام ومواساة المساكين
واعانة ابن السبيل وذلك يشمل اعانة المسافر والضيف واعطاء من سأل وفك الرقاب
بالعتق والفداء واعانة المكاتب والوفاء بالعهود وهو شامل حتى للايمان والنذور والصبر
على ما يجهد ويندرج فيه الصوم والحج والصبر على الضراء من فاقة ومرض والصبر عند
القتال وهذه اصول الواجبات ومن ثم نصب البر ورفعه فان اسم ليس على الاول وخبرها
على الثاني وقرأ ابي بان تولوا ومن امن خبر لكن اما على تقدير بر من امن او على تقدير ولكن
ذا البر ويؤيده ما قرئ شاذا ولكن البار واما بدونه تقدير بان جعل البر نفس المؤمن
كانه تجسد منه لكثرته فيه على حد فانما هي اقبال وادبار جعلت الناقة ما تفعل تقدير
ذاته لا حال لها غيرها لانها تجسمت من الاقبال والادبار وقرأ ابن عامر ولكن بالتخفيف
والكتاب للجنس اي الكتب وقدم الايمان بالله الذي هو المبدأ ثم اليوم الاخر الذي هو
المنتهى على ما بعدهما الذي هو من مصالح الوسط لانهما هم المقصود بالذات والملائكة
ثم الكتاب ثم النبيين مراعاة للترتيب الوجودي لان الملك نزل بالكتب على الرسل قال الراغب
قدم هنا اليوم الاخر واخر في اية ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر لان
تلك في الكافر وهو لا يعرف الاخرة ولا يعتقدها وهي ابعد الاشياء عن الحقائق عنده فاخر

ذكره

ذكره وهذه في المؤمن والمؤمن اقرب الاشياء اليه امر الاخرة فكل ما يفعله ويتحراه
فانه يقصد به وجه الله ثم امر الاخرة فقدم ذكره تنبيها على ان البر مراعاة الله ومراعاة
الاخرة ثم مراعاة غيرهما انتهى ثم نعت الايمان الذي هو عمل القلوب الاشرف
ثنى بعمل الجوارح وبدأ منه بايتاء المال لانه من اثار الاشياء عند العرب ومن مناقبهم
الجليلة وقال على حبه اي مع حب المال فان الايتاء معه اصلح وصحيح كان في التبديع
تتميما وهو الايتاء في الكلام بفضلة تفيد نكتة وقدم ذوي القربى لانهم احق او في
المقصد لان الصدقة على القريب صدقة وصلة وفيها اجران ثم اليتامى لانقطاع حيلهم
من كل الوجوه لصغرهم ثم المساكين لان الحاجة قد تشتد بهم ثم ابن السبيل لانه قد
تشتد حاجته في الرجوع لبلاده ثم السائلين وفي الرقاب لان حاجتهما دون حاجة
من تقدم قال الراغب اخبر هذا الترتيب لما كان اولى من يتفقده الانسان بمعروفه
اقاربه ثم عقبه باليتامى والناس في الكتاب ثلاثة معيل غير معول ومعول معيل
ومعول غير معيل واليتيم معول غير معيل فمواساته بعد الاقارب اولى ثم ذكر
المساكين الذين لا مال لهم حاضرا ولا غائبا ثم ابن السبيل الذي يكون له مال غائب ثم
السائلين الذين منهم صادق وكاذب ثم الرقاب الذين لهم ارباب يعولونهم فكل واحد
ممن ذكر اقل فقرا ممن قدم عليه انتهى وذكر ايتاء الزكاة بعد ايتاء المال في هذه الوجوه
٤٠ لبيان ان في المال حقا سوى الزكاة فبدأ بالمندوبات قبل الواجب لانه لعدم وجوبه
قد يغفل عنه وينهى ويزدرى فاكدها بالتقديم كما قدم الوصية على الدين في قوله
من بعد وصية يوصى بها او دين لذلك وقيل الاول لبيان مصارف الزكاة وقيل تمهيد
لوجوب الزكاة لانه لعدم عهدهم بها قد تشق عليهم ولهذا قال بعضهم ما هذه الا اخت
الجزية فبدأ بايتاء المال في الوجوه المذكورة المعهودة عندهم الممدوحة لديهم كما قالت
خديجة انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب
الحق توطئة للزكاة وتأنيسا بها وعدل عن الفعل من امن واتى واقام واتى في
الاسم في قوله والموفون والصابرين قال الراغب لامرين احدهما لفظي
وهو ان الصلة متى طالت كان الاحسن العطف على الموصول دون الصلة لئلا تطول
ويقبح والثاني انه ذكر في الاول ما هو داخل في حيز الشريعة وغير منفك عن الا
منها والحكمة العقلية تقتضي العدالة دون الجور ولما ذكر الوفاء بالعهد وهو مما تقتضي
به العقول المجردة صار عطفه على الاول احسن انتهى وهذه نكتة معتزلية والملك
العهد يشمل عهد الله وعهد الناس وقرئ بعهودهم ونصب الصابرين بعد المرتفع
على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد قال الراغب لما كان الصبر من
وجه مبدأ الفضائل ومن وجه جامعا للفضائل اذ لا فضيلة الا وللصبر فيها اثر بليغ
غير اعرابه تنبيها على هذا المقصد انتهى وقرأ ابن مسعود والموفين بالنصب لذلك

وقرأ الحسن والحسن بن يزيد بالرفع الفارسي اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح
او الذم فالاحسن ان يخالف اعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من
مواضع الاطناب في الوصف والابلاغ في القول فاذا خولف باعراب الاوصاف كان
المقصود اكمل لان الكلام عند الاختلاف يصير كانه انواع من الكلام وضروب من البيان وعند
الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة انتهى والباساء والبأس والبؤس
ماخوذ من البأس على ما قاله الراغب البأس الشدة والمكروه واستعماله في الحرب اكثر والبأس
في النكاية والضراء مقابل السراء والنعماء ومقابل الضراء النفع قال وقد استوعبت منشأ
انواع الصبر لانه اما ان يكون فيما يحتاج اليه من القوت فلا يناله وهو البأساء وقال
غيره ذكرت في سبيل الترقي من الشديد الى الاشد لان المرض اشد من الفقر والقتال اشد
منها وعدي الصابرين الى البأساء والضراء بفي لانه لا يمدح الانسان على ذلك الا اذا صار له
الفقر والمرض كالظرف واما الفقر والمرض وقتا ما فلا يكاد يمدح الانسان بالصبر عليه لانه
ذلك قل ان يخلو منه احد واما القتال فعدي الصابرين لانه ظرف زمانه لانها حالة لا تكاد
تدوم وتبقى الزمان الطويل فلم يعد اليها بفي المقتضية للظرفية الحسية التي نزل
المعنى المعقول فيها كالجرم المحسوس وقوله اولئك الى آخره على حد ما تقدم في اولئك على هدى
من ربهم الآية ونوع هنا الخبر فاخبر عن الاول بموصول بفعل ماض ليتحقق اتصافهم به وان
ذلك قد وقع منهم وثبت واستقر وعن الثاني بموصول صلته اسم الفاعل ليدل على
الثبوت وان ذلك وصف لهم لا يتجدد بل صار سجية ووصفا لازما ولمراعاة الفاصلة
الوجهان مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لانها ان كانت نازلة في اليهود وصلاتهم
الى المغرب والنصارى وصلاتهم الى المشرق وزعم كل فريق ان ذلك البر فقد جرى ذكرهم
في الذين يكتمون ما انزل الله واشتراهم به ثمنا قليلا وذكر ما اعد لهم فلم يبق لهم مما
يفتخرون به شعار دينهم الا صلاتهم وزعمهم ان ذلك البر فرد عليهم بهذه الآية وان كانت
في المؤمنين فهو نهي لهم ان يتعلقوا من شريعتهم بالبر كما تعلق اهل الكتابين ولكن
عليهم العمل بجميع ما في شريعتهم من تكاليف الشريعة وقيل لما اكثروا الخوض في امر القبلة
حين وقع التحويل وزعم كل من الفريقين ان البر هو التوجه الى قبلته رد عليهم فهو رجوع الى
القصة بعد ما وقع من الاستطراد الطيبي لما ذكر تعالى اختلاف اهل الكتاب في الكتاب
ذكر اختلافا آخر لهم في شان القبلة مستطردا وجعله مخلصا وذريعة الى ذكر اقسام
البر يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص قال ابو حيان مناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى
لما ذكر قبل ما حلل وحرم ما حرم ثم اتبع بذكر من اخذ مالا من غير وجهه وانه انما ياكل في بطنه
الا النار واقتضى ذلك انتظام تحريم جميع المحرمات من الاموال ثم اعقب ذلك بذكر من اتصف
بالبر واثنى عليهم بالصفات الحميدة اخذ يذكر تحريم الدماء ويستدعي حفظها وصونها فنبه
بمشروعية القصاص على تحريمها وتنبيه على جواز اخذ مال بسببها وانه ليس من المال الذي يؤخذ

على غير وجهه واشارة ايضا الى ان مثل هذا الامر العظيم اذا عرض لمن اتصف بالبر لم
يخرجه عن البر ولا عن الايمان ولذلك ناداهم بوصف الايمان وعبر بكتب عن معنى الاعلان
الالزام والاثبات مجازا وحقيقته الخط الذي يقرأ لانه جدير بثبوته وبقائه الحر بالحر
الآية اللام فيها للحصر اي لا يؤخذ الحر الا بالحر الى آخره فمن عفي له من اخيه شيء عبر عن ولي
المقتول بانه اخ القاتل تعطفا عليه وترغيبا في العفو بذكر الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام
وشيء مفعول مطلق نائب عن الفاعل اي شيء من العفو ونكر للاشعار بسقوط كل القصاص بالعفو
عن بعضه وعفي متعدي بعن الى الجاني والى الجناية فان عدي اليهما معا تعدى الى الجاني
باللام والى الذنب بعن ومنها محذوف فاتباع بالمعروف اي على الولي العافي واداء اليه باحسان
اي على الجاني المعفو له ففي الآية لف ونشر غير مرتب وضمير اليه للعافي الذي دل عليه عفي او ...
وان فسر من عفي بالولي وعفي بمعنى يسر والاخ بالجاني كان النشر مرتبا قال ابن عطية اذا
وقع المصدر في الواجب جاء مرفوعا وفي المندوب جاء منصوبا وقد اجتمعا في قوله
قالوا سلاما قال سلام اي لان الجملة الابتدائية اكد من الفعلية تخفيف من ربكم اضيف
الى الرب لما فيه من المنة والمصلحة ولكم في القصاص حياة كلام فصيح بليغ لما فيه من الغرابة اللطيفة
الحسنة الوجيزة فان القصاص الذي هو قتل من اهل الحياة جعله ظرفا للحياة والظرف اذا
حوى المظروف يمنعه عن الفوت ومن اصابه محز البلاغة تعريف القصاص وتنكير الحياة
لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون
الجماعة بالواحد وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التقاتل
والتناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم
صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسين بل سبب حياة اكثر
الناس وهذه الجملة هي العلم في الايجاز المسمى ايجاز القصر فانها قائمة مقام قولنا الانسان
اذا علم انه متى قتل قتل كان ذلك داعيا الى ان لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي
هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض وكان ارتفاع القتل حياة لهم وقد فضلت
هذه الجملة على ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم القتل انفى للقتل بعشرين
وجها او اكثر وقد اشار ابن الاثير الى انكار هذا التفضيل وقال لا تشبيه بين كلام
الخالق وكلام المخلوق وانما العلماء يقدحون اذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك الاول
ان ما يناظره من كلامهم وهو قوله القصاص حياة اقل حروفا فان حروفه عشرة
وحروف القتل انفى للقتل اربعة عشر الثاني ان نفي القتل لا يستلزم الحياة والآية
ناصة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه الثالث ان تنكير حياة يفيد تعظيما فيدل
على ان في القصاص حياة متطاولة كقوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة ولا كذلك
المثل فان اللام فيه للجنس ولهذا فسروا الحياة فيها بالبقاء الرابع ان الآية مطردة بخلاف
المثل فانه ليس كل قتل انفى للقتل بل قد يكون ادعى له وهو القتل ظلما وانما ينفيه قتل

خاص وهو القصاص فيه حياة ابدا الخامس ان الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع في
المثل والخالي من التكرار افضل من المشتمل عليه وان لم يكن مخلا بالفصاحة السادس ان الآية مستغنية
عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان فيه حذف من التي بعد افعل التفضيل وما بعدها وحذف
قصاصا مع القتل الاول وظلما مع القتل الثاني والتقدير القتل قصاصا انفى للقتل ظلما من تركه
السابع ان في الآية طباقا فان القصاص يشعر بضد الحياة بخلاف المثل الثامن ان الآية اشتملت
على فن بديع وهو جعل احد الضدين الذي هو الفناء والموت محلا ومكانا للضد الآخر الذي هو
الحياة واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة وهو الذي اشار اليه اول الكلام على
الآية وعبر صاحب الايضاح عن هذا بانه جعل القصاص كالمنبع للحياة والمعدن لها بادخال
في عليه التاسع ان في المثل توالي اسباب كثيرة خفيفة وهو السكون بعد الحركة وذلك
مستكره فان اللفظ المنطوق به اذا توالت حركاته تمكن اللسان من حركة [illegible]
النطق به وظهرت فصاحته بخلاف ما اذا تعقب كل حركة سكون فالحركات تنقطع بالسكنات
نظيره اذا تحركت الدابة ادنى حركة فحبست ثم تحركت لا تتمكن من اطلاقها ولا تتمكن من حركتها
على ما تختاره فهي كالمقيدة العاشر ان المثل كالمتناقض من حيث الظاهر لان الشيء
لا ينفي نفسه الحادي عشر سلامة الآية من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط
والشدة وبعدها من غنة النون الثاني عشر اشتمالها على حروف متلائمة لما فيها من
الخروج من القاف الى الصاد اذ القاف من حروف الاستعلاء والصاد من حروف الاستعلاء
والاطباق بخلاف الخروج من القاف الى التاء التي هي حرف منخفض فهو غير ملائم للقاف وكذا
الخروج من الصاد الى الحاء احسن من الخروج من اللام الى الهمزة لبعد ما دون طرف اللسان
واقصى الحلق الثالث عشر في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت ولا كذلك تكرير القاف
والتاء الرابع عشر سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة بخلاف لفظ الحياة فان الطباع
اقبل له من لفظ القتل الخامس عشر ان لفظ القصاص مشعر بالمساواة فهي منبئة عن العدل
بخلاف مطلق القتل السادس عشر الآية مبنية على الاثبات والمثل على النفي والاثبات
اشرف لانه اول والنفي ثان عنه السابع عشر ان المثل لا يكاد يفهم الا بعد فهم ان القصاص
هو الحياة وقوله في القصاص حياة مفهوم من اول وهلة الثامن عشر ان في المثل بناء افعل
التفضيل من فعل متعد والآية سالمة منه التاسع عشر ان افعل في الغالب يقتضي الاشتراك
فيكون ترك القصاص نافيا للقتل ولكن القصاص اكثر نفيا وليس الامر كذلك والآية سالمة
من ذلك العشرون ان الآية رادعة عن القتل والجرح معا لشمول القصاص لهما والحياة
ايضا في قصاص الاعضاء لان قطع العضو ينقص مصلحة الحياة وقد يسري الى النفس فيزيلها
ولا كذلك المثل نعم في اول الآية ولكم لطيفة وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص
وانهم المراد حياتهم لا غيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم وقرأ ابو الجوزاء ولكم في
القصص الذي قص عليكم من حكم القتل وقيل هو القرآن وجعل ما فيه حياة لان به

حيا

تحيى القلوب يا اولي الالباب جمع لب وهو العقل الخالي من الهوى وهذا اللفظ جمعه اخص
من مفرده ولهذا وقع في القرآن دونه ونكتة ذكرهم هنا بهذا الوصف ان القصاص شاق
تنفر منه النفوس غالبا ومن الملة مبنية على اليسر ورفع الحرج فقد يقال ان مشروعية القصاص
تنافي ذلك وليس كذلك لكن لا تدرك الاشارة اليه بان فيه حياة عظيمة ومثل هذه الاشارة
لا يدركها الا ذوو الالباب الذين يعرفون العواقب ويعلمون ان في شرعه غاية اليسر ما ليس في
تركه ومن لا لب له يظن ان الامر على خلاف ذلك لعلكم تتقون اي القصاص فتكفون عن
القتل او القتل حذرا من القصاص او الله باجتناب ما حرمه كتب عليكم لما ذكر القتل في القصاص
اتبعه بالتنبيه على الوصية المطلوبة عند حضور الموت لان القصاص احد حضور وجوه
الموت الكثيرة الجمهور على ان التقدير وكتب لكن الكلام لما طال ذكر حذف الواو وقال
ويحتمل انه تاخر عنها نزولا فلم يحتج الى الواو وقال ابو حيان لا حاجة الى ذلك بل هذه
جملة مستأنفة ظاهرة الارتباط بما قبلها لما تقدم من مناسبتها اذا حضر احدكم الموت اي اسبابه
ابو حيان لو جرى نظم الكلام على خطاب الموصين لقيل اذا حضركم لكنه روعي دلالة العموم
في عليكم من حيث المعنى اذ المعنى كتب على كل واحد واحد منكم ثم ظهر ذلك المعنى على حد قوله

ولست بسائل جارات بيتي ۞ اغياب رجالك ام شهود

فافرد ضمير رجالك لانه راعى معنى العموم اذ المعنى ولست بسائل كل جارة وهذا نحو غريب
مستطرف من علم العربية ان ترك خيرا من اعتراض الشرط على الشرط والخير المال وقد كثر وروده
في القرآن بهذا المعنى وقال بعض العلماء لا يقال للمال الخير حتى يكون كثيرا ومن مكان طيب فانه
وغيره به هنا تنبيه على معنى لطيف وهو ان الذي يحسن الوصية به ما كان مجموعا من وجه محمود
حكاه الراغب الوصية مرفوع بكتب وتذكيره للفصل ولانها بمعنى الايصاء ولذا ذكر
ضميره في قوله بدله سمعه حقا مصدر منصوب بفعله المقدر على المتقين حقهم تنبيها على الوجوب
وان من خالف غير متق فمن بدله بعد ما سمعه الضميران للوصية بمعنى الايصاء وكنى بالسماع عن
العلم لانه طريق الى حصوله فانما اثمه الضمير للتبديل على الذين يبدلونه الضمير للايصاء وهذا
يسمى التفات الضمائر وهو ان يعود الضمير على شيء سابق ثم يعود على آخر ثم يعود على الاول
ان الله سميع عليم الكرماني خص السميع بالذكر لما في الآية من قوله بعد ما سمعه ليكون مطابقة ومقابله
في الآية بعدها ان الله غفور رحيم لقوله فلا اثم عليه فهو مطابق معنى وقال صاحب المناجاة
لما ذكر في الاولى تبديل الحق بالباطل كان اللائق بمقام التهديد للمبدل ان الله سميع عليم وفي
الثانية تبديل الباطل بالحق فكان اللائق ان الله غفور رحيم اما بالنسبة الى الموصي فظاهر واما
للوصي المغير للباطل بالحق فلانه يخلو في الغالب عن استيعاب الاثر فيعبر بصيغة الغفران والرحمة ثم الحكمة
فيه ان التصرف الواقعة من الوصي صورة معصية لما فيه من تغيير الوصية لكنها معصية للمخلوق
وطاعة لله الى فمن خاف اي علم ابو حيان العلقة بين الخوف والعلم حتى اطلق على ان الانسان
لا يخاف شيئا حتى يعلم انه مما يخاف منه فهو من باب التعبير بالمسبب عن السبب وقال في المنتخب

الخوف والخشية يستعملان بمعنى العلم لان الخوف عبارة عن حالة مخصوصة متولدة عن ظن
خصوص وبين الظن والعلم مشابهة في امور كثيرة فلذلك صح اطلاق كل منهما على الآخر **من موص**
بالتخفيف والتشديد **جنفا او اثما** قال ابن عباس الجنف الخطأ والاثم العمد اخرجه ابن جرير
واصل الجنف الميل في الحكم وقرأ علي حيفا بالحاء والياء اي ميلا او ظلما **فاصلح بينهم**
اي بين الموصي والموصى لهم **يا ايها الذين آمنوا** قيل لم يقل يا ايها المؤمنون حيث وقع مع انه اخصر
لوجهين احدهما ان المؤمنين لا يشعر بتقدم ايمانهم بخلاف الموصول والثاني ان الالف واللام
تستعمل للكمال فاذا رتب عليه امر او نهي اوهم ان ذلك مخصوص بكامل الايمان وهو غير
مختص بخلاف الموصول بالفعل فان الفعل لا يشعر الا بمطلق الصفة **كتب عليكم الصيام** قال
ابو حيان مناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى اخبر اولا بكتب القصاص وهو اتلاف
النفوس وهو من اشق التكاليف ثم اخبر ثانيا بكتب الصيام وهو منهك للبدن مضعف
له قاطع عن الغذاء الانسان من الغذاء لنهار فابتدأ بالاشق ثم ما يليه وما يناسبه وكان
فيما تقدم من الآية الاولى ثلاثة من اركان الاسلام الايمان والصلاة والزكاة فاتى بالركن
الرابع وهو الصوم قلت [illegible] وتمامه ان يقال وعقبه بالخامس وهو الحج لتكون هذه
الآيات جامعة لاركان الاسلام باسرها على التوالي وتقدم الانسب فالانسب وانما
قدم امر القصاص على الصوم لما ذكر معه من بدل الدية الذي هو نوع من اخراج المال اللازم
فكان لمناسبة ذكر عقب الزكاة وكذا الوصية ايضا اخراج مال فناسب الزكاة وما ذكر
بعدهما من ايتاء المال هذا ما ظهر لي فسبحان من اودع هذا القرآن من فنون البلاغة العجب
العجاب ابو حيان بني كتب في الآيات الثلاث للمفعول وحذف الفاعل الذي هو الله
لانها مشاق وصعبة على المكلف فناسب ان لا تضاف الى الله لفظا وحيث كون المكتوب
للمكلف فيه راحة واستبشار بني للفاعل نحو كتب الله لاغلبن انا ورسلي كتب في قلوبهم
الايمان كتب على نفسه الرحمة وهذا من لطيف علم البيان واما بناء الفعل للفاعل
في قوله وكتبنا عليهم ان النفس بالنفس فناسب لاستعصاء اليهود وكثرة مخالفتهم
لانبيائهم بخلاف هذه الامة المحمدية ففرق بين الخطابين لافتراق المخاطبين وذكره
المؤمنين عند اعلامهم بهذا المكتوب الثالث ليتنبهوا على استماع ما يلقى اليهم من هذا
التكليف ولم يحتج الى ندا في الثاني لانسلاكه مع الاول في نظام واحد وهو حضور
الموت بقصاص او غيره وتباين هذا التكليف منهما وقدم الجار والمجرور على المفعول
به المصرح وان كان الكثير الترتيب العربي بعكس ذلك لان البداءة بذكر المكتوب عليه
آكد من ذكر المكتوب لتعلق الكتب بمن يؤدي فيعلم نفسه اولا ان المنادي هو المكلف
فيترقب بعد ذلك ما كلف به انتهى **كما كتب على الذين من قبلكم** فائدة هذا الكلام التسهيل
والتهوين لان الصوم عبادة شاقة والشاق اذا عم سهل تحمله **لعلكم تتقون** تعريض بان
الصوم تقوى ايضا لان الشاق اذا كان له فائدة عظيمة سهل تحمله **اياما معدودات**

كتب الوصية وهو اخراج المال الى الغير وهو عديل [illegible] [illegible] صح

ربكم صح

اي

الى جمع القلة مع كونه زائدا على العشرة تسهيلا على المكلفين ونصبه بالصيام وقيل
بصوموا مقدرا وقيل بكتب على السعة **فمن كان منكم مريضا** قيد هنا بقوله منكم ولم يقيد
في الآية الآتية اكتفاء بقوله فمن شهد منكم الشهر وقال صاحب المناجاة يمكن ان يقال
قيده هنا بكم لان اشتراك الامر بين المؤمنين وغيرهم ممن تقدمهم من الامم السالفة فاحتيج
الى التقييد به ولما كان الخطاب في الآية الاخرى خاصا بالمؤمنين لم يحتج اليه **او على**
سفر ابو حيان عدل اليه من ان يقول او مسافرا اشعارا بالاستيلاء على السفر لما فيه من
الاختيار للمسافر فكان السفر مركوب للانسان يستعلي عليه ولذلك يقال فلان على طريق
وراكب طريق بخلاف المرض فانه يأخذ الانسان من غير اختيار **فعدة** اي فافطر فعليه
عدة ولم يقل فعدتها لانه اخصر مع عدم اللبس وقرئ بالنصب اي فليصم عدة فيكون اشارة
الى ندب التأخير والفطر للمريض والمسافر لما تقدم من قاعدة ان النصب للمندوبات
والرفع للواجبات **من ايام اخر** زاد ابي في قراءته متتابعات **وعلى الذين يطيقونه فدية**
هذا منسوخ وقيل التقدير لا يطيقونه وقرأ ابن عباس يطوقونه اي يكلفونه ولا
يطيقونه وقرئ يطيقونه ويطوقونه اي يتطوقونه ويطيقونه ويطوقونه
من اطوق بمعنى اطاق **طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له** الشيخ سعد الدين خير الاول
مصدر خرت يا رجل فانت خاير والثاني اسم تفضيل بمعنى ازيد خيرا ففيه جناس
تام وهو عزيز في القرآن وعندي ان خير الاول مصدر والثاني الذي لا تفضيل فيه
كما في خير لكم وثوبي خير لكم والثالث افعل تفضيل فاستعملت هذه اللفظة في
الآية ثلاث مرات لثلاث معان وفي قراءة فدية طعام بالاضافة مساكين بالجمع
لان الفدية اسم للقدر الواجب والطعام يعم الفدية وغيرها فهو كقولك ثوب خز وخاتم
حديد والذين يطيقونه كالفطر واجاعة كل واحد منهم طعام مسكين وقرأة التنوين في
فدية على ان ما بعدها تفسير لها وافرد مسكين لان المعنى على كل واحد لكل يوم طعام مسكين
وان تصوموا خير لكم يصح كونها اسما وافعل تفضيل وقرأ ابي والصيام خير لكم **شهر رمضان**
قيل بدل من الصيام اي كتب عليكم شهر رمضان اي صيامه وقيل خبر محذوف اي هي اي الايام
المعدودات او ذلكم وقيل مبتدأ خبره ما بعده وقرئ بالنصب بتقدير صوموا او بدلا
من اياما او اغراء **وبينات** من عطف الخاص على العام لان الهدى منه جلي وخفي فخصت
بالبينات على الجلي منه **من الهدى والفرقان** اي من جملة هدى الله وبيناته وفيه لف
ونشر فالهدى راجع الى قوله هدى والفرقان الى قوله وبينات ولم يأت والبينات
لبساطته لمواخاة لفظ القرآن قبله ولما فيه من مزيد معنى لازم للبينات وهو كونه يفرق
به بين الحق والباطل **فمن شهد منكم الشهر** هو ظرف والمفعول محذوف اي المصر في الشهر
واوقعه موقع شهد توسعا به وتعظيما له **فليصمه** اي فليصم فيه فحذف الجار
وعداه وقيل فليصم ما شهد منه **ومن كان مريضا** كرره لان الاول نزل حالة التخيير

بين الصوم والفدية فاعاده بعد النسخ ليعلم انه باق على ما كان من الترخيص للمريض والمسافر
وانه يتم تحتمه في حقهما وتعين الصوم ولم ينقله بمنافيكم لتقدمه فمن شهد منكم الشهر
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فيه طباق بين العسر واليسر والايجاب والسلب والجملتان
مناسبتان للترخيص للمريض والمسافر والجملة الثانية مؤكدة لمعنى الاولى ولتكملوا العدة
عطف على معلل اي ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون او على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا العدة
يريدون ليطفؤا وقيل الواو زائدة وقيل للاستئناف والفعل المعلل محذوف
مدلول عليه بما سبق والتقدير ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
شرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بالصوم ومن امر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن
الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة الامر
بما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
وهذا نوع من اللف لطيف المسلك وعدي فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه
قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم او لتضمنه معنى العقل وإذا سألك عبادي عني
قال ابو حيان مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما تضمنت طلب تكبيره وشكره بين
انه مطلع على ذكر من ذكره وشكر من شكره فيسمع نداءه ويجيب دعاءه او رغبة في الدعاء
منبها على انه لا بد وان يكون مسبوقا بالثناء الجميل والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وان
لم يجر له ذكر لانه العلم المعروف ولان في قوله انزل فيه القرآن ما يدل عليه وفي عبادي
التفات عن الاسم الظاهر فاني قريب فيه اضمار اي فقل لهم اني قريب وحذفت بخلاف
سائر الاسئلة للاشارة الى ان العبد في حالة الدعاء في اشرف المقامات لا واسطة
بينه وبين مولاه وفي الوصف بالقرب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة
انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته اجيب فيه مراعاة
المبتدأ في فاني ولو روعي الخبر وهو قريب لقيل يجيب وهما طريقتان للعرب اشهرهما
مراعاة السابق لعلهم يرشدون فاصلة لا نظير لها في القرآن وقيل ان فيه تعريضا بليلة
القدر بحيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان اي لعلهم يرشدون الى معرفتها وقرئ بالبناء
للمفعول ابو حيان ختم الآية برجاء الرشد لهم من احسن الاشياء لانه تعالى لما امرهم بالاستجابة
له والايمان به نبه على ان هذا التكليف ليس القصد منه الا وصولك بامتثاله الى رشادك
في نفسك لا يصل اليه تعالى منه شيء ولما كان الايمان شبيها بالطريق المسلوك في القرآن بات
ذكر الرشاد وهو الهداية كما قال اهدنا الصراط المستقيم احل لكم اي الحلول من عقدة الحظر
ودخل في تمام احكام الصيام فناسبها ما قبلها ظاهرة وقرئ احل بالبناء للفاعل اي الله
وفيه التفات عن التكلم ليلة الصيام فيه اتساع اي ليلة اليوم الذي يصبح فيه صائما
الرفث الى نسائكم الراغب كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وجعل
كناية عن الجماع هنا تنبيها على جواز دعائهن الى ذلك ومخاطبتهن فيه وعدي بالى لتضمنه

معنى الافضاء المتعدي بالى وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه من ذكر النكاح الزجاج الرفث كلمة
جامعة لكل ما يريد الرجال من النساء الكشاف فان قلت لم كني عن الجماع بلفظ الرفث
الدال على معنى القبح خلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن
او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا
تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم وقرأ ابن
مسعود الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن كناية عن اجتماعهما متجردين في فراش واحد
وما يقع بينهما من الضمام والتعانق وقيل كناية عن ستر كل منهما صاحبه عما لا يحل له
الراغب جعل الزوجة لزوجها لباسا من حيث انه تمنعه وتصده عن تعاطي قبيح وقال
ابن عباس في الآية هن سكن لكم وانتم سكن لهن صححه في المستدرك قال الاصبهاني والمعنى
انكم تلابسونهن وتخالطونهن بالمساكنة وقال الكرماني سماها سكنا من قوله وجعل منها
زوجها ليسكن اليها ثم سماها لباسا كما سمى الليل سكنا في قوله وجاعل الليل سكنا ثم سماه لباسا
في قوله وجعلنا الليل لباسا والجملة استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كان بينكم
وبينهن مثل هذه الملابسة والمخالطة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك
رخص لكم في مباشرتهن وفيه من انواع البديع النوع المسمى بالعكس وهو ان يؤتى بكلام يقدم
فيه جزء ويؤخر آخر ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم وبدئ بقوله هن لباس لكم لظهور
احتياج الرجل الى المرأة وقلة صبره عنها وانه هو البادي بطلب ذلك الفعل وافرد اللباس
لانه كالمصدر تختانون قال الاصبهاني الاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه
زيادة وشدة وقال الراغب الاختيان مراودة الخيانة وذلك هو المنبه اليه بقوله
لان النفس لامارة بالسوء انتهى قلت وهذا اصوب فتاب عليكم اي خفف عنكم بالاباحة والرخصة
وهذه اللفظة تعالى كثيرا عند الترخيص كقوله علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر
فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم باشروهن امر اباحة وكني به عن الجماع لما فيه من تلاصق البشرتين
وابتغوا الراغب الابتغاء خص بالاجتهاد في الطلب واكثر استعماله في المحمود والبغي مجرد
الطلب واكثره في المذموم ما كتب الله لكم قيل الولد وقيل الرخصة وقيل ليلة القدر
قـــال الامام ووجهه على هذا ان الانسان اذا قضى وطره من المباشرة وصار فارغا
من دواعي الشهوة الى نفسه عن الفراغ للطاعة امكنه ان يتفرغ لها اي اذا تخلص من تلك الخواطر
الى نفسه فابتغوا ما كتب الله لكم من الصلاة والذكر وطلب ليلة القدر قلت ووجه ادخال
ذلك بين قصة الجماع والاكل الاهتمام بالعبادة لئلا يغفل عنها بالانهماك في الملاذ وقرئ
واتبعوا من الاتباع لما كتب الله القرآن وقرئ وائتوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود
ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود . قال ولاح من الصبح خيط انارا
وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض المعني به واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما

بيان للثاني وبه صار من باب التشبيه فان قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان
قولك رايت اسدا استعارة فاذا زدت من فلان تشبيها وانما زيد من الفجر حتى كان تشبيها
ولم يقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ وادخل في الفصاحة لان من شرط المستعار ان يدل
عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران ولذا لغط كثير
من الصحابة قبل نزول من الفجر ان المراد حقيقة الخيطين وكان احدهم يضع عند راسه خيطين
ويأكل ليلا الى ان يتبين له فنزل من الفجر بيانا لما خفي عليهم وخرج به عن حد الاستعارة الى التشبيه
البليغ وبهذا التقدير صار تجريدا كانه جرد من الفجر خيطا ابيض وهو هو كما انك اذا قلت
رايت من زيد رجلا كريما كانك جردت منه رجلا كريما وهو هو فاذا قلت رايت منه اسدا كان
تجريدا وتشبيها معا وفي الآية كذلك مع ما فيها من الاكتفاء واللف والنشر المرتب المقدر احد جزئيه
الزركشي في قوله من الفجر متعلق في الظاهر مع الخيط الاسود ولا سواد للفجر فالتقدير حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الفجر من الخيط الاسود من الليل اي حتى يتبين لكم بياض الصبح في
بقية سواد الليل ابن عبد السلام المشبه في الفجر ظاهر لان طوله اكثر من عرضه واما
الظلام فكره فكيف يشبه بالخيط والجواب ما قاله ابن عبدة المراد بالخيط
الاسود الفجر الاول ويكون من باب وصف الشيء بما يؤول اليه لان الفجر يصير الى السواد
بعد وجوده والمعنى حتى يتبين لكم الفجر الثاني من الفجر الاول قلت وعلى هذا يمكن ان يجعل
من الفجر بيانا للخيط الابيض والخيط الاسود معا بناء على استعمال المشترك في معنييه
ويكون المقصود به دفع وهم من ظن ان المراد حقيقة الخيطين فبان ان المراد بهما الفجر
المسمى بصادق وكاذب وعلى هذا فلا حذف في الآية ولا اكتفاء ويكون من باب اللف
والنشر المجمل لكن الاجمال هنا في النشر لا في اللف على عكس ما تقدم في وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وهو نوع غريب لم ار من نبه عليه ثم اتموا الصيام الى
الليل ذكر غاية الصيام بعد ذكر ابتدائه وهذه الجملة آخر قصة الصوم وفي ختمها بلفظ
التمام والى الليل نوع بديع من براعة الختام ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد لما فرغ
من احكام الصيام اتبعه باحكام الاعتكاف لما بينهما من المناسبة ولهذا شرط قوم الصيام
فيه ولذلك اورده العلماء عقب الصوم في كتبهم باب الصوم باب الاعتكاف وعندي انه يؤخذ
من الآية عدم اشتراط الصوم فيه لانه لما حظر في الصوم لذاته اشياء الجماع والاكل والشرب
ثم ذكر الاعتكاف فحظر فيه الجماع فقط دل على اباحة الآخرين والا لعطفهما معه ايضا وقرئ
عكفون بلا الف وفي المسجد على الافراد قال بعض الصوفية اخبر الله في الآية ان محل القربة
مقدس عن الجلال الحظوظ تلك حدود الله فلا تقربوها الكرماني قال هنا فلا تقربوها
وفيما سيأتي تلك حدود الله فلا تعتدوها لان الحد الذي هنا نهي وهو قوله ولا تباشروهن
وما كان من الحدود نهيا امر بترك مقاربته والذي هناك امر وهو بيان عدد الطلاق بخلاف
ما كان عليه العرب من المراجعة بعد الطلاق لغير عدد وما كان امرا امر بترك مجاوزته وهو

وهو الاعتداء اقول يشكل على هذا اتيانه بصيغة الجمع في تلك حدود فانه يدل على عوده
الى النهي عن المباشرة وغيره من الاوامر التي قبله لكن قال ابو حيان انه على تغليب جهة
النهي اذ هو المعقب بذلك وقال صاحب الملجأة لما كان المنهي عنه هنا المباشرة ولا
تكون الا بالقرب ناسبه لا تقربوها والمنهي عنه هناك التجاوز في الاخذ مما دفعه الزوج
من المهر فناسبه لا تعتدوها قلت ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لمن قالت في الخلع
وازيده لا اجر في الزيادة وقال في الكشاف من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو
متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك
فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون
في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا عن ان يتخطاه كما قال عليه السلام من حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه ثم قوله فلا تقربوها ابلغ من لا تأتوها واضيفت الحدود الى الله دلالة
على المبالغة في عدم الالتباس كذلك اي مثل هذا البيان الذي ذكر لعلهم يتقون
قال ابو حيان حيث جاءت آية تكليف شاق ختمت برجاء التقوى كما تقدم في آيتي القصاص
والصوم وحيث جاءت برخصة ختمت برجاء الشكر كما تقدم في آية يريد الله بكم اليسر ولما
وقع الختم برجاء التقوى لان الآية تضمنت تكليفا شاقا وهو منع الانسان من امر تشتهي
بالطبع انفسها عظيما بحيث هو الذي ما لهم من الملاذ الجسمانية ولا تاكلوا اموالكم قال
ابو حيان مناسبة هذه الآية لما قبلها ان من تعبده الله بالصوم فحبس نفسه عن ما يعتاده
من الاكل والشرب والجماع ثم بالاعتكاف فحبس نفسه عن اللذة الكبرى مقيدا في مكان
لا يخرج منه جدير ان لا ياكل ولا يكون مطعمه ومشربه الا من الحلال الخالص الذي ينور
القلب ويفضي به الى الاجتهاد في العبادة والا لم يكن صومه تاما وتقدم ايضا امر الدعاء
وشرط الاجابة احلال المطعم والمشرب والملبس فناسب النهي عن اكل الحرام عقب ذلك ولما
كان اول قصة الصوم كما كتب على الذين من قبلكم وكان من شان اهل الكتاب اكل الباطل والرشى
ناسب ذكر هذه الآية هنا للنهي عن التشبه بهم فهذه مناسبات شتى كل منها كاف وقصر
على ذكر الاكل والمراد سائر وجوه الاخذ لانه الاغلب واضافة اموالكم للاشعار اذ لا ينهى
الانسان عن اكل ماله والمعنى لا ياكل بعضكم مال البعض وتدلوا على تقدير لا وبه قرأ
ابي فان المقصود النهي عن الجميع لا الجمع ومعنى تدلوا ترشوا فان الادلاء ارسال الدلو
والرشوة من الرشاء وهو حبل الدلو لانها يتوصل بها لقضاء الحاجة وقيل من قولهم ادلى بحجته
اي قام بها كانهم جعلوا المال هو الحجة يسألونك عن الاهلة مناسب لما تقدم من قصة الصوم
والفطر لانهما بعد وقت رؤية الهلال ولما ياتي من قصة الحج ولهذا صرح في جواب السؤال
بذكره فكانت هذه الآية براعة الاستهلال لاحكام الحج والاهلة جمع هلال وهو القمر
في اول الشهر ليلة الاولى والثانية قيل والثالثة ثم يقال له قمر ولا يقال هلال وذكر الراغب
وقال غيره الهلال غرة القمر حين يراه الناس يهلون عند رؤيته اي

يرفعون اصواتهم والمسارح منها الحكاية الحال الخاصة وهي الهلال وهو مفرد الاختلاف
ازمانه قيل الكرماني جميع ما في القرآن من السؤال وقع عقبه الجواب بغير فاء الا في قوله ويسألونك
عن الجبال فقل فانه اجيب بالفاء لان الاجوبة في الجميع كانت بعد السؤال وفي طه قبل السؤال
فكانه قيل ان سئلت عن الجبال فقل مواقيت جمع ميقات وهو الوقت المضروب والوقت
الزمان المفروض لامر ما للناس يعلمون بها اوقات عباداتهم من الصوم والحج والنذور والآجال في
المعاملات والعدد وغيرها بقوله والحج من عطف الخاص على العام صرح به ليبتني عليه
ما ذكره بعده من احكام الحج فهو من حسن التخلص ابو حيان لم يرد السؤال عن ذات الاهلة بل
عن حكمة اختلاف احوالها وفائدة ذلك فلذا اجيبوا بانها مواقيت فلو كانت على حالة
واحدة ما حصل بها التوقيت قلت وهذا ما دل عليه سبب النزول ووقع في المفتاح
وكتب متابعيه منها كلام فاسد نبهت عليه في الاتقان وليس البر بان تأتوا البيوت من
ظهورها قال في الكشاف وجه اتصال هذا بما قبله كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن
الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة بالغة فدعوا
السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا قال
ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر الحج لانه كان من افعالهم في الاحرام قلت
هذا الحسن وهو الذي جزم به غيره وزاد انه ذكر معه من باب الزيادة في الجواب على
ما في السؤال لانه اتم على حد سئل عن البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته ثم قال
ويجوز ان يكون تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب الدار
ويدخل من ظهرها والمعنى ليس البر ما انتم عليه من عكس الاسئلة ولكن البر من اتقى ذلك
وتجنبه ولم يجسروا على مثله واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها
ولا تعكسوا قلت ليس هذا مراد الآية كما يرده سبب النزول والاحاديث في تفسير
الآية ولكن البر من اتقى فيه التقدير ان السابقان وقرئ ولكن البار ابو حيان عدل
الآية كانها مختصرة من الآية السابقة لان هناك عد اوصافا كثيرة في البر وقال
في آخرها واولئك هم المتقون وقال هنا ولكن البر من اتقى والتقوى لا تحصل
الا بحصول تلك الاوصاف فاحالها على تلك الاوصاف ضمنا اذ جاء بها هو المتقي
ثم لما تقدم جملتان خبريتان عطف عليهما جملتان امريتان الاولى راجعة للاولى
والثانية راجعة للثانية وذلك من بديع الكلام فقال واتوا البيوت من ابوابها هذه راجعة
للجملة وليس البر وعاد ضمير البيوت بلفظ الواحدة كما هو الافصح في جمع الكثرة واتقوا
الله هذه راجعة للجملة ولكن البر من اتقى لعلكم تفلحون قال ابو حيان هو متعلق بجملة
واتقوا الله خاصة لان التقوى جماع الخير من امتثال الاوامر واجتناب
المناهي تعلق بها رجاء الفلاح وهو الظفر بالبغية وقاتلوا معطوف على واتقوا الله عطف
الخاص على ما اشتمل عليه المنفي مما يشق على النفس اقتضى الوقت وقد ورد دافع اول آية

في القتال وقيل انها نزلت لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
عام الحديبية وصالحوه على ان يعود من قابل لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا
بذلك ويصدوهم ويقاتلوهم في الشهر الحرام وفي الحرم فنزلت مبيحة لقتالهم ان قاتلوا
ابو حيان وبذكر هذا السبب ظهرت مناسبة الآية لما قبلها لانه تعين بيان تعلقات
الحج ولهذا قال بعده ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه وقال الشهر الحرام
بالشهر الحرام والحرمات قصاص في سبيل الله استعارة ظرفية مجازية وتقدم على المفعول الصريح
لانه اهم ولذا اقتصر عليه في آية اخرى ولا تعتدوا اطلق ليعم جميع وجوه الاعتداء من
الابتداء بالمقاتلة وقتل من نهي عن قتله من النساء والصبيان والشيوخ ومن القى السلم والمثلة
وغيره لذا قال الاصبهاني ومن كمال البلاغة ان اختصر اللفظ وافاد زيادة المعنى
واقتلوهم اي الذين يقاتلونكم حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم في حل او حرم الاصبهاني
الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة الراغب اصل الثقف الحذق في ادراك الشيء
وفعله يقال ثقفت كذا اذا ادركته ببصرك لحذق في النظر ثم قد يتجوز به فيستعمل
في الادراك وان لم يكن معه ثقافة كالواقع في الآية والفتنة اي الشرك منهم وقيل
تعذيبهم من اسلم وقيل صدهم اياكم عن المسجد وقيل العذاب المعد لهم في الآخرة قال
الاصبهاني والاولى ان يحمل على جميع هذه الامور وقال ابو حيان الفتنة والقتل
مصدران لم يذكر فاعلهما ولا مفعولهما وانما اخبر ان ماهية الفتنة اشد من ماهية القتل
فكل مكان تحقق فيه هذه النسبة كان داخلا في عموم هذا الاخبار وتعيين نوع ما
من افراد هذا العموم يحتاج الى دليل الراغب اصل الفتن ادخال الذهب النار لتظهر جودته
من رداءته واستعمل في ادخال الناس النار نحو يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم
وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب به نحو الا في الفتنة سقطوا وتارة في الاختبار نحو
وفتناك فتونا وجعلت الفتنة كالبلاء في انهما يستعملان فيما يدفع اليه الانسان من
شدة ورخاء قال تعالى في الامرين ونبلوكم بالشر والخير فتنة لكنهما في الشدة اظهر
معنى واكثر استعمالا انتهى ولا تقاتلوهم في قراءة تقتلوهم وكذا الفعلان بعده فيها
مجازا اي حتى يقتلوا بعضكم ولم يقرأ فاقتلوهم الا بوجه وفيه بشارة عظيمة بالغلبة
عليهم اي هم مخذولون وعدم النصرة بحيث امرتم بقتلهم لا بقتالهم فانتم متمكنون منهم لا يحتاجون
الا ايقاع القتل بهم اذا ناشبوكم القتال لا الى قتالهم وحضر فيه لعدو ونقد ذلك في الفعلين
نعت كذلك جزاء الكافرين اشارة الى علة القتل وهو الكفر فان انتهوا اي عن الكفر وقيل عن
المقاتلة في المغفرة على هذا المخاطبين باسقاط تكليف القتال عنهم وقاتلوهم الغير لعدم
فيكون حجة في الاقوال والامكنة وما يبق شيء من قبل حتى لا تكون فتنة شرك ابن عباس
وغيره بالشرك وقال الطيبي الذي يقتضيه حسن النظم وايقاع النكرة في سياق النفي ان تجري
فتنة على حقيقتها لتستوعب جميع ما يسمى فتنة فيدخل فيها الشرك والقتال والتحرب وجميع

ما عليه مخالفوا دين الاسلام فيطابقه قوله ويكون الدين لله لان معناه يكون الدين
كله لله كما جاء في سورة الانفال ويكون تعميما بعد تخصيص لان الفتنة حملت اولا على الشرك
فلو اريد بها غير الفتنة السابقة لكان الواجب ان يجاء بها معرفة لان الشيء اذا اعيد اضمر او كرر
بعينه وضعا للمظهر موضع المضمر فان النكرة اذا اعيدت ولم يرد بها التكرار كانت غير
الاول بخلاف المعرفة وكان قوله فان انتهوا فلا عدوان يقتضي مفعولا اعم مما اقتضاه قوله
فان انتهوا فان الله غفور رحيم لان النهي اذا كرر وجب ان يكون الثاني اعم من الاول كان احسن من العكس
لئلا يجيء الكلام مبتورا انتهى **ويكون الدين لله** زاد في الانفال كله لان القتال في هذه الاية
مع اهل مكة وفي الانفال مع جميع الكفار فقيده بقوله كله قاله الكرماني والامام **فان
انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين** خبر بمعنى الطلب وهو كناية عن قوله فلا تعتدوا
على المنتهين لان اثبات العدوان على الظالمين على سبيل الحصر في هذا المقام مفيد لنفي
العدوان عن المنتهين لانه مقابله الا انه في اصل الكلام فان انتهوا فلا تعتدوا عليهم لكن
وضع قوله فلا عدوان على المنتهين موضع ذلك ثم كنى عن ذلك بقوله فلا عدوان الا على الظالمين
وتسمية المقاتلة عدوانا على سبيل المشاكلة المعنوية لان التقدير فان انتهوا عن
العدوان قاله الرماني وقيل معناه فلا سبيل ولا حجة كقوله ايما الاجلين قضيت
فلا عدوان علي اي فلا سبيل علي الا ما ختم هنا بذلك وفي الانفال فان الله بما يعملون
بصير لان الحكم هنا هو القتال في الحرم المخصوص فكان الانتهاء سببا لكف العدوان عنهم
وعدم كفه عن الظالمين المصرين على ظلمهم لعدم الانتهاء ولما كان الحكم في الانفال
لجميع الكفرة ناسبه التهديد بما مر من اطلاع الله على احوالهم ليخلصوا في الانتهاء اولا وقيل
هذا اوضح من الحكيم العليم كان فيه غاية التهديد **الشهر الحرام بالشهر الحرام** في الاول
للعهد الذهني وفي الثاني للعهد الحضوري **والحرمات** قرئ بسكون الراء **فمن اعتدى
عليكم** هذا مؤكد لما قبله من قوله والحرمات قصاص **فاعتدوا عليه** سمي الجزاء اعتداء مشاكلة
بمثل اي بعقوبة مثل وقيل الباء زائدة اي مثل اعتدائه هو نعت لمصدر محذوف
اي اعتداء مماثلا لاعتدائه **واتقوا الله** الاية مناسبة للامر بترك الاعتداء والتعدي
في القصاص **وانفقوا** مناسب للامر بالقتال لان الجهاد يحتاج الى بذل المال كما يبذل
فيه النفس **في سبيل الله** الاصح انه في كل امر من امور الخير فهو من سبيل الله واكثر ما يستعمل
في الجهاد **ولا تلقوا بايديكم** قيل الباء زائدة وقيل المفعول محذوف اي لا تلقوا انفسكم
بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب في هلاكها وقال ابو حيان بل ضمن تلقوا
معنى تفضوا وكنى بالايدي عن الانفس لانها الحركة والبطش والامتناع وقيل المعنى لا
تجعلوا التهلكة آخذة بايديكم ما لكم وقيل لا تاخذوا في ذلك بيان للحال من الاخذ في عمل الذي
يدعو اليه الواحدي المعنى لا تعرضوا لما يهلككم لان من القى بيده الى الشيء فقد قرب منه وهذا
ما نقله من الزجر تاكيدا في النهي **التهلكة** الراغب ما يؤدي الى الهلاك وقال غيره مصدر



بمعنى الهلاك قيل ولم يوجد في كلام العرب مصدر على تفعلة بضم العين الا هذا **واحسنوا
ان الله يحب المحسنين** الختم به مناسب لما تقدم **واتموا الحج** عودا الى ما كان الكلام فيه من
قصة الحج بعد انقضاء ما تخلله من قصة القتال الذي خافوه في الحرام وبدأ به قبل
العمرة وان نزلت الآيات وهم محرمون بها لانه اعظم [illegible] والمواقيت
معنيه اي ابتدؤا فاذا دخلتم فيه فاتموه لتكونوا جامعين ومعنى الاتمام وقرأ علي
واقيموا وقرئ والعمرة بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقرئ والى الحج والعمرة
الى البيت **لله** قال ابن عبد السلام قال لله لان الحج ما يكثر فيه الرياء بخلاف غيره من العبادات
وقال المروزي لان الكفار كانوا يحجون للاصنام **فان احصرتم** الراغب اصل الحصر التضييق
والاحصار المنع من طريق البيت ويطلق على المنع الظاهر كالعدو والباطن كالمرض بخلاف
الحصر فانه لا يقال الا في المنع الباطن وقوله فان احصرتم محمول على الامرين وكذا قوله للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله [illegible] او جاؤكم حصرت صدورهم فانه خاص بالباطن اي
ضاقت صدورهم بالجبن والبخل **فما استيسر من الهدي** اي فعليكم او فالواجب
او فليهد واستيسر بمعنى تيسر الراغب الهدي مخصوص بما يهدى الى البيت واحدها
هدية بسكون الدال وقال غيره سمي بذلك لانه يتقرب به الى الله بمنزلة الهدية يهديها
الانسان الى غيره تقربا اليه وقرئ بكسر الدال وتشديد الياء جمع هدية كمطي ومطية
وقيل التشديد لغة تميم والتخفيف مصدر والحدة **ولا تحلقوا رؤوسكم** قيل خاص
بالمحصرين وقيل عام ففيه من فنون الخطاب العام بعد الخاص وفيه مجاز في الفاعل اي
لا يحلق بعضكم رأس بعض وفي المفعول اي شعر رؤوسكم **حتى يبلغ الهدي محله** كنى به عن
الاحلال على قول العموم وتضمن الاشارة الى مشروعية الهدي ووقته ومكانه **فمن
كان منكم** فيه القولان السابقان وحديث كعب بن عجرة في نزولها يؤيد كونها في غير
المحصرين **او به اذى من راسه ففدية** يقدر قبله فحلق الراغب الفدية ما يقي به الانسان
نفسه من مال يبذله في عبادة يقصر فيها ورفعها على الابتداء اي فعليه او الخبر اي فالواجب
وقرئ بالنصب اي فليفتد **من صيام او صدقة او نسك** فيه ترق من الادنى الى الاعلى فان قيل
لم قال او نسك ولم يقل او ما استيسر من الهدي كالآية السابقة والآتية قلت ظهر لي
ان ذلك لنكتة وهو انه لو قاله لاوهم ان المراد به ما تقدم ايجابه على المحصر بعينه وانه
اكتفي به هنا وان الحالق لعذر مخير بين الصوم او التصدق او الاكتفاء بما استيسر من الهدي
الذي لزمه في الاحصار من غير زيادة فعدل الى قوله او نسك وتنكيره ليفيد انه غيره
وانه ذبيحة اخرى الراغب النسك العبادة واختص باعمال الحج والنسيكة مختصة بالذبيحة
والمناسك مواقف النسك واعمالها انتهى وقال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل
سبيكة نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة
المخلصة من الدنس ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف العبادات التي يتقرب بها

قال الامام ابو حيان الامن سكون يحصل في القلب بعد اضطرابه فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي
بضم العمرة الى الحج والتمتع الانتفاع فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي
عليه وقرئ بالنصب بتقدير فليصم وقوله في الحج اي في زمن الاحرام به او في اشهره قوله
وسبعة اذا رجعتم قيل الى وطنكم وقيل اذا فرغتم من اعمال الحج وفي رجعتم التفات
عن الغيبة والاصل رجع وراعاه لمن قرئ وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة
لانه مفعول صيام او باضمار فعل اي صوموا تلك عشرة كاملة وذكر هذه الجملة للتأكيد
الدافع لاحتمال ان يعني بالواو معنى او ونظيره في التأكيد فتم ميقات ربه اربعين
ليلة فانه دافع لاحتمال ان تكون العشرة بغير مواعدة ولا طائر يطير بجناحيه دافع
لاحتمال ارادة قوة الاسراع دون الطيران يقولون بالسنتهم دافع لاحتمال
ارادة القول النفسي البا ذري انه بعشرة توطئة لقوله كاملة لانها هي الخبر المستقل به
فائدة الاسناد فجيء بها للتوكيد كما تقول زيد رجل صالح وقال غيره مذهب العرب اذا
ذكروا عددين ان يجملوهما لعلة معرفتهم بالحساب كما ورد انا امة امية لا نكتب
ولا نحسب وورد ذلك في اشعارهم كثيرا الكشاف فائدة الفذلكة في كل حساب ان
يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وكاملة تأكيد اخر
وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها وقيل كاملة في ثوابها
وحدودها وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وقيل لفظه خبر ومعناه الامر اي
فاكملوها ولا تنقصوها الكرماني ان قيل لم قيد الثلاثة والسبعة بالعشرة وذلك
معلوم بالبديهة ففيه ثمانية اجوبة جوابان من التفسير وجواب من الفقه وجواب
من النحو وجواب من اللغة وجواب من المعنى وجوابان من الحساب اما التفسير فالجواب
الاول ان المقصود ذكر الكمال لا ذكر العشرة وان المعنى تلك عشرة كاملة عن شاة والثاني
تقديره فصيام عشرة ايام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم واما الفقه فان
الكفارات وجبت متتابعة ولما فصل هنا بينهما بالافطار قيد ليعلم انها كالمتصلة
واما النحو فان الواو قد تأتي بمعنى او نحو فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
ورباع اي احد المذكورات فقيد ليعلم ان كليهما مراد واما اللغة فان السبع يذكر
والمراد به الكثرة لا العدد المعروف وكذلك السبعون والسبعمائة فقيد ليعلم ان المراد
به العدد المعروف وهو ما بين الست والثمان واما المعنى فان الثلاثة لما عطفت عليها
سبعة احتمل ان يكون بعدها ثلاثة فقيد العشرة ليعلم انها كلها واما الحساب
فان السبعة المذكورة عقب الثلاث يحتمل ان يكون مع الثلاثة اي من جملتها كما في قوله
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام بعد قوله خلق الارض في يومين فان المراد يومان
مع اليومين المتقدمين لا اربعة سواها فقيد بقوله تلك عشرة كاملة ليعلم انها
سبعة سوى الثلاثة والثاني ان عادة الحساب قد جرت بذكر الجملة بعد التفصيل

قال

قال الفرزدق ثلاث واثنتان فهن خمس
وقال الاعشى
ثلاث بالغداة فهن حسبي وست حين يدركني العشاء
فذلك تسعة في اليوم ري وشرب المرء فوق الري داء

وفائدة ذلك ما تقدم من الاعلام بالجملة بعد التفصيل من الحساب تارة يذكرون
التفصيل ثم الجملة كما هنا وتارة الجملة ثم يفصلون بعدها كما في قوله اثنا عشر شهرا منها
اربعة حرم انتهى ومما قيل في ذلك انه اتى بعشرة لئلا يتوهم اختصاص الكمال بالثلاثة
المصومة في الحج لشرفه وقيل لازالة الايهام المتولد من تصحيف الخط لاشتباه سبعة
وتسعة كما قيل مثله في حديث ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا انها السبكي في
عروس الافراح الفرق بين التكميل والتتميم ان الاول لاستيعاب الاجزاء التي لا توجد
الماهية الا بها والتتميم لما وراء الاجزاء من زيادات تأكدها وذلك التي الكامل ولذلك قال
تلك عشرة كاملة اي لم تنقص اجزاؤها وقال واتموا الحج والعمرة لله روي تمامها
ان تحرم بهما من دويرة اهلك وهو وصف فيه زيادة على الاجزاء فان ماهية الحج والعمرة
توجدان بدونه وقد جمع بينهما في قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي لما كانت
اكمال الدين وجد فيه الجزء الاخير اذ ذاك استعمل فيه لفظ الكمال ولما كانت نعم
الله حاصلة للمؤمنين قبل ذلك اليوم غير ناقصة استعمل فيها الاتمام لانه زيادة على نعم
الله السابقات قبل كاملة انتهى ذلك اشارة الى الاقرب وهو لزوم الهدي او بدله
او الابعد وهو اباحة التمتع قولان ويؤيد الثاني اللام فانها تناسب الرخص والمناسب
في الواجبات على لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ذكر الاهل كناية عن الاستيطان واتقوا
الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن خالفه وتهاون بحدوده الحج اشهر اي اشهر الحج او وقت الحج او حج اشهر والاصل في اشهر
ما اتسع فيه ابو علي حمل الاشهر على حجا لكثرة وقوعه فيها وعنيه الثلاث الاشهر على شهرين وبعض
شهر عند من لا يرى بقية ذي الحجة منها ابو حيان مناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما امر
باتمام الحج والعمرة وكانت العمرة لا وقت لها معلوم بين ان الحج له وقت معلوم معلومات
اي معهودات عند الناس لان مشروعية الحج جاءت على ما عرفوه وكان مقررا عندهم
فمن فرض اعاد الضمير جمعا لان العائد اليه جمع قلة فلا رفث قرئ وفوق ولا فسوق ولا جدال
القراءة بنصب الثلاثة وبرفع الاولين ونصب الثالث ووجهه على هذا ان الاهتمام بنفي الجدال
اشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق لاشتمالهما على قضاء شهوة النفس من نسيه وفسق
الذي هو في حيز الرفث وعلى مخالفة امر الله تعالى الذي هو من الفسوق وزيادة الايذاء والايحاش
المؤدي الى العداوة والبغضاء وعدم الانتفاع ولحوقه بالفحش من زيد الزجر والمبالغة
في النفي وقيل رفع الاولين محمول على النهي والثالث على الاخبار بانتفاء الجدال وكانه

قيل لا شك ولا خلاف في الحج ان العزى قوله ولا رفث ليس نفيا لوجود الرفث بل نفي
لمشروعيته فان الرفث يوجد في بعض الناس واخبار الله لا يجوز ان يقع خلاف مخبره
وانما يرجع النفي الى وجوده مشروعا لا الى وجوده محسوسا كقوله والمطلقات يتربصن
ومعناه شرعا لا محسوسا فانا نجد المطلقات لا يتربصن فعاد النفي الى الحكم الشرعي لا الى
الوجود الحسي لا يمسه الا المطهرون اي لا يمسه احد منهم شرعا فان وجد المس فعلى خلاف
حكم الشرع وهذه الدقيقة التي فاتت العلماء فقالوا ان الخبر يكون بمعنى النهي وما
وجد ذلك قط ولا يصح ان يوجد فانهما مختلفان حقيقة ومتباينان وضعا وقرئ
برفع الثلاثة وبنصبها منونة مصادر بتقدير فعل اي لا يرفث ولا يفسق ولا يجادل
الامام الحكمة في ذكر هذه الالفاظ الثلاثة لا ازيد ولا انقص انه قد ثبت في العلوم العقلية
ان الانسان فيه اربع قوى شهوانية بهيمية وغضبية سبعية ووهمية شيطانية
وعقلية ملكية والمقصود من جميع العبادات قهر القوى الثلاث الاول فقوله
فلا رفث اشارة الى قهر القوة الشهوانية ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية ولا
جدال اشارة الى قهر القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الجدال في ذات الله وصفاته
واحكامه وافعاله وهي الباعثة للانسان على منازعة الانسان ومماراته والمخاصمة
معهم في كل شيء فلما كان منشأ الشر محصورا في هذه الامور الثلاثة خصها بالذكر ابو حيان
ذكر في الآية ثلاثة وفي الحديث من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه
فاقتصر على اثنين فان مقصود الحديث ما يترتب عليه مغفرة الذنوب وليس الجدال
من ذلك لانه ان كان من المحظور اندرج في قوله ولا فسوق لعمومه او المكروه فلا
يجعل شرطا للمغفرة فلذلك اقتصر على الرفث الذي هو محظور في الحج والفسوق
الذي هو محظور مطلقا والآية لبيان الاكمل والافضل وهو تنزيه الحاج عن المخاصمة
والمجادلة لمقصدها غير مقصد الحديث وانما خص النهي عنها بالحج لان النهي عن الرفث
خاص به والآخرين لعظم حرمته لان التلبس بالمعاصي فيه افحش واعظم منه في غيره ونظيره
الحديث اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فالجهل منهي عنه مطلقا لكن خص
الصوم بالذكر لعظم حرمته ولانه اكد فيه من غيره الراغب الجدال المفاوضة على سبيل
المنازعة والمغالبة واصله من جدلت الحبل اي احكمت فتله فكان المتجادلين يفتل
كل منهما الآخر عن رأيه وقيل اصله الصراع واسقاط الانسان صاحبه على الجدالة
اي الارض الصلبة في الحج منه اقامة الظاهر مقام المضمر للتأكيد ولازالة توهم
عوده على ما لا على الحج وما تفعلوا [illegible] فيه التفات عن الغيبة وحمل على معنى
من وعموم لافعال القلب واللسان والجوارح من خير يعلمه الله الاصح في تقدم الامر
بفعل الخير في قوله واتموا الحج والعمرة والنهي عن فعل الشر في قوله فلا رفث وما
بعده ثم عقبها بقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله فحض على الخير بذكره دون الشر تكرما

والاشارة

والاشارة الى انه تعالى مظهر الخير وساتر الشر وقال في الكشاف حث على الخير عقب
النهي عن الشر ليستعملوا مكان القبيح الحسن الطيبي اذا حمل فلا رفث وما بعده على معنى
النهي وما تفعلوا على معنى الامر كان من الطرد والعكس لانهما متقابلان لان النهي عن
الشيء امر بضده وعكسه وتزودوا اي في سفركم لان الآية نزلت فيمن كان يحج بغير
زاد فان خير الزاد التقوى اي ما يتقى به سؤال الناس وازودوا فيه بتقوى الله لا
هو زاد الآخرة فقال واتقون يا اولي الالباب وهذه نهاية البلاغة وقيل تزودوا
امر بالتزود الى الآخرة بقرينة ما قبله وما بعده وان التقوى في عرف الشرع والقرآن
عبارة عما يتقى به النار ويرده سبب النزول وقيل هو امر بالتزود في السفرين معا
وكان المعنى تزودوا وتزودوا ما تنتفعون به لعاجل سفركم وآجله قلت ونحوه ان
يقال واراد به تحليتين اولاهما متعلق بالدنيا الثانية بالآخرة فيه لف ونشر للاجمال
المطوي قال أبو بكر الرازي احتمل قوله وتزودوا الامرين من زاد الطعام
وزاد التقوى فوجب الحمل عليهما اذ لم تقم دلالة على تخصيص احد الامرين ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم زاد ابن عباس في قراءته في مواسم الحج ابو حيان الجناح الاثم من
الاثم لانه فيما يقتضي العقاب وفيما يقتضي الزجر والعتاب قال ومناسبة هذه
الآية لما قبلها انه لما نهى عن الجدال والتجارة قد تفضي الى المنازعة ناسب ان يتوقف
فيها لان ما افضى الى المنهي عنه منهي عنه او لان المسلمين لما صار كثير من المباحات محرما
عليهم في الحج توهموا ان التجارة من هذا القبيل فابيحت لهم قلت وايضا فلما قال
واتموا الحج والعمرة لله توقف كثير من التجارة في الحج لانه قد يكون فيه شائبة دنيوية
بمداخلة التجارة فينتفي الاخلاص المأمور به ولهذا اختلف اصحابنا فيمن سافر
للحج والتجارة هل يثاب على الحج اولا فنبه تعالى على اباحتها اذا كان المقصود الاعظم
هو الحج فاذا افضتم من عرفات الراغب اي دفعتم منها بكثرة تشبيها بفيض الماء قال
جماعة والافاضة شهادة على وجوب الكون فيها اذ الافاضة لا تكون الا بعد التعين
الراغب مشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس من قبله اي قبل هداه ثم افيضوا من
من حيث افاض الناس اي غيركم من العرب اي من عرفات خلاف ما كانوا عليه من الوقوف قوف
بمزدلفة قائلين نحن اهل الحرم فلا نخرج منه وقيل المراد بالناس ابراهيم اخرجه ابن جرير
من طريق عن ابن عباس وقرأ ابن مسعود الناسي اي آدم ثم للتفاوت ما بين الافاضتين
وان احدهما صواب والاخرى خطأ وقيل هي على بابها من الترتيب وان هذه الافاضة
من جمع وقيل في الكلام تقديم وتأخير اي فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج ثم افيضوا من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات وقيل هي للترتيب
في الذكر لا في الزمان الواقع فيه الافعال وحسن ان الافاضة السابقة لم يكن مأمورا
بها انما كان المأمور به ذكر الله اذا فعلت فكانه قيل ثم لتكن تلك الافاضة من عرفات

لا من مزدلفة فاذكروا الله اي من مخالفتكم في الموقف كذكركم اباءكم وقرئ آباؤكم
بالرفع وأباكم بالافراد او اشد ذكرا احسن ما قيل في اعرابه انه مصدر فاذكروا الله
آخر لكونه كالفاصلة قاله ابو حيان وظن المتقدمون انه تمييز فاحتاجوا الى
تخاريج متكلفة ليصح نصبه اذ ظاهره انه من جنس ما قبله فحقه الجر لما بين
الله اولا تفصيل مناسك الحج ثم امر بذكره عند المشعر الحرام ثم امر بذكره على الوجه الذي
هدى اليه ثم اشار الى انهم قبل ذلك الهدى كانوا ضالين ثم بين ان الاولى ان
يترك ما كانوا عليه وقت الضلالة والجاهلية وان تقتصر على ذكره ثم بين بعد
الذكر كيفية الدعاء بقوله فمن الناس الى آخره وما احسن هذا الترتيب وابلغه فان
تقديم العبادة واجب كسرا للنفس وازالة لعصيانها ثم بعد العبادة لا بد من الاشتغال
بذكر الله لتنوير القلب ثم بعد الذكر يشتغل المرء بالدعاء فان الدعاء انما يكمل اذا كان مسبوقا
بالذكر كما حكى تعالى عن ابرهيم انه قال الذي خلقني فهو يهدين الى قوله رب هب لي حكما
فقدم الذكر على الدعاء وفي الحديث اذا دعا احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه فمن الناس
المعنى اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من مقلل الهمة لا يطلب الا اعراض الدنيا ومن عاليها
يطلب خير الدارين والغاية تفصيله ذلك المجمل ما عليه الناس في نقل الامر تعليم من يسأل الآية
الاصبهاني لما بين تعالى الارشاد الى هذا النسك العظيم الشان قال فاذا افضتم
مناسككم ... اي اذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم الى اوطانكم لا تقولوا افضنا
ما علينا بل اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم الناس اربع فرق احدها الكافرون الذين غاية مقصودهم قسم صح
ومنتهى همتهم اعراض الدنيا وهم المراد بقوله فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا والثانية
المقتصدون الذين يطلبون خير الدنيا والآخرة وهم المراد بقوله ومنهم من يقول الآية والثالثة
المنافقون الذين كانت علانيتهم احسن من سرائرهم وقلوبهم امر من الصبر وهم المراد
بقوله ومن الناس من يعجبك قوله والرابعة المتقون الباذلون نفوسهم في سبيل
الله وابتغاء مرضاته وهم المراد بقوله ومن الناس من يشري نفسه فالثانية في مقابلة
الاولى والرابعة في مقابلة الثالثة فلهذا ذكرهم على هذا الترتيب ارشادا لهم
الى اختيار احمد الاصوب ولما فرغ من ذلك واراد ان يشرع في قصة بني اسرائيل اتى بما يتخلص
منه اليه فقال يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة انتهى وقال ابو حيان الذي يظهر
ان قوله فمن الناس تقسيم للمأمورين بالذكر وانهم ينقسمون في سؤال الله الى من يغلب
عليه حب الدنيا فلا يدعو الا بها ومنهم من يدعو بصلاح حاله في الدنيا والآخرة وان
هذا من الالتفات ولو جاء على مقتضى النظم لقيل فمنكم ونكتته انهم لم يواجهوا بهذا
الذكر فلا ينبغي ان يسلكه احد من الاختصاص وعلى الدنيا فابرزوا في صورة انهم غير المخاطبين
بالقرآن جعلوا في صورة الغائبين حسنة بالتنكير في الموضعين اي حسنة عظيمة
لا يكون وراءها حسنة فتشمل جميع الحسنات في الدنيا والآخرة وقنا عذاب النار هو

اجله

من جملة الحسنة الدعوية لانها في الآخرة او ذكرا منها لما بها اولئك خاص بالفريق الثاني
لتقدم ما للفريق الاول في قوله وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب والاشارة به للتعظيم لعلو
مرتبتهم مما كسبوا الاصبهاني سمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب الراغب
ما يتحراه الانسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ ويقال فيما اخذه لنفسه ولغيره والا
كتساب لا يقال الا فيما استفاده لنفسه فكل اكتساب كسب وليس كل كسب اكتسابا
ويستعملان في الصالح والسيء فمن الاول للرجال نصيب مما كسبوا واكتسب في اياها خير الرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ومن الثاني ابسلوا بما كسبوا وويل لهم مما يكسبون
وعليها ما اكتسبت ومن الصالح لها ثم توفى كل نفس ما كسبت قال وقد خص الكسب بالصالح
والاكتساب بالسيء في قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت سريع الحساب في الخير وعد و
وعيد وبشارة ونذارة وصف لنفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم
ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه ورجاء الرحمة ومعنى الحساب ترتيبه مقادير الجزاء
على اعمالهم وتذكيره اياهم ما قد نسوه من ذلك واذكروا الله اطلاق الذكر هنا وفيما تقدم
ليعم الصلاة والتلبية والتكبير والرمي وسائر وجوه الاذكار والعبادات في ايام معدودات ذات
سماها بذلك لقلتها فمن تعجل في يومين الكرماني في يوم وبعض الثاني فثني لوجود بعض الثاني
كما جمع لوجود بعض الثالث في قوله الحج اشهر فلا اثم عليه سالم بن عبد الله بن عمر فلم يحذف
الحرم اعتباطا بلا موجب ثم الا اثم ... ومما يحكى ... ومن تأخر ابو حيان
فيه طباق غريب بين تعجل وتأخر لان ضد تعجل تأنى وضد تأخر تقدم فعبر في تعجل بالملزوم
عن اللازم وفي تأخر باللازم عن الملزوم وقوله فيه فلا اثم عليه من باب المقابلة اللفظية
لان المتأخر اتى بزيادة في العبادة فله زيادة في الاجر وانما اتى بقوله فلا اثم عليه
في مقابلة قوله ذلك من تعجل فهو كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه لمن اتقى اي ذلك
التخيير ونفي الاثم لمن اتقى في حجه لانه الحاج على الحقيقة وفي مصحف ابن مسعود لمن اتقى الله
واتقوا الله طلب للتقوى في المستقبل فليس بتكرار لما قبله واعلموا انكم اليه تحشرون
توكيد للامر بالتقوى لان من علم انه لا بد من حشر وحساب وسؤال وجنة ونار قويت
دواعيه الى التقوى وتقديم اليه للاختصاص اي لا الى غيره ولا مالك يومئذ سواه ولا ملجأ
الا اياه وختم قصة الحج بذكر الحشر كما هو العادة في كثير من قصص القرآن ان يختم بذكر
المعاد تأكيدا للحقيقة وردا للمنكرين ونبها على الاخلاص في العبادات ليظهر ثمرتها فيه
ابو حيان افتتحت قصة الحج بالامر بالتقوى وختمت بها وتخلل في غضون ذلك الامر بها تأكيدا
لمطلوبيتها ومن الناس من يعجبك تقدم من كلام الاصبهاني في الاشارة الى مناسبة هذه الآية لما قبلها
وقال ابو حيان لما ذكر السائلين قبل الى مقتصر على الدنيا وسائل حسنة الدنيا والآخرة اتى
بذكر النوعين هنا فذكر من النوع الاول من هو حلو المنطق مظهر الود وليس ظاهره كباطنه
وعطف عليه من يقصد رضى الله ويبيع نفسه في طلبه وقدم هنا الاول لانه مشاكل المتقدم ولهذا

علق الاعجاب بقوله دون غيره من الاوصاف لان الواقع منه قوله كما قال فمن الناس من يقول
والكاف خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل من الراغب التعجب حالة تعرض للانسان عند
الجهل بسبب الشي ويستعار للمونق فيقال اعجبني كذا اي راقني ومنه الآية وقال غيره يقال
في الاستحسان والمحبة اعجبني كذا وفي الانكار والكراهة عجبت من كذا في الحياة الدنيا
يجوز تعلقه بالقول اي يعجبك في الدنيا فصاحته وحلاوته ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه
في الموقف من اللكنة ويتعين ضم من الحالفة وبالقول اي يعجبك ما يقوله في شان الدنيا
ويشهد الله قرئ بفتح اليا والها ورفع الجلالة وقرأ ابي يستشهد الله الد الخصام
يجوز كونه مصدرا فاضافته بمعنى في وجمعا فهي بمعنى من تولى اي ذهب وقيل بمعنى
ولي ولاية سعى الراغب السعي المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الامر
خيرا كان او شرا واكثر ما يستعمل في الافعال المحمودة الاصبهاني اصل السعي المشي بسرعة
ويستعار للايقاع الفتنة في الارض ابو حيان معلوم ان السعي لا يكون الا في الارض لكن
ذكرها فائدة العموم اي في اي مكان حل منها سعى بالفساد والتكثير اي انه كثير التقلب في
نواحي الارض للسعي بالفساد ويهلك الحرث والنسل هو داخل في الافساد خصا بالذكر لانهما
اعظم ما يحتاج اليه من في عمارة الدنيا وقرأ ابي وليهلك وقرئ ويهلك برفع الكاف
استئنافا وقرئ ويهلك بفتح اوله والرفع من هلك والحرث فاعل وقرئ كذلك بفتح
اللام لغة ويهلك بالبنا للمفعول الراغب النسل الولد لكونه ناسلا عن ابيه اي منفصلا
عنه اخذته العزة بالاثم اي حملته عليه والزمته به او احتوت عليه العزة واحاطت
به وصار كالماخوذ بها كما يوخذ الشي باليد فالبا على الاول للتعدية وعلى الثاني للسببية
والمصاحبة ابو حيان في هذه الجملة نوع من البديع يسمى التتميم وهو ارداف الكلام بكلمة
ترفع اللبس عنه وتقربه للفهم كقوله ولا طائر يطير بجناحيه وذلك ان العزة محمودة
في طاعة الله كما قال اعزة على الكافرين فلما قال بالاثم اتضح المعنى وتبين انها
العزة المذمومة المؤثم صاحبها فحسبه جهنم اي كافيه جزاء واذلالا هو طبقا من حيث
المعنى وهو صيغة استعظام لما حل به من العذاب المهاد هو المكان الممهد للنوم المرطا
للراحة ذكر على سبيل التهكم على حد قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومن الناس الآية لما ذكر
المنافق الذي يبذل خلاف ما هو ناسب ان يذكر ضده وهو من يبذل نفسه في طاعة الله
ويرتكب الصعب لمرضاته وقال الفضل هنا بين القسم الاول والثاني اظهر في الثاني
من الناس وهناك لما لم يطل قال ومنهم بالاضمار يشري اي يبيع وهو كناية عن بذل
النفس ابتغا مفعول له والله رؤوف بالعباد ابن عطية هذه ترجية تقتضي الحض على امتثال
ما وقع به المدح في الآية كما ان حسبه جهنم تخويف يقتضي التحذير مما وقع به الذم ابو حيان
فاختتم ذلك بالوعيد المشتمل على حسن الماب وجزيل الثواب ودل على ذلك بالرافة التي هي
سبب لذلك نعما وقد كناية عن احسان الله اليهم لان رافته بهم تستدعي جميع انواع

الاحسان

الاحسان ولو ذكر اي نوع من الاحسان لم يفد ما افاده لفظ الرأفة ولذا كانت
الكناية ابلغ وعدل عن قوله بهم الى بالعباد لامرين احدهما ان لفظ العباد له في القرآن
تشريف وتخصيص كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان سبحان الذي اسرى
بعبده اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ولذلك قيل ما اضيف الى الله عباد
وما اضيف الى الناس عبيد والثاني مراعاة الفواصل فان قبله الفساد المهاد وفي
هذه الآية والتي قبلها نوع من البديع وهو التقسيم وقيل ان فيها نوعا منه وهو التقديم
والتأخير وهو من ضروب البيان في النظم والنثر ودليل على قوة الملكة في ضروب الكلام
وذلك ان قوله واذكروا الله معطوف على قوله فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم
ومن الناس من يعجبك ومن الناس من يشري معطوف على قوله فمن الناس من يقول ومنهم
من يقول وهو معطوف على الذكر فيصير الكلام كله منسوقا على الذكر لانه مناسب له
في المعنى ويصير التقسيم معطوفا بعضه على بعض لان التقسيم الاول في معنى الثاني
فيتحد المعنى ويتسق اللفظ السلم بالفتح والكسر الاسلام والطاعة كافة اي جميعا حال
من الواو او المجرور وهو الصواب لان سبب نزولها ان بعض مؤمني اهل الكتاب
تمسك ببعض ما في التوراة فهو محط الامر وبه يندفع سؤال كيف امر المؤمنين بالدخول
في الاسلام وهم داخلون فيه فان زللتم قرئ بكسر اللام لغة واصله للقدم ثم استعمل
في الرأي والاعتقاد حكي ان قارئا قرأ هذه الآية فقال في آخرها فاعلموا ان الله غفور
رحيم فسمعه اعرابي فلم يكن يقرأ فقال ان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر
الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه فلما قيل له عزيز حكيم قال هكذا ينبغي هل ينظرون استفهام
بمعنى النفي ينظرون فيه التفات عن الخطاب يأتيهم الله اي امره وبأسه وعذابه بدليل
او يأتي امر ربك فجاءها بأسنا والآية مسوقة للتهديد والوعيد في ظلل جمع ظلة الراغب
وهي سحابة تظل واكثر ما يقال فيما يستوخم ويكره وقرئ في ظلال قال
ابن جني والوجه ان يكون جمع ظلة البنا لان الظلل ليس بالغيم وانما الظلة الغيم
والظل عدم الشمس في اول النهار فهو عرض والظلة جسم والملائكة قرئ بالجر عطفا
على مدخول في او من وقرأ ابن مسعود يأتيهم الله والملائكة في ظلل وقضي الامر اي تم
الجزاء وفرغ من الحساب وعذب اهل العصيان وليس في جعل الوعيد المنع من تعذيبه وفيه
ايقاع الماضي موقع المستقبل وقرئ وقضى الامور وقرأ معاذ بن جبل وقضاء
الامر مصدرا مرفوع عطفا على الملائكة وقيل مجرور عطفا عليها في قراءة الجر قال
بعضهم في قوله وقضي الامر والى الله ترجع الامور من علم البيان الايجاز فانه يندرج
فيه جميع احوال العباد منذ خلقوا الى ان يبعثوا ومن البعث الى الفصل بين العباد وفي
الى الله اختصاص ترجع بالبنا للفاعل اي تصير وللمفعول اي ترد وقرأ بالتذكير
مبنيا للمفعول من رجع المتعدي سل بني اسرائيل هو سؤال تبكيت وتقريع وقرئ اسال

قال ابو حيان لما تقدم هل ينظرون الا ان والمعنى فيه استبطاء دخولهم في السلم وانهم لا ينتظرون الا آية عظيمة تلجئهم الى الدخول فيه جاء هذا الامر بسؤالهم عما جاءهم من الآيات العظيمة ولم تنفعهم كم آتيناهم فيه التفات ثم فيما بعده من آية بينة اي فبدلوها بدليل ما بعده ومن يبدل قرئ بالتخفيف والمفعول الثاني محذوف اي كفرا بدليل الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا نعمة الله الطيبي هو من وضع الظاهر موضع المضمر بغير لفظه السابق للاشعار بتعظيم الآيات وتقبيح فعلهم من بعد ما جاءته فيه ايذان بان التبديل لا يصح الا بعد مجيئها لانه ربما يوجد التبديل من غير خبرة بالمبدل او عن جهل به فيعذر فاعله وهاهنا على خلاف ذلك والغاية مزيد التقريع والتشنيع متردده لقوله كم آتيناهم من آية بينة لتقرير الاستفهام في كم بمعنى التوبيخ والتقريع فان الله شديد العقاب قيل فيه اضمار اي له قال الشيخ عبد القادر في دلائل الاعجاز والاولى تركه لان المقصود من الآية التخويف بكونه في ذاته موصوفا بانه شديد العقاب من غير التفات الى كونه لهذا او ذاك والعقاب عذاب يعقب الجرم الطيبي في الآية مبالغات شتى احداها العموم في من لعدم حصر الذين بدلوا فيه دخولا اوليا ثانيها اقامة الظاهر مقام المضمر كما سبق ثالثها اضافة النعمة الى الله رابعها التتميم في قوله من بعد ما جاءته خامسها نسبة المجيء الى الآيات على سبيل الاستعارة سادسها ايقاع فان الله شديد العقاب جزاء للشرط على تأويل الاخبار يعني تبديل الناس نعمة الله سبب للاخبار بكونه شديد العقاب وهذا الاخبار اليه الا عند قطع الشأن سابعها اقامة المظهر مقام المضمر في الجزاء ثامنها تصديره بأداة التأكيد تاسعها اضافة الشديد الى العقاب عاشرها التعميم في الجزاء انتهى وقيل وهذه الآية مقدمة في المعنى على التي قبلها هل ينظرون الآية زين الاصبهاني لما ذكر تعالى حال من يبدل نعمة لله وهم الكفار الذين كذبوا بالآيات والادلة ابتعه بذكر السبب الذي من اجله كانت هذه طريقتهم لتعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني على الباقي وقرئ بالبناء للفاعل من راجعا الى الله وقرئ زينت والذين اتقوا من اقامة الظاهر مقام المضمر لكن يعني الظاهر السابق لا بلفظه ونكتته الاشارة الى ان السعادة الكبرى انما تحصل للمؤمن المتقي مع ما فيه من ازالة التكرار وفي الآية ثلاث طباقات بين الدنيا ويوم القيامة والذين كفروا والذين آمنوا ويسخرون وفوقهم والله يرزق من يشاء بغير حساب الراغب فيه اوجه قيل يعطيهم اكثر مما يستحقه وقيل يعطيهم ولا يأخذه منه وقيل يعطيهم عطاء لا يمكن للبشر احصاؤه لكثرة وقيل يعطيه بلا مضايقة وقيل يعطيهم اكثر مما يحسبه وقيل يعطيهم بحسب ما يراه من مصلحته لا على حسابهم وقيل يعطي المؤمن ولا يحاسبه عليه وقيل يقابله في الآخرة لا بقدر استحقاقه بل اكثر منه واختتم بهذه الجملة مناسب لسعة الكفار في الدنيا وسعة المؤمنين في الآخرة معا

كان الناس

كان الناس الاصبهاني لما بين اصرار الذين كفروا على الكفر وحب الدنيا بين ان هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان بل في الازمنة المتقادمة فان الناس كانوا امة واحدة ثم اختلفوا وما كان اختلافهم الا بسبب البغي والحسد وحب الدنيا والتنازع في طلبها امة واحدة اي على الاسلام فاختلفوا وقيل على الكفر والاول اصح ويدل عليه وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقرأ ابن مسعود مثله بزيادة فاختلفوا وانزل معهم الكتاب اي الكتب وضمير معهم لمجموعهم الصادق ببعضهم على حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فلا يدل الآية على ان كل نبي معه كتاب وقيل التجوز في انزل وجعل كقوله وانزلنا الحديد وقيل في الكتاب على معنى الوحي ليحكم اي الكتاب لانه اقرب مذكورا والنبي الذي اشتمل عليه لفظ النبيين لانه هو المظهر او الله لانه الحاكم في الحقيقة ويؤيده ما قرئ لنحكم بالنون وهو على هذه التفات وقرئ ليحكم بالياء مبنيا للمفعول وما اختلف فيه الا الذين اوتوه خصهم بالذكر تنبيها على شناعة فعلهم ولان غيرهم تبع لهم فهو اصل الشر واي من الدالة على ابتداء الغاية تنبيها على ان اختلافهم متصل باول زمان مجيء البينات لم يقع منهم التفات على نحو بعد المجيء بل بنفس ما جاءتهم البينات اختلفوا وذلك اشنع عليهم حيث دنسوا على المجيء خلافا نقضا وقال بغيا بينهم فبان ان الحامل على ذلك منهم مجرد البغي والظلم لا الخلل فيما جاءهم قال ابو حيان في قوله بغيا اشارة الى حصر العلة فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي اولئك المتقدمون اولا وقيل فيه تقديره فاجرى للحق مما اختلفوا فيه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي طريق موصل الى المطلوب وهو طريق الحق ثم بين ان ذلك الطلب لا يفضي الى المطلوب الذي هو دخول الجنة الا باحتمال الشدائد في التكليف فقال ام حسبتم استفهام انكار واستبعاد ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم ايها باب ولما موضع الاتيان منتظر لان ذلك هو الفارق بين لم ولما الاصبهاني لما ذكر الله ان الذين كفروا يسخرون من الذين آمنوا ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف واستمرار كافرهم على مؤمنهم تسلية للمؤمنين وتشجيعا لهم على الصبر على خلاف المشركين واهل الكتاب وعداوتهم واستهزائهم فيه قال الفخر على طريقة الالتفات التي هي ابلغ احسبتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان دون ان تنالوا من اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الفقر والبؤس في المعيشة ومقاساة الاهوال في مجاهدة العدو كما نال ذلك من قبلكم من المؤمنين في الامم الخالية والمثل الشبه الا انه استعار للحالة الغريبة او قصة عجيبة لها شأن وهو على حذف مضاف اي مثل محنة الذين من قبلكم تأكيدا ان الذين خلوا المنتفي المتقدم مستهم استيناف ببيان للمثل وزلزلوا ازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من انواع البلاء والرزايا والاهوال حتى يقول الرسول برفع الفعل على حكاية الحال الماضية ونصبه وهو من ايقاع المستقبل موقع الماضي اي قال ومعنى الغاية ان الامر تناهى في الشدة وتمادى في العظم وبلغ بهم الضجر

الجهد لما استبطأ النصر حتى قال الرسل والمؤمنون متى نصر الله استبطاء له لغاية ما
لحقهم من الجهد لان الرسل لا يقدر مقدار صبرهم وثباتهم وضبطهم لانفسهم فاذا ضجوا
كان ذلك الغاية القصوى التي لا مطمع وراءها في الشدة فاجيبوا من قبل الله الا
ان نصر الله قريب فهو على تقدير قول لهم وقيل الآية من باب اللف والنشر غير المرتب
والاصل حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله فيقول الرسول الا ان نصر الله قريب وتقدير
النظم حتى يقول الرسول الا ان نصر الله قريب جوابا لقول الذين آمنوا متى نصر الله وانما قدم
في اللف الرسول لشرفه والمؤمنون تبع له وقدم في النشر قولهم لانه سابق وقول
الرسول نازل له جوابا ولان فيه مؤاخاة الفاصلة وفي قوله والذين آمنوا دون وهم
تفخيم لشأنهم حيث صرح به ظاهرا بهذا الوصف الشريف ابن جماعة قال هنا ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة ولما ياتكم الآية وفي آل عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين وفي براءة ام حسبتم ان تتركوا الآية لان آية البقرة في الصبر على مقاساة اذى الكفار
وآية آل عمران في حق المجاهدين وما حصل لهم من القتل والجراح والهزيمة يوم احد وآية
براءة فيمن كان يجاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ويباطن اقاربه واولياءه من الكفار المعادين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فناسب مفهوم كل آية ما سيقت له وهو معنى قول الكرماني
آية البقرة للنبي والمؤمنين وآية آل عمران للمؤمنين وآية براءة للمجاهدين يسألونك ماذا
ينفقون الاصح انه لما بين تعالى حال من زين له الحياة الدنيا وحال من اعرض عنها واقبل
على الآخرة شرع في بيان الاحكام التكليفية وهو من هنا الى قوله الم تر الى الذين
خرجوا من ديارهم فان من عادة القرآن ان يكون بيان التوحيد فيه والوعظ والنصيحة
والاحكام مختلطا بعضها ببعض ليكون كل واحد مقويا للآخر ومؤكدا له فان قيل سألوا
عن ماذا ينفقون لا عمن تصرف النفقة اليهم فكيف طابق الجواب السؤال اجيب
بانه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير الذي
دل عليه ما انفقتم على سبيل الابهام والعموم ومن خير بيان له فيكون الجواب مطابقا
مع زيادة في الجواب كما هو الواقع وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا وقعت
موقعها وبدأ بالوالدين لانهما اهم وحقهما آكد اذ كانا سبب وجوده وربياه في حالة
ضعفه ثم سائر القرابة لانهم اهم من الاجانب اذ هم كالجزء منه ولان الصدقة عليهم صدقة
وصلة ثم اليتامى لانهم لا يقدرون على الاكتساب لصغرهم ولا اب يكتسب لهم في معرض
الضياع والمساكين اقل حاجة منهم لانهم قدرة على التحصيل في الجملة وذكر بعدهم
ابن السبيل لانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الاحتياج والفقر ثم اردف هذا
التفصيل الحسن الكامل بما هو مجمل فقال وما تفعلوا من خير اي مما ذكر او غيره حسبة
لله وطلبا لجزيل ثوابه وفرارا لما فيه التبعات فان الله به عليم فيجازيه وقال
ابو حيان مناسبة الآية لما قبلها ان الصبر على النفقة وبذل المال هو من اعظم ما

يبتلى به المؤمن وهو من اقوى الاسباب الموصلة الى الجنة قال وفي الكلام حذف تقديره
ولمن يعطون فجاء الجواب ببيان المنفق والمصرف معا او التقدير مما ينفقون ولمن يصرف
ماذا ينفقون فطابقه الجواب ببيانه قال وقيل الاول اريد به المال والثاني في الفضل
المقابل للفرقة فيصح الجواب التام وهو عزيز في القرآن كتب عليكم القتال فريضة ثابتة
للقابل ومناسبة الآية لما قبلها انه لما ذكر ما مس من تقدمنا من اتباع الرسل البلايا وان
دخول الجنة معد وهو بالصبر على ما يبتلى به المكلف ثم ذكر الابتلاء بالانفاق والمال اشق
في اعلامنه وهو ابتلاء بالجهاد الذي فيه بذل النفس والمال معا كره الاصح ان الكره بالضم
المشقة وبالفتح الاجبار ولهذا المعنى لم يقرأ ههنا بالفتح كما قرئ في سائر المواضع
بالوجهين لان المقصود هنا المشقة لانهم اكرهوا عليه قال الراغب قيل الكره والكره واحد
كالضعف والضعف وقيل الكره بالفتح المشقة التي تنال الانسان من خارج مما يحمل عليه
باكراه والكره بالضم ما يناله من ذاته وهو يعافه اما من حيث الطبع او العقل
او الشرع والقتال كره اي مكروه لكم من حيث الطبع ثم بين بقوله وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم انه لا يجب للانسان ان يعتبر كراهيته للشيء او محبته له حتى يعلم حاله
وانما قال فيهما جميعا الا ان استعماله في المضموم اكثر والكره في المفتوح اكثر انتهى
وقال ابو حيان قرئ هنا بالفتح ايضا اما على انه مصدر بمعنى المضموم او بمعنى الاكراه
على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وذهب بعضهم الى
ان الكره بالفتح هو المصدر واما بالضم فاسم المفعول كالاكل بمعنى المأكول وعسى ان
تكرهوا شيئا من حيث الطبع كالغزو لما فيه من المشقة والخطر وهو خير لكم من حيث الشرع
لما فيه من احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة او الشهادة وعسى ان تحبوا شيئا كالقعود عن
الغزو وهو شر لكم لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر وعسى في الجملة الاولى للاشفاق
وفي الثانية للترجي ووقوعها من الله جريا على عادة العرب في كلامهم والملوك في قواعدهم
لخاصة واجلالا مع ارادة التحقيق الراغب الخير ما يرغب فيه الكل والشر ضده ويستعملان
اسمين ووصفين بمعنى افعل التفضيل والذي هنا من الاول الاصح في الشر السوء واصله
من شررت الشيء اذا بسطته وهو انبساط الالم في الضار والله يعلم ما فيه من مصالحكم وانتم
لا تعلمون ذلك فبادروا الى ما يأمركم به وان شق عليكم والمقصود منه الترغيب في الجهاد
لان الانسان اذا علم ان الله يعلم ما لا يعلمه هو علم انه لا يأمر الا بما فيه صلاحه علم قطعا ان
الذي يأمره به يجب امتثاله سواء كرهه طبعه او احبه وهذه الجملة في هذا المقام تجري مجرى
قوله في جواب الملائكة اني اعلم ما لا تعلمون يسألونك عن الشهر الحرام لما من القتال ذكر ما
يتعلق به من حيث الزمان قتال فيه بدل اشتمال من الشهر وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر بتقدير
همزة الاستفهام وقرئ قتل قل قتال فيه كبير الكرماني لم يعرفه باللام كما تعرف النكرة
اذا اعيدت لان الثاني هنا ليس بالاول زاد في التحبير لان الاول الذي سألوا عنه

قتال عبد الله بن جحش وكان لمفرق الاسلام واذلال الكفر وليس هو بكبرا انما الكبير قتال غير هذا وصد الراغب بكونه صرفا ومنعا كما هو والصرف فادا واسناعا وهو معيقون عن سبيله صدودا والمسجد الحرام قيل هو عطف على مجرور الباء وقيل على مجرور عن وفصل بقوله وكفر به لفرط العناية به كما في قوله ولم يكن له كفوا احد فان موضع له بعد كفوا ولكن قدم لفرط العناية به وقرئ بالرفع على ان الاصل وكفر بالمسجد حذف الباء ثم اضيف ثم حذف المضاف فقام المضاف اليه مقامه والفتنة اكبر اي اشد كما في الاية السابقة لمناسبة ما قبله من قوله كبير واكبر عند الله وفي هذه الاية نوع من الجدل وهو المعارضة فانهم لما استعظموا القتال في الشهر الحرام قيل لهم هو كبير لكن عارضه صدود هو اكبر منه منكم واذا تعارض امران قدم مراعاة الاشد منهما ولا يزالون يقاتلونكم حتى تلون الخطاب وهو مخاطبة الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم تشريفا له ان يخاطب بضمونه حتى للتعليل بمعنى كي ذكر لتنبيه المؤمنين وحضهم على قتالهم ان استطاعوا قال الزمخشري استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ولما تضمنت العلة ذكر الارتداد واستطرد الى ذكر حكمه شرعا فقال ومن يرتدد الاية فيه النوع البديعي المسمى بالمزاوجة وهو ان يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء لانهما مرتب على الاول ومنه ازدواج في الشرط بين الردة والموت عليها مرتب عليهما بالنفاق في الجواب بين احباط العمل والخلود في النار والثاني مرتب على الاول كما لا يخفى وهذا النوع مثاله في القرآن عزيز جدا ومثاله في الشعر

اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى ۞ اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر

ومن ذهب الى ان الردة تحبط العمل وان لم تتصل بالموت فان في الاية لغو وتشديد لان الحبوط عائد الى الارتداد والخلود في النار عائد الى الموت على الكفر وروعي في اول الكلام لفظ من وفي آخره معناها ولما كانت هذه الاية فيها ان الذين جاهدوا وقتلوا في رجب في سرية ابن جحش وظنوا انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم نزلت الاية التي بعدها مقررة لثبوت الاجر لهم وعلقه بالرجاء حيث قال يرجون رحمة الله لانه مشروط بالموت على الايمان وهذا الشرط غير متيقن لان العاقبة مستورة عنهم فلا يحصل لهم الا الرجاء وتعليما للعباد ولو بلغوا من العبادة الغاية القصوى ان يكونوا اهل الرجاء الممتزج بالخوف لا على الطمأنينة والجزم وقدم فيها الايمان ثم الهجرة ثم الجهاد كما هو الواقع وافرد الايمان بموصول لانه اصل وجمع الهجرة والجهاد في موصول واحد وخفي ولك لما تقدم في اول السورة ولما ذكر رجاءهم رحمة الله اخبر تعالى انه متصف بالرحمة وزاد وصفا آخر وهو الغفران يسألونك عن الخمر مناسبة الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر تصرف النفقة في الوجوه التي ذكرها بين هنا نوعين من مصارف المال وذمهما فكان ذكر المصرف السيء بعد المصرف الحسن كذكر قصة الذين كفروا

بعد الذين يؤمنون وبرتبه ختمها بذكر المنفق ايضا والميسر هو القمار مصدر ميمي من يسر كالموعد واشتقاقه من اليسر لان آخذه حصل المال بيسر وسهولة من غير كد او من اليسار لان المأخوذ منه سلب يساره اثم كبير قرئ بالموحدة والمثلثة ووجه الاول ان المبالغة في تعظيم الذنب انما تكون بالكبر لا بالكثرة بدليل كبائر الاثم وحوبا كبيرا ووجه الثاني انه تعالى وصف فيهما انواعا كثيرة من الاثم في آية المائدة وانه قابلهما بقوله ومنافع وهي اعداد كثيرة فكذا الاثم وصار التقدير فيهما مضار كثيرة ومنافع كثيرة واثمهما اكبر قرأ ابن مسعود اكثر بالمثلثة وقرأ ابي بدله اقرب ويسألونك ماذا ينفقون الاجوبة في هذا السؤال قد تقدم ذكره فاجيب عنه بذكر المصرف واعيد هنا فاجيب بذكر الكمية العفو قال ابن عباس الفضل عن العيال قرئ بالنصب بتقدير انفقوا وبالرفع بتقدير هو او الذي ينفقونه كذلك قيل انما افرد الخطاب والمخاطب جماعة لانه بمعنى القبيل ويجوز ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم تتفكرون في الدنيا والآخرة اي في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها فتزهدوا في الفاني وترغبوا في الباقي ورجح تعلق التفكر هنا لانه اول موضع حذف فيه في سائر المواضع للعلم به وقيل هو متعلق بيبين وفي الاية تقديم وتأخير وجملة التفكر اعتراضية ويسألونك عن اليتامى لما امرهم باصلاح اموالهم حيث امرهم بانفاق العفو عقبه بالامر باصلاح اموال محاجيرهم لانهم يتصرفون عليهم بالولاية وغيرها اصلاح لهم قرأ طاوس اليهم في تضمنه معنى الاحسان ونكره ليفيد العموم البدلي في كل الاصلاح متعلق بالمال او بالبدن بخلاف ما لو عرفه فكان يفيد انما العموم الشمولي وهو غير ممكن وقوعه او التعهد في اصلاح خاص والله يعلم المفسد قال ابو حيان فهم التقابل من ايا ولئك وليس كما قال بل هو داخل في القول ولما كانت المخالطة هي المسؤول عنها صرح بها في الجواب مكتنفة بذكر الاصلاح قبل وبعد وابرزت في صورة الشرط لانها امر جائز الوقوع لا لطلبه وندبه وجعل الجواب فاخوانكم اي فهم اخوانكم دون نحو تجاوز او نحوه لتحث على قصد الاصلاح والنصيحة لان ذلك شأن الاخ مع اخيه ولذا لم يقل فاولادكم المناسب لكونهم اطفالا لان الغالب عند ارادة التعاطف والتوادد والتعاون والاصلاح ذكر الاخوة وقرئ بالنصب بتقدير فخالطون والله يعلم المفسد من المصلح جملة معناها التحذير والمجازاة وعدي يعلم بمن لتضمنه معنى يميز ولو شاء الله لاعنتكم اي لضيق عليكم بمنع المخالطة قال الراغب المعانتة كالمعاندة لكن المعانتة ابلغ لانها معاندة فيها خوف هلاك ولهذا يقال عنت فلان اذا وقع في امر يخاف منه التلف ان الله عزيز حكيم الكوفي هو مناسب لما قبله لان الاعنات هو الايقاع في امر شاق وذلك لا يتحقق الا بعزة وحكم وغلبة وقهر ولا تنكحوا قال ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر تحريم الخمر من المشروبات وما يجر اليه الميسر من المأكولات عقبه بتحريم المشركات من المنكوحات وايضا فلما ذكر حكم اليتامى في المخالطة وكان من انواعها المناكحة حسن ان

نفاق

ون

[illegible]

بعضهم فسرها بالمصاهرة فعقد باب الاستطراد الى ذكر المنكوحات والقراءة بفتح التاء من نكح
وتزوجها من انكح اي ولا تنكحوا انفسكم المشركات ولم يقرأ في الثاني الا بالضم اذ لا يصح فيه
المعنى الاول وحذف مفعول الثاني اي ولا تنكحوا المشركين المؤمنات وعدل عن قوله
ولا تنكحن المشركين وان كان ذلك حق المقابلة ومحاله ان يكون للاشارة الى اعتبار الولي قاله
في المناجاة الراغب اصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع ومحال ان يكون في الاصل للجماع
ثم استعير للعقد لان اسما الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه
ومحال ان يستعير من لا يقصد فحشا اسم ما يستقبحونه لما يستحسنونه ولامة مؤمنة
ابن الحاجب المراد كل امة مؤمنة لعموم المصحح للابتداء الا الوصف خير من مشركة اي من حرة
مشركة ففيه طباقات وقيل لا تقدير والاطلاق المشركة ليعم الحرة والامة تنبيها على ان
الخيرية عليها باعتبار الشرك فقط دون الحرية قلت ويحتمل ان يقدر في الجملة الاولى
ولو كرمت في مقابلة قوله في الثانية ولو اعجبكم كما قدر في الثانية حرة في مقابلة
قوله في الاولى ولامة فيكون في الاية احتباك وثلاث طباقات وخير ليس للتفضيل
لا تفضيل فيه اذ لا خيرية في المشرك البتة قال ينطوي به لفظ التفضيل يجيء في كلام العرب
ايجابا للاول ونفيا عن الثاني كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن
مقيلا وتوهم الفضل اعلى من الحل اولئك اشارة الى الصنفين المشركات والمشركين
قصد به بيان العلة في ذم من الحكم يدعون اما بالقول او بالمعنى بسبب المحبة والمخالطة
وحذف مفعوله تنزيلا له منزلة اللازم اي من شانهم الدعاء ومقدرا اي يدعونكم او من
الحكم الشيخ سعد الدين استعمال المشترك في معنييه لان صيغة يدعون للمذكر والمؤنث
الا ان الواو على الاول ضمير والنون حرف وعلى الثاني النون ضمير والواو لام الفعل
الى النار اي الكفر المؤدي اليها تعبيرا بالمسبب عن السبب والله يدعوا عبر به بدلا عن
والمؤمنون يدعون الذي هو حق المقابلة مبالغة في ان الكفار في جانب غير جانب
الله وتشريفا للمؤمنين حيث اقام سبحانه دعاءه مقام دعائهم والمغفرة بالجر عطفا
على الجنة وبالرفع مبتدأ خبره باذنه اي بامره على الاول وبتوفيقه وتيسيره
على الثاني ابو حيان قدمت الجنة مع ان المغفرة اخرت في قوله الى مغفرة من ربكم
وجنة لان الاصل تقدم المغفرة لانها سبب لدخول الجنة والسبب مقدم على المسبب واما
هنا فروعي حسن المقابلة في قوله قبل يدعون الى النار ويبين اياته للناس اي لا يخص
جنسها باحد دون احد ويسالونك ذكر تعالى يسالونك في ستة مواضع فذكر الثلاثة
الاول بغير واو والثلاثة الاخيرة بالواو لان سؤالهم عن الحوادث الاول وقع
في احوال متفرقة لا اتصال بينها فلم يؤت فيها بحرف العطف لان كل واحد من تلك السؤالات
سؤال مبتدأ وان سؤالهم عن الثلاثة الاخيرة في وقت واحد فجيء بحرف العطف لذلك
على الجمع المحيض محل الحيض فهو المكان والزمان ويؤيد الاول قل هو اذى والثاني

فاعتزلوا

فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن مؤكد لقوله فاعتزلوا حتى يطهرن بالتخفيف
اي ينقين بانقطاع الدم وبالتشديد اي يتطهرن بما فافادت القراءتان
وجوب الامرين او وجوب الاول وندب الثاني فاتوهن امر اباحة لانه بعد
الحظر ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين اعتراض يحث على الطهارة وتجنب
الوطء في الحيض والدبر الطوفي هو مناسب لقوله يطهرن او هو من باب
رد العجز على الصدر نساؤكم حرث لكم اي موضع حرثكم اي زرعكم استعارة
شبه الجماع بالزرع والنطفة بالبذر والرحم بالارض والولد بالنبات الراغب
وجه الشبه ان به بقاء نوع الانسان كما ان الزرع به بقاء اشخاصهم فاتوا حرثكم انى
شئتم تمثيل باعتبار تشبيه المجموع من اتيان قبل المرأة اي شيء مجموع اتيان الاراضي
التي يراد حرثها من اي جهة كانت فان وجه الشبه اذا كان مجموعا ماخوذا من امور
يسمى تمثيلا اي جامعوهن من اي جهة اردتم كما تاتون اراضيكم التي تريدون
ان تحرثوها من اي جهة شئتم وانى تحتمل ان تكون بمعنى كيف وبمعنى من اين
وبمعنى متى والثلاثة مروية من السلف فالاول لعموم الاحوال والثاني لعموم
الجهات والثالث لعموم الاوقات ووهم قول رابع انها بمعنى حيث شئتم وهو عن
ابن عمر وهو لعموم المكان الماتي فيه بناء على رايه من اباحة الوطء في الدبر الكشاف
قوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم من الكنايات اللطيفة
والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله اداب حسنة على المؤمنين
ان يتعلموها ويتادبوا بها في محاوراتهم ومكاتباتهم الثعلبي عده من الطرف
كنايات القرآن حيث عبر بالحرث عن الفرج واتقوا الله فيما يامركم به وينهاكم عنه
فامتثلوا الاوامر ولا تجترئوا على مناهيه واعلموا انكم ملاقوه فيجازيكم وعيد
وتهديد وبشر المؤمنين بالثواب والكرامة والتقديم رعاية الترتيب المعتبر
في القرآن وهو ان يجعل مع كل وعيد وعدا وقال الطوفي هو مناسب لقوله وقدموا
لانفسكم واتقوا الله لان تقديم الخير والتقوى سبب الفلاح الموجب للبشرى ابو حيان
في الالتفات من امرهم الى امر الرسول بالتبشير تانيس عظيم ولم يات بضمير الغيبة بل اظهار
للدلالة [illegible] على الوصف الاسمي ولكونه فاصلة ولا تجعلوا الله ابو حيان
مناسبة الاية لما قبلها انه تعالى لما امرهم بالتقوى وحذرهم يوم المعاد نهاهم عن ابتذال
اسمه وجعله معرضا لما يحلفون عليه دائما لان من يتقي ويحذر يجب ان يعظم اسمه وينزهه
عن الا[illegible] يذكر في كل ما يحلف عليه من قليل وكثير وعظيم وحقير عرضة فعلة بمعنى
مفعول كالغرفة والقبضة يقال فلان عرضة لكذا اي معرض له الراغب العرضة
ما يجعل معرضا للشيء ان تبروا مفعول له اي كراهة ان تبروا او لئلا تبروا واعرب
جعله مبتدا خبره محذوف اي امثل لكم او خبر من الا تجعلوا الله عرضة وقال ابو حيان

هو كل نوع الخائض اي لايمانكم بجان والله سميع عليم قال ابو حيان الختم بهما مناسب
لان السميع يناسب الحلف لانه من المسموعات والعليم يناسب ارادة البر والتقوى اذ محلها
القلب الطوفي معنى الآية ان يدعي الشخص الى معروف من بر وتقوى او اصلاح بين خصوم
فيقول حلفت بيمين ان لا ادخل في شي من هذا فنهوا عن ذلك لانه وسيلة الى سد باب المعروف
بل ينبغي ان يجيب اليه وان كان قد حلف ويكفر عن يمينه كما في الحديث وح ظهرت مناسبة
الفاصلة لمضمون الآية فالمعنى والله سميع لاعتذاركم باليمين عليم بقصدكم بذلك
الاعتذار لا يؤاخذكم لما نهى عن جعل اسمه عرضة للحلف وكان حسما لمادة الايمان
بين ان ما سبق اليه اللسان من اليمين من غير قصد غير مؤاخذ به واصل اليمين العضو
واستعمل للحلف لما جرت العادة من تصافح المتعاقدين ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
هو مفسر لقوله في المائدة بما عقدتم الايمان كما ان آية المائدة مفسرة للمؤاخذة المذكورة
هنا بقوله فكفارته الى آخره فكل من الآيتين مجملة من وجه ومبينة من وجه آخر فصارت
كل منهما مفسرة للاخرى ووقعت لكن هنا احسن موقع لكونها بين ضدين وما موصولة
وقيل مصدرية وقيل نكرة موصوفة الطيبي اصل الكسب لما يزاول باليد كقوله كسبت
ايديكم فاستعماله في القلب استعارة فيفيد المبالغة الراغب قوله بما كسبت قلوبكم
اعم من قوله بما عقدتم الايمان لان القلب لما كان يعبر به عن الجزء الذي به المعرفة والفكر
ويجري سائر الاجزاء مجرى الراعي من الرعية نبه بقوله بما كسبت قلوبكم ان لا اعتداد به دون
غيره من الجوارح حتى ان كل فعل لا يكون به او عنه سهوا وخطأ منجا ورعه والله غفور
مناسب لما لا مؤاخذة فيه ومن المواخذة الاولى حليم مناسب لما فيه المؤاخذة ومن المهلة الثاني
للذين يؤلون ابو حيان مناسبة الآية لما قبلها ظاهرة لانه تقدم شي من احكام النسا وشي
من احكام الايمان وهذه الآية جمعت بين الشيئين والقول لما كانت هذه الآيات كلها
في احكام النسا بدي بالنكاح في قوله ولا تنكحوا المشركات الآية لانه اول وسابق على غيره
من احكامهن ثم باحكام الوطي في الآية التي تليه لانه المقصود الاعظم منه ثم لما اريد
بيان الطلاق ذكر قبله الايلا الذي هو قريب منه في تحريم الوطي لانه من تعلقات العصمة
ولان الطلاق يعقبه اذا امتنع من الفية ولما كان يمينا صدر بالكلام على الايمان اجمالا
من النهي عن الاكثار من الحلف بالله والتصميم على ما حلف عليه اذا كان البر في الحنث
والاخبار بان اللغو من الايمان لا يؤاخذ به انما يؤاخذ بما تعمد القلب وذلك
كالمقدمة للمقصود ثم فرع عليه الايلا الذي قصد بالذات وهو يمين خاص في نوع
خاص واخبر انه اذا لم يفي بعد المدة فليس الا الطلاق ثم عقبه بان المطلقات يتربصن
للاعتداد وان الرجعة تتهن لزوجها الرجعة في المدة بغير اذنها ثم اخبر ان الزوج
يملك الرجعة في طلقتين ما لم تكن افتدت نفسها منه بالخلع فهي احق بنفسها ثم اخبر
انه اذا طلق الثالثة حرمت عليه حتى تنكح زوجا غيره فاذا طلقها الثاني حلت للاول بشرطه

ترجيت الازواج على الاحسان في حقهن وترك المضارة وانه لا تعجل المراجعة والامساك
بقصد الاضرار ثم رجحت الاوليا على اجابة الزوجات في العود الى ازواجهن ونهاهم
عن العضل ثم بين احكام الاولاد في الارضاع والنفقة والفطام ثم بين عدة المتوفى
عنها ثم بين احكام الخطبة في العدة وغيرها ثم احكام المطلقة قبل الدخول في المهر فجعل للتي
لها النصف ولغيرها المتعة ثم بين ان لجميع المطلقات المدخول بها المتعة من رجعية وغيرها ها
وتخلل في ضمن ذلك بالامر بالمحافظة على الصلوات لان المذكور من امر الزوجات والاولاد
قد يشغل عن العبادة والمحافظة عليها فنبه على الاهتمام بالمحافظة عليها وترك الغفلة عنها
حتى في حال القتال والخوف الذي هو اشغل للقلب من امر الزوجات والاولاد وبهذا الذي
قررناه عرفت مناسبة ترتيب هذه الآيات كلها وقرا ابن مسعود آلوا وابن عباس
يقسمون من نسائهم قيل من بمعنى على لان يؤلون انما يتعدى بها وقيل ضمن معنى يبعدون
فعدي بها تربص اربعة اشهر من اضافة المصدر الى ظرف الزمان توسعا والاصل
تربصهم اربعة اشهر والتربص الترقب والانتظار قال ابو حيان وهو مقلوب التصبر
فان فاءوا الراغب الفيئة الرجوع الى الحالة المحمودة وقرا ابن مسعود فان فاءوا فيهن
واتي فيها فان الله غفور رحيم ختم بها لبيان ان الايلا معصية والفيئة توبة والتوبة
تسقط الذنب وتقتضي المغفرة والرحمة وان عزموا الطلاق العزم ما يعقد عليه
القلب وانتصب الطلاق بنصب باسقاط على او بتضمين عزموا معنى نووا وقرا ابن
عباس السراح قال ابو حيان ونظرا ان جواب الشرط محذوف وتقديره فليوقعوه
فان الله سميع لايلائه المطلق عليم اي بما في قلبه الكشاف فان قلت
عزم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة لا يخلو
عن مقاولة ودمدمة ولا بد له ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وحديث لا يسمعه الا وذلكم
الله كما يسمع وسوسة الشيطان ابو حيان سميع مناسب لايقاع الطلاق المتعذر
لانه مسموع وعليم مناسب للعزم والختم للفاصلة ولانه اعم من السميع وكذا قال الطوفي
والمطلقات يتربصن خبر بمعنى الامر وهو ابلغ في تاكيده لاشعاره بانه مما يجب
ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله لا وصار موجودا فاخبر عنه وبناؤه على المبتدا مما زاده فكانما امتثل ثم
ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم تكن تلك الوكادة فانما بنا على المبتدا
يفيد التاكيد بل التخصيص ايضا بانفسهن قيل الباء زائدة في التاكيد والفائدة في ذكر
الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان
يتربصن فان انفس النسا طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على
الطموح ويجبرنها على التربص ثلاثة قروء اي جمع الكثرة دون اقرا اتساعا باستعمال
احد الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية كما اتى بجمع القلة في انفسهن مكان نفوسهن
والمقام له اذ هي نفوس كثيرة قاله في الكشاف قال ولعل القروء كانت اكثر استعمالا

من الاقراء او من ... عليه وقال الكرماني لما ذكر النسا وكان لكل واحدة
ثلاثة اقراء جاء كثرتهن بلفظ الكثرة وقرئ قرو بتشديد الواو بلا همز وقرئ
بفتح القاف مفردا واضافة العدد اليه اسم الجنس لاطلاقه على الواحد والجمع ولا
يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن اي من الحيض والولد قال الزمخشري
ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه
لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن ليس بشرط
في النهي بل للتعظيم لفعلهن فان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثل ذلك وبعولتهن
احق بردهن تخصيص بعد تعميم لان المطلقات عام والضمير فيما عاد له باعتبار
الرجعيات خاصة ونظيره قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ثم قال وان
جاهداك وهو خاص بالمشركين وفي بعولتهن مجاز الكون واحق لا تفضيل فيه اذ لا حق لغير
البعول في الرجعة ويجوز ان يكون تفضيلا اي منهن اي احق لهم من منعهن وقرئ
بسكون التاء من بعولتهن فرارا من ثقل توالي الحركات كما قرئ بسكون نحو بارئكم وذكر
ابو عمرو ان ذلك لغة تميم وقرأ ابي بردتهن ان ارادوا اصلاحا حث عليه لا شرط
في جواز الرجعة ولهن مثل الذي عليهن قال ابو حيان هذا من بديع الكلام اذ حذف
من الاول ما اثبت نظيره من الثاني وعكسه والتقدير ولهن على ازواجهن مثل الذي
لازواجهن عليهن وللرجال فيه اقامة الظاهر مقام المضمر للتنويه بذكر الرجولية التي
بها ظهرت المزية للرجال على النساء وفرارا من ثقل توالي المضمرات لو قيل ولهم درجة
الراغب الدرجة نحو المنزلة لكنها تختص بالصعود دون الامتداد على البسط ولذلك
عبر بها عن المنزلة الرفيعة والله عزيز حكيم الطوفي مناسب للآية لانها تضمنت
احكاما وهي على وفق الحكمة ولا بد لنفوذها من عزة وغلبة فحكم تام الطلاق
مرتان الزملكاني في هذا الفصل في المعنى شرط وجزاء والتقدير فمن طلق امرأته مرتين
فليمسك بعدها بمعروف او ليسرحها باحسان ونظيره ربنا اكشف عنا العذاب انا
مؤمنون وهذه حكاية عن الكفار ثم قال في جوابه انا كاشفوا العذاب قليلا انكم
عائدون والتقدير ان كشفنا العذاب تعودوا الالف واللام في الطلاق للمعهود
السابق اي الطلاق الذي حكمنا بثبوت الرجعة فيه وانما قال مرتان ولم يقل طلقتان
تنبيها على ان الاولى ان يطلق مرتين لا دفعة واحدة ولما كان الاهم بيان عدم الرجعة
دفعا لما كان عليه اهل الجاهلية صرح بذلك او تسريح اي ارسال ولا يحل لكم الى آخر الآية
قال صاحب النظم هو اعتراض والتقدير الطلاق مرتان فان طلقها الثالثة فلا تحل
له الا ان في وقوع ذكر الخلع بين الطلقتين والثالثة كالاجنبي لكن لما كان الرجعة
والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة فاما بعدها فلا ذكر حكم الرجعة ثم اتبعه
حكم الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة لانها كالخاتمة لاحكام الطلاق قال ابو حيان

فانه لما

لما قال او تسريح باحسان اقتضى ذلك ان من الاحسان ان لا يأخذ الزوج من امراته شيئا
مما اعطاها واستثنى من ذلك قصة الخلع الزملكاني تضمن هذا الفصل المذكور لبيان
عدد الطلاق المحرم فصلا آخر وهو حكم الخلع ثم انه خاطب الجمع فيما اعترض من
حكم الاختلاع ثم رجع الى الزوجين فقال الا ان يخافا ان لا يقيما ثم رجع ايضا
المخاطبين بالجمع بينهم وبين الزوجين في لفظ واحد فقال فان خفتم الا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ومن قرأ يخافا فانهم اليا فالمخاطبة للحكام
والمعنى بان لا يحل لهما ان يحكما للزوج بالاخذ الا بالجهة التي اذن الله فيها فلما فرغ
من هذا الفصل عاد الى تكميل بيان الطلاق المحرم فقال فان طلقها يعني الزوج
المطلق مرتين الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان
طلقها يعني الزوج الثاني فلا جناح عليهما يعني الزوج الاول والمرأة المطلقة
ف فهذه فصول ادرجت في اثناء الفصل المسوق لبيان عدد الطلاق
الكشاف فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا ان قلت للازواج
لم يطابقه قوله فان خفتم ان لا يقيما فان الخطاب فيه للائمة والحكام او
للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن قلت يجوز الامران ان يكون
اول الخطاب للازواج وآخره للحكام وذلك كثير في القرآن وغيره وان يكون
كله للحكام لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم والخوف هنا
بمعنى العلم ومن قرأ بضم الياء فانه بدل اشتمال من الف الضمير وكذا جعلنا
الخطاب في ولا يحل لكم للازواج ففي قراءة يخافا التفات عن الخطاب وقرأ
ابن مسعود وان يخافا الا يقيموا بالغيبة ايضا ففيه التفات وتغليب وقرئ
كذلك بالخطاب فلا التفات الزمخشري فلا جناح عليهما اي على المجموع والمراد
الزوج كقوله يخرج منهما اللؤلؤ نسيا حوتهما وقرأ ابي ان يظنا وذلك اشارة الى
جميع ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وعدم المضارة والاضافة الى تمام
في ختم هذه الآية بقوله فاولئك هم الظالمون وجوه احدها انه تعالى ذكر في
سائر الآيات الا لعنة الله على الظالمين فذكر الظلم هنا منبها على حصول
اللعن ثانيها ان الظلم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم يكون جاريا مجرى الوعيد
ثالثها انه اطلق لفظ الظلم تنبيها على انه ظلم الانسان لنفسه حيث اقدم على المعصية
وللغير بما آتاه في حقه وفيه اعظم التهديدات وقال الطوفي ختم بالظلم مناسب
لقوله ومن يتعد حدود الله كما قال ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه حتى تنكح زوجا
غيره ابن عبد السلام الغاية باقية على اصلها فانها بمجرد النكاح يرتفع تحريمها الناشئ من
الطلاق الثلاث ويخلفه تحريم كونها زوجة الغير حتى يطلق وتنقضي عدتها ويحل له
مطلق لا عموم له فيقتضي ثبوت فرد من افراد الحل ورفع فرد من التحريم لا الجميع

من افراد

قيل وكل ما في القرآن من لفظ النكاح فالمراد به العقد الا هنا فالمراد به الوطئ قال
ابو علي فرقت العرب بالاستعمال فاذا قالوا نكح فلان فلانة ارادوا عقد عليها واذا
قالوا نكح امرأته او زوجته ارادوا به الوطئ قال الاصبهاني وهذا الكلام محقق لان
الزوجية تفهم حصول العقد قبل ذلك فلم يبق لاضافة النكاح الى الزوجة معنى الا الوطئ
فان طلقها اي الزوج الثاني قيل وجيء بان دون اذا تنبيها على ان طلاقه يجب ان يكون
على ما خطر له دون الشرط لان اذا للمحقق وان للمبهم والمحتمل الوقوع وعدمه فلا جناح
عليهما اي الزوج الاول والمرأة ان ظنا الكشاف من فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم
لان الانسان لا يعلم ما في الغد انما يظن ظنا يبينها قرئ بالنون على الالتفات
واذا طلقتم النساء الآية الاصبهاني ان قيل معنى هذه الآية هو بعينه معنى قوله الطلاق
مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فذكر هذه الآية بعد تلك تكرار بلا فائدة
اجيب بان من حمل تلك الآية على انه كلام مبتدأ مفيد لعدم مشروعية الجمع بين الطلقات
سقط عنه هذا السؤال لان تلك في بيان كيفية الجمع والتفريق وهذه في بيان كيفية
الرجعة ومن حمل تلك على بيان كيفية الرجعة فهو وارد عليه وله ان يقول ان من ذكر
حكما يتناول صورا كثيرة وكان اثبات ذلك الحكم في بعض تلك الصور اهم لم يبعد ان يعيد
بعد الحكم العام تلك الصورة الخاصة مرة اخرى ليدل على ان في تلك الصورة من الاهتمام
ما ليس في غيرها وههنا كذلك لان قوله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان
فيه بيان انه لا بد في مدة العدة من احد هذين الامرين واما هذه الآية ففيها بيان ان عند
مشارفة العدة على الزوال لا بد من رعاية احد هذين الامرين ومن المعلوم ان رعاية ذلك
عند مشارفة زوال العدة اولى بالوجوب من سائر الاوقات التي قبلها قلت خصوصا
ان الآية نزلت فيمن قال لامرأته والله لا اطلقك فتبيني مني ولا آويك ابدا قالت وكيف
ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك اخرجه الترمذي والحاكم
فلما كانت هذه الواقعة هي السبب في نزول هذه الآيات بدئ اولا ببيان عدد الطلاق
والخيار في الثلاث وتحريم المرأة بعد الثالثة حتى تنكح زوجا آخر واشير في اول
الآية الى المأمور به من الامساك بمعروف او تسريح باحسان في ضمن اباحة الرجعة
بعد الطلقتين ثم اوردت في ذلك آية لزجر الواقع منه ذلك على طريق البسط بذكر صورة
الواقعة وهي كونها عند بلوغ الاجل وبتأكيد ذلك بقوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا
والوعيد عليه بالجملة بعد ذلك والحاصل ان ذكر الامساك بمعروف او تسريح باحسان في
هذه الآية على طريق الاصالة والقصد بالذات وهناك على طريق الرمز والاشارة والاستتباع
وانها والرجعة في ابتداء الدلالة من التابع اولا في ضمن بيان الاحكام للمرء ع فلينبه
له انه بابه في شأنه كلام طويل مناسبه ولهذا كانت الآية الاخيرة من الاطناب والتأكيد
والوعيد والزجر والوعظ والتخويف والتهديد ما ليس في الاولى حتى غير واضاف الاجل

اليهن

اليهن لانه امس بهن ولهذا قيل الطلاق للرجال والعدة للنساء الكرماني قرئ ممسا
ولا تمسكوهن بالتخفيف فقط وفي غير هذه الآية بالوجهين لمناسبة قوله فامساك
فامسكوهن الاصبهاني ان قيل لا فرق بين قوله امسكوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا
لان الامر بالشيء نهي عن ضده او مستلزم له فما الفائدة في ذكره اجيب بان الامر لا يفيد
التكرار فلا يتناول كل الاوقات فلعله يمسكها بمعروف في الحال وفي قلبه ان يضارها
في المستقبل فقال ولا تمسكوهن ضرارا لدفع ذلك وضرارا مفعول له وما انزل
من عطف الخاص على العام وقيل مبتدأ خبره يعظكم بكل شيء عليم الطوفي مناسبة لما
تضمنته الآية لان الامساك ضرارا وعدوانا واتخاذ الآيات هزوا من جهل لا سيما الآيات
وفصلها واذا طلقتم النساء الآية اولها خطاب للازواج بالاجماع ونزوله فلا تعضلوهن صح
خطاب للاولياء عند الاكثر ويؤيده سبب النزول فازواجهن مجاز باعتبار الكون
وللازواج عند آخرين فازواجهن مجاز باعتبار الاول وبلغن اجلهن هنا على حقيقته
وفي الآية قبلها اريد به مشارفة البلوغ ومقاربته قال الشافعي دل سياق الكلامين
على افتراق البلوغين الراغب العضل اشد العضل المتناول للحيوان وجود به في
كل منع شديد ابو حيان يحمل الخطاب في اول الآية للازواج وفي آخرها للاولياء فيه تنافر
في الخطاب ومن الشرط والجزاء فيزول بما ذكره ابن عطية والزمخشري ان الخطاب للمؤمنين
على العموم الذين منهم الازواج ومنهم الاولياء واريد بالاول ذلك البعض وبالثاني بعض
آخر ذلك يوعظ به في الطلاق ذلكم قال الكرماني لما كان الكاف حرف خطاب لا محل له من
الاعراب جاز افراده وجمعه وقوله ثم عفونا عنكم من بعد ذلك وقيل حيث جاء موحدا فالخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وخص التوحيد هنا لقوله من كان منكم وجمع في سورة الطلاق لما لم
يكن بعده منكم والقصد بهذه الجملة التأكيد والتهديد قيل وفي الآيتين انواع من البديع
الطباق بين فامسكوهن وسرحوهن والمقابلة في فامسكوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا
وتلوين الخطاب حيث خاطب اولا الازواج وثانيا الاولياء وثالثا النبي صلى الله عليه وسلم
ورابعا عامة المؤمنين والتكرار في فبلغن اجلهن ثم اختلاف البلوغين ومخاطبة الواحد
خطاب الجمع لانها نزلت في واحد والوالدات يرضعن خبر بمعنى الامر الا شبهة في تناوله
مطلقات ام مزوجات الطلاق عام ولم يظهر ما يخصه وقيل هو خاص بالمطلقات لان
الله تعالى ذكر هذه الآية عقب الطلاق وهذه الآية تتمة تلك الآيات ظاهرا ووجه
ربط هذه الآية بما قبلها انه اذا حصلت الفرقة حصل التباغض والتعادي وذلك يحمل المرأة
على ايذاء الولد ليؤذي به الزوج المطلق ولانها ترغب في التزوج بآخر فيهمل امر الطفل فلهذا
ندب الله الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشأنهم قال الاصبهاني
ولقائل ان يقول ان الآية مشتملة على حكم مستقل فيجب تعليقه بما قبلها حولين الراغب
الحول السنة اعتبارا بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها كاملين تأكيد

لرفع التوهم لانه يجوز ان يتسامح فيه الحولين وهو لم يستكمل الثاني لمن اللام للبيان ان يتم
وقرئ برفع يتم اما اهمالا لان واما على انه منصوب بحذف النون والفعل للجماعة باعتبار
معنى من وقرئ بالفوقية اوله وقرئ الرضاعة وقرئ بكسر الراء لغة وقرئ الرضعة وقرئ
ان يكمل بضم اليا وعلى المولود له اي الوالد فانه اختير ليعلم ان الوالدات انما ولدن
لهم لان الاولاد للآبا ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات فلذلك وجب عليهم رزقهن
في ارضاعهم ولذلك ذكر باسم الوالد حيث لم يكن من هذا المعنى في قوله لا يجزي وقال ابن عبد
السلام نبه تعالى على العلة التي لاجلها اختصت نفقة الولد بابيه دون امه فان اللام تشعر
بالملك والولد ينفع اباه اكثر مما ينفع امه لانه يحمله في المحافل ويدفع عنه في الحروب الى غير
ذلك من وجوه المنافع التي لا تحصل للام ابو حيان لما كلفه المؤن علله بلام التمليك وان الولد
انما يولد له لا لامه رزقهن هو بكسر الراء اسم للمرزوق كالطحن والرعي وقيل مصدر كالطحن
وكسوتهن قرئ بضم الكاف لغة بالمعروف قال في الكشاف تفسيره ما يعقبه وهو لا تكلف
نفس الا وسعها الاصبهاني الوسع ما يسع الانسان فيطيقه ولو ضاق عنه لعجز عنه فالسعة
بمنزلة القدرة وهذا اقل الوسع فوق الطاقة الراغب الوسع من القدرة ما يفضل
عن قدر المكلف كقوله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها تنبيها على انه يكلف دون ما تتسع به
قدرته وقرئ تكلف بفتح التا على حذف احدى التائين اي تتكلف وبالنون على الالتفات
ونصب نفسا ابو حيان تفسير هذه الجملة لينفق ذو سعة الآية لا تضار والدة بالرفع
خبرا او بالفتح نهيا وبالسكون وتشديد الراء اجرا للوصل مجرى الوقف وقرئ بالسكون
والتخفيف على حذف الراء الثانية واجرا الوصل مجرى الوقف وقرئ بكسر الراء مشددة
لالتقاء الساكنين وتضارر بالفك مكسور الراء الاولى ومفتوحها فهذه سبع قراآت
والدة بولدها ولا مولود له بولده اضيف الولد في كل منهما اليهما استعطافا والسب
للبنية ابو حيان في هذه الجملة اللامع من بلاغة المعنى وفصاحة اللفظ ما لا يخفى
على من تعاطى علم المعاني فالاولى ابرزت اسمية وجعل خبرها فعلا لان الارضاع مما يتجدد
دائما واضيف الاولاد الى الوالدات تنبيها على شفقتهن وهزا للعطف وحثا على الارضاع
وجي بلفظ العموم ليعم المطلقات وغيرهن والثانية ابرزت كذلك وجعل الخبر
جارا ومجرورا بلفظ على الدالة على الاستعلا المجازي والوجوب فاكد بذلك مضمون
الجملة لان من عادة المرء منع ما في يده من المال واهمال ما يجب عليه من الحقوق وقدم
الخبر للاعتنا به وقدم الرزق على الكسوة لانه الاهم في بقا الحياة والمتكرر في كل يوم
والثالثة ابرزت فعلية لتجدد مضمونها وجي بمرفوع الفعل نكرة في سياق النفي ليعم ما
سبق لاجله وغيره والرابعة كذلك وهي كالشرح للجملة قبلها لان النفس اذا لم تكلف
الا وسعها لا يقع ضرر لا للوالدة ولا للمولود له فلذلك جات غير معطوفة بخلاف
الثانية مع الاولى حيث عطفت عليها لتغايرهما وقدم عدم مضارة الوالدة على المولود له

مراعاة للجملتين الاوليين اذ بدئ فيهما بحكم الوالدات وثني بحكم المولود له وعلى الوارث
عطف على قوله وعلى المولود له وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف
عليه وقرئ وعلى الورثة فان اردتم ان تسترضعوا اولادكم قال الواحدي اي لاولادكم مراضع غير
الوالدات فحذف اللام اكتفا بدلالة الاسترضاع ما آتيتم اي ما اعطيتم اي اردتم ايتاءه
وقرأ ابن كثير بالقصر يعني جئتم وفعلتم يقال اتى جميلا اي فعله وقرئ اوتيتم
مبنيا للمفعول اي آتاكم الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير قال الطوفي مناسب
لما قبله فيه من ايجاب الصلاح لنفسين نشأ ويد الزوجين واضرار احدهما بالآخر وبالمولود
وتقصير بعض عليهم والذين يتوفون اصل التوفية الاتمام شرعيتها عن الموت لانه تمام في
عند تمام الاجل وقرئ بفتح اليا قال ابن جني اي يتوفون اياماتهم واعمارهم وآجالهم يتربصن
اي بعدهم فحذف العائد نحو السمن منوان بدرهم وجاءت الآية هكذا لان القول به
والمطلقات يتربصن لانها موطئة لقوله فلا جناح عليكم اذ القصد بالمخاطبة من
اول الآية الى آخرها الرجال قاله ابن عطية وعشرا حذف الها لان المراد الايام تغليبا لليالي
لانها سابقة على اياما قاله ابو حيان وحسنه انه مقطع كلام فاشبه الفواصل كما حسن
قوله ان لبثتم الا عشرا كونه فاصلة فلا جناح عليكم خطاب للاوليا فيما فعلن في انفسهن
بالمعروف وفي الآية الآية من معروف قال في درة التنزيل لان المراد بالاول المعروف
من الشرع وهو الذي امر الله به وبالثاني وجه من الوجوه التي لهن ان يفعلنه فاخرج مخرج
المنكر لذلك وقال الكرماني النكرة اذا تكررت صارت معرفة وهذه الآية وان تقدمت
في الرسم على تلك فهي متأخرة عنها في النزول فجي بالمعروف معرفا وهو المذكور هنا منكرا
اشارة اليه والله بما تعملون خبير الطوفي مناسب لما تضمنته الآية لان العلاج قد
تستخفي به المرأة وتتعاطاه ولا جناح عليكم يا معشر الرجال عطف على فلا جناح ووجه
الاتصال انه لما اخبر تعالى بان المرأة اذا انقضت عدتها فلا جناح فيما ارادت من التعرض
للازواج اردفه بانه لا جناح على الرجال في التعرض للنسا بالخطبة وهذا من محاسن الاتصال
جدا ولهذا قال في الآية التي بعد هذه لا جناح بغير عطف لانه لا اتصال بين ما فيها
وبين ما في هذه حتى يعطف عليها علم الله انكم ستذكرونهن هو عذر في التعريض وفيه
طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولكن لا تواعدوهن الاستدراك محذوف
لدلالة ستذكرونهن عليه اي فاذكروهن وفي حذفه اشارة الى ان الاولى خلافه
سرا اي عقد نكاح وهو مجاز عن مجاز فان الوطي تجوز عنه بالسر لكونه لا يقع غالبا الا في
السر ثم تجوز به عن العقد لانه سبب عنه فهو من مجاز المجاز ولا تعزموا عقدة النكاح
الراغب العزم عقد القلب على امضا الامر والنهي عن العزم على الفعل ابلغ من النهي عن
الفعل لانه لا يلزمه عقدة اما لاسقاط الباء او بتضمين تعزموا معنى تنووا واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه تهديد مناسب لقوله ولا تعزموا واعلموا ان الله

غفور حليم مناسب لقوله في اول الآية ولا جناح عليكم فيما عرضتم به وقيل لما حذر بالجملة
قبلها عقب بهذه لئلا يحصل غاية اليأس والتهديد على عادته تعالى من الجمع بين الترغيب
والترهيب والتخويف والرجاء ثلث ويحتمل عود غفور لما نهى عنه الجناح وحليم لما
ما نهى عنه لانه يشعر بتأخير العقوبة عمن استحقها لمسوهن المرأة بالف على المفاعلة لان
بدن كل منهما يلاقي الآخر وبدونها لان الغشيان انما هو من فعل الرجال الموسع قرئ بفتح الواو
والسين المشددة قدره بفتح الدال وسكونها لغتان والاول في الخبر وقيل الساكن مصدر
والمتحرك اسم وقرئ بنصب الراء باضمار فعل اي اوجبوا اوليؤد وقرئ بصيغة الماضي
وعلى المقتر فيه طباق فنصف قرئ بضم النون لغة وبنصب آخره في تقدير فادفعوا
إلا ان يعفون اي النساء وقرأ الحسن بسكون الواو لغة الذي بيده عقدة النكاح قيل
الزوج وقيل الولي وهو المختار عندي لانه لو اريد الزوج لعبر به اذ هو اخصر اذ كان
يقال او تعفوا الا ان ولا مقتضي للعدول عن ذلك وبانه لا يناسب لفظ الغيبة والازواج في مقام الخطاب والخطاب هنا للازواج
الازواج فقال وان تعفوا اقرب للتقوى لجمعت الآية الثلاثة وعلى القول ان المراد به
الزوج ففيه التفات عن الخطاب ثم التفت اليه عن الغيبة في وان تعفوا قال البلاغة تقتضي
ان يراد به الولي للقرينة المشار اليها اولا قال ابن عبد السلام في اماليه تلوين الخطاب وتنويعه
والخروج عن الخطاب الى الغيبة بالعكس اقل في كلامهم من المشي على اسلوب واحد لحمل الآية من
قبيل الاكثر اولى انتهى فان قيل كان التعبير بالولي اخصر فلم عدل الى الذي بيده عقدة
النكاح قلت للاشارة الى اختصاصه بالولي المجبر ويؤيد ذلك تقديم المجرور وهو
بيده فانه يفيد الاختصاص الذي عقدة النكاح في يده خاصة بحيث لا يشاركه فيها احد
وذلك هو الولي المجبر الذي ليس للزوجة معه امر في اذنه ولا منع وقرئ وان يعفو
بالغيبة ولا تنسوا مجاز اي تتركوا اذ النسيان ليس في الوسع حتى ينهى عنه والخطاب
في للرجال والنساء مغلب الذكور واخرج من ذلك قراءة علي ولا تناسوا وقال
ابو حيان الفرق بين القراءتين ان تنسوا نهي عن النسيان على الاطلاق وتناسوا نهي
عن تعليم الذي هو اختيار نوع كقولك تغافل وتعاميا اذا اسعى في ذلك وافرغ فيه
والظهره من نفسه وتعاطاه وتظاهر به وزاد في حسنه ان المأمور هنا جماعة وتفاعل
لا يتم الا باثنين فكانه طلب تعاطفوا وتواصلوا وتقاربوا وتباعدوا ان الله بما تعملون بصير ختم
الآية بما يفيد الوعد على الاحسان والوعيد على الاساءة ابو حيان لما كان دفع النصف
من المرثيات ناسب الختم بصفة البصير ولما كان صدر الآية السابقة مما يدرك بلطف
وخفاء ناسب الختم بصفة العلم حافظوا على الصلوات تقدمت الاشارة الى المناسبة في
هذه الآية هنا وما قيل فيها ان يحتمل حدوث خوف قبل نزول تمام احكام المطلقات
فبين حكم الصلاة فيه لشدة الحاجة اليه ثم رجع الى بقية احكام المطلقات وقال الطيبي
لما بين تعالى احكام الازواج والاولاد وصاهم بالتقوى ونهى عن نسيان الحقوق

والفضل

فيما بينهم بقوله ولا تنسوا الفضل بينكم اردفه بالامر بالمحافظة على حقوق
الله لا سيما افضلها نفعا واعلاها قدرا وهي الصلوات وفيه اشعار بان مراعاة حقوق العباد
مقدمة على حق الله ويدل على ان الآية مستطردة العوداني ذكر ما يتعلق بالازواج وقال
الراغب آيات القرآن منزلة على حسب الحاجات ثم انه تعالى لما ذكر شيئا مما يتعلق بالاحكام الدنيوية
الا وبقرنه بحكم اخروي ليبعثهم على مراعاة الآخرة في جميع احوالهم واعمالهم والمعاني المقصودة
بالقصد الاول واما الاثابة بما يجري فلاجلها ولما حثهم على العفو والفضل عرفهم ان السلوك
الى التخصيص بذلك هو المحافظة على الصلوات بكل حال لان الصلاة هي الآمرة بالمعروف
الناهية عن المنكر ثم صرف الكلام الى ذكر ما كان بصدده ثم قال ابو حيان حافظوا من باب
طارقت النعل ولما تضمن معنى التكرار والمواظبة عدي بعلى والصلاة الوسطى افردت
بالذكر لفضلها او لان المحافظة عليها اشد قلت ولان الآية نزلت في التخلف عن صلاة
الظهر لشدة الحر فصرح بها ولهذا اخترت انها الظهر ويقويه ان في مصحف عائشة
وحفصة وام سلمة زيادة وصلاة العصر وقرأ ابي وابن عباس وصلاة العصر بلا واو
في البدل من الصلاة الوسطى وقرأ ابن مسعود وعلى الصلاة الوسطى باعادة الجار وقرئ
والصلاة بالنصب على المدح كقوله والمقيمين الصلاة او عطفا على محل ما قبله وقرئ الوصطى
بابدال السين صادا لمجاورة الطاء فان خفتم حذف متعلقه لعموم الخوف من عدو وغيره كسبع
وسيل وكل امر يخاف منه فرجالا جمع راجل وقرئ بضم الراء مع تشديد الجيم وتخفيفها وقرئ
فرجلا بضم الراء وفتح الجيم المشددة وبفتح الراء وسكون الجيم جمع له وقرئ فرجالا فركبانا
بالفاء والركبان جمع راكب ولا يقال الا لصاحب الجمل واما صاحب الفرس ففارس وكذا البغال
والحمار فاذكروا الله اي صلوا كما قد علمكم من الصلاة قبل الخوف بان تأتوا بجميع اركانها فالكاف
على بابها من التشبيه وفي الآية طباقات بين الخوف والامن وان واذا ورجالا وركبانا وعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون وعبر في جانب الخوف بان وفي جانب الامن باذا لقلة الخوف بالنسبة
الى الامن وصية بالنصب اي فليوصوا وبالرفع اي فعليهم فالمراد بالتوفي مقاربة الوفاة
وقرأ ابن مسعود الوصية مبتدأ خبره لازواجهم او عليهم مقدرا متاعا نصب بمقدر اي يمتعون
او جعل الله لهن او بوصية على حذف الباء وقرأ ابي متاع لازواجهم متاعا الى الحول وقرئ
عنه متاع والله عزيز حكيم الطوفي مناسب لمضمون الآية لانه حكم لا يذعن من عزة مستفيدة وحكمة
مقتضية وللمطلقات متاع اعاده ليعم سائر المطلقات حقا على المتقين اتى به ليفهم الوجوب
لان تلك لما نزلت قال رجل ان شئت احسنت وان شئت لم احسن فنزلت هذه الم تر اي الم
ينته علمك وهذا اللفظ يستعمل فيما تقدم للمخاطب العلم به فيكون تقريرا وتعجبا وفيما لم
يتقدم له علم به وهي تشويقا ابو حيان مناسبة الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر شيئا من الاحكام
التكليفية اعقبه بشيء من القصص على سبيل الاعتبار للسامع فيحمله ذلك على الانقياد وترك العناد
ولما كان قد وقع ذكر الوفاة في ضمن العدات اعقبه بذكر هذه القصة العجيبة من اماتة هؤلاء

من احيائهم في الدنيا لا له على قدرته تعالى وتنبيه على المعاد وانه كائن لا محالة وقيل
لما بين حكم النكاح بين حكم القتال لان كلا منهما تحصين للدين ولما قال كذلك يبين الله لكم آياته
ذكر هذه القصة لانها من عظيم آياته وبدائع قدرته فقال لهم الله موتوا وضعه موضع
فاماتهم الله ليدل على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة
عن العادة والقصد بسياق هذه القصة مما تشجيع المسلمين على الجهاد والاعلام ان الموت
لا بد منه وان الفرار لا ينجي منه ولهذا قال عقب ذلك وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع
بما يقوله المتخلفون عن القتال عليم بما يضمرونه في قلوبهم وقال الطوفي لما كان القتال لا بد فيه
عادة من مشاورة وتدبير ناسبه سميع ولما كان يحتاج الى نية صحيحة وهو القتال لتكون
كلمة الله هي العليا لا للرياء ولا للمغنم ناسبه عليم ولما حث على القتال في سبيل الله اردفه
بالحث على الانفاق فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا استفهم بمعنى الامر والتشويق
قال الكرماني هذا لفظه على المقارضة والسبق والقرض ما يدفع من المال ليوجد
بدله شبه به عمل المؤمنين لله على ما يرجون من ثوابه وذكر على سبيل التأنيس والتقريب
للناس بما يفهمونه كما شبه بذل النفوس والاموال في اخذ الجنة بالبيع والشرى وقيل
النفل وقيل القرض عباد الله فاضافه الى نفسه استعظاما لما رغب فيه بقوله فيضاعفه بالمد
ودونها مسندا مرفوعا ومنصوبا واكد الفعل المصدر وذا الوصف فقال اضعافا كثيرة ثم
زاد في تاكيد الرغبة بقوله والله يقبض ويبسط لان من علم ذلك كان اعتماده على فضل الله
اكثر من اعتماده على ماله وذلك يدعوه الى الانفاق في سبيل الله وترك البخل ثم ختم بقوله
واليه ترجعون وهو تشديد الزجر عن ترك الانفاق والترغيب فيه من حيث انه يتذكر الموت
وفنا المال وملاقاة الخالق فردا لا مال له وهنا الثواب الجزيل ومن تذكر ذلك رغب
في اقراض ماله لمن يوافيه به مضاعفا في دار البقاء قيل والفرق بين ضعف وضاعف
ان التضعيف لما جعل مثلين والمضاعفة لما زيد عليه اكثر من ذلك الم تر الى الملأ
من بني اسرائيل الا منهم فيه تعلق هذه الآية بما قبلها من حيث انه تعالى لما امر بالقتال
والانفاق فيه ذكر قصة بني اسرائيل وبين انهم لما امروا بالقتال فنكلوا وخالفوا ذمهم
الله عليه ونسبهم الى الظلم والمقصود منه ان لا تقدموا لما تؤمرون بالقتال كهذه
الامة على تركه كما فعل اولئك وان تكونوا متشمرين لقتال اعداء الله الملأ من الملأ الرجال
لا يكون فيهم امرأة وكذلك القوم والنفر والرهط وقال الزجاج هم الوجوه وذوو الرأي
وقال غيره هم الاشراف لانهم يملأون العين هيبة نقاتل قرئ بالرفع على الحال وبالياء
مجزوما ومرفوعا على الصفة لملك هل عسيتم بكسر السين وفتحها لغتان والثانية اشهر
وما لنا الا الواو لربط الكلام بما قبله ولو حذفت لجاز ان يكون منقطعا عنه ان لا نقاتل
زيادة ان في مثل هذا وتركها لغتان فصيحتان اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي وافردنا
من ابنائنا بالسبي قال الكرماني وحمل هو على القلب اي واخرج منا ابناؤنا وقرئ اخرجنا

بالبناء للفاعل وهو ضمير العدو والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بترك
القتال ونحن احق بالملك منه حال من فاعل الجملة الاستفهامية ولم يؤت حال ثانية لتتميم
معنى الاولى والمبالغة فيها والحاصل ان الاولى لكونه غير نسيب والثانية لكونه فقيرا
فقال ان الملك يحصل بهذين الذي ما ذكروا من النسب والمال وهما زيادة البسطة في العلم
والجسم ووقع ذلك في الملك اشد لان الجاهل مزدرى وغير منتفع به والجسم
اهيب في القلوب واقوى في النفوس ثم زاد في ذلك ان الملك يؤتيه من يشاء لا اعتراض
عليه والله واسع عليم الطوفي مناسب لانه الملك من يشاء لانه واسع الفضل والعطاء
عليم من يصطفيه ويختصه من الناس لانه في خلقه اسرار لا يحيط بها غيره التابوت
قرأ ابي بالها لغة الانصار سكينة قرئ بتشديد الكاف مما ترك آل موسى وآل
هارون آل مقحم لتفخيم شانهما تحمله قرئ بالياء فلما فصل فيه محذوف اي فاتاهم
التابوت فاذعنوا واجابوا الى المسير تحت لوائه الراغب فصل القوم من كذا و
انفصلوا فارقوه بنهر قرئ بسكون الهاء حيث وقع ومن لم يطعمه اي يذقه ولهذا
اختير على يشرب منه الذي هو مقتضى المقابلة لانه ابلغ اذ نفي الطعم يستلزم نفي
الشرب من غير عكس قاله ابن عطية الا من اغترف استثناء من الجملة الاولى والجملة
الثانية في حكم التأخير قدمت للعناية والتقدير فمن شرب منه فليس مني الا من اغترف
غرفة بيده ومن لم يطعمه فانه مني ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع
بدليل فشربوا اي فكرعوا غرفة بالفتح الشيء المغترف وبالضم المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا
قرئ بالرفع وهو اخراج لهم من الشاربين بالاتباع لان الكلام في معنى حيث صار تابعا وحكم مثل
ذلك ان ما بني على اخراجه اتبع وما لم يبن على اخراجه وكانه انما انتهى اليه بعد مضي الكلام
الاول قطع ونصب فلما جاوزه فيه حذف اي لجبن الذين شربوا ولم يجاوزوا النهر و
جاوزه الآخرون طاقة من الطوق وهو القوة قال الذين يظنون اما من وضع الظاهر
موضع المضمر فضمير قالوا للكثير الذين لم يجاوزوا او المراد بهم الخلص من الذين آمنوا فئة
في القطعة من التابع قرئ بابدال الهمزة يا والله مع الصابرين يحتمل ان يكون من تتمة
كلامهم وان يكون من كلامه تعالى استئنافا برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر
واستوى افرغ الراغب افرغت الدلو صببت ما فيه ومنه استعير افرغ علينا صبرا
وثبت اقدامنا كناية عن تشجيع قلوبهم وتقويتها الطيبي هو كلام جامع يشتمل على جميع
ما يحصل به الظفر على العدو والبيضاوي في الدعاء ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر
في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر
على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم قال الطيبي في فتوح الغيب الراغب اصل
الهزم غمز الشيء اليابس حتى ينحطم ومنه الهزيمة لانه يعبر عنه بالحطم والكسر دفع قرأ
نافع دفاع وهو من جانب واحد لان الله لا يغالبه احد وهو الدافع وحده وتلك اشارة

في القصص المذكورة من قصة الألوف وما بعدها **نتلوها** فيه التفات **وإنك لمن المرسلين** حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار الطو في الختم به مناسب لأول الآية لأن تلاوة الآيات عليه بسبب صيرورته مرسلا وأما قوله في آل عمران تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين فمؤكد لذلك أي إنا ندعوهم إلى الحق عدلا لا إلى الجور ظلما **تلك الرسل** إشارة إلى جماعة الرسل الذين ذكرت قصصهم في السورة أو الذين ثبت علمهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبر بالرسل بدل المرسلين لاختصار اللفظ وإزالة قلق التكرار الزجاج وإنك لمن المرسلين أي أنت منها ولا الذين قصصت أنباءهم لأنك قد أعطيت من الآيات مثل الذي أعطوا وزدت على ما أعطوا كما أشار إليه تلك في الآية التي بعدها الطيبي النظم يقتضي أعم من ذلك بأن تجعل التعريف في المرسلين للجنس وأن يراد بالآيات جميع الآيات المذكورة من لدن مفتتح السورة وتقريره أنه سبحانه لما بين بقوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية أنه نبي صادق ومعجزته هذا القرآن الذي بز بفصاحته فصاحة كل ناطق وشق بلاغته غبار كل سابق وما اكتفى بذلك بل أتى بكل ما يتعلق بأمور الدين من التوحيد والأخلاق والديانات وأحوال الآخرة وقصص الأنبياء السالفة والأمم الدارجة والأحكام التي نيطت بها أمور الأمة وأطنب فيها كل الإطناب ليؤذن بأن الكتاب كما أنه معجزة في نفسه مشتمل على حكم وعلوم وأحكام يتوقف عليها أمر الرسالة ثم لما أراد أن يرجع إلى ما بدأ به من إثبات نبوته ورسالته قال تلك آيات الله نتلوها عليك ليكون كالعقد لكلمة لسائر ما ذكر وكالتخلص إلى حديثه صلى الله عليه وسلم فإنه نبي مرسل وأنه أفضل الرسل على سبيل الترقي كأنه قيل تلك المذكورات كلها آيات الله ملتبسة بالحق الهادي إلى الطريق المستقيم لتقرير أمر نبوتك الذي ثبت بالمعجزة القاهرة ولتعلم أنك من المرسلين الجامعين بين المعجزة والوحي وأنك أفضلهم وأسبقهم لأنك أعطيت ما أعطوا وزدت على ما أعطوا ونحو هذا الخطاب الكريم فعلى هذا التعريف في الرسل كما في المرسلين وهي للجنس وإشارة إليه بقوله تلك الرسل ما علم من المرسلين ثم لما كان هنا مظنة أن يسأل السائل عن الرسل هل تساووا في حالهم في علو الرتبة ومراتب الرسالة أم هم سواء فقيل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ثم أخذ يشرع في بيان التفضيل بينهم منهم من كلم الله ومنهم من رفع درجاته وآتينا فرق واحد من الأقسام ~~وتعاطوا له حسب ما خصه لأن رفع الدرجات~~ ليشير إلى أن هذا القسم مباين للأقسام ومغاير له بحسب ما خص به لأن رفع الدرجات ليس من قبيل ما أوتوا وإنما هو داخل في حكم ما أعطوا فكان ذلك تفضيلا لمحمد صلى الله عليه وسلم على الرسل انتهى **منهم من كلم الله** فيه التفات عن التكلم وقرئ بنصب الجلالة وقرئ كالم الله بالنصب **ورفع بعضهم درجات** هو محمد صلى الله عليه وسلم إبهامه تفخيم لشأنه وإعلاء لقدره وإشعارا بأنه العلم الذي لا يشتبه ووسط بذكره بين موسى وعيسى إشارة إلى

فوق بعضهم والدرجات م

أنه واسطة عقد النبوة **وآتينا** فيه التفات عن الغيبة **عيسى ابن مريم** قال صاحب الفرائد خص موسى وعيسى بالذكر بين المرسلين لأن الكلام فيما مر مع أهل الكتاب واليهود ينكرون عيسى والنصارى ينكرون موسى وقال الإمام إنما خصهما بالذكر لأن أمتيهما موجودتان وأمم سائر الأنبياء ليسوا كذلك وقال البيضاوي خص عيسى بالذكر لفراط اليهود والنصارى في أمره بغضا وحبا وقال غيره الوجه أن ذكرهما لبيان وجه التفضيل يعني أن فضل النبي صلى الله عليه وسلم على رسول الله إنما يظهر بسبب اختصاصه بأوفى من الفضل والكرامة ورفعة الدرجة وعجب مدايحه وإرشاده وكثرة تبعته ولا شك في أن أولئك الثلاثة هم المخصوصون من بين سائر الأنبياء بذلك وأن نبينا صلى الله عليه وسلم له عليهما قصبات السبق ومن ثم اكتفى بهم عنهم وبهذا تبين المقصود وهو تفضيل نبينا على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **ولو شاء الله** فيه التفات عن التكلم **ولو شاء الله ما اقتتلوا** كرره تأكيدا للأمر وتكذيبا لمن أنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم لا بجريه قضاء ولا قدر قال بعضهم وجه تعلق هذه الآية بما قبلها أنه تعالى أنبأ نبيه صلى الله عليه وسلم من أخبار الأنبياء السالفة مع قومهم كسؤال قوم موسى أرنا الله جهرة وقولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة بعد أن شاهدوا آية الآيات العظيمة من فلق البحر وغيره وكقوم عيسى بعد أن شاهدوا منه إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فكذبوه وراموا قتله وكالملأ من بني إسرائيل حسدوا طالوت ودفعوا ملكه بعد المسألة وخالفوه في أمر النهر فعزى الله رسوله عما رأى من قومه من التكذيب والحسد فشهد له أولا بأن ما أتى به قرآن من عند الله تلاه عليه على لسان جبريل لم يتعرضه من قبل نفسه ووقع في ذلك غاية حسن التخلص بالإشارة إلى الآيات والقصص السابقة ثم شهد له بأنواع من التأكيد أنه من المرسلين ثم أخبره فقال ـــ هاكان الرسل الذين فضلهم الله بعضهم بكلامه وبعضهم بتأييده بروح القدس وآتينا البينات قد نالهم من قومهم مثل ما نالك واختلفت أممهم بعدهم حتى اقتتلوا وذلك كله واقع بمشيئة الله وإرادته فلا يحزنك ما ترى من قومك فإنه بقدر الله ولك أسوة بالرسل قبلك ولقوله ما اقتتل الذين من بعدهم ولكن اختلفوا اتصال ظاهر لقصة الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى وافتراقهم في أمر نهرهم كما لا يخفى وفي الآية التقسيم في موضعين **ولكن الله يفعل ما يريد** الطوفي هو مطابق لقوله ولو شاء الله لأن فعله لما يريد بسبب توقف الأمور على مشيئته **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا** الأصبهاني وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما أمر بالقتال فيما سبق ثم أعقبه بالقرض والمقصود منه الإنفاق في الجهاد ثم أنه مرة ثانية أكد الأمر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت وجالوت ثم أعقبه بالأمر بالإنفاق في الجهاد وفي الزكاة المفروضة وأقول الأولى أن يقال إن الآية الأولى لما ذكرت في الإنفاق في الجهاد وهو أحد قسمي الإنفاق الواجبين ذكر هنا القسم الآخر وهو الزكاة فإنها خاصة فيها **لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة**

زعمهم

وترك في الثلاثة بالفتح وبالرفع ونفي الاخرين خاص بالكافرين ولذا قال والكافرون هم
الظالمون قال عطاء الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون
هم الكافرون الاصبهاني لما قال ولا خلة ولا شفاعة اوهم ذلك نفي الخلة والشفاعة
مطلقا فذكر عقبه هذه الجملة ليدل على انه خاص بالكافرين والمعنى والكافرون هم الذين وضعوا
الامور في غير موضعها فانهم وضعوا امر لا ينفعهم وداده في الآخرة وتوقعوا الشفاعة
ممن لا يشفع لهم وهم آلهتهم التي عبدوها الكوفي الختم به مناسب لما تضمنته الآية بتقدير
محذوف لانه لما اخبر بوقوع اليوم الآخر اشار الى ان من كذب به فهو كافر والكافر ظالم
بوضعه التكذيب غير موضعه وحصر الكافرين في الظالمين حصر للاخص في الاعم لان
الكفر نوع من الظلم والنوع اخص من جنسه آية الكرسي مناسبة وضعها هنا ان من عادته
تعالى في القرآن الكريم ان يذكر علم التوحيد وعلم الاحكام وعلم القصص مرتبطا بعضه ببعض
والمقصود الاعظم علم التوحيد واما علم الاحكام فللتوسل الى الاعمال الصالحات التي هي
من تمام التوحيد واما القصص فلطلب الثبات في التزام الاحكام والتكاليف وتقرير دلائل
التوحيد وهذه الطريقة في البلاغة احسن الطرق واكملها فان الاستمرار على نوع واحد
يفضي الى الملالة والسآمة والانتقال من نوع الى آخر ينشرح له الصدر ويفرح به القلب
وينفتح له السمع ولما ذكر فيما تقدم جملة من الاحكام وتبعها بقصة الالوف وقصة طالوت
وجالوت واختلاف الامم بعد انبيائهم اعقبها بما يتعلق بعلم التوحيد وقال بعضهم جرت
عادة القرآن اذا ذكر احكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق
ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي وقد صح في الحديث ان آية
الكرسي سيدة آي القرآن واعظم آية فيه وانها ربع القرآن قال ابن عبد السلام وسبب
شرفها ان فيها احدا وعشرين اسما بين ظاهر ومضمر وقال ابن العربي انما صارت
آية الكرسي اعظم الآيات لعظم مقتضاها فان الشيء انما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه
ومتعلقاته وهي في آي القرآن كسورة الاخلاص في سور القرآن الا ان سورة الاخلاص
تفضلها بوجهين احدهما انها سورة وهذه آية والسورة اعظم لانه وقع التحدي بها فهي
افضل من الآية التي لم يتحد بها والثاني ان سورة الاخلاص اقتصت التوحيد في خمسة عشر
حرفا وآية الكرسي اقتصت التوحيد في خمسين حرفا فظهرت القدرة في الاعجاز بوضع
معنى معبر عنه بخمسين حرفا ثم يعبر عنه بخمسة عشر وذلك بيان لعظم القدرة والانفراد
بالوحدانية وقال الغزالي انما كانت آية الكرسي سيدة الآيات لانها اشتملت على ذات
الله وصفاته وافعاله فقط ليس فيها غيره وكذا معرفة ذلك هي المقصد الاقصى في العلوم
وما عداه تابع له والسيادة للمتبوع المقدم فقوله الله اشارة الى الذات لا اله
الا هو اشارة الى توحيد الذات الحي القيوم اشارة الى صفة الذات وجلاله فان معنى
القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره وذلك غاية الجلال والعظمة لا تأخذه سنة ولا نوم

تنزيه

تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من اوصاف الحوادث والتقديس عما يستحيل احد اقسام
المعرفة له ما في السموات وما في الارض اشارة الى الافعال كلها وان جميعها منه اليه
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اشارة الى انفراده بالملك والحكم والامر وان من
ملك الشفاعة انما يملكها بتشريفه اياه والاذن وهذا نفي الشركة عنه في الملك
والامر يعلم ما بين ايديهم الى قوله بما شاء اشارة الى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات
وانفراده بالعلم حتى لا علم لغيره الا ما اعطاه ووهبه على قدر مشيئته وارادته وسع
كرسيه السموات والارض اشارة الى عظم ملكه وكمال قدرته ولا يؤوده حفظهما اشارة
الى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان وهو العلي العظيم اشارة
الى اصلين عظيمين في الصفات فاذا تاملت هذه المعاني ثم تلوت جميع آي القرآن
لم تجد جملتها مجموعة في آية واحدة فان شهد الله ليس فيها الا التوحيد وسورة الاخلاص
ليس فيها الا التوحيد والتقديس وقل اللهم مالك الملك ليس فيها الا الافعال والفاتحة ٧١
فيها الثلاثة لكن غير مشروحة بل مرموزة والثلاثة مجموعة مشروحة في آية الكرسي
والذي يقرب منها في جمعها آخر الحشر واول الحديد ولكنها آيات لا آية واحدة فاذا
قابلت آية الكرسي باحد تلك الآيات وجدتها اجمع للمقاصد فلذلك استحقت السيادة
على الآي كيف وفيها الحي القيوم وهو الاسم الاعظم كما ورد به الخبر انتهى كلام الغزالي
ثم قال اما قوله صلى الله عليه وسلم في الفاتحة افضل وفي آية الكرسي سيدة الآي
وهو ان الجامع بين فنون الفضل وانواعها الكثيرة يسمى افضل فان الفضل هو الزيادة
والافضل هو الازيد واما السؤدد فهو رسوخ معنى الشرف الذي يقتضي الاستتباع
ويأبى التبعية والفاتحة تتضمن التنبيه على معان كثيرة ومعارف مختلفة فكانت
افضل وآية الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى التي هي المقصودة المتبوعة التي
يتبعها سائر المعارف فكان اسم السيد بها اليق انتهى الحي قرئ بالنصب على المدح
وكذا ما بعده القيوم الراغب هو القائم الحافظ لكل شيء والمعطي له ما به قوامه وذلك
هو المعنى المذكور في قوله اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وفي قوله افمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت وقرئ القيام والقيم لا تأخذه سنة اي نعاس ولا نوم الكرماني بدأ
بالسنة ترقيا من القليل الى الكثير الاصبهاني ان قيل اذا كانت السنة عبارة عن
مقدمة النوم فقد دل قوله لا تأخذه سنة على انه لا يأخذه نوم بطريق الاولى
فما الفائدة في ذكره قلنا تقدير الآية لا تأخذه سنة فضلا عن ان يأخذه نوم وايضا
لما كان ضعيف المزاج نومه خفيفا وقوي المزاج نومه ثقيلا جاز ان يتوهم متوهم
انه تعالى هو القوي فيأخذه النوم الثقيل لقوته ولا تأخذه السنة فنفى عنه النوم
الثقيل ايضا ونفى التوهم المذكور وقال التاج البارنباري ان ما في الآية على خلاف
ما فهم والسؤال غير وارد البتة والمنفي فيها اولا انما هو ...

خلاف ما ظن فان الاخذ فيها بمعنى الغلبة ولا يلزم من عدم غلبة السنة التي هي اقل
من نوم او نعاس عدم غلبة النوم وانما كان يصح ان لو اريد لو قيل لا يحصل له سنة ولا نوم وقال
الطيبي الاية من باب التتميم وهو ابلغ من الترقي فاندرج في لا تاخذه سنة انتفاء النوم
بطريق الاولى فصرح بقوله ولا نوم تاكيدا للنوم المنفي ضمنا ومثله لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة من باب اولى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما ولو كانت هذه الايات من
الترقي لقدم النوم والكبيرة والنهر وقال بعضهم عبر بقوله ولا تاخذه سنة
ولا نوم كناية عن انه لا يغفل عن حقير ولا جليل من اطلاق المسبب على السبب وقال
ابن حجر المعنى لا تحله الافات والعاهات المذهلة عن حفظ المخلوقات ايم المذكور
منها مقام الجميع كقوله ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما الزمخشري الجملة تاكيد للقيوم
لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما له ما في السموات وما في الارض اي
ملكا وما فيها على حد راكب الناقة طليحان واتى بما تغليبا للاكثر ولان الاختصاص
الكل من جهة المخلوقية واعاد الضمير في ايديهم وما بعده باعتبار العقلاء من علمه اي
معلومه لان علم الله لا يتبعض وسع قرئ بسكون السين على لغة التعلبة وبالسكون وضم
العين ورفع السموات اسم مبتدا وخبر كرسيه قيل هو العرش وقيل دون العرش
وفيه احاديث وقيل علمه قاله ابن عباس وقيل ملكه تسمية الملك بمكان صاحبه
وقيل القصد به تصوير عظمة الله وكبريائه تخوطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته
بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم فاثبت لنفسه عرشا ثم كرسيا وما هو الا تصوير
لعظمته وتخييل لرفعة شانه ولا كرسي ثمة ولا قعود الكشاف فان قلت كيف
ترتبت الجمل في اية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على
سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف
لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى يعني لا تاخذه سنة ولا نوم بيان لقيامه
بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية ما في السموات لكونه مالكا
لما دبره والثالثة من ذا الذي يشفع لكبرياء شانه والرابعة يعلم ما بين لاحاطته
باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة من غيره والخامسة وسع لسعة
علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظمه وقال ابو حيان في البحر ان بيانها
ومضمون الجملة الاولى وهو الله لا اله الا هو محققة لمضمون الجملة الثانية لان الذي
يتفرد بالخلق هو الذي يستحق ان يعبد لا المخلوق ولا شيء بهذه الصفة الا هو فيجب
ان يكون موجودا لا سبيل اليه للعدم وقائما على كل شيء ويقوم به كل شيء وهو قائم بذاته
وهو الحي القيوم ثم هذه مؤكدة للاولى ولما كان حيا قيوما لزم ان لا تاخذه سنة
ولا نوم وان لم يكن قيوما فهذه الثالثة مؤكدة للثانية ولما كانت هذه الصفة وجب
ان تكون السموات والارض وما فيهما ملكا له لا نزاع لشيء في ذلك فهذه الرابعة مؤكدة

نحوه

لمضمون المجموع في الثالثة واذا كان كذلك فلا شفاعة لاحد الا باذنه والا لتحقق له
التصرف في بعض ما في السموات والارض بوجه واذا كان كذلك لزم ان يعلم ما قدموه من
الاعمال وما اخروه ليكون اذنه في الشفاعة وعدم اذنه فيها من علم وحكمة ولا يحيطون
بشيء من علمه بين تمام ما هو المراد من هذه الجملة فعطفت عليها الجملة الاخرى وهي ولا يؤوده
حفظهما لبيان المراد منها ثم اكدت بما بعده وفيه وسع كرسيه فهذه الجمل كلها في حكم
واحدة فعطف عليها الجملة الاخرى وهي ولا يؤوده حفظهما لانه لا يظهر تمام اثر
هذه الاجسام العظام بالنسبة اليه في الحفظ كاذن شيء وخففه وهو العلي العظيم ان
علاه وعظمته غير منحصر على ما يفعله العاقل من الجملة المتقدمة بل تعجز العقول عنهما فان
ان لم تعطف تكن مؤكدة ومقررة للمتقدمة وليست كذلك بل مضمونها يشارك المتقدمة
بعض الوجوه ويغايرها بانه تعليمه الا الله وقيل الله لا اله الا هو تصريح بنفي الالهية
واثبات الالهية الحق على سبيل الاجمال وما بعده الى اخر الاية اشارة الى نفي ما كل طائفة
من الكفار على التفصيل فقوله الحي اشارة الى نفي الهية الاصنام القيوم الى نفي الهية
البشر لا تاخذه سنة ولا نوم زيادة بيان لنفي الهية البشر له ما في السموات
وما في الارض الى نفي الهية الكواكب والملائكة والبشر ايضا من ذا الذي يشفع الى نفي
الالهة التي يعبدونها لتكون شفعاء لهم عند الله يعلم ما بين برهان قاطع على اثبات
وحدانيته في الالهية ولا يحيطون برهان قاطع على اثبات وحدانيته في الالهية ونفي الهية
غيره لانه انما يستدل على الالهية بالقدرة التامة والعلم وهو العلي العظيم زيادة ايضاح
لبيان قدرته وعلمه الطولي ختم اية الكرسي بهذين الوصفين لما تضمنته من التوحيد
وصفات الجلال ومن اتصف بذلك كان عليا في رتبته عظيما في سلطانه و
مملكته الماوردي الفرق بين العلي والعالي هو الموجود في محل العلو والعلي هو
المستحق للعلو وان العالي هو الذي يجوز ان يشارك والعلي هو الذي لا يجوز ان يشارك
لا اكراه في الدين قال القفال لما بين تعالى دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعذر قال
بعد ذلك انه لم يبق بعد ايضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الاقامة على الكفر الا ان
يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك مما لا يجوز لانه يبطل معنى التكليف والامتحان
ولهذا قال قد تبين الرشد من الغي يعني ظهرت الايات ووضحت البينات وبان الهدى
من الضلال والحق من الباطل وقرئ الرشد بوزن عنق وبوزن جبل والرشاد وفيه
طباق فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فيه طباق ايضا والطاغوت قيل مصدر وقيل
جمع وقيل يقع على المفرد والجمع وهو صيغة مبالغة من الطغيان الراغب هو عبارة
عن كل معبود من دون الله وزنه فعلوت وقيل فلعوت والاصل طغيوت قلب لام الفعل
قبل العين ثم قلبت الفا لتحركه وانفتاح ما قبله ابن عطية قدم ذكر الكفر بالطاغوت
على الايمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت زاد ابو حيان ولانه مناسب على

ان العالي م

الايمان بالله اذ الكفر بالطاغوت رفض عبادته ولا تصاله بالمنفظ الذي قبله فقد استمسك
بالعروة الوثقى استعارة تمثيلية شبه المستمسك بالايمان في مهواه بعروة وثيقة بالمستمسك م
يؤمن انفصامها اي انقطاعها قال الراغب العروة ما يتعلق به من عراه اي ناحيته لا انفصام
هو بالقاف انقطاع من غير بينونة واما بالفاء فانقطاع مع بينونة وعبر بالاول لانه ابلغ
في النفي والله سميع عليم مناسب لمضمون الآية لان الايمان والكفر مشتملان على قول لساني
وعقد قلبي الله ولي الاية فيه اربع طباقات قيل وكل ما في القرآن من الظلمات والنور
فالمراد الكفر والايمان الا قوله في اول الانعام وجعل الظلمات والنور فالمراد حقيقتهما
وجمع الظلمات لاختلاف الضلالات ولهذا جمع اولياؤهم والايمان واحد ومعبود
المؤمنين واحد وذكر الاخراج من النور في جانب الذين كفروا اما مجاز بجعل المنع
من الدخول فيه اخراجا واما حقيقة والمراد من كان مؤمنا بعيسى وكفر بمحمد كما قال
ابن عباس وذكر الحسن اولياؤهم الطواغيت وبدئ في جانب المؤمنين باسم الله واخبر
عنه بانه وليهم تشريفا لهم وبدئ في جانب الكفار بوصفهم بالكفر نعيا عليهم ثم اخبر عنهم بان
اولياءهم الطاغوت ولم يصدر به اسمه تعالى وانه مما ينبغي ان لا يجعل مقابلا لله وعكس
الاخبار فيه فابتدأ باوليائهم وجعل الطاغوت خبرا كانه هو المجهول فاخبر به وجملة
يخرجهم ويخرجونهم في موضع التفسير للولاية وقد وقع الكلام فيما تضمنته هذه الآية
من انواع البديع فاستخرجت منها مائة وعشرين نوعا وافردتها بتاليف الم تر الاية
ذكر تعالى قصصا ثلاثا الاولى في بيان اثبات العلم بالصانع وهي مناظرة ابراهيم مع ملك زمانه
والثانية والثالثة في اثبات الحشر والنشر وهما قصة الذي مر على قرية وسؤال ابراهيم ربه كيف
يحيي الموتى قلت وفيها تقوية لما في مناظرة ابراهيم لانه لما قال ربي الذي يحيي ويميت
وادعى نمرود مثل ذلك ولم يات بحقيقته ذكر تعالى قصتين وقع فيهما احياء الموتى منه تعالى
على سبيل الحقيقة مشاهدا فكان الآية الاولى لبيان اتصاف الله بذلك والاتيان لبيان الحجة
على ذلك ابو حيان لما ذكر تعالى ولي المؤمنين وولي الكافرين الطاغوت عقبه بمناظرة
ابراهيم نمرود لانها من غلبة ابراهيم اذ كان الله وليه وانقطاع نمرود اذ كان وليه
الطاغوت الا ان حزب الله هم الغالبون ان اي لان ربي الذي يحيي ويميت الاخبار بمثل
هذا الصنع يبدا الخصام ولذا بات مثله في كلام نمرود لانه لم يتصل قال انا احيي
واميت اي بالقتل والعفو عنه فلما راه ابراهيم احمق بليدا انتقل الى حجة تسكته لا يمكنه
ان يدعي نحوها قيل ولبلادته لم يذكر في القرآن باسمه وهو نمرود بخلاف فرعون قال فان الفاء
دليل شرط محذوف اي اذ زعمت ذلك او موهت به فبهت الذي كفر بالبناء للمفعول وقرئ
فاذا بالبناء للفاعل على وزن ضرب وعلم وحسن والثالثة ابلغ والاولى فعلها متعد فاعله
ضمير ابراهيم والله لا يهدي القوم الظالمين الى الحجة قال الاصبهاني حذف المفعول ليفيد العموم
فاختصر اللفظ افادة لزيادة المعنى وهو من اللطائف القرآني او كالذي مر قيل التقدير

ارأيت او الم تر الى الذي مر والكاف زائدة وقيل التقدير او ارايت مثل الذي مر فحذف ارأيت
لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمتا تعجب وتنبيه وانما قدر ارأيت دون الم تر لتعديه
بنفسه والم تر بالى وجوزان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارأيت الذي حاج او
كالذي مر ونظيره قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى لان معناه لمن
السموات وقال ابو حيان المحوج الى هذه التأويلات اعتقاد ان الكاف على حرفيتها وانها
هنا اسم بمعنى مثل مجرورة بالعطف على الذي وقرئ بفتح الواو وعاطفة والهمزة للتقدير
على قرية الى اخره اريد بالقرية اولا حقيقتها والاحياء والاماتة مثل مجاز ان عن العمارة و
الخراب وقيل حقيقتان على تقدير اهل هذه او لا تقدير في الاستخدام فخذ لبعثه وقرئ
باثبات الهاء وصلا وحذفها اي لم يتغير بمر السنين وضميره للشراب لانه اقرب اللفظين
واكتفى بذكره عن الآخر وقرئ لم يتسنه بادغام التاء في السين وقرئ بدله لمائة سنة ولنجعلك
قيل الواو زائدة وقيل عاطفة على مقدر وعليهما فاللام تعليل لمحذوف اي ارسلناك ذلك
لتعلم قدرتنا ولنجعلك ننشرها بالراء من نشر وانشر وهو الاحياء وبالزاي من نشز
وانشز من النشوز وهو التحرك والارتفاع اي نحركها ونرفعها فنرد عليها مواضعها
من الجسد ونركب بعضها على البعض وقرأ اي نثبتها ثم نكسوها استعارة لما على العظم
من اللحم واصله لما واري الجسد من الثياب تبين قرئ بالبناء للمفعول وقرئ تبين كذلك
اعلم بصيغة المضارع نصبه قاله الذي مر وبصيغة الامر نصبه قال الله والختم بالعدل
واذ قال ابراهيم قيل بتقدير واذكر وقيل عطف على الم تر الى الذي حاج لانه في تقدير الم تر
اذ حاج قال او لم تؤمن سأله مع علمه انه اثبت الناس ايمانا ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة
الجليلة للسامعين ولكن ليطمئن اي سالت ذلك ليطمئن فصرهن بضم الصاد اي املهن
وكسرها اي قطعهن وقيل هما لغتان بمعنى الميل وقرئ فصرهن بفتح الصاد وكسر الراء
المشددة من صره يصره وبضم الصاد من الصر بمعنى الشد والمكسور من الصرير
وهو الصوت اي صح بهن وقد ورد عن ابن عباس التفسير بقطعهن وانه نحو
تفسير للقرآن وعنه الصافات بالسطحية وقال وهب بالرومية اولئك متعلق
بخذ ان فسر الفعل بقطعهن وبصرهن ان فسر باملهن ويقدر القطع ثم قطعهن
الكشاف انما امر بضمها اليه ليتامل ويعرف اشكالها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد
الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك الكرماني خص الطير لانه جامع لخواص الحيوان ولو كان
غيره لفات خاصة الطيران وخص اربعة لتكون جامعة للطبائع الاربعة كل واحد منها
مخصوص بطبع ومتابع في الغذاء وعدد الجبل اشارة الى نواحي الدنيا وهي الارياح
الطوفي فاصلة الآية مناسبة لها لان احياء الطير بعد تفريق اجزائها امر عظيم خارق
لا يقدر عليه الا من عزة وقوة واقتدار وحكمة قال فان قيل احيا العزيز واماته وحماره

مناسب لاحيا الميت م

الشدة من صره يصره بمعنى الجمع
وبكسر الصاد وضمها مع فتح الراء م

كذلك فهلا فصلت آية يا فصلت به قلبه من العزة والحكمة فالجواب ان المارّ على القرية
استبعد احياها في القدرة بدليل قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها وذلك يقرب ان يكون
شاكا في القدرة فتقرر تعالى له عظيم قدرته بخلاف ابراهيم فانه لم يشك في القدرة
ولا استبعده فاختلف الفاصلتان مثل الذين ينفقون الاية قيل في كيفية النظم
انه تعالى لما اجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة
فصّل بعد ذلك بهذه الايات تلك الاضعاف وانما ذكر بين الايتين الادلة على قدرته
بالاحيا والاماتة من حيث لولا ذلك لم يحسن التكليف بالانفاق لانه لولا وجود الاله
المثيب المعاقب لكان الانفاق عبثا وقال الطيبي اعلم ان للبلغا فيما يقصدون الى
ذوق السامع لطيفا لمغزى وهو انهم اذا شرعوا في حديث ذي شجون له شعب وفنون
شتى ولهذا اعتنا بنوع منها الكرم الآخر بحيث وحده والله مجال كيفما كان اوردوه
والله جل سلطانه حين فرغ من بيان الاحكام وشرع في القصص تحريضا على الجهاد
على الانفاق في سبيله اشادة للدين وقمعا للملحدين قال وقاتلوا في سبيل الله الاية
ثم قال من ذا الذي يقرض الله الاية ولما كان الانفاق هو العمدة في الجهاد كرره كرة
بعد اخرى وذلك انه لما قص حديث طالوت وجالوت وبيان احوال الانبيا تقريرا للجهاد
تابعهم كر الى حديث الانفاق بقوله يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم الاية ثم
اتى بوصف ذاته المقدسة وبقصة خليله وكر راجعا الى قصة الانفاق بهذه
الاية ثم لما استوفى حقه من البيان ختم السورة بخاتمة شريفة وما ذاك الا لان
للانفاق عند الله خطبا جليلا وخطرا عظيما انتهى وفي الاية احتباك لانه حذف
من الاول نفقات نظير حبة في الثاني ومن الثاني زارع نظير الذي في الاول وقال
مائة سنابل وفي يوسف وسبع سنبلات اعتمادا للجمعين قاله الزمخشري وحسّن
جمع التصحيح هنا مجاورة سبع بقرات مائة قرئ بالنصب على تقدير انبتت او اخرجت
او بدلا من سبع سنابل بدل بعض من كل او اشتمال والله واسع غني بتلك الاضعاف
جوادا لا ينقصه ما يتفضل به عليم بمن ينفق في سبيله وبمن يستحق المضاعفة الذين
ينفقون هذه الاية لبيان شرط اعتبار النفقة التي وعد عليها بالمضاعفة ثم
لا يتبعون معنى ثم تراخي الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى
وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول
فيه بقوله ثم استقاموا منا ولا اذى كرر لا لافادة ان انتفاء كل منهما شرط
لحصول الاجر لهم لم تدخل الفا في خبر الذين اشارة الى ان اجرهم عند ربهم اما موهبة
سبيل التفضل لا بايجاب الانفاق والله غني عن صدقات العباد حليم بتاخير العقوبة
عن المان والمؤذي يا ايها الذين آمنوا الاية ضرب فيها مثلا للمان والمؤذي ثم في التي بعدها
مثلا للصدقة وقوله لا يقدرون على شيء الى قوله كالذي ينفق باعتبار المعنى وقيل

قوله

الى قوله لا تبطلوا صدقاتكم على طريقة الالتفات والتقدير فانكم اذا فعلتم ذلك
لم تقدروا على شيء مما كسبتم واقول عندي ان المثل في الاية راجع الى الذي ينفق ماله
رئاء الناس وهو غير مؤمن بحاله في الظاهر يروق وفي الحقيقة بخلافه كما ان الصفوان
عليه تراب في رأي العين متصل به وفي الحقيقة منفصل عنه فاذا جاء المطر واصابه صار
اجرد نقيا منه لذلك المرائي الكافر اذا جاء الحساب تركه عاريا من النافع بالكلية والدليل
على ما قلته ان قوله فمثله بضمير الافراد فهو عائد الى اقرب مذكور وهو الذي ينفق
وهو مفرد فحق الاعادة في لا يقدرون باعتبار المعنى ثم ختم الاية بقوله والله لا يهدي
القوم الكافرين قال ابو حيان وفيه ترجيح لمن قال ان ضرب المثل عائد على الكافر
ثم ضرب في الاية الثانية مثلا للذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وهو
ضد المنفق رئاء لا ضد المان والمؤذي وهذا كله استطراد جر اليه التنظير بنفقة
المرائي ثم ضرب في الاية الثالثة مثلا للمان والمؤذي قال الاصبهاني في
قوله ايود احدكم الاية هذه متصلة بقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
الاية فانه ضرب مثل له قلت ولذلك جا بلفظ الخطاب على نمط الخطاب في لا تبطلوا صدقاتكم
والمثلان المعترضان بلفظ الغيبة على نمطها في كالذي الراغب الصفوان كالصفا
الواحدة صفوانة الكرماني هو الحجر الصافي من الرمل قال الكسائي من جمعه صفوان
بالكسر ابن جني قرأ الزهري بفتح الفاء ابن جماعة قال هنا لا يقدرون على شيء مما كسبوا وفي
سورة ابراهيم لا يقدرون مما كسبوا على شيء لان المثل هنا للعامل فكان تقديم
نفي قدرتهم وصلتها انسب لان على من صلة القدرة وهناك للعمل لقوله مثل الذين
كفروا اعمالهم كرماد تقديره مثل اعمال الذين فكان تقديم نفي مما كسبوا انسب
ومثل الذين الاية ابو حيان لما ضرب مثل المنفق رئاء الناس وهو غير مؤمن ضرب
مثل هذه ليظهر للسامع تفاوت ما بين الضدين وهذا من بديع اساليب فصاحة
القرآن ولما وصف الاول بوصفين قابل ذلك هنا بوصفين بقوله ابتغاء مرضات
الله مقابل لقوله رئاء الناس وقوله تثبيتا من انفسهم مقابل لقوله ولا يؤمن
بالله واليوم الاخر كان المراد بالتثبيت توطين النفس على المحافظة عليه وترك
ما يفسده ورجا ثوابه ولا يكون الا عن يقين بالاخرة وفي الاية احتباك على قياس
ما تقدم كمثل جنة قرئ بالجيم والبا بربوة الاصبهاني الربوة المكان المرتفع المستوي
الذي تجري فيه الانهار فلا يعلوه الما ولا تعلو على الما وخصها لان الشجر فيها ازكى
واحسن ثمرا والقراءة بضم الراء وفتحها وقرأ ابن عباس بكسرها وقرئ بزيادة بفتح الرا
وكسرها اصابها وابل قال ابو حيان لم يعطف بالفا وعطف بها في قوله كمثل
صفوان عليه تراب فاصابه وابل فلينظر ما الفرق بين الموضعين قال شيخنا الامام
تقي الدين الشمني رحمه الله في حاشيته على مغني اللبيب في الكلام على ان الفا تدخل في الصفات

ليدل على ترتيب معانيها في الوجود دخلت الفا في الصفة الثانية في الآية الاولى لان ترتبها في المثل به على الصفة الاولى وهي عليه تراب معنى لان المثل به صفوان اصاب التراب الذي عليه وابل فاذهبه بخلاف الآية الثانية والصفة المناسبة علوم حيث لم تدخل فيها الفا في الصفة الثانية لعدم تعين ترتبها في المثل به على الصفة الثانية وهي بربوة قال وفرق آخر بين الآيتين وهي ان الصفة الاولى في الآية الثانية ثابتة والصفة الثانية عارضة ومعلوم ان العارضة مترتبة في الوجود على العارضة فلا حاجة الى ما يدل على ترتبها بخلاف الصفتين في الآية الاولى فانهما عارضتان والثانية مترتبة على الاولى فلابد مما يدل على ترتبها وهو الفا انتهى والوابل المطر الثقيل والطل اضعفه وهو ما له اثر قليل قال ابن الجوزي معنى الآية ان صاحب هذه الجنة لا يخيب فانها ان اصابها الطل حسنت وان اصابها الوابل اضعفت فكذلك نفقة المؤمن المخلص والله بما تعملون بصير فيه التفات وقرئ بالغيبة قال الطوفي والختم به مناسب لمضمون الآية اي بصير بعملكم الخالص المشوب فيجازي على كل قال ابو حيان فيه وعد ووعيد جنة من نخيل واعناب خصهما بالذكر لانهما اكرم الشجر واكثرها منافع فجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما بذكر كل الثمرات ووصفها بجريان الانهار من تحتها ولا يمكن الزيادة على هذا في حسن الجنة ثم شرع في بيان شدة حاجة مالكها اليها من كونه كبيرا عاجزا عن الاكتساب وكثرت جهات حاجاته بحيث احتياجه الى مؤنته ومؤن من يقوم بخدمته وتحصيل مصالحه وزيادة على ذلك ان له ذرية تحتاج الى ما يقوم بهم وهم ضعفا عاجزون لا ينتفع بهم في دفع حاجتهم فضلا عن حاجة ابيهم وقال ابو حيان حيث وقع في القرآن ذكرهما نص على النخل دون الثمرة وعلى ثمرة الكرم دون الكرم لان اعظم منافع الكرم هو ثمرته دون اصله والنخل كله منافع ثمرته وخشبه وجريده وليفه وخوصه وسائر ما يشتمل عليه له فيها من كل الثمرات فيه حذف الموصوف اي رزقا وثمرة من كل واصابه الكبر ابو حيان في لفظ الاصابة معنى التأثير وهو ابلغ من وكبر ضعفا وقرئ ضعاف فاصابها اعصار ريح تثير الغبار فيه ذكر الضمير لان الاعصار مذكر من سائر اسماء الرياح وحاصل المثل ان نفقة المان والمؤذي شبيهة بالجنة المذكورة من حيث ان صاحبها يفقدها في الآخرة احوج ما يكون اليها كما فقد صاحب الجنة جنته وهو احوج ما يكون اليها وفي التشبيه بالجنة دون غيرها مناسبة حسنة لان الذي ينفق المال والمؤذي يرجو بنفقته انما هو ثوابها وهو الجنة وفي ذكر هلاكها بنار احرقتها مناسبة ايضا لان مقابل الجنة في الآخرة النار وهي جزاء المن والاذى ابن ابي الاصبع في الآية من فنون البديع الاستقصا وهو ان يتناول المتكلم معنى فيستقصيه فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد ان يستقصي جميع اوصافه

الا انه بحيث لا يترك لمن بعده فيه مقالا وبيانه ان معناه انه سبحانه لو اقتصر على قوله جنة لكان كافيا فلم يقف عند ذلك حتى قال في تفسيرها من نخيل واعناب فان مصاب صاحبها بها اعظم ثم زاد تجري من تحتها الانهار متمما لوصفها بذلك ثم كمل وصفها بعد التتميم فقال له فيها من كل الثمرات فاتى بكل ما يكون في الجنان ليشتد الاسف على افسادها ثم قال في وصف صاحبها واصابه الكبر ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر وله ذرية ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعفا ثم ذكر استيصال الجنة التي ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك في اسرع وقت حيث قال فاصابها اعصار ولم يقتصر على ذكره للعلم بانه لا يحصل به سرعة الهلاك فقال فيه نار ثم لم يقف عند ذلك حتى اخبر باحتراقها لاحتمال ان تكون النار ضعيفة لا تفي باحراقها لما فيها من الانهار ورطوبة الاشجار فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله فاحترقت فهذا احسن استقصا وقع في كلام واتمه واكمله يا ايها الذين امنوا انفقوا الآية لما اثنى تعالى على الانفاق ووعد عليه بالمضاعفة شرط في اعتباره فقد المن والاذى ثم نهى عنه تأكيدا للتحذير منه وضرب له مثلا وحل في ضمن ذلك تنظيره بالريا وضرب له ولضده مثلين وتقرر ذلك شرطا ثانيا في اعتبار الانفاق وهو ان يكون خالصا لوجه الله عاريا من الريا اردف ذلك بشرط ثالث في اعتباره وهو ان يكون من طيب مال المنفق ثم حذر في الآية بعدها من وسوسة الشيطان وتثبيطه عن الانفاق ~~من الطيب والثانية بقوله واسع عليم~~ بوعد الفقر وختم الآية الاولى بقوله غني يناسب النهي عن الخبيث وقوله حميد يناسب الانفاق من الطيب والثانية بقوله واسع يناسب وعد المغفرة والفضل ويطابق لوعد الشيطان الفقر الذي هو تضييق منه وقوله عليم يناسب وسوسة الشيطان والقائه في القلب الامر بالبخل الراغب تخصيص الامر بالانفاق بالمكتسب دون الموروث مثلا لان الانسان بما يكسبه اضن مما يرثه فان الموروث معفو من حواه وقرئ تيمموا بضم اوله من يمم وقرئ تاموا بالهمز ويمم وتيمم وتأمم كلها بمعنى قصد وقال الخليل اممته قصدت امامه ويممته قصدته من اي جهة كان والاغماض التساهل والتغافل وقرئ تغمضوا بتشديد الميم مكسورة من غمض لغة في اغمض ومفتوحة وقرئ بفتح التا وضم الميم مخففة اي تحملوا على التغافل عنه والمسامحة فيه وقرئ الفقر بضم الفاء لغة وقرئ بفتحتين يؤتي الحكمة لما الا مناسبة لما ذكر في الآية قبله ان الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالبخل وان الله يعد بالمغفرة والفضل نبه على ان الامر الذي لاجله وجب ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان ان وعد الرحمن يرجحه الحكمة والعقل ووعد الشيطان يرجحه الشهوة والهوى من حيث انهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة ويعرضان عن النظر في عواقب

الامور قلت وعندي ان يقال ان ادخال هذه الآية في خلل آيات الانفاق كادخال
حافظوا على الصلوات في خلل آيات العدة تنبيه على الاهتمام وذلك لان الحكمة هي
العلم النافع المؤدي الى العمل فكانه تعالى يقول لا يلهينكم امر الانفاق عن النظر في العلم
والعمل به فان المنفق بلا علم قد يضع الشيء في غير موضعه تحث على العلم ثم عاد لما
ذكر الانفاق واحسن من هذا انه لما ذكر وعد الشيطان ووعد الرحمن كانه قال ومثله
هذا لا يذكره ويعرف معناه ويميز بين المشتبه منه الا من آتاه الله الحكمة والهمه العلم
ولذا ختم بقوله وما يذكر الا اولوا الالباب وقرأ يعقوب ومن يؤت بكسر التاء وضميره
لله والمفعول الاول محذوف وقرئ يؤتي الحكمة من يشاء بالخطاب في الفعلين
التفاتا وقرئ ومن يؤته باثبات الضمير وهو المفعول الاول وذكر الحكمة ثانيا بلفظ
الظاهر لكونها في جملة اخرى وللاعتناء بها والتنبيه على شرفها قال الزمخشري وتنكير
خير للتعظيم ولما كانت هذه الآيات كلها في احكام النفقة الواجبة شرعا المنحصرة في
نفقة الجهاد والزكاة اللذين ذكر في كل منهما آية كما تقدم وكان لها قسم ثالث لكنه
ليس بايجاب الشرع بل بايجاب الانسان على نفسه بالنذر ختم بالامر بالحث على الوفاء به
فقال وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر اي وفيتم به فان الله يعلمه فيجازيكم عليه
وافرد الضمير لان العطف باو ثم هدد على ترك الوفاء به بقوله وما للظالمين من انصار
فاستوفى جميع النفقات الواجبة ثم بين في الآيات بعدها ان الصدقات الواجبات
وغيرها يجوز ابداؤها ظاهرا وان اخفاءها افضل حذرا من الرياء الذي سبقت الاشارة
الى التحذير منه وان الصدقة على الفقراء اخير من الصدقة على الاغنياء وافضل وذلك خاص
بالنوافل فقال ان تبدوا الآية وقيل ضمير تخفوها للصدقات مرادا بها النوافل والاول
مرادا بها العوض فيكون استخداما وعلى التقرير السابق يكون الاستخدام في ضمير تؤتوها
وقرئ نكفر بالرفع استئنافا والجزم عطفا على محل الجزاء والنصب عطفا على مقدر
وعلى الثلاثة قرئ بالياء فالضمير للاخفاء او الله وبالتاء فالضمير للصدقات وبالنون
وقرئ بالتاء مبنيا للمفعول وباسقاط الواو والياء ومجزوما بدلا على قراءة النون فعلى
قوله والله بما تعملون خبير التفات وهذه الجملة اشارة الى تفضيل صدقة السر
فان الله لا يخفى عليه امرها وادخال من في سيئاتكم لان الصدقة لا تكفر الجميع وانها
حذرا من الاغترار على فعله اذا عم تكفيره ليس عليك هداهم نزلت لما نهى صلى الله عليه وسلم
عن التصدق على المشركين او كره الصحابة ذلك كما اخرجه النسائي والحاكم وبذلك يعرف
وجه اتصالها بما قبلها وقيل الهدى هنا بمعنى الغنى اذ ليس عليك ان تغنيهم بل تواسيهم والله
يغني من يشاء وقيل الآية مرتبطة بقوله يؤتي الحكمة من يشاء وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله
نفي معناه النهي وقيل حال اي ما تنفقوا من خير فانما لانكم لا تريدون الا وجه الله فهو لكم
اجره وثوابه ولا يضركم كفر المتصدق عليه الا بها في ذلك وجه الله للتشريف لان قوله

فعلته

فعلته لوجه زيد اشرف في الذكر من فعلته له لان وجه الشيء في الاصل اشرف ما فيه ثم
كثر حتى صار يدل على شرف الذكر من غير تحقيق وجه كما تقول وجه الدليل كذا اي اشرف ما
فيه من جميع جهة ظهوره وحسن بيانه للفقراء الاصبهاني لما بين في الآية الاولى انه يجوز صرف
الصدقة الى اي فقير كان وفي الثانية انه يجوز صرفها الى المشركين بين في هذه من هو اشد
الناس استحقاقا فاقرب بهم فهم الفقراء الذين من صفتهم كيت وكيت واللام متعلقة بمحذوف
اي اعمدوا او اجعلوا ما تنفقون للفقراء ووصفهم بوصفين عظيمين حبسهم نفسهم في
سبيل الله وهو الجهاد او طلب القرآن والعلم المانع لهم من التكسب والضرب في الارض وعفتهم
المانعة لهم من السؤال حتى يظنهم من لا خبرة له بحالهم اغنياء ويدركهم الحاذق بفراسته
لما عندهم من اثر ذلك من البؤس ورثاثة الحال وابن الجنيد وقال ابو حيان
قوله للفقراء جواب سؤال مقدر كانه قيل لمن هذه الصفات المحثوث على فعلها فقيل
للفقراء فتبين مصرف الصدقة الراغب العفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة
الشهوة والمتعفف المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر وفي الآية طباق بين الفقراء
والاغنياء واحصروا وضربا في الارض ويحسبهم الجاهل وتعرفهم ومن التعفف وسيماهم
والتعفف ولا يسألون لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا اي لا يقع منهم سؤال
اصلا فلا يقع منهم الحاف وهذا يسمى في البديع نفي الشيء بايجابه ومثله ولا شفيع يطاع
اي لا شفيع لهم اصلا قال الزمخشري الغاية في ذكر الصفة ونفيها هي ان نفي الصفة مع الموصوف
لسقام انتفاء الموصوف في مقام الشاهد على انتفاء الصفة فيكون ذلك ازالة لتوهم
وجود الموصوف وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الاصبهاني هو نظير قوله في الآية
قبله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون وليس هذا من باب التكرير بل فيه
فوائد منها انه لما قال في الآية الاولى ومن المعلوم ان توفية الاجر من غير بخس ونقصان ذلك
لا يمكن الا عند العلم بمقدار العمل ختم هذه الآية بوصفه بالعلم به ومنها انه لما رغب في التصدق
على المسلم والمشرك قال وما تنفقوا من خير يوف اليكم فبين ان اجره واصل لا محالة
ثم لما رغب في التصدق على الفقراء الموصوفين بهذه الاوصاف الكاملة والانفاق
عليهم اعظم وجوه الانفاق اردفه بما يدل على عظم ثوابه فقال وما تنفقوا من خير
فان الله به عليم وهو يجري مجرى قول السلطان لعبده احسن الى فلان فما احسنت
اليه فاني عالم ويصل الي خبره فانه اعظم وقعا مما لو قال له فان اجرك واصل اليك
الذين ينفقون الآية الاصبهاني لما بين في الآية المتقدمة اكمل من تصرف اليه النفقة
بين في هذه اكمل وجوه الانفاق وهو ان يعم الاوقات والاحوال بالصدقة فكلما
من يحتاج محل قضاء حاجته ولم يؤخر وذلك مناسب لختم آيات الانفاق بها فان الختم
انما يكون بالمشتمل على الاكمل ومنها التاكيد والايضاح لما ادرج في قوله ان تبدوا الصدقات
فنعما هي الآية وتقديم الليل على النهار والسر على العلانية لفضل الاول ولين الذين يأكلون

الربا الاصبهاني لما كان بين الصدقة والربا تضاد لان الصدقة عبارة عن نقص المال بسبب
امر الله به والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهي الله عنه ولهذا قال تعالى يمحق
الله الربا ويربي الصدقات وعادة القران جارية بتعقيب حكم احد الضدين بالاخر عقب حكم
الصدقات حكم الربا وقال ابو حيان لما نهى عن الصدقة من الخبيث وامرها من الطيبات
من الكسب ذكر نوعا من الخبائث كان غالبا عليهم في الجاهلية وخص الاكل لانه معظم الامر كما في اية النسا
وكتبوا الربا بالواو على لغة من يفخم كما كتب الصلاة والزكاة وزيدت الالف بعدها تشبيها
بواو الجمع وقرأ ابو السمال والربو بضم الباء ساكن الواو وقال ابن جني وذلك شذوذا
للخروج عن الكسر الى الضم اللازم ووقوع الواو بعد الضمة في اخر الاسم ومثله ابي يجهد
الا في الفعل وقرئ الربو بفتح الباء ساكن الواو على لغة من يقف على افعى افعو واجرى الوصل
مجرى الوقف قيل وهي لغة الحيرة وكذا كتبها اهل الحجاز ربوا بالواو لانهم تعلموا الخط
من الحيرة لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا وقرأ ابن مسعود يوم القيامة
يتخبطه يصرعه الراغب الخبط الضرب على غير استوا من المس قال الراغب كني به عن
الجنون كما كني به عن النكاح ويطلق في كل ما ينال الانسان من الاذى نحو مستهم البأسا
واصله ما يدرك بحاسة اللمس ابو حيان من المس تاكيد ليتخبطه ورافع لاحتمال المجاز
ونحوه ان يراد بالتخبط الاغوا وتزيين المعاصي قالوا انما البيع مثل الربا هذا من قلب
التشبيه مبالغة منهم اذ المقصود تشبيههم الربا بالبيع في الحل لا عكسه فبالغوا وجعلوا
الربا في الحل مقيسا عليه البيع فقال تعالى ردا عليهم واحل الله البيع وحرم الربا فلا قياس
مع وجود النص فمن جاءه موعظة ذكر الفعل للفصل وتاويل الموعظة وقرئ جاءته من
ربه فيه تعظيم الموعظة وتانيس العبد لقبولها ومن عاد اي الى اكل الربا مشبها له بالبيع
في الحل يمحق الله الربا ويربي الصدقات لما بالغ في الامر بالصدقات والحث عليها وفي
الزجر عن الربا ذكر هذه الجملة على طريق الاستيناف ليكون باعثا على فعل الصدقات وترك
الربا وفيها طباقات وجناس شتى في الراغب المحق النقصان واذهاب البركة ابو حيان
هو نقص الشي حالا بعد حال وقرئ بالتشديد في الفعلين لا يحب كل كفار بتحليل الربا
اثيم فاجر باكله ابو حيان اتى بصيغة المبالغة في كفار واثيم تنبيها على عظم الربا ابن فورك اثيم
ذكر الاثيم ليزول الاشتراك الذي في كفار اذ يقع على الزراع كما في اعجب الكفار نباته ابن
جماعة عدل عن قوله يبغض الى لا يحب توخيا لاحسن المتعلقين ولان لفظ البغض
مكروه للنفس فلم يحسن نسبتها الى الله تعالى الامام قال هنا لا يحب كل كفار اثيم وفي اول
النسا ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وفي اخرها ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما
وفي الحديد والله لا يحب كل مختال فخور لان اية البقرة في الكفار الذين استحلوا ما حرم الله
فقالوا انما البيع مثل الربا فوصفهم بالكفر وناسبه الاثيم واية النسا الاولى اتت لعبدة
الاوثان العبادة وترك الزكاة فناسبه النهي عن الاختيال والفخر اللذين يضادان

العبادة

خوانا اثيما واية الحديد
تقدمها النهي عن الاسى على ما
فات والفرح بما اتى
ناسب صح

العبادة والعبدية والثانية فيمن سرق الدرع وبعد قوله يختانون انفسهم فناسبه ١
التفاخر والخيلا والتقدم والتفاخر بينكم فناسب والله لا يحب كل مختال فخور وانما حذفت
اية البقرة والحديد بالواو ولان مبناهما على الاتصال الذي يومئ بمقتضاه الواو وان
الكلام في السورتين متصل بعضه ببعض واية النسا بان لان مبناهما على الانفصال
الذي يومئ بمقتضاه ان لان الكلام قد تم عند اخر الامر والنهي وجاءت ايتا
الامر والنهي بلفظ من كان وايتا الاخبار بلفظ كل وفيه من المناسبة ما لا يخفى
ان الذين امنوا الاية ~~نزلت فيمن طالب بعد النهي عن ربا~~ عادته تعالى في القران
مطردة بانه اذا ذكر وعيدا ذكر بعده وعدا فلما بالغ في وعيد الربا اتبعه بهذا الوعد
يا ايها الذين امنوا الاية نزلت فيمن طالب بعد النهي عن الربا ربا كان له قبل النهي
الاصبهاني لما بين الله في الاية المتقدمة ان من انتهى عن الربا فله ما سلف ظن انه لا فرق
بين المقبوض منه وبين الباقي في الذمة فبين في هذه الاية ان ما لم يقبض فبعد
محرم اخذه وانما شدد في الوعيد عليه لان من ينتظر مدة طويلة في حلول الاجل
ثم حضر الوقت وظن نفسه على ان تلك الزيادة قد حصلت فيحتاج في منعه الى
شدة عظيمة وقرئ بقا بالالف لغة طي وبقي بسكون اليا وقوله ان كنتم مؤمنين
شرط اريد به التهييج فان لم تفعلوا اي تتركوا ما بقي من الربا بعد النهي فحلا فاذنوا
بالمد وكسر الذال اي اعلموا غيركم ممن لم ينته عن الربا واذا اعلموا غيرهم علموا هم
لا محالة وبالقصر وفتحها اي اعلموا انتم واسمعوا بحرب اي بنوع منه عظيم لا يطاق
الكشاف فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت هذا ابلغ لان المعنى
فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله فلكم رؤوس اموالكم اي اصولها سميت رؤوسا
مجازا لا تظلمون ولا تظلمون خبر معناه النهي والقراة بالبنا للفاعل في الاول
وللمفعول في الثاني وقرئ بعكسه وان كان ذو عسرة قرئ ذا على ان كان ناقصة
واسمها ضمير الغريم وقرئ معسرا وقرئ ومن كان ذا وقرئ فان كان فنظرة وقرئ
بسكون الظا تخفيفا وهي لغة تميم وقرئ فناظرة بهاء الكناية مع اسم الفاعل
وقرئ فناظره بصيغة الامر وها الكناية اي سامحه وقرئ ميسره بالفتح والضم
بالاضافة الى ضمير الغريم وقرئ ميسور كذلك وقرئ فناظرة بالتا مصدر كالكاذبة
وفاقرة وقرئ فناظروه ميسرة بفتح السين وضمها وبالرفع وان تصدقوا ابن عطية
الكلام عليه بدل وان تبروا البغداديين ذلك مدح لمنزلة الصدقات التي يطيب
فيها ترغيبا فيه والقراة بالتشديد والتخفيف وقرئ بالتا واتقوا يوما الاية
زيادة مبالغة في الزجر عن الربا والتهديد عليه على اعظم الوجوه وفيها مع ذلك
وعظ لجميع الناس البر والفاجر وهي اخر اية نزلت فيما اخرجه النسائي عن ابن عباس
وفيها من براعة الختام والاشعار بالاخرة المستلزمة للوفاة ما لا مزيد

يحاسبه ونرجعونه بالتاء خطابا على جهة المبالغة في الوعظ والتحذير تنبيها للقلوب
والغا على وقرأ الحسن يرجعون بالتحتية والبنا للمفعول قال
ابن جني وفيه التفات على حد كنتم في الفلك وجرين بهم قال ونكتة هنا الرفق
من الله تعالى بصالحي عباده وذلك ان العود الى الله للحساب اعظم ما يخوف به
العباد فاذا ورد بالخطاب فقد خوطبوا بامر عظيم تكاد تنشق له قلوب المطيعين فاعرف
عنهم بذكر الرحمة بلفظ الغيبة رفقا بهم وكانه قال اتقوا يا مطيعون يوما يرجع
فيه العاصون وتجازون فيه بجرائمهم واما قراءة الخطاب فتنبيه فضل تحذير للمؤمنين
نظرا للعجز واعتمادا بما يعقبهم السلامة وقرئ تردون وتصيرون ابن جماعة قال
لمنادي في آل عمران ما كسبت وفي النحل والزمر ما عملت تفننا وايضا لما تقدم في الزمر
لفظ الكسب في مواضع وبعد العجز سيئات ما كسبوا فاصابهم سيئات ما كسبوا عدل الى لفظ
عملوا تركا للتكرار ولم يتقدم ذلك في البقرة وآل عمران او انه اشارة الى ان الاعمال
كسب العبد خيرا كان او شرا يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم لما حرم الربا على كل الآيات اباح
السلم بهذه الآية وقيل في كيفية النظم انه تعالى لما ذكر قبل هذا الحكم نوعين من الحكم الاول
الانفاق في سبيله وهو يوجب تنقيص المال اولا وعاقبته الزيادة والثاني ترك الربا
الذي يوجب زيادة المال اولا وعاقبته النقص وختم الحكمين بالتهديد العظيم والامر بالتقوى
والتقوى تسد ابواب المكاسب والمنافع اتبع ذلك بالاشارة الى كيفية حفظ المال الحلال
وصونه عن الفساد وذلك من المعين على التمكن من الانفاق في سبيل الله المامور به و
بالغ في الاشارة الى ذلك بالبسط الشديد خلاف عادة الفاظ القرآن من جريانها على الاختصار
بدين ذكر مع ان تداينتم يغنيه للتاكيد على حد ولا طائر يطير قال الكرماني ولكنه قطع
المجاز اذ قد يقال تداينا يعني تجازينا وقال الزمخشري انما ذكر ليرجع اليه الضمير
في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين
لتنويع الدين الى حال ومؤجل وصلح كما ليفهم ان المراد اي دين كان قليلا او كثيرا وقال
الامام تداينتم من باب المفاعلة فقد يفهم جواز بيع الدين بالدين وهو باطل فقوله
بدين ليفهم ان المراد تداين يحصل فيه دين واحد هذه خمسة اجوبة مسمى فائدته الاعلام
بان من حق الاجل ان يكون معلوما فاكتبوه امر ارشاد ولا يأب الاصح في هو نهي ارشاد
ايضا كما علمه الله على حد واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه
الله فليكتب اعادة بصيغة الامر تاكيد او ليمل الاملال اعادة التي مرة بعد اخرى واملى
لغة الحجاز وبني اسد واملى لغة تميم وقيل امليت فرع امللت ابدلت اللام ياء لانها اخف
وليتق الله ربه جمع بين اسم الذات ووصف الربوبية تنبيها على مقتضاهما من التحذير والمراقبة
وتذكر النعم والتربية ان يمل هو في تاكيد الضمير المستكن بهو من الفصاحة ما لا يخفى لما
فيه من رفع المجاز الذي يحتمله اسناد الفعل الى الضمير والتنصيص على انه غير مستطيع

اكثرهم

بنفسه وان يشهدوا الوجهان يحتمل ان يكون للطلب وان يكون بمعنى ليشهدوا شهيدان
الاصبهاني ذكر هنا المبالغة ودلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه فكانه اشارة الى العدالة
فان لم يكونا رجلين الكرماني لا مفهوم لهذا الشرط بالاجماع فرجل وامراتان اي يشهدون
او فليشهد او فليكن ان تضل من احدهما بالكسر شرطا جوابه فتذكر مرفوعا اي فهي تذكر وغيره
بالفتح تعليلا وتذكر بالنصب عطفا عليه والتقدير ارادة ان تضل فتذكر وهو من اقامة السبب
مقام المسبب لان الضلال سبب الاذكار والاذكار هو المراد في الحقيقة والتقدير ارادة ان
تذكر ان ضلت واعاد احديهما لان المذكرة غير الضالة فليس من اقامة الظاهر مقام
المضمر كان يمكن ان يقال فتذكرها اخرى وعدل عنه لان التقديم يفيد الاهتمام وهو اوفق
بالمذكرة لا بالناسية فلو قدم لافاد الاهتمام بالناسية وهو خلاف القواعد قاله
ابن عبد السلام ومفعول تذكر الثاني محذوف اي الشهادة التي ضلت عنها وقرئ فتفل بضم
اوله مع كسر الضاد وفتحها وقرئ فتذاكر اذا ما دعوا الحلق لبعض التحمل كالاداء اجمعا
ولا تسأموا الكسالة كني بالسامة عن الكسل لانه من صفة المنافقين فلم يطلقه على المؤمنين
وقرئ بالغيبة على الالتفات مناو في يكتبوه وترتا بوا صغيرا او كبيرا فيه ترق الى اجله
نص عليه للدلالة على كتابته ايضا كما يكتب اصل الدين اقسط فيه استعمال افعل التفضيل
من غير ثلاثي لان فعله اقسط وكذا قوله واقوم لان فعله اقام او استقام وقال
ابو حيان ينبغي ان يكون من قسط الثلاثي بمعنى عدل فقد حكى ابن السكيت في الاضداد عن
ابي عبيدة قسط جار وقسط عدل واقسط بالالف عدل لا غير وكذا حكاه ابن القطاع
ايضا وكذا اقوم من قام بمعنى اعتدل انتهى ابو حيان نسق فيه الاخبار في غاية الحسن
اذ بدئ اولا بالاشرف وهو اقسط عند الله ثم ثنى بما يليه ثم بما يليه وهو نفي
الريبة تكون تجارة بالرفع فكان تامة والنصب خبرا لها ناقصة والاسم للمبايعة او
التجارة ولا يضار مشترك بين الفاعل والمفعول اي لا يضار الكاتب والشهيد صاحب
الحق او المدين او لا يضارر الكاتب او المدين الكاتب والشهيد ويؤيده الاول قول من قرأ
ولا يضارر بالفتح وكسر الراء الاولى والثاني من قرأ ولا يضارر بفتح الراء قال الاصبهاني والاولى
ان يحمل على المعنيين جميعا وقرئ ولا يضار بضم الراء النفي بمعنى النهي وبكسرها لالتقاء الساكنين
وقرئ ولا يضارر كاتبا ولا شهيدا بكسر الراء ونصب الاسمين والفاعل ضمير صاحب الحق
فسوق بكم اي ملتبس بكم او فيكم فالباء ظرفية وهو ابلغ اذ جعلوا محلا للفسق واتقوا الله
تحذير من الفسوق ويعلمكم الله وعد وتذكير بالنعم والله بكل شيء عليم ختم به لما فيه من الاشعار
بالمجازاة للفاسق والمتقي واعيد لفظ الله في الجمل الثلاث على طريق التعظيم الامر فجعلت كل
جملة منها مستقلة بنفسها لا تحتاج الى ربط بالضمير بل اكتفي فيها بربط العاطف الذي في الختم
به مناسب لما تضمنته آية الدين من الاحكام الكثيرة ولقوله ويعلمكم الله لانه لولا الخبر بهو
انه بكل شيء عليم ونقوا بتعليمه وسكنوا اليه وان كنتم على سفر ذكره على سبيل التمثيل لانه مظنة

تقدّر الكاتب واعواز الاشهاد نبّه به على كل عذر ولم تجدوا كاتبا قرأ ابن عباس كتابا بصيغة
المصدر وقال انه يتم الصحيفة والدواة والقلم وقرئ بضم الكاف بصيغة الجمع وكتبا فرهن
جمع رهن وقرئ بسكون الهاء تخفيفا وفي قراءة فرهان جمع الجمع وهو خبر محذوف اي
فالوثيقة فان امن قرئ أومن رباعي مبني للمفعول اي امنه الناس وقرئ ايتمن وليتق
الله ربه أكّد به الامر بأداء الدين كما ذكر ذلك ايضا عند قوله فليملل الذي عليه الحق
فأمر بالتقوى حين الاخذ والاقرار والوفاء ولا تكتموا عود الى خطاب الشهود وقرئ
بالغيبة آثم قلبه الكشاف اسند الاثم الى القلب ولو قال فانه آثم لكان اقصر
مع اداء المعنى لانه ابلغ حيث اسند الاثم الى الجارحة التي تعلق بها العمل وهو القلب لان
كتمان الشهادة هو اضمارها في القلب فلا تتكلم بها ولان القلب رئيس الاعضاء واذا فسد
فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان منه و
لئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب
اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من
افعال الجوارح وهي لها كالاصول فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد
له بانه من عظام الذنوب وقال آخرون بأثم ليدل على الثبوت وقرئ قلبه بالنصب
على التشبيه بالمفعول به وقيل على التمييز وقيل على البدل من اسم ان وقرئ بفتح الهمزة
والثاء المشددة والميم فعلا ماضيا وقلبه بالنصب مفعول اي جعله آثما والله بما
تعملون عليم وعيد للكاتم الطوفي هو مناسب لما قبله من اداء الامانات والشهادات
اخبر تعالى انه عالم بعملهم من اداء او كتمان فيجازي كلا بحسبه وقرئ بالغيبة في يعملون
من قرأ بها في ولا يكتموا وقد وقع في هاتين الآيتين تلوين الخطاب في عدة مواضع وهو
الانتقال من خطاب الحضور الى خطاب الغيبة وعكسه لله ما في السموات قيل لما
جمع في هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهي دلائل التوحيد والنبوة والمعاد
واشياء كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف من الصلاة والزكاة والقصاص والصوم
والحج والجهاد والحيض والايلاء والطلاق والخلع والرجعة والعدة والصداق و
الرضاع والربا والبيع وكيفية المداينة ختم بهذه الآية على سبيل التهديد وقد ثبت
ان الصفات التي هي كالاصل ليست الا القدرة والعلم بقوله وان تبدوا ما
في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله واذا ثبت كمال القدرة وكمال العلم وكان كل من في
السموات والارض ملكا له وخلقا كان ذلك غاية الوعد للمطيعين وغاية الوعيد للعاصين
فلهذا السبب وقع الختم بهذه الآية ولهذا وقع فيها ذكر الحساب والمغفرة والعذاب
وقيل لما ذكر في آخر الآية المتقدمة والله بما تعملون عليم ذكر عقبه ما يجري مجرى الدليل
العقلي على ثبوت العلم له فان من كان خالقا لهذا الخلق العجيب المتقن المحكم المشتمل على الحكم
الباهرة والمنافع المتكاثرة لا بد ان يكون عالما بها وقيل لما تقدم النهي عن كتم الشهادة

والوعيد

والوعيد عليه بيّن ان له ملك السموات والارض فيجازي على الاظهار والكتمان ولهذا
قال وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وبينهما طباق وفي القراءة فيغفر ويعذب بالجزم
على البدل بعضا او اشتمالا وحسن بذكر القدرة مناسبة المغفرة عطفا على الجواب
والرفع باضمار هو وقرئ بالنصب باضمار ان وقرأ ابن مسعود باسقاط الفاء والجزم على البدل
بعضا او اشتمالا وحسن ايضا بذكر القدرة مناسبة المغفرة والتعذيب والحساب اذ لا
يصح ذلك الا من قادر قال الطوفي وغيره الكرماني قدم ذكر المغفرة على العذاب في هذه
السورة وغيرها وعكس في المائدة لان آية البقرة وغيرها جاءت ترغيبا في المسارعة
الى طلب المغفرة والاشارة الى سعة مغفرته ورحمته وآية المائدة عقب ذكر السارق والسارقة
فناسب تقديم ذكر العذاب ولما نزلت هذه الآية شق على الصحابة المؤاخذة بحديث النفس
وما لا يطيقونه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال
اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها آمن الرسول الآية فلما فعلوا
ذلك نسخها الله فانزل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة رواه مسلم وغيره قال
ابو حيان وبهذا السبب في النزول عرفت مناسبة آمن الرسول الآية لما قبلها واخرج
الفريابي عن محمد بن كعب قال ما بعث الله من نبي ولا ارسل من رسول انزل عليه الكتاب
الا انزل عليه هذه الآية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية فكانت الامم
تأبى على انبيائها ورسلها ويقولون نؤاخذ بما نحدث به انفسنا ولم تعمل جوارحنا فيكفرون
ويضلون فلما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم اشتد على المسلمين ما اشتد على الامم قبلهم فقالوا
يا رسول الله انؤاخذ بما نحدث به انفسنا ولم تعمل جوارحنا قال نعم فاسمعوا
واطيعوا واطلبوا الى ربكم فذلك قوله آمن الرسول الآية فوضع الله عنهم حديث
النفس الا ما عملت الجوارح لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر وبهذا يعرف
مناسبة ختم السورة بهذه الآية لان هذه السورة اعظم سور القرآن واشتملت على ما لم
يشتمل عليه غيرها من الاحكام وغيرها فناسب ختمها بهذه الآية التي انزلت على جميع
الانبياء المتضمنة ان جميع ما ابداه العبد واسره يحاسب عليه ثم هو في المشيئة اما
المغفرة واما العذاب وحق لهذه السورة ان تختم بهذه الآية التي لها شان بحيث
لم تغادر نبيا ولا رسولا الا انزلت عليه ثم اردفت بما اشارت به هذه الآية على
غيرها من التخفيف عنها والترخيص في شانها ووقع ذلك الا في تقاديرها تذكيرا لهم بالنعمة
في نسخها وثنا عليها بانها وقولهم سمعنا واطعنا لا كما قال غيرهم من الامم ولذلك
ذكر ما حملته على الذين من قبلنا ووقع الختم بآيتين عظيمتين نزلتا من كنز تحت العرش
لم تعطهما نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث وفيه انه اعطيهما ليلة الاسراء و
انهما صلاة وقرآن ودعاء ويشفعان لمن قرأهما ويرضيان الرحمن ويبغضان الشيطان وقيل لما

ذكر في هذه السورة جملة من فرائض الاحكام ختمت بذكر تصديق نبيه والمؤمنين بجميع ذلك
وقيل انه تعالى بدأ السورة بمدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون
وبين في آخر السورة ان الذين مدحهم في اولها هم امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وهذا هو المراد بقوله في اول السورة وبالآخرة
هم يوقنون ثم حكى عنهم ههنا كيفية تضرعهم الى ربهم في قولهم ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة
وهو المراد بقوله في اول اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون فانظر كيف
حصلت الموافقة بين اول السورة وآخرها ابو حيان لما كان مفتتح السورة بذكر الكتاب
المنزل وانه هدى للمتقين الموصوفين بما وصفوا به من الايمان بالغيب وبما انزل الى الرسول
والى من قبله كان مختتمها ايضا موافقا لمفتتحها قال وقد تتبعت اوايل السور
الطويلة فوجدتها يناسبها اواخرها بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء وذلك من ابدع الفصاحة
حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول باوله وهي عادة العرب في كثير من نظمهم
يكون احدهم آخذا في شيء ثم يستطرد منه الى شيء آخر ثم الى آخر هكذا طويلا ثم يعود الى
ما كان آخذا فيه اولا انتهى ملخصا وقد الفت في ذلك كتابا مراصد المطالع في
تناسب المقاطع والمطالع **آمن الرسول بما انزل اليه من ربه** افرده بالايمان وحده ثم
ابتدأ والمؤمنون كل آمن لان الذي ينزل الى الرسول قد يكون متلوا يعرفه الغير
فيمكن ان يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلم سواه فيكون مختصا بالايمان به ولا يمكن
غيره من الايمان به فلهذا كان مختصا في باب الايمان بما لا يمكن حصوله في غيره وقيل
والمؤمنون معطوف ويؤيده ما قرئ وآمن المؤمنون وقدم الملائكة على الكتب
لانها واسطة في انزالها فهي متقدمة على تنزيل الكتب والكتب على الرسل لانهم الذين
ينزل اليهم الكتب فالكتب متقدمة وقرأ وكتابه قيل انه ابلغ من قراءة وكتبه
وكلاهما في السمع لانه للجنس والجنسية قائمة في الواحد كلها لا يخرج منها شيء واما
الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع وقرئ وكتبه ورسله باسكان التاء فيهما
تخفيفا وقرأ ابن مسعود وكتابه ورسله **لا نفرق** باضمار يقولون او قائلين وقرأ
يعقوب بالياء لتكل وقرأ ابي وابن مسعود لا يفرقون على معناها **بين احد** اي
واحد كما فعل اليهود والنصارى **سمعنا** اي قوله **واطعنا** اي امرك نحذفا لدلالة
المعنى عليهما **غفرانك** اي نطلب غفرانك في دفع المؤاخذة بحديث النفس **ربنا** تقدمت
نكتته عند قوله ربنا تقبل منا **واليك المصير** اشارة الى ان العبد متى علم انه لا بد
من المصير اليه كان اخلاصه في الطاعات اتم واجتنابه المعاصي اكمل **لا يكلف** استيناف
اخبار من الله لا تتمة حكاية كلام الرسول والمؤمنين كما دل عليه سبب النزول والاحاديث
الصحيحة فلذلك جاء بلا عطف لكمال الانقطاع ومواجاة لدعائهم بقولهم غفرانك
الا وسعها ربنا استثناء مفرغ على حذف ما الموصولة او المفعول الثاني اي شيئا وما

ولقائه

بعد

بعد الاحوال وفيه على هذه القراءة قلب والاصل الاوسع على حد اذخلت القلنسوة
في رأسي قاله ابن عطية **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** فيه طباق الكسب خص الكسب
بالخير والاكتساب بالشر لان في الاكتساب اعتمالا فلما كان الشر مما تشتهيه النفس
وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه
ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دليل فيه على الاعتمال ابن عطية الحسنات
تكتسب بلا تكلف لانها على جادة امر الله ورسم شرعه والسيئات تكتسب بتكليف
لان كاسبها يتكلف خرق حجاب نهي الله ويتخطاه اليها فحسن في الآية مجيء التصريفين
احرازا لهذا المعنى وفي الحسنات بالام لانها مما يسر فاضيف الى المالك وفي
السيئات بعلى لانها اوزار واثقال محمولة **ربنا** باضمار قولوا في التعليم لان الدعاء اصلها في
المقصود من جميع العبادات والطاعات التعظيم لامر الله فالدعاء خلاصة العبادة فلهذا
السبب ختمت هذه السورة الكريمة المشتملة على هذه العلوم الشريفة بالدعاء والتضرع الى الله
ثم انه تعالى علم المؤمنين اربعة انواع من الدعاء ذكر في مطلع الثلاثة الاول ربنا ولم
يذكره في مطلع الرابع ربنا لان المطلوب في الاول الترك والرابع الفعل فترك منه لفظ ربنا
اشعارا بان العبد اذا واظب على التضرع نال القرب من الله سبحانه وتعالى فلم يحتج الى النداء
لان النداء انما احتيج اليه عند البعد انتهى **لا تؤاخذنا** قيل انما خرج على صيغة المفاعلة وهو
فعل واحد لان المسيء قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكانه اعان عليه من يأخذه
بذنبه فكان له بذلك مشاركة **اصرا** اصله الحمل اي امرا حاملا اي يحبسه مكانه لا يستقل
به لثقله استعير للتكليف الشاق وقرأ ابي حملا بالتشديد آصارا بالجمع وقرئ اصرا
بضم الهمزة **ما لا طاقة لنا به** اي من التكليفات الشاقة والعقوبات على التفريط فيها
وبشموله للامرين يخرج عن ان يكون مع ما قبله تكرارا محضا والطاقة من المصادر التي جاءت
على غير قياس فعلها ولا القياس عليها والقياس اطاقة ابن الانباري المعنى لا تحملنا ما يثقل علينا اداؤه وان كنا مطيقين له على تجشم
وتحمل مكروه خاطبا العرب على
ما تعقل فان الرجل منهم يقول
للرجل يبغضه ما اطيق النظر
اليه وهو مطيق على النظر اليه
لكنه يثقل
عليه وسئله ما كانوا يستطيعون السمع **واعف عنا واغفر لنا وارحمنا** ظهر لي انه في هذه
الثلاثة ما يرجع الى الثلاثة الاول فالعفو راجع الى عدم المؤاخذة بالنسيان والخطأ
اي اعف عنا وامح ذنبنا فلا تؤاخذنا به والمغفرة الى عدم حمل الاصر الذي كان على من قبلنا
اي اغفر لنا واستر ما من الفضيحة بعدم رعاية حقه فلا تحمل علينا والرحمة الى تحميل
ما لا طاقة به اي ارحمنا فلا تحملنا ما لا نطيقه وبذلك عرف مناسبة عدم اقترانه بلفظ
ربنا لانه ليس دعاء رابعا مباينا للثلاثة بل كانه اعادة الثلاثة بمعناها او مسبباتها او
بلوازمها ثم رأيت ابا حيان ذكر نحو ذلك فقال ختمت هذه السورة بالدعاء الذي هو
اشرف العبادة لان الداعي يشاهد نفسه في مقام الحاجة والذلة والافتقار ويشاهد
ربه بعين الاستغناء والافضال وافتتحت كل جملة بقوله ربنا ايذانا بانهم يرغبون من ربهم
الذي هو مربيهم ومصلح احوالهم وبانهم مقرون بانهم مربوبون داخلون تحت رق العبودية

والاظفار فلم يأت لفظ ربنا في الجمل الطلبية اخيرًا لانها نتائج ما تقدم من الجمل التي دعوا
فيها بربنا وجاءت مقابلة لكل جملة من الثلاث السوابق جملة فقابل لا تؤاخذنا بقوله واعف
عنا وقابل ولا تحمل علينا اصرا بقوله واغفر لنا وقابل ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بقوله
وارحمنا لان من آثار عدم المؤاخذة بالنسيان والخطأ العفو ومن آثار عدم حمل
الاصر المغفرة ومن آثار عدم تكليف ما لا يطاق الرحمة وجمع بين الثلاثة لان العفو اسقاط
العقاب على الذنب الا انه لا يقتضي ستره فقد يعفه عليه ثم لعفوا فسألوا اولا اسقاط
العقوبة لانه الاهم ثم سألوه المغفرة التي هي الستر لازالة عقوبة التخجيل ثم سألوا
الرحمة التي هي طلب الثواب وينشأ عنها النعيم انتهى الراغب العفو ازالة الذنب بترك
عقوبته والغفران ستره والرحمة افاضة الاحسان فالثاني ابلغ من الاول والثالث
ابلغ من الثاني وقيل بعد ذلك انت مولانا اشارة الى انهم في غاية الخضوع ونهاية التذلل
وانهم معترفون بانه سبحانه هو المولى بكل نعمة وهو سيدهم الذين لا يطلبون الا منه
ولا يلجأون الا اليه فانصرنا على القوم الكافرين في الحرب والمناظرة فان من حق
المولى ان ينصر عبيده على اعدائه واعدائهم فلذلك رتبه عليه بفاء السببية كما يقال
انت الشجاع فقاتل وانت الكريم فجد والنصر اذا كان بمعنى الغلبة عدي بعلى وبمعنى
المنع عدي بمن وقد وافق آخر السورة اولها من ذكر اوصاف المؤمنين ثم الاشارة
~~الى الفرق الثلاث المؤمنين والكافرين ووافق آخر السورة التي قبلها من اختتامها~~
~~بالدعاء والاشارة~~ الى وصف الكافرين ووافق آخر السورة التي قبلها من اختتامها
بالدعاء والاشارة الى الفرق الثلاث المؤمنين والكافرين الشاملين للمشركين واليهود
والنصارى المشار اليها بقوله كما حملته على الذين من قبلنا ومن موافقتها لآخر الفاتحة
من التأمين في آخرهما كما في الفاتحة اخرج ابو عبيد في فضائل القرآن عن ابي
ميسرة ان جبريل لقن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خاتمة البقرة آمين واخرج عن
معاذ بن جبل انه كان اذا ختم سورة البقرة قال آمين قال الامام الرازي ومن تأمل
في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بحسب فصاحة
الفاظه وشرف معانيه فهو ايضا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته الا اني رأيت جمهور المفسرين
معرضين عن هذه ~~الحقائق~~ اللطائف غير متنبهين لهذه الاسرار وليس الامر في هذا
الباب الا كما قيل

والنجم تستصغر الابصار صورته ... والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

سورة آل عمران

تقدمت الاشارة الى مناسبة وضعها هنا في اول سورة البقرة ووجه التسمية ما وقع
في قصة آل عمران من الامور الغريبة في ولادة يحيى وعيسى وثبت في سبب النزول

ان

ان صدرها الى نيف وثمانين آية نزلت في وفد نصارى نجران ومجادلتهم في شأن عيسى
اولا ولما كان المقصود الاعظم تقرير كونه عبد الله والرد عليهم في دعوى الهيته
او بنوته جاءت على الترتيب البليغ من الابتداء بما فيه براعة الاستهلال كما سيتبينه من
تقرير كون هذه الكتب صدقا وحقا ثم الوعيد على مخالفة ذلك ومعاندته ثم
استطرد الى وصف الكتاب وتقسيمه الى محكم ومتشابه ووصف اهل الزيغ باتباع
متشابهه ثم استطرد من امر الى امر لكل منها نكتة يأتي بيانها الى ان اراد التخلص للمقصود
فافتتحه بذكر اصطفاء الله آدم الذي هو ابو البشر ونوحا الذي هو اول الرسل
وآل ابراهيم الذي هو ابو الانبياء ومقدمهم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وآل عمران الذي
عيسى من ذريته ثم ذكر قصة ولادة مريم وذلك من المبالغة في شيئا النبي ذكر اصوله
الدالة على حدوثه وهو ضرورة ثم ذكر قصة ولادة يحيى لقربها على ولادة مريم وفيها
نمط من الغرابة الواقعة في ولادة عيسى من حيث الولادة في غير حينها عادة لكن امر
عيسى اغرب واعجب فقدم التقليل للغرابة تأنيسا بالاكثر غرابة وتمهيدا له ثم ذكر
مبدأ خلق عيسى وذكر دليل حدوثه وعبوديته ثم تخلص الى ذكر رسالته وما حصل له من المرسل
اليهم وهمهم بقتله ثم ذكر رفعه الى السماء وهو آخر ما اتفق له وذلك استيعاب لامر بدء
عليه ثم اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم ان هذا الذي تلاه عليه وحي صدق وقول حق وذكر
حكم ثم ضرب لعيسى في خلقه بلا اب مثلا بآدم فانه اغرب منه حيث خلق بلا اب
ولا ام وذلك حجة قاطعة وبرهان لا يطلب معه دليل فلما امر النصارى على دعواهم عنادا
بعد هذا البيان التام والاحتجاج الدامغ امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدعوهم الى
المباهلة وذكر آخر قصتهم فانظر الى هذا الترتيب البليغ والنظم الانيق والمقدمات
الموطأة والتمهيدات من مبدأ السورة الى التخلص لقصة آل عمران الى التخلص لقصة
عيسى وابتدأ في شأنه بالاخبار بحاله في خلقه الدال على حدوثه وعبوديته لانه
اول الادلة في ذلك وللاشارة الى ان المصدق بان هذا الكتاب وحي من عند الله يكتفي
باخباره بذلك ولا يطلب معه دليلا آخر ثم نبه الناس على آدم لان ذلك عند استمرار العناد
لم يبق الا اقامة الدليل العقلي القاطع لكل منها انه لا يقف عند السمعيات واذ قد قام الدليل
السمعي ثم العقلي واستمر العناد لم يبق الا المباهلة القاصمة للكاذب من المتخاصمين في
حوزتها فختم بها ابو حيان مناسبة هذه السورة لما قبلها واضحة لانه لما ذكر آخر البقرة
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ناسب ان يذكر نصره تعالى على الكافرين حيث
ناظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعتقادهم وذكر تنزيهه تعالى عما يقولون وبدأة خلق
مريم وابنها المسيح الى آخر ما رد عليهم ولما كان مفتتح آخر البقرة آمن الرسول بما انزل اليه من
ربه وكان في ذلك الايمان بالله وبالكتب ناسب ذكر اوصاف الله وذكر ما انزل على رسوله
وذكر المنزل على غيره الله لا اله الا هو الحي القيوم الاصل في هذا الكلام مبتدأ وذو به على

ورد عليهم بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة
نفى تعالى احوالهم وردة عليهم

وفد نجران أن هذه الصفات لا يمكنهم ادعاؤها لعيسى لأنهم يقولون إنه صُلب وذلك موت
معتقدهم ومن البيّن أنه ليس بقيوم الا ما ومطلع هذه السورة له نظم عجيب لطيف
وذلك أنا ولئك النصارى الذين نازعوا الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لهم اما أن
تنازعوه في معرفة الإله أو في النبوة فإن كان الأول فإنهم يثبتون له ولدا فالحق معه
بالدلائل العقلية فإنه ثبت بالبرهان أنه حي قيوم والحي القيوم يستحيل عقلا أن
يكون له ولد وإن كان النزاع في النبوة فهو أيضا باطل لأن بالطريق الذي عرفتم أن الله
انزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى عرف أن الله انزل القرآن على محمد فإن المعجزة
هي الدالة على أن الله انزل التوراة والانجيل على موسى وعيسى وهي حاصلة هنا فكيف
يمكن منازعته في صحة النبوة فهذا هو وجه النظم وهو مضبوط حسن جدا فلذلك
عقب الدليل الأول بالدليل الثاني فقال نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه
وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس واندرج في الدليل على صحة النبوة الدليل
على صدق القرآن لأنه لو كان من عند غير الله لم يكن مشتملا على الحق وعدم الاختلاف ولا مصدقا
لما قبله من الكتب التي جاءت بها الأنبياء عن الله لأن الجائي به أمي لم يخلط بأحد من العلماء ولا قرأ
على أحد شيئا والمفتري لما كان هكذا امتنع عادة أن يسلم عن الكذب فلما لم يكن كذلك ثبت
أنه من عند الله ولما كانت هذه السورة قرينة سورة البقرة وكالمكملة لها افتتحت بتقرير
ما افتتحت به تلك وصرح في منطوق مطلعها بما طوي في مفهوم مطلع تلك وعبّر في القرآن
بنزّل وفي التوراة والانجيل بأنزل أما أولا فإنما يلي ترادف التنزيل والانزال وأما
لأنهما نزلا جملة وهو نزل مفرقا بناء على أن التنزيل ما نزل مرة بعد مرة لأنه يفيد التكثير
الأصل في وصف القرآن أول البقرة بأنه هدى للمتقين ولم يصفه هنا لأن المتقين
هم المنتفعون به فصار من هذا الوجه هدى لهم لا لغيرهم وأما هنا فالمناظرة كانت
مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن فلهذا لم يقل فيه هنا أنه هدى بل قال إنه حق في
نفسه سواء قبلوه أو لم يقبلوه وأما التوراة والانجيل فهم يعتقدون صحتهما ويقولون
إنهم يعولون في دينهم عليهما فلا جرم وصفهما الله لأجل هذا التأويل بأنه هدى أولى
وفي افتتاح السورة بجملة الله لا إله إلا هو الحي القيوم مقصد بديع وذلك أن البيهقي
أخرج في دلائل النبوة عن مقاتل بن حيان أن الله أوحى إلى عيسى ابن مريم [illegible] لأهل
سوران اني انا الله الحي القيوم والذي لا أزول صدقوا النبي الأمي العربي صاحب الجمل
إلى آخره فافتتحت هذه السورة التي نزلت في مجادلة النصارى بالوصفين الذين نزلت
على نبيهم في افتتاح الامر بتصديق نبينا صلى الله عليه وسلم وذلك تمام المناسبة والمطابقة
ابن جني قرأ عمر القيام وعلقمة القيم وابراهيم نزل بالتخفيف ورفع الكتاب
وهو جرى على استقلال الجملة الأولى بقوله الله مبتدأ ولا إله إلا هو خبر وما بعده صفة
أو خبر ثان وثالث أو لا إله إلا هو معترض بين المبتدأ والخبر للتأكيد أو الحي القيوم خبران

نزل

كحلو حامض ونزل بالتخفيف استئناف وبالتشديد خبر رابع أو هو الخبر وما قبله اعتراض
للثناء وقرئ الانجيل بالفتح وهو دليل عجمته أبو حيان أتى بذكر المنزل عليه القرآن بقوله عليك
ولم يأت بذكر المنزل عليه التوراة والانجيل تخصيصا للنبي صلى الله عليه وسلم وتشريفا له بالذكر
وجاء بلفظ الخطاب لما فيه من المؤانسة وأتى بعلى لما فيها من الاستعلاء كأن الكتاب تجلله وتغشاه
وقوله لما بين يديه أصله أن يقال لما يتمكن الانسان من التصرف فيه كالشيء الذي يحتوي عليه
ولم يثنّ هدى لأنه مصدر ابن عطية قال فيهما هدى للناس وفي القرآن
هدى للمتقين لأن هذا خبر مجرد وهدى للمتقين خبر مقترن به الاستدعاء والصرف
إلى الإيمان تحسن الصفة ليقع من السامع النشاط والبدار قال ابن فورك التقدير هنا هدى
للناس المتقين ويرد هذا العام إلى ذلك الخاص قال ابن عطية وفيه نظر وأنزل الفرقان
قيل المراد جنس الكتب السماوية لأنها فرقان بين الحق والباطل وقيل الكتب الثلاثة التي ذكرت
أولا أعاده بذكر صفتها وقيل أريد الكتاب الرابع وهو الزبور وقيل أريد القرآن وكرر
ذكره بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعدما ذكر باسم الجنس تعظيما لشأنه
وإظهارا لفضله وقيل المراد كل ما أنزله فارقا بين الحق والباطل من الآيات والمعجزات كطوفان
نوح وفرق البحر لموسى وغير ذلك الأشبه بالظاهر أنه أراد بالفرقان القرآن باعتبار أنه معجز
فإن الأهم في هذا المقام ذكر ما يفيد إلزام الخصم بما يدل على أن القرآن نزله الله بالحق فإنه لما
قال نزل عليك الكتاب بالحق استبعد الخصوم ذلك فتذكر قوله وأنزل التوراة والانجيل رفعا
لاستبعادهم في إنزاله ثم لا يرتفع الاستبعاد بالمرة ولا يرتفع الريب فأقام الحجة على دعواه ودفع
الريب بقوله وأنزل الفرقان الذي هو المعجز الفارق بين الحق والباطل ولما كان اعتبار كونه منزلا
غير اعتبار كونه معجزا فإن الأول لكونه دعوى والثاني لكونه حجة فإنهما متغايران بالذات حسن
العطف قلت وبهذا يعرف نكتة التعبير أولا بنزّل وثانيا بأنزل لأن الأول لما كان المقصود
منه الإخبار بنزوله من عند الله ذكر على الهيئة التي نزل عليها لأن ذلك هو محط القصد فرعيت
صفته والمقصود من الثاني الإخبار بكونه معجزا فارقا بين الحق والباطل محط القصد وصف [illegible]
زائد على النزول فلم يراع صفة النزول وأتى بأنزل لأن الانزال للإعجاز أمر واحد لا تكثير
فيه وللإشارة إلى حصول الإعجاز بأول ما نزل منه وبأية آية نزلت ثم لما قرر الحجة بأبلغ عبارة وأدق
إشارة وجمع فيها ما يتعلق بمعرفة التوحيد وما يتعلق بمعرفة النبوة عموما ومعرفة نبينا صلى الله
عليه وسلم خصوصا اتبع ذلك بالوعيد زجرا للجاحدين والمعرضين عن هذه الآيات الساطعة
والبينات القاطعة فقال إن الذين كفروا إلى آخره الطوفي ختم الآية بقوله عزيز ذو
انتقام مناسب لوعيد الكفار بالعذاب الشديد لأن العذاب تسلط لا يكون إلا من عزة وغلبة
وحيث اقترنت هاتان الصفتان فلا بد أن تكونا في سياق عقوبة على ذنب كقوله في المائدة
ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام لأنه على سياق القصة بقتل الصيد في الإحرام
والعقوبة عليه والانتقام افتعال من النقمة وهي السطوة والانتقاد وقيل هي المعاقبة

٣
فانهم معترفون بانزالهما فلا [illegible] استبعاد
فانزالهما لا استبعاد [illegible]

على الرب بمبالغة في ذلك ويقال نقم اذا انكر وانتقم اذا عاقب ابو حيان اشار بالعزة الى القدرة
التامة وهي من صفات الذات وبذي انتقام الى كونه فاعلا للعقاب وهي من صفات الفعل والوصف بذو
ابلغ من الوصف بصاحب ولهذا لم يجئ في صفات الله صاحب الزمخشري ذو انتقام له انتقام
شديد لا يقدر على مثله منتقم وكانه اخذ ذلك من التنكير ان الله لا يخفى عليه شيء الامام لما ذكر
انه قيوم وهو القائم باصلاح مصالح الخلق ولا يتم ذلك الا بمجموع امرين كونه عالما بجميع
حاجاتهم على جميع الوجوه وكونه قادرا على دفعها والاول لا يتم الا بكونه عالما بكل شيء والثاني
لا يتم الا بكونه قادرا على كل ممكن اشار الى الاول بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا
في السماء والى الثاني بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قال وفي هذا لطيفة اخرى
وهي ان قوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء لا يجوز اثباته بالسمع لان معرفة السمع
موقوفة على العلم بكونه عالما بكل شيء بل الدليل العقلي وهو ان يقال ان افعاله تعالى محكمة
متقنة والفعل المحكم المتقن يدل على كون فاعله عالما فذكر الدليل العقلي الدال عليه وهو
انه هو الذي يصوركم في الارحام على هذه البنية العجيبة والهيئة الغريبة وركبها اعضاء
المختلفة في الشكل والطبع والصفة فبعضها عظام وبعضها اعصاب وبعضها اوردة
وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على احسن التركيب واكمل
التاليف وذلك يدل على كمال قدرته حيث خلق ذلك من نطفة وعلى كمال علمه من حيث ان الفعل
المحكم المتقن على هذا الوجه لا يصدر الا عن العالم فكان قوله هو الذي يصوركم دالا على
الامرين معا واذا ثبت انه عالم بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات ثبت انه قيم
المخلوقات فظهر ان هذا كالتقرير لما ذكره اولا من قوله الحي القيوم من تامل في هذه اللطائف
علم انه لا ابلغ ولا احسن من كلام الله ويحتمل تنزيل ذلك على ما نزلت فيه الآية وذلك ان
النصارى ادعوا الالهية لعيسى وعولوا في ذلك على امرين احدهما يتعلق بالعلم وهو اخباره
بالمغيبات وعن خبركم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم والآخر بالقدرة وهو احياؤه الموتى
وابراؤه الاكمه والابرص ثم انه لما استدل تعالى على بطلان قولهم في الهية عيسى وفي التثليث
بقوله الحي القيوم ومعناه ان الاله يجب ان يكون كذلك وعيسى ما كان حيا ولا قيوما فلزم
القطع بانه ما كان الها اتبعه بهذه الآية ليقرر فيها ما يكون جوابا عن الامرين اما الاول
فانه لا يلزم من العلم ببعض المغيبات ان يكون الها لكن عدم احاطته بكلها يدل انه ليس باله
قطعا فان الاله هو الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي يكون عالما بجميع
المعلومات وعيسى ما كان كذلك فوجب القطع بانه ليس باله واما الثاني فانه لا يلزم
عن صدور هذه الافعال عنه كونه الها لان الاله هو الذي يكون قادرا على تصوير
الناس في الارحام من نطفة كيف شاء وعيسى ما كان كذلك فلا يكون الها فقوله ان الله
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اشارة الى الجواب من الشبهة المتعلقة بالعلم وما بعده
اشارة الى الجواب عن الشبهة المتعلقة بالقدرة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهة النصارى

الذات م

بكلها

اعاد

اعاد كلمة التوحيد زجرا لهم عن قولهم بالتثليث فقال لا اله الا هو وقوله العزيز اشارة
الى كمال القدرة الحكيم اشارة الى كونه كامل العلم وهو تقرير لما مر من ان علم عيسى ببعض
المغيبات وقدرته على الافعال المذكورة لا يكفي في كونه الها فان الاله يجب ان
يكون كامل القدرة وهو العزيز كامل العلم وهو الحكيم فان قيل قوله لا يخفى
عليه شيء عند اطلاقه يكون دالا على انه عالم بكل شيء وهو ابلغ في الغرض من التقييد بقوله في
الارض ولا في السماء فما الفائدة فيه اجيب بان الغرض افهام العباد كمال علمه تعالى وفهمه
عند التقييد المذكور اقوى لان الحس يعين العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك
اكمل الراغب لا يخفى عليه شيء ابلغ من يعلم في الاصل وان كانا عند الاستعمال يفيدان
معنى واحدا قال بعضهم ووجهه انه لا يخفى عليه شيء يدل على انه يعلمه من كل وجه يصح ان يعلم
منه بخلاف عالم فانه من حيث اللفظ يصدق على انه يعلم الشيء من وجه ويخفى عليه من
وجه آخر كما في علم المخلوقين قال الراغب وذكر هنا يصوركم بلفظ الحال وفي
موضع آخر فصوركم لانه لا اعتبار بالازمنة في افعاله وانما استعملت الالفاظ
فيه للدلالة على الازمنة بحسب اللغات ما يظهر لنا حالا في حال انتهى وقرئ تصوركم
بمعنى صوركم والتصوير جعل الشيء على صورة وهي هيئة اي صفة يكون عليها الشيء عند ايقاع التاليف
على اجزائه واصله من صاره يصوره اي اماله فهي صورة لانها مائلة الى شكل ابويه
قال بعضهم والفرق بين الصورة والصيغة ان الصيغة بنية مقدرة بجعل جاعل في دلالة
الصفة اللغوية وليس كذلك الصورة لانها دالة على جعل جاعل على قياسية والرحم
اصلها من الرحمة لان الاشتمال فيها يوجب الرحمة والعطف فسمي بذلك العضو ابو
حيان في ذكر التصوير في الرحم رد على من زعم ان عيسى اله اذ من المعلوم بالضرورة انه
صور في الرحم الطوفي الختم بالعزيز الحكيم مناسب لاول الآية لان التصوير في الارحام
امر عظيم لطيف دقيق يحتاج لعظمه الى عزته وقدرته وللطفه ودقته الى حكمته هو
الذي انزل عليك الكتاب تقرير لحقية الكتاب ولكونه قيوما بمصالح الخلق فان انزال
الكتاب من اعظم مصالحهم لما فيه من منافعهم دينا واخرى ابو حيان مناسبة الآية لما
قبلها انه لما ذكر تعديل البنية وتصويرها على ما يشاء من الاشكال الحسنة وهو امر جسماني
استطرد الى العلم وهو امر روحاني ولما ذكر صدر السورة نزل عليك الكتاب ذكر هنا
كيفيته والى الموصول اذ في صلته حواله على المنزل السابق وعهد فيه وقيل
ان من جملة ما تمسك به النصارى في عيسى قوله تعالى وروح منه فانزل الله هذه
الآية لبيان ان آيات الكتاب نوعان محكم ومتشابه وذم متبعي المتشابه ووصفهم
بالزيغ وبين وقوع المتشابه في القرآن مبسوط في الاتقان ومشار اليه في اول سورة
البقرة ووصفه كله بالاحكام في قوله كتاب احكمت آياته لان المراد به كونه محكما
بالنظم العجيب والمعنى البديع وبالمتشابه في قوله كتابا متشابها لان المعنى به انه يشبه

ب

وايضا فصوركم انما هو على نسبة التقدير وان فعله تعالى حكم ما قد فرغ منه ويصوركم على حسب م

هو

بعضه بعضًا في الفصاحة والبلاغة ويصدق بعضه بعضًا لا اختلاف فيه ولا تناقض
من ام الكتاب لم يقل امهات لان الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة وقيل
التقدير كل آية ام **زيغ** الراغب هو الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وزاغ وزال
ومال متقاربة الا ان زاغ لا يقال الا فيما كان عن حق الى باطل **تاويله** الراغب التاويل
من الاول وهو الرجوع الى الاصل وذلك رد الشيء الى الغاية المرادة منه علمًا كان او فعلا
والراسخون الصواب انه مبتدأ وقرأ ابن عباس ويقول الراسخون وقرأ ابن مسعود وان
تاويله الا عند الله والراسخون الراغب الراسخ في العلم المتحقق به الذي لا تعرضه شبهة
والراسخون هم الموصوفون بقوله الذين آمنوا بالله ورسله ثم لم يرتابوا **كل من عند**
ربنا من جملة المقول جعلت كانها مستقلة بالقول ولذا لم يشرك بينهما حرف العطف
او جعلا ممتزجين في القول لامتزاج الجملة الواحدة واضافوا العندية الى الرب ونسابه
اسمايه تعالى لما فيه من الاشعار بالنظر في مصلحة عباده فلولا ان في المتشابه مصلحة لجعله
كله محكمًا **وما يذكر الا اولوا الالباب** ابن عطية اي ما يقول هذا ويؤمن به ويقف عن اتباع
المتشابه الا ذوو لب الراغب اللب العقل الخالص من الشوايب وسمي بذلك لكونه خالص ما في الانسان
من قواه كاللباب وقيل هو ما زكى من العقل فكل لب عقل وليس كل عقل لبًا ولهذا علق الله
الاحكام التي لا تدركها الا العقول الزكية باولي الالباب قال غيره ولم يستعمل مفرده في القرآن
لثقله في الادغام **ربنا** من تمة مقولهم **لا تزغ قلوبنا** قرئ بفتح التاء ورفع القلوب وهو من
باب لا ارينك ها هنا اي لا تزغها فتزيغ **بعد اذ هديتنا** اي بعد وقت هدايتك ايانا
وقيل اذ زايدة وقيل بعد زايدة ولما كان تطهير القلب عما لا ينبغي مقدما على تنويره بما ينبغي سالوا
اولا ان لا يجعل قلوبهم مايلة عن الحق الى الاباطيل والعقايد الفاسدة ثم طلبوا ان ينور
قلوبهم بانوار المعرفة وجوارحهم واعضاءهم بزينة الطاعة فقالوا **وهب لنا من لدنك رحمة**
بي لطاية للاحسان الدنيوي والاخروي الوجيان سالوا بلفظ الهبة المشعرة بالتفضل والاحسان
من غير مقابلة وختم بقوله **انك انت الوهاب** بصيغة المبالغة اشارة الى سعة كرمه ورحمته
وان المطلوب يسير في جنب هباته الجزيلة الطوفي هو من كلام الحق على التقدير **ربنا انك جامع**
الناس ليوم لا ريب فيه من تمة دعائهم للاشارة الى ان غرضهم من سؤال الرحمة ليس الدنيا
فقط بل الاخرة التي هي المقصود الاهم وسال الظهر خزي اهل الزيغ وعز اهل الرسوخ وفرق
بحشرهم جامع وغضب الناس **ان الله لا يخلف الميعاد** هو من كلامه تعالى لا من كلام الداعين اتى به
كلامهم كعادة البيع في البديع حشو التمهيد ونظيره قوله تعالى حكاية عن بلقيس ان الملوك اذا دخلوا
قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ثم قال تعالى وكذلك يفعلون فهذه الجملة من كلامه تعالى
اكد الكلام بلفظ المتكلم ثم كلامها وبهذا يعرف الفرق بين هذه الآية وبين قوله في آخر السورة
حكاية عن المؤمنين ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد حيث
اتى هنا بالغيبة وهناك بالخطاب فان ذاك من تمة كلام المؤمنين خطابا لمولاهم وهو قال

بيان
يكون

ان الجلة

ان الجملة مقام تمة دعاء الراسخين اجاب في الفرق باجوبة احدها ان اول السورة قد
تقدم فيه ذكر الله واوصافه مرة بعد اخرى صريحا ولم يتقدم ذكر الكناية الثاني ان اتصال
هذا الموضع بما قبله معنوي وتقديره فقال ربنا وهو المطلوب بقوله ربنا انك جامع الناس
ليوم لا ريب فيه واتصال ذلك الموضع بما قبله لفظي ومعنوي لتقدم لفظ الوعد في قوله
ما وعدتنا فهو اشد في الاتصال مما هنا فحسن مجيئه هناك على سنن واحد والعدول هنا
الى الغيبة الثالث ان هذه الآية في بيان الحشر والنشر ليستوفي المظلومون من الظالمين
فهو مقام الهيبة فكان ذكره باسمه الاعظم ابلغ وهناك لطلب العبد من ربه ان ينعم عليه بفضله
ويتجاوز عن سيئاته فكان مقام التقرب والتعطف والخطاب به اليق **ان الذين كفروا** الاصبهاني
لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عقابهم **لن تغني** قرئ
بسكون اليا وبالتحتية مفتوحا وساكنا **اموالهم** قدمت على الاولاد في هذه الآية وما شابهها
لانها ابلغ في الدفع من الاولاد **هم وقود** قرئ بضم الواو في الجمهور مبالغة كانهم نفس
لها وقود النار هو حصر مجازي **كداب** خبر محذوف اي داءبهم وهو العادة المستمرة
وابائهم على حالة واحدة وقرئ بفتح الهمزة **آل فرعون** خصهم بالذكر لان الكلام مع بني اسرائيل وهم
يعرفون ما جرى لهم حين كذبوا موسى **كذبوا** تفسير للداب **باياتنا** فيه التفات **فاخذهم** فيه
التفات عن التكلم في باياتنا قال الكرماني ونكتته انه لما عدل في قوله ان الله لا يخلف الميعاد عن
الخطاب الى الغيبة عدل هنا ليكون الكلام على منهاج واحد واستعير الاخذ للعقاب لان
المعاقب كالماخوذ الاسير الذي لا يقدر على التخلص **والله شديد العقاب** الطوفي هذا
لقوله فاخذهم الله بذنوبهم لان ذنوبهم سبب اخذهم بالعقاب **قل للذين كفروا** الاصبهاني وجه
اتصالها انه بين في الآية المتقدمة ما حل بالمكذبين فكما نزل بالقوم العذاب المعجل ثم يصيرون
الى دوام العذاب كذلك ينزل بمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم امران احدهما المعجل وهو القتل
والسبي والاذلال ثم يكون بعده المصير الى العذاب الاليم **ستغلبون** من قرا بالتاء فالامر
واقع على هذه اللفظة ومن قرا بالياء فهو واقع على المعنى اي قل لهم ما يكون هذا معناه ويحتمل
ان يكون تقديره قل للذين كفروا ان الذين كفروا سيغلبون **وبئس المهاد** اما من جملة المقول
او استيناف من كلامه تعالى **قد كان لكم آية** لم يقل كانت والآية مؤنثة لانه ردها الى البيان
اي قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ والخطاب لليهود وهم الذين كفروا في الآية
قبلها كما بينه سبب النزول **فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة** فيه احتباك اي فئة مؤمنة
تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت وقرئ فئة وكافرة بالجر على
البدل وبالنصب على المدح والذم وقرئ يقاتل بالتحتية على تاويل الفئة بالقوم **ترونهم**
مثليهم بالتاء خطابا لليهود اي ترون الكفار مثلي المؤمنين فتقوى الضمير لف ونشر غير
مرتب وبالياء بلفظ الغيبة لليهود ايضا على طريقة الالتفات فالتفت القرآنان
والتفت احدى القراءتين للمؤمنين وللكافرين ليلايخالف قوله واذ يريكموهم اذ

الامر تبدل من الخطاب الى الغيبة لانها الاغلب واما آخر السورة فالمطلب الحكاية

القسم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم وما اجيب به عن جعلها كذلك من ان التقليل وقع اولا
والتكثير بعد الملاقاة خلاف الظاهر وقرئ بضم اوله مع التاء والياء **رأي العين** نصب
مؤكد دافع لاحتمال ان يراد رؤية القلب او رؤيا النوم **ان في ذلك لعبرة** حيث نصر المؤمنين
مع قلتهم على الكافرين مع كثرتهم وهم مثلاهم **زين للناس الآية** هذه الآية كالشرح والبيان للعبرة المذكورة
في الآية قبلها وقيل ان اليهود لما قالوا ما قالوا ورد عليهم بما سبق وكانوا متطيرين
بما خولوه من المال والسلاح والابناء بين تعالى في هذه الآية ان هذه الاشياء ونحوها من
متاع الدنيا الزائل الفاني وان الآخرة خير وابقى ثم وصف الجنة وما فيها وبين انها للذين اتقوا
ووصفهم بصفاتهم الجميلة وقال ابن برجان عرض تعالى في هذه الآية بان الحب لمتاع
الدنيا يورث حبها الجبن عن القتال وتغشية البصائر والهاء القلوب عن النظر في الآيات
والاعتبار بها وهذا يورث الاستعداد لحسن المآب انتهى وقرأ مجاهد زين بالبناء
للفاعل ونصب حب وفاعله ضمير راجع الى الله في قوله والله يؤيد بنصره من يشاء واما
قول ابن جني انه ضمير الشيطان دل عليه ما يتردد في القرآن من نحو قوله الشيطان
يعدهم ويمنيهم فانه تابع رأيه من الاعتزال فانه كان معتزليا واوقع التزيين على
حب الشهوات لم تزين غالبا الا لواجدها فان كان ايقاعه عليها اعم لواجدها
وفاقدها قاله ابن برجان وقال الاصبهاني وجعل الاعيان التي ذكرها من النساء وما
بعدها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا عليها وان فالشهوة توقان النفس
اليها والحاجة او لانه نبه بذكرها ليعرفوا ولانه في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات
لا غير مقتصر بها بهذه الاعيان فيكون اقوى في تخسيسها واذل على فهم مستعظميها ترك(؟)
عليها وقدم النساء لان جهتهن اشد والانتفاع بهن اكثر والاستيناس بهن اتم وخص
البنين من الاولاد لانهم احب الى الآباء منهن كما هو معروف وقدمهم على الاموال لان
حب الانسان ولده اكثر من حبه ماله بخلاف ما اذا ذكرا في معرض الاشتغال والدفع
فان الاموال تقدم كما سبق وقدم الذهب على الفضة لانه ارجح منها واعلى قيمة وقدما
على الخيل وما ذكر بعدها لانهما اعم نفعا وقدم الخيل على الانعام لانها اشرف ولصاحبها اعز
والانعام على الحرث لانها اجمل لصاحبها ولم يجمع الحرث لانه في الاصل مصدر ولما ذكر في هذه
الآية ستة انواع من متاع الدنيا قابلها بستة من امور الآخرة الجنات والانهار والخلد
والازواج والتطهير والرضوان كذا قال بعضهم **قلت** واحسن منه ان يقال ان الآية
الاولى اشتملت على ذكر جميع متاع الدنيا والجنة شاملة لذلك لان فيها جميع المطالب كما قال
وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فدخل فيها جميع النعم من المطعم والمشرب والملبس والمركب
والمنكوح الكثير نوعا وقدر(؟) هذا في قوله وازواج من باب عطف الخاص على العام للاهتمام به
ولمعونها(؟) بالتعريض بنساء الدنيا من التطهير الشامل لجميع الاحوال الذميمة التي في النساء من
الحيض والنفاس والاقذار وسوء العشرة ولما كان قوله في الآية الاولى ذلك متاع الحياة

الدنيا

٢ ذو ربنا الشهوات نفسها لان ذكر المبلغ اذ لو وقع(؟) على من الشهوات ح

أي

الدنيا مشعرا بالزوال والفناء في مقابلته بقوله خالدين فيها ولما كان قوله زين للناس حب
الشهوات مشعرا بانها غير مرضية عند الله اتى في مقابلته بقوله ورضوان من الله واتى في
مقابلة قوله للناس بقوله للذين اتقوا فانظر الى هذه المقابلات العظيمة والانسب بها في
اؤنبئكم للتسهيل وفي خطابه التفات وفي قراءة جنات بالجر بدلا من خير فلام الذين
متعلقة به والتنكير في رضوان للتعظيم والقراءة بكسر الراء لغة الحجاز وضمها لغة تميم
وقال ابن برجان وصف تعالى الشهوات بوصف فيه فخامة وللتشويق اليه التفات
لنكتة وهي ان الغرض الترغيب في شهوات الآخرة وهي موصل بين فرشين وعظم
امر المطلوب ودفع تقدره فالمراد في ذلك تدرجه الغالب واظهار فضله **والله بصير
بالعباد** الحوفي مناسب لما في الآية لان المعنى انه تعالى عالم بمن يستحق الجنات ونعيم
الآخرة فيوفقه لها بالتوفيق والصلاح **الذين يقولون** تابع للذين اتقوا **الصابرين**
الآية عطف الصفات بالواو وذلك لانه على كمالهم في كل واحدة منها وعلى انفكاكات فيه ولعله
من هذه الخصال فهو داخل تحت هذا المدح مستوجب لهذا الثواب والاطلاق في الصبر
والصدق والقنوت والانفاق ليعم جميع وجوهها وخص الاستغفار بالاسحار
لانه افضل الاوقات وانجحها والسحر الوقت الذي قبل طلوع الفجر قاله الزجاج و
غيره وقيل من ثلث الليل الآخر الى الفجر وقيل من آخر الليل متصل بما بعد الفجر الى الاسفار و
اصله الخفاء للطفه **شهد الله** لما مدح تعالى المؤمنين واثنى عليهم اردفه بدلائل
ظاهرة تدل على فضلهم وكمالهم واصل الشهادة الحضور ثم نقل الى الاخبار عما تقرر
علمه في النفس وقيل شهادة الله عبارة عن خلقه الدلائل الدالة على توحيده وشهادة
الملائكة واولي العلم عبارة عن اقرارهم بذلك شهدت دلائله على وحدانيته افعاله
اي صلة وبما اوحى من آياته بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة
واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه فيكون في قوله شهد الله استعارة تبعية مع
بان حقيقته قطعية المراد [illegible] ذكر سبحانه شهادته على سبيل التعظيم لشهادة من
ذكر بعده كقوله قل الانفال لله والرسول المؤرخ شهد الله يعني قال الله بلغة قيس غيلان
وقرئ شهداء بالنصب مفعول فانه بدل من الجلالة اي شهد الوحدانية الله ورفع الملائكة
على هذه القراءة على الابتداء والخبر محذوف اي يشهدون وقرئ شهداء الله بصيغة الجمع
ولام الجر كقوله قوامين بالقسط شهداء لله وهو بالنصب حال من الضمير في المستغفرين
اي يستغفرونه شهداء بانه لا اله الا هو وذكر غاية الارتباط وبالرفع على اضمارهم وفي ثلثه
بالوجهين والاضافة الى اسم الله وقرئ مع المثنى والهاء جميع شهيد لكثير وندر(؟)
لله انه مرفوعا ومنصوبا فهذه سبع قراآت **انه لا اله الا هو** قدم المفعول فاصلا بين المعطوف
والمعطوف عليه ليدل على الاعتناء به وقيل تفاوت درجة المتعاطفين بحيث لا يتسعان
متجاورين وقرئ انه بالكسر اجراء لشهد مجرى قال لان الشهادة في معنى القول او على ان

معمول شهد ان الدين عند الله الاسلام وما بينهما اعتراض وقرئ ان لا بحذف الضمير والتخفيف
والملائكة قدمهم على اولي العلم من البشر لانهم الملأ الاعلى وعلمهم كله ضروري بخلاف البشر
فان علمهم ضروري واكتسابي قائما حاليا وقرئ القائم بالرفع خبر مبتدأ لا اله الا هو الكرماني
كرره لان الاول جار مجرى شهادة الشاهدين والثاني جار مجرى حكم الحاكم بصحة ما شهدوا
ونقل ذلك الامام الاصبهاني وغيرهما وقال ابن برجان يمكن ان يكون التكرير لاجل عظم
الشهادة كما كررت في الاذان وكما جاء ذكر الصلاة مكررا في صدر سورة المؤمنين وسورة المعارج
اشعارا بتعظيمها الراغب كرره لان صفات التنزيه اشرف من صفات التمجيد لان اكثرها
مشارك في الفاظها العبيد فيصح وصفهم بها ولهذا وردت الفاظ التنزيه في حق اكثر
والمبدع ما وصف به من التنزيه لا اله الا هو فكررها لانه يتركون الثاني قطعا للحكم كقولك
اشهد ان زيدا خارج وهو خارج والثاني ليلا يسبق بذكر العزيز الحكيم الى قلب السامع تشبيه اذ
قد يوصف بها المخلوق فاتى العزيز الحكيم وصفان بمعنى القدرة والعلم مقرران لما قبلهما فانه
تعالى لما ذكر التوحيد والقيام بالعدل اردفهما بذلك على وجه التكميل والتوكيد ليدل
قوله لا اله الا هو على التوحيد الصرف وقائما بالقسط على انه تعالى يجري الامور كلها على الاستقامة
والسداد وقدم العزيز على الحكيم لان العلم بكونه قادرا متقدم على العلم بكونه عالما في طريق
المعرفة الاسنوي ايضا الطف في الختم بهما مناسب لقوله قائما بالقسط اذ لا يقدر على القيام
بالقسط الا من اجتمع له العزة والحكمة والحكم فالحكمة تعلم القسط ووضع الاشياء مواضعها
وبالعزة والحكم ينفذ ذلك ان الدين عند الله الاسلام قرئ بفتح ان بدل اشتمال من انه او
معمول للحكيم وبكسرها جملة مستأنفة مؤكدة وما اختلف الاصبهاني المقصود من الآية بيان
ان الله اوضح الدلائل وازال الشبهات والقوم ما كفروا الا بغيا وعنادا ابن برجان هذا
اخبار منه تعالى ان اول وجوب الشهادة اجماع واتفاق على دين الاسلام وان ما حدث
من الاختلاف حادث بعد انعقاده تلك وانظر الى هذا التخلص العظيم فان الكلام
لما كان اولا في اهل الكتاب واستطرد منه الى وصف متاع الدنيا ثم حال الآخرة وانها
للذين اتقوا ثم وصف حالهم واتبعه بذكر الشهادة تخلص بذكر اختلاف الذين اوتوا
الكتاب في الدين ليعود الى الكلام فيهم الذي كان فيه اولا ولهذا قال عقبه فان حاجوك
الى آخره الطوفي سريع الحساب مناسب لقوله ومن يكفر لانه اشارة الى الوعيد على
الكفر فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله الامام في كيفية ايراد هذا الكلام طريقان
احدهما انه اعراض عن المحاجة اذ قد اظهر لهم الحجة على صدقه قبل نزول هذه الآيات
بالمعجزات من القرآن وغيره وقد ذكر قبل هذه الآية الحجة بقوله الحي القيوم على فساد
قول النصارى في الهية عيسى وبقوله نزل عليك الكتاب على صحة نبوته وذكر شبه القوم
والجواب عنها وذكر معجزة اخرى وهي ما شاهدوه يوم بدر ثم ثنى القول بالتوحيد بقوله
شهد الله والثاني انه اجابه بالدليل وذلك انهم كانوا مقرين بالصانع واستحقاقه للعبادة

فكا

فكأنه قال انا متمسك بهذا القول المتفق عليه والخلاف فيما وراءه وعلى المدعي الاثبات
ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت ولم يؤكد لطول الفصل ويجوز ان يكون مفعولا معه ذكره جماعة
أأسلمتم استفهام بمعنى الامر عبر به ليكون دالا على معاندة المخاطب ومعناه انه قد اتاكم
من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وقد
يعبر عن هذا الاستفهام بمعنى الامر بالاستقصار اي الغباوة في التقصير كقوله فهل
انتم منتهون لما فيه من الاستبعاد بالتقاعد عن الانتهاء والحرص على التعاطي المنهي عنه فان تولوا
فانما عليك البلاغ فيه طباق والله بصير بالعباد وعد لمن اسلم ووعيد لمن تولى ان الذين يكفرون
هم اهل الكتاب ذكر لهم ثلاثة اوصاف مقدما فيها الاعظم فالاعظم ثم عقبها بثلاثة اوجه
من الوعيد البشارة بالعذاب الاليم وهو مسبب الاول من المذكورات وهو مقابل للكفر
لانه اعظم ما بعده وحبوط الاعمال ثم نفي زوال الناصر عنهم بالكلية وهو مقابل لقتل
الانبياء والثالث وقوع ذلك في حقهم على وجه لا يكون لهم ناصر ولا دافع كما لم يكن للآمرين
بالقسط من ينصرهم حين قتلوهم وقرأ الحسن يقتلون الاول بالتشديد وحمزة الثاني
يقاتلون والاعمش وقاتلوا الذين وأبي والذين يأمرون ابو حيان جاء هنا بغير
حق وفي البقرة بغير الحق لان الجملة هنا اخرجت مخرج الشرط وهو عام لا يخصص فناسب
ان يكون المنفي بصيغة التنكير حتى يكون عاما وفي البقرة جاء ذلك في صورة الخبر عن ناس
معهودين فناسب صيغة التعريف لان الحق الذي كان يستباح به قتل الانفس عندهم
كان معروفا لقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فالحق هنا معهود معروف بخلاف
ما في هذه السورة قال وهذه اللفظة من الحشو الحسن لانه لا يقتل نبي قط بحق وانما اتى
به ليتأكد قبح قتل الانبياء ويعظم امره في قلب العازم عليه وقال ابن قتيبة على انهم
غير الانبياء الذين تقدم ذكرهم وما لهم من ناصرين ابو حيان مجيء الجمع هنا احسن من مجيء زائد
لانه رأس آية ولانه بازاء من للمؤمنين من الشفعاء الم تر الاصبهاني لما نبه تعالى على عناد القوم
بقوله فان حاجوك بين في هذه الآية غاية عنادهم وتم لاستبعاد توليهم بعد علمهم ان
المدعو اليه كتاب الله وان الرجوع اليه واجب ليحكم بينهم ليفعل والمعمول وهم معرضون
اي ذلك تولوا لا يزال الاعراض ديدنهم فكيف لما ذكر تعالى واغترارهم بما هم عليه بين
الجهل بين انه سيجيء يوم يزول فيه ذلك الجهل وينكشف فيه ذلك الغرور وفي الكلام حذف
اي فكيف حالهم او فكيف يصنعون وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل له وانهم يقعون
فيما لا حيلة في دفعه ولا مخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون
اللهم قيل انه الاسم الاعظم وقيل اصله يا الله امنا بخير فحذفت الهمزة والعين حرفه على ما
قبلها لكثرة استعماله مالك الملك تؤتي الملك لم يقع تؤتيه مع انه اخصر لان الملك الاول
عام والثاني بعض لان الملك الذي يؤتاه الناس ليس كل الملك الذي له ما لك فمعنى الاول
من تشاء اي الذي يشاء الملك وكذا ما بعده وفي الآية طباق في تؤتي وتنزع وتعز وتذل

وتولج وتخرج والليل والنهار والحي والميت فهذه خمس طباقات وفي الآية الثانية النوع
المسمى في البديع بالعكس [illegible] في موضعين وفي قوله بيدك الخير
اختصار اي لا بيد غيرك ومجاز استعيرت اليد للقدرة واكتفاء اي والشر ونكتته
التأدب بعدم التصريح باضافة الشر اليه وكون الخير هو الاغلب والافضل اي عطيه حض
الخير بالذكر لان الآية في معنى دعاء ورغبة فكان المعنى بيدك الخير فاجزل حظي منه الراغب
لما كانت في الحمد والشكر لا يحسن ذكر الخير اذ هو المشكور عليه ثم لما كان قد يتوهم خروج
الشر عن قدرته اردف بما يدل على دخوله فيه كغيره فقال انك على كل شيء قدير فهو تكميل
واحتراس وقال الطوفي الختم به مناسب للافعال المذكورة في الآية اذ لا يقدر عليها
الا كامل القدرة غاية ثم اردفه بقوله تولج الى اخره الدال على قدرته الباهرة فهو كالتقرير
لقوله انك على كل شيء قدير وختم بقوله وترزق من تشاء بغير حساب دلالة على ان القادر
على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام القادر بان يرزق من يشاء بغير حساب قادر
على ايتاء الملك من يشاء من عباده وهم هذه الامة ونزعه من الكفار خلاف ما استبعده
المنافقون وقال ابن برجان ظاهر تلاوة هاتين الآيتين اقرار وايمان بانفستنا
وحشاها الدعاء لان قوله اللهم مالك الملك دعاء لا محالة وسؤال باسم مقتض لمعنى المسؤول
فكان المعنى يا مالك الملك آتنا منه الامة الملك وانزعه من ايدي اعدائنا واعزنا واذلهم
فانه بيدك الخير وانت على كل شيء قدير وكما تولج الليل في النهار والنهار في الليل تدل هذا
على هذا وهذا على هذا قال وكان يحسن على ظاهر الدعاء ان تختم الآية الاولى بما ختمت
به الثانية وبالعكس لكنه لما عرف المشيئة في الاولى ظاهرا ختمها بوصف القدرة ولما عرف
القدرة ظاهرا في الثانية ختمها بوصف المشيئة انتهى قلت يدل لما ذكره من الدعاء ما ورد
في الحديث ان اسم الله الاعظم في هذه الآية او في هذه الآية الطوفي الفاصلة مناسبة لقوله
وتخرج الحي من الميت لانه اخبر انه يخرج المرزوق وهو الحي فناسب الاخبار بانه يرزق
اذ لا يستغني الحي عن رزق والقراءة في الميت بالتخفيف والتشديد لا يتخذ الاصفهاني
لما ذكر ما دل على كمال قدرته بين ما يجب على العبد في المعاملة مع الناس لان كمال الامر
في شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والفضائل بين انه مالك الدنيا والآخرة
بين انه ينبغي ان تكون الرغبة فيما عنده ولا يتم ذلك الا بموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه
وقرئ بالرفع على النفي والمراد به النهي تتقوا فيه التفات ونكتته اللطف بالمؤمنين
حيث لم يواجهوا بالنهي وذو وجهوا بما فيه مسامحة منهم تقاة اتقاء مصدر في مقام
الاتقاء لان العرب تجعل مصدر احد الكلمتين المتقاربتين على مصدر الاخرى وفي
قراءة تقية بوزن مطية مصدر على فعيلة ويحذركم الله نفسه اي بطشه وعقوبته او اياه
والنكتة في ذكر النفس تأكيد التهديد وتشديد الوعيد والى الله المصير مناسب
للتحذير لان وقوع المحذر منه انما يكون كاملا عند مصيرهم اليه قل ان تخفوا الآية

الاصفهاني

الاصفهاني لما نهى عن اتخاذ الكافرين اولياء ظاهرا وباطنا واستثنى التقية في الظاهر اتبعه بالوعيد
على ان يصير الباطن وقت التقية على وفق الظاهر وبين ان الله يعلم الظواهر والبواطن
ويعلم كل المعلومات فلا يخفى عليه شيء مما اضمره العبد ثم اتبعه بقوله والله على كل شيء قدير
اتماما للتحذير ببيان القدرة فان قلت لم قدم الاخفاء على الابداء هنا وعكس في
آخر البقرة قلت لم ار من تعرض لذلك ويمكن ان يقال لما كانت الآية هنا عقب التحذير
من الموالاة والحث على تمام اعمال القلوب ناسب الابتداء بالاخفاء وآية
البقرة عقب التحذير من كتم الشهادة واداء الشهادة من اعمال اللسان فناسب الابتدا
بالابداء وجعل ابو حيان ذلك من باب التفنن وكذا قوله هناك ما في انفسكم وهنا ما في
صدوركم الطوفي في قوله والله على كل شيء قدير في بادي الرأي غير مناسب لما
في الآية من قوله يعلمه الله ويعلم لان هذا يقتضي ان تكون فاصلته والله بكل شيء عليم
يكم غير انه مع النظر مناسب بتقدير محذوف اي يعلم ما تخفون وما تبدون فيجازي
عليه ثوابا وعقابا وهو قادر على جزائكم لانه على كل شيء قدير ولا شك ان المجازاة
تحتاج الى قدرة وتحقيق ذلك انه في سياق الوعيد على موالاة الكفار يوم تجد
قيل العامل فيه اذكر وقيل اتق وقيل يحذركم وقيل المصير وقيل قدير وخص
اليوم وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة الله تفضيلا له لعظم شأنه كقوله
مالك يوم الدين محضرا قرئ بكسر الضاد اي محضرة الجنة وما يحتمل العطف والاستئنا
تود قرئ ودت ويحذركم الله نفسه الاصفهاني كرره تأكيدا للوعيد ليكون على بال
منهم لا يغفلون عنه وقال الكرماني لان الاول وعيد عطف عليه وعيد فان
قوله والى الله المصير معناه مصيركم اليه والعقاب معد لديه فاعاده في الآية الثانية
ليستدرك بوعد وهو قوله والله رؤوف بالعباد وفي كشف المعاني الاول في سياق
ير الوعيد والثاني في سياق حذر التفويت للخير والله رؤوف بالعباد الطوفي مناسب للتحذ
لان من حذرك نفسه فقد رأف بك حذره حيث نبهك على جهة الحذر لتحذر ابو حيان
لما ذكر صفة التحذير ذكرها وكان ذلك من عجائب القلوب ذكر صفة الرحمة من باب اتباع
الوعيد بالوعد وجاءت جملة الوعد اسمية لتكون ابلغ من جملة الوعيد الفعلية وجاء
متعلقه اعم ليدل على الاحسان التام قل ان كنتم تحبون الله قال ابن برجان قرب
معنى الولاية من معنى المحبة ثم بها وقرئ بفتح اول الفعلين من حب لغة وقرئ يحبكم
بالفتح والادغام وقرئ فاتبعوني بتشديد النون الحق الامر نون التوكيد وادغمها
في نون الوقاية ولم يحذف الواو ونبه باتحاجوني والله غفور رحيم مناسب لما
قبله من ذكر المغفرة قل اطيعوا الله الآية هذه كالشرح للآية قبلها لان معنى
ع محبة الله الايمان به وطاعته وطاعة رسوله وتعظيمه فان تولوا يحتمل الماضي والمضارع
فان الله لا يحب الكافرين اوقع الظاهر موقع المضمر بيانا للكفر تخطيئا لشأنهم ان الله

اصطفى الاصحاء في لما بين ان محبته لا تتم الا بمتابعة الرسول بين علو درجات الرسل
ومزيتهم **قلت** هذا مطلع قصة عيسى وابتدا خلقه المقرر للرد على النصارى فيما ادعوه
واصطفى من الصفوة كاصطنع من الصنعة واصطبر من الصبر فيه زيادة مبالغة لان
زيادة البنا تدل على زيادة المعنى والصفوة الخلوص من كل دنس آدم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران في الاقتصار على هذه الاربعة وترتيبهم على هذا النسق ما لا يخفى
من البلاغة لان آدم ابو البشر واول الانبيا ونوحا اول الرسل وجميع الخلق بعده من ذريته
وابراهيم ابو الانبيا وجد بني اسرائيل وعمران ابو عيسى وعيسى هو المقصود ذكره فبدأ
باصطفا اجداده مقدما الاعلى ليعلم انه خيار من خيار من خيار وقيل المراد عمران من خيار
ابو موسى وهارون وهو ايضا من اجداد عيسى لكن الاصح في دونه الاول ذكره
اذ قالت امرأة عمران على اثره ان جاعة ادخل آل في عمران لانه لم يكن نبيا وانما
الانبيا من ذريته وفي ابرهيم للاشارة الى كثرة الانبيا في نسله او كثرة من تبع ملته
دون آدم ونوح لانهما المقصودان بانفسهما وقرأ ابن مسعود وآل محمد على العالمين
ذرية قيل نصب على البدل وقيل على الحال وقيل على المدح الراغب الذرية اصلها الصغار
من الاولاد ثم صار يطلق على الصغار والكبار معا زاد الزمخشري خصوصا ويطلق على الآبا لان
الاب ذري منه الولد اي خلق فكان ذرية لولده كما ان الولد ذري من ابيه قال
ومن استعماله في الآبا قوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون اي اباهم
قال ومنه هذه الآية حمل آدم ومن ذكر معه ذرية للابنا وتبعه الى ذلك صاحب النظم
الراغب فالذرية تقال للواحد والجمع والاصل والنسل ومنه حملنا ذريتهم اي
آباءهم ابن جني قراءة الكافة بضم الذال وقرئ بكسرها ونحوها فعلية من الذري مصدر
ذرأ الله الخلق او من الذر لان الخلق كانوا في العدم كالذر والله سميع عليم الطوفي
مناسب لما قبله فكانه بين به وجه اصطفائهم لانه سميع لاقوالهم عليم بصحة مقاصدهم
ونياتهم فكان ذلك سببا لاصطفائه لهم اذ قالت الاصحاء في لما كانت الآيات مسوقة
لمحاجة نصارى نجران معلمة بصورة الامر الذي ضلوا فيه ومبينة لحقيقته ابتدأ
بذكر اصطفاهم ثم آل المذكورين الذين آل عمران منهم ثم ذكر قصصا كثيرة فالقصة الاولى
قصة ام مريم لان المقصد وصف قصة القوم الى ان يبين امر عيسى فتقبل التقبل
اخذ الشي على الرضى به في كل حال انك انت السميع مناسب للنذر لانه لا بد فيه من قول
مسموع وقصد معلوم وضعتها اي ضمير ما حملا على المعنى قالت رب اني وضعتها
انثى اعتذار الى الله وتحسر على خيبة رجائها والله اعلم بما وضعت المراة بنا المتكلم
على انه من كلام ام مريم اخبارا بان ما قالته قبله اعتذار وتحسر لا اعلام تعالى
الله عن ذلك وتسلية لنفسها كانها تقول ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى
خير من الذكر وبنا التانيث الساكنة في جملة اعتراضية من كلام الله تعظيما لولدها

بلغ

وتجهيلا لها بقدر ذلك الموضوع اي والله اعلم بالشي الذي وضعته وبما علق به من عظائم الامور
وان جعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك وقرئ بكسر التا خطابا من الله لها
وليس الذكر كالانثى من كلام ام مريم اي ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لانها لا تصلح
لخدمة المسجد الذي نذرت الذكر لها وادخال الكاف على الانثى لانه في معرض السلب والقاعدة
دخولها على الاعلى في المدح وعلى الادنى في ضده وكذا في السلب ومنه يا نسا النبي لستن
كاحد من النسا اي في النزول ام نجعل المتقين كالفجار اي في سو الحال وكذا امثاله وقيل
الجملة من كلامه تعالى اعتراضية اي ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لما حوته هذه
من التعظيم والآيات والفضل الذي لم يحوه الذكر الذي قدرت حصوله فالكاف داخلة على
الاعلى لانه مقام المدح واني سميتها مريم ذكرته لانها لان مريم في لغتهم العابدة فارادت
بذلك التقرب الى الله وطلب ان يعصمها ليكون فعلها مناسبا لاسمها ولهذا اتبعته طلب
الاعاذة لها ولذريتها واني اعيذها عبر بالمضارع لقصد الدوام والاستمرار بخلاف
وضعتها وسميتها لانهما ماضيان قد انقطعا فتقبلها ربها قرئ بصيغة الامر ونصب ربها
على الندا وكذا انبتها وكفلها قرئ بصيغة الامر بقبول مصدر وضعه موضع تقبل ونظيره
الولوع والطهور والوضو ولا خامس لها وقياسها الضم والبا قبل زائدة اي قبولا وقيل سببية
والتقدير بامر ذي قبول وقيل معنى تقبلها استقبلها الاصحاب انما قال فتقبلها لان ما كان من
باب التفعل يدل على شدة اعتنا الفاعل بالفعل كالتعبد والتجلد فالتقبل يفيد المبالغة في
اظهار القبول ولم يقل فتقبلها حتى يصير المبالغة الكل لان التقبل وان ادى الى ما ذكر الا انه
يفيد نوع تكلف على خلاف الطبع اما القبول فانه يفيد معناه على وفق الطبع فذكر التقبل
ليفيد الجد والمبالغة ثم ذكر القبول ليفيد ان ذلك ليس على خلاف الطبع بل على وفقه وهذه
الامور وان كانت ممتنعة في حق الله الا انها من حيث الاستعارة للدلالة على حصول العناية
العظيمة وانبتها نباتا حسنا مجاز من التربية الحسنة واقام نباتا مقام انبات وقيل التقدير
فنبتت نباتا وكفلها بالتخفيف ورفع زكريا والتشديد ونصبه اي ضمها الله اليه وجعله كافلا لها
وقرئ واكفلها وكفلها بكسر الفا لغة والقراءة زكريا بالمد والقصر ان الله يرزق من يشا بغير حساب
يحتمل ان يكون من كلام مريم وان يكون من كلامه تعالى وهو مناسب لما في الآية من وجدان الرزق
هنالك اصله للمكان واستعير هنا للزمان وفيه اشعار بالسببية **قال** تفسير لدعا
ان برهان جاد كرسوال زكريا ربه على اوجه من الخطاب متفقة في المعنى فهنا رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعا وفي مريم اني وهن العظم مني الى قوله واجعله رب
رضيا وفي الانبيا رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين ومجي ذلك مختلفا يدل على تكرار ره
ففيه اشارة الى التكرار والالحاح في الدعا قلت وقد يكون دعا مرة مختصرا في غير بالدعا
متنوعة كما هو عادته في كثير القصص البرهان دعا بلفظ رب لانه مربيه ومصلح حاله
وبلفظ هب لان الهبة احسان محض لا في مقابل الراغب استعمال الطيب في الصالح كاستعمال

للجنب في صدره في ان في التلفظ زيادة على معنى صايح والفاصلة مناسبة لما في الآية من الدعا
والسماع فكني به عن الاجابة فنادته الملائكة وفي قراءة فناداه بالتذكير والمراد جبريل وحده
كما قرا ابن مسعود فناداه جبريل من العام المراد به الخصوص قيل والنداء يستعمل في التشهير وفيما
ينبغي ان يسرع به وتحقيقه في نفس السامع ليسره به ان الله بالكسر على اضمار القول والفتح على
اضمار البا وقرا ابن مسعود قبله يا زكريا يبشرك في القراءة من مضارع بشر عشرة مواضع
ثبت في السبع بالتخفيف والتشديد الا الاول في الحجر فبم تبشرون فاتفقوا على التشديد
وقرئ هنا ايضا بالضم مخففا من أبشر بيحيى قال ابن برجان في اسمه اشارة الى كونه يقتل شهيدا
لان الشهدا احيا عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة اي بعيسى سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن وحدها
من غير اب وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام وسيدا اي متبوعا لقومه ذكره في مقابلة قوله يرثني
ويرث من آل يعقوب وما بعده في مقابلة قوله واجعله رب رضيا وذكرت الصفات على وجه
الترقي قال رب انى يكون لي غلام استبعاد فان قلت ما وجه سؤاله ذلك مع طلبه الولد
وعلمه بقدرة الله اجيب بانه تعالى الهمه السوال ليجاب بما اجاب به من الحكمة فيستفاد وقد
بلغني الكبر قيل هو من باب القلب اي بلغته كما قال في آية اخرى وقد بلغت من الكبر وقال
الراغب اذا بلغت الكبر فقد بلغك الكبر وامراتي عاقر اخر ذكر المراة هنا وقدمه في سورة
مريم لتناسب رؤوس الآي وايضا فلما قدم ذكره هنا اولا بقوله وهن العظم مني وكانت امراتي
عاقرا اخره ثانيا تفننا في الفصاحة قال الماتريدي لا يراعي الالفاظ في الحكاية انما يراعي المعاني
المدرجة في الالفاظ ابو حيان جات جملة الكبر فعلية لانه يتجدد شيئا فشيئا وجملة المراة اسمية
لان كونها عاقرا [gap] امر لازم لها قال كذلك اي الامر كذلك اي كما ذكر من خلق غلام منكما فهو
خبر مقدر وقيل خبر والله يفعل مبتدا اي الله على هذه الصفة ويفعل ما يشا بيان له وقيل
موصفة مصدر محذوف اي يفعل ما يشا فعلا مثل ذلك وقال ابو برجان الكاف للتشبيه
والتسوية بين الحكمين والاشارة لما عند زكريا من العلم بالله وقدرته على كل ما اذا
شاء كونه على سنته الظاهرة يفعل ما يشا من ذلك بتوسط الاسباب وباطراحها
ثم اداه آية ذلك بقوله عنه في سورة مريم وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وكذا قوله
لمريم كذلك الاشارة الى علمها بقدرة الله الغايب انه عنده كالحاضر الموجود المعهود
فقوله كذلك اي هكذا هو عند ربك كالمعهود عندك انتهى قال رب اجعل لي آية اي علامة
اعرف بها الحبل لا لتطلبه شكا بل لتوقان النفس الى المطلوب ليعرف وقته حال حدوثه
قبل ظهوره عادة وليقابله بمزيد الشكر والاجتهاد في العبادة وجعل آيته حبس لسانه
من كلام الناس مع قدرته على الذكر من جنس الآية في ولادة امراته مع انها في سن العقر
الا تكلم قرئ بالرفع على ان ان مخففة رمزا وقرئ بفتحتين جمع رامز كرسول ورسل وبضمتين
جمع رامز كخادم وخدم والابكار مصدر ابكر وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر بفتحتين واذ عطف
على اذ قالت امراة عمران ابو حيان لما فرغ من قصة زكريا وكان قد استطرد من قصة مريم

اليها رجع الى قصة مريم وهكذا اساليب العرب والملائكة هنا جبريل وحده كما تقدم ودل
عليه سورة مريم وقرئ قال وتكريره قوله اصطفاك لان المراد اصطفاك اولا حين تقبلك
من امك ورباك مختصا ثانيا حال كبرك بما اكرمك من المعارف والفضائل والنبوة ان كانت نبية
وهو احد القولين ومال اليه السبكي يا مريم اقنتي الاصحاب في لنا بين تتالي انها مخصوصة بما
الاصطفا اوجب عليها من العبادات ابن الزملكاني المراد باقنتي اطيعي واسجدي صلي واركعي
اشكري كقوله فخر راكعا واناب ولم تشرع صلاة الا والركوع فيها مقدم وقال غيره قدم
السجود على الركوع لانه افضل اذ اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ولم يقل مع الراكعات
لان الاقتدا بالرجال افضل من الاقتدا بالنسا وللتغليب ولمراعاة الفاصلة وفي قراءة
ابن مسعود واركعي واسجدي في الساجدين ابن عطية الذي عندي في الآية ان مريم امرت
بفصلين ومعلمين من معالم الصلاة وهما طول القيام والسجود وخصا بالذكر لشرفهما
في اركان الصلاة وهذان يختصان بصلاتها منفردة والا فمن يصلي ورا امام لا يقال
له اطل قيامك ثم امرت بعد بالصلاة في الجماعة فقيل لها اركعي مع الراكعين وقصد هنا
معلم آخر من معالم الصلاة لئلا يتكرر لفظ ولم يرد بالآية السجود والركوع الذي هو منتظم
في ركعة واحدة ذلك اشارة الى ما تقدم من امر مريم وامها وزكريا ويحيى من انبا
الغيب نوحيه اليك تقرير لصدقه فيما اخبر به للقوم من الحجة على نصارى نجران
وقد [gap] اعاده ثانيا بعد قصة عيسى بقوله ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر
الحكيم وثالثا بعد ضرب المثل بقوله الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ورابعا بقوله
ان هذا لهو القصص الحق كل ذلك لتقرير الحجة عليهم بتصديق ما اخبر به القرآن وما كنت
لديهم اي لم تكن حاضرا مشاهدا لهم فتخبر بذلك انما علمته من جهة الوحي زيادة تقرير
ايضا ونفي لما نفيه معلوم ضرورة تهكما بالمنكرين والضمير فيه عايد على ضمير مذكور
بل لما دل عليه المعنى اي لدى المتنازعين كقوله فاثرن به نقعا اي المكان اذ يلقون
اقلامهم ينظرون ايهم يكفل والمضارع لحكاية الحال الماضية اذ قالت الملائكة لما ذكر
حال مريم في اول امرها شرح كيفية ولادتها لعيسى وقرئ واذ قال بكلمة منه
من لابتدا الغاية لانه لم يكن للاب واسطة بينه وبين الله ونظيره وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه اسمه ذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر المسيح عيسى ابن مريم
ذكره بلقبه ثم اسمه ثم نسبه ونسبه اليها مع ان الخطاب معها لان الابنا ينسبون الى
الآبا لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا اليها وذكره
مجموع هذه الثلاثة لان الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز
عمن سواه مجموع هذه الثلاثة ثم عقبه بصفاته الجميلة ابن الانباري بدا بلقبه لان المسيح
اشهر من عيسى لانه قل ان يقع على سمي يشتبه به وعيسى قد يقع على عدد كثيرة فقدمه لشهرته
الا ترى ان القاب الخلفا اشهر من اسمائهم قلت وفي هذا رد على النحاة حيث اوجبوا

تاخير اللقب عن الاسم عند اجتماعهما **ومن المقربين** الى الله وقربا كما قال وجيها لمراعاة
الفاصلة والقرب صفة جليلة عظيمة معناها علو المنزلة عند الله **ويكلم** اي ومكلما وجيء
بمثل الحال مضارعا للتجدد **المهد** اصله مصدر سمي به مقر الصبي في رضاعه **وكهلا** قيل هو
بشارة ببلوغه حد الكهولة اذ الكلام في الكهولة مما يتساوى فيه الناس وقيل بنزوله
لانه رفع في مبدأ الكهولة ويترك فيها ابو حيان المشهور في اللغة في ترتيب سن المولود
انه في الرحم جنين فاذا ولد فوليد وفي الاسبوع صديغ وفي مدة الرضاع رضيع
واذا فطم فطيم واذا دب دارج واذا سقطت اسنانه مثغور واذا عادت متغر
واذا جاوز العشر مترعرع وناشئ واذا قارب الحلم يافع ومراهق واذا احتلم
بالغ وحزور وهو في هذه الاحوال غلام واذا اخضر شاربه وسال عذاره واذا التحى
فتى وشارخ واذا كملت لحيته مجتمع وما دام الى الثلاثين شاب ثم كهل الى الخمسين ثم شيخ
ومن الصالحين ابن الانباري معناه من صالحي الحال عند الله الكرماني خص الانبياء بذكر
الصلاح لانه لا يتخلل صلاحهم خلاف ذلك الماتريدي الصلاح يتحقق في الانبياء من جميع
الوجوه وفي غيرهم لا يتحقق الا في بعضها **اني يكون لي ولد** وفي سورة مريم اني يكون لي
غلام لتقدم قوله لاهب لك غلاما زكيا **يخلق ما يشاء** وفي قصة يحيى يفعل ما يشاء لان قوله
لان امر عيسى ابدع واغرب فعبر عنه بالخلق الدال على الاختراع والابداع ثم رايت
ابا حيان ذكر مثل ذلك **ويعلمه** بالياء عطفا على يخلق وبالنون التفاتا وقال ابن عطية
هو عطف على وجيها وما بعده لان التقدير ومعلما ولهذا قال بعد ورسولا و
الجميع احوال وقال الامام التقدير في الاخير وبعثه رسولا الى بني اسرائيل قائلا
اني قد جئتكم **باية** وفي ثلاث ايات في موضعين **اني اخلق** بالكسر استئنافا او تفسيرا لما
قبله الجملة والفتح بدل مما قبله او رفع بتقدير هي **كهيئة الطير** اي شيئا او شيئا لا كهيئة
وقيل الكاف اسم مفعول به الكرماني الهيئة الحال الظاهرة الراغب الهيئة الحالة التي
يكون عليها الشيء محسوسة كانت او معقولة لكن في المحسوس اكثر وقرئ بكسر الهاء وتشديد الياء
وقرئ الطائر **فانفخ فيه** قيل في المهيأ وقيل في الطير وقيل في الطين وقيل الضمير
مضاف اي في ذلك الشيء المماثل وفي المائدة فانفخ فيها اي الهيئة وبين السور ان الذي
هنا من كلام المسيح في ابتداء تحديه ولم يكن تقدمه فحسن التذكير والافراد وانه المائدة
من كلامه تعالى له يوم القيامة معتددا نعمه عليه بعد ما مضت وكان قد اتفق ذلك
منه مرات والقضية تحتمل التانيث باعتبار ما صوره من ذلك ونفخ فيه وقرئ هنا
فانها في الشاطبي **فيكون طيرا** بالجمع لانه خلق طيرا كثيرا والافراد لانه لم يخلق غير
الخفاش لانه اكمل الطير خلقا ليكون ابلغ في القدرة لان لها اسنانا وثديا وتحيض وتطير
باذن الله قاله ازالة للشبهة وتنبيها على ان خلق الحياة انما هو من الله وكرره هنا مرتين
وفي المائدة اربعا لان ما هنا من كلام عيسى فما تصور ان يكون من فعل البشر اضافه

ان

وقيل باذن الله

الى نفسه وهو الخلق بمعنى التصوير وابرا الاكمه والابرص بمعنى التطبب واما تصيير الطين
طيرا واحيا الموتى فمن فعل الله وحده وما في المائدة من كلامه تعالى فاضاف الكل الى صنعه
اظهارا لعجز البشر وان فعل العبد مخلوق لله تعالى ما يدل لجميع ما قبله وهو الصواب لان
الاكمه والابرص لا يصنع فيهما التطبب لانهما داء اعيا ولهذا اختصا بالمعجزة من بين سائر
الادواء اذ بعث في زمن الطب **تدخرون** قرئ تذدخرون بالذال وتذخرون بوزن تفعلون
والدال مهملة **ومصدقا** اي وجئتكم مصدقا فهو عطف على باية من حيث المعنى **ولاحل** عطف
على مصدقا من حيث المعنى **حرم** قرئ بالبناء للفاعل وبوزن كرم **وجئتكم باية من ربكم**
كرره تاكيدا لان ازاحة الانسان عن المالوف والمعتاد من قديم الزمان عسير ثم ختمهم
بقوله **فاتقوا الله واطيعون** لان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم بقوله
ان الله ربي وربكم ومقصوده اظهار الخضوع والاعتراف بالعبودية لئلا يتقولوا عليه
الباطل ويقولوا انه اله او ابن اله وزاد في الزخرف هو تاكيدا واستغنى عنه هنا وفي
سورة مريم بما تقدم من الايات في خلقته الدالة على انه تعالى خالقه لا والد كما زعمت
النصارى ولما لم يتقدم في الزخرف ذلك حسن التاكيد والاتيان بضمير الفصل المفيد
للحصر وهو اثبات الربوبية ونفي الابوة وفي الكشاف وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة
رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا
فيه وقرئ بالفتح على البدل فقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض **فاعبدوه** جيء بالفاء
لترتبه على ما قبله لان الرب يجب عبادته على عبيده ثم اكد ذلك بقوله **هذا صراط مستقيم**
فلما احس عيسى منهم الكفر الاضراب في انه حكى تعالى بشارة مريم بكلمة منه واستقصى
في بيان اسمه وصفاته ومعجزاته وترك قصة ولادته لانه شرحها في سورة مريم على الاستقصاء
وشرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات واظهرها لهم لم يزالوا بل قصدوا قتله فلما
احس منهم الكفر وانهم ارادوا قتله اي علم ذلك منهم علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحس
قال الجزء العاشر الراغب اي ظهر له ذلك ظهورا بان تحس فضلا عن الفهم والاقوال
هذه الاية وقع فيها حسن التخلص بلطافة جدا خارا لعكس في موضعه فيحتمل ان يكون
هنا كما اشار اليه الاصبهاني فيكون جميع ما في الاية الى قوله مستقيم من كلام الله تعالى
حكاية عما يقوله عيسى اذا ارسل فهو من تتمة البشارة لمريم وتقدير هنا فنفخ جبريل في
جيب درعها فحملت به فوضعته فبلغ فارسل فقال فلما احس ويحتمل ان يكون التخلص
من عند قوله ورسولا الى بني اسرائيل وهذا اوضح ولهذا جاءت الافعال والاضافات
بعده بضمائر التكلم عن عيسى وكانت قبل بصيغة الغيبة فيكون اخر كلامه تعالى في
البشارة اسرائيل ويحتمل ان يكون اخر البشارة والانجيل ورسولا على الاستئناف اي
نجعلناه رسولا الى بني اسرائيل فقال ويحتمل ان يكون اخر البشارة ومن الصالحين ونعلم
على الاستئناف على معنى جعلناه ويؤيده الفصل بقول مريم وما قيل لها في الجواب

وارسله م

فيكون آخر قصة ولادته اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ثم تخلص الى رسالته و
هذا وجه ... نصري فوي والا وقال اوى منه الى الله اي عضا فالمانصرته وقيل مع الله
وقيل في الله الحواريون قريء بتخفيف اليا امنا بالله جار مجرى العلة لما قبله لان الايمان
بالله يوجب نصرة دينه ورسوله ثم طلبوا شهادة عيسى كيدا لايمانهم فقالوا واشهد بانا
مسلمون وفي المبالغة بانا لانه اول كلام للحواريين فجاء على الاصل وما هنا تكرير كلامهم فخفف
لان التكرير فرع والتخفيف فرع والفرع بالفرع اولى ثم تضرعوا الى الله فقالوا ربنا
امنا بما انزلت واتبعنا الرسول وفيه زيادة على قولهم آمنا بالله الايمان بالكتاب والرسول
فعند ذلك طلبوا الزلفى فقالوا فاكتبنا مع الشاهدين اي اولي العلم الذين شهدوا لك بالوحدانية
المشار اليهم في قوله شهد الله الآية ومكروا اي كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر ومكر
الله من باب المشاكلة الراغب المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة ومكر الله بالعبد امهاله وتمكينه
من اغراض الدنيا وقال المفضل المكر لطف التدبير وقال غيره اصل المكر التدبير المحكم الكامل
ثم اختص بالتدبير في ايصال الشر خفية وقال بعضهم المكر الاحتيال على العبد لا يقاعه
في الضرر والفرق بينه وبين الحيلة قد تكون لاظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد الى
الاضرار والمكر حيلة توقع في الاضرار والله خير الماكرين اي اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم
على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ ظرف لخير الماكرين او لمكر الله او لا ذكر اني متوفيك
ورافعك قيل هو من باب التقديم والتأخير اي رافعك ومطهرك ومتوفيك الى اضافة تشريف
اي الى سمائي ثم الي مرجعكم رجوع الى الخطاب من الغيبة في الذين اتبعوك فوق الذين كفروا فاحكم
بينكم فيما كنتم فيه تختلفون في لقمان الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون لان الاختلاف تقدم هنا
فناسبه الحكم ولا ذكر له في لقمان فناسب الانبا لانها عامة في الاعمال فاما الذين كفروا
الآيتين بيان للاختلاف والحكم المجملين في الآية الاولى وبدأ بقسم الكفار لانهم اقرب في الذكر في قوله
فوق الذين كفروا ولان الكلام فيمن كفر بعيسى وارادوا قتله فكانوا اهم وقال فاعذبهم لموافقة
فاحكم وفنوفيهم بنون العظمة لمناسبة عظم الخبر عن جزائهم وهم المؤمنون فانهم عطا عند
الله وفي قراءة بالياء التفاتا او في قوله والله يحب على قراءة النون التفات ولما تقرر امر
عيسى من ابتدا حلول امه ثم خلقه الى رفعه قال تعالى ملتفتا الى التكلم ذلك نتلوه عليك من الآيات
والذكر الحكيم تقرر بذلك كونه وحيا ووصفه فاوانه من جملة ذكر وكتاب محكم لا يتطرق اليه البطلان
ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفي ذلك مقنع لمن رام الحق وترك المراء والعناد
ولما تبعهم ذلك ولم يتمكنوا من شبهة الزيغ في انه كيف يكون ولد بلا اب والعادة والعقل
قاضيان بخلافه اذ السريان القائم بزعمهم دال على انه لابد للناس من والدين فاقام تعالى حجة
عقلية وبيانا اوليا فقال ان مثل عيسى في صفته وشانه الغريب اذ لا يقال مثل الا لما له
شان وفيه غرابة عند الله عنا انه عن الحق في نفسه اي هكذا هو الامر فيما غاب عنكم وفيه التفات
كمثل آدم خلقه هو وما بعده مفسر لوجه التشبيه اي خلق آدم ولا اب له ولا ام باجماع منا

وبها

ومنكم فكذا حال عيسى ثم للترتيب في الذكر لا في الوجود كن فيكون اي فكان فلهذا اجمع بعد
رفعه وانما احتيج الى بيان وجه الشبه لان عيسى اشبه آدم في اشياء كثيرة كالنبوة والعلم
وصفة التركيب والرفع الى السما والنزول منها الا غيرها لك والمقصود هو خلقه بلا اب فقط
لانه موضع الاستدلال فلهذا صرح به الحق خبر مبتدا اي هذا او الذي انبانك به فلا تكن
من الممترين الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره يهيجا للزيادة في ثباته ولطفا بغيره
في ترك الامترا في المعرة فلا تكون بنون التوكيد قال الكرماني مناسب لقوله قبله فلنوليك
ولم يتقدم هنا ما يقتضي مناسبة فترك والاول لان امر القبلة كان محل الاضطراب لكونه
اول النسخ في الاسلام وقد ارتد له جماعة فناسب تأكيد النهي عن الامترا فيه ولهذا وقع
هنا كثير من التأكيد والتكرير ما لا مزيد عليه واما شأن امر عيسى واضح بين لمن تأمله فترك
التأكيد احالة على ما ظهر من الادلة على حذف ترك اللام في قوله ثم انكم يوم القيامة تبعثون
ولم يخله في الموضعين من نوع تأكيد فان قوله فلا تكون من الممترين ابلغ من فلا تمتر لان
المرية التردد في الامر وهو اخص من الشك والامترا المحاجة فيما فيه مرية قلت
ولهذا عقبه بقوله فمن حاجك الا صبهاني بين الله في صدر هذه السورة وجوها من الدلائل
القاطعة على فساد قول النصارى في عيسى واتبعها بذكر الجواب عن جميع شبههم على سبيل
الاستقصا وختم الكلام بالنكتة القاطعة بقيا بكلامهم وهو انه لما لم يلزم من عدم الاب
ان يكون ابنا لله لم يلزم انتفاء من عدم الاب لعيسى ذلك ومن الظلم وطلب الحق علم ان البيان
قد بلغ الغاية القصوى فعند ذلك قال تعالى فمن حاجك وقيل لما احتج على النصارى ابالا بالعلم
الشرعي ثم بالعلم البرهاني العقلي امر ان يحتج عليهم من طريق الاعجاز وهو المباهلة الراغب
المحاجة ان يطلب كل واحد ان يرد الآخر عن حجته ومحجته تعالوا الا صبهاني في المراد المجي بالرأي
والعزم ابن جني هو من تعالى بمعنى ارتفع وقرئ بضم اللام على ان الاصل تعاليوا نقلت ضمة
الياء الى اللام وحذفت ندع ابناءنا الى آخره الزمخشري فان قلت ما معنى ضم الابنا والنسا في المباهلة
الا النفس قلت لانه آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه وكذب خصمه حيث عرض
نفسه واعزته لهلاك الاستئصال وخص الابنا والنسا لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب
وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون
على الانفس مفدون بها ثم نبتهل اي نتفعل بهلة الله على الكاذبين والبهلة بالضم والفتح اللعنة
ان هذا لهو القصص الحق اي لا ما ادعته النصارى في شأن عيسى وما من اله الا الله من في مثل
هذا بمنزلة البنا على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق وان الله لهو العزيز الحكيم
اشارة الى وصفي الالهية وهما القدرة الناشية عن الغلبة فلا يمتنع عليه شيء والعلم المعبر عنه
بالحكمة فيما صنع والاتقان لما اخترع فلا يخفى عليه شيء وهما منتفيان عن عيسى عليم بالمفسدين
كناية عن عقابه اياهم وعبر به دون الضمير ليعمهم وغيرهم ولبدل على ان توليهم افساد قل
يا اهل الكتاب تعالوا لما اورد صلى الله عليه وسلم عليهم انواع الحجج وانقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة

لخافوا وخيفوا عنها كما ورد في الحديث وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمانهم قال
تعالى يا محمد اترك ذلك النهج من الكلام واعدل الى نهج آخر يشهد كل عاقل سليم العقل مستقيم
الفكر انه كلام مبني على الانصاف وترك الجدال وقل يا اهل الكتاب مخاطبا لهم باحسن الاسما
واكمل الالقاب حيث جعلوا اهلا لكتاب الله تطييبا لخاطرهم وتأليفا لقلوبهم والمراد
بقوله تعالوا توجيههم الى النظر فيما دعوا اليه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان
عال الى كلمة قرئ بسكون اللام مع كسر الكاف وفتحها وعبر بها هنا عن كلمات مجازا سوا
اي عادلة مستقيمة مستوية بالحجة وقرئ بالنصب حالا وقرأ ابن مسعود بدله عدل
بيننا وبينكم اذا اتبعناها نحن وانتم كنا على السوا والاستقامة لا يختلف فيها القرآن والتوراة
والانجيل ان تفسير للكلمة او خبر مبتدأ مقدر بعضا بعضا فيه لطيفة وهي ان البعضية
تنافي الالهية اذ هي تماثل في البشرية وما كان كذلك استحال ان يكون الها فان تولوا
عن التوحيد والاجابة فقولوا خطاب للامة بعد خطاب الرسول اشهدوا بانا مسلمون
اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم ويجوز ان يكون
من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد
ظهوره يا اهل الكتاب الآية نزلت في مخاصمة وفد نجران مع اليهود وقول الاولين
ان ابرهيم كان نصرانيا وقول الآخرين انه كان يهوديا فبرأه الله من الفريقين واخبر
ان اليهودية والنصرانية انما حدثتا من بعده بدهر طويل والاستفهام للتوبيخ والتقريع
ولذا قال افلا تعقلون اي هذا كلام من لا يعقل اذ محال ان ينسب المتقدم الى المتأخر
ها انتم في قراءة بالقصر فقيل حذفت الف ها التنبيه وقيل الاصل أأنتم بهمزة الاستفهام
فابدلت ها على حد قوله وأتت صواحبها فقلن هذا الذي هؤلاء اي يا هؤلاء حاججتم
فيما لكم به علم اي من امر محمد المذكور في كتابكم وان كان علمكم فيه ومحاجتكم لم توافق الحق
فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم اصلا باليهودية ولا بالنصرانية ثم برأ ابرهيم
وكذبهم في دعواهم بقوله ما كان ابرهيم الآية وبدأ بنفي اليهودية لتقدمها على النصرانية
وكرر لا لتأكيد النفي عن كل واحد من الدينين ثم نفى عنه الاشراك لقولهم عزير ابن الله والمسيح
ابن الله ولم يقل وما كان مشركا لكونه رأس آية ثم حقق ان دين ابرهيم عقب محاجتهم
في علمي بما هو المناسبة ثم لما كان هذا النوع احد ذا عليهم اردفه بانواع منها كونهم
ضلال المؤمنين ثم كفرهم بآيات الله مع علمهم بها وذلك اقبح ما يكون ثم خلطهم الحق
بالباطل وكتمهم الحق ثم تلعبهم بالدين وامرهم بالايمان وجه النهار والكفر آخره ثم
اصرارهم على الخيانة في الاموال بعد اصرارهم عليها في الدين بكتم الحق ومناسبة
ذلك ظاهرة وبدأ بالخيانة في الدين لانها اشد وفي الحديث لان خيانة الرجل في علمه اشد من
خيانته في ماله وهذا النبي من عطف الخاص على العام وقرئ بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه
وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين فيه اقامة الظاهر مقام المضمر قال ابو حيان

ولي وولي واولي جائز وانتم تشهدون ابو حيان فيه طباق معنوي لان الشهادة اقرار
واظهار والكفر ستر تلبسون قرئ بفتح البا مضارع لبس جعل الحق كانه ثوب لبسوه وقرئ
بضم اوله وتشديد البا المكسورة ابو حيان ختمت هذه الآية بقوله وانتم تعلمون والتي قبلها
بقوله وانتم تشهدون لان المنكر عليهم في تلك هو الكفر بآيات الله وهي اخص من الحق لان الآيات
بعض الحق والشهادة اخص من العلم فناسب الاخص الاخص وهنا الحق اعم من الآيات وغيرها
والعلم اعم من الشهادة فناسب الاعم الاعم وجه النهار اي اوله سمي وجها لانه احسنه واول
ما يواجه به الناظر فيراه ونصبه على الظرف آخره ضمير للنهار وفي الآية طباق قال ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم من تتمة كلام الطائفة وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض وقوله
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متصل بكلام اليهود اي ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
الا لاهل دينكم خاصة فمحل ان جر او نصب قولان او يحاجوكم عطف على ان يؤتى والضمير لاحد
لانه في معنى الجمع اي ولا تؤمنوا لغير اتباعكم انهم يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند
الله بالحجة نبه على هذا في الآية نوع لف ونشر فانهم قالوا امرين فقوبلوا من عند الله بامرين فهو
عن المؤمنين ان يؤتوا مثل ما اوتوا فقابلهم تعالى بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشا ونفوا عنهم الاهتدا الى الحجة فقابلهم تعالى بقوله قل ان الهدى هدى الله ~~وهنا~~
~~نحن~~ والمعنى ~~عليهم فصار القول~~ وقيل تم كلامهم عند قوله دينكم والمعنى ولا تؤمنوا ايمانا
الا لمن تبع دينكم بخلاف غيرهم فتلونوا لهم في الايمان وجه النهار والكفر آخره ثم
ابتدأ تعالى بقوله قل ان الهدى هدى الله وما بعده والمعنى فلكم هذا القول والتدبير
هذا التدبير لاجل ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والكتاب او يحاجوكم اي كراهة
ذلك حسدا وبغيا ويؤيده قراءة ابن كثير أأن يؤتى احد بهمزة الاستفهام للانكار اي
ألأن يؤتى احد فعلتم ذلك قال الكرماني وعلى قراءة الاستفهام هو مفعول من
اجل قطعا لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ومما قيل في الآية ان لا مقدرة اي
لئلا يؤتى وقرئ ان يؤتى بكسر الهمزة نافية من تتمة كلام اليهود ايضا او بمعنى الا ان
وقيل من كلام النبي صلى الله عليه وسلم لامته وقرئ به ويؤتى بالبنا للفاعل من كلام النبي
صلى الله عليه وسلم لامته والمفعول محذوف اي لا يؤتي احد احدا والله واسع عليم مناسب لقوله
اي واسع الفضل عليم بمن يستحقه ذو الفضل العظيم مناسب لقوله يختص برحمته من يشا
تأمنه قرئ بسكون الهاء وكسرها وضمها ومبالغة فيهم بقنطار هو مثال للكثير والدينار مثال
للقليل الا استثناء مما نفوه من السبيل بدينار الى آخره جملة مستأنفة مقررة للجملة التي
سبقت في مسدها وقام عموم المتقين مقام ضمير من ان الذين يشترون الآية
الآية لما وصف الله اليهود بالخيانة في الاموال والخيانة لا تتمشى الا بالايمان الكاذبة
ذكر في هذه الآية وعيد من يقدم على الايمان الكاذبة قلت وقد صح انها نزلت فيمن حلف
على حق ليقتطعه وذلك نوع من الخيانة فذكره بعد وصف اليهود بالخيانة لما يجد

الناسية وفيه تحذير للمسلمين من التلبس بالخيانة التي هي من اوصاف اليهود ولا ينظر اليهم يوم القيامة كناية عن السخط والغضب وان منهم لفريقا الآية فيها النوع المسمى بالترديد وهو تكرير الكتاب ثلاث مرات معلقا في كل مرة بغير ما علق به في الاخرى الاصبهاني وما هو من الكتاب نفي خاص وما هو من عند الله نفي عام وقال الكلبي اصله في الاجسام ثم استعير للمعاني وفي قراءة يلوون بالتشديد وقرئ يلون بضم اللام على حذف احدى الواوين ما كان لبشر الاصبهاني لما بين ان عادة علماء اهل الكتاب التحريف والتبديل اتبعه بما يدل على ان من جملة ما حرفوه ما زعموا ان عيسى كان يدعي الالهية وانه كان يأمر قومه بعبادته وانه كذبهم تعالى في ذلك فذلك قد صح انها نزلت فيمن قال من اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك كما عبدت النصارى عيسى فهو من جملة قبائح اليهود فذكر عقب ذكر انواع رذائلهم ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة الاصبهاني ذكرت الثلاث على ترتيب حسن لان الكتاب السماوي ينزل اولا ثم يحصل بعقل النبي فهم ذلك الكتاب واليه الاشارة بالحكم فان المراد به العلم والفهم ثم يبلغ الى الناس واليه الاشارة بالنبوة الزملكاني النفي في الآية واقع في غير موضعه والاصل ما كان لبشر يؤتيه الله ان يقول فوقع ان في غير موضعه ثم نسق عليه ثم ونظيره ولولا رجال مؤمنون الآية تقديره ولولا ان تطؤوا رجالا مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم اي مثل اعمال الذين كفروا ثم يقول ابو حيان اتى بثم التي للمهلة تعظيما لهذا القول وقرئ برفع يقول على اضمار هو ولكن كونوا على اضمار يقول ربانيين قيل الرباني فوق الحبر لان الحبر هو العالم والرباني الذي جمع الى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بامور الرعية وما يصلحهم في دينهم ودنياهم تعلمون بالتخفيف والتشديد مع ضم التاء وقرئ به مع فتحها تدرسون قرئ بكسر الراء مع فتح اوله وضمه ولا يأمركم بالرفع على القطع وبالنصب على معنى ولا له ان يأمركم وقرئ ولن يأمركم استفهام انكار واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاصبهاني المقصد بهذه الآية تعريف الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطعا لعذرهم واظهارا لعنادهم الكرماني قيل التقدير ميثاق اتباع النبيين فحذف اكتفاء وقيل التقدير ميثاق النبيين وقيل اريد بالنبيين الامم من غير تقدير كما يرد الخطاب للنبي والمراد الامة وقرأ ابن مسعود ميثاق الذين اوتوا الكتاب لما قرأ حمزة بالكسر وخفف الميم فهي مصدرية والفعلان بعدها في تأويل المصدر واللام للتعليل اي لاجل اتياني اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجيء رسول مصدق لتؤمنن به والمعنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول لاجل اني آتيتكم وجوز كونها موصولة ومن قرأ غيره بالفتح والتخفيف فاللام لام التوطئة للقسم وما شرطية ولتؤمنن جواب القسم ساد مسد جواب الشرط او اللام للابتداء او ما موصولة مبتدأ ولتؤمنن خبره اي بالذي آتيتكم

عطف على محذوف اي فقبلتموه والتزمتموه وقرأ الاعرج لما آتيناكم بالفتح والتشديد روى ابن جني ان التقدير لمن ما بزيادة من فثقلت ثم ثقل التقاء ثلاث ميمات فحذفت الاولى قلت وعندي في توجيهها غير ذلك وهو ان فيها التفاتا عن الغيبة الى الخطاب فانه قد تقدم ان المراد اخذ الميثاق على اهل الكتاب فالتقدير واذ اخذ الله ميثاقكم يا اهل الكتاب مع انبيائكم لما اي وقت اتيانه الكتاب اياكم باتيانه لانبيائكم لتؤمنن ان جاءكم رسول مصدق لما معكم فقوله لتؤمنن متصل بقوله وحينئذ جواب الميثاق وتقدم عليه ثم جاءكم رسول لتقدم الضمير فيه وهذه الآية مع آية ان تولى من مشكلات القرآن من حيث التركيب وفيها اقوال كثيرة والقراآت لكم بالتاء وآتيناكم بالنون وقرئ مشددة واحال اصري هو العهد لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد وقرئ بضم الهمزة لغة او جمع إصار ولما بين في هذه الآية ان الايمان بمحمد شرع اوجبه الله على جميع من مضى من الانبياء والامم بين ان كل من كره ذلك فانه يكون طالبا دينا غير دين الله فقال افغير دين الله يبغون بالتاء خطابا على حد الخطاب في الآية قبله وبالياء التفاتا والفاء لعطف الجملة على جملة فاولئك هم الفاسقون ثم توسطت همزة الانكار او للعطف على محذوف اي أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار متوجه الى المعبود الباطل طوعا وكرها فيه طباق وقرئ بضم الكاف واليه ترجعون بالتاء والياء كما سبق وقرأ ابو عمرو بالياء في الاول والتاء في الثاني لان الاول خاص والثاني عام لتفرق بينهما لافتراقهما في المعنى قل آمنا بالله الآية لما ذكر تعالى في الآية السابقة انه اخذ الميثاق على الانبياء واتباعهم بتصديق الرسول المصدق لما معهم بين هنا من صفته صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما معهم ليجب عليهم اتباعه وافرد ضمير قل وجمع آمنا ليدل على انه لا مبلغ لهذا التكليف من الله الى الخلق الا الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال آمنا تنبيها على ان من آمن بالرسول مشارك له في الايمان بما ورد بالرسل ومن يبتغ الآية لما قال في الآية الاولى افغير دين الله يبغون وفي آخر التي تليها ونحن له مسلمون اتبعه ان بين الآية ان الدين ليس الا الاسلام ومن ابتغى دينا غيره فهو مردود عليه كيف يهدي الله الآية نزلت فيمن ارتد ومناسبتها للآية التي قبلها ظاهرة لان المرتد متبع غير دين الاسلام والاستفهام بمعنى النفي او الاستبعاد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا والله لا يهدي القوم الظالمين ليس تكرارا لما في اول الآية لان ذاك خاص بالمرتدين والثاني عام فيهم وفي غيرهم وفيه رد العجز على الصدر والناس اجمعين قرئ بالرفع خالدين فيها استخدام كما تقدم تقريره في نظيره من البقرة ان الذين كفروا الآية فيمن استمر على الردة وتاب عند الغرغرة وقيل المراد لن تقبل توبتهم بعد الموت اذا ماتوا على الكفر فجعل لن تقبل توبتهم كناية عن الموت على الكفر وفائدة هذه الكناية التغليظ في شأنهم وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من رحمة الله التي هي اغلظ الاحوال لن تقبل قرئ بالنون ونصب توبتهم وفيه التفات واولئك هم الضالون اي الذين بلغوا في الضلالة غايتها اشد واكمل وقال الامام اقسام من تاب توبة صحيحة وهم الذين قال فيهم الا الذين تابوا الآية ومن تاب توبة فاسدة وهم الذين قال فيهم لن تقبل توبتهم ومن مات على الكفر من غير توبة

وهم المذكورون في قوله **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار** وادخل الفا في قوله **فلن يقبل من احدهم**
للايذان بان الكلام مبني على الشرط والجزا وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر بخلاف
قوله في الاية التي قبلها لن تقبل توبتهم فان عدم قبول التوبة ليس مبنيا على الكفر لان التوبة تقبل
من الكافر والفاسق [illegible] صدورها في وقت لا تنفع فيه التوبة وليس مذكورا في الاية فلهذا ترك فيه
الفا ذكره الاصبهاني وغيره وقرئ نقبل بالنون وبالتحتية اي الله وقيل من احدهم دون منهم
لانه ابلغ وانص في المقصود اذ يحتمل منهم ان يكون بعد الجمع **ذهبا** تمييز وقرئ بالرفع
بدل من ملء **ولو افتدى به** قيل فائدة الواو التعظيم والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض
ذهبا لم ينفعه ولو افتدى به من العذاب لم يقبل منه وهذا اكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول
من جميع الوجوه وقيل الواو دخلت لبيان التفصيل بعد الاجمال لان قوله فلن يقبل يحتمل وجوها
تنص على نفي القبول بجهة الفدية لان من غضب على بعض عبيده اذا اتحفه بهدية لم يقبلها
البتة الا انه قد يقبل الفدية فاذا لم يقبل الفدية ايضا كان ذلك غاية الغضب والمبالغة
انما تحصل بذكر المرتبة التي هي الغاية فحكم الله تعالى انه لا يقبل منه ملء الارض ذهبا ولو كان
واقعا على سبيل الفدية تنبيها على انه اذا لم يقبل بهذا الطريق فلان لا يقبل بسائر الطرق
اولى وقيل التقدير ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلام العرب قلت وقياسا في تقرير هذا ان عود
الضمير في به على ملء الارض مرادا به ملؤها مرة ثانية فيكون استخداما وقرئ لو بدون
واو وفيه بيان ان الكفار لا ينجيهم من العذاب فدية عقبه بانه لا ينجيهم منه ايضا ناصر ولا
شافع بقوله **وما لهم من ناصرين** وتقديم المجرور لافادة الاختصاص وان للمؤمنين ناصرين
لن تنالوا البر الاية الاصبهاني لما بين تعالى ان الانفاق لا ينفع الكفار علم المؤمنين كيفية الانفاق
الذي ينتفعون به في الاخرة ابن برجان لما ذكر تعالى الاسلام وانه لا دين مقبول عنده سواه
وتقدم ان الاسلام هو الدخول في السلم كافة وكان كل شيء قد اسلم لله هو ينفق مما عنده
ذكر الانفاق فقط به ما تقدم من ذكره في مفتتح التنزيل بقوله ومما رزقناهم ينفقون ثم بما
تقدم من ذكره في هذه السورة بقوله والمنفقين وفي الاية الانسجام البليغ حتى [illegible] جاءت
موزونة على مثال بحر الرمل **كل الطعام** الاية الاصبهاني الايات المتقدمة في تقرير الدلائل
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي توجيه الالزامات على اهل الكتاب وهذه الاية في
بيان الجواب عن شبهات القوم فانهم قالوا له كيف تدعي انك على ملة ابرهيم وانت تاكل لحوم
الابل وقد كانت محرمة على ابرهيم فاكذبهم الله في ذلك وبين انها انما حرمت من عهد اسرائيل
وهو يعقوب حرمها على نفسه بنذر نذره وذلك بعد ابرهيم بدهر والتوراة فيها ذكر ذلك وهي
حجة عليهم وفي ذلك مع تكذيبهم المقصود رد عليهم في انكار النسخ ابو حيان الجامع بين الاية
وما قبلها انه تعالى اخبر انه لا تنال البر الا بالانفاق مما يحب وبني اسرائيل حرم الابل
وكانت احب الطعام اليه تقربا الى الله فاجتمعت الايتان في ان كلا منهما فيه ترك ما يحبه

الاثنان

الاثنان ويؤثره على سبيل القربة اليه **قل صدق الله** فيما اخبر به من انه حرم ذلك حادث
بعد ابرهيم وفيه تعريض بكذب اليهود اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فثبتت عليكم الحجة ولزمكم اتباع ملة ابرهيم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم الامام المقصود
من الاية بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابرهيم في الفروع والاصول قلت وعلى
هذا فهي منتظمة مع ما تقدم من قصة المحاجة في ابرهيم اعيد هنا تقريرا وتوكيدا
وبيانا للموافقة دين محمد له في الفروع والمذكور هناك لموافقته في الاصول ثم لما كان
من اعظم شعائر ملة ابرهيم الحج عقب هنا بذكره لبيان كذب اليهود والنصارى في دعواهم
انهم على دينه وهم لا يحجون وافتتح بذكر فضيلة البيت ليفرع عليه ايجاب الحج وانه
من بنا ابرهيم وفيه مقامه فلم يترك اليهود والنصارى واقتصروا على بيت المقدس وليس
من بنائه وزادوا ففضلوه عليه واستقبلوا في صلاتهم اليه وانكروا استقبال البيت
لما نزل ايجابه وهذا كله مخالف لملة ابرهيم لا موافق لها فهم كاذبون في دعواهم انهم على
دينه وعلى هذا التقرير ومع الاستطراد من ذكر محاجة القوم في ابرهيم الى ذكر انواع قبائحهم
الى غير ذلك مما استطرد اليه كل مناسب لما قبله على عادة القرآن في ذلك ثم رجع الى ما يتعلق
بالمحاجة وفي تخلل المستطرد اليه مناسبة لطيفة لانه كله مما يناسب الاصول فلما
انقضى عاد الى المحاجة في امره في الفروع **وضع** ركب بالبنا للفاعل نصيره بقدا ولابرهيم **فيه**
ايات بينات مقام ابرهيم قيل التقدير منها مقام وقيل المقام نفسه مشتمل على ايات
لانه الصخرة الصلدة والغوص فيها الى الكعبين والانة بعضها دون بعض وابقاؤه
دون سائر ايات الانبيا وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة
وقيل المقام المناسك ومحالها وفي قراءة اية بينة **ومن دخله كان امنا** قيل هو من جملة
الايات والتقدير وامن داخله وقيل هو خبر بمعنى الامر اي من دخله فامنوه **ولله على**
الناس حج البيت من استطاع الاصبهاني في هذا الكلام انواع من التاكيد والتشديد منها قوله
ولله على الناس اي انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من
عهدته لانه اله معبود الزم عبادة هذه العبادة فيجب عليهم الانقياد لتوفر فوائده
الحكمة ام لا ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل منه من استطاع وفيه ضربان من التاكيد الاول
ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له وذلك يدل على شدة العناية والثاني ان الايضاح بعد
الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين وذلك يدل على شدة الاهتمام
ومنها قوله ومن كفر مكان من لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغنا وذلك يدل على المقت
والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين ولم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغنا عنه
ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغنا لا محالة ولانه يدل على الاستغنا الكامل
فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن بعضهم لم يخاطب الله في شيء من العبادات
بان لله عليهم الا الحج لانه ليس في العبادات اشق منه او لاشتراكه في جهاد النفس والمال …

فيه الفتح والنصب والقراءة حج بالفتح لغة العالية وبالكسر لغة نجد قل يا اهل الكتاب
الآية الاصفهاني لما اورد تعالى الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مما ورد في التوراة
والانجيل من البشارة بمقدمه ثم عقب ذلك بشبهات القوم فالشبهة الاولى فيما يتعلق
بحل الطعام والثانية ما يتعلق بالكعبة ووجوب استقبالها ووجوب حجها فعندها
تمت وظيفة الاستدلال وتكمل الجواب عن شبهات اصحاب الضلال فعند ذلك خاطبهم بالكلام
اللين وقال لم تكفرون بآيات الله بعد ظهور الآيات وسقوط الشبهات وهذا هو الغاية القصوى
في ترتيب الكلام وحسن نظمه ثم لما انكر عليهم في ضلالهم اتبعه بالانكار عليهم في
اضلالهم ضعفة المسلمين فقال يا اهل الكتاب لم تصدون الآية وختم الآية الاولى بقوله
والله شهيد على ما تعملون لانهم كانوا يظهرون الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم واما القاء الشبهة
في قلوب المؤمنين للصد عن سبيل الله فما كانوا يظهرونه بل كانوا يحتالون في ذلك بوجوه
الحيل فقال فيما اضمروه وما الله بغافل عما تعملون وانما كرر في الآيتين قل يا اهل الكتاب
لان المقصود التوبيخ على الطف الوجوه وتكرير هذا الخطاب اللطيف اقرب الى التلطف
في صرفهم عن طريقتهم في الضلال والاضلال وادل على النصح لهم في الدين والاشفاق وقرئ تصدون
ثم ان حذفه المذكور في الاعراف مناسبة لقوله فيما تقدم ومن كفر وتبغونها حال
ولذا لم يدخلها الواو ودخلت في آية الاعراف لانها معطوفة كانه قال توعدون وتصدون
وفي ذلك تعداد لقبائحهم لانه من قول شعيب والذي هنا من امر الله تعالى فلم يكثر من
التعداد اغضا وكرما ولما تقدم من ان المقصود التلطف الراغب يا اهل الكتاب
يبدون خلل وحيا بما يفعل فيبدون قل هو استدعا منه تعالى لهم الى الحق فجعل خطابهم منه
استلانة للقوم ليكونوا اقرب الى الانقياد ولما ذكر الغض منهم ذكر قبله انهم غير
متأهلين ان يخاطبهم بنفسه وان كان كلا الخطابين وصل على لسان النبي صلى الله عليه
وسلم واطلق اهل الكتاب على المدح تارة وعلى الذم اخرى واهل القرآن والسنة لا
يطلق الا في المدح لان الكتاب قد يراد به ما افتعلوه دون ما انزل الله وقد يراد
به ما انزل الله والقيا فقد يصح ان يقال على سبيل الذم والتهكم كما لو قيل يا اهل
القرآن لمن لا يعمل بمقتضاه انتهى يا ايها الذين آمنوا الآية لما حذر اهل الكتاب من الاغواء
والاضلال عقبه بتحذير المؤمنين عن طاعة فريق منهم ولم يأت بلفظ قل كما في الآيتين قبله
في خطاب اهل الكتاب تشريفا منه تعالى للمؤمنين وايضا وابرز النهي في صورة شرطية
لانه لم يتبع طاعتهم لهم وكيف تكفرون استفهام انكار وتعجب واستبعاد اي من اين
يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان رسوله
والموصوف بين اظهركم يعظكم ويزيح شبهكم على قرب لتذكيره للفصل ومن يعتصم
الاعتصام الاستمساك بالشيء ولما ذكر ان طاعة الفريق تؤدي الى الكفر ذكر في
مقابلته ان الاعتصام بالله يهدي الى الاسلام والدين القيم ثم عقبه باشياء كانها شرح

تصدون من صد اول من اصد لغة وقوله م

وبيان لمعنى الاعتصام بالله يهدي الى الاسلام فبدأ بتقوى الله ثم بالاعتصام بحبل الله وهو
القرآن اي التمسك بما فيه من امر ونهي ثم بلزوم الجماعة فان الفرقة مع الشيطان ثم
بذكر نعم الله فان ذلك ادنى ان يشكروها وتقوم الامور غاية المطلوب ونهاية الاعتصام
فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته في مصحف حفصة بدله اعبدوا الله حق
عبادته وقد فسر حق تقاته بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر
فكان اهم الامور الاربعة فلذا بدأ به وعطف عليه الباقي عطف الخاص على
العام وبدأ منها بالاعتصام بالقرآن لانه قريب من الاول في العموم فقال واعتصموا بحبل
الله الراغب معروف واستعير للقرآن والنبي وغير ذلك مما اذا اعتصمت به وصلك الحبل م
الى المقصود وقال غيره هي استعارة تمثيلية لان وجه الشبه فيها منتزع من
متعدد شبه استظهار العبد بالله ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره باستمساك
الواقع في مهواة بحبل دلي من مكان مرتفع يأمن انقطاعه قال الاصفهاني ويجوز
ان يكون الحبل استعارة للعهد او دينه والاعتصام استعارة لوثوقه بذلك او يكون
الاعتصام استعارة ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه واذكروا نعمة الله الاضافة
للعظمة والعموم على سبيل الاجمال ثم فصلها بقوله اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم
اي فصرتم وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها بتلك حياتهم التي يتوقع بعدها
الوقوع في النار لو ماتوا في الموت عليها فعودهم بحافرها مشفين على الوقوع فيها فجمع هذا
البيان نعمتين عظيمتين هما اعظم النعم وسبب الحياة في الدنيا والآخرة لما في العداوة والزعم
من اثارة الحروب التي فيها فناء النفس بالقتل والنار كذلك وفي كنتم اعداء واصبحتم اخوانا
طباق لان العداوة مثيرة لنار الحرب كما قال بعضهم والاكثر في اخ الدين ان يجمع على
اخوان وفي اخ النسب ان يجمع على اخوة ابو حيان شفا الشيء طرفه وحرفه ويوصف
كل جرم له مهوى كالحفرة والبئر والجرف والسقف والجدار ونحوها في الاستعمال
الى الاعلى نحو شفا جرف والى الاسفل نحو شفا حفرة الراغب شفا البئر والنهر طرفه
ويضرب به المثل في القرب من الهلكة كالآيتين وضمير منها على فاعلة رجوع الضمير الى
المضاف دون المضاف اليه لانه المتحدث عنه ولما كانت الاوامر السابقة خاصة
بانفسهم اردفها باوامر متعلقة بالغير من الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر في قوله ولتكن الآية ليكون الامران في مقابلة ما حكاه عن اهل الكتاب من ضلالهم
واضلالهم غيرهم الاصفهاني امرهم اولا بالمحافظة على التقوى والخير ثم بالدعاء اليه وهذا
هو الترتيب البليغ المطابق للعقل الجمهور من في منكم للتبعيض وقالت طائفة للبيان
قال المفضل اي لتكونوا امة بهذه الصفة قال وهذا من كلام العرب فصيح يقولون
لرجل ليكن منك رجل قائما بهذا اي كن قائما به قلت وهذا هو النوع المسمى
بالتجريد وفي الحديث تفسير الدعاء الى الخير باتباع القرآن والسنة وعطف الامر

نسخه اخوانا وهذه مناسبة لقوله ولا تفرقوا وهي من اعظم نعم الدنيا ثم اردفها باعظم نعم الآخرة فتأمل م

بالمعروف وانهوا عن المنكر على الدعا الى الخير من عطف الخاص على العام اهتماما بشانهما روى سعيد بن منصور في سننه عن ابن الزبير انه كان يقرأ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما اصابهم ولما امرهم بذلك نهاهم عن التشبه باهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما فعلوه من التفرق والاختلاف في فهم الكتاب والقا الشبهات في النصوص واستخراج التاويلات الفاسدة لها المشار اليه في قوله اول السورة فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية وحذرهم ذلك فقال ولا تكونوا ايها المؤمنون عند سماع هذه البينات كالذين تفرقوا ابو حيان هذه والآية قبلها كالشرح لقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فشرح الاعتصام بحبل الله بقوله ولتكن منكم امة وشرح قوله ولا تفرقوا بقوله ولا تكونوا الى آخره وقيل لما امر المؤمنين بالدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان ذلك متوجها الى البعض بقوله منكم امة نهاهم جميعا عن الفرقة والاختلاف وامرهم بالاجتماع والتعاون على الخير واختلفوا عطف مبين لمعنى التفرق وان المراد به تفرق الكلمة لا تفرق الذوات من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة واولئك المذكورون لهم عذاب عظيم يوم ظرف متعلق بما قبله ذكر بيانا لحال المتبعين للامر والمخالفين تبيض وجوه وتسود وجوه فسر في الحديث بان المراد بالفريق الاول اهل السنة و بالثاني اهل البدع وهو مناسب لما قبله لان اهل البدع الذين خالفوا في فهم الكتاب واولوا النصوص بالتاويلات الفاسدة واختلفوا في ثنتين وسبعين فرقة كل فرقة تضلل الاخرى ومن ثم تكفرها وتلعنها ومن ثم بياض وسواد فاما الذين اسودت وجوههم نشر بعد اللف وهو غير مرتب وترتيبا سوادت وابيضت اكفرتم على حذف القول اي فيقال لهم والهمزة للتوبيخ والتعجب فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون الاصبهاني ذكر ذلك ليشمل الوعيد من كفر بعد ايمانه والكافر الاصلي ففي رحمة الله اي الجنة من تسمية المحل باسم الحال مجازا ابو حيان اضاف الرحمة اليه دون العذاب كما دلت من اسناد الجميل اليه هم فيها خالدون استيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك الاصبهاني انما ابتدأ بقوله يوم تبيض وجوه وختم بقوله واما الذين ابيضت وجوههم ولم يرتب النشر ترتيب اللف لان عادة القرآن الافتتاح بالخير والختم به تلوها فيه التفات وقرئ بالياء عودا الى الله وقيل الى جبريل لانه التالي وان لم يجر له ذكر للعلم به وما الله فيه التفات يريد ظلما نكره ليفيد نفي القليل والكثير ومناسبة الختم بهذه الجملة الاشارة الى انه لما دل فيما تقدم اخباره بهم من تعذيب طائفة وتنعيم اخرى ثم اكد ذلك بذكر الحجة القاطعة في ان جميع المخلوقات ملكه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد فقال ولله ما في السموات وما في الارض عبر بما تغليبا للاكثر والى الله ترجع الامور الاصبهاني اعاد ذكر

الله في الآيتين تحسينا للكلام وتنبيها على عظم المعنى وقيل لما كان اول كل من الآيتين وآخره جملتان مستقلتان متغايرتان في المعنى حسن اظهار الاسم فيهما فانه اذا تكررت جمل كثيرة على هذا الحد حسن فيها كلها اظهار الاسم ولم يحسن الاتيان بالضمير ولما كان كل المخلوقات منه بدأ واليه يعود قال ولله ما في السموات وما في الارض اشارة الى انه تعالى هو الاول والى الله ترجع الامور اشارة الى انه هو الآخر وذلك يدل على احاطة علمه وحكمه وتصرفه وتدبيره باولهم وآخرهم فان الاسباب والمسببات منتسبة اليه وان الحاجة منتهية اليه ثم لما امر المؤمنين ونهاهم وحذرهم عن التشبه باهل الكتاب اراد تقرير ذلك بطريق آخر تقتضي حملهم على الانقياد والطاعة فقال كنتم خير امة اخرجت للناس اي انكم في اللوح المحفوظ خير الامم وافضلهم فاللائق بكم ان لا تبطلوا على انفسكم هذه الفضيلة وان تنقادوا والى الطاعة وان تدعوا الى الخير وان لا تتشبهوا بمن هو دونكم فان الفاضل لا يليق به ان يفعل افعال المفضولين والاراذل ومثل هذا الكلام عادة يحمل النفوس الابية على ارتكاب معالي الامور وتجنب سفسافها كما في الحديث اذا فرح المؤمن ربا الايمان في قلبه ابو حيان هذه الآية من تمام الخطاب في قوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وتوالت بعد هذه المخاطبات المؤمنين من اوامر ونواه واستطرد من ذلك لذكر من يبيض وجهه ويسود وشي من احوال الآخرة ثم عاد الى الخطاب الاول فقال كنتم خير امة تحريضا بهذا الاخبار على الانقياد والطواعية وكان ناقصة في الاظهر وقيل تامة وقيل بمعنى صار وقيل زائدة الكرماني قيل هي متصلة بقوله هم فيها خالدون اي ويقال لهم في القيامة كنتم خير امة اخرجت حذف الفاعل للعلم به وهو الله وروعي في الضمير لفظ الغيبة جريا على امة لا الخطاب جريا على كنتم وهما طريقان للعرب للناس من غريب ما قيل فيه انه مفعول تامرون قدم عليه فقرن باللام المقوية على حد ان كنتم للرويا تعبرون تامرون بالمعروف استيناف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم الامام قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على قوله وتؤمنون بالله لان الايمان مشترك بين جميع الامم فليس المؤثر لحصول هذه الزيادة بل المؤثر كونهم اقوى حالا في الامر والنهي واما الايمان فشرط للتاثير لانه ما لم يوجد لم يصر شيء من الطاعات مؤثرا في صفة الخيرية والمؤثر الصق بالاثر من شرط التاثير واكتفى بذكر الايمان بالله عن الايمان بالنبوة لانه مستلزم له لكان اي الايمان منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون اللام فيهما تدل على المبالغة والكمال في الوصفين لن يضروكم الا اذى هو استثنا متصل مفرغ من المصدر المحذوف وقيل منقطع وان يقاتلوكم يولوكم الادبار هذه الجملة كالمؤكدة للجملة قبلها واتى بلفظ الادبار دون الظهور لما في ذكره من الاهانة ولانه ابلغ في الانهزام والهرب ولهذا كثر استعماله في القرآن ثم لا ينصرون استيناف اخبار انهم لا ينصرون ابدا ولم يشركه في الجزا فيجزم لانه ليس مرتبا على الشرط بل التولية مترتبة على المقاتلة والنصر منفي عنهم ابدا قاتلوا ام لا اذ سببه الكفر فالجملة معطوفة على جملة الشرط وثم للتراخي في الاخبار لا الزمان الزمخشري ثم للتراخي في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان

عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم
قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجرا ذكر اهل الكتاب ولذلك جا من غير
عطف الا بحبل قيل تقديره الا ان يعتصموا بحبل وقيل فلا نجاة من الموت الا بحبل وقيل هو استثنا
منقطع تقديره لكن اعتصامهم بحبل ينجيهم من القتل والاسر والسبي واستيصال الاموال الزمخشري
هو استثنا متصل من عموم الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين بحبل من الله
وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا بهذه الواسطة وهي التجاؤهم الى
الذمة لما قبلوه من الجزية وشبه العهد بالحبل لانه يصل قوما بقوم كما يفعل الحبل في الاجرام ابو حيان
الظاهر في المراد بالحبل انه اريد حبلان وفسر حبل الله بالاسلام وحبل الناس بالعهد والذمة وقيل
الاول ما نص عليه من اخذ الجزية والثاني ما فوض الى رأي الامام وقيل المراد حبل واحد اذ حبل الناس
هو حبل الله وهو العهد **ليسوا** الضمير لاهل الكتاب **من اهل الكتاب امة** مستانف يبين به انتفا
التسوية **قائمة** يعني مستقيمة **يتلون آيات الله** جي بالمضارع ليدل على التجدد **وهم يسجدون** اي
يصلون قالوا وحاليه وقيل هي مقطوعة من الكلام الاول اخبر عنهم ايضا انهم اهل سجود وهو
نعت عدد بالواو والعطف **يؤمنون** صفة اخرى او استينافا او حال من ضمير يسجدون او بدل من يسجدون
اقوال الزمخشري وصفهم بخصايص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن
الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الايمان
باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين
ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها ابو حيان وصف هذه الامة
بست صفات الاستقامة ولما كانت وصفا ثابتا لا يتغير جاءت باسم الفاعل وصلاة الليل
وهي العبادة التي فيها الخلوة لمناجاة الله والايمان بالله واليوم الآخر وهو الحامل على عبادة الله
وذكر اليوم الآخر لان فيه ظهور اثر العبادة من الجزا الجزيل وتضمن الايمان بالانبيا اذ هم الذين
اخبروا بوقوعه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم لما كملوا في انفسهم سعوا في تكميل غيرهم
بهذين الوصفين والمسارعة في الخيرات وهو وصفه يشمل افعالهم المختصة بهم والمتعدية
عنهم وهذه الصفات الثلاث ناشية ايضا عن الايمان فانظر الى حسن مساق هذه الصفات
حيث توسط الايمان وتقدمت عليه الصفة المختصة بالانسان في ذاته وتأخرت عنه
الصفتان المتعديتان والصفة المشتركة **وما تفعلوا من خير فلن تكفروه** القراة بالغيبة
عودا الى امة قائمة وبالخطاب على الالتفات لما وصفهم باوصاف جليلة اقبل عليهم تانيسا لهم
واستعطافا عليهم فخاطبهم بان ما تفعلونه من الخير لا تمنعون ثوابه ولذلك اقتصر على الخير
ولم يذكر الشر لانه موضع عطف وترحم وقيل المخاطب به المخاطبون في قوله كنتم خير امة
فيكون تكوينا لا التفاتا وكفر يتعدى لواحد وعدي هنا الى اثنين لتضمنه معنى حرم **والله
عليم بالمتقين** ابو حيان لما كانت الآية فيها تضمنت الاوصاف الجليلة واخبر تعالى انه يثيب
على فعل الخير ناسب ختمها بذكر علمه بالمتقين وان كان عالما بالمتقين وبغيرهم وفيه علم بهم انه

مجازيهم

مجازيهم على تقواهم ففيه وعد لهم ووعيد لغيرهم الطوفي هو كقوله وما تنفقوا من شي فان
الله به عليم في انه اشارة الى تصحيح الجزا والى الاخلاص بدليل قوله والله عليم بالمتقين وقال
في آية اخرى انما يتقبل الله من المتقين ومن رأى عمله لم يتق فيه فلا يتقبل منه **ان الذين كفروا** الآية
ابو حيان لما ذكر شيا من احوال المؤمنين ذكر شيا من احوال الكافرين ليتضح الفرق بين الفريقين
مثل ما ينفقون ابو حيان لما ذكر تعالى ان ما يفعله المؤمنون من الخير لا يحرمون ثوابه اخذ في
بيان نفقة الكافرين فضرب لها مثلا اقتضى حرمان ثوابها الزمخشري شبه ما كانوا ينفقون
من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثنا وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع
الذي اصابه البرد فذهب حطاما ابن عطية شبه انفاقهم الذي يعدونه قربة وحسنة
وذهابه يوم القيامة بزرع نبت واخضر وقوي الامل فيه فهبت عليه ريح صر محرق فا
فاهلكته ثم قيل هو من التشبيه المركب لم تقابل فيه الافراد بالافراد فانه شبه المنفق بالزرع والمعنى
على تشبيهه بالحرث وقيل وقع التشبيه بين شيئين وشيئين ذكر احد المشبهين وترك ذكر
الآخر على حد ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق وهو احتمال وقيل هو على حذف مضاف من الاول
اي مثل هلاك ما ينفقون وقيل من الثاني اي كمثل مهلك ريح وقيل ما مصدرية اي مثل انفاقهم
فيكون قد شبه المعقول بالمحسوس اذ شبه الانفاق بالريح وقيل الانفاق استعارة للاعمال
قال ابن عطية وهو يعني الراغب قيل ما ينفقون عبارة عن اعمالهم كلها وخص الانفاق لكونه
اظهر واكثر وقري تنفقون بالخطاب على معنى قل لهم وافرد ريح لانها مختصة بالعذاب
والصر ان كان البرد او صوت لهب النار او صوت الريح الشديدة فظاهر كون ذلك
في الريح وان كان صفة للريح كالصرصر فهو من التجريد حيث جعل الموصوف ظرفا للصفة على حد قوله

وفي الرحمن للضعفا كاف

ظلموا انفسهم اي بالمعاصي وقيل بالزرع في غير حينه **وما ظلمهم** قيل الضمير للمنفقين وقيل لاصحاب
الحرث وابدى ابن عطية الاول بقوله **ولكن انفسهم يظلمون** لانه يدل على حاضرين وقري لكن
بالتشديد فاسمها انفسهم والخبر يظلمون **يا ايها الذين آمنوا** لما ذكر صفة الكافرين حذر المؤمنين من
موالاتهم ومصافاتهم **بطانة** هي في الغرب ما ولي الظاهرة وتستعار لمن يخصه الانسان
كالشعار والدثار ابو حيان شبه الصديق بما يباشر بطن الانسان من ثوبه فقيل له بطانة
وهي تجمع من التجريد **لا يالونكم** قال ابو حيان هي والجمل بعدها لا محل لها من الاعراب اذ جات
بيانا لحال البطانة الكافرة وقيل الموت في الامر اي قصرت فيه وهو متعد الى واحد بحرف
الجر تعديته الى الضمير على اسقاط اللام والى خبالا على اسقاط في والاصل لا يالون لكم في خبال
وقيل خبالا تمييز منقول من المفعول والاصل لا يالون خبالكم اي في خبالكم وقيل مصدر في موضع
الحال الزمخشري يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل متعديا الى مفعولين في قولهم لا الوك
نصحا ولا الوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه **ودوا ما عنتم** الراغب
المعاندة والمعانتة متقاربان لكن المعاندة هي الممانعة والمعانتة ان يتحرى مع الممانعة

المشقة ابو حيان اصل العنت انهياض العظم بعد جبره قد بدت البغضاء قرئ قد بدا لان الفاعل مؤنث مجازا او على معنى البغض من افواههم ذكرها دون الالسنة اشعارا بان ما يلفظون به يملأ افواههم كما يقال قال كلمة تملأ الفم اذا تشدق بها وما تخفي صدورهم اكبر اسناد الاخفاء الى الصدور مجازا اذ هي محال القلوب التي تخفي ان كنتم تعقلون من طاهي به لتهييج وتؤمنون بالكتاب كله فيه جملة محذوفة اي وهم لا يؤمنون بكتابكم عضوا عليكم الانامل اما على حقيقته واما من مجاز التمثيل عبر بذلك عن شدة الغيظ والتأسف على ما يفوتهم من اذى المؤمنين والعض وضع الاسنان على الشيء بقوة واما عظ الزمان فبالظاء المشالة و الانامل اطراف الاصابع قال ابن عطية اصلها النمل المعروف وهي مشبهة به في الدقة والتصرف بالحركة موتوا بغيظكم صيغة امر ومعناها الدعاء وقيل التقريع وقيل الخبر والباء للحال اي تموتون ومعكم الغيظ ان الله عليم بذات الصدور قيل هو من جملة المقول وقيل استئناف من كلام الله ابو حيان ذات تانيث ذي بمعنى صاحب واصله عليم بالمضمرات ذوات الصدور ثم حذف الموصوف وغلبت اقامة الصفة مقامه ومعنى صاحبة الصدور الملازمة لها التي لا تنفك عنها الطوفي الختم به مناسب لقوله واذا لقوكم الى آخره لان ذلك صفة المنافقين فاخبرهم سبحانه انه يعلم ما في صدورهم لا يخفى عليه منه شيء وان نفاقهم لا ينفعهم وهذه الفاصلة لا تقع غالبا الا في سياق كلام يشتمل على امر خفي من نفاق وغيره يتعلق به العلم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها فيه الطباق وفيه استعارة في المس والاصابة شبه الحصول بهما من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ابن عطية ذكر المس ~~والاصابة شبه الحصول~~ في الحسنة ليبين انه بادنى طروء الحسنة تقع المساءة بهؤلاء والاصابة في السيئة وهي ابلغ دلالة على شدة العداوة اذ لا يفرحون الا بما فيه زيادة تمكن من الشدائد وقرئ يمسسكم بالتحتية لان تانيث الحسنة مجازي لا يضركم بالتشديد من ضر يضر وبالتخفيف من ضار يضير وقرئ بضم الراء وبكسرها مع التشديد لغات وقرئ لا يضرركم بالفك كيدهم هو الاحتيال بالباطل قال ابن قتيبة واصله المشقة من قولهم فلان يكيد بنفسه اي يعالج مشقات النزع وسكرات الموت ان الله بما يعملون محيط ابو حيان هو وعيد معناه المجازاة الطوفي هو مناسب لاول الآية لانها في المنافقين وقرئ تعملون بالفوقية اما على الالتفات او على اضمار قل او خطابا للمؤمنين ففيه توعدهم على اتخاذ بطانة من الكفار واذ غدوت من اهلك هذا اول الآيات النازلة في قصة احد ابو حيان مناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما نهاهم عن اتخاذ بطانة من الكفار ووعدهم انهم ان صبروا واتقوا لا يضرهم كيدهم ذكرهم بحالة اتفق فيها بعض طواعية واتباع لبعض المنافقين وهو ما جرى يوم احد لعبد الله بن ابي انخزل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه في الانخزال ثلاثمائة رجل من المنافقين وغيرهم من المؤمنين وغدا خرج غدوة اي في اول النهار تبوئ تنزل

وقرئ بالتخفيف من انوأ وبالتسهيل بوزن تعطي المؤمنين قرئ للمؤمنين بلام الجر وهي بمعنى ترتب وتهيئ وقال ابو حيان الظاهر ان الاصل تعديته لواحد بنفسه وللآخر باللام مقاعد جمع مقعد وهو مكان القعود والمعنى مواطن ومواقف ابن عطية لفظ المقاعد هنا ادل على الثبوت لا سيما ان الرماة انما كانوا قعودا وقرئ مقاعد القتال بالاضافة والله سميع عليم ابو حيان جاءت هاتان الصفتان هنا لان في ابتداء هذه الغزوة مشاورة ومجاوبة باقوال مختلفة وانطووا على نيات مضطربة الطوفي وجه مناسبة الختم به ما سبق في قوله في البقرة وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم اذ همت بدل من اذ غدوت او معمول للوصف قبله طائفتان فيه الكناية عمن يقع منه ما لا ينبغي سترا عليه ان تفشلا فيه حذف با التعدية والفشل في البدن الاعيا وفي الرأي العجز والفساد وفي الحرب الجبن والخوف والله وليهما فيه احتراس ازالة توهم نقص في الطائفتين لما هموا به وقرئ والله وليهم اعادة للضمير على المعنى لا على لفظ التثنية كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا هذان خصمان اختصموا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ذكر تشجيعا وازالة للفشل ابن فارس التوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير وقيل هو من الوكالة وهو تفويض الامر الى غيره ثقة بحسن تدبيره ولقد نصركم الله ببدر ابو حيان لما امرهم بالتوكل عليه ذكرهم بما يوجب التوكل عليه وهو ما سبق لهم من النصر يوم بدر وهم في حال قلة وانتم اذلة فيه طباق لان النصر اعزاز وجا باذلة جمع قلة ليدل على انهم كانوا قليلين فاتقوا الله لعلكم تشكرون ابو حيان ترجية الشكر اما على الانعام السابق بالنصر يوم بدر واما على الانعام المرجو ان يقع فكانه قيل لعلكم ينعم عليكم نعمة اخرى فتشكرونها وضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له الطوفي قد يقف الخاطر عن فهم مناسبة الفاصلة لما قبلها اذ التقوى ليست سبب الشكر انما سبب الشكر النعمة غير انا نقول التقوى سبب النعمة التي هي ذو الشكر ومؤثره فاقام الاثر مقام المؤثر والتقدير اتقوا الله لعلكم ينعم عليكم فتشكرون اذ تقول للمؤمنين الجمهور على ان الآية متصلة بما قبلها وانها من قصة بدر فاذ معمول نصركم وقيل هي من تمام قصة احد والآية قبلها معترضة للتحريض على التوكل والثبات للقتال الن يكفيكم دخلت اداة الاستفهام على حرف النفي على سبيل الانكار لانتفاء الكفاية بهذا العدد من الملائكة وكان حرف النفي لن الذي هو ابلغ في الاستقبال من لا اشعارا بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وفي بعض ان لا يكفيكم ابن عطية الكفاية مقدار سد الخلة والامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال منزلين بالتشديد والتخفيف مع البناء للمفعول وقرئ بهما مع البناء للفاعل اي ينزلون النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي يكفيكم الامداد بهم ابن عطية بادر المتكلم الى الجواب بقوله بلى لبيني ما استانف من قوله عليه وهذا يحسن في الامور البينة التي لا محيد في جوابها

ونحوه قل اي شي اكبر شهادة قل الله من فورهم اي وجههم وهي لغة هذيل وكنانة ابو حيان
اصل الفور من فارت القدر اشتد غليانها وبادر ما فيها الى الخروج استعير للسرعة ثم سميت به الحالة
التي لاريث فيها ولا تعرج على شي من صاحبها يمددكم ربكم اسند الامداد الى لفظة رب دون
غيره من اسمايه تعالى اشعارا بحسن النظر لهم واللطف بهم مسومين بجر الواو وفتحها وما جعله الله
الضمير للامداد وقيل للانزال وقيل للتسويم وقيل للعدد الا بشرى استثناء من المفعول له فرغ
له العامل لكم الكرماني زيدت هنا واسقطت في الانفال لان لما كانت البشرى هنا للمخاطبين قال
لكم واما في الانفال فاكتفى بما تقدم من قوله استجاب لكم لانه قد علم ان البشرى للمخاطبين
ولتطمين عطف على موضع بشرى اذ اصله لبشرى الامام في ذكر الامداد مطلوبان احدهما
ادخال السرور في قلوبهم وهو المراد بقوله الا بشرى والثاني حصول الطمانينة بالنصر فلا يجبنوا
وهذا هو المقصود الاصلي ففرق بين العبارتين تنبيها على حصول التفاوت بين الامرين فعطف
الفعل على الاسم ولما كان الاقوى حصول الطمانينة ادخل حرف التعليل قلوبكم به الكرماني اخرهم
هنا وقدمه في الانفال مراعاة للازدواج لانه لما قال هنا بشرى لكم قدم قلوبكم ازدواجا بين
كلاميه الغيبة ابن جماعة اية ال عمران ختم فيها الجملة الاولى بجار ومجرور وهو قوله لكم فختمت
التي تليها مثلها وهو قوله به لتناسب الجملتين واية الانفال خلت فيها الاولى من ذلك وجواب اخر
وهو ان اية الانفال قدم فيها به اهتماما وجاءت اية ال عمران على الاصل من تاخير الفاعل على الفعل
وجواب اخر وهو التفنن في الكلام انتهى قال صاحب المناجاة قدم القلوب في ال عمران عليه لانهم
كانوا في شدة فلم ينفصل بين الاطمينان والقلوب شي وفي الانفال لما كانت في محل الظفر وسط بين الاطمينان
والقلوب به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم في الانفال ان الله عزيز حكيم لان اية الانفال متقدمة
النزول في وقعة بدر وهذه نزلت بعدها في وقعة احد فبين اولا ان النصر من عنده لا بغيره من كثرة
عدد او عدد ولذلك علله بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحق نصره واحال في الثانية
على الاولى التعريف كانه قيل انما النصر من عند الله العزيز الحكيم الذي تقدم اعلامكم ان النصر من عنده
فناسب التعريف بعد التنكير قاله ابن جماعة وعبارة الكرماني ذكر في الانفال على وجه الاخبار
اي النصر من عند الله الغالب القادر الحكيم الذي يضع النصر موضعه لا من الملايكة والعدة والعدد
وذكر في ال عمران بلفظ الصفة اذ قد سبق الخبر به الطوفي العزيز الحكيم مناسب لقوله وما النصر
الا من عند الله وما في سياقه من ارسال الملايكة لنصر المومنين لانه قدير عليه لانه عزيز حكيم حاكم حكيم يقدر
الاشيا لمواقيتها ليقطع طرفا قيل متعلق بمحذوف اي امركم او نصركم وقيل بقوله ولقد نصركم الله
وقيل بقوله وما النصر الا من عند الله وقيل بيمددكم وقيل بجعله وقيل هو معطوف على وليطمين
حذف حرف العطف وجعله وما النصر الى اخره اعتراضية واختار ابو حيان تعلقه باقرب مذكور
وهو العامل في من عند الله وهو خبر مبتدا والتقدير وما النصر الا كاين من عند الله لا من عند غيره
لاحد امرين اما قطع طرف من الكفار بقتل واسر واما بخزي وانقلاب بخيبة وكني عن الجماعة
بطرف لان من قتله المسلمون في حرب بدر طرف من الكفار اذ هم الذين يلونهم القاتلين فهم حاشيتهم

فكان جميع الكفار رقعة وهاولاء المقتولون طرفا منها ابو حيان شبه من قتل منهم ولعرف
بالشي المتقطع الذي تفرقت اجزاوه وانخرم نظامه او يكبتهم الراغب الكبت الرد بعنف
وتذليل القاضي التا بدل من الدال والاصل كبدا اي فعل فعلا يودي كبده ومن ثم او ليبدهم
بالدال ليس لك من الامر شي جملة معترضة بين المتعاطفين وقيل او في او يتوب عليهم بمعنى الى ان او الا
ان فيكون متصلا بالجملة وقرا ابي برفع يتوب ويعذبهم ولله ما في السموات وما في الارض لما تقدم
ليس لك من الامر شي بين ان الامر انما هو لمن له الملك والملك فجا بهذه الجملة موكدة للجملة السابقة
يغفر لمن يشا ويعذب من يشا لما تقدم قوله او يتوب عليهم او يعذبهم اتى بهذه الجملة موضحة ان
تصرفاته على وفق مشيته وناسب البداءة بالغفران تقديرا ان يتوب عليهم والارداف بالقرا
تاخيرا ويعذبهم وفيه طباق والله غفور رحيم ابو حيان في هذه الجملة ترجيح لجهة الاحسان
والانعام الطوفي فان قلت قد ذكر قبل الفاصلة المغفرة والعذاب فلم كان فصل الاية بالمغفرة
اولى من العذاب قلت لان رحمة الله غلبت غضبه وسبقت عذابه فجانبها راجح ما لم يوجد في
الكلام ما يقتضي الاهتمام بالعذاب فيغلب يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا ابن عطية هذا
النهي عن اكل الربا اعتراض اثناء قصة احد ولا احفظ في ذلك شيا مرويا ابو حيان مناسبة هذه
الاية لما قبلها وجهها انه القصة انه لما نهى المومنين عن اتخاذ بطانة من غيرهم واستطرد
لذكر قصة احد وكان الكفار اكثر معاملاتهم بالربا مع امثالهم ومع المومنين وهذه المعاملة
مودية الى مخالطة الكفار نهوا عنها قطعا لمخالطتهم ومودتهم وايضا فاكل الحرام له مدخل
عظيم في عدم قبول الاعمال الصالحة والادعية فناسب ذكر الاية هنا وقيل لما وعد تعالى
المومنين بالنصر والامداد مقرون بالصبر والتقوى بدا بالاهم منها وهو ما كانوا يتعاطونه
من اكل الاموال بالباطل وامر بالتقوى ثم بالطاعة وقيل لما قال ولله ما في السموات وما في الارض
بين ان ما فيهما من الموجودات ملك له ولا يجوز ان يتصرف في شي منها الا باذنه على الوجه الذي
شرعه واكل الربا تصرف بغير الوجه الذي شرع فنبه على ذلك ونهى عما كانوا في الاسلام مستمرين
عليه من حكم الجاهلية اضعافا مضاعفة الراغب قيل اتي بالتضعيف على التاكيد وقيل بل المضاعفة
من الضعف لا من الضعف والمعنى ما تعدونه ضعفا هو ضعف اي نقص واتقوا الله لعلكم تفلحون
لانهاهم عن امر صعب عليهم فراقه وهو الربا امر بتقوى الله اذ هي الحاملة على فعل ما تعوده
المرء مما نهى الشرع عنه ثم ذكر ان التقوى سبب لرجا الفلاح وامرها مطلقا لا مقيدا بفعل الربا
بقصد العموم واتقوا النار التي اعدت للكافرين لما تقدم واتقوا الله والزواية لانه تعالى لا يتقى ذاته
للتقي محذوفا وجه في هذه الاية قال ابو حنيفة وهذه اخوف اية في القران حيث اوعد الله
المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه باجتناب محارمه واطيعوا الله والرسول قال ابن
اسحاق هذه الاية هي ابتدا المعاتبة في امر احد وانهزام من فر وزوال الرماة من مراكزهم وسارعوا
القراة بالواو على العطف وبدونها على الاستيناف لما امروا بتقوى النار امروا بالمبادرة
الى اسباب المغفرة والجنة وقرا ابي سابقوا وقدم ذكر المغفرة على الجنة لانها السبب الموصل اليها

عرضها السموات اي كعرض السموات حذفت اداة التشبيه ثم المضاف اعدت للمتقين خصوا
بالذكر تشريفا واعلاما بانهم الاصل في ذلك وغيرهم تبع لهم في السراء والضراء فيه طباق والكاظمين
الغيظ الكظم الامساك على غيظ وغم والكظيم والمكظوم الممتلئ اسفا وكظم الغيظ رده في الجوف
اذا كاد يخرج من كثرته فضبطه ومنعه كظم له الراغب الكظم مخرج النفس وبه يعبر عن السكوت
كقولهم فلان لا يتنفس اذا وصف بالمبالغة في السكوت وكظم فلان حبس نفسه وكظم الغيظ
حبسه ابو حيان الغيظ اصل الغضب وكثيرا ما يتلازمان والغيظ فعل نفساني لا يظهر على الجوارح
والغضب فعل لها معه ظهور في الجوارح وفعل ما ولابد ولذلك اسند الى الله تعالى اذ هو عبارة
عن افعاله في المغضوب عليهم ولا يسند الغيظ اليه تعالى الراغب الغيظ اشد غضب وهو
الحرارة التي يجدها الانسان عند ثوران دم قلبه واذا وصف الله تعالى به فانما يراد به
الانتقام كقوله وانهم لنا لغائظون اي داعون بفعلهم الى الانتقام منهم والتغيظ
اظهار الغيظ وقد يكون ذلك مع صوت مسموع كما قال سمعوا لها تغيظا وزفيرا والذين
اذا فعلوا فاحشة ابو حيان العطف بالواو مشعر بالمغايرة لما ذكر لصنف الا على
وهم المتقون الموصوفون بتلك الاوصاف الجميلة ذكر من دونهم ممن قارف المعاصي وتاب
واقلع وقيل هو من عطف الصفات مع اتحاد الموصوف وانهم نعت المتقين ومن يغفر
الذنوب الا الله جملة معترضة بين المتعاطفين او بين الحال وصاحبه فيها ترقيق للنفس وداعية
الى رجاء الله وسعة عفوه واختصاصه بغفران الذنب ولم يصروا الراغب الاصرار التعقد
في الذنب والتشدد فيه والامتناع من الاقلاع عنه واصله من الصرار الشد اولئك اشارة
الى الصنفين ونعم اجر العاملين الزمخشري قال اجر العاملين بغير واو لانه تقدم هنا عطف
الاوصاف فناسب العطف ولم يتقدم مثله في العنكبوت فجاءت بغير واو وكانه تمام الجملة قد خلت
من قبلكم سنن لما ذكر تعالى الحال المعترضة في قصة احد عاد الى الكلام والخطاب قيل للمؤمنين
تسلية عما وقع يوم احد من القتل والهزيمة وقيل للكفار وقيل هذه الجملة معترضة للبعث
على الايمان وقوله هذا بيان اشارة الى ما بين من امر المتقين والتائبين والمصرين
هذا بيان للناس ابو حيان لما كان البيان ظاهرا واضحا قال للناس ولما كانت الموعظة
والهدى لا يكونان الا لمن اتقى خص بذلك المتقين لان من عمي فكره وقسى فؤاده لا يهتدي ولا
يتعظ فلا يناسب ان يضاف اليه الهدى والموعظة ولا تهنوا الراغب الوهن ضعف
من حيث الخلق والخلق وانتم الاعلون فيه طباق ان يمسسكم قرح قرأه بفتح القاف وضمها لغتان كالضعف
والضعف والكره والكره وهما مصدران وقيل بالفتح الجرح وبالضم المه الراغب
القرح الاثر من الجراحة من شيء يصيبه من خارج والقرح اثرها من داخل وقرئ بفتح
القاف والراء لغة كالطرد والطرد والشل والشلل وقرئ قرح بالتنوين
والجمع نداولها فيه التفات وقرئ بالتحتية على نسق ما سبق والمداولة المعاودة وهي
المعاهدة بعد مرة يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه والدور والدول متقاربان لكن

الدور

الدور اعم فان الدول لا يقال الا في الحظ الدنيوي وليعلم الله قيل الحكمات وعطف على مقدر
اي ليتعظوا وقيل الواو زائدة وقيل اللام متعلقة بمحذوف متاخر اي فعلنا ذلك ولهذا او
والله لا يحب الظالمين جملة معترضة وليمحص الله الراغب اصل المحص تخليص الشيء مما فيه من عيب
كالفحص لكن الفحص يقال في ابراز شيء من اثناء ما يختلط به وهو منفصل عنه والمحص يقال
في ابرازه عما هو متصل به يقال محصت الذهب اذا ازلت عنه ما يشوبه من خبث قال
والتمحيص في الاية كالتزكية والتطهير ويمحق الكافرين قيل قابل تمحيص المؤمن بمحق الكافر لان
التمحيص اهلاك الذنوب والمحق اهلاك النفوس وهي مقابلة لطيفة في المعنى ام حسبتم هذه
الاية وما بعدها عتاب لمن وقع منهم الهفوات يوم احد وفي اوائل قوال السابقة في اية البقرة
ولما يعلم الله قرئ بفتح الميم اتباعا لفتحة اللام او على ارادة النون الخفيفة وحذفها كقوله
لا تهين الفقير ويعلم الصابرين بالنصب على اضمار ان بعد واو مع وقرئ بالجزم عطفا على يعلم
وبالرفع على الاستئناف اي وهو يعلم من قبل قرئ بضم اللام مقطوعا عن الاضافة فموضع ان
تلقوه نصب بدل اشتمال من الموت ان تلقوه الضمير للموت وقيل للعدو ولا دلالة الكلام
عليه وقرئ تلاقوه فقد قرئ فلقد رايتموه اي اسبابه الحرب وهي الحرب كقوله
لقد رايت الموت قبل ذوقه
فيه استخدام وانتم تنظرون جملة حالية للتاكيد ودفع ما يحتمله رايتموه من المجاز والاشتراك
وقيل مستانفة اتي بها للتوبيخ وهي من نظر الفكر والتامل لا رؤية العين وقال ابن الانباري
يقال ان معنى رايتموه قابلتموه وانتم تنظرون بعيونكم ولهذه العلة ذكر النظر بعد الرؤية لان
حين اختلف معناهما لان الاول بمعنى المقابلة والمواجهة والثاني بمعنى رؤية العين
قال ابو حيان فالجملة حال مبينة لا مؤكدة وما محمد الا رسول هنا استمرار في عتبهم قد
خلت من قبله الرسل وقرئ رسل بالتنكير افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الكرماني
الاستفهام دخل الشرط وحقه ان يدخل الجزاء لان المعنى انقلبون على اعقابكم ان مات محمد
لكن الشرط والجزاء لما تنزلا منزلة جملة واحدة صار دخوله على الشرط كدخوله على الجزاء
الزملكاني هذا النظم فيه تقديم وتاخير لان المعنى واقع على الانقلاب لانه الذي انكر عليهم وطلب
افان مت فهم الخالدون والتقدير افهم الخالدون ان مت والاوجه ان يقدر المحذوف بعد
الهمزة وقيل الفاء لتكون عاطفة عليه ولو صرح به لقيل اتؤمنون به مدة حياته فان مات
ارتددتم فتخالفوا سنن الامم قبلكم في ثباتهم على ملل انبيائهم بعد موتهم تدل على ذلك
قوله تعالى قد خلت من قبله الرسل انتهى ورد ابن هنا على المحقق وليس من مظانها لانه اورد
مورد المشكوك فيه للتردد بين الموت والقتل ومن ينقلب على عقبيه من باب التمثيل مثل به
من يرجع الى دينه الاول وقرئ عقبه بالافراد وسيجزي الله الشاكرين وعد للثابت بعد وعيد
المنقلب وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ابو حيان نحو قول العرب ما كان لزيد ان يفعل معناه
انتفاء الفعل عن زيد وامتناعه ثم تارة يكون لكونه ممتنعا عقلا كقوله ما كان لله ان يتخذ

مريد لو ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وتارة لكونه ممتنعا عادة نحو ما كان لزيد ان يطير وتارة
لكونه ممتنعا شرعا كقوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا كتابا مؤجلا نصب على المصدر المؤكد
وقيل اغراء اي التزموا وآمنوا بالقدر ومن يرد ثواب الدنيا هذا تعريض بالذين رغبوا في
الغنائم يوم احد واشتغلوا بها نؤته فيه التفات وقرئ بالياء في الفعلين وفي سنجزي وسيجزي
الشاكرين الذي في يوم رابطوا بها وكاين الكلام عليها مبسوط في الاتقان وفي قراءة و
كائن بالمد قال ابو حيان وهي اكثر استعمالا في لسان العرب واشعارها قال

وكائن بالاباطح من صديق

وقرئ وكأين على مثال كعي وكئن وكاين على مثال كع وكي بكاف بعدها ياء مكسورة
منونة قتل وفي قراءة قاتل وقرئ قتّل بالتشديد وعلى كل يصلح اسناد الفعل الى الضمير والى
ربيون ربيون جمع ربي وهو العابد الرب وكسر الراء من تغيير النسب وقرئ بضم الراء وبفتحها
تغييره ايضا وبفتحها على الاصل فما وهنوا بفتح الهاء وقرئ بكسرها وبسكونها لغات في سبيل
الله فيه التفات وما ضعفوا بضم العين وفتحها لغتان وما استكانوا قيل هو استفعل
من كان يكون اي لم يكونوا بصفة الوهن والضعف وقيل من الكون لانه اذا اخضعه وقيل
افتعل من السكون واصله استكن واشبعت الفتحة فتولدت الالف وما كان قولهم لما ذكر ما
كانوا عليه من الجلد والصبر وعدم الوهن والاستكانة للعدو وذلك كله من الافعال النفسانية
ذكر ما كانوا عليه من الانابة والاستغفار والالتجاء الى الله بالدعاء الا ان قالوا الكرماني
جعل توهم الخبر الا ان قالوا اشد تعريفا لامتناعه من الوصف وقرئ برفع قولهم اسم
كان والخبر ان قالوا وقدم طلب الاستغفار على طلب تثبيت الاقدام والنصر ليكون
طلبهم ذلك الى الله عن زكاة وطهارة فيكون طلبهم التثبيت بعد الاستغفار حريا
بالاجابة والذنوب والاسراف متقاربان من حيث المعنى فجاء ذلك على سبيل التاكيد وقيل
احدهما للكبائر والاخر لما دونها فآتاهم قرئ فاثابهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة لم يراع
في الجواب ترتيب السؤال اعتبارا بالواقع يا ايها الذين آمنوا قيل الخطاب خاص باهل احد وقيل
عام بل الله قرئ بالنصب على معنى بل اطيعوا الله سنلقي فيه التفات وقرئ بالياء جريا على الغيبة
في قلوب الذين كفروا الرعب قدم المجرور على المفعول للاهتمام بالمحل الملقى فيه قبل ذكر الملقى
والقراءة بضم العين وسكونها فقيل لغتان وقيل الاصل السكون وضم اتباعا كالصبح والصبح
وقيل الاصل الضم وسكن تخفيفا كالرسل والرسل ابو حيان الرعب الخوف واصله من الملء
يقال رعبت الحوض ملأته وسيل راعب يملأ الوادي الراغب الرعب الانقطاع من
امتلاء الخوف بالله فيه التفات ما لم ينزل به سلطانا المراد بنفي السلطان والنزول معا نفي
حتى تدل على الاحتياج لا يهتدي بعباده ومأواهم النار الآية فيها وعيد ومثوى ... الراغب
الثواء الاقامة مع الاستقرار ابو حيان بدأ بالمأوى وهو المكان الذي يأوي اليه
الانسان ولا يلزم منه الثواء ثم بالمثوى الدال على الاقامة فجاء مأوى ومثوى ونبه على الوصف

الذي

الذي استحقوا به النار وهو الظلم بالاشراك كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم
ولقد صدقكم الله الآية ابو حيان جاءت المخاطبة في هذه الآية بجمع ضمير المؤمنين
وان لم يصدر ما عوتبوا به من جميعهم على طريقة العرب في نسبة ما يقع من بعضهم للجميع
على سبيل التجوز في ذلك ابقاء على من فعل وسترا اذ لم يعين وزجرا لمن لم يفعل ان
يفعل والحس القتل الذريع وقرئ بضم التاء من الاحساس اي تذهبون حسهم بالقتل
الراغب الحاسة القوة التي بها تدرك الاعراض الجسمية يقال حسست واحسست
وحسيت واحسيت فحسست يقال على وجهين احدهما اصبته بحسي نحو عنته
ورمحته والثاني اصبت حاسته نحو كبدته وفأدته ولما كان ذلك قد يتولد منه
القتل عبر به عن القتل فقيل حسسته اي قتلته واما حسست فلا يقال الا لما كان
من جهة الحاسة واما احسسته فحقيقته ادركته بحاستي حتى اذا فشلتم جواب اذا
محذوف اي انهزمتم او منعكم نصره او نحو ذلك منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة
جملتا اعتراض بين المتعاطفين وقال ابو حيان هو دليل الجواب المحذوف اي انقسمتم
قسمين والله ذو فضل على المؤمنين قال الطيبي هو مناسب لقوله ولقد عفا عنكم وعدل
الى الظاهر لافادة العموم اذ تصعدون الراغب الصعود الذهاب في المكان العالي
والاصعاد قيل هو الابعاد في الارض سواء كان في صعود او حدور واصله من الصعود و
هو الذهاب في الامكنة المرتفعة ثم استعمل في الابعاد وان لم يكن فيه اعتبار الصعود
كما في تعالى فانه في الاصل دعا الى العلو ثم امر ابالمجيء سواء كان الى اعلى او الى اسفل وقيل تصاعد م
لم يقصد بقوله اذ تصعدون الابعاد في الارض وانما اشار به الى علوهم فيما تحروه
واتوه كقولك ابعدت في كذا وارتقيت فيه كل مرتقى وكانه قال اذ بعدتم في
استشعار الخوف والاستمرار على الهزيمة ابو حيان قرأ الجمهور تصعدون من اصعد
والهمزة فيه للدخول اي دخلتم في الصعيد كاصبح اي دخل في الصباح فالمعنى اذ تذهبون
تهبطون في الارض ويبين ذلك قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرئ تصعدون
من صعد في الجبل اذا ارتقى اليه وقرئ تصّعّدون بتشديد العين من تصعّد في السلم
واصله تتصعدون فحذفت احدى التاءين والجمع بينهما انهم اولا اصعدوا في الوادي
ثم لما ارهقهم العدو صعدوا في الجبل وقال المفضل صعد واصعد وصعّد بمعنى واحد
وقرئ بالياء في الفعلين على الالتفات والعامل في اذ اذكروا مقدرا او عصيتم او تنازعتم
او فشلتم او عفا عنكم او ليبتليكم او صرفكم اقوال قال ابو حيان والاول اجودها لان ما
قبل اذ جمل مستقلة يحسن السكوت عليها فليس لها تعلق اعرابي بما بعدها انما تعلق
به من حيث المعنى لان السياق كله في قصة واحد وتعلقه بصرفكم جيد من حيث المعنى وبعفا عنكم
جيد من حيث القرب ولا تلوون على احد الراغب يقال فلان لا يلوي على احد اذا امعن
في الهزيمة ابو حيان يقال لوى بكذا ذهب به ولوى عليه كر عليه وعطف وقرئ تلوون

ن

بإبدال الواو همزة لكراهة اجتماع الواوين وتكون على حذف الهمزة بعد نقل حركتها الى اللام أو على
انه مضارع ولي عدي بعلى على تضمين معنى العطف وقرئ تلوون من الوي لغة في لوي ولا على
على عمومه وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه بأحد تعظيما له وصونا لاسمه ان يذكر
عند ذهابهم عنه وقرئ بضم الهمزة والحاء وهو الجبل قيل على تقدير على من كان على جبل
احد فأثابكم الغم الاثابة هنا بمعنى المعاقبة قال ابو حيان وسمى الغم ثوابا على انه قائم
في هذه النازلة مقام الثواب الذي كان يحصل لولا الفرار فهو نظير قوله تحية بينهم ضرب
وجيع الراغب الثواب يقال في الخير والشر لكن الاكثر المتعارف في الخير والاثابة
تستعمل في المحبوب وقد تقال في المكروه على الاستعارة كاستعارة البشارة فيه
وقال بعض المحققين ذكر لفظ الاثابة وان كان الغم مكروها بالطبع لانه ثواب من الله من
وجه لانه كان سبب تهذيب نفوسهم الذي نبه تعالى بقوله لكيلا تأسوا على ما فاتكم وكل
امر يؤدي الانسان الى ان يجعله بحيث لا يقلقه فوت مطلوب ولا فقد محبوب فهو له
من ثواب ولهذا قال الحكيم جماع الزهادة في قوله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم غما بغم قيل الباء للسببية وقيل للمصاحبة لكيلا تحزنوا قيل لا زائدة والجمهور
انها باقية على معناها من النفي على ما فاتكم ولا ما اصابكم فيه طباق والله خبير بما تعملون
ابو حيان هذه الجملة تقتضي تهديدا وخص العمل هنا وان كان خبيرا بالاقوال والنيات
ايضا تنبيها على اعمالهم من تولية الادبار والمبالغة في الفرار وهي اعمال تخشى عاقبتها
الطوفي الختم بها مناسب لمضمون الآية اي لا يخفى عليه ما كان من عمل ابدانكم وهو الفرار
ولا من عمل قلوبكم وهو الحزن على ما فاتكم من الغنيمة واصابكم من الجراح والقتل
امنة يعني الامن قاله ابن قتيبة وغيره وفرق آخرون فقالوا الامنة تكون مع بقاء
اسباب الخوف والامن يكون مع زوال اسبابه وقيل هي هنا جمع آمن ككاتب وكتبة
وقرئ بسكون الميم بمعنى الامن نعاسا الراغب هو النوم القليل وقيل هو هنا عبارة
عن السكون والهدو وابو حيان نسبة الانزال الى النعاس مجاز لان حقيقته في
الاجرام يغشى بالتحتية حملا على لفظ النعاس وبالفوقية حملا على لفظ امنة اهمتهم ابو حيان
اهمني الامر اقلقني وادخلني في الهم الراغب اهمني كذا حملني على الهم والهم الحزن الذي يغشى
يذيب الانسان ظن الجاهلية الكشاف هو كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن
المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية يقولون هل لنا من الامر
من شيء هو استفهام على حقيقته وقيل بمعنى النفي ولنا الخبر زيادة من جاء جوابه مؤكدا بان
وكل في قوله قل ان الامر كله بالنصب على التأكيد والرفع على الابتداء والتأكيد في
الموضع يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك فيه طباقان ومقابلة بين الاخفاء و
الابداء والاثبات والنفي وفي انفسهم ذلك يقولون تفسير لابهام قوله ما لا يبدون
لك قل لو كنتم الى آخره هذا من النوع المسمى في البيان بالاحتجاج النظري وبالمذهب الكلامي

لبرز

لبرز قرئ بالتشديد الآية مبنيا للمفعول كتب عليهم القتل قرئ القتال وقرئ كتب بالبنا
للفاعل ونصب القتل مضاجعهم جمع مضجع وهو المكان الذي يتكأ فيه للنوم ويسمى به مكان
القتل لضجعة المقتول فيه وليبتلي الله عطف على محذوف اي ليقضي الله امرا او متعلق
بمؤخر اي فعل هذه الامور الواقعة عقيب القولين في مثل ذلك ما في صدوركم وليمحص ما
في قلوبكم ابو حيان كان متعلق الابتلاء ما انطوت عليه الصدور وهي القلوب كما قال
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومتعلق التمحيص هو التصفية والتطهير ما انطوت
عليه القلوب من النيات والعقائد والله عليم بذات الصدور مناسب لما قبله من قوله
وطائفة قد اهمتهم الى قوله ما في قلوبكم قاله الطوفي يوم التقى الجمعان فيه تثنية اسم
الجمع على خلاف القاعدة لافتراق المدلولين استزلهم بمعنى ازلهم ان الله غفور حليم قيل
لعفوه تعالى عنكم وقالوا لاخوانهم اللام للسبب لا للتبليغ اذا ضربوا في الارض اي سافروا
او كانوا غزا اي فقتلوا وقرئ بتخفيف الزاي على انه على حذف احد الضعفين او على حذف
التاء والاصل غزاة وما قتلوا قرئ بالتشديد ليجعل الله قيل هي لام كي وقيل هي لام
الصيرورة فعلى الاول هي متعلقة بمحذوف دل عليه السياق اي اوقع ذلك القول
منهم والمعتقد في قلوبهم والله يحيي ويميت رد عليهم في تلك المقالة الفاسدة وفيه
طباق والله بما تعملون بصير قال الراغب علق ذلك بالبصر لا بالسمع وان كان الصادر منهم
قولا مسموعا لا فعلا مرئيا لما كان ذلك القول من الكفار قصدا منهم الى عمل يحاولونه فخص
البصر بذلك كقولك لمن يقول شيئا وهو يقصد فعلا يحاوله انا ارى ما تفعله الطوفي
الختم به مناسب لمضمون الآية ومعنى الفاصلة راجع اما للقائلين او للمؤمنين المخاطبين
قال ولعله بالنظر الى هذين الاحتمالين قرئ يعملون بالياء والتاء ولئن قتلتم في سبيل
الله او متم قدم القتل هنا على خلاف ما في الآية قبلها وبعدها لانه ابتدأ اخبار ومحل
تحريض على الجهاد فقدم الاشرف الاهم في تحصيل المغفرة والرحمة اذ القتل في سبيل الله
اعظم ثوابا من الموت في سبيله واما الآيتان الاخريان فقدم فيهما الموت على القتل لانه اغلب
الراغب تضمنتا ان الانسان اما موجا ومحري قياسين شرطيين اقتضيا الحر
على القتل في سبيل الله تمثيله ان قتلتم في سبيل الله او متم حصلت لكم المغفرة والرحمة وهما
خير مما يجمعون فاذا الموت والقتل في سبيل الله خير مما يجمعون في الدنيا او قتلتم فالحشر
لكم حاصل واذا كان الموت والقتل لا بد فيه من الحشر فنتيجة ذلك ان القتل والموت
اللذين يوجبان المغفرة والرحمة خير من القتل والموت اللذين لا يوجبانهما والقراءة متم
بضم الميم وكسرها لغتان ويجمعون بالفوقية للمؤمنين وبالتحتية للكفار وتقديم
الى الله يفيد الاختصاص الكشاف لوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام
على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي فبما رحمة ما زائدة للتأكيد ولو كنت فظا غليظ القلب
قيل الوصفان بمعنى جمعا للتأكيد وقيل الفظاظة الجفوة في المعاشرة قولا وفعلا والغلظ

القلب عبارة عن كونه خلق صلبا لا يلين ولا يتأثر وعن الغلظ تنشأ الفظاظة فقدم ما
هو ظاهر للحس على ما هو خاف وانما يعلم بظهور اثره الراغب الفظ الكريه الخلق مستعار
من الفظ الكرش وذلك مكروه شربه لا يتناول الا في اشد ضرورة ابو حيان الغلظ اصله في الجرم
وهو تكثر اجزائه ثم استعمل في قلة الانفعال والاشفاق والرحمة فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم في الامر ابن عطية امر بتدريج بليغ امر بالعفو عنهم فيما يخصه فاذا صاروا في
هذه الدرجة امر بالاستغفار فيما لله فاذا صاروا في هذه الدرجة صاروا اهلا
للاستشارة في الامور وقرأ ابن عباس وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت بالخطاب وقرئ
بضم التاء على انها ضمير الله والمعنى فاذا عزمت لك على شيء اي ارشدتك اليه وجعلتك تقصده
ففيه التفات ثم في قوله على الله التفات ان ينصركم الله فيه التفات عن ضمير الغيبة وان
يخذلكم قرئ بضم اوله من اخذل والخذل والخذلان الترك في موضع يحتاج فيه الى التارك
وفيه مع ينصركم طباق من ذا الذي ينصركم اجيب بالاستفهام بعد جواب الاول بالنفي
تنويعا للكلام في الفصاحة وتلطفا بالمؤمنين حتى لا يصرح لهم بانه لا ناصر لهم بل ابرز ذلك
في صورة الاستفهام الذي يقتضي السؤال عن الناصر وان كان المعنى على نفي الناصر لكن
فرق بين الصريح والمضمن فلم يجر المؤمنين في ذلك مجرى الكفار الذين نص عليهم بالتصريح
لانه لا ناصر لهم كقوله اهلكناهم فلا ناصر لهم وعلى الله تقديم لافادة الاختصاص وما
كان لنبي ان يغل ابو حيان مناسبة الآية لما قبلها من حيث انها تضمنت حكما من احكام
الغنائم في الجهاد وفي قراءة يغل بالبناء للمفعول اي ينسب الى الغلول افمن اتبع
استفهام معناه النفي ابو حيان اي ليس من اتبع رضى الله فامتثل امره واجتنب مناهيه
كمن عصاه فباء بسخطه وهذا من الاستعارة البديعة جعل ما شرعه الله كالدليل
الذي يتبعه من يهتدي به وجعل العاصي كالشخص الذي امر ان يتبع شيئا فنكص عن
اتباعه ورجع مصحوبا بما يخالف الاتباع والسخط الكراهة المفرطة الغضب الشديد الراغب ٢
المقتضي للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة الشديدة وفي الآية طباق وحذف اي
فمأواه الجنة هم درجات فيه تغليب اذ مراتب النار دركات وقيل الضمير لمن اتبع
رضوان الله فالتقدير هم ذوو درجات اولهم درجات وقرئ درجة والله بصير
بما يعملون الطوفي مناسب لما في سياقه اذ لا ينزل الناس درجاتهم الا من هو بصير
بتفاوت اعمالهم واحوالهم ومن يستحق منهم التقديم والتاخير ابو حيان خص العمل
دون القول لان العمل جل ما يترتب عليه الجزاء لقد من الله على المؤمنين ابو حيان مناسبة
الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر الفريقين فريق الرضوان وفريق السخط وانهم درجات عند الله
مجملا من غير تفصيل فصل احوالهم وبدأ بالمؤمنين وذكر ما امتن عليهم به من بعثة الرسول اليهم
تاليا لآيات الله ومبينا لهم طرق الهدى ومطهرا لهم من ارجاس الشرك ومستنقذا لهم
من مهاوي الضلالة بعد ان كانوا فيها وسلاهم عما اصابهم يوم احد من القتل والجرح بانالهم

يوم بدر من الظفر والغنيمة ثم فصل حال المنافقين الذين هم اهل سخط بما نص عليه ومعنى
من تطول وتفضل الراغب من عليه اثقله بالنعمة وخص المؤمنين لانهم المنتفعون
ببعثته وقرئ لمن من الله بمن الجارة ومن مجرورها والتقدير لمن من الله على المؤمنين
منه او بعثه اذ بعث من انفسهم الكرماني في تفسير هذه الآية منهم لان هذه في معرض
المنة فجعله من انفسهم ليكون موجب المنة وكذا قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم لما وصفه
بقوله عزيز عليه ما عنتم الى آخره جعله من انفسهم ليكون موجب الاجابة والايمان به اظهر
وابين الماتريدي وجه الامتنان بكونه من انفسهم حصول الانس به والشرف لهم وقرئ
بفتح الفاء من النفاسة انى بمعنى كيف سؤال عن الحال قل هو من عند انفسكم جواب يتضمن
تعيين الكيفية لانه بتعيين السبب وهو يقتضي تعيين الكيفية من حيث المعنى واعاد هو
على المصيبة حملا على المعنى ان الله على كل شيء قدير الطوفي هو مناسب لما في الآية اي ان
الله اصابكم بذلك بما كسبتم ولا يصيب احدا بمصيبة الا من هو قادر وبالجملة ارسال
المكاره على الخلق يفتقر الى قدرة ابو حيان نبه بذلك على ان ما اصابهم كان لوهن
منهم لا لضعف في قدرة الله وليعلم المؤمنين عطف على فباذن الله عطف السبب على
وهم السبب وقيل عطف على نافقوا قالوا لم يرد بالقتال انه جواب سؤال اقتضاه دعا
الى القتال كانه قيل فما ذا قالوا قال قالوا لو نعلم والله اعلم بما يكتمون مناسب لقوله
ما ليس في قلوبهم ولا تحسبن خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل سامع وقرئ بالتحتية
فالفاعل ضمير حاسب دل عليه الفعل قتلوا بالتخفيف والتشديد وقرئ قاتلوا بل احياء
بالرفع خبر مبتدا وقرئ بالنصب قال الزجاج على معنى بل احسبهم ورده الفارسي
بان الامر يقين فلا يؤمر فيه بالحسبان بل اعتقدهم او نحوه ويستبشرون بمعنى يبشرون
الا خوف بدل اشتمال من الذين يستبشرون كرر الفعل على سبيل التوكيد ان كانت النعمة
والفضل بيانا لمتعلق الاستبشار الاول قاله الزمخشري وقيل هو بدل من الاول فكذا الخ
يدل عليه واو العطف وقيل هو مستانف متعلق بهم انفسهم لا بالذين لم يلحقوا بهم فعند
اختلاف متعلق الفعلين فلا تاكيد وفي تنكير نعمة وفضل ابهام وتعظيم وظاهر العطف
تباين النعمة والفضل فالاول الجزاء والثاني التضعيف وان الله بالكسر على الاستئناف
وبالفتح عطف على متعلق الاستبشار وقرئ والله الذين استجابوا مبتدأ والجملة بعده
الخبر وجوزوا الاتباع نعتا او بدلا الذين قال لهم الناس هو من العام المراد به الخصوص
لان القائل واحد ان الناس قد جمعوا لكم الآية ابو حيان لما ذكر اخبار المثبطين بان
قريشا قد جمعوا لهم وامرهم بخشيتهم ترتب على هذا القول شيئان احدهما قلبي وهو
زيادة الايمان وهو مقابل للامر بالخشية والآخر قولي مقابل جمع الناس وهو ان كفاهم
شر الناس هو الله تعالى ثم اثنوا عليه بقولهم ونعم الوكيل فدل على ان قولهم حسبنا الله هو
من المبالغة في التوكل عليه وعدم امورهم به فانظر الى براعة هذا الكلام وبلاغته

٢
الذين بدل من الذين نافقوا قالوا لاخوانهم اي
حين خرجوا وقعدوا حال بتقدير قد ما قتلوا
قرئ بالتشديد م

حيث نزل قول بقول ومتعلق قلب بتعلق قلب الطوفي الختم بالحسبلة مناسب لما في سياقه
من توكل الصحابة الذين استجابوا لله بعد ما اصابهم القرح وكذا قوله والله ذو فضل عظيم مناسب
لقوله بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء لان ذلك الفضل من الله ذلكم اشارة الى القايل
المثبط يخوف اوليايه اي يخوفكم اولياءه وكذا قرأ ابن مسعود وابن عباس وقرأ ابي يخوفكم
باوليايه ولا يحزنك لما نهى الله المؤمنين عن خوف اوليا الشيطان وامرهم بخوفه نهى رسوله
عن الحزن لمسارعة من سارع في الكفر والقراة بالفتح والضم من حزن واحزن يقال
حزن الرجل اصابه الحزن واحزنه جعله حزينا يسارعون قرى يسرعون حظا الراغب
الحظ النصيب المقدر قال ابو حيان واذا لم يقيد فانما يستعمل في الخير ان الذين اشتروا
من ذكر العام بعد الخاص او المرادف للتاكيد وليرتب لهم العذاب بنوعيه من العظم والالم
ولا يحسبن بالخطاب فالذين مفعول اول وانما الى اخره في موضع الثاني وبالغيبة فالذين
فاعل وسدت انما الى اخره مسد المفعولين وقرئا بالغيبة وكسر انما على التعليق باضمار
اللام ولهم عذاب مهين ابو حيان وصف تعالى عذابه في مقاطع هذه الآيات الثلاث
بعظيم واليم ومهين ولكل مناسبة تقتضي ختم الآية بها اما الاولى فان المسارعة في
الشيء تقتضي جلالة ما سورع فيه والامر النفاسة والعظم بحيث يتسابق فيه فختمت الآية
بعظم العذاب وهو جزاؤهم على المسارعة في الكفر اشعارا بخساسة ما سابقوا فيه واما
الثانية فانه ذكر فيها اشترا الكفر بالايمان ومن عادة المشتري الاغتباط بالمشترى
والسرور به والفرح فختمت الآية باليم لان صفقته خسرت باليم العذاب كما يجد المشتري
المغبون في تجارته واما الثالثة فانه ذكر فيها الاملا وهو الامتاع بالمال والبنين
والصحة وكان الامتاع سببا للتعزز والاستطالة فختمت الآية باهانة العذاب
لهم وان ذلك الاملا الموجب للتعزز في الدنيا مآله الى اهانتهم بالعذاب الذي يهين
الجبابرة ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه قيل الخطاب للكفار وقيل للمؤمنين الكافة
فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل
ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف
مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم حتى يميز بالتخفيف
من ماز وبالتشديد من ميز قال ابن السكيت وهما بمعنى الراغب الميز والتمييز الفصل
بين المتشابهات اقربا الى المخامة واكثر في الاستعمال وقيل لا يكون ماز الا في كثير
فاما واحد فميزت لهذا قال ابو معاذ يقال ميزت بين شيئين ومزت بين اشيا
وقرى بالفتح والتخفيف من اماز ولا يحسبن الذين يبخلون ابو حيان مناسبتها لما قبلها
انه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل الارواح في الجهاد في الآيات السابقة شرع في
التحريض على بذل الاموال في الجهاد وغيره وبين الوعيد الشديد لمن يبخل والقراة حينئذ
بالخطاب فالذين اول المفعولين وبالغيبة فان كان الفعل مسندا الى ضمير الاول

اوجابه

او جانب نكذلك او الى الذين فالمفعول الاول محذوف اي بخلهم وقرئ باسقاط هو بل هو
شر لهم لما كان تحت انتفاء الخير قسمان احدهما ان لا خير ولا شر والآخر اثبات الشر بين
بهذه الجملة تعين احد القسمين وهو الثاني سيطوقون بان يكون شر الحمر ولله ميراث السموات
والارض تقرير لذم من بخل بما هو ملك لله والحاد بفنا العالم وان جميع ما يخلفونه
هو وارثه وهو خطاب على ما يفهمه البشر وان كان ملكه لكل شيء لم يزل والله بما تعملون
خبير القراة بالتا وبالتاء على الالتفات قال الطوفي والختم به مناسب لما في الآية
لان البخل منع ما ينبغي بذله وهو عمل لقد سمع الله الآية نزلت رد الى من قال ذلك من اليهود
وجه ارتباطها بما قبلها ظاهر سنكتب ما قالوا جي بلفظ المستقبل لانه قصد معنى المجازاة
ونقول ذوقوا عذاب الحريق لما كان الصادر منهم قولا وفعلا ناسب ان يكون الجزاء قولا
وفعلا فان في الجمع بينهما اعظم انتقام واستعير لمباشرة العذاب الذوق
لانه ما يبلغ انواع المباشرة وفي سنكتب ونقول الالتفات وقرئ فيهما بالغيبة والبنا
للفاعل وفي قراة بالبنا للمفعول في الاول ورفع قتلهم وللفاعل في الثاني وقرئ سنكتبه
ما يقولون بتا مضمومة على معنى مقالتهم وقرئ ويقال ذوقوا ذلك بما قدمت ايديكم
نسب المعاصي الى الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بها وان الله ليس بظلام للعبيد الطوفي
مناسب لما في الآية لان من عوقب على كسبه وجنايته لم يظلم ومن عاقبه على ذلك لم يظلم
فان قلت القاعدة ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي اصل الفعل فلم عبر هنا بصيغة
المبالغة قلت اجيب بوجوه احدها ان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جي به في مقابلة العبيد
الذي هو جمع كثرة ويرشحه انه تعالى قال علام الغيوب فقابل صيغة فعال
بالجمع وقال في آية اخرى عالم الغيب فقابل صيغة فاعل الدالة على اصل الفعل بالواحد
الثاني انه نفي الظلم الكثير فينتفي القليل ضرورة لان الذي يظلم انما يظلم لانتفاعه
بالظلم فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلان يترك القليل اولى الثالث انه على النسب
اي بذي ظلم حكاه ابن مالك عن المحققين الرابع انه اتى بمعنى فاعل لا كثرة فيه الخامس
ان اقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة وعبر بعضهم عن
هذا بان العذاب الذي يفعله بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على حد عظمه لو كان
ثابتا السادس انه اراد ليس بظالم ليس بظالم ليس بظالم تاكيدا للنفي فعبر عن ذلك بليس بظلام
السابع انه ورد جوابا لمن قال ظلام والتكرار اذا ورد جوابا لكلام خاص لم يكن له
مفهوم الثامن ان صيغ المبالغة وغيرها في صفات الله سوا في الاثبات فجرى النفي على ذلك
التاسع انه قصد التعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور ابو حيان جا بلفظ العبيد دون
العباد هنا وفي فصلت لمناسبة الفواصل قبله كما ناسب لفظ العباد في سورة غافر ما
قبله وما بعده الذين قالوا بدل من الذين قبله وقال الزجاج على العبيد عهد ابو حيان
العهد اخص من الامر لانه في كل ما يتطاول امره ويبقى في غابر الزمان الراغب العهد

وسنكتب ما قالوا

حفظ الشيء ومراعاته حالا لا بعد حال ومنه المؤمن الذي يلزم مراعاته عمدا قربانا الراغب
القربان ما يتقرب به الى الله وصار في التعارف اسما للنسيكة التي هي الذبيحة ويستعمل للواحد
كما في هذه الآية وللجمع كما في قوله قربانا آلهة ابو حيان هو في الاصل مصدر وسمي به المفعول
وقرئ بعض القرّا اتباعا جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير الكرماني قال في سورة فاطر
وبالزبر وبالكتاب بزيادة الباء لان ما هنا بني على الاختصار مع وضوح المعنى بدليل افتتاح
الآية بالماضي وهو اخصر من المضارع المبدوء به آية فاطر وبنا الفعل للمفعول هنا
وللفاعل هناك وقيل ما جاءوا هنا كان جاءتهم رسلهم وفي قراءة هنا بادخال الباء فيهما ايضا وجئ
بالكتاب مفردا وان كان مجموعا من حيث المعنى لتناسب الفواصل وقيل وهو من عطف المرادف
لان الزبر الكتب وقيل الكتاب جنس للتوراة والانجيل وغيرهما والزبر الزواجر من غيران يراد
بها الكتب كل نفس ذائقة الموت جيء بهذه الجملة للوعظ والتسلية للمؤمنين من صنع المكذبين
كما في الآية قبلها الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ بنصب الموت مع تنوين ذائقة وحذفه
لالتقاء الساكنين على حد قوله ولا ذاكر الله الا قليلا فمن زحزح هو ابلغ من دخ لما فيه من
التكرار وفي الجملة ثلاث مقابلات وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور قال الزمخشري شبه
الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته وقرئ
الغرور بفتح الغين وفسر بالشيطان لتبلون في اموالكم الآية قال ابو حيان هي مسوقة في ذم اهل
الكتاب وغيرهم من المشركين فناسب ما قبلها من الآيات التي جاءت في ذم اهل الكتاب وقدم الا
موال على الانفس على سبيل الترقي الى الاشرف او على سبيل الكثرة لان الرزايا في الاموال اكثر من
الرزايا في الانفس من عزم الامور اي معزوماتها التي عزمها اعداء او وجبها وقال الثعالبي العزم
والحزم ولحداهما مبدلة من الاخرى لتبيننه القراءة من الفعلين بالياء والتاء وقرئ ليبيننونه بغير
نون التوكيد لا تحسبن الآية نزلت في رؤساء اليهود كتموا النبي صلى الله عليه وسلم ما سألهم
عنه كما ورد في الحديث فتعرف بذلك وجه ارتباطها بالآية قبلها والقراءة في الفعلين بالياء
والتاء وقرئ آتوا بالمد واوتوا بالبناء للمفعول وفي مصحف ابن مسعود اسقاط فلا يحسبنهم
بمفازة مفعلة من فاز وهي المكان اي الموضع فوز اي نجاة الفراء الفوز النجاة على المكروه
الراغب الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامة ولله ملك السموات والارض تقرير لحكمه على
من ذكر بالتعذيب والله على كل شيء قدير الطوفي ناسب ما قبله لان الاستقلال بالملك العام
والتمكن من تعذيب الغير يستدعي القدرة التامة العامة ان في خلق السموات والارض الآية
مناسب لذكر ملك السموات والارض وذكر قدرته على كل شيء ابن جماعة قدم هنا خلق السموات
والارض على اختلاف الليل والنهار ولما سبقه تقدم ملك السموات والارض وعكس في يونس
في قوله ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لتقدم قوله
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا الآية وذلك اختلاف الليل والنهار ولاولي الالباب ما يناسبه
الذين يذكرون الله فيه من انواع البديع حسن التقسيم باستيفا احوال الذاكر ربنا على تقدير القول

سبحانك اعتراض للتنزيه فقنا رتب بالفاء لانه نتيجة الذكر والفكر والاقرار اخزيته
الراغب خزي الرجل لحقه انكسار اما من نفسه واما من غيره فالذي من نفسه هو الحياء
المفرط ومصدره الخزاية والذي من غيره ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزي واخزاه
يقال منهما جميعا والآية تحتملها انتهى ابو حيان اخزيته فضحته من خزي الرجل يخزي خزيا
اذا افتضح وخزاية اذا استحيى الزجاج المخزي في اللغة المذل المحقور بامر قد لزمه
يقال اخزيته الزمته حجة اذللته معها مناديا اذ كان الرسول فينادي على حقيقته او
القرآن فهو مجاز ابو حيان جمع بين قوله مناديا وينادي لانه ذكر الاول مطلقا وقيد
الثاني تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان وذلك ان المنادي
اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية
بعض النوازل او لبعض المنافع فاذا قلت ينادي للايمان فقد رفعت من شان المنادي
وفخمته ونادى ودعى وندب تتعدى باللام وبالى كما يتعدى بها هدى لوقوع معنى
الاختصاص وانتهاء الغاية جميعا ان آمنوا تحتمل المصدرية والتفسيرية فآمنا العطف
بالفاء يؤذن بتعجيل القبول وتسبب الايمان على السماع فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
الذنوب الكبائر والسيئات الصغائر ففيه ثلاث مقابلات وتوفنا مع الابرار مع هنا مجاز
عن الصحبة الزمانية الى الصحبة في الوصف والابرار جمع بار او برر وجمع ايضا على بررة
الراغب بررة خص بها الملائكة في القرآن من حيث انه ابلغ من ابرار فانه جمع برر وابرار
جمع بار وبر ابلغ من بار كما ان عدلا ابلغ من عادل على رسلك اي على السنة رسلك وقرئ
بسكون السين ابو حيان تكرر لفظ ربنا خمس مرات على سبيل الاستعطاف وطلب رحمة الله بندائه بهذا الاسم الشريف الدال على التربية والملك والاصلاح
فاستجاب بمعنى اجاب وقال تاج القرا اجاب عام واستجاب خاص في حصول المطلوب
اني اي باني وكذا قرا ابي وقرئ بالكسر على اضمار القول وقرئ اني بالتشديد
فالذين هاجروا تفسير للعمل وقاتلوا وقتلوا في قراءة وقتلوا وقاتلوا وقرئ وقتلوا
وقتلوا بتقديم المبني للفاعل وقتلوا وقاتلوا بالبناء للفاعل على الفعلين وقتلوا وقاتلوا بالبناء
للمفعول والتشديد وقاتلوا وقتلوا كذلك ثوابا مصدر مؤكد لا يغرنك قرئ بالنون
الخفيفة ثم مأواهم الكرماني عطف بثم لان قبله متاع قليل وهو في الدنيا فالمأوى بعد ذلك
وفي الرعد ومأواهم بالواو لانه عطف على سوء الحساب وهما جميعا في الآخرة فناسب
الجمع لكن الذين اتقوا ربهم لما تقدم الاخبار عن الكفار بان لهم متاعا قليلا في الدنيا وان
مأواهم جهنم استدرك بلكن الاخبار عن المتقين بامرين مقابلين لذينك الامرين احدهما
مأواهم وهي الجنات والثاني ذكر الخلود فيها وفي قراءة لكن بالتخفيف نزلا نصب على المصدر
وهو ما يعد للضيف من البر وقرئ بكسر الزاي من عند الله اضيف اليه هنا وفيما تقدم
للتشريف وما عند الله خير للابرار تذييل وان من اهل الكتاب الآية لما تقدم في الآيات السابقة

ذكر اهل الكتاب ذكر المؤمنين منهم ومدحهم لا يشترون بعد ذكره اهل الكتاب الذين اشتروا بآياته عرضا من الدنيا سريع الحساب الخ في مناسب لما قبله لأنه وعدهم بالاجر قرب عليهم مدته يا ايها الذين آمنوا الآية ابو حيان ختمت هذه السورة بهذه الوصايا التي جمعت الظهور في الدنيا على العدو والفوز بنعيم الآخرة فامر تعالى بالصبر والمصابرة والرباط قيل اصبروا وصابروا بمعنى ولهذا للتاكيد وقيل اصبروا على طاعة الله وصابروا اعداء الله بالجهاد ورابطوا في الثغور في سبيل الله الراغب اصبروا احبسوا انفسكم على العبادة ورابطوا جاهدوا اهواءكم الكشاف المصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته وقد بينت في كتاب مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ان كل سورة تناسب اولها وآخرها ومن السورة افتتحت بذكره انزال القرآن والتوراة والانجيل من قبل وختمت بذلك في قوله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم

ن سورة النساء

تقدمت الاشارة الى مناسبة وضعها هنا واول هذه السورة ايضا شارحة لبقية مجملات سورة البقرة في آيات عديدة كآية اليتامى والوصية والمواريث والانكحة ونكاح الامة والصداق والخلع والقتال وفيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة تفسير الذين انعمت عليهم في قوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واما وجه اعتلاقها بآل عمران فمن وجوه منها ان آل عمران ختمت بالامر بالتقوى و افتتحت هذه السورة به وذلك من آكد وجوه المناسبات في ترتيب السور وهذا النوع من انواع البديع يسمى تشابه الاطراف ومنها ان سورة آل عمران ذكرت فيها قصة احد مستوفاة وذكر في هذه السورة ذيلها وهو قوله فما لكم في المنافقين فئتين فانها نزلت لما اختلف الصحابة فيمن رجع من المنافقين عن غزوة احد كما في الحديث ومنها ان في آل عمران ذكر الغزوة التي بعد احد في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح الآية واشير اليها هنا بقوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون الآية وبهذين الوجهين عرف ان تاخير النساء عن آل عمران انسب من تقديمها عليها في مصحف ابن مسعود لان المذكور هنا ذيل ما في آل عمران وتابعه ولاحقه فكان بالتاخير انسب ومنها انه لما ذكر في آل عمران قصة خلق عيسى بلا اب واقيمت له الحجة بآدم وفي ذلك تبرئة لامه خلافا لما زعمه اليهود وتقرير لعبوديته خلافا لما ادعته النصارى ذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معا فرد على اليهود بقوله وقولهم على مريم بهتانا عظيما وعلى النصارى بقوله لا تغلوا في دينكم الى قوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ومنها انه لما ذكر في آل عمران اني متوفيك ورافعك الي رد هنا على من زعم قتله

بقوله

بقوله وقولهم انا قتلنا المسيح الآية ومنها انه لما قال في آل عمران والراسخون في العلم يقولون آمنا به قال هنا لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون الآية ومنها انه لما قال في آل عمران زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فصل هذه الاشيا في السور التي بعدها على نسق ما وقعت في الآية ليعلم ما احل من ذلك فيقتصر عليه وما حرم فلا يتعدى اليه ففصل في هذه السورة احكام النساء ومباحاتها ومحرماتها لابتدائها في الآية والبنين فذكر البنات معهم في الارث ردا لما كانوا يصنعون من تخصيص البنين بالميراث حبهم لهم فكان ذلك تفصيلا لما يحل ويحرم من ايثار البنين اللازم عن الحب ثم فصل في سورة المائدة احكام السراق وقطاع الطريق لتعلقهم بالذهب والفضة الواقع في الآية بعد النساء والبنين ووقع في هذه السورة اشارة الى ذلك في قسمة المواريث ثم فصل في سورة الانعام امر الحيوان والانعام والحرث وهو بقية المذكور في الآية فانظر الى هذه اللطيفة التي من الله بالهامها وبقيت وجوه اخرى بينتها في كتاب تناسق الدرر في تناسب السور ابو حيان وجه ارتباط اول السورة بآخر ما قبلها انه اخبر في آخر تلك ان بعض المؤمنين من بعض في اصل التوالد فنبه في اول هذه على ايجاد الاصل وتفرع العالم الانساني منه ليحث على التوافق والتوادد والتعاطف وعدم الاختلاف ولينبه بذلك على ان اصل الجنس الانساني كان عابدا لله مفردا له بالتوحيد والتقوى طائعا له فكذلك ينبغي ان تكون فروعه التي نشات منه فنادى تعالى نداء عاما للناس وامرهم بالتقوى التي هي ملاك الامر وجعل سبب التقوى تذكاره اياهم بانه اوجدهم وانشاهم من نفس واحدة ومن كان قادرا على مثل هذا الايجاد الغريب الصنع فهو جدير بان يتقى فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم قيل وجعل هذا المطلع مطلعا لسورتين احداهما هذه وهي الرابعة من النصف الاول والثانية سورة الحج وهي الرابعة من النصف الثاني وعلل هنا الامر بالتقوى بما دل على معرفة المبدأ وهناك بما يدل على المعاد وبدا بالمبدأ لانه الاول من نفس واحدة استرعاء للفظ النفس وقرئ واحد بالتذكير مراعاة للمعنى او على ان النفس تذكر وتؤنث وخلق منها زوجها في الاعراف وجعل منها زوجها وهي نعتت وبث الراغب اصل البث اثارة الشيء وتفريقه رجالا كثيرا ونساء التنكير للشيوع وقدم الرجال لفضلهم وخص رجالا بذكر الوصف بالكثرة قيل مع الحذف من الثاني اكتفاء وقيل تنبيها على ان اللائق بحالهم الاشتهار والخروج والبروز واللائق بحال النساء الاختفاء وقرئ وخالق وبات على تقدير وهو واتقوا الله كرره تاكيدا للاول وقيل لاختلاف المتعلق وذكر اولا الرب الذي يدل على الاحسان والتربية وثانيا الله الذي يدل على القهر والهيبة جمعا بين الترغيب والترهيب بادئا بالترغيب تساءلون به التشديد والتخفيف وقرئ تسالون مضارع سال وتسلون بحذف الهمزة والقاء حركتها على السين والارحام بالنصب عطفا على الجلالة اي واتقوا الارحام ان تقطعوها وبالجر عطفا على الضمير

المجرور من غير اعادة الجار ويويده قراءة ابن مسعود وبالارحام وكانوا يقولون انشدك بالله والرحم وقرئ بالضم رقيبا اي حافظا ابو حيان هو فعيل من رقب يرقب احد النظر لامر ليتحققه على ما هو عليه ويقترن به الحفظ الطوفي هو مناسب لما في سياقه من الوصية بتقوى الله وصلة الارحام اكد ذلك بان اخبرهم انه رقيب عليهم مشاهد لهم ليحافظوا على اقامة ما امرهم به وآتوا اليتامى مناسب لما تقدم من الامر بوصل الارحام وفي اليتامى مجاز الكون ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم قد جيء به للتقبيح فعلم انه لا احتراز عما في قوله اضعافا مضاعفة حوبا مصدر بمعنى الاثم وقرئ بفتح الحاء لغة تميم وحابا وهما مصدران ايضا وقيل الحوب بالفتح المصدر وبالضم الاسم وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الآية الكريمة في طعن بعض اهل الالحاد في تعليق الآية وله وجوه احدها ان خفتم ان لا تقسطوا في انكاح اليتامى فان الامر فيهن وفي مهورهن على المتزوج ضيق فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثاني ان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى وتحرجتم من ذلك فكذلك خافوا في النساء الثالث ان خفتم الحيف والحوب في اموالكم اموال اليتامى فقد حظرت عليكم ان تنكحوا اكثر من اربع الرابع ان تحرجتم عن اكل مال اليتيم فتحرجوا عن الزنا فانكحوا ما طاب لكم الزملكاني في الآية لتبين آخر الكلام ظنه قوله فلا يجوز في الظاهر ان يكون جوابا وتاويله ان كنتم تتحرجون عن مخالطة اليتامى مخافة ان لا تقسطوا فلم لا تتحرجون من تركم الاقساط في امر النساء لان احدكم كان يتزوج العشر والعشرين ثم لا يقسم بينهن وربما جار عليهن في المأكل والملبس والعشرة فكانه قال فان تحرجتم عن امر اليتامى فتحرجوا عن امر النساء فانكحوا ما طاب لكم منهن اي فحل منهن ما حل بان قال مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة اي فلينكح كل واحد ولو ذهب مثنى وثلاث ورباع لقال احادا ولم يقصد فيه الاستيعاب على جهة التفصيل انتهى وقرئ تقسطوا بفتح التاء بمعنى عدل كما تقدم حكايته او بمعنى جار وعلى زيادة لا وقرئ من طاب وما طيب مثنى وثلاث ورباع هي معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولم يرد بها التوكيد انما اريد تكرار العدد الى غاية المعدود كقوله سيرا سيرا وفصلت لك الحساب بابا بابا وقرئ ثنا وثلث وربع مقصورات من ثناء وثلاث ورباع بحذف الالف فواحدة بالنصب على تقدير فانكحوا وبالرفع على الابتداء والخبر مقدر اي كافية او على الخبر والمبتدأ مقدر اي فحسبكم او ما ملكت هو من باب عليهم تبنا وماء باردا اذ لا يصح ان لا يتقدر فيه فانكحوا فيقدر وطؤوا وقرئ من ملكت واسند الملك الى اليمين لانها صفة مدح واليمين مخصوصة بالمحاسن تعولوا من عال يميل جار وقيل بمعنى كثر عيالكم ويؤيده الا قوله تقدم ان لا تعدلوا والعدل ضده الجور وقرئ تعيلوا بفتح اوله اي تفتقروا من العيلة من عال يعيل افتقر وبضمه من اعال الرجل كثر عياله صدقاتهن صداقه بوزن سمرة وقرئ بضم الصاد

وسكون الدال وقرئ بضمها وقرئ صدقتهن بضمتين نحلة الراغب النحلة العطية على سبيل التبرع وهي اخص من الهبة لان كل نحلة هبة ولا عكس وسمي الصداق نحلة من حيث انه لا يجب في مقابلته سوى التمتع دون عوض مالي ابو حيان النحلة العطية عن طيب نفس وهو مصدر لآتوا من معناه منه ذكر الضمير مع عوده الى الصدقات على معنى الصداق او اجري الضمير مجرى الاشارة وقيل هو عائد الى المال الدال عليه صدقاتهن وقيل على الايتاء الدال عليه وآتوا فكلوه امر اباحة هنيئا مريئا نصب على المصدر او الحال الراغب الهنيء كل ما لا يلحق فيه مشقة ولا وخامة والمريء ما كان سائغا لا تنغيص فيه وقرئ بالادغام فيهما ولا تؤتوا السفهاء اموالكم قيل الخطاب لارباب الاموال فالاضافة على حقيقتها وقيل للاولياء والمراد السفهاء واضافها الى المخاطبين تغييطا بها على حد ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا انفسكم ابو حيان لما امر اولا بايتاء اليتامى اموالهم ثم بايتاء النساء صدقاتهن وكان هذا عاما خصصه بغير السفهاء التي قرئ اللاتي واللواتي قياما مصدر قام كالصيام وفي قراءة قيما مصدرا ايضا وقيل جمع قيمة وقرئ قواما بكسر القاف وفتحها وقوما بالكسر مصادر لم تعل وارزقوهم فيها ابو حيان لم يقل منها تنبيها على ما قاله عليه السلام ابتغوا في اموال اليتامى كي لا تاكلها الصدقة فيكون الانفاق عليهم من فضلاتها المكتسبة وقيل في بمعنى من بلغوا النكاح اي الحلم آنستم الراغب ابصرتم استأنسه ابو حيان آنس كذا احس به وشعر وقرأ ابن مسعود فان احستم اي احسستم رشدا قرئ بفتحتين وبضمتين ونكره كان المراد نوع من الرشد وطرف من مخيلته ولا تنتظر تمام الرشد ولا تاكلوها نهيا عن الاكل عن الاخذ لانه اعظم وجوه الانتفاع اسرافا وبدارا مصدران في موضع الحال ان يكبروا نصب ببدارا فليستعفف قال ابو حيان هي ابلغ من فليعف لان فيه طلب زيادة العفة الراغب الاستعفاف طلب العفة وهي حصول حالة للنفس يمتنع بها من غلبة الشهوة وكفى بالله هو من زيادة الباء في الفاعل لانه في معنى الامر اي اكتف بالله حسيبا اي كافيا الراغب اي رقيبا يحاسبهم و اصله المحاسب ثم عبر به عن المكافي بالحساب فارزقوهم منه اي من الميراث او المقسوم وليخش الذين الآية قال ابن جني الالف التي بما تقدم وما تأخر ان تكون من آيات الواردة في الايتام حمل تعالى آخرها وعاهم الى حفظ مال اليتيم ان ينبههم على حال انفسهم وذريتهم ورأى من اقوى البواعث في هذا المقصود على الاحتياط وقرئ بكسر اللام في الافعال الثلاثة وقرئ ضعفاء بضمتين وضعاف كسكارى وضعفا كظرفا ابو حيان ترتيب هذه الاوامر احسن ترتيب حيث بدأ اولا بالخشية التي محلها القلب وهي الحامل على التقوى ثم بالتقوى وهي مسببة عن الخشية اذ هي جعل الانسان في وقاية مما يخشاه ثم بالقول السديد فقط بل وهو ما ظهر من الفعل الناشي عن التقوى الناشية عن الخشية ولا يراد تخصيص القول السديد فقط بل المعنى

في الفعل والقول المسديد وانما اقتصر على القول لسهولته في الانسان يقال بمعنى الفاعل
وبمعنى المفعول انما يأكلون فيه وقوع ان و خبرا لان وحسنه طول الكلام في بطونهم
تاكيد كما تقدم مثله في البقرة نارا هي حقيقة في الآخرة وقيل من مجاز الاول وسيصلون بالبناء للفاعل
وللمفعول وقرئ بضم اليا واللام مبنيا للفاعل من الرباعي وبالتشديد مبنيا للمفعول والصلا
المتحقق بقرب النار قاله ابو حيان وقال الراغب اصله الايقاد بالنار الخلل صلي الحاضر
النار فاشار كما ابو حيان عبر بالصلا بالنار عن العذاب الدائم بها اذ النار لا تذهب
ذواتهم ولا تعدمهم بالكلية كما في الآية الآتية وجا يأكلون بدون سين وسيصلون بالسين
لان الثاني مؤخر الى الآخرة والاول في الدنيا فاشبه الحال ولما كان لفظ نار مطلقا قيد
في قوله سعيرا اذ هو الجمر المتقد الراغب السعر التهاب النار والسعار حر النار وسعر
اصابه حر والسعير الجحيم فعيل بمعنى مفعول يوصيكم الله ابو حيان لما ابهم قوله نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون في المقدار والاقربين بين في هذه الآية المقادير ومن يرث من الاقربين
وبدأ بالاولاد وان تم من الدهم كما بدأ بهم في قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان وقدم الذكر
لفضله وعبر بلفظ الايصاء لانه ابلغ وادل على الاهتمام وطلب حصوله بسرعة وقرئ بالتشديد
في اولادكم اي اولاد موتاكم لانه لا يخاطب الحي بقسمة الميراث في اولاده للذكر قرئ ان للذكر
فان كن الضمير عائد الى ما دل عليه الاولاد من الاناث فوق اثنتين قيل بظاهره وان للبنتين
النصف والجمهور على ان للبنتين ايضا الثلثين فقيل فوق زائدة وقيل بين هنا حكم ما فوق
الثنتين والواحدة من البنات وسكت عن حكم الثنتين وبين في آخر السورة حكم الواحدة من
الاخوات والثنتين وسكت عما فوقهما فوجب الحاق المسكوت في كل آية بالمنطوق في الاخرى
الزمخشري ذكر في كل من الآيتين ما كف عن ذكره في الاخرى فوجب حمل كل واحدة منهما فيما امسك
عنه فيها على ما ذكر في غيرها وقرئ بسكون الثا في ثلث وثلثا وربع وسدس وان كانت
واحدة بالنصب على ان كان ناقصة وبالرفع على انها تامة النصف قرئ بضم النون ولابويه
لكل واحد منهما بدل تفصيل اذ لولا هذا البدل لفهم اشتراكهما في السدس وهو ابلغ وآكد
مما لو قيل لكل واحد من ابويه السدس اذ تكرر ذكرهما مرتين مرة بالاظهار ومرة بالاضمار ولو كان
التركيب ولابويه السدسان لاوهم الترجيح على المقدار بين الابوين فكان هذا التركيب في
غاية النقاوة والفصاحة فلامه الثلث فيه اكتفا اي والباقي وهو الثلثان للاب وفي
قراءة بكسر الهمزة لغة هوازن وهذيل فان كان له اخوة فيه اطلاق الجمع على الاثنين فصاعدا
من بعد وصية يوصي بها او دين قدم الوصية على الدين وان كانت مؤخرة عنه شرعا لانها لكونها
مندوبة قد يتغافل عنها وثم دون او فافيد بالتقديم الاهتمام ومن متعلقة بمحذوف اي يستحقون
ذلك كما فصل ويوصي بالبناء للفاعل وللمفعول اباؤكم وابناؤكم الى آخره الزجاج معنى الكلام
ان الله تعالى تولى قسمة المواريث على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم
فتضعون الاموال على غير حكمة ولهذا اتبعه بقوله ان الله كان عليما حكيما اي عليما بما يصلح لخلقه

يہا

حكيم فيما فرض ابن عطية هذا الفرض بحكمة في ذلك وما نبه للعرب الذين كانوا يورثون
على غير هذه الصفة الطوفي مناسبة لما في الآية من توزيع الفروض على اهلها وتخصيص بعضهم
بالقليل وبعضهم بالكثير وذلك يستدعي علما وحكمة قال وحكى ابو علي السنجي عن مشايخه
ان حبرا من النصارى سمع هذه الآية فصاح صيحة ثم اسلم فسئل عن ذلك فقال اني تأملت
هذه القسمة فعرفت انه لا يهتدي الى مثلها الا العليم الحكيم ولكم نصف لما ذكر تعالى ميراث الفروع
والاصول اخذ في ذكر المتصلين بالنسب وبدأ بخطاب الرجال لشرفهم يورث بالبناء للمفعول
مخففا ومشددا كلالة الزمخشري هي في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من
الاعيا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة
ضعيفة الراغب الكلالة مصدر يجمع الوارث والموروث جميعا وتسميتها بذلك اما لان
النسب كل من اللحوق به او لانه قد لحق به بالعرض من احد طرفيه وله اخ او اخت زاد ابي
او وقاص في قراءته من ام وفي قراءة ابي من الام فان كانوا فيه تغليب ضمير الذكور يوصي بها
الضمير عائد على رجل كما عاد اليه ضمير وله اخ وقيل الى الميت وفي قراءة بالبناء الى المفعول
وقرئ غير مضار وصية باضافة مضار الى وصية اتساعا على حد يا سارق الليلة اهل الدار
والله عليم حليم الطوفي هو مناسب لما في الآية اي والله عليم بصواب ما فصل من احكام الفرائض
حليم عمن ضار في وصيته فرهب من المضارة بالنهي عنها ولم يقنط من التجاوز باتصافه بالحلم
الا انه لما وصف نفسه بقوله عليم وفيه اشارة الى المجازاة على المضارة اعقب ذلك
بالصفة الدالة على الصفح وذلك عادة اكثر القرآن انه لا يذكر ما يدل على العقاب الا ويردف
بما يدل على العفو تلك حدود الله الآتيين لما قسم المواريث اشار اليها حدود لا يجوز تعديها
ثم قسم الناس الى عامل بها مطيع والى غير عامل عاص وبدأ بالمطيع لان الغالب على من كان مؤمنا
بالله الطاعة ولان قسم الخير ينبغي ان يبتدأ به ويعتنى بتقديمه وفي الآيتين ثلاث مقابلات
ومنها مراعاة للفظ من تارة ومعناها اخرى والقراءة يدخله في الموضعين بالياء والنون فيهما
على الثانية ثلاث التفاتات الراغب وصف الفوز بالعظيم اعتبارا بفوز الدنيا الموصوف
بقوله متاع الدنيا قليل والصغير والقليل في وصفه متقاربان ابو حيان غلظ في قسم العاصي
اذ لم يكتف بالعصيان بل اكد ذلك بقوله ويتعد حدوده وناسب الختم بالعذاب
المهين لان العاصي المتعدي للحدود برز في صورة من اغتر وتجاسر على معصية الله وقد
تنال المبالاة بالشدائد ما لم ينضم اليها الهوان ولهذا قالوا المنية ولا الدنية قيل
وافرد خالدا في المعاصي وجمع في الطائع لان العاصي يدخل النار وحيدا واهل الجنة
يدخلون الجنة زمرا الكرماني قال هنا وذلك الفوز العظيم بالواو وفي براءة بغير
واو للموافقة ما قبل وما بعد من قوله ومن يطع ومن يعص وفي براءة اعد الله لهم واو قال
ربكما واللاتي يأتين الفاحشة ابو حيان مناسبة الآية لما قبلها ان تعالى لما امر باحسان
الى النساء بذكر ايتاء صدقاتهن ونورثهن وقد كن لا يورثن في الجاهلية ذكر التغليظ

عليهن فيها بالتبرئة من الفاحشة وهو في الحقيقة احصان لهن اذ هو من مصالح دينهن
وآخرتهن ودنياهن ايضا وانه تعالى لما ذكر حدوده المشار بها الى جميع ما وقع من اول السورة
الى موضع الاشارة وكان في مبدأ السورة التحضيض بالتزويج واباحة ما اباح من نكاح
اربع استطرد بعد ذلك الى حكم من خالف ما امر الله به من النكاح من الزواني وقدمهن
على الرجال لانهن ادخل في باب الشهوة ولهذا قدمت في آية الزانية والزاني وان كانت
الآية الثانية في اللواط فوجه التقديم ظاهر لان الزنا اكثر منه خصوصا عند العرب فلم يكونوا
يعرفونه واطلق على الزنا اسم الفاحشة لزيادته في القبح على كثير من القبائح وان كان
القتل والكفر اكبر منه لكونه اخس انواع الفساد وقرئ بالفاحشة واللذان بتخفيف النون
وتشديدها وقرئ بالهمزة والتشديد وقرأ ابن مسعود والذين يفعلونه فآذوهما
الطوفي مناسب لقوله فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما التوبة التي قبولها على الله عبر بعلى
للتأكيد وقيل هي بمعنى عند فاولئك يتوب الله عليهم لما ذكر ان قبول التوبة عليه ذكر انه يتعطف
عليهم فيرحمهم ولذلك اختلف متعلقا التوبة حيث قيل في الاول على الله وفي الثاني عليهم
يعملون السيئات جيء بالمضارع دون الماضي اشارة الى الاصرار ولا الذين بلا النافية ويحتمل
لام الابتداء مبتدأ خبره اولئك اعتدنا فيه التفات يا ايها الذين آمنوا الآية عود الى قصة
النساء بعد الاستطراد منها الى ذكر فاحشة الرجال المقابلة لفاحشة النساء ثم قصة التوبة
المتصلة بقوله فان تابا واصلحا كرها بفتح الكاف وضمها ولا تعضلوهن خطاب للازواج بعد
خطاب وارثي الازواج وهو يحتمل الجزم والنصب ويؤيد الثاني قراءة ابن مسعود ولا ان تعضلوهن
مبينة بفتح الياء وكسرها فعسى ان تكرهوا شيئا علق الكراهة بالشيء دون ضميرهن لقصد العموم
ويجعل الله فيه التفات وان اردتم الآية لما اذن في اخذ شيء منهن اذا اتين بفاحشة بين
تحريمه في غير حال الفاحشة واقام الارادة مقام الفعل مكانه قال وان استبدلتم وهذا
عكس الشائع المشهور من اقامة الفعل مقام الارادة وآتيتم احداهن قنطارا فيه مبالغة وجملة
حالية بحذف قد وقرئ بوصل الف احداهن بهتانا اصله الكذب الذي يواجه به الانسان
صاحبه على جهة المكابرة فيبهت المكذوب عليه اي يتحير فسمي كل باطل يتحير من بطلانه
بهتانا افضى ابو حيان الافضاء الى الشيء الوصول الى فضاء منه اي سعة غير محصورة وكني
به عن الجماع ميثاقا غليظا الزمخشري وصف بالغلظ لقوته وعظمه واسناد الاخذ
اليه مجاز ولا تنكحوا الآية هي متصلة بقوله ولا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها لان سبب نزولها
من كان من العرب يتزوج امرأة ابيه كرها ومقتا الراغب المقت البغض الشديد لمن تراه
متعاطيا القبيح ابو حيان المقت بغض مقرون باستحقار حصل بسبب امر قبيح حرمت عليكم امهاتكم
لما تقدم تحريم نكاح امرأة الاب وليس ما كان تحريم الام اولى توصل به مع ما استتبعه
وبنات الاخ وبنات الاخت افرد المضاف اليه اكتفاء بجمع المضاف طلبا للخفة وامهاتكم
اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة ذكر الرضاع قسمين وان كان المحرم به انقسامها

منها مع الباقي فالامهات يستدل بها على قرابة الاولاد والاخوات يستدل بها على قرابة
العمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت واخر الرضاع من النسب لكونه دونه وقرئ
التي واللاتي والرضاعة بالكسر اللاتي في حجوركم صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها
ولذا لم يذكر له مفهوما كما ذكر مفهوم قوله اللاتي دخلتم بهن وحلائل جمع حليلة وهي الزوجة
لانها تحل مع الزوج حيث حل فعيلة بمعنى فاعلة وقيل هي من لفظ الحلال التي بمعنى محللة ابو حيان
الحليلة اسم يختص بالزوجة دون ملك اليمين الذين من اصلابكم وصف يرفع المجاز الذي
يحمله لفظ ابنائكم اذ كانوا يطلقونه على من يتبنونه ان الله كان غفورا رحيما الطوفي مناسب
لقوله الا ما قد سلف لان ذلك مغفور اذ الاسلام يجب ما قبله والمحصنات عطف على
المحرمات والاحصان اصله المنع ومنه الحصن ثم استعمل بمعنى التزوج كما هنا وبمعنى
العفة كما في محصنات غير مسافحات احصنت فرجها وبمعنى الحرية كما في فعليهن نصف
ما على المحصنات من العذاب وبمعنى الاسلام الراغب لم يقرأ هنا الا بالفتح لان المراد المزوجات
دون العفيفات وقرئ في غيره بالفتح والكسر لاحتمال الامرين وقرئ هنا بضم الصاد
اتباعا لحركة الميم كتاب الله عليكم نصب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة من قوله
حرمت عليكم وقيل على الاغراء وقرئ كتب بصيغة الماضي ورفع الجلالة وكتب بصيغة الجمع
مرفوعا اي هذه كتب الله عليكم اي فرائضه ولوازمه واحل لكم بالبناء للفاعل وللمفعول
ما وراء ذلكم اي سواه ان تبتغوا بدل من ما محصنين حال غير مسافحين حال مؤكدة لان الاحصان
لا يجامع السفاح فيه طباق الكرماني قال هنا ذلك وكذا في المائدة وفي الآية الاخرى
محصنات غير مسافحات لان ما هنا راجع الى الرجال الناكحين وما ثمة راجع الى النساء
المنكوحات فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن ابن عباس في القراءة الى اجل مسمى اجورهن
استعارة في المهور اذ حقيقتها ما يبذل على عمل فريضة حال او مصدر ان الله كان
عليما حكيما الطوفي مناسب لما هو في سياقه من تحريم المحرمات واحلال ما عداهن لان ذلك
لا يصدر الا عن علم وحكمة ولا ينفذ الا من حاكم ماض الحكم ومن لم يستطع لما ذكر المحرمات
والمباحات شرع في ما يحل في حال ويحرم في حال طولا سعة في المال ان ينكح المحصنات المراد
بها الحرائر فمما اي فلينكح مما فتياتكم جمع فتاة واصلها الحديثة السن ثم كني بها عن الرقيقة
قاله الراغب والاضافة فيه على حد ما تقدم في اموالكم اذ لم يرد المعنى ان الرجل ينكح فتاة
نفسه والله اعلم بايمانكم جملة معترضة مناسبة لذكر المؤمنات وغلب فيها خطاب الذكور
بعضكم من بعض جملة اخرى معترضة قصد بها التأنيس بنكاح الاماء وان الاحرار والارقاء
كلهم متواصلون متناسبون يرجعون الى اصل واحد وقد اشتركوا في الايمان وقد كانت
العرب تستنكف عن نكاح الاماء وتستهجنه غير مسافحات اي معلنات بالزنا
ولا متخذات اخدان اي مسرات به الراغب الاخدان جمع خدن وهو المصاحب واكثر ما
يستعمل ذلك فيمن يصاحب لشهوة فاذا احصن قيل المراد اسلمن وقيل تزوجن فلا مفهوم

للشرط على هذا والقراءة بالبناء للفاعل وللمفعول فان اتين هو من اعتراض الشرط على الشرط المحصنات المراد الحرائر ذلك اشارة الى نكاح الامة وان تصبروا اي عن نكاح الاماء وحذف لقصد العموم والله غفور رحيم الطوفي مناسب لما هو في سياقه من احلال نكاح الامة ومن تخفيف عذابها بالنسبة الى الحرة ليبين لكم ويهديكم قيل معناهما واحد والحق التفرقة والله عليم حكيم الطوفي مناسب لما في الاية لان بيان الاحكام الظاهرة الحكمة لا يكون الا من عالم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم قيل تكرار للتاكيد وقيل علقت الارادة بالتوبة اولا على سبيل العلية وثانيا على سبيل المفعول فقد اختلف المتعلقات فلا تكرار وكما اراد سبب التوبة فقد اراد التوبة عليهم اذ قد يصح عليهم ارادة السبب دون الفعل ابن عطية تكرار ارادة الله التوبة على عباده تقوية للاخبار الاول وليس المقصد في الاية الا الاخبار عن ارادة الذين يتبعون الشهوات فقدمت ارادة الله توطية مظهرة لفساد ارادة متبعي الشهوات واكد فعل الميل بالمصدر على سبيل المبالغة ولم يكتف حتى وصفه بالعظم لان الميول مختلفة ورتب علاجها متفاوتة وسيل هاوية العطاء للمول معلقة وجاءت الجملة الاولى اسمية لانها ادل على الثبوت وتكرير اسم الله فيها مظهرا ومضمرا والثانية فعلية لان ارادتهم تتجدد في كل وقت الراغب الواو في الثانية للحال لا للعطف تنبيها على انه يريد التوبة عليكم في حال ما تريدون ان تميلوا فخالف بين الاخبارين في تقديم المخبر عنه في الجملة الاولى وتاخيره في الثانية ليبين ان الثاني ليس على العطف وقرئ تميلوا بالتحتية عودا على الذين والميل لغة العدول عن الوسط الى احد الجانبين ويستعمل في الجور ومنه فلا تميلوا كل الميل ومنه قيل عليه حاملت عليه ومنه فيميلون عليكم ميلة واحدة والمال سمي بذلك لكونه مائلا ابدا وزائلا واذا استعمل الميل في الاجسام فيما كان خلقة قيل ميل وفيما كان عرضا ميل يريد الله ان يخفف عنكم جملة مستانفة وقيل حال من الجملة السابقة وخلق الانسان ضعيفا اي في امر النساء وقرئ وخلق بالبناء للفاعل يا ايها الذين امنوا الاية ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها انه تعالى لما بين كيفية التصرف في النفوس بالنكاح بين كيفية التصرف في الاموال الموصلة الى النكاح والى ملك اليمين وان المهور والاثمان المبذولة وذلك لا يكون مما ملك بالباطل والباطل كل طريق لم يبحه الشرع واضافة الاموال الى المخاطبين للملابسة كما تقدم الا ان تكون الا استثناء منقطع تجارة بالرفع والنصب على ان اسمها مضمر يعود على الاموال او تقدير التجارة ولا تقتلوا انفسكم قيل على حقيقته وقيل مجازا اي لا يقتل بعضكم بعضا اضاف القتل الى انفسهم لانهم كنفس واحدة وقرئ تقتلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما الطوفي مناسب للنهي عن قتل النفس زاد ابو حيان وعن اكل الحرام ولبيان جهة الحل التي لا توجب القتل وقيل رحيما حيث لم يكلفكم قتل انفسكم حين التوبة كما كلف بني اسرائيل ذلك ويؤيد الاختصاص المفهوم من تقديم بكم ومن يفعل ذلك اشارة الى ما وقع النهي عنه في الاية قبلها من اكل الحرام وقتل النفس وقيل الى الثاني خاصة لانه اقرب مذكور وقيل الى ما سبق النهي عنه من قوله ولا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اليها عدوانا

اي

وقرئ بكسر العين وظلما وقيل هو من عطف المرادف نصليه بضم النون من اصلاه وقرئ بفتحها من صلاه وقرئ بالضم والتشديد وفيها القفات وقرئ بالياء على نسق ما تقدم على الله فيه التفات في القراءة المشهورة ان تجتنبوا الاية ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها ظاهرة لانه تعالى لما ذكر الوعيد على فعل بعض الكبائر ذكر الوعد على اجتناب الكبائر كبائر قرئ كبير بالتوحيد نكفر بالياء والنون فعلى الثاني التفات سيئاتكم وقرئ بزيادة من وندخلكم بالياء والنون مدخلا بضم الميم مصدر وبفتحها مكان ولا تتمنوا ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها انه تعالى لما نهى عن اكل المال بالباطل وعن قتل الانفس وكان مما نهي عنه مراعاة الى التبسط في الدنيا والعلو فيها وتحصيل حطامها نهاهم عن تمني ما فضل به بعضهم على بعض اذ التمني لذلك سبب مؤثر في تحصيل الدنيا وتشوف النفس اليها بكل طريق فلم يكتف بالنهي عن تحصيل المال بالباطل وقتل الانفس حتى نهى عن السبب المحرض على ذلك وكانت المبادرة الى النهي عن المسبب اكد لعظمها عند فيدي بعد ذلك ابع بالنهي عن السبب حسما لمادة المسبب وليوافق العمل القلبي العمل الجارحي فيستوي الباطن والظاهر في الامتناع عن الافعال القبيحة ما فضل الله فيه التفات واسالوا الله من فضله لما نهاهم عن تمني ما فضل به بعضهم امرهم ان يتعبدوا في المزيد عليه والقراءة سلوا لغة الحجاز واسالوا لغة تميم بكل شيء عليما الطوفي مناسب لاول الاية وهو النهي عن التمني اي ان الله عليم بما يصلحكم ورب متمن ما اعطيه غيره وفيه فساد حاله قال ولعله مناسب لقوله واسالوا الله من فضله لان صفة العدل به انسب اذ هي المؤثرة في العطا واجابة السؤال العلم ولكل جعلنا فيه التفات وفيه عود الى قصة المواريث وارتباط بقوله للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن عاقدت في قراءة عقدت مخففا ومشددا وفي اسنادها للايمان مجاز والمراد به الحلف وقيل الزوجية وقيل الولا وقيل الوصية ان الله فيه التفات شهيدا مناسب للعقد والمعاقدة قاله الطوفي الرجال قوامون لما اعلاه بقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض والمراد بعضهم هنا الرجال وبعض النساء وعدل عن الضميرين لم يقل بما فضلهم الله عليهن لما ذكر بعض من الابهام الذي لا يقتضي عموم الضمير فرب انثى فضلت ذكرا بما حفظ الله برفع الجلالة اي بحفظ الله اياهن اي بتوفيقه وبنصبها فما موصولة وفي حفظ ضميرها اي الطاعة والمراد بحفظ الله في امتثال امره واللاتي تخافون نشوزهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فيه الترقي وقرئ المضجع بالافراد زاد ان الله كان عليا كبيرا الطوفي مناسب لاول الاية واخرها لان قيام الرجال على النساء فيه نوع استعلا وطلب السبيل عليهن بعد الطاعة بغي منه عليهن والبغي فيه علو وتكبر فنهاهم عن ذلك واخبرهم انه هو العلي الكبير المستحق للاتصاف بهاتين الصفتين لا غيره وان خفتم خطاب للاولياء والحكام بعد خطاب الازواج شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف اتساعا ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الحكمان في الضمير ان ضميران اربعة اوجه عودهما للحكمين وللزوجين وما للحكمين والثاني للزوجين وعكسه عليما خبيرا الطوفي مناسب لما في الاية اي عليم بمصلحة الزوجين

في مشروعية الخلع وبعث الحكمين خبيرا بالأحوال وليّ بهما في معاشهما فلذلك شرعه لهما ليكون
طريقا إلى التخلص من سوء العشرة واحدى الصفتين مؤكدة للأخرى غير أن خبيرا أبلغ من عليما من
جهة الاشتقاق أبو حيان عليما بقصد الحكمين وكيف يوفق بين المختلعين خبيرا بما
ينطقان به في أمر الزوجين واعبدوا الله أبو حيان لما ذكر قيام الرجال على النساء وأن نفاق
عليهن استطرد إلى الإحسان للوالدين ومن ذكر معهما حثا على الإحسان واستطراد المكارم
الأخلاق وافتتح التوصل إلى ذلك بالأمر بإفراد الله بالعبادة إذ هي مبدأ الخير الذي
تترتب الأعمال الصالحة عليه ونظيره وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله
وبالوالدين إحسانا وبالوالدين إحسانا وتكي إحسان على المبتدأ والخبر فيه بذي القربى أعاد
الباء هنا دون آية البقرة لأن هذه في حق هذه الأمة وتلك في حق بني إسرائيل فزيدت
هنا تأكيدا ومبالغة لأن الاعتنا بهذه الأمة أكثر من الاعتنا بغيرها والجار ذي القربى
قرئ ذا القربى بالنصب على الاختصاص تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى والجار
الجنب أي البعيد وقرئ بفتح الجيم وسكون النون بمعناه وقيل لما في إن الله لا يحب من كان
مختالا فخورا أبو حيان نفى تعالى محبته عمن اتصف بهاتين الصفتين الاختيال وهو التكبر والفخر
وهو عد المناقب على سبيل التطاول بها والتعاظم على الناس لأن من اتصف بهاتين الصفتين حملتاه
على الإخلال بمن ذكر في الآية ممن يكون لهم حاجة إليه وقال أبو رجاء لا تجد سيئ الملكة
إلا وجدته مختالا فخورا ولا عاقا إلا وجدته جبارا شقيا وقال الزمخشري المختال
التياه الجهول الذي يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه وقال غيره ذكر تعالى
الاختيال لأن المختال يأنف من ذوي قرابته إذا كانوا فقرا ومن جيرانه إذا كانوا ضعفا
ومن الأيتام لاستضعافهم ومن المساكين لافتقارهم ومن ابن السبيل لبعده عن أهله
وماله ومن مماليكه لأسرهم في يده قال أبو حيان تفاوتت النقول على أن ذكر
هاتين الصفتين في آخر الآية أما جانبهما على أن من اتصف بالخيلاء والفخر يأنف من الإحسان
للأصناف المذكورين وأن الحامل له على ذلك اتصافه بهما والذي يظهر لي أن مساقهما غير
هذا المساق الذي ذكروه وذلك أنه تعالى لما أمر بالإحسان للأصناف المذكورين وكان
في العادة أن من اتصف بمكارم الأخلاق يجد في نفسه خيلا وافتخارا بما صدر منه من الإحسان
وكثيرا ما افتخرت العرب بذلك وتعاظمت به في نثرها ونظمها أراد الله تعالى أن يتبرع على التحلي
بصفة التواضع وأن لا يرى لنفسه شفوفا على من أحسن إليه وأن لا يجر عليه الراغب
الخيلا التكبر عن تحصيل فضيلة ترى أنه للإنسان من نفسه والفخر إنما هات في الأشيا
الخارجة عن الإنسان كالجاه والمال الذين يبخلون قيل لما أمر تعالى بالإحسان إلى من ذكر
على سبيل اتباع أمر الله بين أن من لا يفعل ذلك قسمان أحدهما البخيل الذي لا يقدم على إنفاق
المال الشحيح فرط في ذلك وأمر بالبخل والثاني الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس لا لغرض
امتثال أمر الله ولا حبه وذم الصنفين فاعقب الأول بقوله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وعقب

الثاني

الثاني بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا الراغب لم يرد البخل بالمال فقط بل بجميع ما فيه نفع
لغير والقراءة بالبخل بضم الباء وسكون الخاء لغة الحجاز وفتحهما لغة أسد وقرئ بفتح
الباء وسكون الخاء لغة تميم والذين بدل من من وقيل من مختالا وقيل صفة لمن وقيل خبره محذوف
واعتدنا فيه التفات وأصله أعددنا قلبت الدال تاء ومن يكن الشيطان أبو حيان لما ذكر تعالى
من اتصف بهذه الأوصاف الذميمة ذكر أنهم من نتائج مقارنة الشيطان ومخالطته وملازمته
للمتصف بذلك وقال الزمخشري يجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار
وفيه الترقي في ذكر هذه الأوصاف من الشديد للأشد وكان الله بهم عليما الطيبي مناسب
لقوله وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر والمناسبة توجيهان أحدهما أنهم لو آمنوا وأنفقوا
لا ثبت لهم ذلك لأنه عالم بحالهم فأجازهم عليه الثاني أنهم إنما لم يؤمنوا وينفقوا لأن
لتعلق علم الله بأنهم أشقيا لا يؤمنون وخلاف معلوم الله محال إن الله لا يظلم مثقال ذرة
أبو حيان مناسبتها لما قبلها واضحة لأنه تعالى لما أمر بالإحسان ثم أعقب بذم الباخلين
ذكر في هذه عدله وجزاه على الحسنات والسيئات وضرب مثلا لأخف الأشيا وزنا
ذرة وذلك مبالغة عظيمة في التنزيه عن الظلم وقد قيل إن الذرة لا وزن لها وأنه
امتحن ذلك فلم يكن لها وزن وقرأ ابن مسعود مثقال نملة الراغب المثقال ما يوزن به
وإن تك حسنة بالرفع والنصب يضاعفها وفي قراءة يضعفها قال أبو عبيدة ضاعفت
يقتضي مرارا كثيرة وضعفت يقتضي مرتين وقيل عكسه وقرئ نضاعفها بالنون على الالتفات
فكيف خبر محذوف أي حالهم إذا جئنا فيه التفات من كل أمة بشهيد فيه حذف أي على
أمته يومئذ يود الآية تفسير للحال المذكور عصوا الرسول فيه التفات من الخطاب في بك
تسوى بهم الأرض الكرماني من باب القلب لأنهم ودوا أن يصيروا مثل الأرض لا أن تصير الأرض
مثلهم والقراءة تسوى بالبناء للمفعول وتسوى بالبناء للفاعل مخفف السين ومشددها ولا
يكتمون الله حديثا قال الكرماني متصل بالتمني أي بعدما نطقت جوارحهم وقيل
استئناف وفيه التفات يا أيها الذين آمنوا أبو حيان مناسبة الآية لما قبلها أنه تعالى لما أمر
بعبادته والإخلاص فيها وبر الوالدين ومكارم الأخلاق وذم البخل واستطرد منه
إلى شيء من أحوال القيامة وكان قد وقع من بعض المسلمين تخليط في الصلاة التي رأس
العبادة بسبب شرب الخمر ناسب أن يخلص الصلاة من شوائب الكدر التي توقعها
على غير وجهها فأمر تعالى بإتيانها على وجهها دون ما يفسدها ليجمع بين إصلاح
عبادة الحق ومكارم الأخلاق التي بينهم وبين الخلق لا تقربوا الصلاة يطلق حقيقة
على العبادة المعروفة ومجازا على مواضعها وهي المساجد ومنه لهدمت صوامع وبيع
وصلوات فأطلقت هنا مرادا بها المعنيان على سبيل الاستخدام فيخدم المعنى الأول
وأنتم سكارى ويخدم الثاني ولا جنبا ولهذا عدل عن لا تصلوا مع اختصاره لأن
القربان هو المناسب للمعنى الثاني مع ما يفيده من المبالغة بالنسبة إلى المعنى الأول

وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى بالفتح والضم جموع الراغب السكر حالة تعرض بين المرء وعقله واكثر ما يستعمل ذلك في الشراب وقد يعتري من الشراب والعشق ابو حيان السكر انسداد طريق التمييز وقد قيل ان المراد منا السكر من النوم وقيل من الهول ونحوها بعيد ان وجنب اسم جرى مجرى المصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث الراغب سميت جنابة لكونها سببا لتجنب الصلاة في حكم الشرع عابري سبيل الراغب اصل العبر تجاوز من حال الى حال فاما العبور فيختص بتجاوز الماء اما بسباحة او سفينة او على بعير او قنطرة من الغائط قرأ ابن مسعود من الغيط على انه مصدر اذ قالوا غاط يغيط او على ان اصله فيعل مثل هين فخفف او لامستم النساء قرئ بالف ودونها فالاولى للجماع والثانية لما دونه ابو حيان لما كان المرض والسفر ولمس النساء لا يختص الخطاب بها جاء على سبيل الخطاب ولما كان قضاء الحاجة يختص الخطاب به نزع به الى لفظ الغائب بقوله او جاء احد منكم وكنى عن الحاجة بالغائط وهذا احسن الملاحظات واجمل المخاطبات الزمخشري فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء وارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر ابو حيان هذا من باب الترقي من الاقل الى الاكثر لان حالة المرض اقل من حالة السفر وحالة السفر اقل من حالة قضاء الحاجة وحالة قضاء الحاجة اقل من حالة لمس المرأة صعيدا الراغب الصعيد يقال لوجه الارض وقيل يقال للغبار الذي يتصعد من الصعود فامسحوا بوجوهكم وايديكم قيل المراد الى المناكب لا يتعدلوا لغة وقيل الى المرفقين كما في الوضوء وقيل الى الكوعين كما في السرقة الكرماني فاذ في المائدة منه وتركها هنا لان هذه الآية مبنية على الاختصار وحسن الحذف وآية المائدة استوعبت جميع اقسام الطهارة فحسن الاثبات لما فيها من افادة شرط في التيمم وهو اتصال بعض التراب بالبدن وعبر عن هذا بعضهم بان آية المائدة سيقت لبيان احكام الطهارة بطريق القصد وهذه سيقت للنهي عن قربان الصلاة وذكر الطهارة فيها على وجه التبع ان الله كان عفوا غفورا قال الزمخشري كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر الطوفي هو مناسب لازالة المشقة باباحة التيمم عند فقد الماء الم تر الى الذين اوتوا ابو حيان هو عود الى قصص الكفار اي كان الكلام فيه قبل الا شطر اذ نصيبا الراغب النصيب الحظ المنصوب المعين يشترون الضلالة فيه استعارة ويريدون ان تضلوا السبيل من قبل ترديد

الموضع

بالموقية خطابا للمؤمنين اي ترديد وتأن ان تدعوا الصواب في اجتنابهم وتحسبونهم غير اعداء وقرئ تضلوا بضم اوله من اضل وبالتخفيف مع فتح الضاد وكسرها وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا الطوفي مناسب لقوله والله اعلم باعدائكم اي فهو يتولاكم وينصركم عليهم وفي هذه الجملة الاشعار حتى جاءت مؤذونة ابن عيسى دخل الباء في كفى بالله وهو فاعل لانه كان يتصل اتصال الفاعل وبدخولها اتصل اتصال المضاف واتصال الفاعل لان الكفاية منه ليست كالكفاية من غيره فضوعف لفظها لمضاعفة معناها من الذين هادوا قيل هو خبر حذف مبتداه الموصوف اي قوم يحرفون وقيل ان التقدير من الذين هادوا الذين اوتوا وقيل يتعلق بنصيرا كقوله ونصرناه من القوم وقيل باعدائكم وما بينهما اعتراض وقيل بيان للذين اوتوا وما بينهما اعتراض الكلم قرئ بكسر الكاف وسكون اللام وقرئ الكلام عن مواضعه في المائدة من بعد مواضعه قال الزمخشري اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره قال والمعنيان متقاربان وقال ابو حيان الذي يظهر انهما سياقان حيث وصفوا بشدة التمرد والطغيان واظهار العداوة واشتراء الضلالة ونقض الميثاق جاء يحرفون الكلم عن مواضعه الا ترى الى قوله ويقولون سمعنا وعصينا وقوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فكانهم لم يتركوا الكلم من التحريف عما يراد بها ولم تستقر في مواضعها فيكون التحريف بعد استقرارها بل بادروا الى تحريفها باول وهلة وحيث وصفوا ببعض لين وترديد وتحكيم للرسول في بعض الامر جاء من بعد مواضعه الا ترى الى قوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا وقوله فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم فكانهم لم يبادروا بالتحريف بل عرض لهم التحريف بعد استقرار الكلم في مواضعها قال وقد يقال انهما سياقان لكنه حذف هنا وفي اول المائدة من بعد مواضعه لان قوله عن مواضعه يدل على استقرار مواضع له وحذف في ثاني المائدة عن مواضعه لان التحريف من بعد مواضعه يدل على انه تحريف عن مواضعه والاصل يحرفون الكلم من بعد مواضعه عنها فحذف هنا البعدية وهناك عنها توسعا في العبارة وكانت البداءة بعن لانه اخصر وفيه تخصيص اللفظ بعن وعلى المواضع واشارة الى البعدية الكرماني آية عن اريد بها التحريف الاول قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وآية من بعد اريد بها تحريفهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وتبديلهم عن الحكم لهم في التوراة بغير معين كانه قال من بعد ما عملوا به واعتقدوه وتدينوا به كآية الرجم ونحوها نحو لما قرب من الاخر وبعد لما بعد وقال صاحب الملجأ نحو التحريف تعدى بعن ومن واذا عدي بعن لا يراد بعد بعد في كلام الفصيح واذا عدي بمن جاز بعد لفظ بعد فتنفق في الكلام على الوجهين في الموضعين الراغب تحريف الشيء امالته وتحريف الكلام ان تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين قلت ولهذا اردفه بقوله ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع لانه جملة

من كل محتمله للمحبوب والمكروه وكذا قوله وراعنا ولذا قال ليّا وهو القول باللسان خلاف ما
في القلب فلا يؤمنون الا قليلا عبّر بالقلة عن العدم على حد قولهم ارض قلّ ما تنبت كذا اوهي
لا تنبته جملة قاله ابن عطية وغيره يا ايها الذين اوتوا الكتاب ابو حيان لما احتج بقوله ولو انهم
قالوا خاطب من يرجى ايمانه منهم بالامر بالايمان وقرن الوعيد البالغ على تركه ليكون ادعى لهم الى
ثم انه لما خوفهم من سوء الكبائر السابقة بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية واعلمهم ان تزكيتهم
انفسهم بالمحرمات لم يزكهم الله به لا يشفع الكرماني في غير هذه الآية يا اهل الكتاب لانه تعالى استخف
بهم في هذه الآية وبالغ من ختم الطمس ورد الوجوه على الادبار واللعن فانها كلها واقعة بهم وكنا
صاحب المناجاة لما كان في الآية السابقة خطاب المؤمنين يا ايها الذين آمنوا ناسب عقبه خطاب
اهل الكتاب يا ايها الذين اوتوا الكتاب تتميما للمقابلة وجلبا لخواطرهم للاشتراكهم
وفي غيرها لما لم يكن الامر كذلك خاطبهم يا اهل الكتاب بما نزلنا فيه التفات نطمس قرئ بضم
الميم لغة ويستعمل متعديا ولازما الراغب الطمس ازالة الاثر بالمحو والوجوه على حقيقتها او اريد
بها العيون او الاعيان والرؤسا او نلعنهم فيه التفات عن الخطاب قال ابو حيان ونكتته
انه لما ناداهم كان ذلك تشريفا لهم فالقى اليهم الامر بالايمان بالخطاب ثم لما ذكر الوعيد اتى
بوجوه دون خطاب والمعنى وجوهكم ثم عطف عليه او نلعنهم فعدل الى الغيبة ليبقى التانيس
ولا يشاب الخطاب بايحاش فيكون ادعى الى القبول وهذا من جليل المخاطبة وبديع المحاورة
وكان امر الله فيه التفات ولا يظلمون قرئ بالخطاب فتيلا الراغب الفتيل الحبل المفتول يسمى به ما
يكون في شق النواة لكونه على هيئته وقيل هو ما تفتله بين اصابعك من خيط او وسخ ويضرب به
المثل في الشي الحقير انظر كيف يفترون حكي بالمضارع لدوام افترائهم واستمرارهم وجعل الزمخشري
الافتراء هنا مخصوصا بالتزكية وكفى به اثما مبينا ابن عطية خبر في ضمنه تعجب ولو دخلت
الباء لتدل على معنى الامر بالتعجب اذ يكتفي لهم بهذا الكذب اثما ولا يطلب لهم غيره اذ هو موبق
ومهلك ويقولون للذين كفروا اللام للتبليغ فاذا لا يؤتون الناس قرئ لا يؤتوا نقيرا قال
الازهري الفتيل والنقير والقطمير يضرب مثلا للشي التافه الحقير قال ابو حيان وجمعت
تلك الآية فتيلا وهذه نقيرا لموافقة النظير من الفواصل ام يحسدون ابو حيان ذمهم
بالحسد بعد البخل لان في كل منهما منع وصول الخير الى الغير ولما كان الحسد شر الخصلتين ترقى
اليه بعد البخل الناس هو من العام المراد به الخصوص اذ المراد به هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد آتينا فيه التفات فمنهم قيل الضمير لآل ابراهيم وضمير به وعنه لابراهيم وقيل هم لليهود وبه
وعنه للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الجملة احتمالان اي آمن به كاتباعهم وكذب به فصد عنه وقرئ صدّ
بالبنا للمفعول بضم الصاد وبكسرها نصليهم قرئ بفتح النون بدلناهم التبديل تارة يكون
في الذوات وتارة في الصفات مع بقاء العين ليذوقوا العذاب عبّر بالذوق المشعر بالاحساس
لانه ابلغ ان الله فيه التفات كان عزيزا حكيما الطوفي مناسب لما في الآية اذ لا يقدر على تعذيب الخلق
الا عزيز حاكم حكيم لان هذا العذاب فعل حكمة وهو تجديد جلودهم كلما نضجت ليذوقوا العذاب

دايما والذين آمنوا ابو حيان لما ذكر وعيد الكفار اعقبه بوعد المؤمنين واكد جملة الكفار بان
لتحقيق الوعيد ولم يحتج الى ذلك في جملة المؤمنين قلت وايضا لانها معطوفة عليها فشاركتها
في ذلك مكان حرف العطف مغنيا عن التصريح بمن سندخلهم فيه التفات وقرئ بالتحتية في
التعليق ابو حيان عبر فيها بالسين المشعرة بقصر مدة التنفيس وفي تلك بسوف على سبيل
تقريب الخير في المؤمن وتبشيره به ظلا ظليلا الراغب هو كناية عن غضارة العيش قال
والظل ضد الضح وهو اعم من الفي فانه يقال ظل الليل وظل الجنة وكل موضع لم تصل اليه
الشمس ولا يقال الفي الا لما زال عنه الشمس ويعبر به عن المناعة والعزة والرفاهة عن انا في
ظل فلان ومنه ان المتقين في ظلال هم وازواجهم في ظلال ابو مسلم الظليل القوي المتمكن
قال ونعت الشي بمثل ما اشتق من لفظه يكون مبالغة كقولهم ليل اليل وداهية دهيا ابن
عطية اكد بقوله ظليلا اما لامتداده او لكونه لا ينتقل بخلاف ظل الدنيا الامام انما قال
ظلا ظليلا لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة ولهذا
المعنى جعل كناية عن الراحة ووصفه بالظليل مبالغة في الراحة الزمخشري ظليل صفة
مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وهو ما كان لا جوب فيه
ودايما لا تنسخه الشمس وسجسج لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة وفي الآية عكس ما
[illegible] كما يظهر بالتامل ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها السبكي مناسبة لقوله
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى آخره النازل في
كعب ابن الاشرف ونحوه من علماء اليهود لما سالهم كفار مكة من اهدى سبيلا محمد واصحابه
ام نحن فقالوا انتم مع علمهم بما في كتابهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم المنطبق عليه واخذ
المواثيق ان لا يكتموا فكان ذلك امانة لازمة لهم ولم يؤدوها حيث قالوا للكفار انتم اهدى
سبيلا حسدا للنبي صلى الله عليه وسلم فناسب الامر بعده باداء الامانات الى اهلها وان كانت
الآية نازلة في شان مفتاح الكعبة لما تقرر من ان مناسبة الترتيب بغير مما الا لمناط
ومعانيها لا سبب النزول وقرئ الامانة بالافراد واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا قيل ان
تحكموا معطوف على ان تؤدوا فصل بينه وبين الواو العاطفة باذا وهو قوله ان الله كان
سميعا بصيرا الطوفي مناسب لاداء الامانة وحكم الحاكم وتفصيله قال ابو حيان سميعا لاقوالكم
الصادرة منكم في الاحكام بصيرا برد الامانات الى اهلها يا ايها الذين آمنوا الآية ابو حيان لما امر
الولاة ان يحكموا بالعدل امر الرعية بطاعتهم فان تنازعتم ابو حيان اصل المنازعة الجذب
باليد ثم استعير للتنازع في الكلام الم تر الى الذين يزعمون الآية ابو حيان لما امر المؤمنين بطاعة
الله ورسوله واولي الامر ورد الامر عند التنازع الى الله والرسول تعجب بعده من حال
من يدعي الايمان ويريد ان يتحاكم الى الطاغوت ويترك الرسول الراغب الزعم حكاية قول يكون
مظنة للكذب ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به وقال ابن دريد اكثر ما
يقع على الباطل وذكر صاحب العين ان الاحسن ان يوقع على ان وقرئ انزل بالبنا للفاعل

في الموضعين ان يكفروا به قرئ بها لان الطاغوت يذكر ويؤنث كما قال اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها ويقع على المفرد والجمع كما قال اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم تعالوا قرئ بضم اللام على حذف لام الكلمة وضم عينها لوقوع واو الجمع بعدها رايت المنافقين عدل الى الظاهر لبيان حالهم فكيف خبر محذوف اي حالهم وما ارسلنا فيه التفات ومناسبة الآية لما قبلها ظاهرة باذن الله فيه التفات واستغفر لهم الرسول فيه التفات من الخطاب في جاؤك تفخيما لشان الرسول وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان استغفاره من اسمه الرسول في اعلى مكان وعلى ان هذا الوصف الشريف وهو ارسال الله اياه موجب لطاعته وكان مندرج في عموم قوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع الا مام فائدة ضم استغفار الرسول الى استغفارهم انهم بتحاكمهم الى الطاغوت خالفوا حكم الله واساؤا الى الرسول فوجب عليهم ان يعتذروا ويطلبوا من الرسول الاستغفار ولما لم يرضوا بحكم الرسول ظهر منهم التمرد فاذا تابوا وجب ان يظهر منهم ما يزيل التمرد بان يذهبوا الى الرسول ويطلبوا منه الاستغفار لوجدوا الله توابا رحيما الطوفي مناسب لما في الآية لان المستغفر يحسن ظنه بالله فيجده عند ظنه به فلا وربك فيه التفات الى الخطاب واضيف الرب الى النبي تعظيما له ولا قيل رد لما تقدم اي ليس الامر كما يزعمون ثم استانف القسم وقيل نافية قدمت على القسم اهتماما بالنفي ثم كررت توكيدا له وقيل زائدة وقيل الثانية هي المزيدة والقسم معترض بين حرف النفي والمنفي نزول الآية قال مجاهد وغيره نزلت فيمن اراد التحاكم الى الطاغوت ورجحه الطبري لانه اشبه بنسق الآيات وقد ورد في الصحيح انها نزلت في قصة اخرى وذلك غير قادح في التناسق لان المناسبة يعتبر فيها الالفاظ ومعانيها دون اسباب النزول كما تقدم تقريره شجر قرئ بسكون الجيم ابو حيان استعير ما اشتبك وتضايق من الشجر للمنازعة التي يدخل فيها بعض الكلام في بعض استعارة من المحسوس للمعقول حرجا الطيبي الحرج الذي هو من وصف الشجر اذا تضايق على الامر الذي يشق على النفس للمناسبة التي بينهما وهو الضيق ويسلموا تسليما ابو حيان اكد الفعل بالمصدر على سبيل صدور التسليم حقيقة وحسنه كونه فاصلة ولو انا كتبنا فيه التفات ان تحتمل التفسيرية والمصدرية الا قليل في قراءة النصب على اصل الاستثناء واذا الزمخشري هو جواب عن سؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم ابن عطية جاء ترتيب الآية هكذا اذ معلوم ان الهداية قبل اعطاء الاجر لان القصد انما هو تعديد ما كان الله ينعم به عليهم دون ترتيب ومن يطع الله والرسول فيه التفات في المعطوف والمعطوف عليه وهذه الآية ايضا روعي فيها المناسبة في الترتيب باعتبار الالفاظ ومعانيها وان كان النزول لسبب آخر غير السببين السابقين من النبيين الى آخره فيه الابتداء بالاشرف فالاشرف وهكذا التفصيل تفسير اجمال قوله تعالى في الفاتحة صراط الذين انعمت عليهم وبه تعرف مناسبة ذكره هنا بعد قوله ولهديناهم صراطا مستقيما وكانه قيل هذا الصراط

الذي وعدنا بالهداية اليه هو طريق الذين انعم الله عليهم الى آخره رفيقا اي رفقاء وجاء مفردا اما لانه يكون للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد مثل الخليط والصديق واما لاطلاق المفرد في باب التمييز وارادة الجمع اكتفاء وحسن ذلك هنا كونه فاصلة ذلك الفضل من الله على تقدير سؤال كانه قيل ما الموجب لكونهم معهم مع وضوح الفرق بينهم فاجيب بان ذلك فضل من الله ومن تتمته وكفى بالله عليما اي بالفضل ومن يستحقه قال الطوفي قال ابن عطية فيه معنى ان يقول فسلموا فيما له وتفضله من الاعتراض عليه واكتفوا بالجملة في ذلك وغيره ولذا دخلت الباء يا ايها الذين آمنوا الآية ابو حيان مناسبتها لما قبلها انه لما ذكر طاعته وطاعة رسوله وكان من اهم الطاعات احياء دينه امر بالقيام به بالجهاد خذوا حذركم الراغب ما فيه الحذر من السلاح وغيره والحذر احتراز من مخيف ابو حيان الحذر والحذر بمعنى واحد ولم يسمع في هذا التركيب الا خذ حذرك لا خذ حذرك وقيل الحذر حذر اذا احترز من الحذر كانه جعل الحذر آلته التي يتقي بها ويعتصم فانفروا قرئ بضم الفاء في الموضعين ابو حيان نفر الرجل خرج مجدا واصله الفزع ثبات جمع ثبة وهي الجماعة المنفردة قاله الراغب وقيل الاثنان والثلاثة وقيل ما فوق العشرة ليبطئن الراغب البطء تاخر الانبعاث في السير يقال بطؤ وبطاء واستبطأ وابطأ فبطؤ اذا تخصص بالبطء وبطأ تخلف واستبطأ طلبه وابطأ صار ذا بطء ويقال بطأه وابطأه وقوله ليبطئن اي يثبط غيره وقيل يكثر هو التثبط في نفسه فالمقصد بذلك انه يتاخر ويؤخر غيره وقرئ ليبطئن بالتخفيف اما من اللازم او من المتعدي فضل من الله ليقولن قرئ بضم اللام على معنى الجمع كان لم يكن بينكم وبينه مودة معترض بين القول ومقوله وقال [illegible] انما ترد على التقديم والتاخير وهو متصل بقوله قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وكذا قال الزملكاني هو منتظم به لانه موضع الشماتة الا ان مع هو اعتراض في غاية الحسن لان من لحقت انه فرح عند فرحه وحزن عند حزنه فاذا اولى العقبة بذلك اخذها العداوة فحكى تعالى عن المنافقين سروره وقت نكبة المسلمين ثم لما حكى حزنه عند دولة المسلمين التي قبل تمام الكلام هذه الجملة للتعجب وزاد في حسنه كون ما بعده فاصلة فافوز قرئ بالرفع عطفا على كنت او استئنافا فليقاتل لما امر باخذ الحذر والنفر واستطرد الى حال من يبطئ عاد مصرحا بالامر بالقتال ثم وعد عليه بالاجر العظيم واكتفى من حالي المقاتل بالغاية لان غاية المغلوب ان يقتل وغاية الذي يقتل ان يغلب ويكون باولى لانه اشرف وقرئ ليقاتل بكسر اللام ويقتل بالبناء للفاعل ونؤتيه بالتحتية ونعم على القراءة المشهورة التفات وما لكم لا تقاتلون استفهام حث وتحريض في سبيل الله فيه التفات والمستضعفين عطف على الجلالة اي وسبيل المستضعفين وقيل على سبيل اي وفي المستضعفين اي وفي خلاصهم وقرئ بحذف الواو اما على اضمارها او على البدل من سبيل الله الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيه طباق والقصد بهذه الجملة تشجيع المؤمنين وتحريضهم لان من قاتل في سبيل الله حري ان يغلب ولذا

قال فقاتلوا اولياء الشيطان وفيه حذف اي فانكم تغلبونهم لقوتكم بالله ثم علل هذا المحذوف
بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا فدخلت كان اشعارا بان هذا الوصف سابق لكيد الشيطان
وانه لم يزل ضعيفا الم تر الاية لما امر بالقتال ذكر من جبن عنه او اشد خشية فيه ما تقدم في قوله
او اشد ذكرا لولا اخرتنا الى اجل قريب زاد ابن مسعود في قراءته فنموت حتف انفنا ولا نقتل فيسر بذلك
الاعداء ولا تظلمون بالتحتية وبالفوقية وفيه التفات يدرككم قرئ بالرفع قال ابن جني على حذف
فا الجواب بروج هي هنا القصور والحصون وفي سائر القرآن بروج السماء الراغب يحتمل هنا ان
يراد بروج الارض وان يراد بروج النجوم ويكون استعمال لفظ المشيدة فيها على سبيل الاستعارة
والمشيدة قيل المطولة وقيل المبنية ومواضع قرئ بكسرها وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا بالشيد
قصيدة شاعرة وانما الشاعر ناظمها وان تصبهم ان كان الضمير لغير الكلام بهم ففيه التفات
ان لم يكن حمل الخطاب من مقول القول وان كان لغيرهم وهو الاشبه ففيه الانتقال من حديث المؤمنين
لحديث المنافقين ويؤيده سبب النزول فمال هؤلاء استفهام تعجب وبالغ تعالى في قلة
فهمهم حتى نفى عنهم مقاربة الفقه الذي نفيها ابلغ من نفي الفعل ما اصابك من حسنة فمن الله وما
اصابك من سيئة فمن نفسك الكرماني ان قيل كيف صح هذا التقسيم وقد سبق قل كل من عند الله قيل
قيل الحسنة والسيئة في هذه هي الحسنة والسيئة في الاولى الراغب طعن بعض الملحدة في هذه الاية
وقال ان فيها تناقضا وهو ظاهر الوهي لان الحسنة والسيئة من الالفاظ المشتركة ويراد
بهما في الاولى غير ما اريد في الثانية وقيل القول مضمر اي يقولون ما اصابك وقيل همزة
الاستفهام مقدرة في الثانية على وجه الانكار اي وما اصابك من سيئة فمن نفسك على حد ذلك
نعمة هذا ربي وفي مصحف ابن مسعود وانا قضيتها عليك وقرا ابي وانا قدرتها عليك وقرا ابن
عباس وانا كتبتها وقال بعضهم لا فرق بين من عند الله ومن الله ان من عند الله اعم يقال فيما يرضاه
ويسخطه ومن الله يقال فيما يحصل وقد امر به ونهى عنه ولا يقال هو من عند الله الا فيما يرضاه ويامر به الخطاب
قيل عام لكل مخاطب وقيل للرسول والمراد غيره وقيل للفريق في قوله اذا فريق منهم وفي كتاب
جزء الغلام لثابت بن حمدون اذ قوله ما اصابك دون اصبت للاشعار بان الله هو الفاعل
للسيئة والحسنة جميعا وقرئ فمن نفسك بفتح الميم ورفع السين استفهام انكار اي فمن نفسك حتى ينسب
اليها فعل المعنى ما للنفس في السيئة فعل وارسلناك فيه التفات وكفى بالله شهيدا فيه التفات آخر الطوفي
هو مناسب لقوله وارسلناك للناس رسولا لان الكفار طالبوه بمن يشهد له من يطع الرسول فيه
التفات من الخطاب فما ارسلناك فيه التفاتان في نا والكاف ويقولون طاعة اي امرنا بيت طائفة
قرئ بيت بسكون التاء الاصمعي كل امر قضي بليل قيل بيت وقال غيره التبييت التدبير بليل طي قول
قيل الضمير للطائفة وقيل للرسول وقرئ بالتحتية اما الطائفة فعلى معنى الفريق واما الرسول
التفاتا والله يكتب فيه التفات من التكلم في ارسلناك وكفى بالله وكيلا الطوفي مناسب لما في الآية من
حكاية كيدهم افلا يتدبرون قرئ يدبرون ابو حيان التدبر تامل الامر والنظر في ادباره
وما يؤول اليه عاقبته ثم استعمل في كل تامل الكرماني التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب

والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فيه
النوع المسمى بالمذهب الكلامي والاحتجاج النظري والمراد اختلافا في التناقض والتباين لا اختلاف
التلاوة واذا جاءهم امر من الامن او الخوف فيه جناس وطباق اذاعوا به الاذاعة الاظهار والتحدث
افشاؤه يقال ذاع يذيع واذاع يتعدى بنفسه وبالباء ولو ردوه الى الرسول فمن النفا
يستنبطونه الراغب هو استخراجه من انبط الماء اخرجه من الارض ابن النقيب لاح لي ان في
الآية حذفا وتقديما وتاخيرا فان هذا الكلام متعلق بالذي قبله تقديره ذالبيه والتقدير
افلا يتدبرون القرآن ولو تدبروه لعلموا انه كلام الله ولما اشكل عليهم من شانه ما لو
ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم يعني لعلم معنى ذلك المتشابه
الذين يستنبطونه منهم من اهل العلم بالكتاب الا قليلا وهو ما استاثر الله به من علم كتابه
ويكون محطا به قال واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به والذي حسن لهم ذلك
وزينه الشيطان ثم التفت الى المؤمنين فقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان
وقد اشار الى شيء من هذا ابو طالب المكي في كتابه قوت القلوب فقال ان قوله الا قليلا
متصل بقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم انتهى الزملكاني قيل الا قليلا متصل بقوله لعلمه
الذين يستنبطونه منهم وقيل بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته على تاويل ولولا فضل الله عليكم
ورحمته الا قليلا ممن لم يدخله في رحمته فاتبعوا الشيطان لاتبعتم الشيطان الكرماني
الا قليلا قيل متصل باتبعتم وقيل باذاعوا به وقيل لعلمه الذين يستنبطونه ويمكن حمله على
كل ضمير جمع سبق في الآية انتهى والخطاب في قوله ولولا فضل الله عليكم للمؤمنين باتفاق قاله
ابن عطية ففيه تلوين الخطاب فقاتل خاطب الرسول بعد خطاب المؤمنين عودا الى الامر
وحرض بالقتال بعد الاستطراد لا تكلف قرئ بالجزم على جواب الامر وقرئ بالنون على الالتفات وحرض
الراغب التحريض الحث على الشيء بكثرة تزيينه وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو
الفساد نحو قذيته ومرضته اي ازلت عنه الحرض والقذى واحرضته افسدته كاقذيته جعلت
فيه القذى تنكيلا ابو حيان التنكيل الاخذ بانواع العذاب وترديده على المعذب من يشفع
الآية قال قوم من يكن شفيعا لوتر اصحابك في الجهاد يكن له نصيب من الجهاد ومن
يشفع وتر الاسلام بالمعونة للمسلمين قال ابو حيان والجامع الى هذا التاويل ما تقدم
من ذكر القتال والامر به قال والكفل النصيب والنصيب في الخير اكثر استعمالا والكفل
في الشر اكثر منه في الخير ولذا عبر بالنصيب في الحسنة وبالكفل في السيئة وهو مستعار
من كفل البعير وهو كساء يدار على سنامه ليركب عليه وسمي كفلا لانه لم يعم الظهر
الراغب الكفل الحظ الذي فيه الكفاية وهو في الآية مستعار من الكفل وهو الشيء الردي واشتقاقه
من الكفل لانه لما … مركبا ينبو براكبه صار متعارفا في كل شدة ومعنى الآية من ينضم
الى غيره معينا له في فعلة حسنة يكن له منها نصيب ومن ينضم الى غيره معينا له في سيئة يناله
منها شدة وقيل الكفل الكفيل به ان من تحرى شرا فله من فعله كفيل يسلمه كما قيل من ظلم فقد

اقام كيف لا يعلم نفسها في انه لا يمكنه التخلص من عقوبته انتهى وكان الله على كل شيء مقيتا الطوفي
مناسب لما في الآية لان المقيت الشاهد الحفيظ او المقتدر وكل مناسب لانه سبحانه يشهد
الشفاعة ويحفظها ويقدر على الجزاء عليها تحية الازهري التحية بمعنى الملك وبمعنى البقاء
ثم صار بمعنى السلام الراغب التحية ان يقال حياك الله اي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم
يجعل دعاء ويقال حيي فلان فلانا تحية اذا قال له ذلك واصل التحية من الحياة ثم جعل
كل دعاء تحية لكونه جميعه غير خارج عن حصول الحياة او سبب حياة اما الدنيا او الآخرة ۝
ان الله كان على كل شيء حسيبا الطوفي مناسب لما في الآية لان الحسيب المحاسب المجازي فهو سبحانه
مجازي الآتي بالتحية والراد والتارك لها لكن كل بحسبه الله لا اله الا هو ابو حيان لما ذكر
انه على كل شيء حسيب تلاه بالاعلام بوحدانية الله والحشر والبعث من القبور للحساب
ليجمعنكم الى يوم القيامة ابو حيان القيامة والقيام واحد ودخلت الهاء للمبالغة لشدة ما يقع
فيه من الهول ومن اصدق من الله حديثا تذييل الطوفي مناسب لما اخبر به من جمع اركسهم
الراغب الركس قلب الشيء على رأسه ورد اوله الى آخره وعبارة ابي حيان رد آخره على
اوله وقرئ ركسهم مخففا ومشددا ثلاث لغات الراغب الركس والنكس الرد
والركس ابلغ من النكس لان النكس ما جعل اسفله اعلاه والركس اصله ما رجع رجيعا
بعد ان كان طعاما فهو كالرجس وصف اعمالهم به كما قال انما المشركون نجس واركسه
ابلغ من ركسه كما ان اسقاه ابلغ من سقاه فتكونون الزمخشري ليس جوابا للتمني ولذا رفع
بل هو منسوق على تاويل ودوا لو تكفرون ودوا لو تكفرون سوا ونظيره ود الذين كفروا
لو تغفلون فيميلون الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم حصرت صدورهم حال
باضمار قد وقيل صفة اي قوم حصرت وقيل دعاء عليهم ويؤيد الاول انه قرئ حصرة وحصرات
وحاصرات وقرئ حصرة بالرفع خبر صدورهم قدم وفي مصحف ابي اسقاط او جاؤكم
بيانا ليصلون او بدلا واستئناف او صفة بعد صفة لقوم فلقاتلوكم قيل جواب
كما انه للو وقرئ فلقتلوكم مخففا ومشددا السلم قرئ بسكون اللام مع فتح السين
وكسرها ستجدون آخرين لما ذكر صفة المحقين في المتاركة الجدين في القاء السلم نبه على طائفة
اخرى مخادعة يريدون الاقامة في مواضعهم مع اهليهم ابن عطية تأمل فصاحة هذا
الكلام حيث ساقه في الآية المتقدمة سياق ايجاب الاعتزال والقاء السلم ونفي المقاتلة

وايجاب م

اذا كانوا محقين في ذلك معتقدين له وساقه في هذه الآية سياق نفي الاعتزال ونفي القاء
السلم اذا كانوا مبطلين فيه مخادعين والحكم سوا على السياقين لان الذين لم يجعل عليهم سبيلا
لو لم يعتزلوا لكان حكمهم حكم الذين جعل عليهم السلطان المبين وكذلك الذين عليهم السلطان
اذا لم يعتزلوا لكان حكمهم حكم الذين لا سبيل عليهم ابو حيان لما كان امر الفرقة الاولى اخف
وثبت تعالى انه جعل السبيل عليهم على تقدير شيئين وجود الاعتزال والقاء السلم ولما
كان امر هذه الفرقة المخادعة اشد رتب اخذهم وقتلهم على انه اشياء نفي الاعتزال

لو اعتزلوا م

ونفي القاء السلم ونفي كف الايدي كل ذلك على سبيل التاكيد في حقهم والتشديد وقرئ ردوا واركسوا
اركسوا وركسوا مخففا ومشددا وما كان لمؤمن ابو حيان لما رغب في مقاتلة الكفار ذكر بعده
ذلك ما يتعلق بالمحاربة ومنها ان يظن محاربيا وهو مسلم فيقتله الا خطأ استثناء منقطع
وقرئ بالمد بوزن سماء وبالقصر بوزن عصا رقبة الراغب هي اسم للعضو المعروف ثم يعبر
به عن الجملة وجعل في التعارف اسما للمماليك كما عبر بالرأس عن السادة وبالظهر عن المركوب
الا ان يصدقوا قرئ بالتوقية على الخطاب التفاتا وفيها مخففا على حذف احدى التائين
ويتصدقوا بالتحية وجاء بلفظ التصدق تنبيها على فضيلة العفو وحضا عليه واجراء
مجرى الصدقة في استحقاق الثواب من قوم عدو لكم اي في قوم بدليل قوله وهو مؤمن
ووقع في الآية تقديم الاشرف فالاشرف وهو المؤمن المهاجر ثم المؤمن الذي لم يهاجر
ثم الذمي ومن يقتل مؤمنا الآية لما ذكر قتل الخطأ ذكر مقابله وهو قتل العمد يا ايها الذين
آمنوا لما ذكر من قتل مؤمنا متعمدا وما رتب عليه من الوعيد امر المؤمنين بالتثبت والتبين
وان لا يقدم الانسان على قتل من اظهر الايمان بتأويل ضعيف ولما كان جهاد ذلك منوطا
بالغزوات رتبه عليه فتبينوا القراءة من التثبت ومن التبين قيل والثانية ابلغ من الاولى
لان المتثبت قد لا يتبين وقيل ما يكون التبين الا بعد تثبت القاضي المراد بالتثبت
التأني وهو اشد اختصاصا بهذا الموضع السلام بالف ودونها وقرئ بسكون اللام مع
كسر السين وفتحها فتبينوا كرر للتاكيد اهتماما بهذا الامر وتعظيما لحرمة القتل ان الله
قرئ بفتح ان معمولة لتبينوا كان بما تعملون خبيرا مناسب لما في الآية اعلمهم انه خبير بعلمهم
ومقصدهم في جهادهم في سبيله او طلب عرض الدنيا وفيه الاشارة الى المجازاة لا يستوي
القاعدون الآية عودا الى حقيقة الجهاد بعد الاستطراد وفي التعبير بنفي الاستواء ايهام
على الناس وهو ابلغ من تحري المنزلة التي بين القاعد والمجاهد لان المتامل يستحيل
نكره ولا يحتمل الدرجات بينهما غير اولي الضرر بالنصب استثناء والرفع صفة القاعدون
وقرئ بالجر صفة المؤمنين فضل الله المجاهدين تفسير لنفي الاستواء درجة الزماني قال
هنا درجة وفي . . الآية الثانية درجات لان الاولى في الدنيا وهي الغنيمة والثانية
في الجنة وقيل الاولى بالمنزلة والثانية بالمنزل وهي الجنة ودرجاتها وقيل الاولى
على القاعدين بعذر والثانية على القاعدين لغير عذر الزمخشري فان قلت قد ذكر
الله مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت الاولون الذين فضلوا على القاعدين
الاضراء والآخرون الذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو
فرض كفاية ابو حيان ليس مدلول درجة مخالفا لمدلول درجات بل هما سواء في المعنى
قال تعالى وللرجال عليهن درجة لم يرد بها شيء لحد بل اشياء وكرر التفضيل للتاكيد
والترغيب في الجهاد وكلا قرئ بالرفع على الابتداء اي كلهم درجات بدل من اجرا وكان الله غفورا
رحيما الطوفي تقرير للوعد بالمغفرة الجزئية بالاتصاف بالمغفرة الكلية ان الذين توفاهم الملائكة

وكان الله عليما حكيما مناسب لما في الآية من احكام قتل الخطأ والتخيير بالعتق او الصوم لان ذلك يستدعي علما وحكمة وجاء هذا كالتسبيح من عامله آية الوعيد م

الآية هي في الهجرة ولها تعلق بالجهاد ابو حيان لما ذكر ثواب من اقدم على الجهاد اتبعه بعقاب
من تعذر فيه الترقي من الضعيف الى الاضعف لا يستطيعون حيلة بيان للاستضعاف
وكان الله عفوا غفورا من باب تقرير الجزئي بالكلي كما تقدم مراغما
الراغب رغم انف فلان وقع في الرغام وهو التراب وارغمه غيره ويعبر بذلك عن السخط
وراغمه ساخطه ثم استعار المراغمة للمنازعة ومراغما كثيرا اي مذهبا يذهب اليه اذا
رأى منكرا يلزمه ان يغضب منه ابو حيان المراغم مكان المراغمة وهو ان يرغم كل من المتنازعين
انف صاحبه بان يغلبه على مراده يقال راغمت فلانا اذا فارقته وهو
يكره مفارقتك لمذلة تلحقه وقرئ مرغما على حذف الزوائد وقدم مراغمة الاعداء على سعة
العيش لان الابتهاج برغم انوف الاعداء اسر معالمهم اشد من الابتهاج بالسعة ثم يدركه
قرئ بالرفع على اضمار المبتدأ وبالنصب على اضمار ان وكان الله غفورا رحيما اي لما كتب
قبل خروجه مهاجرا بتقاعده عن الهجرة وغيره واذا ضربتم في الارض فيه استعارة الضرب
للسير ووجه ربط الآية انه لما امر بالجهاد والهجرة وكان ذلك يلزم عنه السفر والخوف
ذكر ما يتعلق بهما من تخفيف امر الصلاة من القصر والرخصة في كيفية صلاة الخوف والامر
بحمل السلاح فيها فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
ظاهره ان الخوف شرط في اباحة القصر وليس مرادا كما دل عليه الحديث الصحيح بل هو من
المواضع التي وقع فيها صيغة الشرط ولا مفهوم له لموافقته الواقع اذ ذاك كقوله
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا
اصلاحا وقيل هذا من الموصول المفصول وان الكلام تم عند من الصلاة وقوله
ان خفتم ابتدا حكم صلاة الخوف ويؤيد ذلك ما ورد في سبب النزول فاخرج ابن
جرير من حديث علي قال سأل قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله انا نضرب في الارض فكيف نصلي فانزل الله واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلاة ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي صلى الله عليه وسلم
فصلى الظهر فقال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم
فقال قائل منهم ان لهم اخرى مثلها في اثرها فانزل الله بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا الى قوله عذابا مهينا فنزلت صلاة الخوف فتبين بهذا الحديث ان قوله ان خفتم شرط
فيما بعده وهو صلاة الخوف لا في صلاة القصر وقد قال ابن جرير هذا تأويل حسن لو لم يكن
في الآية اذا قال ابن الفرس ويصح مع اذا على جعل الواو زائدة قلت يعني ويكون من
اعتراض الشرط على الشرط واحسن منه ان تجعل اذا زائدة بنا على قول من يجيز زيادتها
وقال ابن الزملكاني في اسرار التنزيل ما نصه قيل تمام القصة عند قوله من الصلاة ثم
افتتح قصة صلاة الخوف بلا واو عطف ومن هذا النوع وربك يخلق ما يشاء ويختار ثم
قال ما كان لهم الخيرة ولو اتى بالواو لامتنع الانفصال ومنه قالت امرأة العزيز

الآن حصحص الحق الى قوله من الصادقين ثم قولها وقوله ذلك ليعلم الى آخره من كلام
يوسف فان قلت لم ختمت الآية بقوله ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا قلت من عادتهم
ان ينتحوا الخبر باسم شي لم يعرض وصفه ثم اذا فرغ من الوصف رجع الى الجواب ما ابتدؤا به
كقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ثم اخذ في وصف الانسان فقال حملته امه
وهنا على وهن ثم نظر به فصلا آخر فقال وفصاله في عامين وانما ذكر ذلك ليبين
وجوب حق الوالدين ثم لما فرغ من ذلك رجع الى مبدا الخبر فقال ان اشكر لي ولوالديك
وقوله واذا كنت فيهم شرط آخر ذكر قبل مجي جواب الشرط الاول في الفصل المتقدم ونظيره
فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فالقصة الاولى في قصر الصلاة الى المنتهى
الذي يثبته ويعضد ذلك قوله بعد انقضا قصة القصر فاذا اطمأننتم ضد السفر
والحركة على حد الا بذكر الله تطمئن القلوب اي تسكنها ثم شرع القصر بعلة السفر
والاتمام عند زواله ولو شرعه بالسفر والخوف لقال فاذا اطمأننتم وامنتم فاقيموا
الصلاة لان ضد الخوف الامنة وضد السفر الطمانينة وليس ضد الخوف الطمانينة
لانه قال الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فكيف يمدحهم على ذهاب خوفهم مع انه مدح
الطمانينة فقال الا بذكر الله تطمئن القلوب فكيف يقع المدح والذم معا على الخوف
وذهابه انتهى من في من الصلاة تبعيضية وقيل زائدة وقرئ تقصروا رباعيا وقرئ
مشددا وقرأ ابي وابن مسعود من الصلاة ان يفتنكم باسقاط ان خفتم فلتقم قرئ بالتحريك
وفيه مع فاقت حكاية طائفة منهم معك ثم الكفا اي وطائفة تجاه العدو وليأخذوا
ضميره لطائفة وقيل للجميع موافق ضميرهم ولهم وما بعده فاذا سجدوا ضميره للطائفة
فليكونوا من ورائكم ضميره قيل للطائفة الاخرى التي دل عليها السياق وقيل للطائفة
الساجدة بمعنى اذا فرغوا من السجود وانتقلوا الى الحراسة فكانوا من ورائكم وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم ابو حيان جمع بينهما في الاخذ كانه جعل الحذر آلة يتحرز بها كالاسلحة كقوله
تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لتمكنهم فيه وامتعتكم قرئ وامتعاتكم فيميلون
استعارة للحمل في الحرب وخذوا حذركم اي في الحالة التي رخص فيها في وضع السلاح ان
الله اعد للكافرين عذابا مهينا قال الزمخشري لما امرهم بالحذر من العدو توهم توقع غلبة واعتزازا
فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذلهم وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم
وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فاذا
قضيتم الصلاة اي فرغتم من ادائها فاذكروا الله قال ابو حيان هو نظير ما امروا به من الذكر عند
قضاء المناسك بالتهليل والتسبيح والدعا في قوله فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله فاذا اطمأننتم
فاقيموا الصلاة اي ادوها تامة بحدودها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي قيل موقوتة مراعا فيها الكتاب
فائدة ذكر الامام اجمل هنا ذكر الاوقات وفرقها في آيات خمسا وتوقيتها باوقات خمسة في نهاية
الحسن نظرا الى المعقولات لان الحواس لها مراتب خمس مرتبة الحدوث ومرتبة الوقوف ومرتبة

الكهولة وفيها نقصان خفي ومرتبة الشيخوخة والخامسة ان تبقى آثاره بعد موته مع
تدرّجه وهذه المراتب حصلت للشمس بحسب طلوعها وغروبها فاوجب الله عند كل مرتبة من
هو لها الخمس صلاة ولا تهنوا الآية نزلت في انصراف الصحابة من احد فهو متصل بقوله فما لكم
في المنافقين فئتين مع ما قبله بعد الاستطراد والمراد بابتغاء القوم طلبهم الذي توجه اليه
الرسول بعد وقعة احد وقد وقع ذكره في آخر قصة احد من آل عمران وبذلك يعرف اعلاق
هذه السورة بما قبلها وان وضعها بعدها انسب من وضعها قبلها لان قصة احد مما كان سوفاه من
اولها الى آخرها والمذكور منها في هذه السورة ذيلها ولواحقها فهو بالتاخير اليق وقيل انها في الجهاد
مطلقا فهي متصلة بقوله الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الى قوله فلما كتب عليهم القتال اذا
فريق منهم يخشون الناس الآيات النازلة في الحض على القتال الى قوله وحرض المؤمنين ومن هنا
وقع الاستطراد وقع ومنها عودا اليه وقرئ تهنوا بفتح الهاء لغة وتهانوا من الاهانة نهوا عن
ان يقع منهم جبن فيترتب عليه اهانة ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من
الله ما لا يرجون نوع من الاحتجاج النظري الزمهم الحجة بان ما فيهم من الالم مشترك ويزيدون
على الكفار برجاء الثواب والنصر من الله وهم لا يرجونه ومع ذلك لا يخشون ولا يهنون عن
قتالكم فانتم اولى ان لا تجبنوا ولا تهنوا وفي تالمون ترديد والرجاء متعلق بابه وقيل
بمعنى الخوف وقرئ ان تكونوا بفتح ان تعليليه ولغائيه فان فيها التفريع بعلة الوهن
والاول الاحتجاج للنهي عنه فانه وقرئ تيلمون بكسر تاء المضارعة وبابها لغة وكان الله عليما حكيما
الطوي مناسب لما قبله لان تفصيل صلاة الخوف يستدعي العلم والحكمة وايضا فانه نبههم على
علمه من محاسن الحكمة وهو ان الالم مشترك بينهم وبين عدوهم وفضلوا بانهم في الجنة وعدوهم
في النار انا انزلنا فيه النقات الكرماني اجمع المفسرون على ان هذه الآية نزلت في ابن ابيرق
لما سرق درع قتادة ابن النعمان الا ابن بحر فانه قال نزلت في المنافقين وهي متصلة بقوله
فما لكم في المنافقين فئتين انتهى وقال ابو حيان مناسبة الآية لما قبلها انه تعالى لما شرح احوال
المنافقين واتصل به امر المحاربة وما يتعلق به من الاحكام الشرعية رجع الى احوال
المنافقين وانهم خانوا الرسول على ما لا ينبغي فاطلع الله على ذلك قلت وقصة نزول
الآية اخرجها الترمذي والحاكم وغيرهما وفيها ان الذي سرق الدرع بشير ابن ابيرق من
المنافقين فهو قول ثم قال انها نزلت في المنافقين اي في طائفة منهم وصح اتفاقا لها بقصة
المنافقين اراك الله فيه النقات للخائنين اي لاجلهم خصيما اي مخاصما للجلين بمعنى مجالس
واستغفر الله ابن لومك لقتادة في تهمته الذي سرق بغير بينة وهو صادق فيما انهم
كذا اتت شعراء الحرث وهو مطول في اسباب النزول وفي التفسير المسند والفاصلة
مناسبة للامر بالاستغفار ولا تجادل عن الذين يختانون عام يندرج فيه اصحاب النازلة
ويتقرر به توبيخهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما قال ابو حيان اتى بصيغة المبالغة
فيها ليخرج من وقع منه وقعا المرة ومن صدر منه على سبيل الغفلة وعدم القصد وقدم صفة

للخيانة

الخيانة لمناسبة اول الآية ولانها سبب الاثم خان فاثم ولتقوا في الفواصل يستخفون
الآية فيها طباق الايجاب والسلب وهو معهم فيه نوع الحجاز التمثيل ونكتة المبالغة
في تقطيع ما فعلوه لان حيا الانسان ممن يصحبه اكثر من حيائه وحده محيطا مناسب ستخفا ربهم
هانتم خطاب للقبيلة التي جادلت عن السارق وبرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى
لامر قتادة ففيه انتقال من خطاب النبي صلى الله عليه الى خطاب الامة عنهم قرا ابن مسعود
عنه اي عن السارق فمن استفهام بمعنى النفي ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ظاهر العطف
التغاير فقيل الاول الصغيرة والثاني الكبيرة وقيل الاول المتعدي الى الغير والثاني
القاصر على النفس اخذا بظاهر الآية فان الامام وخص السوء بالمتعدي الى الغير لانه
من الضرر والعذر سوء حاضر بخلاف ظلم النفس فانه ليس ضررا حاضرا وقال ابن عطية هما
بمعنى عطف المراد فيه كررتا لغة ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما في لفظ يجد
لطيفة كان الغفران والرحمة معدان لطالبهما مهيآن له متى طلبهما وجدهما ومن يكسب
اثما هو جامع للسوء وظلم النفس السابقين والآية اشارة الى الجزاء الا حول في الآخرة و
ختمها بصفة العلم لانه يعلم ما تكسب كل نفس ثم بصفة الحكمة لانه واضع الاشياء مواضعها
ليجازي على ذلك الاثم ما تقتضيه حكمته فالصفتان اشارة الى علمه بذلك الاثم
والى ما يستحق فاعله وفي على دلالة على استعلاء الاثم عليه واستيلائه وقهره
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا مناسب للقصة لان بشير السارق رمى
بها لبيد ابن سهل وهو بريء منها كما في حديث نزولها والخطيئة للصغيرة والاثم للكبيرة
او للقاصر والمتعدي وقال ابن جرير الخطيئة تكون عن عمد وعن غيره والاثم لا يكون
الا عن عمد وقيل هما بمعنى عطف المراد فيه كررتا لغة وضمير به الى الاثم لان العطف
باو وهو يفرد فيه الضمير ثم تارة يعود الى المعطوف كما هنا وتارة الى المعطوف عليه كما
في تجارة او لهوا انفضوا اليها وقيل هو عائد الى الكسب المفهوم من يكسب وقيل على المجموع
تنزيلا له منزلة الاشارة وقرئ يكسب بالتشديد والاصل يكتسب احتمل ابلغ من حمل
كاحتمل ابلغ من قدر اشير به الى ثقل الوزر الذي حمله ثم فيه استعارتان من الاجرام
للمعاني بهتانا واثما فيه لف ونشر غير مرتب فان البهتان راجع الى رميه والاثم
راجع الى كسبه والمعنى انه يستحق عقابين عقابه الكسب وعقاب البهت لهمت فيه حذف
اي بما يوشي عندك والا فقد هموا حقيقة وما يضلون ويضرون خباس وانزل الله عليك
الكتاب والحكمة ختم القصة بمثل ما ابتدأها به من انزال الكتاب والاراءة التي بمعنى
الحكمة وهي مفسرة بالسنة وان اريد بها ما تضمنه الكتاب ففيه تجريد على حد مورده
بالرجل الكريم والنسمة المباركة جرد منه وصف وعطف عليه كانه غيره لا خير في كثير
من نجواهم قال ابن عطية الضمير عائد الى الناس اجمع وجاءت هذه الآيات عامة عقب
قصة اصحاب النازلة فاندرجوا فيها قال وهذا من باب الايجاز والفصاحة لكون

الماضي والغابر مثلها عبارة ولعله انتهى والنجوى المسارة قال الواحدي ولا تكون
الا بين اثنين وقال الزجاج النجوى ما تفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا
وتطلق النجوى على القوم المتناجين من باب الوصف بالمصدر وقال الكرماني جمعا النجوى
والامران محتملان هنا فعلى الثاني لا يحتاج الاستثنا الى تقدير وعلى الاول يقدر
الا نجوى من امر والمعروف اما عام على كل بر فيندرج فيه الصدقة والاصلاح و
افردا بالذكر اهتماما بهما او خاص وعلى كل جمعت الثلاثة جميع وجوه الخير النشاء
من نشر العلم وفصل الحكم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدلالة على سبل الخيرات
والذكر والدعاء واعانة الملهوف ونصر المظلوم الى غير ذلك نوتيه بالنون ففيه
التفات وبالياء فلا التفات في قوله ومن يشاقق الرسول الآية هي ايضا نازلة في السارق
وهو لما ارتد ونزل الى مكة واوردت موردا العموم كالآية التي قبلها وفيها مع ذلك
ملاحظة الاسلوب القرآني من الجمع بين ذكر الثواب والعقاب والنعيم والعذاب
وما للطايعين وما للعاصين وجا يشاقق لفكه هنا وفي الانفال وبالادغام في
الحشر استعمالا للغتين وجاءت اللغة الفصحى مقدمة في سورتين وفي الادغام
في الحشر مناسبة للماضي المدغم بعد الآية فانه مدغم لا محالة ويتبع غير سبيل المومنين
هي تاكيد بجملة قبلها لتلازم مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المومنين نوله ما
تولى قال ابن عطية وعيد بان نتركه مع فاسد اختياره وقرئ بالياء فيه وفي نصله
وقرئ نصله بفتح النون من صلاه ان الله فيه التفات لا يغفر ان يشرك به الآية ختمت
بقوله فقد ضل ضلالا بعيدا لانها نازلة في الذي ارتد وختمت السابقة اول السورة
بقوله فقد افترى اثما عظيما لانها في اهل الكتاب الذين بدلوا وحرفوا وافتروا على
الله ما لم يقله او هذه في المشركين مطلق ويندرج فيها المذكور على حد الآيات قبلها ولذا
قال لعبدها ان يدعون من دونه الا اناثا وهي الاصنام والجمادات المسماة باسماء
مونثة كاللات والعزى ومناة وقرئ الا اوثنا جمع وثن وقرئ الا وثنا بالافراد
والا اثنا كذلك بابدال الواو همزة واه وثنا بضمتين جمع كسقف وقرئ الا انثا
بتقديم النون جمع اناث كثمار وثمر وقيل جمع انيث وقيل المراد بالاناث ضعاف
عاجزون لا قدرة لهم يقال انث في امره لان والانيث من الرجال الضعيف وسيف
انيث غير قاطع وقرئ تدعون بالخطاب على الالتفات وان يدعون الا شيطانا
لا تعارض في الحصرين لان دعا الاصنام ناشئ عن دعايهم الشيطان او المراد بالدعا
الاول العبادة وبالثاني الطواعية ففيه جناس تام وقال الكرماني يومئذ ومنا
ومنت اذ دعيت فسبة دعايهم الاصنام على سبيل المجاز واما في الحقيقة فهم يدعون
الشيطان مريدا من مرد عتا وعلا في الخذالة وتجرد للغواية وقال الكرماني اصله
الملمس ومنه شجرة مرداء اي ملسا تناثر ورقها وغلام امرد والمارد الذي لا يعلق



يسر من الفضايل لعنه الله يحتمل الخبر والدعا ولما ذكر الشيطان استطرد الى جمل تتعلق
به تحكي طايفة من اقواله بقوله وقال لاتخذن من عبادك الى قوله خلق الله وصف متبعيه
وهم العباد الذين اتخذهم نصيبه بالخسران بقوله ومن يتخذ الشيطان الآية واخبر
عن صنعه باتباعه بانا الخسرانهم بقوله يعدهم الآية واخبرانه وعد غرور وباطل ثم
توعد متبعيه بقوله اولئك ماواهم جهنم الآية ثم لما وصف حال متبعي الشيطان و
مالهم الى العذاب ذكر حال من خالفه واتبع الله ورسوله وما لهم الى الجنة وذكر ان ذلك
وعد من الله حق صادق في مقابلة وعد ابليس ولياته بالغرور الباطل فقال والذين
امنوا الآية فانظر الى تلاحم ختم هذه الآيات وتناسقها ومناسبة ارتباطها وجلها
والفاظها والبتك الشق والقطع وتكرار للتكثير والتغيير اعم من التبديل ولا تعارض ما
هنا قوله لا تبديل لخلق الله لان ذلك خبر بمعنى النهي وشمل التغيير المثلة والوشم و
الوصل والنماص والخصا وساير وجوه التغيير وقرأ ابي واضلهم وامنيهم وامرهم
ابو حيان قال ومن يتخذ الشيطان وليا في مقابلة لاتخذن من عبادك لانه لما اصطفا
لنفسه فكانهم قبلوا ذلك الاتخاذ وانفعلوا له فاتخذوه وليا وفي سنجعلهم التفات وقرئ
بالياء وفي وعد الله التفات على القراءة المشهورة ومن اصدق استفهام بمعنى النفي والجملة اريد بها
تاكيد حقيقة الوعد من الله في مقابلة مواعيد الشيطان المختلفة وامانيه الكاذبة وهي المسماة
في البديع بالتذييل ليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب مناسب لذكر امنية الشيطان لاولياه
لان امانيهم ناشية عن امنية الزمخشري اسم ليس ضمير وعد الله اي وليس وعد الله بالاماني
والخطاب للمسلمين وقيل للمشركين وقال غيره الضمير عايد على الايمان المفهوم من امنوا كما
دل ليس الايمان بالتمني وقال ابو البقا الضمير عايد الى غير مذكور وانما دل عليه سبب
نزول الآية وهو ما اخرجه

ولا يجد قرئ بالرفع على القطع ومن يعمل الآية من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين يدخلون
بالبنا للفاعل وللمفعول ولا يظلمون الضمير عايد الى اقرب مذكور وهو المومنون وقيل الى الفريقين
ومن احسن دينا الآية

ولله ما في السموات الآية لما تقدم ذكر عامل السو وعامل الصالحات اخبر بعظيم ملكه واحاطته
بجميع خلقه ومجازاته لاعمالهم شرها وخيرها الطوفي قوله وكان الله بكل شي محيطا مناسب
لاول الآية لان من ملك شيا فلابد وان يحيط به علما وقدرة ليصح تصرفه فيه وقصدا ايا
التصرف فيه ويستفتونك في النسا قال ابو حيان مناسبة الآية لما قبلها على منهج العرب
من كلامها انها تكون في امر ثم تخرج منه الى شي ثم تعود الى ما كانت فيه اولا وهكذا القرآن يبين
فيه احكاما تكليفية ثم تعقب بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب ثم تعقب ذلك بذكر

الى الذين المعاندين الذين لا يتبعون تلك الاحكام حتى يما يدل على كبرياء الله وجلاله ثم عاد لبيان
ما تعلق بتلك الاحكام السابقة وقد عرض هنا في هذه السورة ان بدأ باحوال النسا والمواريث
وذكر اليتامى ثم ثنى بذكر شيء من ذلك في هذه الآية ثم ختم آخر السورة بذكر شيء من المواريث
ايضا ولما كانت النسا مطرحا امرهن عند العرب في الميراث وغيره وكذلك اليتامى اكد الحديث
فيهن مرارا ليرجعوا عن احكام الجاهلية انتهى الراغب الفتيا والفتوى الجواب عما يشكل من
الاحكام ابو حيان سمي الافتاء اظهار المشكل على السائل واصله من الفتى وهو الشاب الذي قوي وكمل
كان المعنى بيانه ما اشكل يثبت ويقوى وما يتلى الرفع عطفا على اسم الله او الضمير المستتر
في يفتيكم على انه الفصل بينهم والمراد بالكتاب على هذا القرآن وما يتلى فيه الآيات التي من
صدر السورة فالمضارع في الجملتين بمعنى الماضي او مبتدأ خبره في الكتاب والمراد به اللوح
المحفوظ لقوله وانه في ام الكتاب فالجملة معترضة والنصب باضمار فعل اي ويبين لكم
ما يتلى لدلالة يفتيكم عليه والجر على ان الواو للقسم او عطفا على ضمير فيهن المجرور من غير اعادة
الجار واختاره ابو حيان وقال التقدير يفتيكم في متلوهن وفي متلوا اليتامى كانه قال
يفتيكم فيما سألتم عنه من امر النسا وفيما لم تسألوا عنه من امر اليتامى يتامى النسا قرئ ييامى
النسا بيائين على ان الاصل ايامى جمع ايم وهي من لا زوج لها ابدل من الهمزة يا ما كتب قرئ كتب الله
وترغبون ان تنكحوهن يحتمل تقدير في وعن فالآية محتملة والقولان في التفسير والمستضعفين
عطف على يتامى النسا وان تقوموا محله جر عطفا على مجرور في او نصب على تقدير ويأمركم او رفع
على الابتدا والخبر محذوف اي خير لكم وما تفعلوا الآية ابو حيان لما امر بالعدل والانصاف
والقيام بالقسط في امر النسا واليتامى عقبه بعام وهو ان من فعل خيرا ما جوزي عليه الطوفي
قال السكاكي بدعليما مناسب لقوله وما تفعلوا من خير اي فانه يعلم فيجازيكم عليه وان امرأة
خافت الآية لما امر بالعدل في النسا ومن جملة العدل في القسم رخص في تركه اذا اصطلحا عليه والخوف
هنا على بابه او بمعنى العلم او الظن والاعراض اخف من النشوز والقراءة يصالحا بالتشديد والا
يتصالحا وصلى بالتخفيف من اصلح بوزن اكرم وقرئ يصالحا بالتخفيف من صالح ويصلحا بالتشديد
والاصل يصطلحا وقرأ ابن مسعود ان اصالحا ماضيا والاصل تصالحا والصلح اسم مصدر الشيء
من هذه الافعال فاما ان يكون مصدرا محذوف الزوايد او اسما لما يصلح به كالعطا والكرامة
مع اعطيت واكرمت فنصبه باسقاط الجار اي بصلح اي بشي يصطلحان عليه والصلح خير جملة
عامة في كل صلح او خاصة بالمذكور فاللام للعهد وخير قيل التفضيل اي من الفرقة وقيل هو
اسم لا تفضيل فيه واحضرت الانفس الشح هذا من باب المبالغة جعل الشح كانه شيء معد في
مكان واحضرت الانفس وسيقت اليه ولم يأت ولحضر الانفس الشح فيكون مسوقا اليها
الانفس بل الانفس سيقت اليه لكون الشح مجبولا عليه الانسان ومركوزا في طبيعته ابن
فارس الشح بخل مع حرص وكذا قال الراغب وقال ابن عطية الشح الضبط على المعتقدات
والارادة وفي الهمم والاموال ونحو ذلك مما افرط فيه وفيه بعض المذمة وما صار الى

حتى الحقوق

حتى الحقوق المرعية وما تقتضيه المروة فهو البخل وهو رذيلة لكنها قد تكون في المؤمن
واما الشح ففي كل احد وبذل لما عليه واحضرت الانفس الشح ومن يوق شح نفسه اثبت لكل
نفس شحا وفي الحديث ان تصدق وانت صحيح شحيح ولم يرد به ولعله يعنيه وليس يحسن ان يعاب
فيه وانت صحيح قال ابو حيان اصل الوضع ان الشح للمنع والحرص للطلب واطلق كل على الآخر
لانه سببه الزمخشري جملة والصلح خير اعتراضية وكذا واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار
الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه
والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها والرجل لا يكاد يسمح بان يقسم لها اذا رغب عنها
واحب غيرها قال ابو حيان فجعل الامر من باب القلب وقرئ الشح بكسر الشين لغة
وان تحسنوا ندب تعالى الى الاحسان في عشرة النسا والتقوى في حالهن لان الرجل قد
يحمله بغض الزوجة على اذاها والاساءة في حقها لا سيما وقد ظهر منها امارات النشوز والاعراض
وختم الآية بصفة الخبير وهي علم ما يلطف ادراكه ويدق لانه قد يكون بين الزوجين من
خفايا الامور ما لا يطلع عليه الا الله ولا يظهر عليه احد من بني آدم ولن تستطيعوا الآية
لما امر تعالى بالاحسان في عشرة النسا والتقوى فيها خصص ذلك بما يعذر الانسان عليه من
القسم والانفاق ونحو ذلك وعذره فيما لا يملكه من المحبة والميل وارشد الى انه مع ذلك لا يجوز
عليها في شيء مما يقدر عليه بل يقسم لها او يتبع ما تراضيا عليه من ترك القسم لكن يجب ان لا يعطلها
ويميل عليها في ترك القسم جملة كالميل فتصير كالمعلقة التي هي لا ذات بعل ولا مطلقة وضمير
فتذروها راجع الى المائل عنها المفهومة من ولا تميلوا وهو منصوب او مجرور وقرأ ابن
مسعود كانها معلقة وقرأ ابي كالمسجونة وان تصلحوا اي بترك كل الميل الذي لم يلزم منه
الافساد فان الله كان غفورا رحيما لما لا تملكونه من المحبة ولا تستطيعونه من العدل فيها
وقال ابو حيان ختمت تلك بالاحسان وهذه بالاصلاح لان الاولى في مندوب اليه اذ له ان لا
يحسن وان يشح ويصالح وهذه في لازم اذ ليس له ان لا يصلح بل يلزمه العدل وان يتفرقا
اي الزوجان المذكوران في قوله وان امرأة خافت من بعلها اي وان شح كل منهما ولم يصطلحا
وتفرقا بطلاق وقرئ يتفارقا اي يفارق كل صاحبه وكان الله واسعا حكيما الواسع
غاية في الغنى والقدرة والعلم وسائر الكمالات والختم به مناسب لقوله من سعته وضم
اليه وصف الحكيم لان السعة ما لم تكن معها الحكمة كانت الى الفساد اقرب منها الى الاصلاح قاله
الراغب وقال الطوفي المبلاشرا للعشرة اذا وقع بين الزوجين ترجح جانب الفرقة فكانت
الفرقة هي المصلحة بمقتضى الحكمة وخوف الفاقة والحاجة عليهما لا تعارض هذه المصلحة لان
الرزق على الله وهو يأتيهما مجتمعين ومتفرقين ولله ما في السموات وما في الارض لما ذكر
تعالى سعة رزقه وحكمته ذكر ان له ملك ما في السموات وما في الارض فلا يعتاص عليه
غنى احد ولا التوسعة عليه لان من له ذلك هو الغني المطلق ولقد وصينا الى آخره لما بين الوصية
بالتقوى بين سنة الله في الامم الماضية فليسوا مخصوصين بهذه الوصية وداعي في التقدم

سبق الزمان ان تحمل المصدرية والتفسيرية وان تكفروا اما خاص بهذه الامة او عام
لهم ولمن قبلهم وعلى الخاطب اي على تقدير وقلنا لكم ولهم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في
الارض اي فهو غني عن عبادتكم ولا تضره كفركم وقد اختتم بقوله وكان الله غنيا اي عن عبادة
العابدين وغيرهم فهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضم اليه حميدا اي مستحقا
لان يحمد لكثرة نعمه وان كفرتموه انتم ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ابن عطية
تكرير قوله ولله ما في السموات وما في الارض ثلاث مرات بحسب السياق فالاول تنبيه على موضع
الرجا لهذين المفترقين والثاني تنبيه على استغنائه عن العباد والثالث مقدمة للوعيد
وقال الراغب الاول للتسلية عما فات والثاني ان وصيته لرحمته لا لحاجته وانهم ان كفروا
لا يضروه شيئا والثالث دلالة على كونه غنيا وقال الرازي الاول لتقرير كونه واسع الجود
والثاني للتنزيه عن طاعة المطيعين والثالث لقدرته على الافنا والايجاد والغرض منه
تقرير كونه قادرا على مدلولات كثيرة فيحسن ان يذكر ذلك الدليل على كل واحد من مدلولاته فهذه
الاعادة احسن واولى من الاكتفا بذكر الدليل مرة واحدة لانه عند اعادة ذكر الدليل يحضر
في الذهن ما يوجب العلم بالمدلول وكان العلم الحاصل بذلك المدلول اقوى واجلى فظهرت
هذا التكرير في غاية الكمال وقال مكي تنبيها اولا على ملكه وسعته وثانيا على حاجتنا اليه
وغناه وثالثا على حفظه لنا وعلمه بتدبيرنا وقال ابن جرير فان قيل ما وجه تكرار قوله
ولله ما في السموات وما في الارض في آيتين احداهما في اثر الاخرى قلنا لاختلاف معنى
الخبرين عما في السموات والارض وذلك ان الخبر عنه في احدى الآيتين ذكر حاجته الى باريه وغنى
باريه عنه وفي الاخرى حفظ باريه اياه وعلمه به وتدبيره قال فان قيل افلا قيل وكان الله
غنيا حميدا وكفى بالله وكيلا قيل ليس في الآية الاولى ما يصلح ان يختم بوصفه معه بالحفظ
والتدبير وقال الطوفي قوله وكفى بالله وكيلا مناسب لاول الآية لان من ملك السموات والارض
فهو قيم بامر كل اليه ورعاية ما وكل فيه ان يشا يذهبكم ايها الناس قال ابو حيان الظاهر ان
الخطاب به لمن تقدم له الخطاب قبل وقيل الكفار وهو تهديد لهم اي ان يشا يهلكم كما اهلك
من كفر قبلكم وقال ابن جرير الخطاب للذين شفعوا في امر طعمة بن ابيرق وسرقته الدرع
ويات باخرين اي بدلكم من جنسكم وقال ابن عطية او من غيركم كالملائكة فيكون وعيدا لجميع
بني آدم ورده ابو حيان بان مدلول آخر في اللغة هو مدلول غير خاصا بجنس من تقدمه نحو مررت
بزيد وآخر معه او بامراة واخرى معها واشتريت فرسا وآخر فلا يجوز ان يكون آخر في الامثلة
من جنس ما تقدم قال وهذا هو الفرق بين غير وبين آخر لان غيرا تقع على المغاير مطلقا
في جنس او صفة نحو اشتريت فرسا وغيره يجوز ان يكون الغير فرسا وان يكون غير فرس
كثوب وحمار قال وقل من يعرف هذا الفرق وكان الله على ذلك قديرا مناسب لاول الآية
لان اهلاك الخلق والنشاة بعدهم مقدرة قال الطوفي من كان يريد ثواب الدنيا وذلك ان
جعلنا اسبابا لكن الذي تقدم في قوله وان تكفروا فعرف وجه الارتباط ولهذا لا جعل ثواب

هذا الشرط قريبا من جواب ذلك الشرط حيث قال فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي فهو
المالك لثواب الدارين كما هو المالك لما في السموات وما في الارض فهو الغني عن عبادة خلقه ومصير
الفقرا اليه بمن اراد منهم ثواب الدنيا ومن اراد منهم ثواب الآخرة الراغب هذا تبكيت لمن اقتصر
على احد الثوابين مع كونه من يملك الامرين كلاهما وحث على ان يطلب منه تعالى كل شي خصوصا الافضل
فضل والاسنى وقال ابو حيان الذي يظهر ان جواب الشرط محذوف وقال في فلا يقتصر عليه
وليطلب الثوابين فعند الله الآخرة وكان الله سميعا بصيرا الطوفي الختم بهما مناسب لما في الآية
لان ارادة الثواب تقتضي قولا وهو طلبه وسواله وذلك يناسبه السمع او فعل يقتضي العمل
وهيئة وحالا عند السوال ويناسبه صفة البصر يعني الابصار يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط شهدا لله قال ابن جرير هو بسبب واقعة ابن ابيرق وقيام من قام في امره بغير القسط
تعرف بذلك وجه المناسبة وقال ابو حيان مناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر النسا والنشوز
والصالحة اعقبه بالقيام لله احتوى الله وفي الشهادة حقوق الله او انه لما ذكر طالب الدنيا
وان عنده ثواب الدنيا والآخرة بين ان كمال السعادة ان يكون قول الانسان وفعله لله او انه
لما ذكر في صدر السورة وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى والاشهاد عند دفع اموال اليتامى
اليهم وامر ببذل النفس والمال في سبيل الله وذكر قصة ابن ابيرق واجتماع قومه على الكذب والشهادة
بالباطل وندب الى الصلح الى الصالحة اعقب ذلك بان امر عباده المؤمنين بالقيام بالعدل والشهادة
لوجه الله واتى بصيغة المبالغة في قوامين حتى لا يكون منهم جور ما ومعنى شهدا اي لوجه الله لا
يراعى في الشهادة في الحقوق غيره قال ابو حيان وقدمت صفة قوامين بالقسط على شهدا
لله لان القيام بالقسط اعم والشهادة اخص الكرماني على هنا بالقسط لقوامين لله بشهدا وعكس
في المائدة قوامين لله شهدا بالقسط لان الخطاب هناك للولاة فامرهم بالقيام لله بدليل قوله ولا
يجرمنكم شنآن قوم وهنا للشاهدين فامرهم باداء الشهادة لله بدليل ولو على انفسكم او الوالدين
اي ولو تشهدون عليهم ابن جماعة لما تقدم هنا الامر بالقيام لليتامى بالقسط والعدل بين النسا
ناسب تقديم القسط وهو العدل اي كونوا قوامين بالعدل بين الازواج وغيرهم واشهدوا لله لا
لمراعاة نفس او قرابة وآية المائدة جاءت بعد احكام تتعلق بالدين والوفا بالعهود والمواثيق
واوامر ونواه فناسب تقديم لله اي كونوا قوامين بامره او نهيه لله واذا اشهدتم فاشهدوا
بالعدل لا بالهوى ولو هنا لاستقصا احوال الشهادة وقدم الا عز فالاعز ولكن الشهادة على
النفس عن الاقرار لانه في معناها ان يكن غنيا او فقيرا جواب الشرط محذوف اي فليشهد عليه وعاد
الضمير بهما مثنى وان كان المعروف في العطف باو الافراد على ارادة جنس الغني والفقير اي بالاغنيا
والفقرا ويؤيده قراءة ابي بهم وقرا ابن مسعود غني او فقير بالرفع على ان يكون تامة فلا
تتبعوا الهوى لما امر تعالى بالقيام بالعدل وبالشهادة لله نهى عن اتباع الهوى وحظوظ النفس
ان تعدلوا على تقدير كراهة او لئلا اذ كان من العدل بالحق او ارادة ان كان من العدول عنه وان
تلووا بواوين من لي اللسان بالشهادة وهو تحريفها وبواو واحدة على حذف الاخرى بعد نقل حركتها تخفيفا

الشيخ وقصة ابنه وذلك يناسب

او من الولاية اي وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عنها فان الله كان بما تعملون خبيرا اي يعلمكم عدلا
وجورا فيجازيكم عليه بحسبه ولما كان تحريف الشهادة والاغراض النفسية من الامور الباطنة ناسبه
صفة الخبير الذي هو ادراك ما خفي ودق يا ايها الذين امنوا الاية ابو حيان مناسبتها لما قبلها انه تعالى
لما امر المؤمنين بالقيام بالقسط والشهادة لله بين انه لا يتصف بذلك الا من كان راسخ القدم في الايمان
بالاشياء المذكورة في الاية امنوا اي دوموا على الايمان فهو امر بالاستمرار في المستقبل والكتاب
الذي انزل من قبل بمعنى الكتب والقراءة نزل وانزل بالبناء للفاعل والمفعول قال الزمخشري وانما
قال نزل على رسوله وانزل من قبل لان القرآن نزل مفرقا بخلاف الكتب قبله وكتبه قرئ وكتابه
ان الذين امنوا الاية لما امر بالايمان بما تقدم وذكر ان من كفر بما ذكر منها فهو ضال عقب ذلك بفساد
طريقة من كفر بعد الايمان وعليه قال ابو حيان والظاهر انها في المنافقين اذ هم المتلاعبون
بالدين حيث لقوا المؤمنين قالوا امنا وحين لقوا اصحابهم قالوا انا معكم ولذلك قال بعد
بشر المنافقين الايات وكذا قال القفال ليس المراد بيان هذا العدد بل المراد ترددهم بين
الكفر والايمان كما قال مذبذبين بين ذلك ويدل عليه قوله بشر المنافقين وفائدة النفي
بلام الجحود في لم يكن الله ليغفر لهم الدلالة على انهم محكوم عليهم بانتفاء المغفرة وهداية السبيل
دائما تقرر عليهم ذلك في الدنيا وهم احياء كما ان الفرق بين قولك لم يكن زيد يقوم ولم يكن
ليقوم ان الاول ليس فيه الا انتفاء القيام والثاني فيه انتفاء الارادة والاستعداد للقيام
ويلزم من انتفاء ارادة القيام وفي بشر استعارة تهكمية الذين نعت او منصوب على الذم
او رفع خبر مبتدا فان العزة دخلت الفاء في الكلام من معنى الشرط اي ان ابتغوا وقد نزل
عليكم الخطاب لمن اظهر الايمان من مخلص ومنافق وقيل للمنافقين الذين تقدم ذكرهم على الالتفات
والقراءة بالتشديد مبنيا للفاعل والمفعول وقرئ بالتخفيف مبنيا للفاعل وقرئ انزل
مبنيا للمفعول والاشارة بذلك الى قوله في سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون في
اياتنا الاية وذلك يسمى في البديع معهم اي مع الكافرين والمستهزئين الدال عليه
الفعل حتى يخوضوا في حديث غيره هذه الجملة موزونة على قياس بحر والضمير عائد على ما دل عليه
المعنى اي غير حديثهم الذي هو كفر واستهزاء او غير الكفر والاستهزاء وافرد الضمير اجراء له مجرى
الاشارة انكم اذا مثلهم زاد هذه الجملة على اية الانعام النازلة بمكة لعجز المسلمين اذ ذاك
عن الانكار وضعفهم ثم بالغ في وعيدهم وهذه مدنية نزلت والمسلمون قادرون على الانكار
تسوية بين الصانع والقابل والافراد للمطابقة في مثل جائز لغة وما منا من الاول وكذا
المؤمن لبشرين مثلنا ومن الثاني ثم لا يكونوا امثالكم وحور عين كامثال اللؤلؤ وقرئ مثلهم بفتح
اللام على البناء لاضافته الى مبني كقوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون ان الله الاية وعيد وخبر بعد
مجالستهم وهو الاثم الذين بدل من الذين يتخذون فان كان الكافرين سماه سبحانه ظفر المؤمنين فتحا
تعظيما له وحظ منه ما لغة في تعظيمه وظفر الكافرين نصيبا ولم يضفه اليه تحقيرا وتخسيسا
لما لهم من المؤمنين لانه حظ دنيوي يصيبونه مرة ثم تكون الدائرة عليهم نستحوذ من الافعال

الى حالة صحيحة بخلاف القاعدة ونمنعكم قرئ بالنصب على اضمار ان بعد واو الجمع وقرأ
ابي ومنعناكم فالله يحكم بينكم فيه حذف اي وبينهم او تغليب للمخاطبين والمقصود بهذه
الجملة تسلية المؤمنين وتأنيسهم كسالى قرئ بفتح الكاف لغة تميم وكسلى كسكرى يراؤون
قرئ يرؤون بهمزة مضمومة مشددة بوزن يدعون قال ابن عطية وهو اقوى في المعنى
من يراؤون لان معناها يحملون الناس على ان يروهم الراغب الذبذبة حكاية صوت الحركة
للشيء المعلق ثم استعير لكل اضطراب وحركة اي مضطربين مائلين تارة الى المؤمنين وتارة
الى الكافرين فحقيقة الذبذبة الاضطراب بحيث لا يبقى على حال والتردد بين الامرين وقرئ
بكسر الذال الثانية اسم فاعل وقرئ بفتح الميم والذالين على اتباع الميم للذال وقرئ
مذبذبين وقرئ مدبدبين باهمال الدالين من الدبة وهي الطريقة بين فيه مع ما قبله الجناس
المتوج ذلك اشارة الى حالتي الكفر والايمان كما قال عوان بين ذلك قال ابن عطية
واشار اليه وان لم يتقدم له ذكر لتضمن الكلام له كقوله حتى توارت بالحجاب كل من عليها فان
لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء جملة حالية او مفسرة لمذبذبين والجار متعلق بمنسوبين مقدرا واحدى
الاشارتين للمؤمنين والاخرى للكافرين يا ايها الذين امنوا لما كان هذا الوصف من اوصاف المنافقين
وتقدم ذمهم بذلك نهى الله المؤمنين عن موالاة المنافقين يقول قد بينت لكم اخلاق
هؤلاء المنافقين فلا تتخذوهم اولياء وقال ابن عطية خطابه للمؤمنين يدخل فيه بحكم
الظاهر المنافقون والمظهرون للايمان فنبه اللفظ دخولهم وهم المراد بقوله اتريدون
لانهم المتلبسون بالنفاق والمؤمنون حقا لم يتواطؤوا ويقويه قوله من دون المؤمنين سلطانا
مبينا السلطان يذكر بمعنى البرهان قال ابن عطية وهو اشهر وبه جاء القرآن ويؤنث
بمعنى الحجة قال القفال وهو اكثر عند الفصحاء وانما اختير تذكيره في الوصف لانه فاصلة الدرك
الراغب الدرك كالدرج لكن الدرج يقال اعتبارا بالصعود والدرك اعتبارا بالحدور ولهذا
قيل درجات الجنة ودركات النار ولتصور الحدور في النار سميت هاوية والقراءة بفتح
الراء وسكونها لغتان في المفرد وقيل الساكن مفرد والمفتوح جمع درك كبقرة وبقر
وذكر وصفه لان اسم الجنس الجمعي يجوز تذكيره وتانيثه الا الذين تابوا الاية شرط في توبتهم
لتناقض اوصافهم الذميمة السابقة فالاصلاح في مقابلة فساد الاعمال كالتكاسل في الصلاة
وقلة ذكر الله والاعتصام بالله في مقابلة اتخاذهم الكافرين اولياء لابتغائهم العزة عندهم
والاخلاص في مقابلة ريائهم الناس وحكم لهم بعد تحصيل هذه الاوصاف جميعها بانهم مع المؤمنين
ولم يحكم عليهم بانهم المؤمنون او من المؤمنين وان كانوا [illegible] مؤمنين تنفيرا لما كانوا
عليه من عظم كفر النفاق وتعظيما لحال المؤمنين الخلص لما تعطيه من دخولها على المتبوع
بين اجر المؤمنين بقوله وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فعلم من ذلك ما لمن تاب واخلص
التائب من المنافقين وهو المشاركة في هذا الاجر ما يفعل الله استفهام بمعنى النفي بعذابكم
قيل الخطاب للمؤمنين وقيل للمنافقين قال ابو حيان وهو الذي تقتضيه سياق الكلام فيه

[illegible]

الثقات ان شكرتم وآمنتم قيل هو على التقديم والتاخير لان الايمان سابق الشكر وقال ابن
عطية الشكر على الحقيقة لا يكون الا مقرونا بالايمان لكونه ذكر الايمان تاكيدا وتنبيها على جلالة
موقعه وقال الزمخشري العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه
فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان
الشكر متقدما على الايمان فكانه اصل التكليف ومداره وكان الله شاكرا عليما الطوفي هو مناف
لاول الآية اي هو مقابل لشكركم اياه بالطاعة فشكره اياكم بالثواب والثنا قلت ولما قال
ان شكرتم وآمنتم ناسب شكرتم شاكرا وآمنتم عليما لان الايمان امر قلبي والخطاب للمنافقين
الذين آمنوا بالسنتهم دون قلوبهم فناسب صفة العلم ابو حيان لم يات في صفة الشكر بصيغة
المبالغة ليدل على انه يشكر ولو اقل شي من العمل لا يحب الآية ابو حيان مناسبتها لما قبلها
انه تعالى لما ذكر من احوال المنافقين وذمهم وبين ظلمهم ومعصيتهم جانب المؤمنين انما سوغ
للمؤمنين ان يذكروهم بما فيهم من الاوصاف الذميمة الا من ظلم الاستثنا منقطع لكن من ظلم له
ان يجهر بظلامته لينتصف من ظالمه وقيل متصل على تقدير الا جهر من ظلم وقرئ ظلم بالبنا
للفاعل فهو منقطع قطعا اي لكن من ظلم فاجهروا له بالسوء [struck through] كالمنافق
وغيره وكان الله سميعا عليما الطوفي هو مناسب لما في الآية لانه سبحانه يسمع قول الجاهر
بالسوء ويعلم الظالم من المظلوم فكانه يقول لا تظلموا حيث اجزت للمظلوم ان يجهر بالسوء فيقع
فيقوم كل منكم يجهر بالسوء ويقول انا مظلوم فاني اعلم المظلوم من غيره ان تبدوا خيرا او تخفوه
حث على الخير وترك السوء وذكره تمهيد لقوله او تعفوا عن سوء المناسب لما في الآية قبلها لانه
تعالى لما اباح للمظلوم الجهر بالسوء وتقول اراد ان يبين ان العفو عنه ذلك احسن كقوله فمن
عفا واصلح فاجره على الله وفي الآية طباق بين تبدوا وتخفوا وخيرا وسوء
وجناس مضارع بين تخفوا وتعفوا وختم بقوله فان الله كان عفوا قديرا للاشارة الى انه
سبحانه كثير العفو مع قدرته على الانتقام فينبغي للعبد ان يكون كذلك وقال الطوفي قابل
سبحانه عفو العافي عن حقه بعفوه عنه وصفة القدرة راجعة الى قوله ان تبدوا خيرا او تخفوه
اي فان الله قدير على مجازاتكم والاول اقعد الكرماني قال هنا ان تبدوا خيرا وفي الاحزاب
ان تبدوا شيا لان هذه السورة وقع الخير فيها في مقابلة الجهر بالسوء فاقتضت المقابلة ان يكون
بازا السوء الخير وآية الاحزاب لما اضمر في قلبه نكاح ازواج النبي صلى الله عليه وسلم من بعده
وصرح به ولهذا ناسب ختمها بقوله فان الله كان بكل شي عليما ثم تقدم قوله والله يعلم ما في قلوبكم
وهو عام وهي اعم العام ان الذين يكفرون الآية ابو حيان لما فرغ من بيان احوال المنافقين شرع
في بيان احوال اليهود والنصارى بين ذلك اي بين الكفر والايمان اولئك هم الكافرون حقا اكده
لئلا يتوهم ان ايمانهم ببعض الرسل يعد ايمانا واعتدنا للكافرين وعيد وفيه التفات او اقامة الظاهر
مقام المضمر والذين آمنوا الآية هي في مؤمني اهل الكتاب صرح بوعدهم بعد وعيد كفارهم سوف يؤتيهم
اجورهم بالنون وبالياء ففيه التفات من التكلم الى الغيبة وكان الله فيه التفات غفورا رحيما قال ابو حيان

لما وعدهم الثواب زادهم تبشيرا بالتجاوز عن السيئات وبرحمته اياهم الطوفي صفة الرحمة مناسبة
للاجور لانها فضل ورحمة منه لا باستحقاق ووجوب للاعمال فان قلت فما وجه
مناسبة صفة المغفرة قلت وجهه ان غفران الذنوب قد يكون من جملة الاجور بدليل فالذين
هاجروا الى قوله لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات فجعل في مقابلة الخروج وما تم الا انها
تكفير السيئات ودخول الجنات انتهى فقد سالوا الواو جواب لشرط مقدر اي ان استكبرت ما سالوك
فقد اكبر قرئ بالمثلثة الصاعقة قرئ الصعقة ثم اتخذوا العجل ثم للترتيب في الاخبار لا في
نفس الامر لان الاتخاذ كان قبل السؤال المذكور فعفونا فيه التفات لا تعدوا من قراه بفتح
العين وتشديد الدال اصلها تعتدوا وقرئ بالاصل فبما نقضهم متعلق بمحذوف اي فعلنا بهم
ما فعلنا من اللعن والاذلال وغير ذلك قال ابن عطية وحذف هذا المتعلق لانه متروك
مع ذهن السامع وقد صرح به في قوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية وقيل
متعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات على ان قوله فبظلم بدل منه الكشاف فان قلت هلا كان
المتعلق ما دل عليه قوله طبع الله عليها قلت لا يصح لانه رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان
متعلقا به قال ابو حيان وهو جواب حسن بآيات الله فيه التفات وبكفرهم تكرر نسبة الكفر
اليهم بحسب متعلقاته اذ كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم رسول الله هو من جملة
قولهم على سبيل الاستهزا كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون او من كلامه تعالى
رفعا لعيسى عليه السلام وحطا وتشنيعا على اليهود اختلفوا فيه اي في قتله الا اتباع الظن
استثنا منقطع يقينا حال او مصدر مؤكد لانتفا القتل وقد اجتمع في الآية الفاظ متناسبة لا
وهي التخيل والشك والعلم والظن واليقين وكان الله عزيزا حكيما قال الامام المراد من العزة
كمال القدرة ومن الحكمة كمال العلم فنبه بهذا على ان رفع عيسى من الدنيا الى السما وان كان كالمتعذر على
البشر لكنه لا تعذر فيه بالنسبة الى قدرته وحكمته وقال غيره عزيزا قويا في نقمته من اليهود
حكيما فيما دبر لعيسى وقال ابو حيان عزيزا لا يغالب لما ان اليهود حاولت بعيسى امرا واراد
الله خلافه حكيما واضعا الاشيا مواضعها ومن جملته تخليصه من اليهود ورفعه الى السما لـ
ربه وان من اهل الكتاب ان فيه نافية والخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه اي وما
احد من اهل الكتاب ومثله وان منكم الا واردها وما منا الا له مقام معلوم قال الزجاج وحذف
احد لانه مطلوب في كل نفي يدخله الاستثنا نحو ما قام الا زيد اي احد وضمير به وموته لعيسى
وقيل ضمير موته لليهودي ويؤيده قراة ابي ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون الاولى به قبل موته الكشاف
فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم فبظلم فيه حذف الصفة لفهم المعنى اي
عظيم وقدم السبب على المسبب تنبيها على فحش الظلم وتقبيحه وتحذيرا منه حرمنا فيه التفات
وقرا ابن عباس طيبات كانت احلت سبيل الله فيه التفات كثيرا اي صدا كثيرا او ناسا كثيرا
وقد نهوا عنه جملة حالية تفيد تاكيد قبح فعلهم وسو صنيعهم واعتدنا فيه التفات لبعده
عن المعطوف عليه بالفعل ما ليس معمولا له بخلاف البواقي وهذه الآية اجمل فيها المحرم وفصل

السبب وآية الانعام فصل فيها المحرم وأجمل السبب بقوله ذلك جزيناهم ببغيهم ولما ذكر
في الآية ما هو عقوبة في الدنيا من تحريم الطيبات ختمها بما أعد لهم في الآخرة عقوبة وفي
قوله واعتدنا التفات والمقيمين الصلاة نصب على المدح أبان باختصاصه بالقطع فضل
الصلاة وقرئ والمقيمون نسقا على ما قبله سنؤتيهم بالنون وبالياء وفيه التفات انا اوحينا
الآية فيه التفات على قراءة الياء والآية متعلقة بقوله يسالك اهل الكتاب الآية قال
الزمخشري هي جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا
من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا وقال
ابو حيان خص الانبياء المذكورين لذكر تشريفا وتعظيما لهم وبدأ بنوح لانه الاب الثاني
واول الرسل ثم بابراهيم لانه الاب الثالث ثم باولاده وقدم عيسى على من بعده تحقيقا للنبوة
وقطعا للمماراة اليهود فيه وقدم سليمان على داود ولو قدم عليه كما قال ففهمناها سليمان
ثم اخبر ما فات داود من التقدم اللفظي بابرازه في جملة مستقلة بالذكر ونسبة كتاب
اليه يحصل له التشريف المعنوي وكذا اخبر ما فات موسى من التقدم بذلك ونسبة الكلام
اليه مؤكدا بالمصدر الرافع لتوهم المجاز قال ابن جماعة رتبهم هنا على غير ترتيب آية الانعام
لان هذه الآية نزلت ردا لسؤال اليهود ان ينزل عليهم كتابا فبين فيها انه ليس كل الانبياء
انزل عليهم كتابا بل بعضهم بوحي وبعضهم بكتب وبعضهم بصحف فقدم نوح لعدم كتاب
انزل عليه ثم ابراهيم لان له صحفا وكلا من لا كتاب له ثم قدم عيسى لان له الانجيل وكلا من
لا كتاب له ثم ختم بداود لزبوره ثم اجمل الرسل وختم بموسى ليبان ان شريعته للانبياء ليس
بالكتب ولا بد بل خص بعضهم بانواع من انواع الكرامات اما بتكليم او اسرا او انزال كتب
او صحف او وحي على ما يناسب بهذا الترتيب ما تقدم واما آيات الانعام فسياقها
في بيان نعمه على ابراهيم ومن ذكره فقرن بين كل اثنين منهم بما اتفق لهما من وصف خاص بهما
فداود وسليمان بالملك والنبوة وايوب ويوسف بالنجاة من الابتلا وموسى وهارون بالاخوة
بالنبوة وزكريا ويحيى بالزهادة وعيسى والياس بالسياحة واسماعيل واليسع بصدق الوعد ويونس
ولوط بخروج كل منهما من قريته من بعث اليه ونجاة يونس من الحوت ولوط من هلاك قومه وقرئ
يونس بكسر النون وفتحها لغتان وفي قراءة زبورا بضم الزاي اما مصدر كالقعود سمي به
الكتاب المنزل عليه او جمع زبور على حذف الزائد وهو الواو كما قالوا ظريف وظروف ورسلا
نصب على الاشتغال او بارسلنا مقدرا وقرأ ابي ورسل في الابتدا وكلم الله فيه التفات وقرئ
بنصب الجلالة ورسلا الى قوله وكان الله عزيزا حكيما الطوفي هو مناسب لما في الآية لان ارسال الرسل
وتاييدهم بالمعجزات واقامة الحجة البالغة لهم على الخلق لا يتأتى الا من عزيز غالب حكيم قادر
على خرق العادات بالمعجزات عالم بمواقع الحجج والبينات لكن الله يشهد ابو حيان الاستدراك
بلكن يقتضي تقدم جملة محذوفة لان لكن لا يبتدا بها فالتقدير ما ورد في سبب النزول وقرئ
يشهد بتشديد لكن ونصب الجلالة وقرئ انزل بالبناء للمفعول وقرئ نزله مشددا وكفى بالله

سميدا

شهيدا قال الطوفي مناسب لقوله والملائكة يشهدون وصدوا قرئ بضم الصاد وكان
الله عليما حكيما قال الطوفي هو مناسب لقوله قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لان الحق يستلزم
الحكمة المستدعية العلم به ولقوله وان تكفروا اي فانه عليم بكفركم حكيم في تقديره ما تستحقونه
من الجزاء عليه حاكم بانفاذ ذلك يا اهل الكتاب نزلت في النصارى وعقب بها تعدا للنزاع من نقض — والارسال بالحق
اليهود ابو حيان لما انتهى من امر اليهود الذين طعنوا في المسيح اخذ في امر النصارى الذين
افرطوا فيه المسيح قرئ بنون التنوين وروح منه من لابتداء الغاية كما في قوله وسخر لكم ما
في السموات وما في الارض جميعا منه وقد ردها علي ابن الحسين واقد المروزي على النصراني اسند
بالآية على ان عيسى جزء من البارئ تعالى عن ذلك فقال ان كان يجب بهذا ان يكون عيسى جزءا منه
وجب ان يكون السموات والارض وما بينهما جزءا منه فانقطع النصراني فاسلم ثلاثة خبر
الآلهة مقدرا انتهوا خيرا لكم اي وائتوا وهو لازم الاضمار ان يكون قرئ بكسر ان نافية ورفع
الفعل وكفى بالله وكيلا الطوفي هو مناسب لما قبله والمعنى ان الله سبحانه هو الذي يعين الخلق على
امورهم حتى انه من توكل على الله اكتفى به عن غيره فكيف يحتاج في امره الخاص به الى مساعدة
من ولد او شريك ولا شك ان الولد انما يراد في العرف للكثرة من قلة او العز من ذلة
او القوة من ضعف او القدرة من عجز ونحو ذلك من النقائص والله سبحانه منزه عن ذلك
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله هو متصل بما قبله من الرد على النصارى الزاعمين بنوة المسيح
او الهيته وعطف عليه ولا الملائكة المقربون من باب الاستطراد للرد على العرب القائلين
ان الملائكة بنات الله كما هو عادة القرآن من الاستطراد من ذكر الشيء الى نظيره ومن الرد
على فرقة الى الرد على اخرى نحوها وظن الزمخشري ان الآية من باب الترقي فاستدل
بها على فضيلة الملائكة على الانبياء وهو غلط منه الكرماني ويحتمل ان يكون المراد ولا الملائكة
بكثرتهم فيكون الترقية عليه بالكثرة لا بالفضل فسيحشرهم الضمير عام عائد الى الخلق
لدلالة المعنى عليه خاص من يستنكف لما بعده من التفصيل وقرئ بالنون ففيه التفات
فاما الذين آمنوا قدم ثواب المؤمن لان فيما بعد المستنكف وبرده تكالا يا ايها الناس الآية
لما فرغ من قصة اليهود ثم من قصة النصارى عقب بذكر المؤمنين ونبيهم محمد صلى الله عليه
وسلم وذكر ما انزل عليهم في مقابلة تسمية الزنادقة باهل الكتاب وذكر وعدهم في مقابلة
وعد اليهود بقوله لكن الراسخون الآية ومؤمني النصارى بقوله فاما الذين آمنوا الآية
ولم يذكر فيهم فريق كفار ووعيدهم وان كان التقسيم بقوله فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا
به يقتضيه لان الخطاب في صدر الآية بيا ايها الذين آمنوا فسكتوا عن ذكر فريق الكفر
تحقيرا لهم ان يذكرهم فحذف اكتفاء وفي انزلنا التفات الى التكلم ثم في باسم التفات عنه
يستفتونك الآية ابو حيان ختمت السورة بهذه الآية كما بدئت اولا باحكام الاموال تشاكل
المبدا والمقطع وكثيرا ما وقع ذلك في السور قال صاحب المناجاة ولشابهها
على الايجاز بحذف متعلق الفعل الاول لطرد ذلك في حذف العطف ايضا لجلاله في قوله

ويستفتونك في النسآء فانها بنيت على الاطناب بذكره فانيث العاطف الزمخشري الكلالة اسمآ الولد والوالد فاقتصر ها هنا على نفي الولد ووكل حكم انتفآ الوالد الى بيان السنة وقال الزملكاني المراد بالولد كلا الطرفين الولد والوالد معا لانهما مشتقان من معنى الولادة فالولد يجمع معنيين على التضاد كما في المولى والقعقع للقصير والضابط كالصهر للحمو والختن ونظيره قوله كما فعل باشياعهم من قبل والاشياع الاتباع فجعل هنا للعدوة لان من شاع يشيع اذا اشتهر وكلا الفريقين حاصل له الشهرة اما الطائفة الاولى فبكونها قدوة واما الثانية فبكونها تقتدي بها انتهى فلهما الثلثان الضميران لما تقدم لفظا لا معنى من باب عندي درهم ونصفه لان الهالك لا يرث والحية لا تورث ونظيره وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره فان كانتا الضمير للاختين الدال عليهما وله اخت وقيل هو على لغة اكلوني البراغيث وضمير كانوا للوارثين الدال عليه السياق وقريء فان للذكر مثل حظ الانثيين ان تضلوا اي كراهة ان او لئلا والله بكل شيء عليم الامام في هذه السورة لطيفة عجيبة وهو ان اولها مشتمل على كمال تنزيه الله وسعة قدرته وآخرها مشتمل على كمال العلم وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والالهية والجلال والعزة وبهما يجب ان يكون العبد منقادا للتكاليف انتهى والختم به مناسب لما في الآية لانها تضمنت تفاصيل احكام الفرائض وهذا التفصيل والهداية من الضلال يستدعي علم الفاعل لذلك

سورة المائدة

تقدمت الاشارة الى مناسبة وضعها هنا وان هذه السورة ايضا شارحة لبقية مجملات سورة البقرة فان آية الاطعمة والذبائح فيها ابسط منها في البقرة وكذا ما حرمه الكفار تبعا لآبائهم في البقرة موجز وفي هذه السورة مطنب ابلغ اطناب وفي البقرة ذكر القصاص في القتلى وهنا ذكر اول من سن القتل والسبب الذي لاجله وقع وقال من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل الى آخره وهو ابسط من قوله ولكم في القصاص حياة وفي البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية وذكرت قصتها هنا مطولة وذكر في البقرة من ارتد منكم عن دينه وقال هنا فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وفي البقرة قصة الايمان موجزة وزاد ها هنا بسطها بذكر الكفارة وفي البقرة قال في الخمر والميسر فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما وزاد في هذه السورة في ذمهما وصرح بتحريمهما وفيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة بيان المغضوب عليهم ولا الضالين في قوله هل انبئكم بشر من ذلك من لعنه الله وغضب عليه الآية وقوله قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا عن سوآء السبيل واما اعتلاقها بسورة النسآء فقد ظهر لي فيه وجه بديع جدا وذلك ان سورة النسآء اشتملت على عدة عقود صريحا وضمنا فالصريح عقود الانكحة وعقد الصداق وعقد الحلف في قوله والذين عاقدت ايمانكم وعقد الايمان في هذه الاية وعقد المعاهدة والامان في قوله

الا الذين

الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق وقوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية والضمني عقد الوصية والوديعة والوكالة والعارية والاجارة وغير ذلك الداخل في عموم قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فناسب ان يعقب بسورة مفتتحة بالامر بالعقود وكانه قيل يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت فكان ذلك غاية التلاحم والتناسق والارتباط ووجه آخر في تقديم سورة النسآء وتاخير سورة المائدة وهو ان تلك اولها يا ايها الناس وفيها الخطاب بذلك في مواضع وهو اشبه تنزيل المكي وهذه اولها يا ايها الذين آمنوا وفيها الخطاب بذلك في مواضع وهو اشبه بخطاب المدني وتقديم العام وشبه المكي انسب ثم ان هاتين السورتين في التلازم والاتحاد نظير البقرة وآل عمران فتينك اتحدتا في تقرير الاصول من الوحدانية والكتاب والنبوة وهاتان في تقرير الفروع الحكمية وقد ختمت المائدة بصفة القدرة كما افتتحت النسآء بذلك وافتتحت النسآء ببدء الخلق وختمت المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء فكانهما سورة واحدة اشتملت على الاحكام من المبدأ الى المنتهى ولما وقع في سورة النسآء انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس الآيات وكانت نازلة في قصة سارق سرق درعا فصل في سورة المائدة احكام السارقين والخائنين ولما ذكر انه انزل اليه الكتاب ليحكم بين الناس ذكر في سورة المائدة آيات في الحكم بما انزل الله حتى بين الكفار وكرر ذكر من لم يحكم بما انزل الله فانظر الى هذه السور الاربع المدنيات وحسن ترتيبها وتلاحمها وتناسقها وتلازمها وقد افتتحت بالبقرة التي هي اول ما نزل بالمدينة وختمت بالمائدة التي هي آخر ما نزل بها كما في حديث الترمذي ووجه التسمية لسورة المائدة ما تضمنته قصتها من الغرابة والابتداع وكونها معجزة لمن انزلت عليه يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الزملكاني هذه الآية متضمنة ضروبا من النظم منها الفصل وهو ان يبتدأ الكلام ولا يذكر جوابه حتى يؤتى بمبتدا ثان وجوابه ثم يؤتى بجواب الاول فيا ايها الذين آمنوا نداء لجميع المؤمنين ثم قال اوفوا بالعقود وهي العهود ولم يبين سبحانه ثم استانف كلاما آخر فقال احلت لكم بهيمة وجواب اوفوا بالعقود في مفهوم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله وان اعاد يا ايها الذين آمنوا وان كان قد تقدم لانه وقع فصل بينهما فاعاده ليعلم انه متصل به كما قال ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم عاد فقال ان ربك من بعدها لغفور رحيم وقوله الا ما يتلى عليكم قد بين ما احله هنا في حرمت عليكم الميتة الآية قال ويحتمل ان يكون كل فصل بعد قوله اوفوا بالعقود متصلا بما قبله ومفسرا للفصل الذي يليه وغير محلي الصيد على هذا متصل باحلت لكم بهيمة الانعام ويكون بهيمة الانعام تعم الانسي والوحشي ويكون غير محلي الصيد حالا مستثنية لغير فالتقدير اذا احلت لكم بهيمة الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم في حال الاحرام ويكون قوله الا ما يتلى عليكم مرموزا به الى قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما وفائدة ذكر الحل هنا البعث على الانتهاء من قتل الصيد في حال الاحرام فان الحرج قد دفع بالحل والا ما يتلى عليكم في تقدير

الا تحرم ما يتلى عليكم او الا ما يتلى عليكم آية في تحريمه فان صيد الوحش محرم عليكم فيهما و ما يدخ
قوله الا ما يتلى عليكم اي في آخر هذا الفصل وهو الميتة والدم وما اتصل بها على التاويل الاول
التعريف بانه محرم في كل الاحوال ابو حيان مناسبة افتتاحها آخر النساء انه تعالى لما ذكر انه يبين
لهم كراهة الضلال بين في هذه السورة احكاما كثيرة وهي تفصيل لذلك المجمل وقد ذكروا ان الكندي
قال له اصحابه اعمل لنا مثل هذا القرآن فقال نعم فاحتجب اياما ثم خرج فقال والله ما اقدر
ولا يطيق هذا احد اني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فاذا هو قد نطق بالوفا ونهى عن
النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء بعد استثناء ثم اخبر عن قدرته وحكمته في سطرين
ولا يقدر احد ان ياتي بهذا الا في اجلاد الزجاج العقود اوكد من العهود واصله في الاجرام
ثم توسع فيه فاطلق في المعاني الزمخشري العقد هو العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه
الراغب العقد الجمع بين اطراف الشيء ويستعمل في الاجسام الصلبة ثم يستعار للمعاني وقد
فسرها ابن عباس بما احل وما حرم الله على عباده فيما احل وحرم فهو من الايجاز الجامع بهيمة الانعام
من اضافة الشيء الى جنسه لان البهيمة اعم فاضيفت الى الاخص الزمخشري البهيمة كل ذات اربع في
البر والبحر ابن عطية البهيمة ما ابهم من جهة نقص النطق والفهم الراغب البهيمة ما لا نطق له
لما في صوته من الابهام لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطير غير استثني بها كراهة تكرير
الا وقرئ بالرفع قال ابو حيان واحسن ما يخرج عليه ان يكون صفة لبهيمة ولا يلزم من الوصف
بغير ان يكون ما بعدها مماثلا للموصوف في الجنسية محلي الصيد وانتم حرم فيه النوع المسمى
بموهم الطباق وحرم جمع حرام يقال لمن دخل في الاحرام وفي الحرم ان الله يحكم ما يريد الطوفي
مناسب لقوله احلت الى آخره لانه حكم ابو حيان هذه الجملة جاءت مقوية لهذه الاحكام الشرعية
المخالفة لمعهود احكام العرب من الامر بايفاء العقود وما بعدها فموجب الحكم والتكليف هو
ارادته لا اعتراض عليه ولا القلائد المراد بها الهدي المقلد وعطف على الهدي عطف خاص على
عام تاكيدا او مبالغة في التنبيه على الحرمة في المقلد وقيل اريد القلائد نفسها نهي عن التعرض
لها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي اي لا تحلوا قلائدها فضلا عنها كما قال ولا يبدين
زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين قرئ بحذف النون
والاضافة يبتغون قرئ بالفوقية خطابا للمؤمنين واذا حللتم فاصطادوا راجع الى قوله
غير محلي الصيد وانتم حرم ولا يجرمنكم راجع الى قوله لا تحلوا شعائر الله الى آخره الكسائي جرمه على
كذا حمله الفرا جرمه كسبه واجرم اكتسب غيره الراغب اصل الجرم قطع الثمرة عن الشجر واجرم
صار ذا جرم كاثمر والبن فاستعير ذلك لكل اكتساب مكروه ولا يكاد يقال للكسب المحمود
وقرئ بضم اوله من اجرم بمعنى كسب وقرئ يجرمنكم بسكون النون شنآن بفتح النون وسكونها
والاظهر في المفتوح المصدر وفي الساكن الوصف الراغب من سكن اراد بغيض قوم ومن فتح
جعله مصدرا ابو حيان الشنآن البغض وهو احد مصادر شنئ وله اربعة عشر مصدرا وهي
اكثر ما حفظ للفعل ان صدوكم بالكسر على الشرط وبالفتح على التعليل وقرئ ان يصدوكم وتعاونوا

بل

على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فيه اربع مقابلات قيل والبر والتقوى
بمعنى واحد وكرر تاكيدا ورده ابن عطية بان البر يتناول الواجب والمندوب والتقوى
تختص بالواجب وقال ابن عباس البر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه وقد ورد
في الحديث البر ما اطمأن اليه القلب والاثم ما حاك في صدرك فقابل البر بالاثم والعدوان
تجاوز الحد المشروع هو مقابل التقوى الراغب البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق
منه البر اي التوسع في فعل الخير وينسب ذلك الى الله تارة نحو انه هو البر والى العبد تارة فمن
الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك يشمل الاعتقاد والاعمال الواجبة والمندوبة
وعلى هذا ما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن البر فتلا ليس البر الآية لانها متضمنة للثلاثة
وبر الوالدين التوسع في الاحسان اليهما وضده العقوق ويستعمل البر في الصدق لكونه
بعض الخير المتوسع فيه نحو بر في قوله وفي يمينه واتقوا الله الطوفي مناسب لقوله
وتعاونوا الى آخره لان الاول امر والثاني نهي وتقوى الله هي امتثال المامور واجتناب
المحظور ان الله شديد العقاب مناسب لقوله واتقوا الله لان الجبار يتبعه العقاب
حث على التقوى حرمت عليكم الميتة شروع في بيان ما استثناه في قوله الا ما يتلى عليكم
والموقوذة ابو حيان الوقذ ضرب الشيء حتى يسترخي ويشرف على الموت والنطيحة قرئ والمنطوحة حة
وما اكل السبع قرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع واكيلة السبع ذكيتم الراغب حقيقة التذكية
اخراج الحرارة الغريزية لكن خص في الشرع بابطال الحياة على وجه دون وجه النصب
حجارة تنصب الواحد نصب بفتح النون وسكون الصاد وقرئ به وقرئ بفتحتين وبضم النون
وسكون الصاد وجمع انصاب على انصاب تستقسموا اطلبوا القسم بالازلام هي القداح واحدها
زلم بضم الزاي وفتحها اليوم يئس الذين كفروا من دينكم قال الزمخشري يئسوا منه ان يبطلوه
وان يرجعوا محللين لهذه الخبائث بعدما حرمت عليكم فعرف بذلك وجه الاتصال
الراغب اليأس انتفاء الطمع اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا قال بعضهم لما تقدم النهي عن ما نهي عنه حركهم على التمسك باحكامه باكمل ما يكون فاتى
بهذه الجمل كانه قال انتم الآن بحيث لا يستطيع اعداؤكم ان يوهنوا دينكم فتشددوا فيه وتايدوا
في تقيد ما بينت لكم من امور دينكم ما لم تحتاجوا الى زيادة عليه ثم عاد الى تمام ما تقدم ذكره
في المطاعم التي حرمها بقوله فمن اضطر الى آخره ابو حيان فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وذلكم
فسق الى آخره اكد به معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والاسلام المنعوت بالمرضي دون غيره من الملل والمخمصة المجاعة لانها تورث خمص البطن اي
ضموره متجانف قرئ بلا الف قال ابن عطية وهو ابلغ في المعنى لان تشديد العين
تقتضي مبالغة وتوغلا في المعنى وثبوتا لحكمه وتفاعل انما هو محاكاة الشيء كالتقرب منه الراغب
متجانف لاثم مائل اليه فان الله غفور رحيم مناسب لما قبله كما تقدم في البقرة يسالونك ماذا
احل لهم وجه اعتلاقه بما قبله ظاهر وما علمتم اي وصيد ما علمتم من الجوارح جمع جارحة

وهي الكواسب من سباع البهائم والطير سميت بذلك اما لانها تجرح واما لانها تكسب والجرح الكسب ومنه ويعلم ما جرحتم بالنهار مكلبين اي معلمين حال موكدة لقوله علمتم ابوحيان فائدتها ان يكون المعلم ماهرا بالتعليم حاذقا فيه قال واشتقت هذه الحال من الكلب وان كانت عامة في الجوارح على سبيل التغليب لان الغالب في صيدهم ان يكون بالكلاب وقرئ باسكون الكاف من الكلب تعلمونهن حال ثانية او استيناف عليه الضمير قيل للاكل وقيل للارسال واتقوا الله ابوحيان لما تقدم ذكر ما حرم واحل من المطاعم امر بالتقوى التي بها تمسك الانسان عن الحرام وعلل الامر بالتقوى بقوله ان الله سريع الحساب لانه كناية عن المجازاة التي تبعث على التقوى اليوم احل لكم الطيبات ابوحيان فائدة اعادة ذكر احلال الطيبات التنبيه باتمام النعمة فيما يتعلق بالدنيا ومنها احلال الطيبات كما نبه بقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي على تمام النعمة فيما يتعلق بالدين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم فيه النوع البديع المسمى بالعكس والمحصنات فيه حذف اي حل لكم والمراد بالمحصنات الحرائر وقيل العفائف ومن يكفر بالايمان الى اخره ابوحيان لما ذكر فرائض واحكاما يلزم القيام بها انزل ما يقتضي الوعيد على مخالفتها ليحصل تاكيد الزجر عن تضييعها وقال القفال لما حصلت لهم في الدنيا فضيلة مناكحة نسائهم والاكل من ذبائحهم بين التفاوت في الاخرة وقال ابن الجوزي سمعت الحسن ابن ابي بكر النيسابوري يقول انما اباح الله الكتابيات لان بعض المسلمين قد يعجبه حسنهن فحذر ناكحهن من الميل الى دينهن بقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله يا ايها الذين امنوا ابوحيان لما افتتح الامر بايفاء العقود وذكر تحليلا وتحريما في المطعم والمنكح استطرد الى العبادات المحضة اذا قمتم اي اردتم القيام اقيم المسبب مقام السبب قال ابوحيان لما كانت محاولة الصلاة في الاغلب انما هي بقيام جاءت العبارة اذا قمتم وفيه حذف اي وانتم محدثون دل عليه مقابلته بقوله وان كنتم جنبا وقيل التقدير اذا قمتم من النوم وان قوله او جاء احد منكم من الغائط عطف عليه وقيل المعنى اذا قمتم الى القران فيها صلاة لانها ثم فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وارجلكم فصل بين المغسولات بالراس الممسوح ورتب الاعضاء على الترتيب الواقع للاشارة للترتيب والقراءة وارجلكم بالنصب عطفا على المغسول وبالجر عطفا على الممسوح للاشارة الى مسح الخف وقرئ بالرفع مبتدا حذف خبره اي اغسلوها القراء امسح من الافعال التي تتعدى بنفسها وبالباء يقال مسح راسه وبراسه وهزه وهز به وحز الخطام وبالخطام ومد ومد به والعين بدى والقى بيده وان كنتم جنبا لما ذكر تعالى الطهارة الصغرى ذكر الطهارة الكبرى فاطهروا وقرئ بوزن اكرموا من اطهر رباعيا اي فاطهروا ابدانكم والهمزة للتعدية كنتم مرضى الى اخره اخر قصة التيمم لانه فرع وليشمل الحدث والجنابة مما وفيه المزاوجة على حد قول

ا ذا ما الغانيات برزن يوما ... وزججن الحواجب والعيونا

فقوله فلم تجدوا مزاوجة الشرط فامسحوا مزاوجة الجواب ما يريد الله الى اخره مناسب للتكليف بالطهارة بيان العلة في مشروعيتها وللترخيص في التيمم وقرئ ليطهركم بوزن يكرمكم

ولتتم نعمته عليكم اي بالتطهير والرخصة وناسب ذكره هنا في نعمة الدين ما تقدم من ذكره في نعمة الدنيا من المطاعم والمناكح ولعلكم تشكرون مناسب لقوله ولتتم نعمته لان النعمة تستوجب الشكر ومقتضيه قاله الطوفي واذكروا نعمة الله لا يخفى وجه اعتلاقه بقوله ولتتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور الطوفي هو مناسب لما في الاية لان خيانة العهد ونقض الميثاق امر باطن يحصل بالنية والعزم وانما اثاره الدالة عليه تظهر بالفعل فاخبرهم انه عليم بذات الصدور وربما يوجب لهم المراقبة وحفظ الميثاق حيث لا ينقضونه بالعزم ولا بالفعل وايضا فان من شكر النعمة ما محله القلب فاخبرهم انه عالم بمن يشكر بقلبه وبمن لا يشكر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ابوحيان بدا بالقسط في اية النساء واخر هنا لقضية الفصاحة ولما جاءت اية النساء في معرض الاعتراف على النفس وعلى الوالدين والاقربين بدى فيها بالقسط الذي هو العدل والسواء من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة وهنا جاءت في معرض ترك العداوات والاحن فبدى فيها بالقيام لله اذ كان الامر بالقيام لله اولا ادعى للمؤمنين متوارد في الشهادة بالعدل والتي في معرض المحبة والمحاباة بدى فيها بما هو اكد وهو القسط والتي في معرض العداوة والشنان بدى فيها بالقيام لله وايضا فهناك تقدم حديث النشوز والاعراض والعدل بين النساء فناسب تقديم ذكر القسط وهنا تاخر ذكر العداوة فناسب ان يجاورها ذكر القسط هو اقرب للعدل واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون الطوفي مناسبتها في الاية ان القيام بالقسط والعدل والعداوة امور باطنة لها تعلق بالباطن وتظهر اثارها بالعمل الظاهر والعمل يشمل الامرين فاخبرهم انه عالم بجميع عملهم الخفي والظاهر ليحصل لهم المراقبة ابوحيان لما كان الشنان محله القلب وهو الحامل على ترك العدل امر بالتقوى واتى بصفة خبير ومعناه عليم ولكنها تختص بما لطف ادراكه فناسبت هذه الصفة ان ينبه بها على الصفة القلبية الكرماني ختم الاية السابقة بقوله واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور وهذه بقوله واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون لان الاول وقع على النية والثاني على العمل وعد الله الذين امنوا الاية ابوحيان لما ذكر جميع اوامر ونواهي اعقبها بالوعد والوعيد وجاءت جملة المؤمنين فعلية ماضية لتحقق وقوعه وجملة الكافرين اسمية دالة على ثبوت هذا الحكم لهم وقال هنا ما ذكر وفي الفتح وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما قال ابن جماعة لان ما هنا عام لم يرد به قوم باعيانهم وما في الفتح خاص بالصحابة وكان فيمن اظهر صحبته منافقون فقال منهم تمييزا وتفصيلا لهم وفضلهم بعد ما ذكر من جميل صفاتهم الكرماني لما بالغ في وصفهم هناك كل البالغة صرح بالموعود فقال مغفرة بالنصب وهنا لما لم يكن كذلك المبالغة كنى عن الموعود زاد في البرهان ورفع ما في هذه السورة ونصب ما هناك مراعاة لفواصل الاي في كل منهما وقال صاحب المناجاة لما كان الوعد هنا مسبوقا بقوله يا ايها الذين امنوا وفيه الامر للحكام بالعدل ناسب الترغيب بترك المعمول حتى يذهب الى كل ما يؤمل مع ثبوت المغفرة والاجر العظيم وطرح منه لفظ

منهم حتى لا يتوهم التبعيض واما شول النسخ فالكلام فيها للصحابة فكان محل ان يحذروا من الغفلة
عن المداومة على ما هم عليه بتصور التبعيض فيهم لتعظيمهم واعتنائهم بهم يبسطوا الراغب بسط
اليد مدها ومنه باسط ذراعيه وبسط الكف يستعمل تارة للطلب نحو كباسط كفيه الى الما
وتارة للاخذ نحو والملائكة باسطوا ايديهم وتارة للبذل والاعطا نحو بل يداه مبسوطتان
وتارة للصولة والضرب نحو ويبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم فيه مع ما قبله ثلاث تقابلا
واتقوا الله الى آخره ابو حيان جا الامر بالتقوى امر مواجهة مناسبة لقوله اذكروا وجا
الامر بالتوكل امر غايب لاجل الفاصلة واشعارا بالعلية وافادة لعموم وصف الايمان
اي لاجل تصديقه بالله ورسوله يؤمر بالتوكل كل مومن ولا مبدا الاية بالمومنين على جهة
الاختصاص وختمها بالمومنين على جهة العموم الطوفي الختم بالتوكل مناسب لما في الاية لان مضمونها
امر بعث النفوس المومنة على التوكل والتسليم الى الله تعالى تسليم والعلم انه لا حول الا بمشية الله
ولا شي الا بتقدير الله ولقد اخذ الله ابو حيان مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما امر
بذكر الميثاق الذي اخذه على المومنين في قوله وميثاقه الذي واثقكم به ثم ذكر وعدا بانهم
ثم امرهم بذكر نعمته عليكم اذ كف ايدي الكفار عنهم ذكرهم بنقض بني اسرائيل في اخذ الميثاق
عليهم ووعد لهم بتكفير السيئات وادخالهم الجنة فنقضوا الميثاق وهموا بقتل الرسول
حذرهم بهذه القصة ان يسلكوا سبيلهم في نقض الميثاق وبعثنا فيه التفات نقيبا
الراغب النقيب الباحث عن القوم وعن احوالهم الاصم هو المنظور اليه المسند اليه التدبير
وقال الله اني معكم فيه التفات والخطاب قيل لبني اسرائيل جميعا وقيل للنقبا والمعية مجاز
الزملكاني قوله لئن اقمتم الصلاة متصل بقوله ميثاق بني اسرائيل لانه ترجمة لاخذ الميثاق
وقوله وقال الله اني معكم متصل بقوله وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وهما معترضتان
لان النقبا لم ينقضوا الميثاق ولم يدخلوا في المعية لان من كان الله معه لم يدخل في نقض
الميثاق وتمام القصة ونسوا حظا مما ذكروا به وقوله ولا تزال ستاتي لقصة اخرى
وآمنتم برسلي الامام كان اليهود مقرين بحصول الايمان مع اقامة الصلاة وايتا الزكاة
وكانوا مكذبين ببعض الرسل فذكر بعدهما الايمان بجميع الرسل وانه لا تحصل نجاة الا بالايمان
بجميعهم وعزرتموهم الراغب التعزير النصرة مع التعظيم وقال يونس عزرته اثنيت عليه بخير
وقال ابو عبيدة عظمته وقال الفراء رددته عن الظلم ويطلق على الردع والتنكيل والمنع
من معاودة الفساد فجعله الزمخشري من باب التواطي وابو حيان من باب المشترك و
قري بتخفيف الزاي واقرضتم الله فيه التفات قرضا اقامه مقام اقراض كقوله فتقبلها
ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا لعناهم فيه التفات قاسية في قراءة قسية فعيل
للمبالغة وقيل ليست هذه من معنى القسوة وانما هي كالقسية من الدراهم وهي التي خالطها
غش وتدليس قال وخمس بي منها قسي وزايف وكذلك هذه القلوب لم تصف
للايمان بل خالطها الكفر والفساد وقال الفارسي هذه اللفظة معربة وليست باصل

بكلام

في كلام العرب وقال الزمخشري قسية اي رديئة مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة
لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة وقري قسية بضم
القاف وتشديد اليا كجني وقري بكسر القاف اتباعا يحرفون الكلم قري بكسر الكاف وسكون اللام
وقريا الكلام على خائنة اي مصدر كالعافية بدليل انه قري خيانة وقيل وصف والها للمبالغة
كراوية اي خائن وقيل صفة مونث اي فرقة خائنة ان الله فيه التفات يحب المحسنين مناسب
للعفو والصفح ومن الذين قالوا متعلق بقوله اخذنا ميثاقهم الزمخشري فان قلت فهلا قيل
ومن النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعا لنصرة الله وفي اخذنا التفات فنسوا حظا
مما ذكروا به الكرماني كرره لان الاول في اليهود والثاني في النصارى قال صاحب المناجاة
وعطفت هذه بالفا وتلك بالواو لانه في اليهود اعتبر تحريفهم ذنبا ونسيانهم ذنبا آخر فعطف
بالواو واما النصارى فانه لما اخذ منهم الميثاق ومن جملته تنزيهه عن الولد والصاحبة نسوا
ذلك وكان اول ذنوبهم الاعتقادية فعطف بالفا لانه لم يكن منهم بعد اخذ الميثاق ذنب اعظم منه
واشارة الى ان سبب ضلال النصارى هو النسيان ومناسبة لقوله بعده فاغرينا الاظهر تنكير
الحظين في الموضعين يدل على ان المراد بحظ واحد هو الايمان بالرسول لانه مكتوب على اليهود في التوراة
وعلى النصارى في الانجيل وخص هذا الواحد بالذكر مع انهم تركوا اكثر ما امرهم الله به لان هذا
هو المعظم والمهم فاغرينا الراغب غري بكذا اي لهج به ولصق واصله من الغرا الذي يلصق به
واغريت فلانا بكذا الحقته ينبئهم الله فيه التفات الطوفي الفاصلة مناسبة لما في الاية لانه
ذنب يصح السؤال عنه والمقابلة عليه وكذلك كل موضع وقع فيه هذه الصيغة او معناها نحو فينبئكم
بما كنتم تعملون ثم ينبئهم بما كانوا يعملون ولتسالن عما كنتم تفترون فانه لا بد وان يكون في سياقه
ذنب وجريمة يصح السوال عنها يا اهل الكتاب هو خطاب للفريقين معا بعدما ذكر حال كل منهما رسولنا
فيه التفات واضافة تشريف ويعفو عن كثير فيه مع يبين لكم كثيرا ثلاث مقابلات وفي يعفو
ويخفو اجناس من الله فيه التفات سبل السلام قري بسكون البا ويهديهم الى صراط مستقيم الطوفي
مناسب لقوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وسبل السلام والصراط المستقيم واحد لكن
بينهما ما الا الجمع والافراد وانما هو من التفنن اللفظي ابو حيان الظاهر ان هذه الجمل متقاربة
المعنى وكررت للتاكيد قل فمن يملك من الله شيئا في الفتح فمن يملك لكم قال ابن جماعة لان هذه الاية عامة
في المسيح وامه ومن في الارض جميعا فلم يقرنها بخطاب خاص واية الفتح في قوم مخصوصين وهم الاعراب
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فناسب زيادة لكم والفا عاطفة على جملة محذوفة
تقديره كذبهم في مقالتهم اي قل كذبوا او ليس كما قالوا ولله ملك السموات والارض وما بينهما الجملة
موكدة لقوله ان اراد ان يهلك المسيح الى آخره لان من له الملك يفعل في ملكه ما يشا يخلق ما يشا اي
ليس خلقه مقصورا على نوع واحد بل انما تعلقت مشيته بايجاده اوجده واخترعه فقد يوجد شيئا
لا من ذكر ولا انثى كآدم او من انثى لا ذكر معها كالمسيح ففي الجملة اشارة الى ان المسيح وامه مخلوقان
والله على كل شي قدير الطوفي مناسب لما في الاية لان الاهلاك والخلق والملك التام لا ياتي بدون

القدرة ابوحيان كثيرا ما تذكر القدرة عقب الاختراع وذكر الاشيا الغريبة قل فلم يعذبكم مرتبطة
بمقدر اي ان كنتم كما زعمتم بل انتم بشر ممن خلق انتقال من استدلال الى آخر تضمن وصفهم بوصفين البشرية
والمخلوقية وهما يمنعان البنوة فان القديم لا يلد بشرا والاب لا يخلق ابنه كما امتنع بالاستدلال
الاول وهو تعذيبهم ان يكونوا احبا الله فبطل الوصفان اللذان ادعوهما ولله ملك السموات والارض
ابن جماعة كرره مع تقدمه في الآية قبله لان لكل فايدة اما الاول فرد على قولهم في المسيح انه الاله
فبين ان الالوهية لمن له ملك السموات والارض وليس للمسيح ذلك فكيف يكون الها وهو خالقه والقادر والارض ٢
على اهلاكه ولذلك قال يخلق ما يشا اشارة الى خلق المسيح وقال والله على كل شي قدير اشارة الى قدرته
على اهلاكه وامه واما الثاني فرد على قولهم نحن ابنا الله واحباوه فهو توكيد لقوله يغفر لمن يشا
ويعذب من يشا لانهم خلقه وملكه ولذلك قال واليه المصير فيجازي كلا على عمله اما بمغفرة ورحمة
او بعذاب ولو كنتم كما تقولون ما عذبكم لان المحب لا يعذب محبوبه الكرماني الاولى خاصة
بالنصارى حيث قالوا ان الله هو المسيح فقال ولله ملك السموات والارض وما بينهما ليس معه
شريك ولو كان عيسى الها لكان معه شريك وهو وجميع من في الارض مخلوقون له وقدرته
شاملة لهم والثانية في اليهود والنصارى معا حيث قالوا نحن ابنا الله واحباوه والاب والحبيب
لا يعذب ابنه ولا حبيبه وانتم مصيركم اليه فيعذب من يشا منكم ويغفر لمن يشا الطوفي الختم
باليه المصير وعيد لهم على افترائهم عليه ومعناه ان كنتم ابناه واحباه فلم يعذبكم اذا صرتم
اليه يا اهل الكتاب الكرماني كرره بحسب كثرة الاخبار عن حال اهل الكتاب وافترائهم وقال
صاحب المناجاة الاول للمنة عليهم بدليل ويعفو عن كثير والثاني للحجة عليهم بدليل ان تقولوا
الى آخره رسولنا فيه التفات يبين لكم فيه حذف المفعول اما اختصارا اي ما كنتم تخفون او
اقتصارا اي يكون منه التبيين والايضاح على فترة متعلق بجاءكم الراغب الفترة والفتور
سكون بعد حركة ابوحيان الفترة السكون بعد الحركة في الاجرام ويستعار للمعاني ان تقولوا
اي لئلا تقولوا او كراهة ان تقولوا والله على كل شي قدير فيه التفات الطوفي الختم به مناسب
لما في الآية اي قدير على ان يبين احكامه لاهل الكتاب على لسان رجل امي ويكون مناسبة العدل
راجعة الى قوله فقد جاءكم بشير ونذير اي من آمن فله البشرى ومن كفر فله العذاب والله
قادر على كل شي من اثابة وعقوبة وغيرهما واذ قال موسى ابوحيان مناسبة هذه لما قبلها انه تعالى
بين تمرد اسلاف اليهود على موسى وعصيانهم اياه مع تذكره اياهم نعم الله تسلية للرسول صلى
الله عليه وسلم عن ما لقيه من تمردهم وآتاكم ما لم يوت احدا من العالمين هو من تتمة خطاب
موسى لليهود والمراد عالمي زمانهم وقيل هو خطاب لهذه الامة انتهى الكلام عند قوله وجعلكم
ملوكا ولما ذكر موسى قومه بنعم الله ذكر الله محمدا صلى الله عليه وسلم بهذه النعمة العظيمة سرا لقومهم
قال ابن عطية وهذا ضعيف لان الكلام في نسق واحد من خطاب موسى لقومه ورده ابو
حيان بان القرآن جار على قانون كلام العرب من الالتفات والخروج من خطاب الى خطاب لا سيما
اذا كان ظاهر الخطاب [illegible] من خوطب اولا يا قوم قرئ بضم الميم حيث وقع الكرماني في مصحف هنا ٣ ايات م

بالمنادي

بالمنادي وفي سورة ابراهيم اذكروا بدونه لان التصريح به للتشريف والاعتنا وهذه السورة
ذكروا فيها بنعم جسام فناسب مزيد الاعتنا والتشريف بخلاف ما في سورة ابراهيم كتب الله لكم
اي يجب عليكم دخولها فلا ينافي قوله بعد انها محرمة عليهم ان فيها قوما جبارين قرئ فيها قوم
جبارون لن ندخلها ابو البقا تأكيد للنفي من الذين يخافون اي يخافون الله وقيل التقدير من
الذين يخافونهم اي يخافهم بنو اسرائيل ويؤيده انه قرئ بضم اليا انعم الله عليهما وصف او جملة
معترضة انا لن ندخلها ابدا زادوا ثانيا في التاكيد ظرف التابيد فافرق قرئ بكسر الراء
وقرئ ففرق اربعين سنة متعلق بما قبله او بما بعده فلا تأس خطاب لموسى وقيل لمحمد صلى الله عليه
وسلم الراغب الاسى الحزن وحقيقته اتباع الفايت بالغم واتل عليهم ابوحيان مناسبتها
لما قبلها انه تعالى لما ذكر تمرد بني اسرائيل وعصيانهم امر الله ذكر قصة ابني آدم وعصيان
قابيل امر الله ولها اعلاق بقوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم لما فيها من بسط اليد
وبقوله قد جاءكم رسولنا يبين لكم لما فيها من الاخبار بالغيب وقد قيل ان الاثنين كانا في بني
٣ انظار اسرائيل وعليه الحسن وذلك اوضح في الاتصال وضمير عليهم قال ابوحيان انه لبني اسرائيل
اذ هم المتحدث عنهم اولا والمقام عليهم الحجج والمنبؤون بما في غامض كتبهم التي لا تعلم
للرسول الا من جهة الوحي لتقوم الحجة بذلك عليهم اذ هو من دلايل النبوة بالحق
ووجه ايراد هذه القصة هنا ان هذه الآيات لما كانت متعلقة باليهود وقد اخبر انه كتب عليهم
في كتابهم ان النفس بالنفس في الآية الآتية ناسب ان يذكر في خلال ذلك مبدأ القتل واول
من سنه ولهذا اعقب القصة بقوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل الى آخره وهنا
غاية الملايمة والارتباط قال لاقتلنك قرئ بالنون الخفيفة قال انما يتقبل الله من المتقين فيه
جمل محذوفة التقدير قال لم تقتلني قال لتقبل قربانك دوني لئن بسطت الآية الزمخشري
فان قلت لم جا الشرط بلفظ الفعل والجزا بلفظ اسم الفاعل قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب
به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالبا المؤكدة للنفي اني اخاف تعليل اني اريد قرئ اني بفتح
الهمزة والنون استفهام انكار واستبعاد اي كيف اريد وقيل ان همزة الاستفهام مقدرة في
القراءة المشهورة وقيل الاعداد قبل ثبوته على حد ان تضلوا وذلك جزاء الظالمين قيل من كلام
هابيل وقيل من كلام الله تعالى فطوعت قال الراغب هو ابلغ من اطاعت اي سمحت له وانقادت
وسولت الزمخشري وسعت له ولبسته ابوحيان هو فعل من الطوع وهو الانقياد كان القتل
كان ممتنعا عليه متعاصيا واصلها طاع له قتل اخيه اي انقاد له وسهل فهو عدي بالتضعيف
فصار الفاعل مفعولا والمعنى ان القتل في نفسه مستصعب عظيم على النفوس فردته فقتله
النفس الامارة بالسوء طايعا منقادا وقرئ فطاوعت بمعنى طوعت او على معنى ان قتل اخيه
كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم يمتنع ذكره بزيادة الربط فاصبح ابوحيان قال
ابن عطية اقيم بعض الزمان مقام كله وخص الصباح بذلك لانه بدء النهار والانبعاث الى الامور
ومظنة النشاط يا ويلتي قرئ بكسر التا اعجزت قرئ بكسر الجيم لغة فاواري قرئ بسكون اليا

مرفوعا على الاستيناف اي فانا اواري سوءة قرئ بلا همزة قال الراغب اي من جناية وذلك
قال وال جل الكسر الجناية التي يخاف منها اجلا فكل اجل جناية وليس كل جناية اجلا كتبنا فيه الفعال
فساد قرئ بالنصب على تقدير او ان فسادا ومن احياها الضمير عائد الى نفس الا ولي مرادا به
غيرها على طريق الاستخدام انما جزاء الآية ابوحيان مناسبتها لما قبلها ظاهرة لما ذكر تغليظ الاثم
في قتل النفس بغير نفس ولا فساد في الارض اتبعه ببيان الفساد الذي يوجب القتل
يحاربون الله فيه التفات وذكر الله لتعظيم جانب الرسول اذ محاربته تعالى غير ممكنة او على
تاويل يحاربون ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع قرئ بالتخفيف في الثلاثة فاعلموا ان الله غفور
رحيم قال الطوفي مناسب للتوبة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ابوحيان لما ذكر جزاء من حارب
الله ورسوله وسعى في الارض فسادا من العقوبات والعذاب العظيم أمر المؤمنين بتقوى
الله وابتغاء القربات اليه فان ذلك هو المنجي من المحاربة والعقاب المعد للمحاربين الوسيلة
الراغب هي التوصل الى الشيء برغبة قال وحقيقة الوسيلة الى الله مراعاة سبيله بالعلم
والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة وجاهدوا في سبيله ابوحيان صرح به
وان كان مندرجا تحت ابتغاء الوسيلة لان به صلاح الارض ودفع المحاربين ان الذين كفروا
الآية لما ارشد المؤمنين الى معاقد الخير ومفاتيح السعادة وذكر فلاحهم شرح حال
الكفار وعاقبة كفرهم ووحد ضميره مع تقدم معطوف عليه ومعطوف اما لتلازمهما فاجريا مجرى
الواحد او اجرى الضمير مجرى الاشارة وقرئ تقبل مبنيا للفاعل والضمير له يريدون قيل
يرجون وقيل يتمنون وقيل يكادون ان يخرجوا قرئ مبنيا للمفعول ولهم عذاب مقيم
مناسب لقوله وما هم بخارجين منها لان ذلك هو حقيقة الاقامة في العذاب والسارق والسارقة
لما ذكر جزاء المحاربين بالعقوبات التي منها قطع الايدي والارجل من خلاف ذكر جزاء السارقين
بذلك والسرقة ايضا نوع من الحرابة والفساد الا انها على سبيل الخفية وتلك على سبيل الشوكة
والظهور وقرئ بالنصب بفعل اقطعوا وقرئ والسارقون والسارقات والسرق
والسرقة الكرماني قدم السارق على السارقة لان السرقة في الرجال اكثر وجراتهم فيها
واقدامهم اشد وقدمت الزانية على الزاني في آية النور لان اثر المرأة في الزنا ابلغ لتزيينها
وتمكينها فاقطعوا ايديهما الجمع فيه للمضاف والله عزيز حكيم الطوفي مناسب لما في الآية لان الشكل
بالقطع يفتقر الى عزة وحكم وحفظ الاموال بالقطع من محاسن الحكمة قال واعلم انه حيث اقترنت
هاتان الصفتان في السياق فما يستدعي الحكم والحكمة وجب حمل حكيم على انه مشتق منهما
على جهة استعمال اللفظ في معنيين وان استدعى احدهما جعل مشتقا منه فان المعاني
مستفادة من الكلام وسياقه وروي ان بعض الاعراب سمع قارئا يقرأ هذه الآية فختمها
بقوله والله غفور رحيم فقال ما هذا كلام فصيح فقيل له ليس التلاوة هكذا انما هي عزيز
حكيم فقال بخ بخ عز فحكم فقطع الم تعلم الآية لما ذكر تصرفه في المحاربين والسراق بالعقوبات
نبه على ان ذلك تصرف في ملكه وملكه فيعذب من يشاء وهم المائتون لامره ويغفر لمن يشاء

وهم التائبون ولذلك قدم جملة العذاب وأخر جملة المغفرة ليكون كاللف والنشر المرتب
وختم بوصف القدرة للمناسبة لملك العام والتصرف العام يا ايها الرسول ابوحيان مناسبة
هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا امر
رسوله ان لا يحزن ولا يهتم بامر المنافقين واليهود الذين يحدث منهم ذلك وفي ندائه
بذلك ديانة اي نبي تشريف وتعظيم وتفخيم لقدره حيث لم يناده باسمه كما نادى غيره
من الانبياء سماعون قرئ يسمعون ومن الذين هادوا معطوف على من الذين قبله وسماعون
خبرهم مقدرا ويؤيده انه قرئ سماعين نصبا على الذم للكذب قرئ بكسر الكاف وسكون
الذال وبضمها جمع كذوب كصبور وصبر اكلون قرئ بكسر الكاف وسكون اللام من بعد مواضعه
قال الزجاج من بعد ان وضعه الله مواضعه فاحل حلاله وحرم حرامه ان اوتيتم هذا
فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا فيه ثلاث مقابلات للسحت بضم الحاء وسكونها مع ضم السين
وهو الحرام لانه يسحت البركة اي يذهبها من سحته الله واسحته اهلكه ومنه فيسحتكم بعذاب
اي يستأصلكم ويهلككم الراغب السحت القشر الذي يستاصل ويقال للمحذور الذي يلزم صاحبه
العار كانه يسحت دينه ومروته وقرئ بفتح السين والحاء وبسكون الحاء مع فتح السين وكسرها
قال ابوحيان فبالفتح والكسر والتحتين اسم للمسحوت كالدهن والرعي والقبض والنبح
والسكون مصدرا ريد به المفعول كالصيد بمعنى المصيد وسكنت الحاء طلبا للخفة ان الله
يحب المقسطين مناسب لقوله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط وكيف يحكمونك استفهام تعجب
وعندهم التوراة جملة حالية من مبتدأ وخبر فيها حكم الله حال من التوراة ثم يتولون قال ابوحيان
مستانفة وقال الزمخشري معطوفة على يحكمونك داخلة في الاستفهام التعجبي وما
اولئك بالمؤمنين قال الطوفي مناسب لقوله وعندهم التوراة ثم يتولون من بعد ذلك لان التولي
عن حكم الله كفر انا انزلنا التوراة مرتبط بقوله وعندهم التوراة فيها حكم الله وفيه التفات فيها
هدى ونور قيل هما بمعنى والتكرير للتاكيد وقيل الهدى بيان الاحكام والنور بيان التوحيد
والنبوة والمعاد وقال ابن عطية الهدى الارشاد في المعتقد والشرائع والنور ما
يستضاء به من اوامرها ونواهيها يحكم بها النبيون الذين اسلموا فائدة وصفهم بالاسلام الذي هو
معلوم انهم شرف الاسلام واكذاب اليهود والنصارى في دعواهم ان الانبياء كانوا يهودا او
نصارى وللاشارة الى ان اليهود والنصارى بعداء من هذا الوصف الذي هو الاسلام وان
كان دين الانبياء كلهم قديما وحديثا وقيل المراد بالنبيين محمد صلى الله عليه وسلم خاصة من العام
المراد به الخصوص كقوله ام يحسدون الناس بما الباء سببية استحفظوا في بنائه للمفعول
وصيغة الطلب ما يدل على انه تعالى لم يتكفل بحفظ التوراة بل طلب منهم حفظها وكلفهم ذلك
فغيروا وبدلوا بخلاف كتابنا فان الله قد تكفل بحفظه حيث قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون فلا يمكن ان يقع فيه تبديل ولا تغيير من كتاب الله فيه التفات وكانوا عليه الضمير للكتاب
وقيل للحكم وقيل للرسول فلا تخشوا الناس واخشون فيه طباق والتفات من الخطاب

والحكم وقيل الخطاب لهذه الامة فلا التفات فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فيه التفات فاولئك
هم الكافرون ختم الآية الثانية بقوله فاولئك هم الظالمون والثالثة بقوله فاولئك هم الفاسقون
قيل الاولى في اهل الاسلام والثانية في اليهود والثالثة في النصارى تخصيصا لكل
بما يليه وقيل الثلاثة في اليهود وصفهم بثلاثة اوصاف وقيل الثلاثة بمعنى الكفر عبر عنه
بالفاظ مختلفة اجتنابا لصورة التكرار ولزيادة الفائدة وقيل الاولى في المنكر والثانية
في العالم والثالثة في الجاهل وقال صاحب المناجاة لما كانت الآية الاولى متعلقة بمخالفة
الاحكام الاعتقادية ختمت بوصف الكفر ولما كانت الآيتان متعلقتين بتغيير الاحكام الشرعية
ختمتا بوصفي الظلم والفسق وكتبنا فيه التفات عليهم فيها التفات من الخطاب ولا تخشوا ولا
تشتروا ان النفس الى آخره القراءة في المعطوفات بالرفع والنصب وقرئ بتخفيف ان ورفع
النفس وما بعدها والقراءة الاذن بضم الذال وسكونها لغتان به الضمير للقصاص الشامل
للنفس والاعضاء والجروح وهو نوع غريب اذ كان الضمير عاما ومرجعه خاص هو للتصدق
بما انزل الله فيه التفات وقفينا فيه التفات على آثارهم اي النبيين فيه هدى ونور جملة
حالية اي كائنا ولذا عطف عليه ومصدقا وهدى وموعظة حالان وقرئ برفعهما على تقدير
وهو ابو حيان جعله اولا فيه هدى ونور وجعله ثانيا هدى وموعظة هو في نفسه هدى
وموشتمل على الهدى وليحكم القراءة بلام الامر وبلام كي على معنى آتيناه الانجيل ليحكم فالعطف
على هدى وموعظة على ان نصبهما على المفعول له بما انزل الله فيه التفات وانزلنا فيه التفات
ومهيمنا اسم فاعل من هيمن ولم يجئ على هذا الوزن الا هو وشيطن وبيطر وخيمن وبيقر
ومعناه الشاهد او الرقيب او المؤتمن او المصدق او الامين قال ابن عطية ولفظ
المهيمن اخص من هذه الالفاظ لان المهيمن على الشيء هو المعني بامره الشاهد على حقائقه الحافظ
لاصله وقرئ بفتح الميم الثانية اسم مفعول وفاعله الله او الحفاظ في كل الدهر اي انه محفوظ
من التبديل والتغيير وعلى كل هو حال من الكتاب وقيل حال من الكاف في اليك على سبيل الالتفات
وقيل التقدير وجعلناك يا محمد مهيمنا عليه بما انزل الله فيه التفات ولا تتبع اهواءهم عما اي
عادلا عما وقيل تتبع معنى تنحرف او تنصرف فعدي بعن جعلنا فيه التفات شرعة
ومنهاجا قيل هما بمعنى وهو الطريق الواضح وقال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج
الطريق المستمر وقال ابن الانباري الشرعة الطريق واضحا كان او غير واضح والمنهاج لا يكون
الا واضحا وقيل الشرعة الدين والمنهاج الدليل وقيل الشرعة النبي والمنهاج الكتاب وقال
ابن عطية المنهاج بكسر الميم لغة من النهج ويحتمل انه يريد بالشرعة الاحكام وبالمنهاج المعتقد
الراغب النهج الطريق الواضح والشرع نهج الطريق الواضح واصله مصدر ثم جعل اسما للطريق
فقيل له شرع وشرعة وشريعة واستعير ذلك للطريقة الالهية من الدين وعن ابن عباس
الشريعة ما ورد به القرآن والمنهاج ما وردت به السنة وقرئ شرعا بفتح الشين ولو شاء الله
فيه التفات ولكن فيه مقدرا يقتضيه ذلك وان احكم الزملكاني معطوف على قوله وانزلنا اليك

الضمير ح

الكتاب

الكتاب بالحق اي وانزلنا اليك ان احكم او على قوله فاحكم بينهم واعترض بما بينهما قال القاضي
ابو يعلى وليست هذه الآية تكرارا لما تقدم وانما نزلتا في شيئين مختلفين احدهما شان الرجم والآخر
التسوية والقراءة بضم نون وان احكم اتباعا لحركة الكاف وبكسرها على اصل التقاء الساكنين
افحكم قرئ بالرفع على الابتداء والخبر يبغون وقرئ بفتح الحاء والكاف والميم بمعنى الحكام
يبغون بالغيبة والخطاب فيه التفات اولياء قرأ ابي تجد لهم اربابا لا يهدي القوم الظالمين
اي بوضع الولاية في غير موضعها فترى بالفوقية خطابا عاما او للرسول وقرئ بالتحتية عودا
لله او للرائي يسارعون قرئ يسرعون دائرة الراغب الدائرة عبارة عن الخط المحيط
ثم عبر بها عن الحادثة قال والدائرة تقال في المكروه والدولة في المحبوب فيصبحوا قرأ
ابن الزبير فيصبح الفساق ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا والرفع وفي قراءة بغير
واو جواب فماذا يقول المؤمنون حبطت اعمالهم اتمام تتمة قول المؤمنين او من قول
الله وعلى كل اما خبر واما دعاء من يرتد بالادغام والفك اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين فيه طباق وعدي اذلة بعلى والاصل تعديته باللام على تضمين معنى الحنو
والعطف كانه قيل عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع وجاءت هاتان
الصفتان بالاسم والصفتان قبل بالفعل في قوله يحبهم ويحبونه لان المحبة منهم عبارة
عن افعال الطاعة ومنه تعالى عبارة عن الانعام وكلاهما متجدد وهنا وصفي التذلل والعزة
وقدم الوصف المتعلق بالله لشرفه وقرئ بنصب اعزة واذلة حالا والله واسع عليم مناسب
للفضل ولمن يؤتيه انما وليكم لما نهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء بين هنا من هو وليهم
الشيخ سعد الدين هو متصل به وما بينهما لتاكيد النهي وعبر بالافراد دون الجمع اشارة الى
التلازم وقرئ مولاكم ويؤتون الزكاة وهم راكعون نزلت في علي حين تصدق بخاتمه وهو
راكع في الصلاة فيعرف مناسبة الختم بها ومن يتول الله ورسوله جواب الشرط محذوف
اي يغلب وتدل عليه فان حزب الله هم الغالبون الراغب الحزب جماعة فيها غلظ ابو حيان اصل
الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم والكفار بالجر عطفا على الذين ونوا وبالنصب عطفا على
الذين اتخذوا وقرأ ابي ومن الكفار وقرأ ابن مسعود ومن الذين اشركوا واذا ناديتم
عطف على اتخذوا عطف الخاص على العام لشرف الصلاة اتخذوها اي الصلاة او المناداة
هل تنقمون منا الا ان آمنا هو من تاكيد المدح بما يشبه الذم وهل بمعنى ما النافية وقرئ
تنقمون بفتح القاف لغة وقرئ انزل بالبناء للفاعل في الموضعين وقرئ وان اكثركم
بكسر الهمزة الزملكاني وان اكثركم معطوف على قوله بالله لانهم تأولوا حيث نسبوا الى
الفسق في مواضع من السورة كقوله فلا تأس على القوم الفاسقين وان كثيرا من الناس
لفاسقون ابو حيان موضع ان يحتمل الرفع على الابتداء والخبر محذوف متأخرا اي وفسق اكثركم
ثابت معلوم عندكم او مقدما اي ومعلوم فسق اكثركم والنصب عطفا على ان آمنا او مفعول
ولا تنقمون مقدرا او مفعولا معه والجر عطفا على بما او على علة محذوفة اي لقلة انصافكم

من ذلك على لعنه من بعيد وكاف الاشارة بحل جاي مثوبة بوزن معونة وقرئ بوزن مثقلة وضعت هنا موضع العقوبة على حد تبشيرهم بعذاب اليم وعبد الطاغوت بصيغة الماضي وقرئ وعبد واعبد بسكون الباء مخففا من مفتوحها ونصب الطاغوت وبضم الباء ورفع الطاغوت كشرف الرجل اي صار له كالعبد وعبد الطاغوت وعبدت بالبناء للمفعول فيهما وقرئ ومن عبدوا وعباد بكسر العين مخففا وبضمها مشددا جمع عابد وعبيد واعبد وعبد الطاغوت بالاضافة وفتح العين والباء اي دعبد وعبدت الطاغوت وعابدي وعابدوا وعابد وعبد بوزن كلب وبوزن حطم وبوزن يقظ بضم القاف وعابد الشيطان والطواغيت شر مكانا الكرماني هو مبالغة من غير اشتراك على حد العسل احلى من الخل وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ابو حيان خالف بين الجملتين اتساعا في الكلام ابن عطية قوله وهم تخليص من احتمال العبارة ان يدخل قوم بالكفر ثم يؤمنوا ويخرج قوم كفرة لو نزل وقد خرجوا به فازال الاحتمال بقوله وهم اي هم باعيانهم والعدوان قرئ بكسر العين الربانيون قرئ الربيون لبئس قرئ بحذف اللام يصنعون الزمخشري كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي نهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع وظهر بذلك الفرق بين ذم متعاطي الذنب وبين تارك النهي عنه حيث جعل ذلك عملا وهذا صناعة وختم تلك الاية بيعملون وهذه بيصنعون يد الله قيل هو على تقدير همزة الاستفهام غلت ايديهم دعاء او خبر وكذا ولعنوا بما قالوا وقرئ بسكون العين بل يداه مبسوطتان استعارة لسعة جوده وانعامه واضافه الى اليدين جريا على طريقة العرب في قولهم فلان ينفق بكلتا يديه الزمخشري فان قلت لم ثنيت اليد هنا وهي مفردة في قولهم قلت ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ ودل على اثبات غاية السخاء ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذل السخي ان يعطي بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك وقرئ بسطتان وبسطان بمعنى يقال يد بسطة وبسط بالمعروف اي مطلقة ينفق كيف يشاء جملة مستأنفة مؤكدة للوصف بالسخاء وانه لا ينفق الا على ما تقتضيه مشيئته والقينا فيه التفات بينهم قيل الضمير لليهود خاصة وقيل لهم وللنصارى لتقدم ذكرهم في الايات السابقة العداوة والبغضاء ابو حيان العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض وقد يبغض من ليس بعدو وابن عطية كان العداوة شيء يشهد يكون عنه عمل وحرب والبغضاء لا تتجاوز النفوس كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله هو استعارة فايقاد النار عبارة عن اظهار الحقد والكيد والمكر بالمؤمنين والاغتيال والقتال واطفاؤها صرف الله عنهم ذلك وتفرق آرائهم وحل عزائمهم وتفريق كلمتهم والقاء الرعب في قلوبهم فهم لا يريدون محاربة احد الا غلبوا وقهروا وفي اطفاها الله التفات ونزلنا فيه التفات اقاموا التوراة اي اظهروا ما انطوت عليه من الاحكام فتبيرهم

[illegible]

بالغا ثم من الناس راد بي اظهر مبالغة من ربهم فيه التفات لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم استعارة لسبوغ النعم وتوسعة الرزق عليهم كما يقال قد عمه الرزق من فرقه الى قدمه ولا فوق ولا تحت مقتصدة الراغب القصد استقامة الطريق ومنه الاقتصاد وهو على ضربين احدهما محمود على الاطلاق وذلك فيما له طرفان افراط وتفريط كالجود فانه بين الاسراف والبخل وكالشجاعة فانها بين التهور والجبن وعلى هذا واقصد في مشيك والثاني يكنى به عما يتردد بين المحمود والمذموم كالواقع بين العدل والجور والقريب والبعيد وعلى ذلك قوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقوله لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا اي متوسطا غير متناهي البعد وكثير منهم ساء ما يعملون ابو حيان هذا تنويع في التفصيل فالجملة الاولى جاء خبرها مجرورا متقدما والمجرور وصف والثانية جاء خبرها جملة مؤخرة ومقتصدة وصف وبين التركيبين تفاوت غريب من حيث المعنى وذلك ان الاقتصاد جعل وصفا والوصف الزم للموصوف من الخبر فاتى في الطائفة الممدوحة بالوصف اللازم واخبر عنها بقوله منهم والخبر ليس من شانه اللزوم ولا سيما هنا فاخبر عنهم بانهم من اهل الكتاب في الاصل ثم قد تزول هذه النسبة بالاسلام فيكون التعبير عنهم والاخبار بانهم منهم باعتبار الحالة الماضية واما في الجملة الثانية فانهم منهم حقيقة لانهم كفار فجاء الوصف بالالزام ولم يجعل خبرا وجعل الخبر الجملة التي هي ساء ما يعملون لان الخبر ليس من شانه اللزوم فهم بصدد ان يسلم ناس منهم فيزول عنهم الاخبار بمضمون هذه الجملة يا ايها الرسول ابو حيان مناسبة ذكرها خلال قصة اليهود والنصارى انه تعالى آمنه من مكرهم وامره بالتبليغ من غير مبالاة باحد قال ان الكلام قبل هذه الاية وبعدها معهم فيبعد ان تكون هذه الاية اجنبية عما قبلها وما بعدها وان لم تفعل فما بلغت رسالته ظاهر هذا الجواب لانها في الشرط اذ المعنى وان لم تفعل لم تفعل والجواب لا بد ان يغاير الشرط حتى يترتب عليه فقال الزمخشري فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا فقيل انه ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد ان لم تفعل ذلك فلك ما يوجبه كتمان الوحي من العقاب فوضع السبب موضع المسبب وقال ابن عطية اي ان تركت شيئا فكانك قد تركت الكل فصار ما بلغت غير معتد به فمعنى وان لم تفعل وان لم تستوف وقال الزملكاني اي وان لم تفعل هذا الخاص فما بلغت مطلق رسالاته ويدل على ان الاول خاص قوله والله يعصمك من الناس دل على انه تخوف في رسالة مخصوصة وقال الامام الاصح ان هذا خرج على قانون انا ابو النجم وشعري شعري ومعناه ان شعري قد بلغ في الكمال والفصاحة الى حيث متى قيل فيه انه شعري فقد انتهى مدحه الى الغاية التي لا يمكن ان يزاد عليها وهذا الكلام يفيد المبالغة

التامة من هذا الوجه فكذا هنا قال فان لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته يعني انه لا
يمكن ان يوصف ترك التبليغ بتهديد اعظم من انه ترك التبليغ فكان ذلك تنبيها على غاية التهديد
والوعيد وفي قراءة رسالاته بالجمع حتى تقيموا جمع في الضمير والمقصود التفصيل اي حتى يقيم
اهل التوراة واهل الانجيل الانجيل انه الذين آمنوا قرأ ابن مسعود يا ايها الذين آمنوا التوراة
والصابئون مرفوع مبتدأ منوي به التأخير وترك بيانا على العطف لقد اخذنا فيه التفات
كلما جاءهم رسول العائد المحذوف اي منهم وكذا جواب الشرط اي عصوه لان الرسول
الواحد لا يكون فريقين وقوله فريقا كذبوا جواب سؤال كأنه قيل كيف فعلوا برسلهم
فقيل فريقا كذبوا وفريقا يقتلون قاله الزمخشري والزملكاني ان لا تكون
بالنصب ناصبة والرفع مخففة فعموا وصموا كناية عن العصيان وبدئ بالعمى لانه اول
ما يعرض للمعرض عن الشرايع ان لا يبصر من اتاه بها من عند الله ثم يعرض له الصمم عن
سماع كلامه وقرئ بضم العين والصاد وتخفيف الميم من باب زكم الرجل وهي افعال جاءت
مبنية للمفعول وهي متعدية ثلاثية فاذا بنيت للفاعل صارت قاصرة فاذا اردت
بناءها للفاعل متعدية ادخلت همزة النقل وهو نوع غريب في الافعال ثم تاب الله فيه
التفات واسند التوبة اليه دون العمى والصمم آيات فاعماهم الله واصمهم اسنادا
للفعل الشريف اليه وافادت الفاء تعقيب العمى والصمم للحسبان وثم للتراخي التوبة
وتماديهم في الضلال زمانا ثم عموا وصموا كثير قيل هو على لغة اكلوني البراغيث وقرأ
كثيرا بالنصب والله بصير بما يعملون ابو حيان ناسب ختم الآية بهذه الجملة المشتملة على
صفة بصير اذ تقدم قبله فعموا انه من يشرك الى آخره قيل هو من تتمة كلام المسيح وقيل
مستأنف من كلام الله وما من اله الا اله واحد الذين بالذات من الاستغراق فيه ليمسن
الذين كفروا قام الظاهر مقام المضمر اذ لم يأت ليمسنهم لتكرير الشهادة عليهم بالكفر
وللاعلام بانهم كانوا بمكان من الكفر اذ جعل الفعل في صلة الذين وهي تقتضي كونها
معلومة للسامع معهودا غير شوبها واستقرارها وانه قد تاب منهم طائفة افلا
يتوبون لطف بهم واستدعا الى التنصل من تلك المقالة الشنيعة وقدر الزمخشري
اتثبتون على الكفر فلا يتوبون وجعله استفهام تعجب وقال الفراء هو استفهام معناه
الامر كقوله فهل انتم منتهون قد خلت من قبله الرسل من قبل رسل كانا يأكلان الطعام
قيل انه كناية عن قضاء الحاجة نبين فيه التفات ثم انظر كرره لاختلاف المتعلق لان الاول
امر بالنظر في كونه تعالى بين لهم الآيات ووضحها بحيث لا يقع معها لبس والثاني امر بالنظر
في كونهم يصرفون عن استماع الحق وتأمله او في كونهم يقلبون ما بين لهم الى الضد منه
وهذان امران عجيبان ودخلت ثم للتراخي ما بين العجبين وكانه يقتضي العجب من توضيح
الآيات وتبيينها ثم ينظر في حالهم بعد تبيين عجيب اعراضهم عن الآيات اعجب من
توضيحها لانه يلزم من تبيينها تبيينها لهم والرجوع اليها فكونهم انكروها اعجب ما لا يملك

لكم ضرا ولا نفعا ابن جماعة في مواضع قدم الضر وفي مواضع النفع فالاول حيث تقدم سياق
الله والتدرج والثاني حيث كان السياق في الدعاء والعبادة والسؤال والله هو السميع العليم
فيه التفات ولما كانت العبارة تتضمن قولا واعتقادا جاء الختم بهاتين الصفتين قاله ابو حيان
الاول صح والطول في غير الحق صفة مصدر اي غلوا وضلوا عن سواء السبيل قيل تأكيد لضلوا وقيل الاول والمعنى
ضلوا الآن بعد وضوح الحق على لسان داود وعيسى ابن مريم لم يقل لساني او السنة لان الافصح
انه اذا فرق متضمنا الجزئين احسن لفظ الافراد على لفظ التثنية والجمع ذلك بما عصوا
تأكيد والا فقد فهم سبب اللعنة من اسناده الى الذين كفروا وكانوا يعتدون يحتمل العطف
والاستئناف كانوا لا يتناهون تفسير لما قبله ترى كثيرا منهم الضمير لبني اسرائيل مرادا به
من في زمن الرسول ولا الآية وما بعدها اعلاق بالآية السابقة في النهي عن اتخاذ الكفار
اولياء والنبي فيه التفات من الخطاب في ترى ولكن كثيرا منهم من اقامة الظاهر مقام المضمر
لتقدمه في ترى كثيرا منهم لطول الكلام لتجدن اشد الناس عداوة مناسبتها في الآية قبلها
من اتخاذ اليهود الكفار اولياء او في الخطاب التفات من النبي وفي الآية طباقات بين اشد واقرب
وعداوة ومودة وآمنوا واشركوا واليهود والنصارى ابو حيان وصف العداوة بالاشد والمودة
بالاقرب لتفاوت الجنسين بالنسبة الى المؤمنين فتلك العداوة اشد العداوات واظهرها
وتلك المودة اقرب واسهل قسيسين قيل اعجمي معرب وقيل القسيس معناه الصديق وقرئ بدله
صديقين واذا سمعوا قال ابن عطية هو خاص في من آمن من القادمين من ارض الحبشة وما قبله
عام الى الرسول فيه التفات ترى فيه التفات آخر اعينهم تفيض ابو حيان اسند الفيض الى الاعين
عينه وان كان حقيقة للدموع كما قال ففاضت دموع العين مني صبابة اقامة للسبب
مقام المسبب لان الفيض مسبب عن الامتلاء والاصل ترى اعينهم تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض
على جواب الا ان ناشئ عن امتلائه والثاني على سبيل المبالغة في البكاء لما كانت تفاض فيها جعلت
الفائضة بانفسها الراغب فاض الماء اذا سال منصبا وقرئ مبنيا ترى للمفعول من الدمع من
مما عرفوا من الحق من الاولى ابتدائية والثانية سببية والثالثة تبيينية ونطمع ابو حيان
الطمع قريب من الرجاء الراغب الطمع نزوع النفس الى الشيء شهوة له فاثابهم قرئ فاتاهم يا ايها
فيه التفات يا ايها الذين آمنوا ابو حيان مناسبتها لما قبلها انه تعالى لما مدح النصارى بان منهم
قسيسين ورهبانا وعادتهم الاحتراز عن طيبات الدنيا وملذاتها والنكاح اوهم ذلك
المدح ترغيب المسلمين في مثل ذلك التقشف والتبتل فبين تعالى ان الاسلام لا رهبانية فيه
احل الله فيه التفات لا يؤاخذكم الله وجه اتصالها بما قبلها ان الآية التي قبلها نزلت فيمن حلف
لا ياكل اللحم ولا يتزوج النساء ولا ينام ولا يفطر فلما رد عليهم بمضمونها عقبت بحكم الايمان
التي حلفوها عقدتم بالتخفيف والتشديد وفي قراءة عاقدتم وقرئ عقدت الايمان
وفي الآية طباقان بين السلب والايجاب واللغو وعقدتم اهليكم قرئ اهاليكم بسكون الياء
او كسوتهم قرئ بضم الكاف وقرئ او كاسوتهم قال الزمخشري ومعناه او مثل ما

قطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عنهم ولكن تواسون بينهم وبينهم قال
ومحل الكاف رفع والتقدير او طعامهم كاسوتهم يعني كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط
او تحرير الراغب التحرير جعل الانسان حرا اذا حلفتم اي وحنثتم يا ايها الذين آمنوا ابو حيان
مناسبة الآية لما قبلها انه تعالى لما امرهم باكل ما رزقهم حلالا طيبا وكان من المستطاب المستلذ
عندهم الخمر والميسر بين تحريمهما لان اللذة فيهما يقارنها مفاسد عظيمة وقرن بهما ذكر الانصاب
والازلام وسوى بين الاربعة في الاخبار عنها بانها رجس مبالغة في ذم الخمر والميسر والتنفير منهما
رجس الكرماني الرجس والنجس بمعنى الا ان النجس يقال في المستقذر طبعا والرجس اكثر ما
يقال في المستقذر عقلا فاجتنبوه الضمير راجع للرجس المخبر به عن الاربعة انما يريد
الآية بين تعالى فيها مفسدتين في الخمر والميسر احداهما دنيوية والاخرى دينية واقتصر
على ذكر الخمر والميسر لانهما المقصودان بالسياق فهل انتم منتهون استفهام بمعنى الامر
ولذا عطف عليه واطيعوا الله الى آخره وكرر واطيعوا تاكيدا رسولنا فيه التفات ليس على الذين
آمنوا فيه التفات عن الخطاب اذا ما اتقوا الى آخره قيل التكرار للتاكيد ولانه فيه العطف
بثم كما في قوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقيل لاختلاف المتعلق فالاول للمضي
والثاني للحال والثالث للاستقبال وقيل الاول الشرك والثاني للكبائر والثالث للصغائر
ولذا قرن به واحسنوا والله يحب المحسنين فيه التفات يا ايها الذين آمنوا فيه التفات ابو حيان
مناسبة هذه الآيات انه تعالى لما امرهم ان لا يحرموا الطيبات واخرج من ذلك الخمر والميسر
وهما حرامان ابدا اخرج بعده من الطيبات ما حرم في حال دون حال وهو الصيد تناله
ايديكم ورماحكم الاول للصغار والثاني للكبار ابن عطية خصت الايدي بالذكر لانها اعظم
تصرفا في الاصطياد وفيها تدخل الحبالات والشباك المعمولة باليد والرماح لانها اعظم
ما جرح به الصيد وفيها يدخل السهم ونحوه وقرئ يناله بالتحتية ليعلم قرئ بوزن يكرم
وانتم حرم قال ابو حيان يشمل المحرم والكائن بالحرم بناء على استعمال اللفظ في حقيقته
فجزاء مثل باضافة جزاء بيانية وتنوينه ومثل مرفوع صفة وقرئ بنصبه مع رفع جزاء
ونصبه وقرئ فجزاؤه مثل من النعم قرئ بسكون العين لغة ذوا عدل قرئ ذو والمراد
هديا قرئ بكسر الدال وتشديد الياء ليذوق وبال امره في الذوق استعارة الراغب
الوابل المطر الثقيل وقيل للامر الذي يخاف ضرره وبال لمراعاة الثقل ابو حيان الوبال سوء
العاقبة وطعامه من عطف الخاص على العام وقرئ وطعمه متاعا مصدر او مفعول له وحرم
قرئ بالبناء للفاعل دمتم قرئ بكسر الدال حرما قرئ بفتحتين جعل الله الكعبة ابو حيان لما ذكر
تعالى تعظيم الحرام بالنهي عن قتل الصيد وتعظيم الكعبة بقوله هديا بالغ الكعبة ذكر
في هذه الآية تعظيم الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد قلت وبهذه الآية ظهر تناسب
اول السورة وآخرها قياما في قراءة قيما بحذف الالف وقرئ قيما بوزن سيد ذلك اشارة
للجعل المذكور ووجه الترتيب ما فيه من مراعاة المصالح وقيل الاشارة الى ما انبا به في هذه

السورة

السورة من المغيبات مثل قوله سماعون للكذب وان الله بكل شيء عليم مناسب لما قبله ولما
تضمنته الآية من مراعاة المصالح اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم فيه مقابلة
الترغيب بالترهيب كخاتمة الانعام ونحوها البلاغ هو مصدر بلغ اقيم مقام مصدر بلّغ
قل لا يستوي الخبيث والطيب له اعلاق بتحريم الخمر والميسر يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء
الامام مناسبة الآية لما قبلها انه تعالى لما قال ما على الرسول الا البلاغ صار كانه قال ما بلغه
الرسول فخذوه وكونوا منقادين له وما لم يبلغه فلا تسألوا عنه ولا تخوضوا فيه فربما
جاءكم بسبب الخوض الفاسد تكاليف تشق عليكم ان تبد قرئ بالبناء للفاعل وبالفوقية والتحتية
تسؤكم قرئ بالتحتية والله غفور حليم قال الطوفي مناسب لقوله عفا الله عنها قد سألها
فيه استخدام لان الاشياء التي سأل عنها الصحابة غير التي سألها من قبلهم ما جعل الله من بحيرة
ابو حيان لما نهى تعالى عن سؤال ما لم ياذن فيه منع من التزام امور لم يشرعها وهو
من باب العود بعد الاستطراد الى الكلام في المحللات والمحرمات وله اتصال بقوله لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ابن عطية جعل في هذه الآية لا يتجه ان يكون بمعنى خلق لان الله خلق هذه
الاشياء ولا بمعنى صير لعدم المفعول الثاني وانما هي بمعنى ما سن ولا شرع قال ابو حيان
ولم يذكر النحويون في معاني شرع جعل بل هي بمعنى صير والمفعول الثاني محذوف اي ما
صيرها الله مشروعة الزملكاني اعلم ان فعل يعبر في العبارة لمعان خمسة مثل وفعلت
فعلتك التي فعلت ولو انهم فعلوا ما يوعظون وما تفعلوا من خير يعلمه الله ثم بعدها
عمل لانها لا تتم بمعنى النية والهم وانما تقع في عمل البدن ونحوه قال تعالى وقدمنا الى
ما عملوا من عمل اي من صدقة وجهاد وغير ذلك فلا يدخل فيه العزم فانهم لم يعزموا
على شيء من ذلك وانما جعل بمعنى صير كثيرا وقيل بمعنى اوجب ايضا فقوله ما جعل الله من
بحيرة اي ما اوجبها ولا امر بها انتهى يا ايها الذين آمنوا الآية قال ابن زيد المعنى فيها
يا ايها الذين آمنوا من الذين بحروا البحيرة وسيبوا السوائب عليكم انفسكم في الاستقامة على
الدين لا يضركم ضلال الاسلاف اذا اهتديتم قال وكان الرجل اذا اسلم قال
له الكفار سفهت آباءك وضللتهم فنزلت الآية بسبب ذلك وهذا وجه حسن في الربط
ثم للآية مناسبة بقوله ما على الرسول الا البلاغ وعليكم اسم فعل بمعنى الزموا فانفسكم
مفعول به وقرئ انفسكم بالرفع على الابتداء والخبر مع مراعاة معنى الاغراء وقيل انه تاكيد
للضمير المستكن في عليكم لا يضركم قرئ بالفك مجزوما جواب الامر وقرئ الجزم ايضا والتخفيف
مع ضم الضاد وكسرها من ضاره يضوره وضاره يضيره يا ايها الذين آمنوا قال ابو نصر القشيري
لما نزلت السورة للوفاء بالعقود وترك الخيانات اخر الكلام الى هذا الكرماني ذكر العروض
هذه الآية من اشكل آية في القرآن حكما ومعنى واعرابا شهادة بينكم الزملكاني اي عدد شهادة
بينكم الذي ينفذ به الحكم اذا كان تنازع ويدل عليه قوله اثنان ونظيره الحج اشهر اي عدة
اشهر والشهادة مصدر وضع هنا بمعنى الشهود وقوله بينكم اي التنازع الواقع بينهم

والمنافقة تقع بادني ملابسة كقوله ولمن خاف مقام ربه اي مقامه بين يدي ربه وقيل
على حذف الموصول اي شهادة ما بينكم ونظيره واذا رأيت ثم اي ما ثم فراق بيني وبينك
اي ما بيني لعدم تقطع بينكم اي ما بينكم وقرئ بتنوين شهادة مرفوعا ومنصوبا على تقدير
ليشهد وبينكم فيهما منصوب على الظرف اذا انتم ضربتم قال ابو حيان هذا التفات ولو جري
على اللفظ اذا حضر احدكم لقيل ان هو ضرب وانما جا الالتفات جمعا لان معنى احدكم كل واحد
منكم تحبسونهما ابو حيان الخطاب للمؤمنين لما دل عليه الخطاب في قوله ان انتم ضربتم
في الارض فاصابتكم لان من ضرب في الارض واصابه الموت ليس هو الحابس الراغب الحبس المنع
من الانبعاث الزملكاني اي تعتمونهما للحلف وقيل تصبرونهما على اليمين ومعنى الصبر ان
يحلف الرجل غير متبرع به ان ارتبتم اعتراض بين القسم وجوابه لا نشتري به الضمير
للقسم وقيل لله وقيل لتحريف الشهادة قال الزملكاني وهو مقتبس من قوله الذين
يشترون بعهد الله الاية والشرا كناية عن الاخذ ولو كان اي المقسم له وهو اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه قاله الزملكاني ومقتبس من قوله ولو على انفسكم الاية
قاله الزملكاني ولا نكتم شهادة الله اضيفت اليه تعالى لانه الآمر باقامتها والناهي عن
كتمها قال الزملكاني والجملة مقتبسة من قوله واقيموا الشهادة لله وقرئ بجزم
نكتم نهيا ودخول لا الناهية على فعل المتكلم قليل وقرئ بتنوين شهادة ونصب الجلالة
مفعول نكتم وجرها على القسم بلا الف ودونه انا اذا لمن الاثمين قال الزملكاني مقتبس
من قوله ومن يكتمها فانه آثم قلبه فان عثر الراغب عثر الرجل سقط على شيء ويتجوز به
فيمن يطلع على امر من غير طلبه كقوله فان عثر الاية وكذلك اعثرنا عليهم اي وقفناهم على
شيء من غير ان طلبوا استحقا اثما قال الزملكاني كناية عن الخيانة وقال الكرماني اي
جرا اثم فحذف المضاف استحق عليهم القراءة بالبنا للفاعل والمفعول والاوليان مرفوع
تثنية الاولى وبالبنا للمفعول والاولين جمع اول وقرئ بالبنا للفاعل والاولان مرفوع
تثنية اول والاوليين منصوب تثنية اول قال الزملكاني من قرا الاوليان اراد الاقربان
الى الميت وهو بدل من آخران او من ضمير يقومان او خبر مستدا كانه قيل من هما فقيل الاوليان
بالميت ومن قرا الاولين فهو نعت لجميع الورثة ومن قرا الاولان فمعناه المتقدمان بالدعوى
من الاول والآخر وقال غيره معنى القراءة الاولى من الذين استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وهم
اهل الميت وعشيرته ومعنى الثانية من الورثة الذين استحق عليهم اوليان بالشهادة ان يجردوهما
للقيام بالشهادة ومعنى الثالثة كالاولى ومعنى الرابعة من الذين استحق عليهم الاولان رد
اليمين والنصب في الخامسة على المدح لشهادتنا احق من شهادتهما سمي القسم هنا شهادة
لشهدهما في ايجاب الحق انا اذا لمن الظالمين مناسب لقوله وما اعتدينا كما ناسب انا اذا
لمن الآثمين كتم الشهادة ذلك ادنى ان ياتوا الى آخره ابو حيان جمع الضمير في ياتوا وما بعده
وان كان السابق مثنى باعتبار الصنف والنوع يوم يجمع الله الرسل ابو حيان مناسبة الاية

لما قبلها انه تعالى لما اخبر بالحكم في شاهدي الوصية وامر بتقوى الله والسمع والطاعة ذكر
بقوله اليوم المهول المخوف وهو يوم القيامة فجمع ذلك بين فضيحة الدنيا وعقوبة الآخرة
لمن حرف الشهادة ولمن لم يتق الله ولم يسمع وقد قيل ان يوم منصوب باسمعوا او باتقوا او
بلا يهدي او باضمار واحذروا او على البدل من منصوب واتقوا وكل ذلك ظاهر الاغلاق
ماذا اجبتم قرئ بالبنا للفاعل قالوا لا علم لنا اي بالبواطن قال المرسي اي انك تعلم ما اظهر
وما اضمروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا فبهذا المعنى نفوا العلم عن انفسهم
لان علمهم مع علم الله كلا علم علام الغيوب قرئ بنصب علام على الاختصاص والنداء وانت خبر
ان او هو محذوف لفهم المعنى اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره وفي
قراءة الغيوب بكسر الغين حيث وقع استثقالا لتوالي ضمتين مع اليا اذ قيل يحتمل ان يكون
بدلا من يوم يجمع ايدتك قرئ آيدتك بالمد تكلم الناس في المهد وكهلا قال الزملكاني اي في المهد
كلام اخبار وفي الكهولة كلام انذار وذلك وجه العطف فتنفخ فيها قرئ فتنفخها فتكون قرئ
بالتحتية واذ تخرج الموتى كناية عن الاحياء او بتقدير احياء باذني كرر اربع مرات وفي آل
عمران مرتين لان هذا موضع ذكر النعمة والامتنان بها فناسب الاطناب وهناك موضع اخبار
لبني اسرائيل فناسب الايجاز سحر في قراءة ساحر فالاشارة الى عيسى وعلى الاول الى ما جاء به
اذ قال الحواريون قال ابن عطية هو اعتراض لما وصف حال قول الله لعيسى يوم القيامة
ومن جملة واذ اوحيت الى الحواريين اعترض بقصتهم في طلب المائدة ولهذا قطعت عن العاطف



سورة الانعام

وا قول من ما ظهر لي بفضل الله لما ذكر في آخر المائدة ان له ملك السموات والارض على سبيل الاجمال افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله فبدأ بذكر انه خلق السموات والارض وضم اليه انه جعل الظلمات والنور وهو بعض ما تضمنه ما فيهن وبدأ بهما قبل سائر المخلوقات لانهما لكونهما ظرف في الزمان وذلك ظرفا المكان كانا كالمقابلين لهما فكان كل قسم برأسه وضمن قوله الحمد لله ان له ملك جميع المحامد وهو من بسط لله ملك السموات والارض وما فيهن ثم ذكر انه خلق النوع الانساني وقضى له اجلا وانه منشئ القرون قرنا بعد قرن ثم اتى بقوله قل لمن ما في السموات والارض قل لله فاثبت له ملك جميع المظروفات لظرف المكان ثم قال وله ما سكن في الليل والنهار فاثبت له ملك جميع المظروفات لظرف الزمان فكانت هاتان الآيتان مطابقتين من حيث الترتيب للآية المصدر بها فالآية الاولى لاثبات ملك الظروف والاخريان لملك المظروفات وذلك تفصيل لله ملك السموات والارض وما فيهن ثم ذكر خلق سائر الحيوان من الدواب والطير ثم خلق النوم واليقظة والموت ثم اكثر في اثناء السورة من ذكر الخلق والانشاء لما فيهن من النيرين والنجوم وخلق الاصباح وفلق الحب والنوى وانزال الماء واخراج النبات والثمار بانواعها وانشاء جنات معروشات وغير معروشات والانعام حمولة وفرشا وكل ذلك تفصيل لملكه ما فيهن وهذه مناسبة جليلة ثم انه تعالى لما ذكر في صدر السورة انه مهلك القرون ومنشئ قرون آخرين خلفا عنهم ذكر في خاتمة السورة نحوا من ذلك فقال وهو الذي جعلكم خلائف الارض وهذه مناسبة جليلة لطيفة بين قبل السورة وقد قررنا في الاتقان من لطيف المناسبات مناسبة مطلع السورة لخاتمتها وكذلك لما افتتح السورة ببدأ الخلق ختمها بذكر اشراط الساعة ثم البعث في قوله يوم يأتي بعض آيات ربك الآية وقوله ثم الى ربكم مرجعكم الآية وكذلك قال في اولها قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وقال في آخرها قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا وقال في اولها ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقال في آخرها وهم بربهم يعدلون فهذه عدة مناسبات ووجه آخر وهو انه لما كان من مقاصد السورة الرد على الكفار حيث حرموا ما اباح الله من الانعام والحرث واباحوا ما حرم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله ولذلك سميت السورة باسم الانعام نظرا الى المقصد الاهم ناسب الافتتاح بذكر الخلق والملك لان الخالق المالك هو الذي له التصرف في ملكه ومخلوقاته اباحة ومنعا وتحريما وتحليلا فيجب ان لا يتعدى عليه بالتصرف في ملكه ولا يعدل به غيره ولا يسوى ولذلك كثر في السورة من ذكر الخلق والانشاء خصوصا في المأكولات ونوع ذلك وبسطه البلغ بسط وفصله ابين تفصيل وكرره اعظم تكرير وقال قد فصلنا الآيات وكانت تلك الآيات كبراعة التخلص الى المقصود ولهذه النكتة ايضا قال عند ذكر التفرد بالربوبية وهو يطعم ولا يطعم فخص وصف الاطعام للاشارة الى انه المطعم

النكتة



النكتة ايضا قال عند ذكر التفرد بالربوبية وهو يطعم ولا يطعم فخص وصف الاطعام للاشارة الى انه المطعم لا سواه فيجب ان يقتصر على ما اذن في اكله او منع ولا يتبع غيره في اذن في ذلك او منع وضم اليه ولا يطعم تعريضا بالاصنام التي جعلوا لها حصة في الطعام حيث قالوا وهذا لشركائنا فهذا ما ظهر لي من اللطائف والمناسبات فسبحان من انزله كتابا لا تحصى عجائبه ولا تستقصى بدائعه ثم ظهر لي وجه آخر وهو انه لما كان المقصود من هذه السورة بيان الخلق والملك اقتصر فيها على ما يتعلق بذلك فافتتح بذكر بدء الخلق وبدئ السموات والارض لتقدم خلقهما على الليل والنهار ثم بهذين لتقدم خلقهما على خلق نوع الانسان ثم بهذا لتقدم خلقه على خلق سائر الحيوان كما ورد بكل ذلك الآثار ثم ذكر من وسط السورة الوفاة التي هي وسط بين بدء الخلق والبعث وذكر معها النوم الذي هو شبيهها وقدمه عليها لتقدمه عليها في الوجود وذكر قصة ابراهيم في محاجته قومه للاشارة الى ان ما بعد النظر في المخلوقات الا استدلال بالخلق على الخالق ولم يقع ذلك مبسوطا في سورة غيرها ثم ذكر الانبياء الذين هم رؤس النوع الانساني وهم في الوجود متأخرون عما سبق ذكره ثم ذكر خلق النبات والانعام التي بها قوام ابدان العالم وفصل ما اباح اكله مما حرمه ثم ذكر وصايا اكثرها او كلها متعلقة بقوام المعايش كالنهي عن القتل الذي هو اتلاف الموجود وقتل الاولاد مخافة الفقر والفواحش كالزنا المؤدي الى فساد الانسان وهي من اركان الوجود المهمة وعدم قربان مال اليتيم والوفاء بالكيل والوزن وبالعهود والعدل في الاقوال وكل ذلك من المصالح الدنيوية التي تقوم بها المعايش واشار الى النوع الملكي والنوع الشيطاني في آيات ثم اشار الى اشراط الساعة ثم البعث فقد جمعت هذه السورة جميع المخلوقات باسرها وما تعلق بها وما يرجع اليها الذي هو تفصيل لله ملك السموات والارض وما فيهن وظهر بذلك مناسبة افتتاح السور المكية بها وتقدمها على ما تقدم نزوله منها وضمن في جمعها العلوم والمصالح الدنيوية نظير سورة البقرة في جمعها العلوم والمصالح الدينية وما ذكر فيها من العبادات المحضة فعلى وجه الاختصار والايجاز كنظير ما وقع في البقرة من علوم بدء الخلق ونحوه فانه فيها على وجه الايجاز والاشارة فلله الحمد على ما الهم فان قلت فلم لا افتتح القرآن بهذه السورة مقدمة على سورة البقرة لان بدء الخلق سابق على الاحكام والتعبدات قلت للاشارة الى ان مصالح الدين والآخرة مقدمة على مصالح المعايش والدنيا وان المقصود من الخلق انما هو العبادة فقدم ما هو الاهم في نظر الشرع ولان علم بدء الخلق كالفضلة وعلم الاحكام والتكاليف متعين على كل احد فلذلك لا ينبغي النظر في علم بدء الخلق وما جرى مجراه من التواريخ الا بعد النظر في علم الاحكام والعقائد ثم ظهر لي وجه آخر وهو انه لما كانت هذه السورة تفصيل قوله لله ملك السموات والارض الآية اتى فيها بقوله وله الملك يوم ينفخ في الصور فنبه على الملك الاعظم الذي لا معارض فيه لمن الملك اليوم واكثر فيها من لفظ الرب الذي هو بمعنى المالك فقال وهو رب كل شيء اي مالكه كل شيء والله ربنا فزاد بعد القسم باسم الله ذكر الرب تنبيها على انهم اعترفوا

بة

له الملك يومئذ وكذا ولا نكذب بآيات ربنا وتكرر ذكر الرب في هذه السورة في اكثر من
موضعا كقوله بربهم يعدلون من آيات ربهم اني اخاف ان عصيت ربي اذ
وقفوا على ربهم لولا انزل عليه آية من ربه ثم الى ربهم يحشرون والحمد لله رب العالمين
كتب ربكم على نفسه الرحمة قل انني على بينة من ربي وامرنا لنسلم لرب العالمين هذا ربي الا ان
يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء قد جاءكم بصائر من
ربكم اتبع ما اوحي اليك من ربك ولو شاء ربك ما فعلوه انه منزل من ربك بالحق وتمت كلمات ربك
ان ربك هو اعلم وهذا صراط ربك لهم دار السلام عند ربهم ذلك ان لم يكن ربك وما ربك بغافل
وربك الغني ذو الرحمة فقل ربكم ذو رحمة واسعة وهم بربهم يعدلون ما حرم ربكم عليكم بلقاء
ربهم يؤمنون فقد جاءكم بينة من ربكم او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك قل انني هداني ربي
هو رب العالمين قل اغير الله ابغي ربا ثم الى ربكم مرجعكم ان ربك سريع العقاب فهذه
وكأنه والله اعلم لذلك قال في آية الاضطرار فان ربك غفور رحيم وقال في سائر السور
فان الله فخص هذه السورة بذكر الرب لما تكرر فيها من لفظه المناسب لقصد تفصيل الملك واختياره
في هذه المواضع كلها لفظ الرب على المالك لما في الرب زيادة على معنى المالك من معنى التربية والاصلاح
المناسب لكل ذلك لبدو الخلق وان شاء ثم ظهر لي وجه آخر وهو انه لما ذكر في سورة المائدة
يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا الى آخره ثم ذكر بعده ما جعل الله
من بحيرة الى آخره فاخبر عن الكفار انهم حرموا اشياء مما رزقهم الله افتراء على الله وكان القصد
بذلك تحذير المؤمنين ان يحرموا شيئا مما احل الله فيشابهوا بذلك الكفار في صنعهم وكان ذكر
ذلك على سبيل الاشارة ثنا وهذه السورة لبيان ما حرمه الكفار في انعامهم على الوجه الابين والبسط
الاكمل حجاجا لهم فيه واقام الدليل على بطلانه وعارضهم وناقضهم الى غير ذلك مما اشتملت
عليه القصة فكانت هذه السورة شرحا لما تضمنته المائدة من ذلك على سبيل الاشارة والاجمال
وتفصيلا وبسطا واتماما واطنابا وهذا شأن سور القرآن يكون لكل سورة مقصد هو فيها
مبسوط ومجمل فيما بسط في السورة التي قبلها فيكون كل سورة تفصيلا لما اجمل في السورة التي
قبلها وقال بعضهم افتتاح هذه السورة بالحمد مناسب لذكره في آخر المائدة فصل القضاء كما قال
وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين **سورة الانعام** قال ابو حيان مناسبة افتتاح
هذه السورة لآخر المائدة انه تعالى لما ذكر ما قالته النصارى في عيسى وامه من كونهما الهين وجرى
ذلك المحاورة وذكر ثواب الصادقين واعقب ذلك بان له ملك السموات والارض وما فيهن
وانه قادر على كل شيء عقبه بان له الحمد المستغرق جميع المحامد فلا يمكن ان يثبت معه شريك
في الالهية فيحمد فنبه على العلة المقتضية لجميع المحامد والمقتضية لكون ملك السموات والارض
وما فيهن له بوصف خلق السموات والارض لان الموجد للشيء المنفرد باختراعه له الاستيلاء
والسلطنة عليه ولما تقدم قولهم في عيسى وكفرهم بذلك وذكر الصادقين وجزاءهم اعقب خلق السموات
والارض بجعل الظلمات والنور فكان ذلك مناسبا للكافر والصادقين خلق السموات والارض

وجعل الظلمات والنور اي في الاول الخلق وفي الثانية الجعل قال في الكشاف الفرق بين الخلق
والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التصيير كانشاء شيء من شيء وتصيير شيء من شيء او
نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام
المتكاثفة والنور من النار وجعل كذا وجعلنا اجعل الالهة الها واحدا وناسب عطف الصلة
الثانية بتعلقها من جمع الظلمات وافراد النور على الصلة الاولى بتعلقها من جمع السموات
وافراد الارض وتقدم في البقرة الكلام على جمع الاولين وتقدمهما وافراد الآخرين وتأخيرهما
والمراد بالظلمات والنور هما المعنى الحقيقي ردا على الدهرية النافين للفاعل المختار وعلى [illegible]
الزنادقة النافين لخلق الله الظلمة وكل شيء قبيح وقيل المجازي اي الكفر والايمان ويحتمل ارادتهما
معا ثم الذين كفروا ابن عطية ثم دالة على قبح فعل الذين كفروا لان المعنى ان خلقه لما ذكر قد تقرر
وآياته قد سطعت وانعامه بذلك قد تبين ثم بعد هذا كله عدلوا بربهم فهذا كما تقول يا فلان
اعطيتك واحسنت اليك ثم تشتمني اي بعد وضوح هذا كله ولو وقع العطف في هذا ونحوه بالواو
لم يلزم التوبيخ كلزومه بثم ونظيره ثم انتم [illegible] ولا الآية الكشاف فان قلت فما معنى ثم قلت
استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعادا لان
يمترى فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم قال [illegible] جملة ثم الذين كفروا معطوفة
اما على الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون فيكفرون نعمته واما على خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد
سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه بربهم فيه اقامة الظاهر مقام المضمر اذ الاصل
به تنبيها على سوء صنيعهم حيث عدلوا بربهم الذي هو مالكهم ومربيهم ومصلحهم ومسدي كل نعمة
اليهم ثم هو من معنى الظاهر السابق لا لفظه للاشارة المذكورة ولانه احسن في العربية من
اعادته بلفظه يعدلون اي يسوون به غيره في الالهية والخلق والايجاد خلقكم من طين اي
اصلكم آدم او من عرق طين ثم قضى هو للترتيب الذكري لان القضاء في الازل او يفسر بمعنى اظهر
اجلا واجل مسمى عنده اعاد الثاني نكرة لانه غير الاول وقدم على الظرف وان كان السائر عكسه نحو
عندي ثوب [illegible] قاله في الكشاف ابو حيان في خلقكم التفات من الغيبة في الذين
كفروا وان كان الخلق عاما لهم وللمؤمنين لانه قصد به تنبيه الكافر على اصل خلقه لقوله بعد
ثم انتم تمترون فلا يندرج فيه من اصطفاه الله تعالى بالنبوة والايمان الشيخ سعد الدين اوثر
في خلقكم ضمير الخطاب لان الدليل الانفسي اقرب الى الناظر من دليل الآفاق المشار اليه بقوله
خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور والشكر عليه اوجب ولذا اشير في ذكر الدليلين
الى المبدأ والمنتهى وما بينهما فليتدبر وهو الله الآية قال ابو حيان لما ذكر ما يدل
على القدرة التامة والاختيار ذكر ما يدل على العلم التام قلت فتقدم دليل القدرة لكون
اول السورة مرتبطا بقوله في آخر التي قبلها وهو على كل شيء قدير والضمير عائد على ما عاد عليه
الضمائر السابقة وقيل هو ضمير الشأن حذرا من اتحاد المبتدأ والخبر لفظا ومعنى

او بمصير التقدير والله الله في السموات متعلق بيعلم وقال الزجاج ما تضمنه اسم الله
من المعاني كقولك امير المومنين الخليفة في المشرق والمغرب قال ابن عطية وهذا عندي
افضل الاقوال واكثرها احرازاً لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى وايضاحه انه تعالى اراد
ان يدل على خلقه وآثار قدرته واحاطته واستيلائه ونحو هذه الصفات فجمع هذه كلها
في قوله وهو الله اي الذي له هذه كلها في السموات وفي الارض كانه قال وهو الخالق والرازق
والمحيي والمحيط في السموات وفي الارض كما تقول زيد السلطان في الشام والعراق ولو
قصدت ذات زيد لقلت محالاً فاذا كان مقصد قولك زيد السلطان مقام هذه كان
فصيحاً صحيحاً فكذلك في الآية اقام لفظة الله مقام تلك الصفات المذكورة انتهى يعلم
سركم وجهركم خبر في ضمنه تحذير والمراد بالسر صفات القلوب وهي الدواعي
والصوارف وبالجهر اعمال الجوارح وقدم السر لان داعية القلب علة للفعل الجارحة
والعلة سابقة على المعلول بالذات تقدمت في اللفظ التبريزي معناه يعلم ما تخفون من
نياتكم واعمالكم وما تظهرون من اعمالكم وما تكسبون عام لجميع الاعتقادات والاقوال
والافعال وكل ما اسان عليه المفضي به الى اجتلاب نفع او دفع ضرر ولهذا لا يوصف به
الله تعالى الكشاف فان قلت كيف موقع قوله يعلم الى آخره قلت ان اراد المتوحد بالالهية
كان تقريراً له لان الذي استوى علمه في السر والعلانية هو الله وحده والا فهو مستأنف
وما تأتيهم فيه التفات عن الخطاب الى الغيبة ونكتته فيما ظهر لي انه لما حكى تعالى عنهم في هذه
الآية وصف الاعراض اعرض عن خطابهم تحقيراً لهم ابو حيان لما تقدم الكلام اولاً في التوحيد
وثانياً في المعاد وثالثاً في تقرير هذين المطلوبين ذكر بعد ذلك ما يتعلق بتقرير النبوة وتأتيهم
ما في المعاني وكانوا استقبل المعنى ومن الاولى زائدة لتأكيد الاستغراق والثانية للتبعيض
وتقديم عنها للفاصلة فقد كذبوا بالحق اي بالآية التي تأتيهم من اقامة الظاهر مقام المضمر
تقرير الوصف الآية بالحق وقال الزمخشري هو مردود على كلام محذوف اي ان كانوا
معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم واكبر وهو الحق يعني القرآن الذي تحدوا به
فعجزوا عنه فسوف معطوف على [illegible] محذوف دل عليه آخر الآية اي واستهزؤوا به قال
ابو حيان قلت فعلى هذا يكون في الآية احتباك ويكون حذف من الثانية جملة التكذيب وهو ازيد
من الاعراض اذ المعرض قد يكون غافلاً عن الشيء فلا استهزاء [illegible] وهو ازيد من التكذيب
اذ المكذب قد لا يبلغ الى حد الاستهزاء انباء فيه حذف اي مضمون انباء والنبأ الخبر الذي يعظم وقعه
ما كانوا به يستهزءون علق التهديد بالاستهزاء دون الاعراض والتكذيب لتضمنه اياهما اذ هو
الغاية القصوى في انكار الحق وكيفما التقييد الكذب بالحق والتنفيس بسوف وفي الشعراء
فقد كذبوا فسيأتيهم لان الانعام متقدمة في النزول عليها فاستوفي فيها اللفظ وحذف في
الشعراء وهو مراد احالة على الاولى وناسب الحذف الاختصار في حرف التنفيس فجاء بالسين
قاله الكرماني وقال ابن جماعة مناسبه الحق وكل مصرح بالقرآن وصرح به في الشعراء في قوله

ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث فناسب ان يبهم لعظم شان القرآن لان السين اقرب من سوف وقال
صاحب المناجاة يمكن حمل الموعود به على عذاب الآخرة وهو بعيد وفي الشعراء على عذاب الدنيا من القتل
وغيره وهو قريب فناسب كل موضع حرفه الم يروا لما هددهم واوعدهم على اعراضهم وتكذيبهم
واستهزائهم اتبع ذلك بما يجري مجرى الموعظة والنصيحة وحض على الاعتبار بمن قبلهم ممن فعل كفعلهم
فاهلك مع كونهم اشد منهم قوة وتمكيناً ومن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية الكرماني قال هنا
الم يروا وفي الشعراء او لم يروا بزيادة واو وفي سبأ افلم يروا بالفاء والضابط انه حيث كان
الكلام في مقتضى النظر والاستدلال جاء بغير واو كما هنا وحيث كان مقتضى الاعتبار بالحاضر
والمشاهدة جاء بالواو لعطف الجملة على الجملة قبلها وكذلك الفاء فيما هو اشد اتصالاً بما قبلها
قال فلا ينقض هذا الاصل بقوله الم يروا الى الطير مسخرات حيث جاء بلا واو وهو مما هو لانه
متصل بقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم وسبيله الاعتبار والاستدلال فبني عليه الم يروا الى
الطير وذكر الامام مثله وقال انه لا ينقض بقوله او لم يروا ان الله يبسط الرزق الآية
قال لان بسط الرزق والفقر لم يشاهدا فلهما امارات ترى وتشاهد من لوازم الفقر والغنى
مكناهم جواب سوال مقدر كانه قيل ما كان من حالهم مكناهم فيه التفات من الغيبة الى الخطاب
زيادة في تقريعهم قلت وظهر لي نكتة اخرى وهي الفرار من تخالف مرجع الضمائر
لو قيل لهم بين مكناهم وعليهم وما بعده فانها للقرون ولهم لو قيل للكفار مكة فتخالف الضمائر
فعدل الى الخطاب لتجري ضمائر الغيبة على نسق ولحلف في الموضع بخلاف الضميرين اول
الآية لانهما قبل ذكر القرآن واستعمل مكن في الارض متعدياً بنفسه وفي الثانية باللام فقيل
وكلاهما فصيح وارسلنا السماء قيل هو المطر وقيل الظلة على حذف مضاف اي مطر السماء مدراراً
يوصف به المذكر والمؤنث للمبالغة في اتصال المطر ودوامه وقت الحاجة وجعلنا الانهار تجري
من تحتهم اعرب من تحت الانهار هنا وفي قوله وهذه الانهار تجري من تحتي الجليل وان كان العرش
الواسع الخطوة يسمى بحراً او نهراً وانشأنا من بعدهم قرناً آخرين فانه ذكره اظهاراً للقدرة
التامة على افناء ناس وانشاء ناس وانه تعالى لا يتعاظمه ان يهلك قرناً ويخرب بلاده وينشئ
مكانه آخر وفيه تعريض للمخاطبين باهلاكهم اذا عصوا وانشاء آخرين مكانهم ووصف قرناً بآخرين
وهو جمع حملاً على المعنى مراعاة للفاصلة ولو نزلنا الآية نزلت فيمن قال ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل
علينا كتاباً نقرأه ومناسبة ذكرها بعد ما تقدم انه تعالى لما ذكر تكذيبهم بالحق واعراضهم
واستهزاءهم كان مظنة ان يتوهم انه لو جيء بالآية التي اقترحوها لم يعرضوا ولصدقوا ولم يستهزؤوا
فاخبر بانه لو نزل عليهم كتاب في قرطاس ولمسوه بايديهم لم يزدهم ذلك الا تكذيباً وادعوا ان
ذلك من باب السحر لا من باب المعجز عناداً وتعنتاً وانه كان من له ادنى مسكة من عقل لا ينازع فيما ادركه
بالبصر فضلاً عما لمسه باليد فذكر اللمس لانه ابلغ ولان الرؤية يقولون فيها سكرت ابصارنا ولانه
يحصل به العلم للاعمى والبصير ولانه ابعد عن السحر وعن التزوير وقيد باليد مبالغة في التأكيد
ولانها اقوى من اللمس من سائر الاعضاء ولانه قد يطلق ويراد به الفحص عن الشيء والكشف عنه كما في قوله

وإنما لبسنا الشيء فذكر اللبس لإزالة توهم إرادته لقال الذين كفروا فيه عدول إلى الظاهر عن المضمر
تنبيها على علة القول وهي الكفر وقالوا استئناف أو عطف على جواب لو وعليه فيه التفات عن
ضمير الخطاب في عليك ولو أنزلنا ملكا أي فكذبوه وللبسنا قرئ بالتشديد وقرئ بلام واحدة
تخفيفا ولقد استهزئ هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم وتعريض بكفايته شرهم
من قبلك فيه التفات سيروا في الأرض ثم انظروا في سائر المواضع فانظروا قال الزمخشري
في الفرق جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا
سير الغافلين وأما سيروا ثم انظروا فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من
المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح انتهى
وقال الكرماني والإمام لما ذكر هنا إهلاك القرون وإنشاء قرن بعد قرن ناسب ثم
التي للتراخي لأن استقراء الدنيا وتأمل الآثار الكثيرة فيه يحتاج إلى زمان طويل ولم يتقدم
في سائر المواضع مثله فجيء بالفاء الدالة على التعقيب قال ابن جماعة ولما تقدم هنا ذكر
التكذيب ناسب الختم بالمكذبين ولما تقدم في غيرها ختم بغيره ففي النمل بالمجرمين وفي العنكبوت
بقوله كيف بدأ الله الخلق الآية وفي الروم بقوله كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم
مشركين فختم كل بما ناسب ما قبله قل لمن ما في السموات أبو حيان لما ذكر تعالى تصريفه
فيمن أهلكهم بذنوبهم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بسؤالهم ذلك فإنهم لا يمكنهم أن يقولوا إلا أن
ذلك لله فيلزمهم بذلك أنه تعالى المالك المهلك لهم وهذا السؤال سؤال تبكيت وتقرير ثم
أمره تعالى بالجواب بقوله لله ليكون أول من بادر إلى الاعتراف بذلك وقيل في الكلام حذف
تقديره فإذا لم يجيبوا قل لله قلت وقد قدمت أول السورة أن المقصود بها إثبات
ملك السموات والأرض وما فيهن لله وأن عادة القرآن الاستطراد من المقصود إلى غيره
بأدنى ملابسة ثم العود إلى المقصود وكذا هذه السورة لا يزال يستطرد فيها من ذكر الخلق
والملك والإنسان إلى غيره ثم يعود إليه وهكذا من أول السورة إلى آخرها كتب على نفسه الرحمة
أبو حيان لما ذكر تعالى أنه موجد العالم المتصرف فيه بما يريد دل ذلك على نفاذ قدرته أردفه
بذكر رحمته وإحسانه إلى الخلق وقال [illegible] لما ذكر تعالى أن له ما في السموات والأرض
وذلك تصريح بالوحدانية ومن شأن الواحد في ملكه القهر والسطوة والجبروت وذلك مما يكاد
ينصدع له قلوب المؤمنين الخاشعين ويستشعر منه الوجل والفزع أردفه بذكر الرحمة تسكينا
لروعهم وتطمينا لقلوبهم وأوردها بلفظ كتب وعلى المستعملين في اللزوم والوجوب تأكيدا
لثبوتها لأن وعده تعالى لا يخلف وقد ورد في الحديث الصحيح لما فرغ الله الخلق وقضى القضية
كتب كتابا عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي وفي رواية سبقت غضبي وبهذا عرفت
مناسبة ذكر هذه الجملة في هذه السورة لما دل عليه الحديث من جملة بدء الخلق الذي السورة مشروح
له كما بينته فيما تقدم ولهذا أعادها مرة ثانية في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة تأكيدا
لثبوتها وزاد هنا لفظ ربكم لأن ما هنا خطاب للكفار ولم يذكر فيه لفظ الرب إبعادا لهم عنه

ولما

وما هنا كان خطابا للمؤمنين حيث قال وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل إلى آخره فذكر فيه لفظ
الرب مضافا إليهم تشريفا لهم وإشعارا بمراعاته لمصالحهم وتربيتهم وتأنيسا لهم في الخطاب
وقدم عليه هناك قوله سلام عليكم الذي هو تحية المسلمين والسلام قبل الكلام ولما كان الخطاب
هنا للكفار لم يذكر السلام إذ لا سلام على كافر هذا ما ظهر لي والله أعلم ليجمعنكم إلى يوم القيامة
لما ذكر رحمته لعباده ذكر يوم الجزاء الذي تظهر فيه أنواع رحمته الكثيرة وقد ورد في الحديث
أن لله مائة رحمة فأنزل في الأرض منها رحمة واحدة وأمسك عنده تسعة وتسعين يرحم
بها عباده يوم القيامة وإلى قيل بمعنى اللام وقيل بمعنى في وقيل زائدة والصحيح على بابها
من الغاية لا ريب فيه أي في يوم القيامة وقيل في الجمع المفهوم من الفعل الذين قال
الأخفش هو بدل من ضمير الخطاب في ليجمعنكم فصح الربط وإن كان الضمير عاما لأنه بدل بعض
من كل وفائدته تخصيص المنكرين بجمعهم بالوعيد وبعض كون الضمير خاصا بالمنكرين فيكون بدل
كل من كل وأعربه الزجاج مبتدأ والخبر فهم لا يؤمنون فيكون جملة استئنافية لبيان أن المنكرين
بجمع المرتابين في يوم القيامة خاسرون وله ما سكن في الليل والنهار لما ذكر تعالى أن له ملك
ما حوى المكان من السموات والأرض ذكر أن له ملك ما حوى الزمان من الليل والنهار وحاله
كلين وإن كان كل من المكان والزمان يستلزم الآخر لكن النص عليهما أبلغ في التأكيد قال
أبو حيان وقدم المكان لأنه أقرب إلى العقول وإن تكاد من الزمان فلك ولأنه أسبق خلقا
كما تقدم وفيه هنا المطابقة للآية المتقدم بها السؤال كما أشرت إليه قبل وهنا محذوف أي
وما تحرك فحذف اكتفاء واقتصر على الساكن لأن كل متحرك قد يسكن وليس كل ساكن يتحرك وقيل
لأن السكون أكثر وجودا من الحركة وهو السميع العليم صفة السمع مناسبة لما تقدم من المحاورات
مع الكفار المكذبين وصفة العلم مناسبة لمعنى الجزاء الذي هو في يوم الجمع قل أغير الله أتخذ وليا
لما تقدم أنه تعالى اخترع الموجودات وأنه مالك لما تضمنه المكان والزمان أمر نبيه أن يقول
لهم على سبيل التوبيخ أي من هذه صفاته هو الذي يتخذ وليا وناصرا ومعينا لا الآلهة التي
هي لكم إذ هي لا تخلق ولا تنصر ولا تسمع ولا تطعم ودخلت الهمزة على الاسم دون الفعل لأن الإنكار
في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي وقال الطبري الآية جاءت جوابا للكفرة الذين
دعوه إلى عبادة أوثانهم فاطر الجر نعت لله أو بدل وقرئ بالرفع بإضمار هو وبالنصب بالمدح
وقيل صفة لغير أي أجعل فاطر السموات والأرض غير الله وقرئ فطر فعلا ماضيا وهو
يطعم ولا يطعم أي يرزق ولا يرزق أبو حيان وخص الإطعام من أنواع الانتفاعات لمس
الحاجة إليه وقد تقدم في كلامي ما هو أظهر للمناسبة وقرئ ولا يطعم بفتح الياء أي أنه تعالى
منزه عن أن يأكل وقرئ ولا يطعم بضم الياء وكسر العين مثل الأول فالأول عائد إلى الله والثاني
عائد إلى الولي على سبيل اللف والنشر وهو مرتب إن جعل للولي وغير مرتب إن جعل لغيره وقيل
هما لله أي يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقوله هو يعطي ويمنع وقيل الثاني بمعنى
ولا يستطعم نقل الطعم واستطعمت بمعنى وقرئ وهو يطعم بالبناء للمفعول ولا يطعم بالبناء

وهو يُطعم ٣

للفاعل بكسر العين القراءة المشهورة فالضمير لغير الله وقرئ ولا يَطعم قل إني أمرت أن أكون أول من
أسلم هو نبي لأنه سابق أمته في الإسلام كما يأمر الملك رعيته بأمر فيقول أنا أول من يفعل ذلك ليحملهم
على فعل ذلك ولا تكونن من المشركين على تقدير وقيل لي لصحة العطف على أمرت والاندراج تحت
قل وقيل هو معطوف على معمول قل حملا على المعنى أي قل إني قيل لي كن أول من أسلم ولا تكونن ثم
الخطاب له لفظا والمراد أمته كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك قل إني أخاف إن عصيت ربي
الآية هو من التعليق على المستحيل وهو المعصية من المعصوم فالخوف والعذاب منتف من يصرف
بالبناء للمفعول فضميره للعذاب وضمير عنه لمن ورحمه للرب وللفاعل فضميره للرب وعائد
من محذوف أي من يصرفه وعنه للعذاب ورجح ابن جرير القراءة الأولى لأنها أقل إضمارا وأبو
عبيد وغيره الثانية لمناسبة فقد رحمه ولم يأت فقد رُحم وكان في قراءة أُبي وابن مسعود
من يصرف الله وذلك إشارة إلى الصرف المفهوم من يصرف وإن يمسسك الآية أبو حيان
الذي يقابل الخير هو الشر وعدل عنه إلى لفظ الضر لأن الشر أعم منه فأتى بالضر الذي هو أخص
وبلفظ الخير الذي هو عام تغليبا لجهة الرحمة ابن عطية ناب الضر هنا مناب الشر الذي هو مقابل
الخير وهذا باب من الفصاحة يسمى ترصيع الكلام وهو أن يكون الشيء مقترنا بما يجتمع معه في قدر
مشترك ونظيره إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فجاء الجوع مع العري
وبابه أن يكون مع الظمأ لكن اجتمع مع اشتراك الجوع والعري في الخلو فالأول خلو الباطن والثاني
خلو الظاهر والظمأ والضحى مشتركا في الاحتراق فالأول احتراق الباطن والثاني احتراق الظاهر
وقدم مس الضر على مس الخير لاتصاله بما قبله من الترهيب الدال عليه قل إني أخاف وجاء جواب
الأول بالحصر مبالغة في الاستقلال بكشفه وجواب الثاني بقوله فهو على كل شيء قدير دلالة
على قدرته على كل شيء فيندرج فيه المس بخير وغيره قال أبو حيان والأحسن تقدير
الجواب محذوفا أي فلا كاشف له إلا هو وفلا راد له للتصريح به في آية أخرى ثم أتى
بعدها هو شامل للخير والشر وهو قدرته على كل شيء ابن جماعة قال هنا ما ذكر وفي يونس
وإن يردك بخير فلا راد لفضله فغاير العبارة في الخير وسوى في الضر لأن الضر إذا وقع لا
يكشفه إلا الله فاستوى فيه الموضعان فأما الخير فقد يراد قبل نيله ثم من ثم يناله بعد
ذلك فهما حالتان حال إرادته قبل نيله وحال نيله فذكر الحالتين في السورتين فآية الأنعام
حالة نيله فعبر عنه بالمس المشعر بوجوده ثم قال فهو على كل شيء قدير أي على ذلك وعلى خيرات
بعده وفيه بشارة بنيل أمثاله وآية يونس حالة إرادة الخير قبل نيله فقال يردك
ثم قال فلا راد لفضله أي إذا أراده قبل نيله ولذلك قال يصيب به من يشاء من عباده فتناسب
في إرادة الخير وآية الأنعام في نيله إياه وهو القاهر لما ذكر انفراده تعالى بتصرفه بما يريد
من ضر وخير وقدرته على كل شيء ذكر قهره وغلبته وأن العالم مقهورون ممنوعون من بلوغ
مرادهم بل يقهرهم ويجبرهم على ما يريده هو تعالى والقهر الغلبة والحمل على الشيء من غير اختيار
المحمول فوق عباده هي فوقية القهر والغلبة والعلو والدرجة وقد قال فرعون وإنا فوقهم قاهرون

ولم يرد الفوقية المكانية أبو حيان العرب تستعمل فوق إشارة إلى علو المنزلة وشفوفها على
غيرها من الرتب استعارة من فوقية المكان ومنه يد الله فوق أيديهم وفوق كل ذي علم عليم

وقال النابغة

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ❊ وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

يريد علو الرتبة والمنزلة لما أن صفات الكمال محصورة في العلم والقدرة فقوله وهو القاهر
فوق عباده إشارة إلى كمال القدرة وهو الحكيم الخبير إشارة إلى كمال العلم قل أي شيء
عدل عن أي شهيد وهو المراد مبالغة في التعميم قل الله إن لم يقولوه وهو مبتدأ خبره محذوف
أي أكبر شهادة أو خبر هو محذوف وشهيد خبر هو مقدرا أو الله مبتدأ وشهيد خبره وأوحي
قرئ بالبناء للفاعل ونصب القرآن لأنذركم به أي ولأبشركم فحذف اكتفاء واقتصر على
الإنذار لأنه في مقام تخويف هؤلاء المكذبين ومن بلغ أي بلغه القرآن إلى يوم القيامة وقيل
بلغ الحكم أئنكم قرئ إنكم بلفظ الخبر فيحتمله ويحتمل الاستفهام بتقدير أداته قل لا أشهد
الآية ترتيب بديع حيث أمره أولا أن يخبرهم بأنه لا يوافقهم في الشهادة ثم بإفراد الله بالألوهية
لأن الأول لا يدل عليه بالمنطوق ثم بالتبري من إشراكهم وهو كالتوكيد لما قبله
أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن الآية نزلت في نفر من اليهود وهذا السبب يرشد إلى وجه
ربط الآية بما بعدها وهو قوله الذين آتيناهم الكتاب الآية وعرف منه أن قوله هنا
الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون فيمن كذب من أهل الكتاب وفيما تقدم في كفار مكة فليس
تكرارا وهذا جزم به الكرماني وغيره والذين هنا مبتدأ على تقدير منهم ومن أظلم الآية بدأ بالأظلم
وختم بأنه لا يفلح الظالمون ليعم الظالم غير الأظلم ويلزم منه عدم فلاح الأظلم من باب أولى الكرماني
قال هنا الظالمون وفي يونس المجرمون لأن الآيات المتقدمة هنا كلها معطوفة بالواو
وفي يونس كلها معطوفة بالفاء ثم روعي ذلك في الموضعين وختم هنا بالظالمون لمناسبة أول
الآية ومن أظلم وهناك بالمجرمون لمناسبة قوله قبل وكذلك نجزي المجرمين ووافقه الإمام
في الختم ووجه الفاء في يونس أن القصة بأسرها كالنتيجة فرتبت بالفاء وليست هنا كذلك
فعطفت بالواو ويوم نصب باذكر مقدرا وقيل على تقدير لا يفلح الظالمون اليوم في الدنيا
ويوم نحشرهم ففيه حذف المعطوف عليه وهو أقوى في الربط نحشرهم بالنون ففيه
التفات إلى التكلم وقرئ بالياء فلا التفات وقرئ بكسر الشين ثم نقول للذين أشركوا أين
إقامة الظاهر مقام المضمر تنبيها على الوصف المترتب عليه توبيخهم إن كان ضمير نحشرهم خاصا
بمن افترى وكذب وإن كان عاما إلى جميع الخلق فلا وعطف بثم للتراخي الحاصل بين مواقف
يوم القيامة لطوله أين شركاؤكم سؤال توبيخ وتقريع تزعمون حذف منه المفعولان أي
تزعمونهم شركاء ثم لم تكن فتنتهم أي حجتهم ومعذرتهم وقيل كفرهم على حذف مضاف أي لم تكن
عاقبة كفرهم إلا إنكاره ويكن قرئ في السبع بالتاء بدلا وبالياء وقرئ ربنا بالنصب على
المدح أو النداء وقرئ برفع الاسمين مبتدأ وخبر وفيه تقديم وتأخير أي قالوا ما كنا مشركين

وف

والله ربنا قال ابن عطية قلت فهي جملة معترضة بين القول ومقوله كيف كذبوا فيه وقوع
الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه وكذا قوله وضل يحتمل العطف على كذبوا ليدخل
في حيز النظر والاستيناف فلا يدخل ومنهم من يستمع افرد ضميره مراعاة للفظ من وجمعه فيما
بعد مراعاة لمعناها الكرماني قال في يونس من يستمعون لان آية يونس نزلت في جمع
اكثر من النازل في آية الانعام وجعلنا قيل هي حالية وقيل عطف على الجملة الاسمية ان
يفقهوه اي لئلا يفقهوه او كراهة ان وقرا ثقلا بكسر الواو واعلم ان هذه الآية على حد قوله
ختم الله على قلوبهم الآية معنى واستعارة ما وترتيبا فانها ابتدئ فيها بالقلوب ثم
بالآذان ثم بالابصار وهذه ابسط من تلك بالتصريح بالمقصود من عدم الفقه وعدم الايمان
بما يرى من الآيات وضمير يفقهوه للقرآن لدلالة الحال عليه اوله في قوله واوحي الي
هذا القرآن اساطير قيل جمع اسطارة وقيل اسطور وقيل اسطورة وقيل اسطير وقيل
اسطيرة وقيل جمع لا واحد له وقيل جمع الجمع وهو اسطار جمع سطر وقيل جمع جمع الجمع وهو
اسطار جمع اسطر جمع سطر وهم ينهون عنه وينأون عنه فيه الجناس
وضمير عنه قيل للقرآن وقيل للرسول ويؤيده سبب النزول فعلى الثاني فيه التفات
عن الخطاب في جاؤوك يجادلونك ولو ترى اذ وقفوا لما ذكر تعالى حديث البعث في قوله
ويوم نحشرهم الآيات واستطرد منه ذلك الى شيء من اوصافهم الذميمة في الدنيا عاد الى الاول
كما هو شأن الاستطراد ان يعاد فيه الى ما استطرد منه والخطاب عام لهم لكل من يتأتى
منه الرؤية وقيل للرسول ففيه التفات عن الغيبة فيهم وجواب لو محذوف اي لرأيت
امرا فظيعا وفي وقفوا بالبناء للفاعل هي لازمة والمشهورة متعدية قال
صاحب المناجاة قدم الوقوف على النار وان كان متاخرا عن الوقوف على الرب لان الغاية مقدمة
في التصور وان تاخرت في الوجود قال او يقال المراد بالوقوف على النار العبور على الصراط
وعلى الرب القيام للحساب في المحشر وذلك بعد الصراط قلت هذا خاص بالمسلمين اما الكفار فلا
يجوز احد منهم الصراط ابدا كما وردت به الاحاديث والاصوب ان يقال ان المراد بالوقوف
على الرب حين ينادون في النار ويستغيثون تلك الاستغاثات فيقال لهم انكم ماكثون
ويقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون ولا نكذب بآيات ربنا ونكون في قراءة نصب الفعلين في
جواب التمني وفي ثانية برفع نكذب ونصب نكون وقرا ابن مسعود فلا نكذب بالفا
وقرا ابي فلا نكذب بآياتنا ابدا ونحن نكون بل للانتقال من غرض الى آخر من غير ابطال
وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا وقالوا ما كانوا يقولونه قبل معاينة
القيامة ان هي الا حياتنا الدنيا زاد في غير هذا الموضع نموت ونحيى لان ما هنا حكاية ما
يقولونه لو ردوا وابعد معاينة القيامة وما في غيره حكاية قولهم في الدنيا فاختلفت القصتان
اليس هذا الاشارة الى البعث وقيل العذاب فذوقوا العذاب فيه استعارة بليغة اي
باشروه مباشرة الذائق اذ هي من اشد المباشرات قد خسر هذا استيناف اخبار من الله

في

تعالى عن احوال المنكرين للبعث وخسرانهم انهم استعاضوا الكفر عن الايمان فاشبهوا البايع الذي
اخذ واعطى وكان ما اخذ سببا للهلاك وما اعطى سببا للنجاة فعدم الربح ورأس المال حتى غاية
للتكذيب اي الخسران فلا غاية له الساعة اصلها لوقت لطيف مقدر وسميت بها يوم القيامة
لسرعة انقضاء الحساب فيه ثم غلبت عليها فلزمتها الالف واللام التي للغلبة فيها الضمير عايد
على الساعة اي في المقدمة لها او الصفقة التي تضمنها ذكر الخسارة او الحياة الدنيا وان لم
يجر لها ذكر لكونها معلومة ودلالة العقل عليها محل التقصير اقوال وهم يحملون جملة حالية
صدرت بالضمير لانه ابلغ في النسبة اذ صار ذو الحال مذكورا مرتين من حيث المعنى على ظهورهم
خصه اشارة الى المبالغة في ثقل المحمول اذ الظهر يطيق من الحمل الثقيل ما لا يطيقه الراس و
الكاهل وما الحياة الدنيا لما ذكر قولهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ذكر قضاء لها مرها
وان منتهاها انها فانية منقضية عن قريب فصارت شبيهة باللهو واللعب اذ هما لا ابد وما
ولا طائل تحتهما ثم قيل هما بمعنى وكررا تاكيدا لذم الدنيا وقال الرماني اللعب عمل يشغل
عما ينتفع به الى ما لا ينتفع به واللهو صرف النفس عن الجد الى الهزل الا ان اللعب فعل لا
في طاعة تحصل ويتعجل به مسرة واللهو ما يشغل الانسان من هوى وطرب وللدار الآخرة
في قراءة ولدار الآخرة بالاضافة على حد مسجد الجامع فقيل تقديره ولدار الآخرة بقرينة وما
الحياة الدنيا خير قيل هي افعل تفضيل حذف متعلقه وقيل لا اذ لا اشتراك بين الدارين في الخيرية
حتى يتبع التفضيل افلا تعقلون بالتحتية في قراءة ما تقدم وبالفوقية التفاتا الى الخطاب اكراما
قدم اللعب على اللهو في هذه السورة في موضعين وفي القتال والحديد وقدم اللهو على اللعب
في الاعراف والعنكبوت وذلك لان اللعب زمانه الصبى واللهو زمانه الشباب والصبى
متقدم على الشباب فقدم في اكثر المواضع ولهذا قدم في قوله وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا وقدم اللهو في الاعراف لان ذلك من القيامة
فذكر على ترتيب ما انقضى وبدأ بما انتهى اليه الانسان من الحالين لانه اقرب الى اليوم
واما في العنكبوت فالمراد ذكر زمان الدنيا وانه سريع الانقضاء قليل البقاء وان الدار
الآخرة لهي الحيوان التي لا ابد لها ولا نهاية لابدها فبدئ باللهو لانه في زمن الشباب وهو
اكثر من زمان اللعب وهو زمان الصبى ان ساعة اللهو عن الشيء تركه واهماله والاعراض
عنه ونسيانه واللعب فعل يقصد لغاية فلما جاء في الاعراف بعد وما كنتم تستكبرون
وهو ذو قرابة بالاعراض عنه عن اتباع الحق واعراضهم ولذلك قال بعده كما نسوا لقاء يومهم
هذا ناسب تقديم اللهو وكذا آية العنكبوت جاءت بعد قوله ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض الآيتين الدالتين على اعراضهم عن الحق واتباعهم مع علمهم به وبقية المواضع جاءت في
سياق ذم الدنيا والاشتغال عن الله بلعبها ولهوها وزينتها لا يكذبونك بالتشديد والتخفيف
قيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق قال الكسائي العرب تقول كذبت الرجل اذا نسبت
الكذب اليه واكذبته اذا نسبت الكذب الى ما جاء به دون ان تنسبه اليه وتقول العرب ايضا اكذبته

اذا نسبته

الرجل اذا وجدته كذا كأحمدته اذا وجدته محمودا وقد ورد في الحديث ان الآية نزلت في قولهم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به ولهذا قال ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ووضع الظاهر في موضع المضمر فسماهم ظالمين وجاحدين والجحد ابلغ وجوه الانكار وانما اقام الظاهر مقام الضمير تنبيها على ان علة الجحود الظلم ومجاوزة الحد في الاعتداء وتقدم قبل فانهم فلا تحزن تطمين عن حزنه وسلاه بما وقع للرسل قبله فقال ولقد كذبت رسل من قبلك الآية اي فتأس بهم واصبر حتى يأتيك النصر وفي نصرنا التفات عن الغيبة ونكتته تعظيم النصر باضافته الى نون العظمة وقرئ فاوذوا بلا واو من آذيت فلانا بالقصر ولا مبدل لكلمات الله اي لا خلف لمواعيده بالنصر وغيره وفيه التفات عن التكلم ولقد جاءك من نبأ المرسلين تاكيد لما امر به من الصبر والتأسي ومن هنا قيل زائدة وقيل تبعيضية لان منهم من لم يقصص عليه وهي على هذا اسم فاعل او الفاعل مضمر اي نبأ بدلالة ما قبله او جاءك بدلالة جاءك وان كان كبر الآية حث على الصبر والتسليم لامر الله نفقا قرئ نافقا وجواب ان محذوف اي فافعل انما يستجيب الذين يسمعون ارعية هذا من النمط المتقدم على التسلية اي لا تحفل بمن اعرض فانما يستجيب لداعي الايمان الذين يفهمون الآيات ويتلقون البراهين بالقبول فعبر عن ذلك كله بيسمعون اذ هو طريق العلم بالنبوة والآيات المعجزة ولذلك ترى اذا بلغت الموعظة من احد ملتفتا شافيا يقولون اسمع الرماني الفرق بين اجاب واستجاب فيه قبول لما دعي قال فاستجاب لهم ربهم فاستجبنا له ونجيناه من الغم ولا كذلك اجاب لانه قد يجيب بالمخالفة الزمخشري يعني ان الذي يحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب لمن يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله قال ابو حيان الظاهر ان هذه جملة مستقلة من مبتدأ وخبر وان الموت والبعث على حقيقتهما وانه تعالى اخبر ان الموتى على العموم من يستجيب وغيره يبعثهم فيجازيهم ورد بانه حينئذ ليس فيه كبير مناسبة وقيل هما مجازان عن الكفر والايمان اي ان الكفار يرشدهم الله للايمان فحينئذ يؤمنون قال ابو حيان وقد تظاهرت اقوال المفسرين على ان الموتى مراد به الكفار سموا بالموتى كما سموا بالصم والبكم والعمي قلت والارجح قول ثالث حمل الموتى على المجاز اي الكفار والبعث على الحقيقة والمعنى ان الكفار الذين هم كالموتى لا يسمعون فلا يستجيبون يبعثهم الله يوم القيامة فيجازيهم على كفرهم اي ان امرهم الى الله لا اليك يا محمد فلا يهمك شأنهم ففي هذه الآية ابلغ مناسبة وادقها حيث ذكر الكفار بلفظ الموتى لمناسبة البعث وهذا نوع من التورية لطيف نظيره قوله والنجم والشجر يسجدان بعد قوله الشمس والقمر بحسبان فانه يوهم ان النجم الكوكب بقرينة ذكر الشمس والقمر وانما المراد ما لا ساق له من النبات وكذا هنا لفظ الموتى يوهم ارادة الاموات حقيقة بقرينة ذكر البعث وانما المراد الكفار مجازا الا ان الفرق بين الآيتين ان المعنى الثاني هنا مجازي والثاني هناك حقيقي وكلاهما من باب التورية سواء وهناك قرينة اخرى تعين الثاني وهو الشجر وهنا لا قرينة له

وعتمل ان يكون قرينة ما تقدم من احوال الكفار وتكذيبهم وعدم استجابتهم فعلى هذا تكون التورية مرشحة من وجهين وعلى الاول مرشحة من واحد فلله المنة على ما الهمنا من اسرار كتابه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان المصلحة في صرفها لانها لو نزلت ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعذاب وما من دابة في الارض الآية قال ابن المنير موضع الاحتجاج بهذه الآية ان الله ركب في المشركين عقولا وجعل لهم افهاما الزمهم بها ان يتدبروا امر الرسول كما جعل للدواب والطير افهاما يعرف بها بعضها اشارة بعض وهدى الذكر منها لاتيان الانثى وفي ذلك كله دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك فيها وقال ابن عطية المعنى في هذه الآية التنبيه على آثار الله الموجودة في آثار مخلوقاته وقال الزمخشري الغرض في ذكر ذلك الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا مخصوصين بذلك دون ما عداهم من سائر الحيوان وقال ابو حيان الذي يظهر انه تعالى لما حكى عنهم انهم طلبوا نزول آية من ربهم ولم يعتبروا بما نزل من الآيات واجيبوا بان القدرة صالحة لانزال ما اقترحوه ونبهوا على جهلهم حيث فرقوا بين آية وآية اخبر انه ثم وجميع الحيوان مما يكون في تعلق القدرة بها وابرازها من صرف العدم الى صرف الوجود فكانه قيل القدرة تعلقت بالآيات كلها مقترحها وغير مقترحها كما تعلقت بخلقكم وخلق سائر الحيوان ولذلك قال الا امم امثالكم يعني في تعلق القدرة بايجادها وكذلك الآيات واقول قد قدمت الاشارة الى وجه آخر من المناسبة وهو ان المقصود من السورة ذكر انه تعالى خالق جميع المخلوقات على اختلافها واصنافها فبدأ بنوع الافلاك والزمان ثم بنوع الانسان واستطرد منه الى صفات نوع الكافر منه ونبذ من احواله ثم عاد الى ما الكلام فيه من ذكر الخلق فذكر خلق النجوم وانواع النبات الى غير ذلك في الارض شامل للبر والبحر ولا طائر قال ابو حيان هو من عطف الخاص على العام لدخوله في دابة وافرده بالذكر لانه ادل على عظم القدرة من الماشي على الارض وقرئ برفعه عطفا على موضع دابة ~~واورده بالذكر الم~~ وقرئ ولا طائر يطير فائدته نفي توهم ارادة غير الطائر المعروف اذ استعير الطائر لغيره كقوله طائره في عنقه قالوا طائركم معكم وقولهم طار لفلان طائر في القسمة وفيه تنبيه على تصور هيئة حالة الطيران واستحضارها لمشاهدة هذا الفعل الغريب وجاء الوصف بلفظ يطير لانه مشعر بالديمومة والغلبة لان اكثر احوال الطائر كونه يطير وقل ما يسكن بجناحيه تاكيد لرفع توهم ان يراد بالطيران المشي السريع الا امم جمع الخبر حملا على المعنى لان المفرد في دابة وطائر للاستغراق امثالكم فيه التفات عن الغيبة والمثلية قيل في الخلق والرزق والاجل والحياة والموت والحشر والقصاص يوم القيامة وقيل من حيث انها تعرف الله وتسبحه وتحمده وتدعوه وقيل من حيث الايمان كل قد علم صلاته وتسبيحه وقيل في الحاجة الى مدبر يدبر امرها فيما يحتاج اليه من قوت ولباس وكن قال بعضهم ابهمت عقول البهائم عن كل شيء الا عن

او لعنة اشيا الا الله سبحانه وطلب الرزق ومعرفة الذكر والانثى وتميز كل منهما لصاحبه وعن سفيان بن عيينة في هذه الآية قال ما في الارض آدمي الا وفيه شبه من بعض البهائم فمنهم من يقدم اقدام الاسد ومنهم من يعدو عدو الذئب ومنهم من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعل الطاوس ومنهم من يشبه الخنزير اذا القي اليه الطعام الطيب تركه واذا قام الرجل من رجيعه ولغ فيه وكذلك نجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ منها واحدة فان سمع من احد كلمة واحدة خطأ حفظها ولم يجلس مجلسا الا رواها عنه ما فرطنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف ومعناهما واحد وقال النقاش المخفف بمعنى اخرنا يقال فرط الله عنك المرض اي ازاله وفيه التفات عن الغيبة ثم الى ربهم فيه التفات عن التكلم يحشرون اي الدواب والطير وقيل هو عائد الى الكفار وما تقدم اعتراض قال ابو حيان وتوليه الاتيان بضمير العقلاء فيه على هذا التفات من الخطاب في امثالكم والذين كذبوا قال ابو حيان مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما تقدم قوله انما يستجيب الذين يسمعون اخبر ان المكذبين بالآيات صم لا يسمعون من ينبههم فلا يستجيب احد منهم ولما كان قوله وما من دابة الآية منبها على عظم قدرة الله ولطف صنعه وبديع خلقه ذكر ان المكذب بآياته بمعزل عن سماع الحق ابكم واقول لما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ودل على انه ما من شيء نافع للعباد في امر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم الا وقد تضمنه القرآن الكريم نبه على انهم صم لا فهم فلا يحصل لهم العلم بما حواه من الخيرات فعبر بالصم لان السمع طريق لحصول العلم وبقوله في الظلمات لانهم مغمورون في ظلمات الجهل والضلال فلم يستضيئوا بشيء من نوره لعدم سلوكهم في سبله الواضحة البلجة فهم عمي البصيرة كعمي البصر ما الآية نظير صم بكم عمي الا ان قوله في الظلمات ابلغ من قوله عمي كما قال ابو حيان اذ جعل الظلمات ظرفا لهم وفيها من الكناية عن مصيرهم يوم القيامة في ظلمات والمؤمنون يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم مقتحمين برد الاشياء الى المشيئة وان الله تعالى يشاء اضلالهم ومن يشا اضلاله فهو حائد عن الصراط القويم عادل عن سبيل الكتاب المنير ومن يشا هدايته اهتدى فسلك الصراط المستقيم وهو اتباع القرآن وانا بمنال على ما فيه من المنافع والمصالح وفي يشاء التفات عن الغيبة من ربهم وفي من يشا الله التفات عن التكلم في يضلله ويجعله على صراط مستقيم طباق وكذا بين قوله في الظلمات وعلى صراط وطباق بين في الدلالة على الانغماس والانغمار وعلى الدلالة على الاستعلاء وبين الظلمات والصراط لان من كان على صراط مستقيم فهو في نور ووضوح ولان الظلمات استعارة للكفر والصراط المستقيم استعارة للاسلام قل ارايتكم ابو حيان هذا ابتداء احتجاج على الكفار الذين يجعلون لله شركاء والكاف في ارايتكم كلمة استفهام وتعجب ليس لها نظير في العربية لما فيها من الجمع بين علامتي خطاب وهما التاء والكاف وقال هنا وفي الآية الثالثة ارايتكم وفي الآية الثانية ارايتم بطرح الكاف لان التوعد به في الآيتين عذاب الله وهو اشد لحذف السمع والابصار

[catchword:] نجمع

نجمع فيه من الحرفين مبالغة في تاكيد التنبيه الزملكاني لا يكاد يوجد للعرب مثل هذا النظم ارايت وارايتك وارايتكم وكانه تنبيه يدل عليه ارايت ان كان على الهدى ارايت ان كذب وتولى ويحتمل ان يكون ارايت واقعا على ما بعدك وكذا ارايت اذ اوينا الى الصخرة كانه قيل اسمع وتدبر فاني نسيت الحوت وقيل انه استفهام عن الراي الذي تاوله العلم وهم ما اريكم الا ما ارى اي لا اعلمكم الا ما اعلم وقيل تاويله ما ترى وما تقول ابو حيان ارايت بمعنى اخبرني نص عليه سيبويه والجمهور وهو تفسير معنى لا تفسير اعراب الفراء للعرب في ارايت لغتان ومعنيان احدهما ان يسال الرجل ارايت زيدا اي بعينك فهذه مهموزة والثاني ان تقول ارايت وانت تقول اخبرني فهنا تترك الهمزة ان شئت وهو اكثر كلام العرب تومي الى ترك الهمزة للفرق بين المعنيين والقراءة بالوجهين ابو حيان الذي نختاره ان ارايت باقية على حكمها من التعدي لاثنين فالاول منصوب والثاني لم نجده بالاستقراء الا جملة استفهامية او قسمية وهنا المفعول الاول محذوف والمسالة من باب التنازع تنازع ارايتكم واتاكم في عذاب الله فاعمل الثاني فحذف معمول الاول لانه مفعول وجملة اغير الله تدعون المفعول الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه ارايتكم اي ان اتاكم عذاب الله فاخبروني عنه اغير الله تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة ام تدعون الله دونها الزمخشري الاختصاص وهو معنى عن الحصر من جهة خصوصه من غير تعرض فلا تقصد لغيره باثبات ولا نفي مثال ذلك اذا قلت ضربت زيدا فان فيه ثلاثة اشياء الضرب وكونه واقعا منك وكونه واقعا على زيد فان يكون قصد المتكلم لا لثلاثتها على السواء بل يترجح قصده لبعضها على بعض ويعرف ذلك بما ابتدا به كلامه فان الابتداء بالشيء يدل على الاهتمام به وانه هو الارجح في غرض المتكلم كما قاله سيبويه وهم يقدمون ما هو اهم عند المتكلم وانه الذي قصدا فاذن السامع من غير تعرض ولا قصد لغيره باثبات ولا نفي وعلى ذلك يتخرج هذه الآية وما شاكلها ما الافهم منه معنى الحصر كقوله قل اغير الله تامروني اعبد افغير دين الله يبغون كلا مدبرا ونحو قل اغير الله اتخذ وليا لان معنى الحصر في هذه الآيات فاسد انتهى ومن التحقيق بمكان ابو حيان هذه الآية عند علماء البيان من باب استدراج المخاطب وهو ان يلين الخطاب ويخرجه بنوع من التلطف والتعطف حتى يوقع المخاطب في امر يعترف به فيقوم الحجة عليه والله تعالى خاطب هؤلاء الكفار بلين من القول وذكرهم امرا لا يتنازعون فيه وهو انهم كانوا اذا مسهم الضر يدعون الله لا غيره وجواب ان كنتم صادقين محذوف اي ان كنتم صادقين في دعواكم ان غير الله آلهة فهل تدعونه لكشف ما حل بكم من العذاب وفي اول الآية التفات بل للانتقال من غير ابطال اياه تدعون اي تخصونه بالدعاء ما تدعون اي الذي تدعون والغرب من جعلها مصدرية ظرفية اي مدة دعائكم اليه ضميره عائد الى ما او الى الله ولقد ارسلنا الآية فيه تسلية للرسول ومناسبة لما تقدم من اتيان العذاب المكذبين وتضرعهم لينا

الله وفيه التفات عن الغيبة فاخذناهم الاخذ الامساك بقوة وبطش وقهر وهو هنا مجاز
عن متابعة العقوبة والملازمة يتضرعون الكرماني اي هنا بالفك وفي الاعراف بالادغام
يضرعون لموافقة ما بعده من قوله تضرعوا الا انه ماضيه وماضي المدغم اضرع وقال
صاحب المناجاة لما وقع في الاعراف ذكر النبي مدغما والمدغم لخفته ناسبه بادغام يضرعون
او يقال لما كان الانعام متقدما على الاعراف اتى فيه بالاصل المقدم وهو عدم الادغام
وفي الاعراف المؤخر بالفرع المؤخر وهو الادغام او يقال ان الخطاب هنا فيه لين
وتلطف فاتى بالفك لما فيه من الهون وايه الاعراف في ذكر النقم فاتى فيه بالادغام المحتمل
للتشديد مناسبة للشدة فلولا الاحسن في هذا الموضع وامثاله انه من باب
التفنن والفصاحة واستعمال كلا اللغتين الجائزتين في موضع وذلك احد وجوه الفصاحة
وافانين البلاغة فلولا اذ جاءهم الزملكاني فتظهر من الحجة ولذا لا يجب بكن كانه قيل
لم يتضرعوا ولكن قست فالجواب معطوف على التاويل دون اللفظ وقال ابو حيان
وقعت لكن بين ضدين القسوة والضراعة لانه من اللين وزين يحتمل العطف والاستيناف
فتحنا عليهم ابواب كل شيء استعارة للابواب عن الاسباب التي هياها الله لهم المقتضية
لبسط الرزق عليهم لانه مداخل اليه ثم هي كناية وذكر لازم الابواب وهو فتحها تخييلية
والقراءة بتخفيفه وتشديده مبالغة حتى اذا الاية اذا الاولى ظرفية والثانية
فجائية واصل الابلاس الاطراق لحلول نقمة او زوال نعمة فقطع دابر الذين ظلموا كناية
عن استيصالهم اذ الدابر آخر القوم الذي يدبرهم وفيه اقامة الظاهر مقام ضميرهم
وقرئ فقطع بالبناء للفاعل ودابر بالنصب والفاعل ضمير الله وفيه التفات عن التكلم
والحمد لله فيه التفات على القراءة الاولى ط قامة الظاهر مقام المضمر على الثانية وذكر
الختم بالحمد عقيب هلاك الظالمين وعد الله للرسل بالنصر وهلاك مكذبيهم قل ارأيتم الاية عود
الى الاحتجاج المتضمن للتهديد بعدما استطرد منه الى قصة من تقدم للملاءمة ياتيكم به
افرد الضمير والمتقدم جمع اجراء له مجرى اسم الاشارة اي بذلك او على تاويل بالاخذ او
بالماخوذ انظر خطاب عام او للرسول كيف نصرف فيه التفات وقرئ بالتخفيف من
صرف الثلاثي ثم هم يصدفون ختم به وفيما سبق بقوله لعلهم يفقهون قال
صاحب المناجاة فالاولى فيمن علم عدم ايمانه كابي جهل وابي لهب فعبر عنه بالاعراض
والثانية فيمن علم ايمانه فلم يحق تفقهه ورجا الله تحقيق قال اولا ولي في الكفار
والثانية في المسلمين بدليل انه صلى الله عليه وسلم لما نزلت سال ان لا يذيق بعض امته
باس بعض ثم نظر الى ذلك قل ارأيتكم الاية لتعديد ثالث قلت وفي التعديدات الثلاث
ترجيح ما ان الاول فيه من التلطف ما ليس في الثاني حيث اثبت فيه الكشف ايا وليس
في الثاني اثبات الاتيان كالاخذ بل الاشارة اليه بنفي اله غير الله ياتي به واما الثالث
فليس فيه اثبات كشف لا صريحا ولا اشارة بل صرح بالهلاك في قوله هل يهلك ووقع ذلك

لم يخله من التلطف حيث قال الا القوم الظالمون فالتفت عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير
الى الاظهار ولان في المخاطبة بالهلاك من المخاشنة ما ليس في الغيبة والاسم الظاهر وصح مقابلة
البغتة بالجهرة لتضمنها معنى الخفية وبدا بها لانها اردع من الجهرة وهل بمعنى النفي وقرئ
يهلك بالبناء للفاعل وفي ذكر الظلم تنبيه على علة الهلاك وما نرسل فيه التفات مبشرين
قرئ بنون مضمومة من انشر قل لا اقول لكم الاية استدل المعتزلة بقوله ولا اقول لكم
اني ملك على افضلية الملك على النبي وهو غلط منهم لان الاية نزلت جوابا لاقوال الصدر
من كفار مكة فالجملة الاولى جواب قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
وحتى تزيل جبال مكة وتوسع لنا في اشياء من ذلك والثانية جواب طلبهم ان يخبرهم
بالمغيبات ولهذا امره ان يقول لهم ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير الاية
والثالثة جواب قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقولهم
لا همة له الا النكاح فنزلت هذه مع قوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية مخبرة بان هذا شان البشر وانما ينتفي الاكل والنكاح عن الملك وهو لم يدع انه ملك
حتى يوردوا عليه ذلك نقضا فاي دليل في الاية على التفضيل لبعد هذا التفضيل قال
الزمخشري ومحل اعلم الغيب نصب عطفا على محل عندي خزائن الله لانه من جملة
مقول القول وقال ابو حيان الظاهر انه عطف على لا اقول لا معمول له فهو داخل تحت
الامر فلا يرد في متعلق النفي حيث لم يقل فيه ولا اقول اني اعلم الغيب لان كونه ليس عنده خزائن
الله من ارزاق العباد معلوم لكل احد وكذا كونه ليس ملكا فنفى ادعاء ذلك ولم ينفهما
من اصلهما لان انتفاء ذلك من اصلهما معلوم فنفى ان يكابرهم في ادعاء شيء يعلمون خلافه
قطعا ولما كان علم الغيب امرا يمكن ان يظهر على لسان البشر من المغيبات وطالبه ما اخبر
نفى علم الغيب من اصله تنصيصا على محض العبودية والا فقصارى ما صدر عنه من اخبار الغيب
انما هو من الوحي الوارد عليه لا من ذات نفسه فقال ان اتبع الا ما يوحى الي وجاء هذا
النفي على سبيل الترقي فنفى ما يتعلق بالعامة من الارزاق ثم بالخاصة من العلوم بما يقع
من الكوائن ثم بما هو اخص وهو عدم الاكل المخصوص بالملائكة المباين لضعف البشر لانه يشتهي
وعكس صاحب المناجاة فقال لما كان علم الغيب من الخمس التي استاثر الله بها لم يمكن ادعاؤه
بخلاف عندي خزائن الله واني ملك فانهما مما يمكن ادعاؤهما الا ترى الى قول يوسف اجعلني
على خزائن الارض وخزائن الارض هي خزائن الله وقول النسوة ما هذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم فلما كان هذان الوصفان مما قد يدعيهما المحبون في النبي صلى الله عليه وسلم قرنهما
بلا اقول بخلاف علم الغيب فانه لا يمكن احد ان يدعيه له ولا ان يقول هو ايضا به لنفسه الكرماني
قال في هود ولا اقول اني ملك بخلاف ما لكم لتقدمها اربع مرات تخفيفا ولم
تتقدم هنا سوى مرة وقال صاحب المناجاة لما بني الامر في هذه السورة على الاطناب
حيث قال قل لا اقول لكم وفي هود على الايجاز حيث قال ولا اقول اعطى كلاما ناسبه او يقال

مما امر به صلى الله عليه وسلم فليس من محل تصرفه وما في وسعه وهو الفاعل لما هو من محل تصرفه
قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للكفار الذين كذبوا او ارددوا اقوالا لا تصلح حجة ولا
متمسكا وللمومنين الذين اذعنوا لما خفي على ذلك وانذر به اي بما اوحي اليك الذين يخافون
خصهم لانهم المنتفعون قال ابن جرير ويخافون بمعنى يعلمون وقال غيره انه على حقيقته
وهو الصواب لان الخوف انما هو فيما يترتب على الحشر في المواخذة والعقاب ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع في كل حال وقيل اعتراض اخبار من الله عن صفة الحال يومئذ ولا تطرد الاية نزلت
لما طلب كفار مكة ان يطرد عنه فقراء اصحابه ليجالسوه ويومنوا به ومناسبتها لما
قبل انه لما حكى اعراض المكذبين وامر نبيه بالاعراض عنهم وصف اتباعه المصدقين وامره
بالاقبال عليهم وعدم الاعراض عنهم يدعون ربهم اتى بالمضارع لافادة الاستمرار اي ان
ذلك دينهم وشانهم بالغداة والعشي كناية عن الزمان الدائم فلم يرد بهما خصوص زمانيهما
كقولك الحمد لله بكرة واصيلا اي في كل حال فالغداة كناية عن النهار والعشي عن الليل
قاله ابو حيان قلت وينبغي ان يخرج على هذا قوله في صفة الجنة ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا اي على الدوام كما قال اكلها دائم وفي قراءة بالغدوة على لغة من
ينكرها فيقول رايت غدوة بالتنوين حكاها الخليل وسيبويه وقرئ بالغدوات والعشيات
ما عليك من حسابهم الاية فيه النوع المسمى في البديع بالعكس وهو رد العجز على الصدر والظاهر
للمومنين وقيل في فتطردهم معطوف وفي حسابهم وعليهم للكفار ويدني في الجلالين خطابه
صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتعظيما وكذلك اشارة الى الفتون السابق فتنا فيه التفات
عن الغيبة الزملكاني وبيانه فضلنا بعضهم على بعض في امر الدين والدنيا فصار ذلك فتنة
لهم حسدا وبغيا فاللام في ليقولوا لام العاقبة والصيرورة اهولاء الاشارة للتحقير
الليس الله فيه التفات عن التكلم بالشاكرين الختم به في غاية الحسن لتقدم قوله من الله عليهم
فناسب ذكر لفظ الشكر واذا جاءك عودا الى ما كان الكلام فيه بعد الاستطراد الذين يومنون
فيها فائدة الظاهر مقام حالوك وحسنه ما وقع من الفصل واطلاق صفة تشريفهم
باياتنا فيه التفات فقل سلام عليكم قيل امر بتبليغ السلام من الله اليهم وقيل بالسلام
من عنده لهم كتب الى اخره تقدم ما فيه انه بالكسر استيناف تفسير للرحمة وبالفتح
بدل من الرحمة فانه بالوجهين والفتح على الخبر اي فامره وقرات فرقة بفتح الاولى
وكسر الثانية واخرى بعكسه وكذلك اشارة الى التفصيل الواقع في ايات السابقة
نفصل فيه التفات ولتستبين عطف على علة مقدرة اي لتبين لهم او متعلق بمعلول
موخر اي فصلنا واستبان يكون لازما ومتعديا ولهذا اوردت القراءة برفع سبيل
ونصبه والسبيل يونث في لغة الحجاز ويذكر في لغة تميم فوردت القراءة بالتاء سبيل
المجرمين اي والمومنين فحذف اكتفاء واخر ذكرهم لانهم الذين اثاروا ما تقدم من
الانواع وكانوا اهم في هذا الموضع قل اني نهيت لما ذكر تعالى تفصيل الايات لتستبين

سبيل المبطل من المحق نهاه عن سلوك سبيلهم ولفظ نهيت ابلغ من النفي بلا اعبد اذ فيه ورود
تكليف وعبر بالذين لكون الكفار نزلوها منزلة العاقل لا اتبع اهواءكم جمعه لهم عبادة
الاصنام وما امروا به من طرد ضعفاء المومنين وعبر بلا دون لن ليس نحوي قد ضللت اذا
قرئ بكسر اللام وقرئ بالصاد المهملة وما انا من المهتدين تاكيد لجملة ضللت وعدل عن وما
اهتدي لان المذكور ابلغ من جهة الاسمية والتعبير بمن قوم كذا ومراعاة للفاصلة قل
اني على بينة لما نفى ان يكون متبعا للهوى نبه على ما يجب اتباعه وهو الامر الواضح من الله وكذبتم
به قيل الضمير لله وقيل لبينة لانها في معنى البرهان وقيل للقران المفهوم منها يقص الحق
اي القضاء الحق وقيل الاصل بالحق وقرئ به وفي قراءة يقض بضم القاف وضاد معجمة
من القضاء وهو خير الفاصلين قرا ابن مسعود اسرع الفاصلين وهي مناسبة للحكم
والقضاء كما هو ظاهر وللقصص على ان الفاصل بمعنى المبين بالظالمين الاصل بكم وعنده
مفاتح الغيب مناسب لقوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولقوله ما عندي
ما تستعجلون به الى اخره واستعير لها المفاتح للعدل لانها سبب الوصول الى الشيء وقرئ
مفاتيح بالياء ومفتاح بالافراد وتقديم عنده لافادة التخصيص ويعلم ما في البر والبحر
فيه طباق وقدم البر لانه اكثر مشاهدة او للترقي لان مخلوقات البحر اكثر واغرب
وما تسقط من ورقة الا يعلمها قيل التقدير يعلم الورقة قبل السقوط وبعده وبعده
كقولك ما يجيئك احد الا وانا اعرفه فانه ليس معناه في حال مجيئه فقط قاله الزجاج
قلت وعندي في تفسير الورقة بالساقط من سدرة المنتهى واما فيها ورقة بعدد
الخلائق مكتوب على كل ورقة اسم انسان فاذا دنت وفاته سقطت اخرجه ابو الشيخ في
تفسيره عن محمد بن جحادة وبذلك يعرف وجه التعبير بالسقوط ولو كان المراد ورق
اشجار الدنيا لكان الاحرى ان يقال وما تنبت وايضا فقد قال ولا حبة في ظلمات
الارض فحصلت مطابقة او قيل تحت الصخرة وقيل بل الارض ولي الحبة التي تخفيها
الزراع تحتها وان التقدير ولا تنبت حبة فتكون الجملة الاولى اشارة الى الاجال والثانية
الى الارزاق ويكون نبت طبا فانه تسقط ورقة حبة وفي مع من ولا مع ما دوما فوق
السماء انوار فتقابل ظلمات فهذه ست متقابلات وفيها اثنان في الجملة الاولى وواحد
من الثانية وتنتزع عن ذلك نوع اخر وهو الاحتباك فانه حذف من الجملة الاولى ما اثبت
نظيره في الثاني وهو مقابل في ظلمات الارض ومن الثاني ما اثبت نظيره في الاولى
وهو تنبت نظير تسقط فلله المنة على ما فتح علينا من ادراك اسرار كتابه ولا رطب
ولا يابس عطف على ما قبله منسحب عليه الاستثناء الاول وقوله الا في كتاب تاكيد
له اعيد لطول الكلام وحسنه كونه فاصلة وقرئا بالرفع على الاستئناف والا في كتاب
خبره وفيه الطباق وهو الذي يتوفاكم بالليل لما ذكر تعالى استبداده بالعلم التام ذكر
استبداده بالقدرة التامة لان العلم قرينة العلم في اختصاص الالهية بهما وذكر

ابلغ قدرة في تمدي الانام وهو النوم واليقظة فانهما لبس للانسان فيهما قدرة البتة
بل امران يوقعهما الله به بغير صنع ولا اختيار ابو حيان لما كان توفي النوم من الملاذ والاشيا
الراحة والمحبوبات اسنده تعالى اليه ولما كان توفي الموت مولما ومكروها للنفوس لم يسنده
اليه بل الى الملائكة فقال توفته رسلنا يتوفاكم ملك الموت توفاهم الملائكة قلت واما قال
في آية الزمر الله يتوفى الانفس ليعلم انه الفاعل الحقيقي للموت لا كما تقوله الدهرية ومن
جرى مجراهم ليقضى خبرى بالبنا للفاعل ونصب اجل ثم ينبئكم بما كنتم تعملون مناسب لقوله
ويعلم ما جرحتم وتقرير للعلم وهو القاهر لما ذكر قصة توفي النوم اتبعه بذكر توفي الموت
لما بينهما من المواخاة وناسب افتتاح قصة الموت بوصف القاهر كما لا يخفى فوق عباده
فيه التفات والاصل فوقكم ويرسل قيل عطف الفعلية على الاسمية وقيل عطف على جمل
الافعال السابقة والجملة الاسمية اعتراض ويؤيده مناسبة عليكم لما تقدم في الخطاب
وقيل عطف على وصف القاهر لانه في معنى الفعل وقيل بتقدير وهو يرسل عليكم فيه
التفات عن عباده حفظة الكشاف فان قلت الله غني بعلمه عن كتبة الحفظة فما فائدتها
قلت لطف بالعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة موكلون بهم يحفظون عليهم
اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض عليهم على رؤوس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك
ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء توفته في قراءة توفاه وقرئ يتوفاه مضارع بتحتية
رسلنا فيه التفات وفي آية السجدة قل يتوفاكم ملك الموت والرسل هنا اعوانه يجذبونها
من البدن فاذا حصلت الى موضع الخروج تناولها هو وقابض وهم يعالجون نزع نسمة التوفى
البدن والبهم وهم لا يفرطون قرئ بالتخفيف فالاولى من التفريط وهو التواني والتأخر
والثانية من الافراط وهو مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه
قاله ابن جني وذلك راجع الى انهم لا يقدمون احدا قبل حضور اجله ولا يؤخرونه ولا
يزيدون اذا حضر ثم ردوا فيه التفات عن الخطاب الى الله فيه التفات عن التكلم والاصل
رددتم الينا مولاهم فيه اشعار برحمته لهم تسكين لبعض ما في قلوب العباد من فزع الموت
لان من كان مرده الى مولاه انس بكل خير واستدل بقوله ردوا على ان الروح كانت قبل
البدن لان الرد يشعر بسابقة امر حتى يرد اليه الحق قال الزمخشري معناه العدل
الذي لا يحكم الا بالحق وفيه ايضا تأنيس للعباد وقال الامام فيه اشارة الى انه اسعد هوا
خلص بالموت من الموالي الباطلة واتصل الى المولى الحق وقرئ بنصبه على المدح الا له الحكم
اي لا لغيره وهو اسرع الحاسبين مناسب لامر الموت المفضي الى البعث ولان كان المراد
البعث فاوضح قل من ينجيكم عود الى الاحتجاج على المشركين مع تلطف وتذكر انعام ويتصل
بقوله قل ارايتم السابق بعد ما استطرد منه الى غيره كما هو عادة القرآن وخفية بضم
الخاء وكسرها وقرئ وخيفة من الخوف لئن اي قائلين لئن انجيتنا في قراءة انجانا قل الله الاية
امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمسابقة الى الجواب ليكون هو السابق الى الخير والى الاعتراف بالحق

ثم انتم تشركون استبعاد على حد ما تقدم واكثر السورة قل هو القادر الاية قال ابن عطية
هو خطاب للكفار جريا على نسق الآيات السابقة وقال آخرون للمؤمنين ويؤيده الحديث
وختمه بقوله لعلهم يفقهون كما تقدمت الاشارة اليه ويؤيده ايضا قوله بعدها وكذب به
قومك تغير الاسلوب واتى بالاسم الظاهر او يلبسكم شيعا حال اي يخلطكم فرقا مختلفين
على اهواء شتى وقرئ بضم الياء من اللبس استعارة من اللباس وتقديره يلبسكم الفتنة شيعا
ويذيق كثر استعمال الاذاقة في القرآن وكلام العرب للاصابة لانها من اقوى حواس الحيا
وقرئ بالنون ففيه التفات انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون تنبيه على فائدة التكرار
الواقع في القرآن واختلاف الآيات والحجج وضرب الامثال لان في ذلك ما يقتضي الفهم لانه
ان غربت آية لم تغرب اخرى وكذب قيل الضمير للعذاب او الوعيد وقيل للقرآن الذي جاء
فيه تصريف الآيات وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية وهو بعيد لقرب خطابه
بعده بالكاف وقرئ وكذبت كما قال كذبت قوم نوح وهو الحق استئناف لكل نبأ مستقر
وسوف تعلمون تهديد بليغ ووعيد عظيم واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا كناية عن الاستهزاء
بها والطعن فيها فاعرض عنهم من الاعراض بالذات لا بالقلب حتى يخوضوا في حديث غيره قال
ابو حيان الضمير عائد الى الخوض على حد اذا نهي السفيه جرى اليه اي الى السفه وقال ابو البقاء
الى معنى الآيات الاحاديث وقوله واما ينسينك جاء هذا الشرط بان لانه غير محقق الوقوع
بخلاف اذا في اول الاية لان خوضهم محقق وفي قراءة بالتشديد من نسى مع القوم الظالمين
اي معهم وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على علة الخوض وهو ظلمهم ومجاوزتهم الحد ولما نزلت قال
المؤمنون لا يمكننا طواف ولا عبادة في الحرم فنزلت وما على الذين يتقون الاية وبذلك
عرف وجه الانتقال من خطاب الرسول الى خطاب المتقين لعلهم يتقون هو المعنى في الربع
ويتقون اول الاية يعني يتقون المعاصي وآخرها يعني يتقون الخوض
فالمقدر به اعم وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا مناسب لقصة الخوض والاستهزاء وقد
وقع في هذه السورة تفنن كثير وتنويع في التعبير عن الكفار فتارة بالذين كفروا وتارة
بالذين يمترون وتارة بالمعرضين وتارة بالمكذبين وتارة بالمستهزئين وتارة بالخاسرين
وتارة بالمشركين وتارة بالمفترين وتارة بالظالمين وتارة بالجاحدين وتارة بالموتى وتارة
بالجاهلين وبالذين لا يعلمون وتارة بالضالين وتارة بالذين يصدفون وتارة بالمجرمين وتارة
بالخائضين وتارة بالمتخذين دينهم لعبا ولهوا مع مناسبة كل لفظ للآية التي هو فيها
وهذه غاية الفصاحة ونهاية البراعة قال ابن عطية واضافة الدين اليهم على معنى انهم
جعلوا اللعب واللهو دينا او المراد دينهم الذي كان ينبغي لهم وذكر به اي بالقرآن او بالدين
ان تبسل مفعول لاجله اي كراهة ان وجوز ابو حيان كونه بدلا من ضمير به على حد اللهم صل
عليه الرؤوف الرحيم لا يؤخذ اي العدول به المفهوم من عدل اولئك قيل اشارة الى الذين اتخذوا
وقيل الى الجنس المدلول عليه بقوله ان تبسل نفس شراب من حميم وعذاب اليم فيه ترصيع ونزد

على اعقابنا قال ابن جرير وغيره الرد على العقب يستعمل فيمن امل امرا فخاب كالذي حال
من ضمير نرد اي كائنين استهوته الشياطين قرئ استهواه الشيطان وقرئ الشياطون
حيران حال من مفعول استهوته له راجع الى الذي حال ايضا يدعونه الى الهدى اي الطريق
ما طلق عليه الهدى كما اطلق على الهدى الطريق في قوله من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط
مستقيم والجملة صفة اصحاب والى متعلقة بيدعونه ائتنا بتقدير قائلين وقرئ ايتنا
فعلا ماضيا فالى الهدى متعلق به الزمخشري هذه الآية وردت على ما كانت العرب تزعمه
وتعتقده من ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان
فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا
يلتفت اليهم واستهوته قيل من الهوى اي امالته وقيل من الهوي اي القته في هوة الامام
هذا المثل في غاية الحسن وذلك ان الذي يهوي من عال الى وهدة عميقة يهوي اليها مع
الاستدارة وذلك يوجب كمال التردد والتحير فعند نزوله لا يعرف انه يسقط على
موضع يزداد بلاؤه بسبب سقوطه عليه او يقل ولا تجد للحائر الخائف اكمل ولا احسن
من هذا المثل ابن جماعة قدم في هذه الآية وفي الانبياء النفع على الضر وفي سائر المواضع
قدم الضر على النفع لان درء المفاسد اهم من جلب النفع ولما ذكر هنا وفي الانبياء الدعاء والعبادة
والمقصود منهما غالبا طلب النفع وجلبه كان تقديمه اهم وكذلك قال في الحج يدعو لمن
ضره اقرب من نفعه اي المقصود بالدعاء وامرنا لنسلم اي بان نسلم قال الفراء وغيره تقع
اللام بمعنى ان بعد فعل الامر او ارادة وقيل علة لمفعول محذوف اي بالاخلاص
لكي نسلم وننقاد لرب العالمين اقامة مقام له تنبيها على استحقاقه للانقياد له
لكونه مالك العوالم كلها من الاصنام وغيرها وان اقيموا قيل عطف على لنسلم اي امرنا لان
نسلم وان اقيموا قال الزجاج فيه انتقال من التكلم الى الخطاب وهو من انواع الالتفات
التي تحسن وقوعها فلا حاجة توجد قال ابن عطية وتقديره على هذا وليقم يخرج
بلفظ الامر لما في ذلك من جزالة اللفظ فجاز العطف الى لغا حكم اللفظ وتعويلا على
المعنى انتهى وقال ابو حيان لما ذكر ان اقيموا في تاويل المصدر لانه مبني الامر صح
عطفه على ما هو في تاويله والتقدير وامرنا بالاسلام واقامة الصلاة انتهى وقيل
هو منتظم مع قوله ان هدى الله وقل اقيموا وهو الذي اليه تحشرون جملة خبرية تتضمن
التنبيه والتخويف لمن ترك امتثال ما امر به من الاسلام والصلاة والتقوى لانه انما يظهر
ثمرات هذه الافعال وحسرات تركها يوم الحشر ملت وقد جمعت الآية جميع الاوامر
والنواهي فبدأ بالامر بالاسلام لانه الاصل ثم بالصلاة لانها اهم العبادات واكدها
بعد الاسلام ثم بالتقوى الذي هو شامل لبقية الاوامر وجميع المناهي وهو
عطف عام على خاص وهو الذي خلق السموات ذكر ابتدا الخلق عقب ذكر الحشر دليلا
على صحته لان الابتداء والاعادة خصوصا من خلق هذين الخلقين العجيبين الذين هما

اكبر

اكبر من خلق الناس كما قال عقلا لا يستدل على ذلك اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر
على ان يحيي الموتى ثم عاد الى تتمة الكلام في الحشر فقال ويوم يقول كن فيكون ونصب يوم
قيل بتقدير واذكر الاعادة وقيل عطف على الهاء في اتقوه اي واتقوا يوم اي عقابه وقيل بل
وقيل على السموات اي وخلق وقيل هو خبر مقدم وقوله مبتدأ مؤخر والحق صفته وجزم به
الزمخشري ورجحه ابو حيان قلت وكان نكتته الاخبار بكونه قائما بالحق في الدارين
لقوله في جملة البدأ بالحق والاشارة الى انه الحق في البدا والاعادة بجملة وصواب الاعتنا
وعلى الاعاريب الاول قيل قوله الحق مبتدا وخبر وقيل قوله فاعل فيكون وهي تامة و
التمام عند كن وله الملك يوم ينفخ في الصور الظرف متعلق بالملك اخبارا بانفراده به
يومئذ على حد مالك يوم الدين لمن الملك اليوم لله وقيل بدل من يقول قبله وقرئ ننفخ
بالنون وفيه التفات وقرئ الصور بفتح الواو وجمع صورة عالم خبر هو مقدرا وقرئ بالجر
بدل من ضمير له الغيب والشهادة قدم الغيب لانه علم اشرف
وهو الحكيم الخبير الوصف الاول مناسب للخلق والاعادة الجاريين على حد الحكمة كما تقدمت
الاشارة اليه والثاني مناسب لعلم الغيب والشهادة لان الخبير صفة تدل على علم ما لطف
ادراكه من الاشيا واذ قال ابراهيم الآية لما تقدم قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا
الآية ناسب ذكر هذه الآية هنا المشتملة على الانكار بقصة ابراهيم مع ابيه وقومه لرجوع العرب
اليه واقتدائهم بكثير من آثاره لانه جدهم وبه شرفهم وباني البيت الذي هو مفخرهم
فكانه قيل انكار هذا النبي عليكم عبادة الاصنام مثل انكار جدكم ابراهيم على ابيه وقومه
عبادتها آزر بالفتح مجرورا بيانا او بدلا من ابيه على انه اسم ابيه وقيل هو اسم الصنم فيكون
منصوبا على التحذير او بتقدير اتترك آزر وقرئ بالضم على النداء وقيل معناه يا مخطئ
او يا اعوج بلغتهم وقرئ أأزرا تتخذ بهمزة استفهام ثم همزة مفتوحة وزاي ساكنة
وتنوين الراء تتخذ بلا همزة اي عضدا وقوة ومظاهرة على الله تتخذ قاله ابن عطية وقال
الزمخشري هو اسم صنم ومعناه اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك
وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار وقرئ إ ازرا بكسر الهمزة الثانية بدلا
من الواو اي وزرا واثما ونصبه بفعل وفي مصحف ابي يا آزر اتخذت اني اراك وقومك
بدأ بابيه لان النصح وسائر الفعل الجميل بدأ فيه بالاقرب فالاقرب كما قال تعالى وانذر عشير تك
الاقربين في ضلال مبين من ضالين حيث حصل الضلال ظرفا لهم وكذلك اي كما اريناه ضلال
ابيه وقومه نري يعني ارشاد وهي حكاية حال ماضية بانه كشف له فرأى ذلك ببصره
ملكوت بناء مبالغة من الملك كرغبوت ورهبوت ورحموت وجبروت وقرئ بسكون
اللام وملكوتا بالمثلثة وقرئ ترى بالفوقية وملكوت بالرفع اي بصره دلائل الربوبية
وليكون من الموقنين اي اريناه او معطوف على محذوف اي ليقيم الحجة على قومه او ليستدل

به على الصانع وهذه قاعدة جارية في كل ما ورد في القرآن من ذلك فلما جن معطوف على
جملة واذ قال وجملة وكذلك اعتراض قاله الزمخشري وقال غيره انه تفصيل الجملة وكذلك
الى آخره فليست معترضة هذا ربي اي اهذا على طريق الانكار على قومه ابن عطية قال
ذلك على سبيل التنزل مع الخصم وتقرير ما يبني عليه من استحالة ان يكون الرب بصفات
الحدوث من قبول التغيرات وتوبيخا للقولين قوله آخر القصة فلما افلت قال يا قوم
اني بريء مما تشركون نعم انه قال ذلك في مجادلته لقومه وقوله وتلك حجتنا آتيناها
ابرهيم على قومه الزمخشري هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله
كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته
فيبطله بالحجة زاد ابو حيان فيكون هذا القول منه استدراجا لاظهار الحجة وتوسلا
اليها كما توسل الى كسر الاصنام بقوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فوافقهم
ظاهرا على النظر في النجوم واوهمهم ان قوله اني سقيم ناشئ عن نظره فيها قلت ويؤيد
هذا التقرير ما في الحديث عند تردد الناس اليه في الشفاعة من قوله اني كذبت ثلاث
كذبات ان اجادل بهن الا عن دين الله فذكر قوله اني سقيم وقوله هذا ربي فدل على انه
اطلق هذين اللفظين لغير ارادة الاخبار في مجادلته لقومه استدراجا الى اظهار الحق مورّيا
ومعرضا وذلك اصل من اصل علم الجدل الذي كان عليه السلام امة فيه بما اتاه الله من علمه كما تعد
في مجادلته لنمرود وتبين بذلك بطلان قول من ظن انه قال ذلك في ابتدا امره وعند
نظره لنفسه لا احب الافلين احتج بالافول دون الطلوع لانه اظهر لانه انتقال مع خفاء
واحتجاب وجاء بلفظ الافلين ليدل على ان ثم افلين كثيرين ساووا هذا الكوكب في
الافول فلا مزية له عليهم في ان يعبد للاشتراك في الصفة الدالة على الحدوث فلما راى
القمر بازغا البزوغ اول الطلوع وذلك انما يظهر في القمر والشمس لسعة جرمهما بخلاف الكوكب
فانه يبدو دفعة واحدة ويظهر بمجرد اظلام الليل لسبق طلوعه فلذلك لم يقل كوكبا بازغا
لاكونن من القوم الضالين تعريض بقومه وتنبيه لهم على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير
الكوكب في الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه قاله الزمخشري
الشمس تذكر لغة وتؤنث في الاشهر فقال بازغة على المشهور وهذا على اللغة الاخرى
وقيل ذكرها اشارة الى الطالع او الكوكب او المرئي او النير او الضيا وقال الزمخشري
جعل المبتدا مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك
فلم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب
عن شبهة التانيث وقال ابو حيان ان قيل لان اكثر لغة الاعاجم لا يفرقون في الضمائر
ولا في الاشارة بين المذكر والمؤنث بل هما سوا عندهم في العبارة فلما حكى كلام ابرهيم
اشار الى المؤنث كما يشار به الى المذكر وحين اخبر تعالى عنها بقوله بازغة وافلت انث
على مقتضى العربية اذ ليس ذلك بحكاية اني بريء لما ظهرت الحجة اظهر البراءة مما سوى الله

ع لم يلبسوا ايمانهم بظلم

ثم اثبت التوحيد لله تعالى اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وخصهما
لانهما ابلغ المخلوقات المشاهدة ولانهما محل الكواكب والاصنام التي عبدوها ثم نفى عن
نفسه ان يكون من المشركين مبالغة في التبري منهم فالاول براءة من الشرك والثاني من المشركين
وحاجه قومه نازعوه وحاجوني في قوله في الله على حذف يستفتونك قل الله يفتيكم في
الكلالة الا ان يشاء استثناء منقطع شيئا مصدرا او مفعول به افلا تتذكرون تنبيه على
غفلتهم حيث عبدوا ما لا يضر ولا ينفع وحاجوه في الله الخالق الفاطر الضار النافع
وكيف اخاف الآية من ابلغ الحجج واعظم الزامات الجدل واختلف متعلق الخوف فبالنسبة
اليه علقه باصنامهم وبالنسبة اليهم علقه باشراكهم بالله تركا للمقابلة ولئلا يكون
الله عديل اصنامهم لو كان التركيب ولا تخافون الله واتى بما في الاصنام لانها لا تعقل وقرئ
سلطانا بضم اللام اتباعا فاي الفريقين عدل عن ايُّنا احترازا عن تجريد نفسه
فيكون ذلك تزكية لها الذين آمنوا الآية قيل هو من كلام ابرهيم ومحاجته ولم يلبسوا
ايمانهم اي يخلطوه بان يؤمنوا ظاهرا ويشركوا باطنا فيكون فيه احترازا عن المنافقين
بظلم فسر في حديث الصحيحين بالشرك وتلك اشارة الى ما تقدم من
احتجاج ابرهيم بالكوكب وما بعده حجتنا اضيفت اليه تعالى على سبيل التشريف على قومه
اشارة لعلو الحجة وقهرها نرفع درجات من نشاء قال زيد بن اسلم بالعلم وهو مناسب
لآية الحجة ودرجات بالاضافة والتنوين ان ربك التفات حكيم عليم مناسب للحجة
التي علم دقيق يحتاج الى الاحكام والاتقان ووهبنا فيه التفات من الغيبة وتخلص من
قصة ابرهيم الى ذكر سائر الانبيا فورد ذلك مورد الامتنان على ابرهيم بجعل
الانبيا من ذريته لما من على مراغمة قومه اسحق ويعقوب لم يذكر معهما اسمعيل قيل لان المقصود
هنا بالذكر انبيا بني اسرائيل وهم باسرهم اولاد اسحاق ويعقوب ولم يخرج من صلب
اسمعيل نبي الا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر في هذا المقام لانه امره عليه السلام
ان يحتج على العرب في نفي الشرك بالله بان جدهم كان موحدا لله متبريا عن الشرك ورزقه
الله اولادا انبيا وملوكا فلما قد ذكره في الآية الثالثة بقوله واسمعيل
واليسع الى آخره وظهر لي ان نكتة ذكره هنا ما زاده لذكر استقلالا لاخصوصا
اذا جعلنا ضمير ذريته لنوح تعظيما لكون النبي عليه السلام من ذريته بخلاف اسحاق
ويعقوب فذكرا على سبيل التبع لابيهما وذكر اسمعيل لانه اصل بنفسه والله اعلم ونوحا هدينا
من قبل لما ذكر شرف ابنا ابرهيم ذكر شرف آبائه فذكر نوحا الذي هو آدم الثاني فقال
من قبل ابرهيم على قدمه وفي ذكره لطيفة وهو ان نوحا عبدت الاصنام في زمانه فوحد
الله وجادل قومه في عبادتها وابرهيم كذلك فذكر الله انه هدى نوحا كما هدى ابرهيم
ومن ذريته قيل الضمير لنوح لانه اقرب مذكور وقيل لابرهيم لانه المقصود بالذكر داود
بالنصب بتقدير هدينا او وهبنا وقرن سليمان وداود لانه ابنه وقد اشتركا

في الملك وقدم الاب وايوب ويوسف لانهما اشتركا في المحنة والبلا وحصول سلامة العاقبة
وقدم ايوب لانه اشد بلا وموسى وهارون لاشتراكهما في الاخوة وقدم موسى لانه
افضل وزكريا ويحيى لانه ابنه وعيسى والياس لاشتراكهما في انهما لم يموتا الى الآن وقدم
عيسى لانه افضل وصاحب كتاب وجمع اسماعيل والثلاثة بعده في اية لانهم لم يبق لهم
من الخلق اتباع وقال بعضهم ذكر الانبيا على مراتب مرتبة الملك ومرتبة البلا ومرتبة القوة
والصولة والبراهين والمعجزات لموسى واخيه ومرتبة الزهد لزكريا والثلاثة بعده
ومرتبة عدم الاتباع للاربعة الباقين وذكر لوط من ذرية ابرهيم وهو ابن اخيه لان العرب
تسمي العم ابا وقرى بفتح نون يونس وسين يوسف وفي قراة اليسع بلام مشددة بوزن
الضيغم لطيفة قال ابو حيان قد تسمى المسلمون باسما الانبيا وتجافوا عن اسم لوط
فقل من تسمى به منهم ومن اباىهم موضع نصب فقيل عطف على كلا او فضلنا وقيل بتقدير
هدينا وذكر الاصول والفروع والحواشي وهديناهم الهداية نحيها لتاكيدها وتاكيدا
للامر بالتوحيد ولذا قال ذلك هدى الله الاية تعريض بقوله ولو اشركوا للمشركين و
في هدى الله التفات اولئك الاية لما ذكرهم فضلهم واجتباهم وهداهم ذكر ما فضلوا
به وبدا بالكتاب لانه رتبة العلم ثم بالحكم وهو الفصل بين الناس والحكمة وتلك
رتبة ابلغ من العلم ثم بالنبوة وهي مرتبة اشرف منهما ففيه ترق وفي اتيناهم التفات
فان يكفر بها اي بالثلاثة وقيل بالنبوة لانها اقرب هؤلا الاشارة به للتحقير فقد
وكلنا بها قوما استعير التوكيل للتوفيق للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء
ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه هدى الله فيه التفات فبهداهم اقتده اي في التوحيد
وقيل في مكارم الاخلاق التي كانوا متصفين بها كشكر نوح ومحاجة ابراهيم وصدق
وعد اسماعيل وحلم اسحاق واستسلامه وحسن ظن يعقوب واحتمال يوسف وعفوه
وصبر ايوب وانابة داود وتواضع سليمان واخلاص موسى وافصاح هارون وهجرة
لوط وعبادة زكريا وعصمة يحيى وزهد عيسى وقد اجتمعت كلها في النبي صلى الله عليه وسلم
ولذلك قال له تعالى وانك لعلى خلق عظيم والها في اقتده للسكت اجرا للوصل مجرى
الوقف لا اسالكم عليه اي الوحي الى الهدى الا ذكرى في يوسف ذكر قال الكرماني وغيره
لانه تقدم قوله ولكن ذكرى فناسبه وكذا فلا تقعد بعد الذكرى وما قدروا الله
الاية نزلت في بعض اليهود قال له النبي صلى الله عليه وسلم اليس تجدها انزل الله على موسى
ان الله يبغض الحبر السمين فقال والله ما انزل الله على بشر من شيء وهو مناسبة لما تقدم
من ذكر الانبيا وايتايهم الكتاب وكفر قوم بذلك وقيل انها في مشركي العرب ومناسبتها
على هذا انه لما فرغ من قصة ابرهيم واتباعه اخذ في تقرير النبوة والرد على منكري
الوحي وقرئ قدروا بتشديد الدال وقدره بفتحها قل من انزل الكتاب هذا دليل على ان
الاية نزلت في اليهود لا في كفار مكة والا لم يتم الاحتجاج لان كفار مكة يكذبون بذلك ايضا

فلا يتم الدليل عليهم وكذا التخصيص بكتاب موسى بالذكر دون كتاب عيسى وغيره من الكتب
لانه كتاب بني اليهود وانما يكون الاستدلال على الخصم بما يوافق هو عليه قال الغزالي وجه
الاحتجاج بالاية يرجع حاصله الى ان موسى انزل عليه شيء وهو واحد من البشر فبطل قوله
ما انزل الله على بشر من شيء ففي الاية من انواع البديع المذهب الكلامي يجعلونه قرى اليهود
بالخطاب في الافعال الثلاثة وهو يؤيد كون الاية في اليهود ايضا ولكن التفاتا عن الغيبة
في قدروا وقالوا لانه حينئذ يكون من تتمة قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم المامور به وشرط
الالتفات ان يكون الجملتان من كلام واحد قال ابو حيان ادرج سبحانه تحت الالزام
توبيخهم والنعي عليهم بما صنعوه قال ومن جعل الاية في كفار مكة جعل الخطاب لبني اسرائيل
اما على قراة الغيبة اعتراضا خلال السؤال والجواب واستبعد بان فيه تفكيكا للنظم
الاية حيث جعل اول الكلام خطابا مع المشركين واخره مع اليهود واجيب بان الجميع
لما اشتركوا في انكار نبوة الرسول جا بعض الكلام خطابا للعرب وبعضه خطابا لبني
اسرائيل اما على قراة الغيبة فلا تفكيك لانه ذكر على سبيل الاستطراد غايبا الى اليهود
المفهومين من انزل الكتاب ومجي موسى فكان التقدير بجعله المنزل عليهم او الذي جا
به موسى اليهم واوضح منه عوده الى الناس لان المراد بهم اليهود فان التوراة هدى ونور
لهم وعندي ان الاية نزلت مرتين مرة بمكة على قراة الغيبة ومرة بالمدينة لما وقع
من اليهود ما وقع فنزلت بحرف الخطاب وقد قررت في الاتقان فاعلم ذلك وعلمتم
الى اخره ان كانت الاية في العرب فواضح وكذا ان كانت في اليهود فيكون امتنانا عليهم
بانزال التوراة حتى علموا بها ما لم يكونوا يعلمونه لولاها وفيها التفات على قراة الغيبة
لانها وصلة يجعلونه من قايل واحد قل الله امره بالمبادرة الى الجواب وهذا كتاب انزلناه
مبارك لما قرر بطلان قولهم ما انزل الله على بشر من شيء واثبت انزاله بانزال كتاب
موسى المتفق عليه عند الخصم عطف على انزال هذا القران لانه يلزم من تسليم انزال التوراة
انزال القران بجامع ان الله قادر على الانزال واستظهر عليه بقوله مصدق الذي
بين يديه لان الموافقة بين الكتب وتصديق بعضها بعضا اعظم شاهد على ان المتكلم بها واحد
كما قال النجاشي حين سمع القران اشهد ان هذا والذي انزل على عيسى ابن مريم يخرجان
من مشكاة واحدة ولتنذر عطف على ما قبله لانه في معنى العلة اي للبركة وللتصديق
او لنصدق وقرئ بالغيبة فالضمير للقران ام القرى اي اهلها ومن حولها
عام في جميع الارض يؤمنون به اي بالقران وقيل بالرسول فيكون التفاتا عن الخطاب
في لتنذر وهم على صلاتهم يحافظون خصها لانها عماد الدين واشرف العبادات وقرينة الايمان
وموافقة لما تقدم من قوله وامرنا لنسلم وان اقيموا الصلاة وقرئ صلواتهم بالجمع ومن
اظلم الاية لما ذكر قصة من انكر انزال الله تعالى على بشر من شيء ذكر قصة من ادعى ان الله انزل عليه
ما لم ينزل او اوحي اليه ما لم يوح لانه مقابله في الكذب فبدأ بالعام وهو مطلق الافترا

لهم افترا الوحي وغيره فهو بافترا الوحي وهو اخص فهو باخص منه وهو افترا انزال
الكتاب لهم الوعيد كل مفتر على الله بوجه من هذه الوجوه ولو ترى اذ الظالمون عم ليدخل
فيه المذكورون وغيرهم وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا باسطوا ايديهم كناية
عن الضرب اخرجوا بتقدير قائلين عذاب الهون ترى الهوان واضاف العذاب اليه لانه
قد يكون على سبيل الزجر والتاديب والتطهير ولا هوان فيه كعذاب عصاة المسلمين ولقد
جئتمونا معطوف على مقول القول المقدر فرادى فرى سونا وقرئ فردى كسكرى
كما خلقناكم اول مرة اي حفاة عراة غرلا بينكم اي في خلقكم او في عهودكم او عندكم
تقطع بينكم بالرفع فاعل على الاتساع في الظرف فاستعمل اسما او على جعل البين بمعنى
الوصل ويعني الافتراق مجازا عن الامر البعيد والمعنى لقد تقطعت المسافة بينكم لطولها
فعبر عن ذلك بالبين وفي قراءة بالنصب على الظرفية ففاعل تقطع ضمير القطع او ضمير
الوصل الدال عليه السياق او هو الفاعل وبني لاضافته الى مبني كقوله ومنا دون
ذلك واختار الوجهان انه ظرف وان تقطع وضل تنازعا في ما فاعل الثاني واضمر
في الاول ضميره وما كذا بعض الاضمار دال وهذا اعراب سهل لم ينتبه له احد
وقرا ابن مسعود ما بينكم ان الله فالق الحب والنوى عودا الى مقصد السورة وما
افتتح به من ذكر الخلق والانشا بعد ذلك الاستطراد قال الماتريدي وخص الحب
والنوى بالذكر لان جميع ما في الدنيا من النبات منها فاضاف ذلك الى نفسه كما اضاف
جميع البشر الى نفس واحدة لانهم منها قلت وفيه الاشارة الى مادة النبات
كما اشار الى مادة البشر اول السورة بقوله خلقكم من طين ودل عليه مدونه النبات
والبعث بعد الموت بشقه النواة مع صلابتها واخراجه منها نبتا اخضر لينا الى ما
نشا عنها بعد ذلك ولذا قال بعده يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي دليلا على البعث
ايضا لانه اذا اخرج من الميت الذي هو البيضة حيوانا حيا لم يتقدم له قبل ذلك حياة
فلان يبعث جسم الميت الذي تقدمت له الحياة حيا اولى وقرا ابن مسعود فلق
الحب بصيغة الماضي وقوله ومخرج قيل انه معطوف على فالق لانه وصف مثله
لم يعطفه على يخرج لان النبات عن فلق الحب والنوى من جنس اخراج الحي من الميت
لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها فوقع قوله
يخرج الحي من الميت من قوله فالق الحب والنوى موقع الجملة المبينة فلذلك عطف
عطف على الوصف لا الفعل ولما كان هذا مفقودا في آل عمران وتقدم قبل ذلك
جملتان فعليتان تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل كان العطف بالفعل
ورجح ابن هشام وغيره عطف مخرج على يخرج لان الوصف شبيه بالفعل وفي ذلك
تناسب الجملتين وموافقة المواضع التي عطف فيها بالفعل وما تقدم في توجيه الاول
ذكره جماعة منهم الوجهان وابن جابر وقال الا ان تام الحمل محلا اسما الفاعلين لقوله

فالق الحب فالق الاصباح وجاعل الليل وعدلا الى الفعل في يخرج الحي كراهة اجتماع ثلاث
من حروف العلة الواو والياء من لوي وواو العطف لو قال في الاول ومخرج ومقعه
صاحب المناجاة بوقوع مثله في قوله الذي خلق فسوى والذي وبانه كان يلزم ٤
اسم فاعل بلا عطف على وجه البدلية والبيان قال فالصواب ان يخرج الحي وقع
بيانا لفالق الحب كان قائلا يقول كيف يفلق الحب والنوى فقال يخرج الحي وهو
الاخضر النامي من الميت وهو الحب او النوى اللذين هما كالجامد وجرى في ومخرج
على عطف اسما الفاعلين بعضها على بعض انتهى وفي قوله ان الله التفات من ضمير
التكلم في الآية التي قبله فالق الاصباح قيل التقدير فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي
يعقبه الصبح وقيل شاق عمود الصبح عن الظلم وكاشفه وقرئ فلق فعلا ماضيا
وفالق الاصباح بنصب الاصباح وفالق بلا تنوين لالتقاء الساكنين على حد ولا ذاكر
الله الا قليلا وقرئ بفتح الهمزة جمع صبح ابو حيان لما استدل على ذلك ايضا
وقدرته الباهرة بدلالة احوال النبات والحيوان وذلك من الاحوال الارضية
استدل على ذلك ايضا بالاحوال الفلكية فان فلق الصبح اعظم من فلق الحب والنوى
لان الاحوال الفلكية اعظم وقعا في النفوس من الاحوال الارضية قلت
ولما كان خلق الليل والنهار والشمس والقمر قد تقدم اول السورة ضمن قوله وجعل الظلمات
والنور لم يذكر الاربعة هنا على وجه الخلق المجرد بل ذكرت على وجه آخر لمكون البلغ في التفنن
وتنويع الالفاظ فذكر النهار على وجه الفلق المشابه لفلق الحب عن النبات وبدوه شيئا
فشيئا من اصله المنشق عنه كما يبدو النبات من الحب والنوى على سبيل التدريج وذكرت
الثلاثة متعرضة لغايات خلقها وهو السكن في الليل والحساب في الآخرين فافاد الخلق
وبيان العلة والامتنان سبحانه وتعالى وفي قراءة وجعل الليل فعلا ماضيا وفي
اخرى ساكنا وقرئ والشمس والقمر بالجر عطفا على لفظ الليل وقراءة النصب عطفا على
محله او بتقدير وجعل وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا بان
ذلك اشارة الى جميع ما تقدم تقدير العزيز العليم مناسب لما تقدم لان تقدير هذه الامور
البديعة ناشئ عن كمال العلم والقدرة معا والعزيز الغالب الذي كل شيء تحت قهره وحكمه
وهو الذي جعل لكم النجوم ذكرها بعد الشمس والقمر للمناسبة وقرنها بغاية خلقها وهو
الاهتداء وفيه التعريض بعابدي الكواكب والنيرين انهم اخطؤوا الموضوع لانها انما
جعلت ليهتدى بها وحسب لا ليعبدوا اصنافا قد تفطنت الى غاية الملابسة قد فصلنا
الايات فيه التفات لقوم يعلمون الكرماني ختم هذه بيعلمون والثانية بيفقهون
والثالثة بيؤمنون لان من احاط علما بما في الآية الاولى صار عالما بوحدانية الله وهو اشرف
العلوم فختم بيعلمون والثانية مشتملة على ما فيه تدبر وتامل والفقه علم يحصل بالفكر
والتدبر فختم بيفقهون ومن اقر بما في الثالثة صار مؤمنا فختم بيؤمنون وقال

ابن جماعة لما كان حساب الشمس والقمر والنجوم والاهتداء بها خاصًا بالعلماء بذلك ناسب ختمه بيعلمون
وانشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب الى رحم الى الدنيا الى البرزخ الى الآخرة والنظر
في ذلك والفكر فيه ادق ناسب ختمه بيفقهون ولما ذكر ما انعم به على عباده من سعة الارزاق
والاقوات والثمار وانواع ذلك ناسب ختمه بالايمان الداعي الى شكره تعالى على نعمه وقال
ابو حيان الاهتداء بالنجوم واضح يحصل لمن له ادنى ادراك بالنظر في النجوم فناسب ختمه
بالعلم والانشاء من نفس واحدة يحتاج الى فكر وتدقيق في الاستدلال به على البعث فناسب
ختمه بالفقه ولما كان ظهور الآيات لا ينفع الا من قدر له الايمان ختم آخر الآيات
بقوله يؤمنون تنبيهًا على هذا المعنى وهو الذي فيه التفات انشأكم في غيره خلقكم قال
الكرماني لمناسبة قوله في اول السورة وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين وفي ما سيأتي
وقال في المناجاة لما اشتملت سورة الانعام على خلق الانسان وخلق ما خلق لاجله
من انواع الانعام والنبات خص الانسان بلفظ الانشاء لانه المقصود الاول وبالذات
وباقي المخلوقات بالخلق تمييزا بينهما وبينه فمستقر بفتح القاف مكان او مصدر وبكسرها
اسم فاعل ومستودع بفتح الدال في السبعة وقرئ بكسرها قال ابو حيان الاستقرار و
الاستيداع حالان يعتوران على الانسان من الظهر الى الرحم الى الدنيا الى القبر الى الحشر الى الجنة
او النار وفي كل رتبة يحصل له استقرار واستيداع استقرار بالاضافة الى ما قبلها
واستيداع بالاضافة الى ما بعدها ولفظ الوديعة يقتضي الانتقال لا محالة وهذا التقرير حسن
يحصل به الجمع بين اختلاف الاقوال في ذلك قد فصلنا فيه التفات وهو الذي فيه التفات
انزل من السماء ماء الآية وفي ترتيب الآيات الثلاث على الواقع وهو نظير ما وقع اول
السورة فبدأ بخلق الاجرام الفلكية ثم بخلق الانسان وبيان اجله ثم بما يقوم به اود
الانسان في حياته فاخرجنا فيه التفات به اي بالماء فاخرجنا منه اي من النبات خضرا
فيه تجريد قال الليث الخضر في كتاب الله الزرع وقال غيره الخضر بمعنى الاخضر ولا
مدخل للون فيه نخرج منه اي من الخضر والجملة صفة له او استئناف وقرئ يخرج بالياء
حب متراكب بالرفع فاعله ومن النخل خبر مقدم من طلعها بدل منه قنوان مبتدا
وهو بكسر القاف لغة الحجاز وقرئ بضمها لغة قيس وبفتحها اسم جمع لا فعلان دانية قيل
المعنى وسحوق فحذف فاكتفى واقتصر على الدانية لان النعمة بها اظهر وجنات بالكسر نصبا
عطفا على نبات وهو من النخل عطف الخاص على العام لشرفه وقرئ بالرفع على تقدير ومن
الكرم لقوله ومن النخل قاله ابو البقاء وهو نظير بيت من باب علفتها تبنا وماء باردا وقد
قال بذلك استشكال ابي عبيد وغيره هذه القراءة قائلين بان الجنات من الاعناب
لا تكون من النخل وغفلوا عن انه في مثل ذلك يقدر من المعنى لا من لفظ ما قبله كما قدروا
في تبوؤا الدار والايمان واعتقوا والزيتون والرمان بالنصب ايضا عطفا
على نبات وقال الزمخشري على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين

الصنفين

الصنفين ووجه صاحب المناجاة فضلها بان الزيتون ورد فضله ونقل وهنه شرعا
في الآية والحديث بدليل من شجرة مباركة زيتونة والرمان اشتمل على الاسا وهي في العرف
والاسم والاختلاف في الطعم حلاوة وحموضة ولا نظير له في ذلك في الفواكه وقال
الزجاج قرن الزيتون بالرمان لانهما شجرتان تعرف العرب ان ورقهما يشتمل في
الغصن من اوله الى آخره قال الشاعر بورك الميت الغريب كما بورك نضح
الرمان والزيتون مشتبها وفي الآية الاخرى متشابها لان اشتبه وتشابه بمعنى
واحد كاختصم وتخاصم واشترك وتشارك فاستعمل كل لفظ في موضع تفننا وتوسعا وجمعا
بين اللفظين الجائزين كما هو عادة القرآن وقرئ هنا شاذا متشابها انظروا الى ثمره
اذا اثمر وينعه نبه على حال الابتداء والانتهاء لانها اغرب في الوقوع واظهر في الاستدلال
والقراءة بفتح الثاء والميم وبضمها وقرئ بضم الثاء وسكون الميم وقرئ وينعه بضم
الياء وقرئ ويانعه اسم فاعل من ينع قال ابو حيان انظروا الى حسن سياق هذا الترتيب
لما تقدم ان الله فالق الحب والنوى جاء الترتيب في هذه الآية بداءة فبدأ بالخضر
والحب المتراكب لما ابتدأ به في قوله فالق الحب ثم ثنى بما له نوى وهو النخل وما بعده
وبدأ بالزرع على الشجر لانه غذاء والثمر فاكهة والغذاء مقدم على الفاكهة وقدم النخل
على سائر الفواكه لانه يجري مجرى الغذاء بالنسبة الى العرب وقدم العنب لانه يجري مجرى
النخل في الانتفاع به في جميع اطواره فهو يؤكل خيوطا وحصرما وعنبا وزبيبا وعصيرا
كما يؤكل النخل طلعا وجمارا وبسرا ورطبا وتمرا وعصيرا ولذلك شاركه في جميع
الاحكام الشرعية التي انفردا بها عن سائر الفواكه من وجوب الزكاة والخرص
واباحة العرايا وقدم الزيتون لانه اكثر منفعة من الرمان به وبدهنه الكلا و
وقودا وغيرهما وذكر الرمان لعجب حاله وغرابته فانه مركب من قشر وشحم وماء
فالثلاثة باردة يابسة كثيفة قابضة عفصة وماؤه بالضد اذ هو الذ شربة
والطف واقرب الى الاعتدال وفيه تقوية للمزاج الضعيف غذاء
ودواء فجمع تعالى فيه بين المتضادين فما ابهر قدرته واعجب صنعته وجعلوا
لله شركاء الجن لما ذكر تعالى ما ذكر من دلائل قدرته ومتين صنعته وعظيم منته
على عالم الانسان بما اوجد له مما يحتاج اليه في قوام حياته ذكر ما عاملوه به
من سوء صنيعهم حيث اشركوا به اخس العوالم الثلاثة وهم الجن ونسبوا اليه
مما هو محال عليه من البنين والبنات وقد ورد في الحديث ما احد اصبر على اذى
يسمعه من الله يدعون له ندا وولدا وهو يرزقهم ويعافيهم وفي جعلوا التفات
عن ضمير الخطاب وفي هذا التفات عن ضمير التكلم والجن بالنصب قال الزمخشري
مفعول اول والثاني شركاء قدم وجعل بمعنى صير قال فان قلت ما فائدة التقديم
قلت استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا كان او جنيا او انسيا ولذلك قدم

اسم الله على الشركا وعكس الحوفي وقال ابو جعفر بن الزبير بل هو باضمار فعل جواب سوال
مقدر كانه قيل من جعلوا قال الجن اي جعلوا الجن واستحسنه ابو حيان وايده بانه قرئ
بالرفع على تقدير هم الجن جوابا لمن قال من الذي جعلوه ويكون ذلك على سبيل الاستعظام
لما فعلوه والانتقاص لمن جعلوه وقرئ بالجر على الاضافة البيانية **وخلقهم** حال اي
اشركوا به وهو قد خلقهم من لم يخلقهم وهذه غاية الجهالة وقرئ بسكون اللام معطوف
على الجن اي وجعلوا خلقهم الذي ينحتونه اصناما شركا او اختلاقهم للافك اي
نسبوا افك بهم حيث قالوا والله امرنا بها **وخرقوا** بالتخفيف والتشديد
اي اختلقوا وافتروا وقرئ بالحاء المهملة والفاء مشددا ايضا ومخففا بمعنى
زوّروا **سبحانه وتعالى عما يصفون** نزه نفسه جل وعلا والتعالي هنا الارتفاع
المجازي قيل وبين سبحانه وتعالى فرق من جهة ان سبحان مضاف اليه تنزيه من حيث
المعنى منزه وتعالى فيه اسناد التعالي اليه على جهة الفاعلية فهو راجع الى صفات
الذات سوا سبّحه احد ام لم يسبحه **بديع** خبر هو وقرئ بالنصب على المدح وبالجر
ردا على قوله لله او ضمير سبحانه قيل قرر سبحانه بهذه الآية نفي الولدية من
جهتين احديهما انتفا الصاحبة لان الولد لا يكون الا بين زوجين وبذلك رد عليهم
بقياس الغايب على الشاهد والثانية كونه مبدع الاجسام ومخرج الاجسام لا يكون
جسما والولادة من صفات الاجسام والثالثة انه ما من شي الا وهو خالقه والعالم
به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شي والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ
ولم يكن بالتحتية للفصل **ذلكم** فيه التفات عن الغيبة **لا اله الا هو خالق كل شي**
في غافر تقديم خالق كل شي لانه هنا تقدم وجعلوا لله شركا فناسب تقديم
كلمة التوحيد النافية للشرك ردا عليهم وهناك تقدم كونه خالقا بقوله لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس فناسب تقديم ذكر الخلق ثم كلمة التوحيد
قاله الكرماني والامام وغيرهما وقال صاحب المناجاة ذكر سبحانه كلمة
التوحيد في القرآن على ثلاثة انحا مقدمة على الصفات كما في الله لا اله الا هو
الحي القيوم ومتوسطة فيها كما هنا ومؤخرة كما في غافر للاشعار بانه ينبغي
للانسان ان يجعل كلمة التوحيد مبدا حاله ووسطه وختامه ابو حيان بدا بالاسم
العلم ثم قال ربكم اي مالككم والناظر في مصالحكم ثم حصر الالهية فيه ثم كرر
ووصف خلقه كل شي ثم امر بعبادته لانه من استجمعت فيه هذه الصفات كان جديرا
بالعبادة وان يفرد بها ثم اخبر انه مع تلك الصفات مالك كل شي من الارزاق والآجال
رقيب على الاعمال **لا تدركه الابصار** الآية فيه لف ونشر لان اللطيف راجع لكونه
يدرك ما لا يدركه احد حتى ان البصر لا يدرك نفسه قال الزجاج في الآية دليل على ان
الخلق لا يدركون ~~ما هو الا هو كلاحد~~ الابصار اي لا يعرفون كيفية حقيقة البصر

لكونه لا يدركه الابصار والخبير

الذي صار به الانسان بصيرا من عينه **قد جاءكم بصائر** هذا وارد على لسان الرسول
لقوله آخره وما انا عليكم بحفيظ قلت وليعقد لهذا نوع في علوم القرآن ونظيره مما
ورد على لسان جبريل كقوله وما نتنزل الا بامر ربك وقوله وما منا الا له مقام معلوم
وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وسالحقه في الاتقان في موضع باب ان شاء الله
تعالى والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي يبصر به وقال
ابن عطية البصيرة للقلب مستعارة من ابصار العين وهي ما اتفق عن تحصيل العقل
للاشيا المنظور فيها بالاعتبار الامام البصيرة اسم للادراك التام الحاصل في القلب
والآيات ليست في انفسها بصائر الا انها لقوتها وجلائها توجب البصائر لمن عرفها فلما
كانت اسبابا لحصول البصائر سميت بصائر ابو حيان اسناد المجي الى البصائر مجاز
لتفخيم شانها اذ كانت بمنزلة الغايب المتوقع حضوره كما تقول جاءت العافية **فمن
ابصر فلنفسه** اي ابصاره اي نفعه وثمرته **ومن عمي فعليها** اي عماه اي عاقبته فالابصار
والعمي كنايتان عن الهدى والضلال ابو حيان لما ذكر البصائر اعقبها بالابصار والعمي
وهذه مطابقة **وكذلك** اشارة الى تبيين الآيات السابقة **نصرف** فيه التفات بورود
الآيات على وجوه كثيرة **وليقولوا** يخرج على الفاعل الذي قدرناه من عطفه على مقدر
او تعلقه بمؤخر اي نصرفها واللام للصيرورة وقرئ بسكونها على انها لام الامر وقال ابو حيان
بل هي لام الامر مطلقا على قراءة كسرها وهو امر للتهديد والتوبيخ وعدم الاكتراث اي نصرف
الآيات وليقولوا انهم ما يقولون فانا لا نحتفل بهم ولا نلتفت الى قولهم **دارست** اي قارات
وناظرت غيرك حتى اخذتها عنه وفي قراءة درست ماض مبني للفاعل بتا الخطاب اي في
الكتب القديمة حتى اتيت بها وفي قراءة درست بتا التانيث اي الآيات اي ترددت على اسماعنا
حتى بليت وقدمت في نفوسنا ومحيت وقرئ درّست بالتشديد والخطاب ودرست
كذلك مبنيا للمفعول ودورست بالبنا للمفعول من دارست ودارست بتا التانيث اي دارت
الجماعة وحاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ودرس بضم الراء
وتا التانيث ودرست بالبنا للمفعول وتا التانيث ودرس اي محمد ودرسن بنون الاناث
اي الآيات ودرّسن بتشديد الراء كذلك ودارسات اي هي قديمات فهذه ثلاث عشرة
قراءة **ولنبينه** ان كانت اللام في ليقولوا لام الصيرورة فالعطف عليه واللام فيما على
بابها او للامر فالوجه من العطف على مقدر او المتعلق بمؤخر والهاء للقرآن الدال عليه الآيات
اولها لانها بمعناه او المصدر المفهوم من نصرف او من نبينه او من دارست **لا اله الا هو** اعتراض
بين الامرين اكد به وجوب اتباع الوحي **وما جعلناك** الآية تعليل للامر بالاعراض ولا تنبو
لم نفعل ولا نسب كما قال واعرض بعضهم لحصل الله عليه وسلم ان يواجه بالنهي عن ما تعدوا
مصدر بمعنى الاعتدا وقرئ بفتحتين وتشديد الواو مصدر بمعناه وقرئ بفتح العين
وضم الدال المشددة اي اعداء وهو حال مؤكدة على الثلاثة **واقسموا** سمي الحلف قسما لانه

عنا

لعن انهم ... عن المشركين الاول ... لا عنايا لا اعلا ... [illegible]

يكون عند انقسام الناس الى التصديق والتكذيب فكانه تقوية للقسم الذي جعل ان ليؤمنن
قرئ بالبناء للمفعول والنون الخفيفة وما يشعركم قيل الخطاب للكفار وقيل للمؤمنين انها
اذا جاءت لا يؤمنون فيه اربع قراءات في السبعة بكسر الهمزة مع يا الغيبة استينافا اخبار منه
تعالى انهم لا يؤمنون اذا جاءت ومفعول يشعركم محذوف اي ما يكون عند مجيئها وكسرها
مع تا الخطاب كذلك وجعل ابو حيان في القراءة الاولى التفاتا وهذا انما ياتي اذا جعل
الخطاب في يشعركم للكفار وفتح الهمزة مع يا الغيبة والخطاب في يشعركم للمؤمنين
وان معموله ولا قيل زائدة وعليه الكسائي وقيل ان هنا بمعنى لعل وعليه سيبويه ويؤيده
قراءة ابي وما ادراكم لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وقيل التقدير لا يؤمنون او يؤمنون
اي ما يدريكم انتفاء الايمان او وقوعه ذكره النحاس وغيره ففيه اكتفاء وفتحها مع تا الخطاب
فيشعركم خطاب للكفار ويجري الاقوال في زيادة لا او كون ان بمعنى لعل او معادل
لا يؤمنون محذوف والحاصل ان جعل الخطاب في يشعركم للكفار متعين على قراءة
وللمؤمنين متعين على قراءة والامران محتملان على قراءتين ولعل اختلاف السلف في ذلك
ليس باختلاف انما كل فسر على قراءة ونقلب فيه التفات ثم هو معطوف على لا يؤمنون
على استيناف انها وسياقه على فتحها او معطوف عليه ايضا داخل في حيز وما يشعركم
واستعير تقليب الابصار والافيدة للتحيير والتردد وصرف الشيء عن وجهه
ويدري بالقلوب لا في الاصل في ذلك وقرئ يقلب بالتحتية فلا التفات وقرئ
ببنائه للمفعول ورفع افيدتهم وابصارهم وفي افيدتهم التفات على قراءة لا يؤمنون
بالخطاب كما تشبيه او تعليل نحو الاول قيل فيه حذف اي فلا يؤمنون به ثاني
مرة كما والاوجه عدمه وتعلقه بقوله لا يؤمنون به عائد الى القرآن او الى
الله او الى الرسول ونذرهم بالنون وقرئ بالتحتية وقرئ بسكون الرا ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة الاية اي كما اقترحوا حيث قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا لولا انزل
عليه ملك احيي لنا قصيا وفلانا ليكلمونا انك نبي قبلا بضمتين جمع قبيل كرغيف
ورغف اي جماعة واصنافا او بكسر القاف وفتح الباء بمعنى مقابلة اي عيانا ومشاهدة
وقرئ بضم القاف وسكون الباء تخفيفا وقرئ بفتح القاف وسكون الباء وقرئ
قبيلا على الافراد الا ان يشاء الله فيه التفات وكذلك اي كما جعلنا هؤلاء عدوا لك ودعهم
تانيس بقراءة فيسبوا الله عدوا بغير علم في الوال والتشديد جعلنا فيه التفات لكل نبي عدوا
تسلية له صلى الله عليه وسلم عن عداوة من عاداه فان هذه سنة الله في الانبيا قبله وفي الانجيل
لا يفقد النبي حرمته الا في بلده وفي الحديث اشد الناس في العالم اهله وجيرانه شياطين
احد المفعولين او بدله غرورا مفعول له او حال اي غارين ولو شا ربك فيه التفات
الكرماني قال هنا ذلك وفيما يأتي ولو شاء الله ما فعلوه لان ما هنا وقع بعد ايات
فيها ذكر الرب وما هنا بعده وجعلوا الله فناسب كل ما تقدمه وقال ابن جماعة لما

لقوم

تقدم هنا جعلنا لكل نبي عدوا تسلية له ناسب ذلك ولو شاء ربك الحافظ لك وهناك
وجعلوا الله مناسبة ولو شاء الله الذي جعلوا له ذلك ما فعلوه اي الوحي او الغرور فذرهم
وما يفترون يتضمن الوعيد والتهديد وما مصدرية او موصولة ولتصغى عطف على
غرورا ان جعل علة لانه بمعنى ليغروا ابو حيان بن شبير هذه التعاليل في غاية الفصاحة لانه لا يكون
الخداع وهو الغرور فيكون الميل وهو الصغو فيكون الرضى فيكون الاقتراف فكل واحد
مسبب لما قبله وقرئ بسكون اللام في الثلاثة وخرجه ابن جني على انها كالمكسورة لام كي
سكنت شذوذا وبسكون لام كي في نحو هذا شاذ في السماع قوي في القياس قال
غيره هي لام الامر وهو امر تهديد كقوله اعملوا ما شئتم وابقاء حرف العلة في لتصغى على
لغة من قرأ انه من يتقي ويصبر وقيل هي فيه لام كي سكنت شذوذا وفي الاخرين
لام الامر وقرئ ولتصغى رباعيا بكسر الغين وفي قوله ما هم مقترفون ابهام يفيد
التعظيم والتبشيع لما يعملون كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم افغير الله ابتغي حكما اى
وارد على لسان الرسول جوابا لمن طلب من الكفار ان يحكم بينه وبينهم احبار اليهود قال
ابو حيان ووجه نظمها بما قبلها انه لما حكى حلف الكفار واجاب بانه لا فائدة في
الايات المقترحة لهم بين الدليل على نبوته بانزال القرآن عليه وقد عجز الخلق عن معارضته
وحكم فيه بنبوته وباشتمال التوراة والانجيل على انه رسول حق وان القرآن كتاب حق من عند
الله قال ووجه اخر وهو انه لما ذكر العداوة وتهددهم قالوا ما ذكر في سبب النزول
وكان من عادتهم اذا التبس عليهم امر واختلفوا فيه جعلوا بينهم كاهنا حكما فامر ان يقول
لهم ذلك اول وعندي ان هذه مبدأ قصة تحريم الميتة التي جادل فيها الكفار النبي والمؤمنين
حتى قالوا تاكلون ما ذبحتم بسكينكم ولا تاكلون ما ذبح الله بشمشار من ذهب فامر الله نبيه
ان يقول للمؤمنين ذلك تمهيدا وايها لينزعوا ما غشاه وقرئ صدورهم من الشبهة
التي اوردها الكفار ولهذا قال وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا فهو خطاب للمؤمنين
القاصر به الاستدلال لتسليتهم وقوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق زيادة تهييج للمؤمنين ليبالغوا في الامتثال والتصديق اذا القي اليهم
هذا الكلام الذي انا القي لكن عندي شك او تردد حتى يحتاج الى اقامة البينة ولما فيه من التعريض
بانهم ان لم يصدقوا به لكن صرف عنهم الى غيرهم فيكون لذلك الغير المزية عليهم ثم قال فلا تكونن
من الممترين على وجه التعريض ايضا بالمؤمنين فان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقصد بهذا الخطاب
وناسب ذكر هذه الاية بعد قوله يوحي بعضهم الى بعض الى اخره فان هذه الشبهة في امر
الميتة اوحاها كفار فارس الى كفار مكة ولذا قال بعد ذلك في ختام القصة وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم فختم بما بدأ به فتامل والحكم ابلغ من الحاكم اذ
هي صيغة للعدول من الحكام والحاكم جار على الفعل وقد يقال للجائر قاله ابن عطية والكرماني
وغيرهما ونصب على الحال وتمييز مفعوله او عكسه وتقدم تفعيرا الله للاختصاص لا الحصر

على ما تقدم تقريره في اغير الله تدعون ومفزل بالتخفيف والتشديد وتمت كلمات ربك قال
ابو حيان لما تقدم من اول السورة الى هنا دلايل التوحيد والنبوة والطعن على مخالفي ذلك وكان
من هنا الى آخر السورة احكام وقصص ناسب ذكر هذه الآية هنا ولما كانت كاملة في نفسها
لا نقص فيها عبر بتمت دون كملت على ما تقدم تقريره في تلك عشرة كاملة وفي قوله
كلمة بالافراد صدقا مناسب لقوله مفصلا وبالحق وعدلا مناسب لقوله حكما لا مبدل
لكلماته قرأ ابي لكلمات الله وهو السميع العليم وان تطع اكثر من في الارض تخلص الى قصة
تحريم الميتة فهو ملايم لما قبله وما بعده معا اذ يصلح ان يكون نهيا عن طاعتهم في ابتغاء
الحكم وان يكون متصلا بما تقدم من قوله اتبع ما يوحي اليك من ربك وان يكون نهيا عن طاعتهم
في اباحة الميتة وهذه غاية الملايمة في الربط قال ابو حيان كثيرا ما ذم الله الاكثر
في كتابه قلت لان الصالح في كل عصر قليل بالنسبة الى الطالح كما قال وقليل ما هم وفي
تاريخ البخاري وطبقات ابن سعد عن جبير بن نفير قال لقد استقبلت الاسلام من اوله فلم
ارل اري في الناس صالحا وطالحا واخرج البيهقي في الدلايل ان عقدا لاخت ابي بكر
الصديق ضاع يوم فتح مكة فقال ابو بكر انشد الله والاسلام من وجد عقد اختي
فلم يجبه احد فبكت فقال اسكني يا بنية فان الامانة في الناس قليل وان هم الا يخرصون
تاكيد لما قبله ان ربك هو اعلم من يضل الى آخره مناسب لقوله يضلوك عن سبيل الله وارد مورد
الوعيد والتهديد وفي صابر وفي سابر المواضع من بالباء وهو الاصل وما هنا اما على تقدير
او تقدير فعل من اعلم قال الكرماني وخص ما هنا بحذفها موافقة لقوله الله اعلم حيث يجعل
رسالاته وقال الامام لانه في المعنى على ادله اعلم بمن يضل عن سبيله وفي سابر المواضع
معناه اعلم باحوال من ضل من احوال غيره وقال صاحب المناجاة يحتمل ان يقال التقدير
الله اعلم بالضال عن سبيله فحذف لدلالة وهو اعلم بالمهتدين وقوله من يضل عن سبيله جملة
معترضة ذكرت للتعجب ممن يقع في هذا الامر المحذور كانه قيل من الاحمق الذي يقع في هذا
الامر وقال ابن جماعة قال هنا يضل وفي سابر المواضع ضل لان هنا وان تطع اكثر
من في الارض يضلوك وان كثيرا ليضلون وذلك مستقبل وبقية الآيات اخبار عمن
سبق منه الضلال فناسب الماضي وقرئ بضم الياء اي من يضل الناس وهو مناسب لقوله
يضلوك فكلوا قال الزمخشري مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين حرموا ما اباح الله
واباحوا ما حرم والخطاب بالمؤمنين لقوله ان كنتم بآياته مؤمنين وهو تاكيد ما قدمته في قوله
وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا ان الخطاب للمؤمنين ولهذا قال وما لكم الا
تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم فعلم ان المخاطب بذلك المفصل المؤمنون
والفعلان في السبعة بالبناء للفاعل وللمفعول وللفاعل من فصل دون حرم ثلاث
قراآت وقرئ بتخفيف فصل وان على تقدير في ليضلون بفتح الياء وضمها ان ربك الى آخره
يتضمن الوعيد والتهديد وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال الاكثر بذلك الاليق ان تجعل

نضل مع

مؤمنين ح

ظاهر

ظاهر الاثم على اكل الميتة وباطنه على ما لم يذكر اسم الله عليه قلت وهذا تاويل مليح جدا او
مناسب للربط ثم ارادة جميع الآثام الظاهرة والباطنة ولا سيما في وجوه الخير والبر
وان كان المناسب للمقام الانفاق في الجهاد لانه احد افراده فعبر بما يشمله وغيره ارادة العموم
وذلك احد وجوه الايجاز التي بني عليه القرآن والا لاحتاج الى ذكر الخاص ثم ذكر
العام فيطول وكذا قوله بعد واحسنوا فانه عام وان كان اللايق بالمقام واحسنوا
بالنفقة فحذف المتعلق ليعم النفقة وغيرها ايجازا وكذا قوله واياك نستعين نعبد اياك
نعبد حذف متعلقه ليعم الاستعانة على العبادة وغيرها وغير ذلك وانه لفسق
جملة في موضع التعليل للنهي عن الاكل منه والضمير للاكل او للذكر وان الشياطين ليوحون
الآية صريح في ان الخطاب في القصة المتقدمة للمؤمنين وكذا لما اتصل بها على ما قررته
ولما ختم الآية السابقة بقوله ان كنتم بآياته مؤمنين وهو شرط جيء به للتهييج والالهاب
لكونه بصورة عدم الجزم بايمانهم ختم هذه وهي آخر القصة بما هو ابلغ من ذلك واكد فقال
وان اطعتموهم انكم لمشركون فان اصعب ما على المؤمن ان يشبه بالمشرك فضلا عن الحكم عليه
بالشرك او من كان ميتا فاحييناه اي ضالا فهديناه فاستعير الموت للكفر والحياة للايمان
قال ابو حيان لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين كيف سلك والكافر المتخبط في الظلمات
المستقر فيها ولما لم يظهر الفرق بين الفريقين وفي فاحييناه التفات ابو حيان لما ذكر قصة
الحيان كان عبده المؤمن نسب ذلك اليه بنون العظمة في فاحييناه وجعلنا ولم
ينسبه الى نفسه في كان ميتا وفي كمن مثله في الظلمات ولما ذكر جعل النور للمتنبي
قال يمشي به في الناس اي يهتدي كيف تقلب وقال في الناس اشارة الى تنويره على
نفسه وعلى غيره من الناس فمنفعته ليست قاصرة على نفسه وقابل تصرفه بالنور وملازمة
النور له باستقرار الكافر في الظلمات وكونه لا يفارقها واكد ذلك بدخول
الباء في خبر ليس انتهى وفي الآية طباق بين الموت والحياة والنور والظلمة والمشي
والاستقرار ولم يقل في الكافر كمن هو ميت في الظلمات وهو مقتضى المقابلة فرارا
من التكرار لتقدم لفظ الميت اول الآية وقرئ افمن بالفاء وكذلك اما عطف اشارة الى احياء
المؤمن او كون الكافر في الظلمات زين للكافرين في يونس زين للمسرفين وكذلك اما عطف
على ذلك او على وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ولم ار من تنبه له وهو عندي اوضح واوجه لا
نضر لطول الفصل في كل قرية اعرب ابو حيان مفعولا ثانيا والاكابر مجرميها المفعول
الاول وضعف قول بعضهم ان الاكابر اول والثاني محذوف اي فسقا ليمكروا وهذا الذي
ضعفه اوجه عندي لان محط الفايدة على جعلهم ما كرين فيها لكن لا يتعين تقدير فساقا
بل يجوز جعله ليمكروا ومفعولا ثانيا واللام لام كي او لام الصيرورة وقرئ اكبر بالافراد
حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله اي من الرسالة والنبوة بدليل ما بعده الله اعلم استئنافا
انكارا عليهم وفيه التفات عن التكلم ولم يقل رسل الله التفات لانهم قابل آخر حيث يجعل

فان فادة القرآن ان ... انه ... القصد ... الكلي المحيط ... فانهم ... الاشتقاق

... لاهتداء ... نفسه

اما في محل نصب على الظرفية ونصبها نصب المفعول به او على السعة اذ هي باقية على الظرفية المجازية على تضمين اعلم معنى ما يتعدى الى الظرف اي انفذ علمه حيث يجعل اي هو نافذ العلم في هذا الموضع وقرئ بكسر حيث بناءً واعرابا في لغة فتعس عند الله اي في عرصة قضاء الآخرة او في حكمه وقال اسماعيل الضرير في الكلام تقديم وتاخير اي صغار وعذاب شديد عند الله فمن يرد الله الآية مناسبة لقوله او من كان ميتا فاحييناه الآية كانه شرح لكيفية الاحياء وانا من الواقعين فيهم او غاية الى قوله وتقلب افيدتهم الآية ابو حيان شرح الصدر كناية عن جعله قابلا للاسلام متسعا لقبول تكاليفه ونسبته الى الصدر مجاز عن الذات ولذلك قالوا فلان واسع الصدر اذا كان محتملا لما يرد عليه من المشاق والتكاليف قلت الاولى ان يحمل مجازا عن القلب لانه محل القبول وعدمه والاتساع والضيق وعبر بالصدر لانه محل القلب والضيق والحرج الضيق بالتشديد والضراه ضيقا بالتشديد والتخفيف فقيل هما بمعنى والثاني مخفف من المشدد وقيل المشدد في الاجرام والمخفف في المعاني وحرجا بكسر الراء صفة وفتحها مصدر اي ذا حرج روي ان ابن عمر قال لبعض الحي من بني مدلج فلما جاءه قال يا فتى ما الحرجة عندكم قال الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل اليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير كانما يصعد بالتخفيف والتشديد من يتصعد وقرئ به وفي قراءة يتصاعد شبه بذلك لان صعود السماء تقريب مثلا لما يبعد ويمتنع من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة ولذلك قالوا في تعليق الايمان او ترقى في السماء وهذا اشارة الى القرآن او الشرع الذي جاء به الرسول او الصنع الذي هو الهدى والضلال صراط ربك اضيف اليه على جهة انه من عنده وبامره وقد فصلنا فيه التفات لهم راجع الى قوم دار السلام هو من اسماء الله والاضافة للتشريف او مصدر بمعنى السلامة او التحية لانها فيها عند ربهم اي في نزله وضيافته اشارة الى المكانة والزلفى والاكرام وفيه التفات ويوم يحشرهم الضمير عام للثقلين ولهذا اكده بقوله جميعا وفي النون التفات وفيه قراءة بالتحتية ونصب يوم بمقول مقدر اي قيل لنا اجلنا بالافراد والجمع قال فيه التفات على قراءة النون الا ما شاء الله قيل الاستثناء لعصاة المؤمنين ويؤيده عموم الخطاب وان الجن تعوي المسلم في تزيين المعاصي وهو اوضح الاقوال فيه ويليه في الوضوح قول ابن عطية انه مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وامته وليس مما يقال يوم القيامة والمستثنى من كان يومئذ من الكفرة وعلم الله انه يؤمن فكانه لما اخبرهم انه يقال للكفار النار مثواكم استثنى لهم من بقي ايمانه ويؤيده قوله ان ربك حكيم عليم اي لمن يمكن ان يؤمن منهم انتهى قال ابو حيان وهذا التاويل حسن وهو معنى قول ابن عباس هذه الآية توجب الوقف في جميع الكفار اي فيمن لم يمت منهم اذ قد يسلم لانه فهم بعضهم على غير وجهه ان ربك حكيم عليم قال

ابن عطية

ابن عطية فضمنا ان مناسبة هذه الآية كان تخلد هؤلاء في النار صادر عن حكمه وقال التبريزي حكيم في تدبير المبدأ والمعاد عليم بما يؤول اليه امر العباد وقال اسماعيل الضرير حكيم عليهم بالخلود عليم بهم وبعقوبتهم وكذلك نولي ابو حيان لما ذكر انه تعالى ولي المؤمنين وذكر ان الكافرين اولياء بعضهم في الظلم والخزي قلت بل هو متعلق بقولهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اخبر تعالى ان ذلك بخلقه وتقديره جزاء بما كسبوا من الاثم وكذلك عاد الى بقية الاخبار عن حالهم في الحشر جملة وكذلك اعتراض وفي نولي التفات يا معشر الجن الآية متصلة بالقول الاول الم ياتكم استفهام توبيخ وتقريع وقرئ بالفوقية رسل منكم قيل من الجن انما رسل وقيل لا والتقدير من احدكم اي الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما وهو الملح وجعل القمر فيهن نورا اي في احدا وهي سماء الدنيا وخص خطاب الانس لشرفهم شهدنا على انفسنا هذه الجملة نابت مناب بلى شهدوا على انفسهم كررت لاختلاف المخبر فان الاولى حكاية عن انفسهم والثانية اخباره تعالى عنهم انهم شهدوا على انفسهم قلت الاولى انشاء والثانية اخبار والاول فعاله الخاصة بمعنى الاستقبال ذلك اشارة الى اقرب مذكور دل عليه الكلام وهو اتيان الرسل وقيل الى قوله الم ياتكم اي للبيان ان لم يكن ربك فيه التفات واهلها غافلون في هود مصلحون قال ابن جماعة لانه تقدم هنا وينذرونكم والانذار انما يقع من الغفلة فناسب الختم بغافلون وفي هود تقدم فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض فناسب الختم بقوله مصلحون لان ذلك ضد الفساد المعنا بل له ولكل من المؤمنين والكافرين درجات فيه تغليب للاشرف اذ النار يقال فيها دركات والدرجات خاصة بالجنة الغالبة وقال الماتريدي ولكل من الكفار خاصة لانه جاء عقب خطابهم فيكون راجعا اليهم يعملون بالياء والتاء فيه التفات عن الغيبة وربك الغني ذو الرحمة لما ذكر من اطاع ومن عصى والثواب والعقاب بين كونه غنيا عن خلقه ذكر انه هو الغني من جميع الجهات لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ومع كونه غنيا عن خلقهم هو ذو الرحمة انما التفضل التام بهم ومن رحمته تاخير الانتقام من العصاة ان يشا يذهبكم فيه الالتفات من خطاب النبي المخاطب قومه ثم عاد الى خطابه في قوله قل يا قوم اعملوا امر تهديد على مكانتكم بالافراد والجمع فسوف تعلمون في هود سوف قال ابن جماعة لان آية الانعام هو الزمن الله تعالى له بقل فناسب التاكيد في الوعيد بالفاء السببية وآية هود من قول شعيب فلم يؤكد ذلك من تكون له عاقبة الدار الزمخشري هذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذِر محق والمنذَر مبطل وهو في الانصاف نظير قوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وقول حسان فشركما لخيركما الفداء ومن شانهم في مثل هذا ابراز الكلام في صورة الترديد والعرض والانصاف ورمينا بالكلام على

جهة الاشتراك انكالا يفهم المعنى وفي قراة يكون بالتحتية انه لا يفلح الظالمون الظاهر انه من كلامه تعالى غير داخل في المقول قصد به اثبات العاقبة للمتقين ونفيها عن الظالمين وهو تعريض بهم وتقوية لنفوس المؤمنين وجعلوا التفات عن الخطاب في قوله وما انتم وما قبله لا عمم في قوله اعملوا الى آخره لاختلاف القايل وهذا عود الى ضعفايهم الذميمة من التحكم على الله في الاباحة والتحريم وهو منتظم مع قصة الميتة ابو حيان لما ذكر تعالى قبح طريقة مشركي العرب في انكارهم البعث ذكر انواعا من جهالاتهم تنبيها على ضعف عقولهم وفي قوله مما ذرا انه تعالى كان اولى ان يجعل له الاحسن والاجود وان يكون جانبه هو الارجح وفي الآية حذف دل على القسم اي ونصيبا لشركائهم ولهذا قال فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وفي قوله فقالوا تاكيد للفعل الذي هو الجعل بالقول المطابق وتنظافر القول بالفعل ثم انهم لم يخلفوا ذلك واعترض اثنا الكلام قوله بزعمهم للاخبار بكذبهم حيث اختلفوا ولم ينقل ذلك اثر وهذا لشركائنا لتحققنا انهم لم يخلفوا فيه وفي قراة بفتح الزاي لغة اسدية وقرئ بالتحتانية فلا يصل الى الله اي لا يقع موقع ما يعرف في وجوه البر من الصدقة على المساكين وذوي ارباب الله ونحو ذلك فهو يصل الى شركائهم بالمدح عليها والانفاق على سدنتها وكذلك اي ومثل تزيين قسمة القربان بين الله واصنامهم وقال ابن الانباري يجوز ان يكون وكذلك حسنا انفا غير مشار به لما قبله فيكون المعنى وهكذا زين قلت هذا الذي قاله ابن الانباري كان يختلج في ضميري كثيرا في الآيات التي من هذا النمط كقوله وكذلك جعلنا في كل قرية وكذلك نفصل الآيات وامثال ذلك فان كثيرا منها يتكلف فيه في صحة الاشارة الى شي سابق بل مضمون الجملة التي دخلت عليها وهذا تخريج مطرد بلا تكلف ولم اكن اجسر لاصرح بحتى وجدت لي هذا السلف العظيم وهذا انظر احد التخريجين في مثل ولتبينهم لقوم يعلمون من تخلقه بوجه معلول زين بالبنا للفاعل ونصب قتل مضافا الى اولادهم ورفع شركائهم فاعلا وقرئ بالبنا للمفعول ورفع قتل مضافا ورفع شركاوهم باضمار فعل اي زينه ... له فهي رجال بالبنا للمفعول وقرئ كذلك لكن بنصب اولادهم وجر شركائهم فصل بين المصدر المضاف الى الفاعل بالمفعول وهذا وان كان قليل الورود عن العرب فانه وارد فصيح وجواب قلة الورود ما قاله ابو عمرو ابن العلا ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاكم وافرا لجاكم علم وشعر كثير وقال ابن جني اذا ورد عن العربي الفصيح ما لا يقبله القياس فالاولى ان يحسن به الظن لانه يمكن ان يكون ذلك وقع اليه من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها فلا يجلع عليه اذا اسمع منه ما خالف الجمهور بالخطا ومما ورد عن العرب من الفصل بين المتضايفين بغير الظرف قوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده وقوله فسقناهم سوق البغاث الاجادل وقوله يوادية من قرع القسي الكنائن وقوله

بالقاع فرك القطن المحالج وقوله فداسهم دوس الحصاد الدائس وقوله فان نكاحها مطر حرام وقوله وسوال مانع فضله المحتاج وقوله تسقي امتياحا ندا المسواك ريقتها وقوله ولا عدمنا قهر وجد صبه وقوله ولا ترعوي عن نقض اهواؤنا العزم وقرئ بكسر الزاي وسكون اليا والبا في كابن عامر وقرئ ليلبسوا بضم اليا قال ابن جني استعاره من اللباس عبارة عن شدة المخالطة واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللصيرورة ان كان من السدنة قاله الزمخشري ما فعلوه اي القتل والواو لكثير وقيل التزيين والوا وللشركا وقيل للمجموع اجرا للضمير مجرى الاشارة وهو الانسب لمجاز القرآن وعموم اللفظ فذرهم وما يفترون تهديد ووعيد انعام قرئ لغير بالافراد حجر بمعنى محجور كذبح وطحن يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث وقرئ بضم الحا وقرئ بفتح وقرئ بالفتحتين وقرا ابي وابن عباس وابن مسعود وابن الزبير حرج بكسر الحا وسكون الرا مقدمة على الجيم على القلب من حجر خالصة قرئ بالنصب حال من ضمير الصلة وقرئ خالص وخالصا بغير تا وقرئ خالصه بالاضافة الى الضمير فما موصول من ما او مبتدأ خبره لذكورنا والجملة خبر ما وعلى القراة المشهورة انث خالصة على معنى ما وذكر ومحرم وما بعده على لفظها وهو خلاف الجادة في القرآن فان الغالب فيه البدا بالحمل على اللفظ ثم الحمل على المعنى وقد وقع عكس ذلك في آيات يسيرة هذه منها قاله مكي وغيره على ازواجنا اي نسائنا المدخرة لان تكون ازواجا وان يكن بالتحتية ونصب ميتة وبالفوقية والرفع على انها تامة وبالتحتية والرفع وبالفوقية والنصب اربع قراات في السبعة وقرئ بتكن ميتة فهم فيه تغليب الذكور شركا قرا ابن مسعود بدله سوا سيجزيهم وصفهم اي جزا وصفهم على الله في التحليل والتحريم من قوله ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام قد خسر الآية هذا وعيد ما تقدم في الآيات السابقة من قتل الاولاد وتحريم الانعام والحرث وما في بطون الانعام وجا على الترتيب من البدا بقتل الاولاد ثم تحريم الرزق والقراة في قتلوا بالتخفيف والتشديد وقرئ سفها بالجمع وهو الذي انشا الآية ابو حيان لما اخبر تعالى عنهم انهم حرموا اشيا مما رزقهم الله افتراء عليه ذكر ما امتن به عليهم من الرزق الذي تصرفوا فيه بغير اذن ثم افتراء منهم عليه والضلالة فذكر نوعي الرزق النباتي والحيواني فبدأ بالنباتي كما بدا به في الآية المشبهة لهذا واستطرد منه الى الحيواني اذ كانوا قد حرموا اشيا من النوعين ولما كانت هذه الآية واردة في معنى ذكر المنة والاحسان قدم ما حاجة العرب اليه اشد وما هو اكثر قوتهم وهو النخل والزرع ولما كانت الآية السابقة

وارده عقب انكار الكفار التوحيد وجعلهم معه آلهة واستطرد من ذلك الى
المعاد الاخروي واستدل عليه بقوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات
كل شيء كان الابتداء في التقسيم بالزرع لصغر حبه مما دل على التوحيد والقدرة التامة
والبلوغ في الاعتبار والجنات ان اريد بها العموم فايراد النخل وما بعده من عطف
الخاص على العام لعظيم المنفعة والامتنان به او الكروم المرتفعة والمنبسطة
في الارض فالآية نظير تلك الآية سواء في اشتمالها على الزرع والنخل والعنب
والزيتون والرمان وان كانت عكسها في الترتيب حيث ابتدي هنا بالعنب
ثم النخل ثم الزرع وهذا الثاني اعني اختصاص الجنات بالكروم هو المنقول عن ابن
عباس اخرجه وهو الموافق لقوله هناك وجنات من اعناب مختلفا حال مقدرة
لانه ليس وقت الانشاء مختلفا اكله الضمير قيل للزرع وحده وقيل للثلاثة اجراء له
مجرى الاشارة اي المجموع وقيل للفاعل بتقدير مضاف اي ثمره كلوا فيه التفات
من ثمره اذا اثمر لما كانت تلك الآية واردة في معرض الاستدلال بها على الصانع
وقدرته والحشر والاعادة بعد العدم قال انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه
اشارة الى الايجاد اولا والى غايته ولما كانت هذه في معرض الامتنان و
الاحسان بالخلق للانام قال كلوا ونبه بقوله اذا اثمر على انه لا ينتظر بالاكل
الحصاد الذي يؤخر اليه ايتاء الزكاة ولا تسرفوا نهي عن الاسراف في الاكل والصدقة
معا فلا يسرف في الاكل حتى لا يبقى للصدقة شيء ولا في الصدقة حتى لا يبقى للاكل
شيء ومن الانعام عطف على جنات اي وانشأ من الانعام حمولة الابل والبقر
وفرشا الضأن والمعز فهما في مقابلة قوله تعالى معروشات وغير معروشات
وتقدم الاعظم في الموضعين ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحريم والتحليل
من عند انفسكم ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا وقيل بتقدير انشأ ومن الضأن
وما بعده منهما لف ونشر غير مرتب وفي الآية من انواع الجدل السبر والتقسيم
لانهم كانوا حرموا ذكور الانعام تارة واناثها اخرى فقال تعالى في الرد عليهم ان الخلق
لله خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وانثى فمم جاء تحريم ما ذكرتم اي ما علته لا يخلوا
اما ان يكون من جهة الذكورة او الانوثة واشتمال الرحم الشامل لهما او لا يدرك
له علة وهو التعبدي بان اخذ ذلك عن الله والاخذ عن الله اما بوحي وارسال
رسول او سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه وهو معنى قوله ام كنتم شهداء
اذ وصاكم الله بهذا فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها والاول يلزم
عليه تحريم جميع الذكور كلها والثاني يلزم عليه ان يكون جميع الاناث حراما
والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض
في حالة لان العلة على ما ذكر تقتضي اطلاق التحريم والاخذ عن الله بلا واسطة باطل لانه

لم يدعو

لم يدعوه وبواسطة رسول كذلك لانه لم يأت اليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم
واذا ابطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو ان ما قالوه افتراء على الله وضلال وقرئ الضأن
بفتح الهمزة ومن المعز بفتحها وقرئ اثنان بالرفع مبتدأ والخبر مقدم وقرئ اثنين
بالكسر وجملة نبئوني الى آخره معترضة بين المتعاطفين للتقريع والتوبيخ ولما ثبت
المدعى من بطلان قولهم وحكم عليهم بالافتراء والاظلمية وعدم الهداية قال على وجه
المعارضة بتحريم ما اباحوه قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الآية فالحصر فيه مجازي
لا حقيقي لثبوت تحريم زيادة على المذكورات قطعا قال الشافعي رضي الله عنه ما معناه
ان الكفار لما حرموا ما احل الله وحللوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحادة جاءت
الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال لا حلال الا ما حرمتموه ولا حرام الا ما احللتموه
نازلا منزلة من يقول لا تأكل اليوم حلاوة فتقول لا آكل اليوم الا الحلاوة والغرض
المضادة لا النفي والاثبات على الحقيقة فكأنه تعالى قال لا حرام الا ما احللتموه من
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ولم يقصد حل ما وراءه اذ القصد
اثبات التحريم لا اثبات الحل قال امام الحرمين وهذا في غاية الحسن ولولا سبق
الشافعي الى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية قلت
ما قاله الشافعي تقرير بالغ في الحسن عرف به وجه الربط ومناسبة الآية لما
قبلها وموقع اداة الحصر ولو قلنا ان الحصر حقيقي لعرفنا ذلك لان الآية
مكية وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير متأخر فان اكثر التشريعة
انما تقرر بعد الهجرة بالمدينة وقد صح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم حرم لحوم
الحمر الاهلية يوم خيبر فالآية واردة على ما كان اذ ذاك ولا ينافيها ما حدث من
التحريم بعد قال ابو حيان جاءت هذه المحرمات هنا منكرة وفي آيتي البقرة والمائدة
معرفة لان هذه مكية سابقة وتانك مدنيتان جاءتا معرفتين بلام العهد حالة
على ما سبق تنزيله في هذه وقرئ اوحي بالبناء للفاعل ويطعمه بتشديد الطاء وكسر
العين من باب الافتعال وقرئ طعم فعلا ماضيا والا ان يكون استثناء متصل لانه
كون وما قبله عين والقراءة تكون بالتأنيث ونصب ميتة ورفعها وبالتذكير ونصب
وقوله او دما عطف على ميتة على قراءة النصب وعلى موضع ان يكون على الرفع وقوله فانه
رجس عائد الى لحم لانه المحدث عنه وقيل الى خنزير لانه اقرب مذكور وخص بهذه الجملة
لان الرجسية في الميتة والدم ظاهرة طبعا فلم يحتج الى التنصيص عليها وسمي ما اهل
فسقا لتوغله في باب الفسق ولما كان صدر الآية مفتتحا بخطابه صلى الله عليه وسلم بقوله
قل ختم الآية بالخطاب بقوله فان ربك اعتناء به وتشريفا له افتتاحا واختتاما وعلى
الذين هادوا قال ابو حيان مناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما بين ان التحريم انما
يستند للوحي الالهي اخبر انه حرم على بعض الامم السابقة اشياء كما حرم على اهل

هذه الملة اشيا فالتحريم انما هو راجع الى الله في الامم جميعا حرمنا فيه التفات من قوله فان ربكم
ظفر ذي بسكون الفاء مع ضم الظاء وكسرها او الحوايا عطف على ظهورهما او ما اختلط عطف
على ما حملت او بمعنى الواو ذلك قيل خبر مبتدا مقدر اي الامر ذلك وعليه الحوفي وقيل مفعول
ثان لجزيناهم قدم وعليه ابو البقاء وقيل اشارة الى الجزاء وعليه الزمخشري وانا لصادقون
قال ابن عطية اخبار يتضمن التعريض بكذبهم في قولهم ما حرم الله علينا وانما حرمنا
على انفسنا ما حرم اسرائيل على نفسه فان كذبوك قيل الواو للمشركين وقيل لليهود لانهم اقرب
مذكور وقيل للمشركين فقل ربكم ذو رحمة واسعة حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وهو
مع ذلك ذو باس شديد واذا جاء باسه لا يرد نبه بوصف الرحمة جملة اسمية لانها ابلغ
بخلاف وصف الباس حيث لم يقل وذو باس فرارا من تعادل الاخبار عن الوصفين
اذ باب الرحمة اوسع فلا يعادل عن القوم المجرمين فيه اقامة الظاهر مقام المضمر
سيقول الذين اشركوا الاية هذا اخبار بمستقبل غيب وقد وقع كما اخبر به فكان
معجزة وقد تمسك المعتزلة بمضمون هذه الاية على نفي القدر والمشية لانه تعالى كذبهم
في قولهم لو شاء الله ما اشركنا الى اخره وذلك يقتضي نفي مشيته تعالى للشرك والمعاصي
وللناس في ذلك اجوبة فقال قوم انما رد عليهم الاحتجاج بالقدر والقدر لا يحتج به شرعا
وقال الماتريدي يحتمل ان يكونوا قالوا ذلك استهزاء وسخرية لا اعتقادا صحيحا
ويحتمل ان تكون المشية بمعنى الرضا وبمعنى الامر وهذا الاحتمال الاخير جنح اليه الزملكاني
في اسرار التنزيل وقرره احسن تقرير فقال عادة العرب اذا امرت بامر فتنفر
عليه الامر بذلك ان يقول الفاعل لو شئت انت لم افعله اي انت الذي امرتني به وكذلك
ايضا اذا فعل فعلا يمكن غيره من نهيه عنه ومنعه يقول لو شئت انت لم افعله اي لو نهيتني
عنه تركته فالوجه ان يحمل هذا الفصل على الامر لان ما تقدم يدل على انه امر فمنه
قوله ثمانية ازواج اي قل لهم آلذكرين حرم ام الانثيين فلم يكن فيلزمهم هذا القول
الا بعد ان كان توهموا ان الله حرم هذا او امر بتحريمه فكيف يجوز ان يكون مرادهم اضافة
شركهم وافترائهم اليه ولو اراد ذلك لقال قل لهم اتحرمون الذكرين ثم الكم ام تحرمون
الانثيين ليكون الخطاب طبقا للسؤال ثم قال عند من يؤمن بالقدر ان يكذبهم الله فيه
اذ المشيات كلها مضافة اليه من كفر وايمان فتوابع ذلك بقوله ام كنتم شهداء اذ وصاكم
الله بهذا ولا يكون الوصية الا امرا فهذه الاشياء باطنة والمانع النهي وقع على امر
ظاهر فهو امره ثم قال تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بالجهل منا لانهم كذابا ثم قال
قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا وذلك راجع الى امره ونهيه لا الى المشية
الخفية عنهم وهو ايضا دال على انهم قالوا ان الله حرمه وامر بتحريمه [illegible]
بمناسبة موضع اخر وهو اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ومن هذا
النمط قوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون

سيغفر

سيغفر لنا فبكتهم على ذلك بقوله الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق
وهو راجع الى قولهم سيغفر لنا لان الكذب يخصه وما اخذهم عرض الادنى فخطيئة ذنب
قولهم سيغفر لنا آيا الى ان الله تعالى وعدهم ذلك انتهى كلامه وهو من الحسن بمكان
ومن لم يعرف اساليب العرب في خطاباتها ومحاوراتها لم يحل له ان يتكلم في القرآن ولا يستنبط
منه ولا يستدل به ولهذه النكتة وامثالها يعرف شرف علم البلاغة والاعتناء باسرار
التنزيل ومعرفة اساليبه رزقنا الله ذلك من فضله وقال هنا ما اشركنا ولا اباؤنا ولا
حرمنا من شيء وفي النحل ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء بزيادة
من دونه ونحن لان لفظ اشركنا يؤذن بالشريك فلم يحتج الى ان يقال من دونه من شيء
بخلاف لفظ عبدنا فانه ليس مؤذنا باشراك غيره فتعين ان يقال من دونه من شيء ليصح
التركيب حتى لو قيل في غير القرآن ما اشركنا من دونه لم يصح معناه ولو قيل ما عبدنا
بدون من دونه لكان ظاهره انكار العبادة من حيث هي الصادقة بعبادة الله و
ليس مرادا انما المستنكر عبادة شيء من دون الله واما من دونه الثانية فلان الاشراك
يدل على تحريم اشياء وتحليل اشياء فلم يحتج الى لفظ من دونه ولفظ العبادة لا يدل
على تحريم شيء كما دل عليه لفظ اشركنا فقيد بقوله من دونه ولما حذف
من دونه هنا ناسب ان يحذف نحن ليطرد التركيب في التخفيف ذكر ذلك الكرماني وابو حيان
وغيرهما وقال صاحب المناجاة لما كان ما هنا من كلامه تعالى حكاية ما سيقولونه ذكر
على وجه الايجاز والاختصار كما هو طريقة الاكابر في خطاباتهم وحكاياتهم فترك
من دونه في الموضعين ولفظ نحن لانه لا يستحقه هو لانه دون غيره لعظمته الذاتية
ولما كان في النحل حكاية ما قالوا راعى طريق الاطناب والاداء بما قالوه بالالفاظ التي
من غير طرح شيء قال واما وجه تخصيص ذكر اشركنا هنا وعبدنا في النحل فلان هنا
تقدم لفظ الاشراك وتاخر في عدة آيات وفي النحل وقع بعد هذه الاية بعينها
في كل امة رسولا ان اعبدوا الله فبمناسبة ذلك اختير لفظ عبدنا هناك واشركنا هنا وقال
ابن جماعة لما حال في النحل بين ضمير عبدنا وما عطف عليه حايل وهو من دونه من شيء اكد
بقوله نحن ولما لم يحل هنا شيء استغني عنه كذلك كذب الذين من قبلهم وفي النحل كذلك فعل لانه
تقدم هنا فان كذبوك فناسبه كذب وهناك ما عبدنا ولا حرمنا فناسبه فعل ذكره ابن
جماعة وقري كذب بالتخفيف حتى ذاقوا باسنا مناسب لقوله ولا يرد باسه هل عندكم
من علم استفهام تهكم ان تتبعون قري بالتحتية ففيه التفات من الخطاب ثم فيما بعده
التفات عن الغيبة اليه قل فلله الحجة جواب شرط محذوف دل عليه ما قبله اي ان لم
تحتجوا على ما يقتضي صدقكم فيما قلتم قل هلم شهداءكم ابو حيان بين تعالى كذبهم وافتراءهم
على الله في تحريم ما حرموه منسوبا اليه تعالى فقال نبئوني بعلم وقال ام كنتم شهداء ثم لما
انتفى هذان الوجهان انتقل الى وجه ثالث وهو ان يستدعي منهم من يشهد لهم بتحريم

ما حرموا والامر هنا للتعجيز اذ لا يوجد من يشهد بذلك شهادة حق لانها دعوى كاذبة
ولهذا قال فان شهدوا فلا تشهد معهم اي لا تصدقهم ولا تسلم لهم لان من سلم لهم فكانه
شهد معهم قاله الزمخشري والقشيري فهو من باب المشاكلة وقيل كناية وقيل استعارة
تبعية وقيل مجاز عن ذكر اللازم وارادة الملزوم لان الشهادة من لوازم التسليم حكاها
الشيخ سعد الدين في الحاشية ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من اقامة الظاهر مقام
المضمر والذين لا يؤمنون بالآخرة من تعاطف الصفات والموصوف واحد مبالغة في ذمهم والنداء
على ضلالهم ولما ذكر ما حرموا افتراء على الله وتبرأ منه ذكر لهم ما حرمه عليهم وانهم ان كانوا
يزعمون اتباع تحريم الله فهو ما حرمه عليهم فليتبعوه فقال قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم وقوله عليكم اما متصل به واول الكلام ان لا تشركوا او متصل بما بعده والتمام عند ربكم فيكون
اغراء وعلى الاول اما متعلق بحرم او باتل ان تفسيرية الزمخشري فان قلت اذا جعلت
ان مفسرة لفعل التلاوة وهو متعلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما
كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر
مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع
الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول
ونكث عهد الله وبالوالدين احسانا على تقدير واحسنوا فلما امر بالاحسان الى الوالدين نهى
عن الاساءة الى الاولاد فقال ولا تقتلوا اولادكم من املاق نبه على ان الولد له على الوالد
حق كما ان للوالد عليه حقا وهو من الاملاق الجوع بلغة لخم نحن نرزقكم واياهم وفي الاسراء
نحن نرزقهم واياكم فقيل هو من التفنن وقيل قال هنا من املاق خطابا للمفلسين الفقراء
اي لا تقتلوهم من فقركم بكم فحسن نحن نرزقكم ما يزول به املاقكم ثم قال واياهم
اي نرزقكم جميعا وقال هناك خشية املاق خطابا للاغنياء اي خشية فقر يحدث لكم
بسببهم فحسن نرزقهم واياكم فكان كل من الآيتين مفيدا معنى مستقلا قاله الكرماني
وابو حيان وابن جماعة وغيرهم وهذه الجملة اما معترضة من كلام تعالى بين المأمور بقوله
اولا وهي على تقدير فالنهي ذلكم وصاكم به في هذا الوصف من اللطف والرافة وجعلهم اوصياء
له تعالى ما لا يخفى من الاحسان وكرر الوصية في الآيات الثلاث على سبيل التوكيد وختم
الاولى بقوله لعلكم تعقلون والثانية بقوله لعلكم تذكرون والثالثة بقوله لعلكم
تتقون لان ما في الاولى من الخمسة ظاهرة ومناطها العقل قاله ابو حيان واشياء عظام
جسام فالوصية بها من ابلغ الوصايا فختم بما في الانسان من اشرف السجايا وهو العقل
الذي امتاز به عن سائر الحيوان قاله الكرماني وامور لا يحمل على تركها الا العقل الغالب
على الهوى اذ الاشراك بالله لعدم استعمال العقل الدال على توحيده وعظمة نعمه على عبيده
وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق احسانهما الى الولد بكل طريق وكذلك قتل
الاولاد من الفقر مع وجود الرازق الحي الكريم وكذلك اتيان الفواحش لا يقتضيه عقل

وقتل

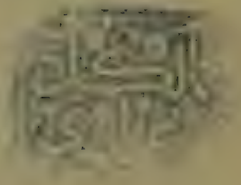
وقتل النفس لغيظ او غضب في القاتل فحسن لعلكم تعقلون قاله ابن جماعة واما الوصايا
التي في الآية الثانية فخفية غامضة لا بد فيها من الاجتهاد والذكر الكثير فختمت بتذكرون
قاله ابو حيان وقال الكرماني انها جارية مجرى الزجر والوعظ فحسن لعلكم تذكرون
مرددا اي فتتعظون بمواعظ الله وقال ابن جماعة انها متعلقة بالحقوق المالية
والقولية اي لعلكم تذكرون في انفسكم انه لو كان الايتام اولادكم وكنتم انتم
القابضين لانفسكم ما يكال او يوزن او المشهود عليه او المقول له او الموعود
الذي ترضونه لانفسكم فكما لا ترضونه لانفسكم لا ترضونه لغيركم واما الآية الثالثة
فمشتملة على ذكر الصراط المستقيم الجامع للتكاليف والتحريض على اتباعه وتركه مؤد الى
غضب الله والى عقابه فختم بالتقوى التي هي اتقاء النار وغضب الجبار قاله الكرماني
وقال ابن عطية لما كانت المحرمات الاول لا يقع فيها عاقل ختمت بالعقل والمحرمات
الاخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر ختمت بالتذكر وركوب الجادة
الكاملة تتضمن فعل الفضائل وتلك درجة التقوى فختمت بتتقون وقال
صاحب المناجاة يمكن ان يكون في الآيات الثلاث الاشارة الى احوال المكلف من اول
عمره الى آخره فان الانسان اول ما يتلقاه بعد الصبي وحصول البلوغ درجة العقل
والتكليف فاذا صار الى الكهولة صار في مرتبة التذكر لما علمه ولم يجر على مقتضى علمه
فاذا صار الى الشيخوخة فهو زمان العكوف على الاعمال الصالحة والتحرز عن الشبهات
والتوقي عن المكروهات وتلك مرتبة التقوى ولا تقربوا نهي عن جميع وجوه الاقتراب
بلفظ ابلغ اي لا تحوموا حوله فضلا عن ان تتناولوه وقد قدمنا غير مرة ان النهي
عن القربان ابلغ من النهي عن الاتيان مال اليتيم خصه بالذكر وان كانت اموال الناس
كلها ممنوعا منها لان الطمع فيه اكثر لضعفه وقلة مراعاته الا بالتي اي بالخصلة التي
هي احسن ايقل الحسنى التي هي حسنة اعتبارا للابلغ في حق اليتيم ولانه
لا يكفي في قربان ماله الحالة الحسنى بل الحسنى التي هي افضل من غيرها حتى يبلغ اشده
غاية من حيث المعنى لا من حيث التركيب اللفظي والمعنى احفظوا على اليتيم ماله الى
بلوغ اشده فادفعوه اليه لا نكلف نفسا الا وسعها لما كانت مراعاة الحد من القسط
الذي لا زيادة فيه ولا نقصان يجري فيها الحرج ذكر هذه الجملة لبيان ان ما
وراء الوسع معفو عنه وان الواجب في ايفاء الكيل والوزن القدر الممكن دون التحقيق
ثم هي اما معترضة او على تقدير القول كما تقدم في نحن نرزقكم واذا قلتم شامل للشهادة
والقضاء والحكم والامر والتوسط بين الناس وسائر وجوه القول ولو كان اي المقول
له او عليه وبعهد الله من اضافة المصدر للفاعل او للمفعول والمراد مطلق العهد
بين الناس واضافته الى الله من حيث انه امر بحفظه والوفاء به وتقديمه على العامل
للاهتمام به تذكرون بالتشديد والتخفيف وان بالكسر شددها استينافا والفتح

مشددا عطفا على معمول اتل او حرم ومخففا عطفا على ان السابقة وقرئ وهذا بدون
ان وهذا اشارة الى الاسلام او القرآن عم في هذه الآية بعد ما فصل في الآيتين
ليدخل فيه جميع ما تقدم وجميع شريعته صراطي قيل هو من كلام تعالى وقيل من كلام الرسول
ولا تتبعوا السبل اي الطرق المختلفة شامل لطرق الكفر وطرق البدع والاهواء
وطرق التحريم والتحليل الذي فعلوه على غير ما شرع الله آتينا ثم هنا للترتيب
الاخباري لا الزماني قال الزجاج اي اتل ما حرم ثم اتل آتينا او ثم قل آتينا او ثم اني
اخبركم انا آتينا وقال الحوفي ابتدئ ثم التلاوة اي نتلو عليكم قصة محمد ثم نتلو عليكم
قصة موسى وقال ابن عطية مهلتها في ترتيب القول الذي امر به محمد كأنه قال ثم مما
وصينا انا آتينا وقال الزمخشري عطف على وصاكم فان قلت كيف صح عطفه عليه
بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها
كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عطية محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل
ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا
هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله
ووهبنا له اسحاق ويعقوب تماما مفعول له او مصدر لا تممناه مقدرا على الذي
احسن اي من احسن تلقيه وقرأ ابن مسعود على الذين احسنوا وقرأ اي تماما للمحسنين وقرئ
احسن برفع النون قيل هو على حذف الواو من احسنوا وابقاء الضمة دالة عليها كقول
شاعره فلو ان الاطباء كان حولي ه اي كانوا وقيل خبر هو اي على الوجه الذي
هو احسن والطريق الذي هو اتم واكمل لعلهم بلقاء ربهم فيه التفات وهذا اشارة الى القرآن
كتاب انزلناه مبارك في الانبياء وهذا ذكر مبارك انزلناه بأخير الانزال لان ما هنا
رد لقول فنحاص ما انزل الله على بشر من شيء فبدأ بالانزال اهتماما به وآية الانبياء
في الذكر جاءت على الاصل من تقديم الوصف بالمفرد على الجملة قاله ابن جماعة قلت
وقال العناني ذكر لمناسبة قوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقال ابو حيان
لما كان الوصف بالانزال آكد من الوصف بالبركة قدم لان الكلام مع منكري الرسالة
وانزال الكتب الالهية وكونه مباركا عليهم هو وصف حاصل لهم منه متراخ عن الانزال
فلذلك تأخر وقال انزلناه دون منزل لما فيه من الاضافة الى نون العظمة المؤذنة
بالتعظيم والتشريف وفي انزلناه التفات عن الغيبة في ربهم فاتبعوه اي اوامره
ونهيه واتقوا الى نواهيه وقيل اتبعوا عام واتقوا مخالفته وقال التبريزي اتقوا
غيره فانه منسوخ قال وفي وصفه التوراة بالتمام اشارة الى ان الكلام التمام
يؤذن بانصرام ان تقولوا مفعول من اجله لانزلناه اي كراهية ان تقولوا او لئلا
تقولوا وقرئ بالغيبة دراستهم اعاد الضمير جمعا لان كل طائفة جمع ونظيره
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وتقولوا انتقال من الاحتجاج بحصر انزال الكتاب

على غيرهم وانه لم ينزل عليهم الى الاخبار عنكم على تقدير فقد جاءكم قال الزمخشري جواب
شرط محذوف اي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم فحذف الشرط وهو من
احاسن الحذوف فمن اظلم قيل جواب الشرط ايضا اي فان كذبتم بعد مجيء البينة
والهدى الواضح النير الذي لا شبهة فيه كذب قرئ بالتخفيف وصدف اي اعرض
واقترن الاعراض بالتي عن التكذيب ولذا علق الجزاء عليه وقرئ يصدفون بضم الدال
هل ينظرون الضمير عائد الى الذين ان تأتيهم بالتاء والياء الملائكة اي لقبض ارواحهم
اشارة الى الموت وهي القيامة الصغرى او يأتي ربك اي امره يوم البعث اشارة الى
القيامة الكبرى او يأتي بعض آيات ربك اشارة الى اشراط الساعة يوم يأتي بعض
آيات ربك اي طلوع الشمس من مغربها كما في الحديث زاد في حديث آخر والقمر لا ينفع
نفسا ايمانها فاعل اولا لاتصاله بضمير المفعول وقوله لم تكن آمنت من قبل صفة نفس
او كسبت في ايمانها خيرا جعله الزمخشري عطفا على آمنت واستدل به على ان الايمان
لا ينفع نفسا لم تكن كسبت في ايمانها طاعة كما هو مذهبه وهذا منه غلط وذهول عن
اساليب البلاغة بل الآية من باب علفتها تبنا وماء باردا على تقدير فعل مناسب للعطف
دعا الى حذفه الايجاز والتقدير ولا ينفع نفسا توبتها لم تكن كسبت في ايمانها خيرا
من قبل فافادت الجملة الاولى ان الايمان حينئذ لا يقبل من الكافر وافادت الثانية
ان التوبة حينئذ لا تقبل من العاصي والاحاديث مبينة لذلك اخرج الشيخان عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس
من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل
واخرج الترمذي والنسائي عن صفوان بن عسال عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الله جعل بالمغرب بابا عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله فذلك
قوله يوم يأتي بعض آيات ربك الآية واخرج [illegible] عن ابي هريرة مرفوعا من تاب قبل
ان تطلع الشمس من مغربها قبل منه واخرج احمد من حديث ابن عمرو مرفوعا لا تزال التوبة مقبولة
حتى تطلع الشمس من المغرب فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل وقرئ يوم
تأتي بعض بالفوقية على تأنيث بعض لاضافته الى المؤنث كما قرئ تلتقطه بعض السيارة
وقرئ لا تنفع نفسا بالتاء لاضافة الفاعل الى ضمير المؤنث قاله الزمخشري وقال النحاس لما
كان الايمان والنفس كل منهما مشتمل على الآخر انث الايمان اذ هو من النفس وقال ابو حيان
انث الايمان على معنى المعرفة او العقيدة مثل جاءته كتابي فاحتقرها على معنى الصحيفة وقرئ
يوم بالرفع على الابتداء والخبر لا ينفع والعائد محذوف اي فيه ان الذين فرقوا لما ذكر
تعالى ان الصراط المستقيم ونهى عن اتباع السبل واستطرد منه الى ذكر موسى وما انزل
عليه ثم ذكر القرآن وما اتصل به عاد الى وعيد من تبع السبل المختلفة وحاد عن سبيل
الله الواحد الحق تحذيرا لاهل القرآن ان يتفرقوا كما افترقت الطائفتان اهل الكتاب

قبلهم وفي قراءة فارقوا وقرئ فرقوا بتخفيف الراء لست منهم في شيء مبالغة في التبري والتباعد
والمباينة التامة ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون كناية عن المجازاة ثم بين كيفية المجازاة
على الاطلاق فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قال الماتريدي ليس على التحديد حتى
لا يزاد ولا ينقص بل على التعظيم اذ هذا العدد لم يخطر عند الناس وعلى التمثيل كقوله
عرضها السموات والارض وقال الزجاج دون من عمل لعلمه ان النظر الى ما ختم به وقبض عليه دون
ما وجد منه من العمل فكانه قال برحمته له بالحسنة وكذلك السيئة انتهى وما قاله اوله
كلامه مردود بل العدد مراد ثبت بذلك الاحاديث الكثيرة الصحيحة ابن جماعة وغيرهما
بعشر وفي البقرة بسبعمائة لان هذه في مطلق الحسنات وتلك خاصة في النفقة في سبيل
الله وقال ابن عطية هذه في الاعراب الذين آمنوا بعد الهجرة وتلك في الذين هاجروا روي
ذلك عن ابن عمر وابي سعيد الخدري ويحتاج الى اسناد قلت الاسناد موجود فقد اخرجه
عنهما ابن جرير واخرجه ابو الشيخ عن ابن عباس ايضا واخرجه ابن ابي حاتم عن ابي هريرة
ايضا وقد سقت اسانيدهم في ترجمان القرآن وانث عشر وان كان مثل مذكرا لانه
في تقدير عشر حسنات امثالها وقال الفارسي لاضافته الى الضمير المؤنث وقرئ عشر
بالتنوين امثالها بالرفع قل انني هداني ربي الآية لما تقدم ذكر الفرق امره تعالى بالاعلان
بالشريعة ونبذ ما سواها وان يخبر انه ليس من تلك الفرق بل هو على سبيل الحق واسند الهدى
الى ربه تدل على الاختصاص بعبادته اياه كانه قيل هداني معبودي لا معبودكم دينا نصب
باضمار دل عليه هداني او باضمار اتبعوا او الزموا او مصدر هداني على المعنى او بدل
من الى صراط على الموضع قيما بالتشديد والتخفيف ملة ابراهيم مناسب لما تقدم ذكره
في قصة المحاجة ولانه نبي تعظمه جميع اهل الاديان وما كان من المشركين رد لزعم الكفار
انهم على دينه قل ان صلاتي ونسكي اقتصر عليهما لانه لم يكن اذ ذاك شرع من العبادات سوى
الصلاة والنسك عبادة قديمة ان اريد به الحج وقيل المراد به الذبح كما قال فصل لربك وانحر
واختار ادة الذبح هنا بانه قد تقدم في السورة المجادلة في امر الذبيحة فامر ان يخبر
ان صلاته لله لا لغيره وذبحه على اسم الله لا الاصنام مخالفة للمشركين في الامرين ومحياي
قرئ ومحيي على لغة هذيل وانا اول المسلمين اي من هذه الامة وكذا قول السحرة ان كنا اول
المؤمنين اي من قوم فرعون قل اغير الله ابغي ربا تقدم وجه التقديم في اغير الله تدعون
ثم رأيت في حواشي الكشاف للشيخ سعد الدين ما نصه فان قلت لو كان التقديم في قل افغير
الله تامروني اعبد او اغير الله ابغي ربا للاختصاص لكان مدلول الكلام انكار اختصاص الغير
بالعبادة والربوبية وهو لا يفيد انكار الشركة بل ربما يفيد جوازها بناء على ما تقرر
عندهم من ان النفي اذا دخل في كلام فيه قيد توجه الى القيد خاصة وافاد ثبوت اصل
الحكم قلت ذاك انما يكون اذا اعتبر القيد اولا ثم نفي واما اذا اعتبر النفي اولا ثم
قيد علما والتعويل على القرائن فههنا اعتبر النفي والانكار ثم الاختصاص فكان لا اختصاص

الغير



الغير بالانكار يعني ان المنكر هو الامر بعبادة الغير الا ترى ان قولنا ما زيد ضربت
وما انا قلت هذا معناه ولكن ضربت غيره وقاله غيري فلو كان المنفي الاختصاص لكان
المعنى ولكن ضربته وغيره وقلته انا وغيري فان قوله وما هم بمؤمنين لتاكيد النفي لا
لنفي التاكيد انتهى ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
ولا تزر وازرة وزر اخرى تاكيد للجملة قبلها ثم الى ربكم الى آخره خبر اريد به الوعيد
والتهديد بتذكيرهم بعثه عليهم تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض الآية ابن جماعة
قال في فاطر خلائف في الارض لان ما هنا تقدمه امتنانات كثيرة فناسب الخطاب
لهم بلفظ التعريف الدال على انهم خلفاء وهنا لا يكون لهم فيه من التفخيم ما ليس في آية فاطر
حيث نكرها الخلائف في الارض فليس فيه من التمكن فيها والتصرف ما في قوله خلائف الارض
وقد قيل في هذه الآية من براعة الختام ما لم يقدر على مثله بشر فانها جمعت الاحوال
الثلاث المبدأ بقوله جعلكم خلائف الارض وضمن الاشارة الى الفراغ والانقضاء بلفظ خلائف
لما فيه من الاشعار بذلك ثم المعاش الدنيوي بقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات واشتملت
هذه الجملة على جميع المراتب بانواعها مالا ورزقا وصحة وقوة وحسنا وجاها وشرفا وعلما
واضدادها وذكر العلة في ذلك بقوله ليبلوكم فيما آتاكم وهو اشارة الى العبادات كما قال
ليبلوكم ايكم احسن عملا تضمنت الجملة الوسطى حال الانسان في الحياة دينا ودنيا ثم ختم بذكر
البعث الذي يظهر فيه اثر الابتلاء بالعقاب والثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور
رحيم فكما كانت السورة جامعة للامور الثلاثة على هذا الترتيب جاءت آية ختامها وحدها
جامعة لها على ترتيبها فسبحان من انزله معجزا باهرا لا تنقضي عجائبه ونوع الخطاب فانتقل من
خطاب الامة الى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وبدأ بوصف العقاب لمناسبة الآيات السابقة
فان غالبها تهديدات ولان حصول المغفرة متأخر عنه لمن عوقب من عصاة المسلمين ولمراعاة
الفاصلة ولم يقل معاقب ليتعادل الوصفان في بناء المبالغة واكد وصف المغفرة بلام التاكيد
دون وصف العقاب لان جانب الرحمة ارجح كما قال كتب على نفسه الرحمة كتب ربكم على نفسه
الرحمة سبقت رحمتي غضبي الكرماني لم يؤكد هنا وصف العقاب واكد في سورة الاعراف
لانه تقدم هنا ما يؤذن بالكرم والاحسان وهو من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الآيات فناسب
ترك التاكيد في جانب العقاب وفي الاعراف تقدم ما يؤذن بالغضب والعذاب من قوله واخذنا
الذين ظلموا بعذاب بئيس الآيات فناسب توكيد جانب العقاب واكد معه جانب الرحمة ايضا
رحمة للعباد ولئلا يترجح جانب الخوف على الرجاء وقال غيره لما كانت هذه الآية في هذه الامة
لم يؤكد جانب العقاب لفضلها وشرف نبيها المبعوث بالرحمة وتلك في بني اسرائيل فاكدها
لمناسبة استعصائهم وعتوهم وقال صاحب المناجاة يتجه حذف اللام هنا على ان السرعة
المشار اليها بحيث لا تحتمل دخول اللام وانه لا واسطة بين الارادة والوقوع وادخلها في
الاعراف لتتم المقابلة فان قلت انما لم يقل وسريع الغفران لتتم المقابلة لانه كان يحوج الى

ان يقال وسريع الرحمة فيطول الكلام وتفوت مراعاة الفواصل وايضا قد ورد سبقت رحمتي
غضبي فلما قال سريع العقاب استشعر من ذلك ان يكون اسرع في الغفران فلو قيل سريع الغفران
في مقابلة سريع العقاب لاوهم التماثل بينهما فاتى فافاد بالاداة المذكورة كونه اسرع
في الغفران وانه ارحم الراحمين

سورة الاعراف

اقول مناسبة وضع هذه السورة عقب سورة الانعام فيما الهمني الله سبحانه ان سورة الانعام
لما كانت لبيان الخلق وقال فيها هو الذي خلقكم من طين وقال في بيان القرون كم اهلكنا من
قبلهم من قرن واشير فيها الى ذكر المرسلين وتعداد كثير منهم وكانت الامور الثلاثة على
وجه الاجمال لا التفصيل ذكرت هذه السورة عقبها لانها مشتملة على شرح الامور الثلاثة
وتفصيلها فبسط فيها قصة خلق آدم ابلغ بسط بحيث لم يبسط في سورة ما بسطت فيها
وذلك تفصيل اجمال هو الذي خلقكم من طين ثم فصلت قصص المرسلين وامهم وكيفية هلاكهم
تفصيلا تاما شافيا مستوعبا لم يقع نظيره في سورة غيرها وذلك بسط حال القرون
المهلكة ورسلهم فكانت هذه السورة شرحا لتلك الآيات كما كانت سورة الانعام تفصيل
قوله لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير وايضا فذلك تفصيل الثلاث
قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض ولهذا صدر السورة بخلق آدم الذي جعله في
الارض خليفة وقال في قصة عاد جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وفي قصة ثمود
جعلكم خلفاء من بعد عاد وايضا وجه ارتباط اول هذه السورة بآخر ما قبلها هو انه قد
تقدم وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه وافتتح
هذه السورة ايضا بالامر باتباع الكتاب في قوله كتاب انزلناه اليك الى قوله اتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم وايضا فلما تقدم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون قال في مفتتح هذه فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين
فلنقصن عليهم بعلم وذلك شرح التنبيه المذكور وايضا فلما قال من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها الآية وذلك لا يظهر الا في الميزان افتتح هذه بذكر الوزن فقال والوزن يومئذ
الحق ثم ذكر من ثقلت موازينه وهو من زادت حسناته على سيئاته ثم من خفت وهو من زادت
سيئاته على حسناته ثم ذكر بعد ذلك اصحاب الاعراف وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم
وايضا المناسبة بين مطلع السورة وختامها فانه ذكر في اولها كتاب انزل اليك وقال
في آخرها ان وليي الله الذي نزل الكتاب وقال فلا يكن في صدرك حرج منه وقابله بقوله
واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فارشده الى ما يصنع
اذا حصل في صدره نوع من الحرج وقال وذكرى للمؤمنين وللكفار قليلا ما تذكرون وقابله
في آخر السورة بقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون

ولخواتم

واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون فذكر تذكر المؤمنين وعدم تذكر الكافرين
وقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء وقابله في آخرها بقوله
واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي فانظر الى هذا
التوافق بين اول السورة وآخرها وقال في اولها ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال في
آخرها واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول ولما افتتح صدر
السورة بانه خلقهم ثم صورهم ثم امر الملائكة فسجدوا لآدم ذكر في خاتمتها انه خلقهم من نفس
واحدة وجعل منها زوجها وذكر تغشيه لها وحملها منه وذكر قبل ذلك استخراجهم من ظهر ابيهم
آدم واخذ الميثاق عليهم وذلك قبل تغشيه لحواء وحملها بالاولاد على ترتيب ذكر خلقهم وتصويرهم
ثم قبل سجود الملائكة لآدم اشارة الى خلق الارواح قبل الاجساد ولما ذكر اول السورة
استكبار ابليس عن السجود ختم السورة بان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
وله يسجدون فطابق آخر السورة اولها والتأم مقطعها مع مطلعها فالحمد لله على ما الهم
المص قيل معناه الم نشرح لك صدرك بدليل فلا يكن في صدرك حرج والحرج قيل هو الشك فالخطاب
له والمقصود امته اي فلا تشكوا فيه وقيل الضيق واسند النهي اليه وان كان معناه نهي
المخاطب عن التعرض للحرج لانه ابلغ لما فيه من ان الحرج لو كان فيما نهي لنهيناه عنك فانته
انت عنه بعدم التعرض له ولان فيه تنزيها له صلى الله عليه وسلم عن ان يواجه بالنهي لان
ما انزله اليه يناسب ان يسر به وينشرح له صدره لما فيه من تخصيصه بذلك وتشريفه
حيث انزل عليه كتابه وجعله سفيرا بينه وبين خلقه عنه قال ابن عطية هو عام في جميع الجهات
التي هي من سبب الكتاب ولاجله وذلك يستغرق التبليغ والانذار وتعرض المشركين وتكذيب
المكذبين وغير ذلك لتنذر متعلق بانزل وجملة فلا يكن الى آخره معترضة وقيل متعلق
بيكن فلا اعتراض وذكرى مجرور عطف على لتنذر او منصوب حملا على المحل او بتذكر مقدرا
او مرفوع عطفا على كتاب للمؤمنين حذف من لتنذر به مقابله اي الكافرين والمخاطب
الرسول بانزال الكتاب اليه لينذر به ويذكر امر الامة باتباعه فقال اتبعوا ما انزل
اليكم وقرئ ابتغوا ولا تبتغوا من الابتغاء وقال ابن جرير انه على تقدير قل فحذف
لدلالة لتنذر عليه تذكرون بالخطاب والتشديد وبه والسكون وتتذكرون بتائين و
يتذكرون بياء ثم تاء وقرئ يذكرون بياء والتشديد وضم على الاخيرين اللغات وكم من
قرية الآية فيه حذف مضاف لقوله او هم قائلون اي اهل قرية او تقدير لعله اي اهلكنا
اهلها او حملا على اهلها وقرئ اهلكناهم مجازهم فالتقدير قيل قرية لا غير وفي اهلكناها اللغات
ان لم يكن اتبعوا على تقدير هل وفيه تجوز اي اردنا اهلاكها ليصح تعقيب مجيئها بالفاء او لا
تجوز على ان الفاء تفسيرية اذ مجيء البأس هو الاهلاك واو للتنويع وخص هذين الوقتين لانهما
وقتان للسكون والدعة والاستراحة فمجيء العذاب فيهما افظع واشق ويكون بغتة دعواهم
استغاثتهم فلنسألن الى آخره ورد الانتقال من جانب جبريل لانه كان امين الله الى

رسله ولما ذكر السؤال والحساب الذي هو الغرض المعبر عنه بقوله فلنقصن الى آخره وهو
ان يقال للرجل فعلت كذا في يوم كذا قلت كذا في يوم كذا اجئ بأي عمل آخر ما فعله وقال في
ديباجة عقبه بالوزن لانه يعقبه في الموقف فقال والوزن يومئذ الحق ثم قسم الناس الى من
ثقل موازينه وحكم لهم بالفلاح ومن خفت وحكم لهم بالخسران وسكت عمن استوت هنا وذكره
بعد صدر السورة وانهم موقوفون مع الطمع وجمع الموازين والميزان واحد على انه جمع
موزونات وهي الحسنات لا ميزان وقوله يظلمون بمعنى يكذبون او يجحدون فعداه بالباء ان
كانت الاية في الكفار وان كانت في عصاة المؤمنين وهو الارجح فالظلم على بابه والبا للتقوية
لتقدم المعمول على العامل مثل ان كنتم للرؤيا تعبرون اما الكفار فلا ينصب لهم ميزان
ولقد مكناكم عود الى المخاطبين بانبعاث تذكيرا لهم بالنعم وتخاطبهما او رد مورد الاعتبار
والاتعاظ بذكر ما آل اليه امرهم في الدنيا وما يؤول اليهم في الآخرة ثم ذكرهم بنعمة الايجاد
فقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم فالخلق الاخراج من العدم الى الوجود والتصوير
الابراز في هذه الصورة البديعة ثم قيل الخطاب بالجملتين لبني آدم وثم في الثالثة
للترتيب الاخباري والخلق في الاصلاب والتصوير في الارحام او الخلق للارواح و
التصوير للاجساد وقيل الخطاب بهما لآدم لان العرب تخاطب الواحد العظيم بخطاب
الجمع وثم على بابها وقيل الخطاب في الاولى لآدم وفي الثانية لذريته وثم الثالثة للترتيب
الاخباري وقيل على بابها على ان التصوير في صلبه يوم اخذ الميثاق وقيل هو من تلوين الخطاب
يخاطب الغير ويراد به الغير فيكون الخطاب لبني آدم والمراد آدم كقوله واذ انجيناكم
من آل فرعون فاخذتكم الصاعقة واذ قتلتم نفسا خوطب به من كان في عصر الرسول
من بني اسرائيل والمراد اسلافهم لم يكن من الساجدين جملة مؤكدة لمعنى ما اخرجه الاستثناء من
نفي سجوده ابن جماعة فان قيل ما سبب اختلاف الالفاظ وزيادة المعاني ونقصها في بعض
قصص آدم دون بعض وكذلك سائر القصص كقصة نوح وهود وموسى وغيرهم قلنا
اما اختلاف الالفاظ فلان المقصود المعاني لان الالفاظ الدالة عليها اولا لم تكن باللسان
العربي بل بألسنة المخاطبين حالة وقوع تلك المعاني فلما اديت تلك المعاني الى هذه
الامة اديت بالفاظ عربية تدل على معانيها مع اختلاف الالفاظ واتحاد المعنى فلا فرق
بين ابى ان يكون مع الساجدين وبين لم يكن من الساجدين في دلالتهما على معنى واحد وهو
عدم السجود وكذلك لا فرق في المعنى بين ما لك ان لا تسجد وما منعك ان تسجد لان [illegible]
واما زيادة المعاني ونقصها في بعض دون بعض فلان المعاني الواقعة في القصص فرقت
في ايرادها فذكر بعضها في مكان وبعضها في مكان آخر ولذلك عدة فوائد انتهى وقد
ذكرت فوائد تكرير القصص في نوع الاطناب من كتاب الاتقان فلينظر منه ونقل الكرماني
الجواب المذكور في نكتة الاختلاف عن بعضهم ثم قال وهذا جواب حسن لو رضي به
كقوله النهر الى البحر وقال صاحب المناجاة الاشبه ان اختلاف المقامات في ايراد

القصص

القصص يقتضي اختلاف الالفاظ والمعاني في اداءها وان كانت قصة واحدة قال
فيه التفات عن التكلم ما منعك زاد في ص يا ابليس قال الكرماني لان خطابه هنا
قريب من ذكره فحسن حذف النداء والمنادي وفيها بعد فزيادة لفظ استكبرت ولفظ ابى
وقال صاحب المناجاة لما صرح هنا بدعوى الخيرية ترك هذا تحقيرا لقدره ولذلك
ما صرح بذكر الاستكبار هنا وفي ص شدد عليه في الانكار بقوله ما منعك فيهما
لدلالته على الاستشعار بفعل ما ارتكبه وفي الحجر لما لم يصرح به قال ما لك فانه
لا يشعر بالاستشعار بفعل ما ارتكبه لامكان ادعا النسيان وجوازه ووقوعه منه
الا تسجد في ص ان تسجد قيل لا هنا زائدة للتوكيد والتحقيق وقيل غير زائدة على تضمين
ما منعك معنى ما دعاك او ما الجأك او من امرك او على تقدير محذوف اي فاحرجك الكرماني
لما حذف هنا يا ابليس واقتصر على الخطاب جمع بين لفظ المنع ولفظ لا زيادة في النفي واعلاما
بان المخاطب به ابليس قال وان شئت قلت جمع في هذه السورة بين ما في ص وما في الحجر
فقال ما منعك ان تسجد ما لك ان لا تسجد فحذف ان تسجد من الاول وما لك من الثاني لدلالة
الحال ودلالة السورتين فبقي ما منعك ان لا تسجد وهي لطيفة فاحفظها قلت فيه على
هذا احتمال وقال صاحب المناجاة استعمل مع ما منعك ما استعمل مع ما لك ليدل
على ان التنويع في المقامين على وتيرة واحدة او يقال في ان لا تسجد صول تخصيص
على السجود كقولهم هلا تنزل والا تنزل وخص بهذه الزيادة سورة الاعراف لكونها
اطول من السورتين قال انا خير الى آخره كذا في ص وفي الحجر لم اكن لاسجد فزاد لفظ الكون
لزيادته في قوله ما لك الا تكون قاله الكرماني وقال صاحب المناجاة المنكر عليه
في الحجر امران تخلفه عن الساجدين وترك السجود فاجاب بما يطابق الامرين والمنكر
هنا ترك السجود وحده فاجاب بجواب يطابقه وزاد في الحجر لفظ لبشر ايماء الى
انه ملك والملك اعلى درجة ومقاما فقال تعالى في الكهف الا ابليس كان من الجن ردا
لدعواه الملكية قال فاهبط ابو حيان لما كان امتناعه من السجود بسبب تعظمه وتفو قه
على آدم عند نفسه قابله الله بالهبوط المشعر بالنزول من علو الى سفل منها لم يتقدم
مرجع الضمير فقيل من الجنة وقيل من السما فما يكون لك ان تتكبر فيها قيل التقدير ولا في غيرها
فحذف اكتفاء لان التكبر منهي عنه في كل مكان فاخرج تاكيد بتكرار المرادف قال
انظرني في الحجر وص رب فانظرني فزاد رب والفا قال الكرماني لانه لما اقتصر هنا
في السؤال على الخطاب وحذف النداء اقتصر في الجواب على ذلك ايضا وداعية الكلام
ما تضمنه النداء من ادعوا ادعوا انا ذي نحو ربنا فاغفر لنا اي ندعوك فاغفر وكذلك داعية
الواو نحو ربنا وآتنا فابقتهما مع النداء وتركهما مع تركه وناسب قوله انك من المنظرين تركهما
وفاتك هناك اثباتها وقال الامام وغيره الظاهر هنا وقع مستأنفا غير مقصود به
التسبب عما قبله فلا وجه للفاء وكذا انك من المنظرين خبر مستأنف لا جواب

مسبب عن السؤال وحيث جا بالفا فهو سبب عما قبله اي ان اخرجتني فانظرني ولما
جا بالفا آب فانك من المنظرين عطف كلام على كلام لا عطف جواب على سؤال الى يوم يبعثون
اي الخلق راجع الى غير مذكور لدلالة ادم عليه قال انك من المنظرين اي سبق علمنا انك
من هذه الطائفة تحقيرا له عن ان يجاب سؤاله بنعم او وقعا انظرتك او انك منظر لما فيه
من الاسعاد بالاجابة والاكرام فاخبر بما يدل على انه لم يتم له ذلك اجابة وانما ذلك
حكم حكم له به في الازل في جملة من حكم له بذلك فبما اغويتني البا قسمية لتلقيها باللام
وقيل سببية وما مصدرية فيهما وقيل استفهامية عن الثاني الكرماني قال في الحجر
رب بما اغويتني مطابقة لما قبله في الندا وحذفه هنا مطابقة لما قبله في حذفه وزاد
هنا الفا العاطفة ليكون الثاني مربوطا بالاول ولم يدخل في الحجر اكتفا بمطابقة
الندا انتهى وقوله في ص فبعزتك يوذن ان البا هنا قسمية ومعنى فبما اغويتني
يول الى معنى فبعزتك صراطك نصبا ما بنزع على او تضمين لاقعدن معنى لالزمن ثم
لآتينهم الآية ابو حيان اتيانه من هذه الجهات الاربع كناية عن وسوسته واغوائه والجد في
اضلاله من كل وجه يمكن ولما كانت هذه الجهات الاربع ياتي منها العدو غالبا ذكرها وقال
ابن عباس لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل من فوقهم اخرجه ابن جرير وقال ابو حيان
ولا من تحتهم لان فيه توحشا الزمخشري فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف
الابتدا وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل تعديته
الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة توخذ
ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون عن يمينه وعلى يمينه
وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى
عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم
كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره وقالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان
للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل
تريد بعض الليل وقال ابو حيان انما خص بين الايدي والخلف بحرف الابتدا الذي
هو امكن في الاتيان لانهما اغلب ما يجي العدو منهما فينال فرصته وقدم الايدي لانها الجهة
التي تدل على اقدام العدو وبسالته في مواجهة قرنه غير خائف منه والخلف جهة غدر ومخاتلة
وخص الايمان والشمائل بحرف المجاوزة لانهما ليسا باغلب ما ياتي منهما العدو وانما يتجاوز
اتيانه الى الجهة التي هي اغلب في ذلك وقدمت الايمان لانها الجهة القوية في ملاقاة العدو
وبالايمان البطش والدفع فالقائي من جهتها ابسل واشجع قال اخرج منها مذؤوما مدحورا
قال الكرماني لا نظير له في القرآن لانه سبحانه لما بالغ في الحكاية عنه في قوله لاقعدن لهم الى قوله
بالغ في ذمه بذلك اذ الذام اشد الذم ابو حيان امره بالهبوط اولا ثم امره بالخروج معقبا بانه
ذو صغار وخروجه مقيدا بالذام والطرد وقرئ مذوما بلا همز مسهلا من المهموز لمن لام

ابتدا او من موصولة وقرئ بكسر اللام على معنى لمن تبعك منهم وعيد شديد فحذف المبتدا
بدلالة لاملان الى آخره عليه وقيل متعلقة بذ وما مدحورا اي لاجل اتباعك منكم اي
منك وممن تبعك تغليب للخطاب على الغيبة ويا آدم اسكن فيه طباق مع ما قبله فوسوس
لهما قال ابو حيان اي فعل الوسوسة لاجلهما والموسوس اليه لمعناه التي الوسوسة اليه
ووري قرئ اوري بابدال الواو همزة وقرئ وري بوزن كسي سواتهما قرئ بالافراد
وقال بيان للوسوسة الا ان تكونا اي كراهة ان ملكين قرئ بكسر اللام ويؤيده هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى واستدل الزمخشري بالقراءة المشهورة على تفضيل الملك
على البشر فقال فيه دليل على ان الملائكة بالمنظر الاعلا وان البشرية تلمح مرتبتها و
قال ابن فورك لا حجة فيها لاحتمال ان يريد ملكين في ان لا شهوة الطعام واقول
لا زال اتعجب ممن اخذ يستدل بهذه الآية والكلام الذي فيها حكاه الله عن قول ابليس
في معرض المنادي عليه بالكذب والغرور والزور والتدليس وانما يستدل من
كلامه تعالى وكلام حكاه عن بعض انبيائه او ان لم يكن كذلك فكلام حكاه ورضي به
معتدا له وقاسمهما اي اقسم لهما فاعل للمبالغة لان من المشاركة وعبر به لانه اجتهد في
قسمه اجتهاد المقاسم وقيل على بابه على جعل قبول المحلوف له كالقسم وقرئ وقاسمهما
بالله فدلاهما بغرور استعارة جعل من يختبر بالكلام حتى يصدق فيقع في مصيبة كالذي
يدلى من علو الى سفل بحبل ضعيف فينقطع به فيهلك قال الازهري لهذه الكلمة اصلان احدهما
ان الرجل يدلي دلوه في البئر لياخذ الماء فلا يجد فيها ما فوضعت التدلية موضع الطمع
فيما لا فايدة فيه فيقال دلاه اي اطمعه الثاني جرأهما على اكل الشجرة والاصل فيه
دللهما من الدال والدالة وهي الجراة فابدلت من المضاعف الاخير حرف علة وطفقا
قرئ بفتح الفا يخصفان قرئ بضم اوله من اخصف بمعنى خصف وقرئ بفتح اوله وكسر
الخا وتشديد الصاد وقرئ كذلك بفتح الخا وقرئ بضم اليا وفتح الخا وتشديد الصاد
من خصف وقرئ كذلك بفتح الخا ايضا عليهما قال ابو حيان ان جعل الضمير لادم وحوا
لزم منه تعدي يخصف اليه محلا وقد رفع الضمير المتصل وهو الالف الواقع على آدم
وحوا وفي ذلك جعل الفاعل والمفعول ضميرين لمسمى واحد وذلك لا يجوز الا في باب
ظن وفقد ووجد وعدم فاما ان يقدر مضاف اي على بدنيهما او يعود الضمير على
عورتيهما لدلالة سواتهما وناداهما ربهما الم انهكما ابو حيان لما كان وقت الهنا
صرح باسمه تشريفا فقال ويا آدم اسكن وحين كان وقت العتاب اخبر انه ناداه ولم
يصرح باسمه والندا دعا الشخص باسم العلم او نوعه او وصفه والم انهكما تقرير
فيه عتاب وتنبيه على موضع الغفلة عن تلكما الشجرة ابو حيان لما كان
في حال القرب قال لهما ولا تقربا هذه الشجرة فاشير الى الشجرة باللفظ الدال على القرب
ولما وقعا الخطيئة قال تلكما الشجرة فاشير اليها باللفظ الدال على البعد للبعد عن مكان

الشجرة وهو الجنة انذاراً له بالخروج منها وقرأ ألم ننهكما عن تلكما الشجرة وقيل لكما قالا ربنا الآية قال الزمخشري سميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات وقال ابن عطية اعترفا وطلبا التوبة والستر والمغفرة والرحمة وطلب ابليس النظر ولم يطلب التوبة فوكل الى رأيه وقال غيره سعد آدم بخمسة اشياء اعترف بالمخالفة وندم عليها ولام نفسه وسارع الى التوبة ولم يقنط من الرحمة وشقي ابليس بخمسة لم يقر بالذنب ولم يندم ولم يلم نفسه بل اضاف الغواية الى ربه وقنط من الرحمة ولم يطلب التوبة قال فيها تحيون الآية كالتفسير لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ولذلك جاء قال بغير واو لان الاكثر في كلام العرب اذا لم تكن الجملة تفسيرية او كالتفسيرية ان تعطف على الجملة قبلها وتم هنا المقصود بالتنبيه على البعث والنشور وهذا كالغاية في براعة ختام قصة آدم ولما كان صدرها مفتتحا بالتنبيه على نعمة الايجاد وبعد ذكر نعمة التمكن في الارض وجعل المعايش عاد الى التذكير بنعمة اخرى فقال يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اول هذه السورة نظير سورة البقرة من وجه وذلك ان كلا منهما افتتح بذكر الكتاب ولما كانت تلك مدنية والمؤمنون بها اكثر وصف فيها بانه هدى للمتقين ولما كانت هذه مكية والكفار بها اكثر وصف فيها بقوله لتنذر به والانذار يليق بالكافرين ثم فيها اشتمل الى ذكر نعمة الايجاد والمعايش واستطرد الى قصة خلق آدم ثم اقبل بعد فراغها على الكفار يخاطبهم ولما كانت تلك مدنية وكفارها يهود قال يا بني اسرائيل لانهم اهل كتاب وهذه مكية وكفارها المشركون فقال يا بني آدم فشرف اولئك بذكر ابيهم اسرائيل لانهم اهل كتاب ونسب هؤلاء الى الجد الاعلى وهو آدم الذي يشترك في النسبة اليه الناس كلهم لشركهم وعادة العرب اذا اعظم نسبت الى الجد الاقرب والاشهر واذا لم تعظم نسبت الى الجد الابعد والاخفى ثم ظهر لي ان هذه السورة كالمتممة لسورة الانعام فهي منها بمنزلة سورة آل عمران من البقرة فلما كانت العرب تحرم انواعا من المأكل وانواعا من الملبس وهو اللباس حالة الطواف ذكر في سورة الانعام الرد عليهم في تحريم المأكل اذ هو اطلب عبادة وقدم اهتماما به وذكر في هذه السورة الرد عليهم في تحريم الملبس لانه كالفضلة بالنسبة الى المأكل الذي به قوام الحياة فلذلك اخر وتخلص اليه من قصة نزع لباس آدم وحوا الذي هو من وسوسة الشيطان اشارة الى ان تحريمهم من اللباس ما لم يحرمه الله من وساوس الشيطان ولذلك قال بعد لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما الى آخره وقال انه يراكم الى آخره للاشارة الى انه عدو ضار فيما وسوس اليهم من التعري حال الطواف لبركة هو وقبيله سواآتهم ويسخر منهم وافتتح هذه الآية بانزلنا عليكم لباسا للاشارة الى انه منزل لباس الناس وخالقهم فلا مرجع في التحريم والتحليل الا اليه لانه الخالق

بان

بانه الخالق لذلك المالك بل انزلنا لباسا من باب التدريج لانه انما انزل المطر والنبات عنه ثم اللباس وهذا يسمى مجاز المجاز وقيل انزلنا بمعنى خلقنا كقولهم وانزل عليكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد لان خلق الله وفعله عال في القدر والمنزلة وريشا قال الزمخشري هو لباس الزينة استعير من ريش الطائر لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم وريشا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال قلت وبوتيه حديث الحمد لله الذي كساني من الرياش ما اتجمل به في الناس وقيل هو ما يستر من لباس ومعيشة فيكون مناسبا لقوله ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش وقرئ ورياشا وفسره ابن عباس بالمال ولباس التقوى بالنصب عطفا والرفع مبتدأ خبره ما بعده ثم قيل المراد بالتقوى الة الحرب ولباسه الدرع والمغفر ونحو ذلك فتكون الآية جامعة لانواع الملابس الثلاث وذكر مثله في سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم وقيل التقوى على ظاهرها من تقوى الله ولباسها قيل ما يخشى من اللباس وقيل ساتر العورة وفيهما تكرار وقيل ما ادخر في الآخرة وقيل العفة والعمل الصالح وقيل ما يحدث عنها من حسن السمت والسكينة والخشوع وهو الانسب فيكون هذه الآية في جمعها اللباسين نظير آية وتزودوا فان خير الزاد التقوى خيرا سقط ذلك والاشارة به للقريب تعظيما على قراءة الرفع وبذلك الثانية للمجموع على بابها وفي لعلهم يذكرون التفات عن الخطاب يا بني آدم الالتفات عن الغيبة لا يفتننكم الشيطان صورته نهي الشيطان والمقصود نهيهم انفسهم عن الاصغاء اليه والطواعية لامره على حد قول العرب لا اريتك هنا صورته نهي المتكلم نفسه عن الرؤية ومعناه نهي المخاطب عن الاقامة بحيث يراه وقريب منه فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقرئ بضم الياء من افتن وقرئ لا يفتننكم بغير نون تاكيد كما في محل نصب اي فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم ينزع حكاية حال ماضية وفيه الاسناد الى السبب انه تعليل للنهي وتحذير من فتنته وضميره للشيطان وقال الزمخشري للشان وقبيله عطف على الضمير المستتر في يراكم وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان وقيل مفعول معه لا ترونهم قرئ لا ترونه اعادة له على الشيطان وحده لانه راسهم وهو متبع له او عليه وعليهم اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة واذا فعلوا فاحشة كطواف عراة لان الآية نزلت في ذلك وهو المقصود الذي سيق له الكلام ونكرت في سياق الشرط لتعم لان ذلك كان شانهم في كل فاحشة كالشرك وتحريم البحائر والسوائب وما شابه ذلك وفي فعلوا التفات عن الخطاب وقال ابن عطية واذا فعلوا وما بعده داخل في صلة الذين لا يؤمنون وهو وصف حسن في الربط قل ان الله الى آخره رد عليهم نسبتهم ذلك الى الله دون تقليد ابائهم لظهور بطلانه لكل احد قل امر ربي بالقسط هذا ابطال لما ادعوه من ان الله امرنا بها واقيموا عطف على ما قبله لانه في تقدير قل اقسطوا وقيل في مقدر اي فاقبلوا

واتقون في جمعها الزاد ... وقرئ ولبوس التقوى وقرئ ولباس التقوى

واقامة الوجه عند كل مسجد كناية عن الاخلاص لله عند كل صلاة شئ وجهت وجهي والاطلاق
المسجد على الصلاة مجاز من اطلاق المحل على الحال كما بداكم تعودون اعلام بالبعث الزمخشري
احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتدا الخلق والمعنى يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا
له العبادة فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة تفصيل للخلق في الابتدا والاعادة واعلا
بان من كتب له السعادة والايمان او الشقا والكفر في الدنيا هم اهل ذلك في الاخرة لا يتبدل
في ما احكمه فعبر يقا حال وهدى صفته ويؤيده قراءة ابي تعودون فريقان فريقا
هدى الى اخره وبذلك تعرف وجه تقديم فريقا ويسقط سؤال ان تقديم المعمول
يوذن بالاختصاص لانتفا كونه معمولا وجا اسناد الهدى الى الله ولم يجى مقابله وفريقا
اضل لان المساق مساق من نهى عن ان تفتنه الشيطان ولخبار ان الشيطان اوليا
الذين لا يؤمنون وان الله لا يامر بالفحشا فناسب هذا المساق ان لا ينسب اليه تعالى
الضلال وان كان الكل منه كما اشير اليه بلفظ حق عليهم الزركشي في البرهان قال حق عليهم
الضلالة وفي النحل ومنهم من حقت عليه الضلالة بالتانيث لوجهين لفظي وهو كثرة حروف
الفاصل في اية الاعراف والحذف مع كثرة الحواجز اكثر ومعنوي وهو ان من في قوله
من حقت راجعة الى الجماعة وهي مؤنثة لفظا بدليل ولقد بعثنا في كل امة رسولا ثم قال
ومنهم من حقت اي من تلك الامم ولو قال ضلت لتعينت التا والكلامان واحد واذا كان معناهما
واحدا كان اثبات التا احسن من تركها لانها ثابتة فيما هو من معناه واما فريقا هدى الاية
فالفريق مذكر ولو قال فريقا ضلوا لكان بغير تا وقوله حق عليهم الضلالة في معناه فجا
بغير تا وهذا اسلوب لطيف من اساليب العرب ان يدعوا حكم اللفظ الواجب في قياس لغتهم
اذا كان في مرتبة كلمة لا يجب لها ذلك الحكم انتهى انهم تعليل لكون الضلالة حقت عليهم
ويحسبون انهم مهتدون وهو واضح في التعليل يا بني ادم خذوا فيه التفات عن الغيبة وبدي باللباس
قبل الاكل والشرب لان مساق الكلام فيه فهو اهم وهذه الاية من اعظم اي القران انجازا
قال بعضهم جمع الله الحكمة في شطر اية وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وفي العجايب للكرماني
قال طبيب نصراني لعلي ابن الحسين ليس في كتابكم من علم الطب شي والعلم علمان علم الاديان
وعلم الابدان فقال له علي جمع الله الطب في نصف اية من كتابه وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
فقال الطبيب ما ترك كتابكم لجالينوس طبا وقال بعض العلما جمعت هذه الاية اصول
الاحكام الامر بقوله خذوا زينتكم عند كل مسجد والاباحة بقوله وكلوا واشربوا والنهي
بقوله ولا تسرفوا والخبر بقوله انه لا يحب المسرفين قل من حرم استفهام انكار وتوبيخ
للمحرمين وقدم انكار تحريم الزينة على تحريم الماكل لانه مقصد السورة قال ابو حيان
واذا كان الاستفهام متضمنا للانكار فلا جواب له وقوله قل هي للذين امنوا في الحياة قيل
متعلق بامنوا فيكون مقصد الاية الاخبار بانها في الاخرة لمن امن في الدنيا وقيل خبر هي
فيكون كانه لهم في الدنيا مشوبة بالنقص او بالمشاركة وخالصة لهم في الاخرة وخالصة

بالرفع

بالرفع خبر وبالنصب حال وعلى التاويل الثاني قال الكرماني التقدير هي للمؤمنين والكافرين
في الدنيا خالصة للمؤمنين يوم القيامة لا يشاركون فيها قال الزمخشري التقدير هي غير
خالصة للذين امنوا في الدنيا خالصة لهم يوم القيامة قال التبريزي وانما ترك ذكر
الكافرين اشارة الى انها في الدنيا بطريق الاصالة والاستحقاق للمؤمنين وان الكافر
فيها بطريق التبع لهم قل انما حرم ربي الاية لما ابطل ما ادعوه من التحريم ونسبوه الى
الله اخذ يبين ما حرم الله معارضة فهو في مقابلة ما تقدم نظيره قل تعالوا اتل ما حرم
في مقابلة ما تقدمه من تحريم الانعام والحرث ما ظهر منها وما بطن قال التبريزي
هو طوافهم عراة بالنهار وبالليل وهو وان كان مناسبا للمقام لكن مع ارادة العموم
الشامل لذلك ولغيره على حد ما تقدم في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه والاثم
عام في الافعال والاقوال التي يترتب عليها الاثم والبغي شامل للظلم والكبر وافراده
بالذكر اهتماما بشانه بغير الحق بيان للواقع اذ ما كان بحق لا يسمى بغيا وان تشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا قال الزمخشري فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك
به غيره وان تقولوا على الله ما لا تعلمون شامل للتحريم ما لم يحرم وغيره ولكل امة اجل
هذا وعيد لاهل مكة بحلول العذاب في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم قبلهم فاذا جا
اجلهم قرئ اجالهم الكرماني دخلت الفا في فاذا لانها جملة عطفت على جملة بينهما اتصال
وتعقيب وحذفت في يونس لان التقدير فيها لكل امة اجل فلا يستاخرون اذا جا اجلهم
وقال صاحب المناجاة انهم هنا لكل امة اجل مقام الشرط وفاذا جا مقام الجزا وهناك
اذا جا شرط وفلا يستاخرون جزاؤه قالا وبقال اجل فاذا جا هنا كالنتيجة لما قبله
فقرن بالفا قلت هو معنى ما قاله الكرماني هنا وفي يونس من جعل ما هناك على التقديم
والتاخير وان فلا يستاخرون حينئذ هو النتيجة لا يستاخرون ساعة خصها لانها اقل
الاوقات ولا يستقدمون قيل لا يتصور التقديم بعد مجي الاجل واجيب بتاويل جا
بمعنى قرب مجيئه وقال ابو حيان هو منقطع من الجواب على سبيل الاستيناف اي وهم
لا يستقدمون الاجل قبل مجيئه ولهذا يسقط سؤال صاحب المناجاة لم قدم الاستئخار
مع ان الاستقدام مقدم وتمحله في توجيهه يا بني ادم اما ياتينكم رسل
قيل هذا الخطاب في الازل وقيل مراعى به وقت الانزال وجاز بصورة الاستقبال للتقوية
الاشارة الى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعندي لانه الذي خوطب به ادم في قوله
قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى الايتين وهي خالصة وسطى لا في
الانزال ولا وقت الانزال ويقويه ذكره عقب قصة ادم واما يوافق الموضعين
اولى وانما فصل بينه وبين اهبطوا انما لقصة اللباس التي هي من مقاصد السورة فحسن
التخلص اليها من نزع لباس ادم وحوا ولذا اعاده في اثنا القصة فان قلت فما وجه
النظم حينئذ قلت هو على تقدير قال معنى عطفا على قال اهبطوا قال فيها تحيون

وترك لطول الفصل ولمناسبة النداآت في الآيات السابقة وفي الآيتين احتاك على حذو ما تقدم في سورة البقرة وقابل التقوى بالتكذيب والاصلاح بالاستكبار وقرئ يأتينكم بالتاء لتأنيث الجماعة وحمل يقصون على المعنى وفي بآياتنا التفات ولما ذكر المكذبين بآياته عقب بمن افترى عليه كذبا ليشمل من نسب اليه تحريم ما لم يحرم فناسب اتصاله بما تقدم فقال فمن اظلم ممن افترى على الله فيه التفات عن التكلم رسلنا فيه التفات عن الغيبة اين ما كنتم تدعون سألوا عن مكانهم فاجابوا بالتواجب قالوا ضلوا عنا وهو مطابق من جهة المعنى لا اللفظ لانه في تقدير ما فعل معبودكم قال فيه التفات عن التكلم وفيه ايقاع الماضي موقع المستقبل لتحقق وقوعه من الجن قدمهم على الانس لانهم الاصل في الاغواء والاضلال وفي الا ولى للمصاحبة والثانية للظرفية اداركوا اصله تداركوا وقرئ به وقرئ اُدركوا والاصل ادتركوا بوزن افتعلوا وقرئ ادّاركوا بوزن اكرموا اي ادرك بعضهم بعضا وقرئ اداركوا بضم ادله وكسر الراء اي دخلوا في ادراكها قالت اخراهم لاولاهم يحكم البليغ اي قالوا عنهم وفي شانهم لان خطابهم مع الله لا معهم ولكن لا تعلمون بالغوقية خطاب للسائلين او لاهل الدنيا وبالتحتية اخبارا عن الامة بما كان قال الزمخشري عطفوا هذا الكلام على قول الله للسفلة لكل ضعف فذوقوا العذاب قيل من تتمة كلامهم وقيل خطاب من الله للجميع ان الذين كذبوا الآية لما تقدم ذكر من كذب واستكبر مقرونا بالوعيد بالنار اعيد ذكره مقرونا بالوعيد بما يلقاه عقب مفارقة الروح الجسد وضم اليه ما يلقاه في الآخرة مبالغة في التاكيد وزيادة في التحذير وفي آياتنا التفات لا تفتح بالتخفيف والتشديد وقرئ تفتح اوله والتشديد ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط هذا نفي معلق بمستحيل ويسمى في البديع المناقضة والمعنى لا يدخلون الجنة ابدا ونظيره قول الشاعر

اذا شاب الغراب

وذكر الجمل لانه اعظم الحيوان جثة بالنسبة الى ما تعرفه العرب وسم الخياط لانه يضرب به المثل في ضيق المسلك وقرئ الجمل بضم الجيم وتشديد الميم المفتوحة وهو الحبل الغليظ وقرئ بضم الجيم وتخفيف الميم وضمها وسكون الميم وفتحها وسكون الميم وكلها بمعنى الحبل الغليظ والقراءة تم بفتح السين وقرئ بكسرها وضمها وقرئ المخيط بكسر الميم وسكون الخاء وفتح اليا وقرئ لذلك بفتح الميم وكذلك نجزي المجرمين قال الزمخشري فيه ايذان بان الاجرام هو السبب للعقاب ثم قال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه لهم من جهنم مهاد اي فراش ومن فوقهم غواش اي لحاف قيل هو استعارة لاحاطة النار بهم من كل جانب ويجوز حمله على الحقيقة كقوله قطعت لهم ثياب من نار وعلى الاول فيه تجريد على حد لي من فلان صديق حميم وقرئ غواشٍ بالرفع ولما اخبر بوعيد

الكفار عقب بوعيد المؤمنين كما هو عادة القرآن فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات وهو مبتدا خبره اولئك وجملة لا نكلف الى آخره معترضة وفائدتها انه لما ذكر وعملوا الصالحات نبه على انهم لا يكلفون من العمل ما هو خارج عن وسعهم وطاقتهم رفقا بالمؤمنين واعلاما للكافرين ان الجنة مع عظمها تنال بالعمل السهل بلا مشقة وقرئ لا تكلف نفس وما كنا قرأ ابن عامر باسقاط الواو وعلى انها جملة موضحة للاولى تلكم الجنة اشير اليها دون هذه مع قربها للتعظيم ما وعدنا صرح هنا بذكر المفعول لان اهل الجنة مستبشرون بذكر موعودهم فذكروه مضافا اليهم ولم يصرح به في قوله ما وعد ربكم بان يقال وعدكم ليشمل كل موعود من عذاب اهل النار ونعيم اهل الجنة وتكون اجابتهم بنعم تصديقا لما وعد الله به الصنفين نعم بفتح العين وكسرها ان لعنة الله بتخفيف ان وتشديدها وقرئ بكسرها على ارادة القول الذين يصدون قال ابن الزملكاني هو مستانف لبيان وصفهم لا جار على الظالمين لانهم لم يكن لبقاء لهم في الآخرة وهم بالآخرة كافرون الكرماني انما هنا على القياس وتقديره وهم كافرون بالآخرة وقدم لمراعاة الفاصلة وفي هود لما تقدم هاؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ولم يعلم انهم المتبس هم او غيرهم فقال وهم بالآخرة كافرون ليعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم وليس هم فيه تاكيد كما زعم بعضهم انتهى وبينهما قيل بين الفريقين ففيه تغيير الاسلوب من قوله بينهم وقيل بين الجنة والنار وهم يطمعون قرئ وهم طامعون وقرئ وهم ساخطون واذا صرفت ابصارهم فيه دليل على ان اكثر احوالهم النظر الى اهل الجنة وان نظرهم الى اهل النار انما يكون بان تصرف ابصارهم نحوهم وقرئ واذا قلبت ربنا دعوا به لانه يناسب الرحمة والاستعطاف ما اغنى استفهام توبيخ وتقريع وقيل ما نافية تستكبرون قرئ بالمثلثة من الكثرة اهاؤلاء هو من جملة قولهم والاشارة لاهل الجنة قال الزمخشري وادخلوا على قراءة الماضي المبني للمفعول واضحة وكذا ما قرئ دخلوا ولا خوف عليهم بتقدير مقولا لهم وعلى قراءة الامر بتقدير قيل لهم وكذا ما قرئ ادخلوا بوزن اكرموا اي انفسكم وقال ابن الزملكاني تم نداء اصحاب الاعراف عند قوله تستكبرون ثم ابتدأ اخبارا عن نفسه فقال ليخاطب اهل النار اهاؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعني اصحاب الاعراف ثم عطف عنهم في الخطاب لاصحاب الاعراف فقال ادخلوا الجنة لا خوف عليكم وهذا من باب العطف والرجوع انتهى افيضوا امكن من اسقونا لانها تقتضي التوسعة كما يقال افاض الله عليه نعمه اي وسعها واو على بابها من كونهم سألوا احد الامرين وقيل بمعنى الواو لقوله ان الله حرمهما وتعدى الافاضة الى الرزق وهي خاصة بالماء على تقدير فعل يليق به اي القوا من باب علفتها تبنا وماء باردا ذكره الزمخشري وابو حيان وهو دليل على ان ذلك لا يختص بالواو كما قيل وقوله على الكافرين من تمام كلام اهل الجنة وقوله الذين اتخذوا الى

استيناف من كلام الله تعالى ولذلك قال نقسم بالتكلم ولعل فيه التفات عن قوله ان
الله لانها ليست من متكلم واحد وفيه نوع من المشاكلة كقوله الله يستهزئ بهم تسمية للعقوبة
باسم الذنب الكاف تعليلية وما الثانية عطف على الاولى ولقد جئناهم قال يحيى بن سلام
الضمير لمكذبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو ابتداء كلام وتم الكلام عند قوله يجحدون فصلناه
اي بيناه ونوعناه بالاحكام والمواعظ والقصص والحجج وقرئ بالضاد المعجمة اي على جميع
الكتب قال صاحب التحرير فضل القرآن على سائر الكتب المنزلة بثلاثين خصلة لم تكن
في غيره على علم اي عالمين بكيفية تفصيله او انه اهل للتفصيل فيكون حالا من الفاعل
او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول هدى ورحمة حالا او مفعول له وقرئ بالرفع خبر
هو وبالجر بدل او نعت للكتاب قد جاءت رسل ربنا بالحق قال ابو حيان فيه حذف اي
ولم نصدقهم او لم نتبعهم او نرد بالرفع من عطف الفعلية على الاسمية فنعمل بالنصب جواب في
الاستفهام اي او هل نرد وقرئ بنصب الاول عطفا على الجواب ورفع الثاني على الاستيناف
وبرفعهما ونصبهما عطفا للثاني على الاول فيهما ان ربكم الله فيه التفات عن التكلم ابو حيان
لما ذكر بدأ خلق الانسان وامر بنيه وانقسامهم الى مؤمن وكافر وذكر معادهم وحشرهم
الى جنة ونار ذكر مبدأ العالم واختراعه والتنبيه على الدلائل الدالة على التوحيد
وكمال القدرة والعلم والقضاء ثم بعد ذلك عاد الى النبوة والرسالة اذ مدار القرآن
على تقرير المسائل الاربع التوحيد والقدرة والمعاد والنبوة واقول قد قدمت
ان هذه السورة نظير سورة البقرة لما قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم ذكر بعد
خلقهم خلق الارض والسماء ثم بعدها بآية خلق الارض والسما وتسويتها سبع سموات ثم ذكر
قصة خلق آدم فكان بين خلق السما والارض وخلق البشر ارتباط في الدلالة على
القدرة والبعث ولذلك قال اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض
ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس كذلك هنا لما ذكر خلق البشر اعقبه بخلق السموات والارض وايضا فان
هذه السورة مفصلة لما اجمل من سورة الانعام وقد اجمل في اولها خلق السموات
والارض والظلمات والنور ففصله في هذه الآية بان بين ان خلقهما في ستة
ايام وانه استوى بعد خلقهما على العرش وانه سخر في السموات الشمس والقمر والنجوم
وذكر تغشية الليل النهار وطلبه له حثيثا ذكر بسط لما اوجز في مفتتح سورة الانعام
وقرئ بنصب الجلالة عطف بيان ثم استوى على العرش فيه تورية تجريدية قال
الزمخشري لا ترى بابا في البيان ادق ولا الطف من التورية ولا انفع ولا اعون
على تعاطي تأويل المتشابهات في القرآن والحديث قال فالاستواء له معنيان الاستقرار
في المكان وهو معنى قريب مورى به غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه والاستيلاء والملك
وهو معنى بعيد وهو المقصود الذي ورى عنه بالقريب المذكور ولم يذكر فيها شيء

لعله لم نتبعهم

ذكرهم

من

من لوازم المورى به ولا المورى عنه فهي مجردة ابو حيان العرش لفظ مشترك بين الملك
والسلطان وبين سرير الملك ومنه ورفع ابويه على العرش نكروا لها عرشها وبين ما اظل وعلا
ومنه معروشات وغير معروشات والسقف ومنه وما كانوا يعرشون واستوى يكون
بمعنى استقر وبمعنى علا وبمعنى قصد ومنه ثم استوى الى السماء وبمعنى استولى وقيل ضمير
استوى عائد الى المصدر المفهوم من خلق اي استوى خلقه على العرش وكذا الرحمن على العرش
استوى لا يتعين عود ضميره الى الرحمن اذ يحتمل ان الرحمن خبر محذوف والضمير عائد الى
الخلق المفهوم من قوله تنزيلا ممن خلق الارض اي هو الرحمن استوى خلقه على العرش لانه
تعالى لما ذكر خلق السموات والارض ذكر ما هو اكبر واعظم واوسع منهما وهو العرش يغشي بالتخفيف
والتشديد والفاعل ضمير لله والليل مفعول اول والنهار ثان وقرئ بفتح اوله والشين
ورفع الليل يطلبه حال من الليل ونسبة الطلب اليه مجازية كنى به عن معاقبته اللازم
له فكأنه طالب له لا يدركه بل هو في اثره بحيث يكاد يدركه الا مر وصف هذه الحركة
بالسرعة والشدة لان تعاقب الليل والنهار يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة
اشد الحركات سرعة واكملها شدة حتى ان الباحثين عن احوال الموجودات قالوا الانسان
اذا كان في العدو الشديد الكامل قبل ان يرفع رجله ويضعها يتحرك الفلك الاعظم
ثلاثة آلاف ميل ولذلك قال يطلبه حثيثا ونظيره لا الشمس ينبغي لها الآية
شبه ذلك السير وتلك الحركة بالسباحة في الماء والمقصود التنبيه على السرعة والسهولة
وكمال الاتصال انتهى حثيثا صفة مصدر محذوف اي طلبا او حال اي حاثا او محثوثا والشمس
بالنصب نسقا على خلق ومسخرات حال وبرفع الاربعة على الابتداء والخبر وقرئ برفع والنجوم
مسخرات فقط ولما تقدم ذكر خلق السموات والارض وقوله بامره قال الا له الخلق والامر عز
اي لافادة ان كل خلق وكل امر فهو له لا لغيره ولما صدر الآية بان ربكم الله ختمها
تبارك الله رب العالمين وهو اعم من ان ربكم لانه ذكر في الآية عوالم كثيرة ادعوا ربكم ثم
في ذكر الرب عند الدعاء المناسبة التي قدمناها غير مرة تضرعا اي ذوي تضرع اي
تذلل واستكانة وخفية في مناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر استواءه
على العرش المشعر بنهاية العلو نهى في هذه الآية عن رفع الصوت بالدعاء وامر باخفائه
للاشارة الى انه وان استوى على العرش لا يخفى عليه الخفي لقربه من عباده بالعلم
ولهذا ورد في الحديث انكم لا تدعون اصم ولا غائبا تدعون سميعا قريبا وقرئ وخيفة
من الخوف انه قرئ ان الله بالاظهار من مقام الاضمار لا يحب المعتدين شامل لجميع وجوه الاعتداء
في الدعاء وغيره وهي كثيرة جدا وعطف عليه ما يناسبه من بعض افراده استطرادا
فقال ولا تفسدوا في الارض وهو شامل لجميع انواع الفساد على كثرته في
الانفس والاموال والانساب والعقول والاديان والمناسبة بين الاعتداء والافساد
ظاهرة ثم عاد بعد الاستطراد الى ما كان فيه الكلام فقال وادعوه خوفا وطمعا

فامر بالدعاء اولا معتبرا بوصفين من اوصاف اللسان وثانيا معتبرا بوصفين من اوصاف
القلب وفيه ترق من الادنى الى الاعلى وفي الجمع بين الخوف والطمع طباق ان رحمة الله قريب
ذكره والرحمة مؤنثة قيل لانها بمعنى الرحم والترحم او بمعنى الغفران او الثواب وقيل على معنى
النسب اي ذات قرب وقيل على تقدير موصوف مذكر اي شيء قريب وقيل اجرا له مجرى فعيل
الذي لا يؤنث كجريح وقتيل وقيل هو من المصادر التي جاءت على فعيل كنقيق والمصدر لا
يؤنث وقيل لان تأنيث الرحمة غير حقيقي وقيل قريب وبعيد اذا استعملا في النسب
والقرابة انثا وفي المسافة والرتب جاز فيهما التأنيث وعدمه كقوله عشية لا
عفراء منك قريبة فتدنو ولا عفراء منك بعيدة ومنه وما يدريك لعل الساعة قريب وقيل
لما اضيفت رحمة الله اكتسب اللفظ التذكير وهذه عشرة اجوبة قال ابن جرير قوله
ان رحمة الله قريب من المحسنين لانه وقت مفارقة الارواح للاجساد دنا لهم الرحمة وهو
الذي يرسل لما ذكر تعالى الدلائل على كمال ارادته وقدرته وعلمه من العالم العلوي اتبعها بالدلائل
من احوال العالم السفلي فذكر الرياح والسحاب والمطر والنبات المخرج به وخروج ذلك الدلالة
على صحة الحشر والنشر والبعث والقيامة فتضمنت هاتان الآيتان امر المبدأ والمعاد
وجعل الخبر موصولا في ان ربكم الله الذي وفي وهو الذي دلالة على كون ذلك معهودا عند
السامع مفروغا من تحقق النسبة فيه والعلم به فلذا لم يأت التركيب ان ربكم خلق ولا وهو
يرسل الكرماني قال هنا يرسل وكذا في الروم وفي الفرقان وفاطر ارسل بلفظ الماضي
لان ما قبلها ذكر بعد الخوف والطمع وهما يكونان في المستقبل فكان يرسل بلفظ المستقبل اليق
زاد ابن جماعة ولما تقدم تفنني بلفظ المضارع ناسبه يرسل لذلك وكذا تقدم ادعوا ربكم
والدعاء انما يكون لما ياتي وكذا في الروم لما تقدم ومن آياته ان يرسل الرياح الآية ناسب
بعده الله الذي يرسل الرياح بالمضارع واما في الفرقان فتقدمه افعال ماضية كقوله
مد الظل وجعله ثم قبضناه وجعل لكم الليل وجعل النهار ومرج وخلق فناسب ذلك
ارسل الماضي وفي فاطر تقدم اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء وهو بلفظ صح
المطر وانما يذكر لشكر النعم الماضية على زمن الشكر فناسب ارسل ماضيا وكذا اوله فاطر
السموات جاعل الملائكة بمعنى الماضي فبني قوله ارسل عليه للمناسبة الرياح بالجمع و
الافراد نشرا بضمتين جمع ناشر على النسب اي ذات نشر خلاف الطي وبسكون الشين
تخفيفا وبفتحتين شذوذا اسم جمع ناشر على النسب اي ذات نشر وبسكون الشين مصدر
نشر خلاف طوى او بمعنى حيي ومن قرأ بالموحدة مضمومة وسكون الشين تخفيفا من ضمها الذي
قرئ به جمع بشير كنذير ونذر وقرئ بشرا بفتح الموحدة والسكون مصدر بشر المخفف
وقرئ بشرى بمصدر مقصور كرجعى بين يدي رحمته استعارة لان بين يديك حاضر بالاجرام
والمراد امام المطر سقناه فيه التفات لما فيه من عظم المنة وجليل النعمة لبلد قال
الزمخشري اللام للعلة وقال ابو حيان للتبليغ ميت وصف البلد به استعارة لجدبه

وعدم

وعدم نباته فكانه لعدم الانتفاع به كالجسد الذي لا روح فيه ابو حيان لما كان ذلك
موضع قرب رحمة الله واظهار لاحسانه ذكر احياء الارض وهو الملائم لجمع الناس ومكان
استقرارهم ولما كان المقصد في تبيان اظهار الآيات العظيمة الدالة على البعث جاء التركيب باللفظ الدال
وهو وآية لهم الارض الميتة احييناها فاقلت وظهر من هنا وجه آخر في ارتباط هذه الآية بما قبلها
وهو انه تعالى لما امر بالدعاء ووعد بقرب رحمته عقب بذكر ارسال الرياح بين يدي المطر
وذكره باسم الرحمة لمناسبة ارتباطه بذكر الرحمة وقربها في آخر الآية قبلها فانزلنا
به الماء ظرفية والهاء للبلد او سببية والهاء للماء وفيه عدول عن الكناية الى الكناية من
غير فاصل كقوله الشيطان سول لهم واملى لهم فان فاعل املى هو الله تعالى كذلك الاخراج
نخرج الموتى اما تشبيه لمطلق الاخراج او له بقيد المطر لعلكم تذكرون ختم به لما ذكر
الاستدلال به على البعث وذلك يحتاج الى تذكر واتعاظ وختم الآية بعدها يشكرون
لمناسبة النعم المذكورة والبلد الطيب الآية ضرب فيها مثل قلب المؤمن وانتفاعه بما سمعه
من القرآن المنزل اليه والحكمة وسرعة قبوله لذلك ومثل قلب الكافر في كونه بضد
ذلك وما سيضرب المثل من ذلك لما كان سياق الآيات في انبات الارض بالماء المنزل اليها
قال ابو حيان لما قال فاخرجنا به من كل الثمرات تمم هذا المعنى بكيفية ما يخرج من النبات
من الارض الطيبة والارض السبخة وفي الكلام حذف اي يخرج نباته وانما حسن ذلك
في مقابلة الا نكدا وخص خروج نبات الطيب باذن ربه التفات عن التكلم قال ابو حيان
وغاير بين الموصولين فصاحة وتفننا ففي الاولى قال الطيب وفي الثانية قال الذي خبث
ولانه لما قال البلد ناسب الطيب للاختصار ولما حذف البلد من الثانية قال الذي خبث
لتعادل الجملتان في اللفظ فيكون في كل كلمتان وقيل هو تمثيل لروح المؤمن في عوده
الى جسده سهلا طيبا كما خرج اذ مات ولروح الكافر لا يرجع الا بالنكد كما خرج اذ مات
فيكون راجعا من حيث المعنى الى قوله كذلك نخرج الموتى اي على هذين الوصفين قلت ويحتمل ان
يكون لخروج روح المؤمن بسهولة وروح الكافر بشدة وهو انسب لضرب المثل بخروج النبات
من كونه تمثيلا للرجوع وقرئ يخرج بالبناء للمفعول وقرئ نكدا بفتح الكاف وبسكونها مصدر
وصف بها مبالغة نصرف فيه التفات وقرئ بالياء بلا التفات لقد ارسلنا نوحا فيه
التفات على قراءة الغيبة في نصرف ابو حيان لما ذكر في هذه السورة مبدأ الخلق الانساني
وهو آدم وقص من اخباره ما قص واستطرد من ذلك الى المعاد ومصير اهل السعادة الى
الجنة واهل الشقاوة الى النار وذم الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وجحدوا الآيات
وكذبوا الرسل وذكر هذه الامة المنزل عليهم القرآن وتكذيبهم نبيهم قص تعالى احوال الرسل
رسولا فرسولا وتكذيب اممهم اياهم وما قاسوه منهم تسلية له صلى الله عليه وسلم فبدأ بنوح
لانه اول الرسل وهو آدم الاصغر واقول قد قدمت ان هذه السورة شرح لما اجمل من
سورة الانعام ومن ذلك ما اجمل فيها من ذكر المرسلين من قوله ولقد كذبت رسل من قبلك

يخرج نبات الارض الطيبة ... قلت ويحتمل
الاسناد الى التربة الطيبة ... فانه يحذو على ... الاول
هذا ينبئ ان اختصاص ... تعالى الا باذن ربه
ثنا بل الا نكدا ...
صح

فاصبروا الاية فافتتح هذه السورة بقوله لنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين
ثم شرح قصة ادم واستطرد منها الى ما استطرد ثم عقب باول الرسل واشار الباقين عليه
الكرماني لما لم يتقدم في هذه السورة ذكر رسول ذكر لقد ارسلنا استئنافا بغير عطف
ولما تقدم ذكر الرسول مرات وفي المؤمنين ذكر نوح ضمنا في قوله وعلى الفلك تحملون ولقد
ارسلنا في السورتين بواو العطف الامام لما لم يكن ههنا يتقدم هنا دعوى نبوة ورد قوم
ذلك لم يعطف لانه كلام مبتدا فاما في هود فقد تقدم ما يشعر بذلك وهو قوله ومن قبله كتاب موسى الاية
فحسن لفظ عليه بالواو ولقد المؤمنون فتقدم فيها قوله ولقد خلقنا الانسان ولقد
خلقنا فوقكم سبع طرائق فناسب العطف عليه بقوله ولقد ارسلنا نوحا وقال
صاحب المناجاة لما كانت قصص الانبيا مذكورة على التوالي حسن ظهورهم واه عراء اول
السورة ذكروا فيه على هذا الوجه ذكرت قصة نوح بغير عاطف لانها اول قصص الانبيا
عطفا واول قصة ذكرت في القران واول قصة ذكرت في السورة فلم يكن للعطف
محل والكلام جواب قسم مقدر اكد تعالى هذا الاخبار بالقسم الزمخشري فان قلت ما لهم لا
يكادون ينطقون باللام الا مع قد قلت لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم
عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب
كلمة القسم فقال كذا هنا وفي المؤمنين وفي قصة عاد وصالح وشعيب هنا قال
بغير فا والاصل الفا وحذفت فيما حذفت فيه توسعا واكتفا بالربط المعنوي وفي
قصة في هود اني لكم على اضمار القول اي فقال اني لكم يا قوم في ندائهم تنبيه لهم
لما يلقيه اليهم واستعطاف وتذكير بانهم قومه فالمناسب ان لا يجاوزه وقال صاحب
المناجاة فالمناسب ان لا يجاوزه لم ينسب الى نوح انا اخوه لقومه كما في سائر الانبيا
المذكورين اما لانه لم يكن من نوع قومه او لم يخاطبهم مخاطبة باقي الانبيا او لانه لما كان
الاب الثاني بعد ادم عظم بذلك او لانهم كانوا يرونه في مقام الاب لطول عمره مشتهر
قال فان قلت فقد نسب اليه الاخوة في سورة الشعرا قلت الاخوة والابوة اذا
لم يكونا حقيقيين جاز تبادلهما واعتبار هذا مرة والاخرى اخرى غاية ما في الباب
انه اعتبر في هذه السورة هذا الوجه وفي الاخرى الاخر ما لكم من اله لم يعطف هذه
الجملة لانها بيان وتفسير لعلة اختصاصه تعالى بان يعبد غيره بالرفع عطفا على محل اله
وبالجر على لفظه وقرئ بالنصب استثناء اني اخاف فيه اظهار الشفقة والحنو عليهم لكونه
داعيا الى تجاوزهم قوله قال الملا هو مخصص الاشراف وانما لم يجبه غيرهم لانهم الذين
يتعاسون على الرسل لا تعلق قلوبهم بالدنيا وطلب الرياسة والعلو فيهم الكرماني هنا وفي
عاد قال بغير واو وفي المؤمنين وهود فقال لان ما في هاتين القصتين المتين الجواب
دعوا ما للمراكل فضلال انا لنراك في سفاهة بخلاف ما في السورتين فانهم اجابوا بما لا
يستقيم جوابا ابن جماعة وابو حيان زاد في قصة عاد الذين كفروا من قومه لان نوحا

لم يؤمن احد من اشراف قومه بدليل واتبعك الارذلون وهود امن بعض اشراف قومه انا
لنراك في ضلال مبين والجواب بان واللام وبذكر الضلال الذي هو اشد الغواية
وبادخال في فكان الضلال صار ظرفا وهو فيها ابلغ من ضالا او ذا ضلال قال يا قوم ليس
بي ضلالة لم يرد النفي منه على لفظ ما قالوه ثم يات لست في ضلال مبين بل جاء في غاية الحسن
من نفي ان يلتبس به ويختلط ضلالة ما والحدة وفي ندائه لهم ثانيا والاعراض عن جفائهم
غاية التلطف ولما نفى عنه التباس الضلالة به دل على انه على الصراط المستقيم فصح الاستدراك
لان لكن انما تقع بين نقيضين والرسالة له تقتضي الضلالة لانها لا تجامعها فقال ولكني
رسول وقال من رب العالمين منبها على انه ربهم لانهم من جملة العالمين اي من ربكم المالك لاموركم
الناظر لكم بالمصلحة حيث وجه اليكم رسولا يدعوكم اليه ابلغكم بالتخفيف والتشديد استئناف
على سبيل البيان لكونه رسولا وروعي فيه المبتدا ولو روعي الخبر لقيل ابلغكم فهو كقوله
فاني قريب اجيب وجا بلفظ المستقبل هنا وفي قصة هود وبلفظ الماضي في قصة
صالح وشعيب لقد ابلغتكم لان ما هنا ذكر في اول الرسالة وما هناك في اخرها عند
نزول العذاب كما تفهم من سياق الايات قاله الكرماني رسالات ربي بالجمع هنا وفي
قصة هود وصالح بالافراد لانه تعالى حكى عنهم اشياء كثيرة اخرى امروا بها الا قوم صالح
وهود فليس فيها الا الامر بالايمان فصار كانها رسالة واحدة قاله الكرماني وابن
جماعة وقصة نوح وان لم يذكر فيها عدة من التبليغات فهو معروف لطول مدته وقال
صاحب المناجاة ما حاصله الجمع والمفرد كلاهما للعموم عند الاضافة وعبر بهذا
مرة وبهذا اخرى تفننا ابو حيان جمع الرسالات باعتبار ما اوحي اليه في الازمان
المتطاولة وباعتبار المعاني المختلفة من الامر والنهي والزجر والوعظ والتبشير
والانذار وانصح لكم في قصة هود وانا لكم ناصح قال الامام لانه ذكر هنا الضلال
وهو فعل متجدد بترك الصواب الى ضده ويمكن زواله في الحال فقابله بالفعل المناسب
له في التجدد وهناك ذكرت السفاهة وهي صفة لازمة لصاحبها فقابلها بالجملة
الاسمية الدالة على اللزوم والثبوت الزمخشري في زيادة اللام مبالغة ودلالة
على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير واعلم من الله
ما لا تعلمون فيه ابهام للتعظيم والتهديد وما احسن سياق هذه الافعال حيث بدا بالابلاغ
لانه اول الامر ثم بالنصح ثم علم من الله ما لا تعلمون من بطشه بهم وهو ما لا يعلمونه اذا
كذبوه نبه على مبدا امره ومنتهاه معهم او عجبتم قال الزمخشري عطف على جملة محذوف
اي كذبتم وعجبتم ان اي من ان على رجل اي على لسان رجل لينذركم الى اخره قال ابو حيان
على مرتبة فجي للذكر للانذار وللانذار للتقوى والتقوى للرحمة فانجيناه والذين معه
في يونس فنجيناه ومن معه قال الكرماني لان التشديد للمبالغة والتكثير ومن يقع على الكثرة
ما يقع عليه الذين لان من يصلح للواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث بخلاف الذين

فانه جمع المذكر لجب فكان التشديد مع من اليق زاد صاحب المناجاة وخص سورة الاعراف
بالنجا والذين لكونها اطول وسورة تبر اخصر فناسبها نجينا ومن وقال الامام انجينا هو الاصل
والاكثر استعمالا وكذلك الذين فاتي به في اول موضع ثم الى الموضع الثاني بالاستعمال الآخر عمين
جمع عم وهو خاص بعمى البصيرة واما عمى البصر فيقال فيه عام واعمى نص عليه الليث وغيره
قال يا قوم ابو حيان لم يات بالفا لانه جواب سوال مقدر اي فما قال لهم وكذا قال الملاء
افلا تتقون استعطاف وتخصيص ابو حيان لما كان ما هدد به قوم نوح من الغرق واقعة
لم تظهر في العالم مثلها قال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وواقعة هود كانت مسبوقة
بواقعة نوح فقال افلا تتقون اشارة الى التخويف بان يقع بهم مثل تلك الواقعة المشهورة
انا لنراك في سفاهة فيه المبالغة السابقة قال صاحب المناجاة السفاهة اخص من الضلال
لانه اشد انواع الغواية ولما كانوا مسبوقين بقوم نوح وكان العذاب الواقع لقوم نوح مشهورا
معروفا فيما بينهم نسبوا نبيهم الى السفاهة التي هي اخص من الضلال ولما كان نوح اول الرسل
وكانه اتي بامر منكر لم يعهد فلم يسمع قومه قط باهلاك قوم كذبوا رسولا نسبوه الى الضلال
المبين الذي هو ابلغ في النقص وقال ابو حيان لما كان كلام نوح لقومه اشد من كلام هود
حيث قال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم كان جوابهم له اغلظ ولما كان كلام هود الطف
حيث قال افلا تتقون كان جوابهم له اخف وقال الكرماني لما خوف نوح الكفار بالغرق
وشرع في عمل قالوا انا لنراك في ضلال حيث تتعب نفسك في سفينة في مفازة ليس
فيها ماء وهود رد عبادة الاوثان وسب قومه الى السفاهة فقابلوه بمثل ذلك ناصح في
مقابلة في سفاهة امين في مقابلة لنظنك من الكاذبين وبهذا عرف كنه ذكره في جواب هود
وجواب نوح العشيري [illegible] ان يرمز ذنع عن ربه بقوله ما ضل صاحبكم وما غوى وما صاحبكم
بمجنون ومن دفع عن نفسه بقوله ليس بي ضلالة ليس بي سفاهة فاذكروا الاء الله تذكيرا بانها
بالنعم مطلقا بعد تذكره بنعمتين خاصتين اجئتنا لم يرد حقيقة المجيء ولكن التعرض والقصد
كانها ذهب يشتمني من غير ارادة حقيقة الذهاب ما نزل الله به في غيره ما انزل قال
الكرماني لان نزل للتكثير فذكر في الموضع الاول لفظ المبالغة ليجري مجرى الجملة والتفصيل
وذكر الجنس والنوع والنكتة ان الكلام اذا كرره البليغ ينبغي ان لا يخلي كل تكرار عن فائدة
زائدة فيكون الاول كما نزل وما نزل كالنوع وقال صاحب المناجاة الاول لوجه عوض
هذا والثاني بالجمل على التفصيل فانه وجه جامع لجميع الاختلافات الواقعة في القصص
المكررة وقطعنا دابر كناية عن الاستيصال الذين كذبوا اشارة الى علة قطع
الدابر وما كانوا مؤمنين حالة مؤكدة والى ثمود منع الصرف لانه اسم القبيلة وترك
صرفه اسما لحي بينة قال ابو حيان كثر استعمال هذه الصفة في القرآن استعمال الاسماء
فوليت العوامل كالابطح والابرق اذ لا يكاد يصرح بالموصوف بها هذه ناقة الله
جواب كانه قيل ما البينة لو استيناف بياني والاضافة للتشريف ولانه خلقها بغير

واسطة ذكر وانثى آية حال عاملها الاشارة تأكل ترعى بالربح حالا ولا تمسوها بسوء
كناية وتنبيه بالادنى على الاعلى لانه اذا نهي عن المس نهي عن العقر اولى فياخذكم عذاب
اليم في سورة هود عذاب قريب وفي الشعراء عذاب يوم عظيم قال الكرماني لانه هنا
بالغ في الوعظ فبالغ في الوعيد وفي هود لما اتصل بقوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
وصفه بالقرب وفي الشعراء اذ ذكر اليوم لان قبله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فالتقدير
لها شرب يوم معلوم فختم الاية باليوم وقال صاحب المناجاة العذاب اذا اجتمع
فيه هذه الاوصاف الثلاثة كان اشد فغير في الاوصاف الثلاثة في الايات الثلاثة
دلالة على اشدية من غير احتياج الى ذكرها في اية واحدة قال وانما لم يقل عذاب عظيم
لان العذاب اذا كان عذاب يوم عظيم كان عظيما في نفسه فحصل مدحا في تعظيم اليوم
وافاد عظم اليوم والعذاب معا قال والفرق بين العظيم والاليم ان الاليم ما قارنه
وجع سواء كان له غائلة اولا والعظيم ماله غائلة سواء كان معه الم ام لا فبينهما عموم
وخصوص من وجه او يقال كل عظيم اليم ولا عكس ويقال لما لم سوا فاذكروا للتاكيد انتهى
تتخذون تفسير مبواكم ويحتمل ان يكون من كلامه تعالى معترضا اثنا كلام صالح الجبال
نصب باسقاط من وصرح به في اية اخرى تنحتنا وقال صاحب المناجاة كانوا [illegible] من
اتخذ الجبال بيوتا وهي عليها القلاع ونحتها الى الضارات مستوية الاطراف تمكن عليها من صنع
البيوت ومن اتخذ منها البيوت كالكهوف فحيث حذف من اراد الاول وحيث ذكرها
اراد الثاني بيوتا حال مقدرة او مفعول على تضمين تتخذون معنى تتخذون ولا تعثوا فرقي
تكرار قوله لغيره قال الملا قال ابن عامر وقال بها وعاطفة لمن امن بدل باعادة الجار
فانه كان ضمير منهم لقومه فيبدل كلا وللذين ضعفوا قال بعض الشيخ سعد الدين فيه مناقشة لهو
وهي انه لا يجوز ان يكون الجار والمجرور [illegible] الجار والمجرور فان دفع بان الابدال
في المعنى ذاك اجيب بان التصريح بتكرير العامل قليل بل ربما لا يوجد في مواقع العلو
استفهام تعريض واستهزاء من ربه لم يقولوا من ربنا ولا من ربكم كانهم تبرؤا من ان [illegible] جحود
صالحا به انا بما ارسل به مؤمنون جواب في غاية الحسن عدلوا عن قولهم نعم او هو مرسل
اشارة الى ان امر رسالته معلوم واضح مسلم لا يدخله ريب فلا يحتاج ان يسال عنه ولا
ان يستفهم عن العلم به فاخبروا بانهم مؤمنون بما ارسل به وذلك يتضمن العلم بانه مرسل
من الله انا بالذي امنتم به هو في معنى بما ارسل به وعدلوا عنه فرارا من الاقرار له بالرسالة
فعقروا الناقة نسب العقر اليهم وان كان العاقر واحدا لكونه عن تمالي منهم ورضاهم
به وعتوا ضمنه معنى استكبروا فعداه بعن فاخذتهم الرجفة قيل الصيحة وقيل الزلزلة
التي [illegible] على الاول لانها فاية بينهم ومن قوله قوله في هود فاخذتهم الصيحة وعلى الثاني
كذلك لان الرجفة ناشئة عن الصيحة صيح بهم فرجفوا فناسب ان يسند الاخذ لكل
منهما وزاد ابن جماعة والمراد العظيمة الا يخلو غالبا عن صيحة وكذا قوله فاهلكوا بالطاغية

لتجاوز كل من الرجفة والصيحة الحد فسمت طاغية او المعنى بسبب الفعلة الطاغية الكرماني
حيث ذكر الرجفة وهي الزلزلة قال في دارهم بالافراد وحيث ذكر الصيحة قال في ديارهم
بالجمع لان الصيحات من السما فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فاتصل كل واحد بما هو لائق به
وقال ابن جماعة الزلزلة تناسب الدار لان المراد بها البلد المزلزل والصيحة تناسب الديار
لان المراد بها المنازل وذكر صاحب المناجاة مثله وقال الامام حيث ذكر اجتماعهم مع بيتهم
قال الدار وحيث ذكر افتراقهم منه وخروجهم عنهم قال الديار ولوطا قيل عطف على الانبيا
قبله بتقدير وارسلنا وان معموله له وقيل نصب باذكر مضمر فيكون المغايرة تقتضيا اتاتون
استفهام انكار وتوبيخ الفاحشة عرفه بلام الجنس على سبيل المبالغة كانه لشدة قبحه
جعل جميع الفواحش وهو ابلغ من الزنا حيث قال فيه انه كان فاحشة فاتى به منكرا اي
فاحشة من الفواحش من احد زيدت من للمبالغة انكم لتاتون الرجال بيان لقوله
اتاتون الفاحشة ومن قراه انكم بلا استفهام الكرماني اتى في الجملة الثانية الاستفهام
ثم ان واقتصر في الاولى على الاستفهام لان التوبيخ والتقريع في الثانية اكثر وكذا
في النمل وفي العنكبوت ائنكم لتاتون الفاحشة ائنكم لتاتون الرجال فاتى في الجملتين
بان لموافقة آخر القصة انا منجوك انا منزلون شهوة مصدر في موضع الحال وقال
الزمخشري مفعول له اي لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة ولا ذم اعظم منه لانه وصف
لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل كالنسل ونحوه بل للاستغراق وقيل
اضراب عن توبيخهم او الاخبار عن حالهم الى الحكم عليهم بالحال التي تنشا عنها القبائح وتدعوا
الى اتباع الشهوات وهي الاسراف وهي الزيادة المفسدة لما كانت عادتهم الاسراف
اسرفوا حتى وصل بهم قضا الشهوة فتجاوزوا الحد المعتاد الى غيره وقيل اضراب عن
محذوف اي ما عدلتم بل انتم وقال الكرماني بل رد لجواب زعموا ان يكون لهم
عذر اي لا عذر لكم ولا حجة بل انتم وجا هنا مسرفون باسم الفاعل ليدل على الثبوت ولموافقته
ما سبق من رؤس الاي في ختمها بالاسما وجا هنا وفي النمل تجهلون بالمضارع لتجدد الجهل
فيهم وهو الجهل المركب الزائد على جهل اصل الخلقة البسيط ولموافقة ما سبق من رؤس الاي
في ختمها بالافعال واما التعبير هنا بوصف الاسراف وهناك بوصف الجهل فتفنن وما
كان في النمل فما قال الكرماني لان ما قبله هنا اسم وهناك فعل والفا للتعقيب والتعقيب
في الافعال فاي تعقيب تجهلون بالفا وكذا في العنكبوت لانه بعد وتاتون في ناديكم المنكر وبعد
مسرفون الاسم بالواو وكذا قال الامام جواب قرئ بالرفع اخرجوهم في النمل اخرجوا
آل لوط قال الكرماني وغيره لان هذه السورة متقدمة النزول عن سورة النمل فاضمر فيها
ما اظهره هناك ابن عطية قال هنا وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم وفي العنكبوت
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله وان الجميع فلعل ذلك في مجالس اولها بان مرطا ثنين كل
جواب بادلو عنها انهم اناس يتطهرون قال ابو حيان فيه التعريض بانهم الذم وهو

مدح

مدح على جهة • واعجب فيهم عنوان سوفهم • بين فلول من قراع الكتائب •
وقال الزمخشري هو سخرية بهم وتهكم كانت من الغابرين تفسير وتوكيد لما تضمنه الا
ستثنا من كونها لم ينجها الله وقال ابو عبيد الا امراته اكتفى به في انها لم تنج ثم ابتدا
وصفها بعد ذلك بصفة لا تتعلق بها النجاة ولا الهلكة وهي انها كانت غابرة اي متقدمة
في السن كما قال الا عجوزا في الغابرين انتهى وفيه الغابرين تغليبا للذكور والاصل من الغا برات
الكرماني هنا كانت وفي غيره قدرناها كان المعنى كانت في علم الله وفي بمعنى قدرنا وقال
غيره كانت بمعنى صارت وهي متاخرة عن التقدير اي قدرناها من الغابرين فصارت
منهم قال صاحب المناجاة وفيه الاشارة الى اثبات الخلق والكسب معا وامطرنا عليهم
مطرا حيث ذكر المطر في القرآن فالمراد به العذاب وقال الحافظ في الشان قد
يستعمل الناس الفاظا وغيرها اولى بذلك الموضع منها الا ترى ان الله تعالى لم يذكر في
لفظ المطر الا في موضع الانتقام وذكر في غيره الغيث ولم يذكر الجوع الا في موضع العقاب
او الفقر المدقع والعجز الظاهر وذكر في غيره السغب ولم يذكر النكاح الا في موضع
التزويج وذلك في غير المباشرة ونحوها ولذلك لم يجمع في القرآن اسمع على اسماع ولا الارض
على ارضين والعامة لا تفرق بين المطر والغيث وتذكر الجوع في حال القدرة والسلامة
انتهى فانظر خطاب للرسول او لكل سامع وعظا وزجرا ان تسلك هذه الامة هذا المسلك
كيف كان عاقبة المجرمين قال ابو حيان عام في قوم نوح وهود وصالح ولوط
الكرماني ختم به هنا وفي غيره فسا مطر المنذرين موافقة لما بعده من قوله فانظر نفس
كيف كان عاقبة المفسدين واول على ما نقلناه عن ابي حيان تتمة القصة عند قوله
مطرا وما بعده عايد الى جميع القصص والى مدين اخاهم شعيبا وصفهم هنا بالاخوة
ولم يصفه بها في الشعرا في قوله اذ قال لهم شعيب مع قوله في سائر الرسل فيها اذ قال
لهم اخوهم لان شعيبا ارسل مرتين وقيل ثلاث مرات الى قومين او ثلاثة مدين
قومه واصحاب الايكة ليسوا قومه فوصفه بالاخوة لمدين دون اصحاب الايكة جاءتكم
بينة قرا الحسن آية فاوفوا الكيل والميزان اما ان يجعل الكيل مصدرا كني به عن
المكيال الالة او الميزان مصدرا كالميعاد بمعنى الوزن لا آلة لتحصل المطابقة ولا
تبخسوا الناس اشياءهم من عطف العام على الخاص ولا تفسدوا في الارض نوقال الى عم ما
قبله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ان فسر بقطع الطريق او باخذ المكس ناسب ما
قبله او لصرف الناس عن الدين واتباع شعيب ناسب ما بعده والصراط عليهما الطريق
حقيقة وسبيل الله طريق دينه مجاز او جملة توعدون وتصدون وتبغونها احوال
ولم يذكر مفعول توعدون ليذهب النفس كل مذهب من الشر لان اوعد لا يكون الا في الشر
والصد اما حقيقة في عدم تمكين الناس من الذهاب الى الرسول او مجاز عن الابعاد
والصرف وفي من امن جناس اعاد الضمير في به مذكرا او في تبغونها مؤنثا لان السبيل

يذكرونه وقيل ضمير به لله وقيل توعدون وتصدون من آمن فاعمل الاول
ولم يرد في القرآن اعمال الاول في التنازع سوى هذا الموضع على هذا القول وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين تهديد وتذكير لعاقبة من افسد قبلهم وان كان طائفة الاية
هذا من احسن ما تلطف به في المحاورة اذ ابرز المتحقق بالصورة وعيد للكافرين بالعقوبة
وقيل للكفار خاصة لان في اصبروا قوة التهديد وقيل للمؤمنين خاصة في معنى الوعد
لهم بالظفر والحث على الصبر واحتمال الاذى او لتعودن فيه تغليب لان شعيبا لم يكن
في ملتهم قط حتى يعود اليها وانما ذلك خاص بمن آمن وقيل ان عاد بمعنى صار ثم في العود
مع الاخراج طباق معنوي او لتعودن اي ليكن منكم احد هذين الامرين على كل حال حتى في حال
كراهتنا لذلك قال ابو حيان وقدره الزمخشري اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا
مثله نحو ردوا المسائل ولم تطلق كريد زيدا ولو ... قد افترينا قيل هذه الجملة اخبار
مستانف قال الزمخشري وفيه معنى التعجب فانه قال ما اكذبنا على الله ان عدنا
في الكفر بعد الاسلام المرتد ابلغ في الافترا من الكافر الاصلي من حيث انه يزيد عليه
بزعمه انه قد تبين له ما خفي على الكافر من التمييز بين الحق والباطل حتى ارتد وقيل قسم
بتقدير اللام اي والله لقد الا ان يشاء الله قال ابن عطية قيل هو استثناء اريد به الا
الاستبعاد كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم لا افعل ذلك حتى يشيب الغراب وقد
علم استحالة ذلك فهو احالة على مستحيل قال وهذا تاويل المعتزلة القائلين ان الكفر بغير
المشية لكنه المعتزلة ولم يشعروا بما فيه انتهى واهل السنة قالوا هو استثناء لسلمه
وتادب ... افتح افصل لغة حمير وقيل لغة مراد اذا اي اذا الشرطية حذفت جملتها
وعوض منها التنوين كان في ذلك على ما نبه عليه فيه قليلة واخترناه وحررناه في الاتقان
فاخذتهم الرجفة في هود فاخذتهم الصيحة وتقدم نظيره في قصة صالح وفي الشعراء
فاخذهم عذاب يوم الظلة لانها قصة اخرى لقوم آخرين كما تقدم بيانه وعلى تقدير انها
قصة واحدة جمع لهم بين الحر والصيحة والرجفة الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم
يغنوا فيها اي لم يقيموا ناعمي البال رخي العيش في دارهم وفيها قوة الاخبار عن هلاكهم
وحلول المكروه بهم والتنبيه على الاعتبار بهم قال الزمخشري وفي هذا الابتداء معنى
الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا قد اخذهم الله اي عظيم غنيت في المكان اقمت
في الاقامة التي هي مقترنة بتنعم وعيش رخي هذا الذي استقريت من الاشعار التي ذكر
العرف في هذه اللفظة الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كانوا هم الخاسرين قال الزمخشري
فيه معنى الاختصاص اي هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم هم الرابحون
وفي الاستئناف للابتدا وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه
لرايهم واستهزا بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم وقال غيره لما كان ...
مبتنيا ان ما فعل الله بهم في مثالهم ... باخراجهم بالهلاك واي اخراج هو

وقالوا

وقالوا انكم اذا لخاسرون فرد الله تعالى عليهم الخسران ثم الجملتان معترضتان لعطف
تولى وما بعده على فاخذتهم الرجفة فاصبحوا [illegible] كان وجد في
نفسه رقة عليهم فسرى ذلك عن نفسه باستحضار سبب اتباعهم والقسوة عليهم فذكر
الكفر الذي هو اشنع اوصافهم وقرئ ايسي بالكسر لغة وما ارسلنا الاية لما ذكر تعالى
ما حل بالامم السالفة من باسه وسطوته ذكر تعالى ان تلك عادته في اتباع الانبيا اذا
اصروا على التكذيب وانه لا يعجل بالاهلاك والتدمير بل يقدم لهم المقدمات المنذرة بالهلاك
نعمه وكل هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لقومه وقد اخذوا بالجوع ثم نعمهم
ولم يومنوا كما قال ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون وقال
فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين الى قوله انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون
يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون مكان السيئة اي الحالة السيئة من الباسا والضرا
الحالة الحسنة من السرا والنعمة لفتحنا استعارة للتيسير كما يستعمل في الابواب المغلقة
وقرئ بالتشديد بركات تنكير للتكثير والتعظيم افامن استفهام توبيخ الزمخشري
فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفا والثانية بالواو قلت المعطوف عليه
قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الاية وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف
عليه وانما عطفت بالفا لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة بعد ذلك امن اهل القرى
ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى انتهى وفي قراءة او امن بسكون الواو واو
عاطفة للتنويع واعيد اهل القرى ظاهرا لما فيه من قصد التفخيم والتهويل والتعظيم
وقيد كل طرف بما يناسبه من النوم للبيات واللعب للضحى وجا نائمون باسم الفاعل
لانها حالة ثبوت واستقرار للنائمين ويلعبون بالمضارع لانهم يشتغلون بافعاله
متجددة شيئا فشيئا في ذلك الوقت افامنوا مكر الله عطفت هذه الجملة بالفا لانها تكرير
لقوله افامن اهل القرى او امن وتاكيد لمضمون ذلك فناسب اعادتها مصحوبة بالفا وفي مكر
الله استعارة والتفات وفي اعادة فلا يامن مكر الله ظاهرا مضافا الى الله تحقيق لوقوع
المكر بهم اولم يهد اي يبين وفاعله قيل ضمير الله لانه قرئ نهد بالنون وقيل ضمير ما جرى
للامم السالفة المفهوم من السياق وان محلها مفعول وقيل المصدر المنسبك من ان لو نشا
اي اصبناهم او قدرنا على اصابتهم ان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وفي
قراءة نهد بالنون التفات وعلى قراءة اليا الالتفات في نشا ونطبع حال مستانفة تلك
القرى اشارة الى بلاد قوم نوح ومن بعده نقص عبر بالمضارع مع معنى المضي لارادة الا
ستمرار بما كذبوا زاد في يونس به قال الكرماني لتقدم قوله فما امنوا ولكن كذبوا من غير
لحاق به فناسب تركها وفي يونس فكذبوه فنجيناه ثم كذبوا باياتنا فناسب لحاق به كالحق
الضمير فيما قبله كذلك يطبع الله فيه التفات وفي يونس نطبع قال الكرماني لانه تقدم هنا ذكر
الله بالتصريح وفي يونس بني على ما قبله من قوله فنجيناه وجعلناهم ثم بعثنا بنون العظمة

فناسب نطبع بالمؤمن وقال ابن جماعة لما اكد اول الاية هنا بالقسم ناسب ذلك تعظيم الطبع بنسبته الى اسم الله وناسب [illegible] الكافرين الاي معناه اشد من وصف المعتدين فناسب كل اية ما ختمت به وما وجدنا فيه النفات من عهد اي انقا عهدا والزام عهد ثم بعثنا من بعدهم موسي ابو حيان لما قص الله على نبيه اخبار نوح وهود وصالح ولوط وبني اسرايل اوكانت معجزاته اعظم المعجزات واشد من اكثر الامم تكذيبا وتعنتا وافراحا وجهلا وكان مد بعي من اتباعه عالم وهم اليهود فقص سبحانه وتعالى قصصهم علينا لنعتبر ونتعظ وننزجر عن التشبه بهم ومناسبة هذه الاية لما قبلها ان بين موسي وشعيب مصاهرة كما حكى الله في كتابه ولتكونه من نسل ابراهيم ولما افتتح قصة نوح بارسلنا نوحا [illegible] اتبع ذلك قصة موسي فقال ثم بعثنا واول ذكر الله المرسلين ولم ينص على معجزاتهم سوي موسي وعيسي لبقا اتباعهم فكان في ذكرها الزام لتصديقهم بالقران والنبي لمطابقتها لما عندهم ولما لم يكن بقي من اتباع تلك الرسل احد لم ينص على معجزاتها لعدم الفايدة المذكورة فان قلت قد ذكر معجزة صالح وهي الناقة ولم يبق من اتباعه احد قلت ظهر لي في ذلك امران الاولى ان امر الناقة وعقرها كان مشهورا بين العرب في الجاهلية وذكروه كثيرا في اشعارهم لان صالحا كان من العرب ومات بمكة او بحضرموت قال بعض العرب

• فاتاها احمر كاخي السهم • بعضب فقال كوني عقيرا •

وقال الاخر

• فتنتج لكم غلمان اشام كلهم • كاحمر عاد ثم يرضع فيفطم •

اراد كاحمر ثمود فكان في ذكر الناقة ما يقتضي تصديق العرب بالقران وبلجاجه والاخر انه ورد ان الدابة التي تخرج قرب الساعة ناقة صالح فكان في ذكرها ظهار الذكرها في الاشراط وقال موسي يا فرعون اني رسول من رب العالمين فاتحه بذلك لانه ادعى الربوبية لينبه على انه في الوصف الذي ادعاه مبطل لا محق حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لما كان هذه دعوي اردفها بما يدل على صحتها فقال قد جيتكم ببينة من ربكم ولما قرر الرسالة فرع عليها تبليغ الحكم فقال فارسل معي بني اسرايل وقرا السبعة على حرفجر على تضمين حقيق معني حريص او على معني الباء ويويده قراة ابي بان وقرا ابن مسعود حقيق ان باسقاط الجار فيحتمل اضمار على والباء وقرا نافع علي مشددة اليا فقيل حقيق مبتدا وعلي خبره وان لا اقول فاعل بحقيق لانه بمعني يحق علي وقيل ان لا اقول مبتدا وحقيق خبره وقيل تم الكلام عند حقيق وعلي ان لا اقول مبتدا وخبر وفي الخطاب نوع كانه استعمل من الخطاب فرعون الى خطاب قومه وقال من ربكم تنبيها لهم ان فرعون ليس بالهم ثم استعمل ثانيا من خطابهم الى خطابه وقال هنا معي لانه لم يذكر سوي رسالة موسي وفي طه فارسل معنا لان الخطاب لموسي وهارون قال ابن جماعة قال ان كنت جيت باية الحديث لانه في مقام الشك ولهذا كرر قوله ان كنت من الصادقين فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر لا تخيل فيه بل هو ثعبان حقيقة فاذا هي بيضا للناظرين في ذكره تنبيه على عظم

بياضها لان النظارة انما تعرض لها اذا كان بياضها عظيما خارجا عن العادة فيجتمع اليها الناس كما يجتمع النظار للعجايب قاله ابو حيان قال الملا من قوم فرعون في الشعرا قال للملا حوله والجمع ان فرعون وهم كلهم قالوا ذلك فحكي هنا قولهم وهناك قوله او قاله ابتدا فتلقاه منه الملا وقالوه لاتباعهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ قال ابن جماعة وجمعت الشعرا لحكاية قوله لتقدم مخاطبته لموسى بقوله الم نربك الى اخره فناسب ذلك حكاية قوله ان هذا قال ابو حيان اكثر استعمال لفظ هذا اذا كان من كلام الكفار في النقص والاستغراب نحو اهذا الذي يذكر الهتكم اهذا الذي بعث الله رسولا ان هذا الا اساطير الاولين ما هذا الا بشر مثلكم ان كان هذا هو الحق من عندك يعدلون عن اسم النبي الى الاشارة تحقيرا يريد ان يخرجكم استشعرت نفوسهم ما صار اليه امرهم من اخراجهم من مواطنهم وخراب بيوتهم فبادروا والى الاخبار بذلك من ارضكم زاد في الشعرا بسحره قال ابن جماعة لان اية الشعرا من كلام فرعون ولما كان هو اشدهم في رد امر موسي والتنفير عنه صرح بانه سحر ولذا قال اجيتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسي قاصدا بذلك تنفير الناس عن اتباعه وذكر مثله صاحب المناجاة وزاد انه لم يقل من ارضي او ارض فرعون اغراء لهم عليه وتحريضا على بغضه ودفعه بنسبة الارض اليهم وتالفا لقلوبهم انه لعدله في ملكه كانه ليس له ارض وانما الارض لهم ولهذا قال فماذا تامرون وهو تسفل منه لهم اذ الامر من العالي للسافل وهو من قول فرعون لا من قول الملا فاما ان يكون على تقدير قال قبله وهم كلام الملا عند من ارضكم او على ان المراد قال الملا من قوم فرعون وفرعون معهم كما صرح الكرماني على حد واغرقنا ال فرعون اي وفرعون معهم ارجه بالهمز اي اخره وبدونه اي اطمعه وارسل في الشعرا وابعث قال الكرماني والامام وغيرهما لان ارسل اكثر تفخيما من ابعث واعلى رتبة لاشعاره بالنفوذ فيه فلما حكي هنا قول الملا لفرعون ناسب خطابهم له بما هو على تفخيما له وفي الشعرا صدر الكلام بانه هو القايل لهم فناسب تنازله معهم ومشاورته لهم بكل ساحر وفي قراة سحار وكذا في يونس القراة بالوجهين فلم يقرا في الشعرا الا سحار لمناسبة زيادة بسحره قال ابن جماعة وجا السحرة فرعون قالوا في الشعرا فلما جا السحرة قالوا لفرعون قال الكرماني لان القياس هنا وجا السحرة فرعون وقالوا او فقالوا لكن حذف الواو والفا فيكون جواب سوال مقدر وتقديره فلما جاوا قالوا ولما تقدم فرعون ذكره فاني التقدير فيهما فلما جا السحرة فرعون قالوا لفرعون فاظهر الاول في هذه لانها الاولى واظهر الثاني في الشعرا لانها الثانية وقال الامام لما كانت قصة موسى وفرعون في الشعرا مسوقة في الذكر من اولها الى اخرها وقع فيها زوايد لم تقع في هذه ولا في طه كقوله الم نربك فينا وليدا وما بعده وقوله ثم اغرقنا الاخرين بنى فيها على الاطناب ولما كان للذكر في هذه بعض الحال بني الامر على الايجاز ولهذا حذف بسحره هنا ايضا القراة بلفظ الاستفهام

ولخبر لاجرا اي عظيما قال الزمخشري التنكير هنا للتعظيم كقولهم ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة قال ابو حيان في خطاب السحرة فرعون بذلك دليل على استطالتهم عليه واحتياجه اليهم ولما يحصل للعالم بالشيء من الترفع على من يحتاج اليه قال نعم اي ان لكم الاجرا ولذا عطف عليه وانكم لمن المقربين اي لا اقتصر بكم على الاجر والجعل بل ازيدكم التقريب ورفع المنزلة والجاه وزاد في الشعرا اذن قال الكرماني وهو مقدرة هنا وخصت هذه السورة بالاظهار لانها محل الاختصار قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال الزمخشري تخييرهم اياه حسن ادب راعوه معه وقال القرطبي تادبوا مع موسى فكان ذلك سبب ايمانهم وقال ابو حيان لسر ذلك من باب الادب الثقة بالقسم وايهام الغلبة وعدم الاكتراث بامر موسى وقال الزمخشري وفي قولهم ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر ولحام الفصل وان اما في محل نصب على ان المعنى اختر او رفع على معنى اما الفاعل مبدوء به وحذف مفعول تلقي والملقين للعلم به او تنزيلا منزلة اللازم اي توجه الالقا الكرماني راعي هنا وفي طه فواصل الاي حيث قال الملقين وساجدين ورب موسى وهارون وادرج الوعيد في اية اخرها اشد عذابا وابقى قال القوا امر احتقار توسل به الى اظهار الحق واسترهبوهم بمعنى ارهبوهم الزمخشري اي ارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم واخرت هذه الجملة لان الرهبة ناشية عن رويتها العين واوحينا الى موسى ان الق عصاك قيل هو وحي اعلام وفايدة تجريده تثبيت الجاش والبشارة بالنصر وقيل وحي الهام اي قلنا ذلك في روعه تلقف بفتح اللام وتشديد القاف اي تتلقف وفي قراءة بسكون اللام واللقف والتلقف الابتلاع بسرعة وقرئ تلقم بالميم اي تبلع كاللقمة فوقع الحق اي ظهر واستبان قال ارباب المعاني الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلا الى مستقره وقال القاضي فوقع الحق يفيد قوة الظهور والثبوت بحيث لا يصح فيه البطلان كما لا يصح في الواقع ان يصير لا واقعا ومع ثبوت الحق بطلت ورالت تلك الاعيان التي افكوها وفي الاية طباق لطيف فان بطل معنى زال في مقابلة فوقع بمعنى ثبت وظهر وما كانوا يعملون اي افكهم في مقابلة الحق فغلبوا هنالك وانقلبوا في الفعلين موازنة وقوع من الجانبين ولما كان الضمير فيهما شاملا للسحرة وغيرهم خرج المؤمنون بعد ذلك وافردوا بالذكر فقال والقي السحرة ساجدين اي خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وعدم تمالكهم عما راوا قالوا في موضع الحال اي قائلين آمنا برب العالمين قالوا ذلك موافقة لقول موسى اني رسول من رب العالمين فلما كان هذا اللفظ قد يوهم غير الله لقول فرعون انا ربكم الاعلى زادوا رب موسى وهارون نصا بالبدل على الاله الحق ودفعا لذلك الوهم قال صاحب المنجاة هو من باب التكميل والاحتراس قال فرعون صرح به وفي الشعرا

وطه قال آمنتم قال الكرماني لان هذه السورة مقدمة عليهما فصرح فيها وكني فيما بعدها وقال الامام هنا بعد ذكر فرعون وطال الفصل بايات كثيرة فحسن التصريح به وهناك قرب من ذكره فكني عنه آمنتم به اي برب العالمين وفي طه والشعرا له اي لموسى لقوله انه لكبيركم قال صاحب المنجاة لما اشتمل كلامهم على الايمان برب العالمين رب موسى وهارون ورجع الضمير في الموضعين فذكره بالنسبة الى الصدور وتوحيدهم وهو رب العالمين وله بالنسبة الى معجزه وهو رب موسى والمعتدر امنا برب العالمين واخلصنا لرب موسى وهارون وقيل آمنت به وآمنت له واحد وانما وردت في كل موضع احدى الاستعمالين تنوعا في التعبير لكسوف ان هذه السورة مبنية على الايجاز وتلك على الاطناب كما تقدم تعلمون حذف المفعول للابهام المقصود به التهويل اي ما يحل لكم من تعذيبه فقال لاقطعن الاية قرى لاقطعن ولاصلبنكم مضارع قطع وصلب الثلاثي بضم اللام وكرها وعطف هنا الصلب بثم وفي طه والشعرا بالواو لان هذه اول سورة فيهن البعدية واحال ما بعدها على ما هنا فاتى بالواو والتي لا تنافي الترتيب بل يكون له في محله استعمالا تفننا واختصارا واتى في طه لكثرة جملها التي قامت مقام اثنين او ثلاث وللموافقة ما عطف عليها من قوله ولتعلمن قالوا انا زاد في الشعرا الاضير قال الكرماني لبناها على الاطناب وبناء هذه على الايجاز وما تنقم منا الا ان امنا هذا من باب تاكيد المدح بما يشبه الذم لان الايمان ليس مما ينقم قال ابو حيان هذا الفعل من لسان العرب يتعدى بعلى تقول نقمت عليه كذا وعدي في القرآن بمن لتشبيهه له بانتقم فان امنا مفعول له قلت الاولى ان تقال ضمن له معنى نكره وقرى بفتح القاف لغة ايذر استفهام انكار ليفسدوا في الارض ويذرك فيه لف ونشر غير مرتب فان ضمير يذرك لموسى وليفسدوا للقوم وقرى ويذرك بسكون الراء عطف توهم تشبيها ليفسدوا بالمجزوم على حد فاصدق واكن او تخفيف وقرى بالنون ورفع الراء اما توعد منهم او اخبار بايوول اليه الامر وقرا ابي وابن مسعود وقد تركوك ان يعبدوك والهتك وقرا الاعمش وقد تركك والهتك وقرى والاهتك بالافراد اي عبادتك فهو مصدر وقيل المراد بها الشمس لانهم اعلاها الى الاهة وكان فرعون يدعي ان الشمس استجابت وملكته عليهم وانا فوقهم اراد فوقية العلو والرفعة والقهر لا المكانة قال موسى الزمخشري فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هذه جملة مبتدأة مستانفة واما قال الملا فمعطوفة على ما سبقها من قوله وقال الملا من قوم فرعون يورثها قرى بفتح الواو وقرى بتشديد الراء مبالغة والعاقبة قرى بالنصب عطفا على الارض عسى ربكم ان يهلك عدوكم الى بصيغة الترجي تادبا مع الله فينظر كيف تعملون جملة تجري الحث والتحريض على طاعة الله اخذنا اصله التناول باليد واستعير هنا للابتلا بالسنين اصل السنة الحول ثم استعيرت للجدب وشاع حتى صار من الاعلام الغالبة فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه

اي نحن مستحقون لها لم نعدها فضلا من الله بل استحقاقا لنا وان تصبهم سيئة يطيروا
بموسى فلا نعدها منحة لهم لما هم عليه من الكفر والمعاصي وجيء باذا في جانب الحسنة
للاشارة انها غالبة ومحققة لان احسان الله هو المعهود الى خلقه حتى في حال الابتلاء له
في جانب السيئة لانها نادرة وقليلة ولهذا عرف الحسنة ونكر السيئة وقرئ تطيروا
بالفوقية وتخفيف الطاء ماضيا وقرئ تشاءموا الا انما طائرهم اطلق على العذر طائرا من
باب المشاكلة والا فهو الماخوذ من زجر الطير وقرئ طيرهم عند الله فيه التفات
فارسلنا فيه التفات الطوفان قال ابن عطية هو عام في كل شيء يطوف الا ان استعمال
العرب له اكثر في الماء والمطر الشديد وقيل هو هنا الطاعون بلغة اليمن وقيل الجدري والقمل
قرئ بفتح القاف وسكون الميم ايات مفصلات اي معرفات بين الاية والاية فصل من الزمان
والفصل في الاجرام التفريق وفي المعاني التفريق المعنوي فتبيين بعضها
من بعض فلا يشكل كشفنا عنهم الرجز من اقامة الظاهر مقام المضمر لكونه من جملة اخرى
الى اجل هم بالغوه لم تبال بالغيه لان الوصف بالجملة كالوصف بالمفرد لتكرر
الضمير اذا هم ينكثون اي فاجاوا بالنكث وبادروه ولم يؤخروه فاغرقناهم الفا
تفسيرية لان الاغراق تفسير للانتقام اليم البحر قيل هو بالسريانية وقيل بالعبرانية
كلمت ربك فيه التفات وقرئ كلمات بالجمع ودمرنا فيه التفات يعرشون بكسر الراء وضمها
وقرئ بضم الرا وفتح العين وقرئ بغين معجمة وسين مهملة من غرس الاشجار قال
الزمخشري وما احسبه الا تصحيفا وهذا اخر ما اقتص الله من نبا فرعون والقبط
وانظر الى هذه البراعة الختام كيف ختم بما اذن بانتهائه من الاهلاك والاغراق والتدمير
فالمراد وتمام الكلمة وكل لفظة من هذه كافية في حسن براعة الختام ثم اتبع ذلك
اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من فرعون واستعباده اياهم ومعاينتهم
الايات العظام ومجاوزتهم البحر من طلب الهة يعبدونها غير الله تعريضا باليهود
المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له واشارة الى ان هذا شان اسلافهم من
قبلهم الا عصيان على الانبيا والاعتدا بعد الاكرام وروية الايات فقال وجاوزنا
الاية وجاوزنا لا مشاركة فيه وقرئ وجوزنا يعكفون بضم الكاف وكسرها انكم
قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده بان لان مثل هذا الكلام الشنيع لا يصدر الا
عمن بلغ غاية الجهل واتى بتجهلون دون جهلتم اشعارا بان ذلك فيهم كالطبع والغريزة
لا ينتقل في ماض ولا مستقبل ولما بدا بنسبتهم الى الجهل ثنى بالاخبار بان عبادة الاصنام
لا يؤول على شي بل مال امرهم الى الهلاك وبطلان العمل ثم ثلث بالانكار والتعجب من ان يبغي هو
في طلب اله لهم غير الله وهو الذي شرفهم وخصهم بالنعم التي لم يعطها من سلف من الامم واذ
انجيناكم الخطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم تذكيرا لهم بالنعم على اجدادهم كما في
البقرة وقرئ نجيتكم ويقتلون مشدد ومخفف وواعدنا اجل في البقرة المواعدة

وواعدنا اجمل في البقرة المواعدة باربعين وفصلها هنا وقال العدد لكونه وهي فتم ميقات
ربه اربعين ليلة دفع لتوهم كون العشرة غير مواعد او كونها من الثلاثين اذ كونها عشر
ساعات مثلا وفي ربه الميقات وذكر التمام دون الكمال لان الكمال يختص بالنقص اجزاوه
والتمام بما زاد على كمال الاجزاء والثلاثين لم تكن ناقصة الاجزا فتمت بالعشر وقرئ اي
وتممناها مشددا قيل والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال
والوقت وقت الشيء وادعي تمييز لنسبة التمام هارون قرئ بالضم على النداء لميقاتنا فيه
التفات وكلمه ربه فيه التفات ايضا ارني اي ذاتك لن تراني اكد في النفي من لا وطوى به
ارني دون انظر اذ لم يقل لن انظر اليه وطرقه في النظر الى الجبل انظر دون ارني دكا اي
مدكوكا وفي قراءة بالمد بلا تنوين اي ارضا دكاء وقرئ بضم الدال جمع دكا كغز جمع غزا
يا موسى اني اصطفيتك الاية لما طلب الروية ومنعها عدد تعالى وجوه نعمه العظيمة عليه
وامره ان يشتغل بشكرها فتسلية منه تعالى له قال قراءة برسالتي وقرئ
شذوذا وبكلامي تكليمي ومن الشاكرين مبالغة لعدم تقرير هاهنا في البقرة وكتبنا فيه
التفات فخذها اي فقلنا خذها عطف على كتبنا ويجوز كونه بدلا من فخذ ما اتيتك وامر
قومك ياخذوا باحسنها امر موسى اشد واكثر مما امر به قومه وهكذا الانبيا عليهم الصلاة
والسلام لهم خصائص في التكاليف لم يكلف بها قومهم زيادة في الزلفى ساريكم فيه شبه
الالتفات وهو الانتقال من نون العظمة الى ضمير الافراد والالتفات من خطاب الواحد الى
خطاب الجمع وقرئ باشباع الضمة واوا على الرسم وقيل انها لغة ناشئة بالحجاز تقال اوري
يوري وقرئ ساورثكم مثلثة قال الزمخشري وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا
القوم ساصرف قال ابو حيان لما ذكر الفاسقين ذكر ما يفعل بهم ثم قيل هو من تمام خطاب
موسى وقيل مقطوع عنه يتكبرون في الارض بغير الحق قيد لان التكبر قد يكون بالحق كتكبر
المحق على المبطل فلا يكون مذموما كقوله اعزة على الكافرين وان يروا قرئ بضم الياء الرشد
بفتحتين وبضم الرا وسكون الشين وقرئ بضمتين اتباعا وقرئ الرشاد قال ابو عمرو الرشد
بالضم الصلاح والعطر وبفتحتين لا يتخذوه قرئ يتخذوها عودا على السبيل وذكر السبيل استعماله
وفي الرشد والغي طباق وكذا في لا يتخذوه ويتخذوه طباق السلب والايجاب وقدم وان يروا
الرشد لموافقة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها فلاولاها النسب كذبوا باياتنا فيه شبه الالتفات
وكانوا عنها غافلين الختم به توهم مناسب لابتداء الاية بالصرف عن الايات ولما ذكر عاقبة المكذبين
في الدنيا وهو الصرف عن الايات ذكر عاقبتهم في الاخرة فقال والذين كذبوا الاية والاستفهام
في هل يجزون بمعنى التقرير او النفي ولما كان الكلام في مناجاة موسى استطرد منه الى ما استطرد
لما بقيه لتعلقها به فقال واتخذ قوم موسى من بعده اي بعد مضيه الى الميقات من حليهم بضم الحاء
وكسرها اتباعا وبفتح الحا وسكون اللام عجلا جسدا قال ابن الانباري ذكر الجسد لان ذلك على
عدم الروح فيه قال ابو حيان ولو يذكر ما ورد في ان موسى برده بالمبارد في اليم لا يرد ذلك

المراد من تصويت الربح في تجاويفه وقري جوار بجيم وهمزة وهو الصياح لشدة صوت الم يروا
استفهام توبيخ وتعجب انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وقد ركز في العقول ان من كان بهذه
المثابة استحال ان يكون الها وهذا نوع من انواع البلاغة يسمى الاحتجاج النظري وبعضهم
يسميه المذهب الكلامي واقتصر على سلب هذين الوصفين لان انتفا التكلم يستلزم انتفا
العلم وانتفا الهداية يستلزم انتفا القدرة وانتفا العلم والقدرة يستلزمان انتفا باقي
الاوصاف اتخذوه وكانوا ظالمين اي اقدموا عليه على هذا الامر الشنيع وكان الظلم شانهم
وديدنهم فليس ذلك باول ما احدثوا من المناكير ولما سقط في ايديهم هذه كلمة تستعمل في
الندم بغير ارادة السقوط كما يستعمل ضرب على اذانهم في النوم من غير ارادة ضرب
وسقط في يده فعل لا ينصرف الى مضارع ولا غيره قال ابو عبيدة يقال ان ندم على
امر وعجز عنه سقط في يده وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم كما يقال حصل
في ايديهم مكروه ومحال ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب والنفس بما يحصل في اليد
ويرى بالعين وقال ابن عطية العرب تقول ان كان ساعيا لوجه اوطالبا غاية فعرض له
ما صده عن وجهه ووقفه موقف العجز وتيقن انه عاجز سقط في يد فلان وقد يعرض
له الندم وقد لا يعرض قال والوجه الذي يصل بين هذه الالفاظ وبين المعنى المذكور وان
السعي او الصرف او الدفاع سقط في يد المشار اليه وصار في يده لا يجاوزها ولا يكون
له في الخارج اثر وقال الزمخشري هذه كناية لما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة
العجل لان من اشتد ندمه وحسرته يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه
قد فيها وسقط مسند الى ما في ايديهم وهو من باب الكناية وقيل هو ماخوذ من السقيط
وهو ما يغشى الارض بالغدوات شبه الثلج ومعنى سقط في يده وقع في يده والسقيط
يذوب بادنى حرارة ولا يبقى ومن وقع في يده السقيط لم يحصل منه على شي فصار هذا
مثلا لكل من خسر في عاقبته ولم يحصل من تعبه على طائل وكانت الندامة اخر مرة وقيل
من عادة النادم ان يطاطي راسه ويضع ذقنه على يده معتمدا عليها ويصير على هيئة لو
نزعت يده لسقط على وجهه فكان اليد مسقوطا فيها ومعنى في على اي سقط على يده
وقري سقط بالبنا للفاعل اي الندم او الخسران واسقط رباعيا مبنيا للمفعول لين لم
يرحمنا ربنا في قصة ادم وان لم تغفر لنا وترحمنا بتقديم المغفرة لان هذه مقالة اتخاذ
اله غير الله فبدي بالرحمة التي وسعت كل شي ومن المغفرة وتلك محاورة جرت بين ادم وبين
ربه في عتاب صدر اليه فبادر الى طلب غفران ما وقع عليه العتاب والقراة بالغيبة
ورفع ربنا والخطاب في الفعلين ونصب ربنا نداء وقرا ابي قالوا ربنا لين بتقديم المنادي
قال ابو حيان يحتمل ان يكون القولان صدرا منهم على التعاقب وان يكون كل من طائفة فمن غلب
عليه الخوف وقوي على المواجهة خاطب ومن غلب عليه الحيا اخرج كلامه مخرج المستحي من
الخطاب فاسند الفعل الى الغايب غضبان اسفا اي حزينا وهو ابلغ من اسف بالمشدد

قال

قال الواحدي اذا اتاك ما تكره ممن دونك غضبت او ممن فوقك حزنت فاغضبه عبادتهم
العجل واحزنه فتنة الله اياهم اعجلتم استفهام انكار وعجل يتعدى بعن وضمن هنا معنى
سبق فتعدى تعديته قيل العجلة التقدم بالشي في غير وقته مذمومة والسرعة
المبادرة بالشي في وقته وهي محمودة والقى الالواح فتكسرت ورفع اكثرها الذي فيه
تفصيل كل شي وبقي سبعها الذي في نسخته الهدى والرحمة وهو الذي اخذ بعد ذلك
قال ابن ام ناداه بذا استعطافا وترققا وكان شقيقه والعادة في التلطف والتحنن
ذكر الام كقوله يا ابن امي ويا شقيق نفسي والقراة ام بفتح الميم دلالة على الالف المحذوفة
المنقلبة عنها يا الاضافة وبالكسر دلالة على اليا المحذوفة وقرا امي باثبات اليا
وقري يا ابن امي باثبات حرف النداء واليا وقري ابن ام بكسر الهمزة والميم استضعفوني
وجدوني ضعيفا فلا تشمت قري بفتح اوله مع كسر الميم وفتحها ونصب الاعدا وتشمت
متعدية كاشمت وقري بالوجهين ورفع الاعدا نهي لازمة ونهي الاعدا عليهم عن الشماتة
من باب لا اريتك هنا اي لا تفعل ما يحملهم على الشماتة قال رب اغفر لي ولاخي الخ ترحم
في الدعا ترضية له وجبرا لما جرى ولامه ان الذين اتخذوا استينافا لخبار من الله وقيل
من تتمة كلام موسى الى قوله الدنيا وصدقه الله بقوله وكذلك نجزي المفترين وعلى الاول
في رسم التفات من قوله بايتنا ثم في عزني التفات عنه ثم في ان ربك التفات عنه وقوله
تابوا من بعدها تكرير للاول تاكيدا فالضمير للسيات وقيل للتوبة ولا تكرار
اردف المغفرة بالرحمة ليعلم ان الذنوب وان عظمت فان رحمته اعظم واجل سكت عن موسى
الغضب استعارة شبه خمود الغضب بانقطاع كلام المتكلم وهو سكوته وقال يونس العرب
تقول سال الوادي يومين ثم سكت وقيل هو مقلوب قال الزجاج مصدر سكت الغضب سكت
ومصدر سكت الرجل سكوت وقيل هو من باب القلب اي سكت موسى عن الغضب وقال
الزمخشري هذا تمثيل كان الغضب يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر
براس اخيك فترك النطق بذلك وترك الاغرا ولم يستحسن هذه اللفظة ولم يستفصحها كل
ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراة معوية
بن قرة ولما سكن ولما تجد النفس عندها شيا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقري
اسكت رباعيا مبنيا للمفعول اي اسكته الله وقرا ابن مسعود ولما صبر وقري
ولما اشتق واختار موسى قومه سبعين رجلا هذا احد الافعال الذي تتعدى الى اثنين
ثانيهما بحرف الجر ثم يحذف الحرف وتتعدى بنفسه وهي مقصورة على السماع لميقاتنا
للمناجاة روي ان موسى امره الله تعالى ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة
النقات وموقتات وقتهم ليعتذروا من خوانتهم فيدعون ويعتذرون من عبادة العجل
فخرجوا وسمعوا كلام الله فقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة فقالوا اخذ
هذا الكلم اتحاد والرجفة هنا هي الصاعقة المذكورة في البقرة وهو يؤيد تارادف
الرجفة والصيحة واياي عطف على الضمير المنصوب في اهلكتهم وبدا بضميرهم لانهم الذين

احد بهم الرجفة فكانوا اهم في الذكر واشرك نفسه في ذلك مبالغة في التسليم للمشية اتهلكنا
استفهام استعطاف ان هي الا فتنتك اي عذابك تصيب به من تشا وتصرفه عمن تشا قاله
ابن عباس فلا اشكال في الاية البتة واطلاق الفتنة بمعنى العذاب مشهور ومنه يوم هم على
النار يفتنون اي يعذبون وضمير هي للفتنة او للفتنة المفسر له فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الغافرين اكد المغفرة هنا لان السوال لقومه المذنبين ولم يوكدها في قوله
اغفر لي ولاخي بل اكد الرحمة بقوله وانت ارحم الراحمين لان السوال هناك لمعصومين لم يذنبا
فنبه على سعة رحمته من غير تاكيد للمغفرة هدنا قري بكسر الها قال عذابي اصيب به من
اشا ورحمتي وسعت كل شي مطابق لقول موسى السابق وتقرير له وفي الجملتين طباق
في اربعة مواضع كما يعرف بالتامل وقري اسا من الاساة وانكرها ابو عمرو الداني وقال
انها من موضع المعتزلة وقراها سفين بن عيينة مرة فقام اليه بعض القرا وصاح به
فقال سفين لم ادر ولم افطن لما يقوله اهل البدع فساكتبها اي الحسنة سا كتبها
موسى لقومه فيها سبحانه لامة محمد وقيل الضمير للرحمة لانها اقرب مذكور قال لما سمع ابليس
ورحمتي وسعت كل شي تطاول لها فاسكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة فيئس ابليس
وتطاول لها اليهود والنصارى فلما عادت الصفة تبين ان المراد امة محمد يتقوا
واقتصر على التقوى لانها جامعة لكل خير بفعل وشر بترك وعطف الزكاة من عطف
الخاص على العام اهتماما بها الذين يتبعون الرسول هذا من حسن التخلص فان الكلام
كان في قصة موسى وقومه فتخلص الى وصف النبي صلى الله عليه وسلم ومتبعيه وقيل
هو من الاستطراد منه وهنا قد عاد في قوله ومن قوم موسى امة الى اخر الايات
قال ابو حيان هذا من تتمة خطابه تعالى لموسى اخبره بانه سيبعث رسولا من صفاته
كذا وكذا ولما كان الرسول قد يكون ملكا اردفه بالنبي الامي قري بفتح الهمزة على
انه من تغييرات النسبة او نسبة الى الام بمعنى القصد اي انه المقصود للناس يامرهم
الى اخره فيه ست طباقات وهي جمل من جوامع الكلم يجمع جميع ما تضمنته الشريعة
ويضع قري ويذهب اصرهم في قراة اصارهم بالجمع وقري اصرهم بفتح الهمزة والا
غلال استعارة عن التكاليف الشاقة لانها كالطوق والعنق وعزروه قال يونس
ابن حبيب المعزر المدح والثنا وقري بالتخفيف وقري نزايين من العز النور القران
وقال ابن عطية هو كناية عن جملة الشرع انزل معه اي عليه مع نبوته لان استنباه
كان مصحوبا بالقران مشفوعا به قل يا ايها الناس الاية لما ذكر تعالى لموسى صفة محمد واخبر
ان من ادركه وامن به افلح امر تعالى نبيه بان يصدع بدعوته ورسالته الى الناس كافة والدعا
الى الايمان بالله ورسوله وكلماته واتباعه الذي في موضع نصب على المدح او رفع وجوز
الزمخشري اتباعه ولم يبال بالفصل وذكر هذه الصفات لانها تقتضي الاذعان و
الانقياد لرسله والاحسن كونها جملا مستقلة من حيث الاعراب وان كانت متعلقة

ببعضها

ببعضها من حيث المعنى فامنوا بالله ورسوله هو من تتمة كلام النبي صلى الله عليه وسلم المقول
في ورسوله التفات والاصل وبي وعدل عنه لنكتتين احدهما دفع التهمة عن نفسه بالعصبية
لها والاخرى تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة والخصائص
المتلوة وكلمته قيل المراد كتبه القران وغيره وقيل كل المعجزات وقري وكلمته على ارادة
الجمع وقيل بل ارادة عيسى لانه كلمة من الله وقري بدله واياته ومن قوم موسى امة الاية
قال هذه تتمة مرضية لموسى يعني انه تعالى لما اجاب موسى كان الحسنة لقومه لامة
محمد واثنى عليهم خيرا فانه من الجواب المحض له بالثناء على قومه بانهم هداة بالحق
وعدولا وبذلك عرف وجه مناسبة الاية لما قبلها وقطعناهم قري بالتخفيف اثنتي عشرة
بسكون الشين لغة الحجاز وقري بكسرها لغة تميم وبفتحها لغة اسباطا بدل لا تمييز لانه لا يكون
هنا جمعا امما بدل ثان او نعت اسباطا فانبجست قال ابو عمرو بن العلا انبجست عرقت وانفجرت
سالت رزقناكم قري رزقتكم بالتا حطة قري بالنصب على المصدر نغفر بالنون وبالتا
مبنيا للمفعول وقري بالياء كذلك وقري بالتاء فوقية مفتوحة على ان الحطة تغفر لانها
سبب الغفران خطاياكم وفي قراة خطيئاتكم بالجمع والافراد قال ابن عطية يدل على اللفظ
دون ان يذهب بجميعهم وانما اذا ذهب به وجا بلفظ واسالهم الضمير لقوم موسى
مرادا به من كان منهم في عصر الرسول لا من اريد بقوله واذ قيل لهم وسائر الضماير
السابقة فهو استخدام عن القرية اي باهلها للقصا بر الاية يعدون من العدو بمعنى الاعتداء
وقري بضم اوله وكسر العين وتشديد الدال من الاعتداد لانهم كانوا يعتدون في الا
الصيد ويتجاوزون وتشديد الدال واصله يعتدون سبتهم اضيف اليهم لانهم مخصوصون
باحكام فيه وقري اسباتهم بالكسر مصدر اسبت اذا دخل في السبت لا يسبتون قري
بضم اوله من اسبت وقري بالبنا للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يومرون بان
يسبتوا معذرة اي موعظتنا وقري بالنصب اي وعظناهم نسوا اي تركوا مبالغة
من السو عدل اليه عن الضمير لقصد التعميم واخذنا الذين ظلموا عدل اليه عن الضمير تنبيها
على علية الاخذ وهي الظلم بئيس بوزن كريم مبالغة من باس وفي قراة بوزن حيدر
وفي اخرى بهمز بوزن نبرد وخرجها وصف على وزن فعل او نقل الوزن سمي به على حد
نهى عن قيل وقال وقري بيس بالفتح بلا تنوين فعلا ماضيا ودونه اي بئس العذاب
وقري فيه بوزن شهد وبوزن ضرب وبوزن فرح مشددة الهمزة وبوزن
ميت مشدد اليا وبوزنه مشدد الهمزة وبوزن حذلم وبيس كالاولى بكسر البا
لغة تميم وبايس بهذه الثنتان وعشرون قراة لما عتوا قيل هو تكرير لقوله فلما نسوا
وتعيين الاية بيان للعذاب البئيس باذن تفعل من الايذان وهو الاعلام اجري مجرى فعل
القسم كعلم الله وشهد الله فاجيب بما يجاب به القسم ربك فيه التفات عليهم اي اليهود
هو عام مراد به ما اريد بالضمير قبله من المسوخين وقطعناهم فيه التفات ودون ذلك

اي دون اهل الصلاح او فادر ذلك مقادير اولئك وبلوناهم خلف بسكون اللام في الذم
وما بفتحها ففي المدح ورثوا قرئ بضم الواو وتشديد الرا عرض هذا الادنى فيه تخسيس
له وتحقير والادنى من الدنو لحال وسقوطه وقلته الم يؤخذ توبيخ في التقريع وتقرير
ان لا يقولوا عطف بيان او بدل من ميثاق الكتاب ويجوز كون ان تفسيرية تقرئ بيا
الخطاب على الحكاية لا الالتفات على الله فيه التفات ودرسوا عطف على الم يؤخذ لانه
في معنى الاثبات كقوله الم نشرح ووضعنا وقرا ادارسوا واصله تدارسوا افلا تعقلون
في قراءة بالخطاب التفاتا او خطابا لهذه الامة والذين يمسكون بالكتاب اي ممن ورثهم
ففيه التفات على قراءة الخطاب وقرئ بالتخفيف من امسك وقرئ تمسكوا واستمسكوا واقاموا
الصلاة افردت بالذكر تعظيما لشانها انا فيه التفات اجر المصلحين من اقامة الظاهر مقام
المضمر نتقنا الجبل رفعنا بشدة ظلة سحابة خذوا على تقدير قلنا واذكروا قرئ تذكروا
بالادغام وتذكروا وهذا اخر ما سبق في هذه السورة من قصص بني اسرائيل مع نبيهم واذ
اخذ ربك الاية اول مناسبتها لما قبلها كون كل فيه اخذ الميثاق وفي ربك التفات من ظهورهم
بدل اشتمال من بني آدم ذرياتهم بالجمع والافراد مفعول اخذ وهو بمعنى اخرج قال الزمخشري
الاكثر على ان هذه الاية منقطعة عن قصة اليهود مسوقة لاجل المشركين قوله او تقولوا
انما اشرك اباؤنا من قبل ويحتمل انها سيقت لليهود ولعطفها على قصصهم وكونها على نمطها
واسلوبها ولقوله بعد واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا شهدنا هو من قول الله وتمام
قولهم بلى ففيه التفات او من قول الملائكة فيتعين قالت الملائكة او هو من تمام قولهم
ان تقولوا بالغيبة والخطاب ففيه التفات تفصل بالنون ففيه التفات ان لم يكن شهدنا
من قوله تعالى وقرئ بالياء ففيه التفات ان كان شهدنا من قوله واتل عليهم اي اليهود ابو
حيان لما ذكر اخذ الميثاق على توحيده وربوبيته وان من كفر بعد ذلك كافر اتبعه اقتران
بالربوبية ذكر حال من آمن به ثم كفر بعده تعريضا باليهود الذين كانوا مقرين منتظرين بعثة
الرسول صلى الله عليه وسلم فلما بعث كفروا به فانسلخ الانسلاخ التعري من الشي حتى لا يعلق
به منه شي وفي الملاقاة هنا استعارة اجرا للمعاني مجرى الاجرام وقيل انه من باب القلب
اي انسلخت الايات منه وفي الاية من انواع البديع المزاوجة وفي فاتبعه مشددا قال
صاحب اللوامح تبعه واتبعه المشددة فرق فتبعه اذا مشى في اثره واتبعه اذا وازاه
مشيا وقال القيسي تبعه من خلفه واتبعه بالقطع ادركه ولحقه فمثله الى اخره قيل وجه التشبيه
في ركوبه الحمل حملها او طردها وقيل لانه على الدنيا وقلقه واضطرابه على تحصيلها فهو لا
يزال تعبا قلقا في تحصيلها كما ان الكلب لا يزال لاهثا وقيل لا يذهب الى الحق دعي او لم يدع
اعطي او لم يعط قيل وشبهه بالكلب لانه لا شي في الحيوان اخس منه ابو حيان لما ذكر الحسان
باتيان الايات اسند الينا وفي الكلام حذف اي ولكنه اخلد لحظه في مقابلة رفعناه وحمل
الكلب وما بعده في موضع الحال وهو عن ابن وقوع ساء مثلا القوم قرئ ساء مثل القوم من

يهدالله

يهد الله فيه التفات فهو المهتدي روعي فيه لفظ من يضلل فاولئك هم الخاسرون
روعي فيه معناها وحسنه كونه فاصلة وفي الاية احتباك فان مقتضى التركيب فاولئك
هم الضالون كما قال فهو المهتدي لكنه حذف اكتفا بذكر نظيره في الجملة الاولى وحذف
من الاولى ضد الخسران اكتفا بذكر نظيره في الثانية ولقد ذرانا فيه التفات ابو حيان
مناسبة هذه الاية لما قبلها ان في ضمير ما تقدم وعيد الكفار قيل وفي الاية قلب
اي ذرانا جهنم لكثير اولئك كالانعام اي في عدم الفقه في العواقب والنظر للاعتبار
والسماع للتفكر بل هم اضل لانهم يعصون ولا ينقادون لربهم والانعام لا تعصي وتنقاد
لاربابها والانعام تعرف ربها وتسبح له وهم لا يعرفونه ولا يسبحونه ولذلك قال اولئك
هم الغافلون قيل للانتقال لا للابطال ولله الاسماء فيه التفات ابو حيان مناسبتها لما تقدم
انه لما ذكر انه ذرا لجهنم كثيرا ذكر نوعا منهم وهم الذين يلحدون في اسمائه وهم اشد الكفار
عتيا والتفصيا فلما انبه على ان من اسباب دخول جهنم الغفلة عن ذكر الله امر هنا بذكره باسمائه
الحسنى وصفاته العليا وقد يستعمل كثيرا في الوعيد كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا
والقراءة يلحدون من الحد ويلحد فقيل بمعنى وهو العدول عن الحق والادخال فيه ما ليس
منه والرباعي اشهر استعمالا من الثلاثي وقيل الحد مال وانحرف ولحد ركن والفوق
سيجزون السين لتحقيق الوعيد ما كانوا يعملون عام في الالحاد وغيره ولما ذكر انه ذرا
للنار كثيرا فلذا اتى بمن التبعيضية والمراد بهم من هذه الامة قال ابن عباس واكثر المفسرين
فهي في مقابلة قوله ومن قوم موسى الاية وانظر الى ما تضمنه الفرق بين العبارتين
من التشريف والتخصيص والتكريم لهذه الامة حيث اضافهم الى ذاته الشريفة وانه
خلقهم واضاف اولئك الى صاحب دعوتهم وقيل في الاية حذف اي وممن خلقنا للجنة
لاثبات مقابله في ذرانا لجهنم وفي خلقنا التفات والذين كذبوا باياتنا عود الى ما كان
الكلام فيه بعد الاستطراد سنستدرجهم قال ابو عبيدة الاستدراج ان يدرج الى الشي
في خفية قليلا قليلا ولا يهجم عليه واصله من الدرجة وذلك ان الراقي والنازل يرقى وينزل
مرقاة مرقاة ومنه درج الكتاب طواه شيا بعد شي ودرج القوم مات بعضهم في اثر
بعض ودرج الصبي قارب بين خطاه وقرئ بالياء ففيه التفات ومما يعد التفات عنه واملي
فيه التفات من ضمير العظمة الى ضمير الافراد اي اوخرهم ملاوة من الدهر اي اطيل لهم
واهجرني مليا ان كيدي متين سمي فعله بهم كيدا لانه شبيه به من حيث انه
في الظاهر احسان وفي الباطن خذلان اولم يتفكروا قال الزملكاني تم الكلام هنا ما بصاحبهم
نفي مستانف والاستفهام هنا قيل توبيخ وقيل تحريض وقيل التقدير فيعلموا ما بصاحبهم ولما
حثهم على التفكر في امر الرسول والاستدلال على صدقه عقبه بالحض على التفكر في امر
الاستدلال على وحدانيته فقال اولم ينظروا الاية فيما ملكوت السموات والارض لعظمهما ثم
ان في كل شي من مخلوقاته اية على وحدانيته ثم نبههم على تفكر خاص بانفسهم وهو النظر في اقتراب اجالهم

بيان اقتراب

ومبادرة الموت لهم على حال الغفلة ومن خلق الله النفات ويذرهم بالياء والنون في الفاء
والرفع استينافا والجزم عطفا على محل الجزاء يسألونك اي اليهود كما ذكر سبب النزول
فهو عود بعد الاستطراد ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تقدم ذكر التوحيد والنبوة
والقدر فاتبع بذكر المعاد اذ الاربعة مرتبطة بعضها في القران والقضا على تقدم وان
عسى فكما قترب اجلهم المتضمن لان الاجل يكون من الخلق وان الموت انما يجي بغتة وشي
ذلك حث على المبادرة الى التوبة والاسراع الى الخير عقبه بامر الساعة وانه انما يكون
من الخلق وياتي الا بغتة حثا وتحذيرا الساعة من الاعلام الغالبة ايان ترى بكسر
الهمزة لغة سليم استفهام من الزمان واغرب من قال اصله اي اوان حذفت الهمزة لكثرة
دوره وقلبت الواو يا فالتقى ثلاث يا آت فحذف احدها مرساها مصدر اي ارساوها اي
قرارها والرسو ثبات الشي الثقيل ثقلت استعارة للشدة والصعوبة واصله ان تعدى
بعلى ضمن معنى ما يتعدى بفي او تضمنت في معنى على كانك حفي اي مبالغ في الاعتنا بها مستقصي
متتبع متعلق به جملة معترضة بين يسالونك وعنها ان حفيا يتعدى بالبا وقيل عدي
هنا بعن لتضمنه معنى كاشف او على معنى البا وقرا ابن مسعود كانك حفي بها قل انما علمها
عند الله كرر الجواب كما كرر السؤال توكيدا قل لا املك لنفسي الاية نزلت لما قال اهل مكة
الا تخبرنا بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتري ونربح وقال ابو حيان ومناسبتها لما
قبلها ظاهر جدا لعني انه اصل الامور التي لا يعلمها الا الله كعلم الساعة وهذه الاية كالنادر
لاجال اية الانعام قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب الكرماني قدم هنا
النفع على الضر لمناسبة ما قبله وما تجد من تقدم الهداية على الاضلال في قوله من يهدي
الله الاية والخير على السوء في قوله لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وقدم في يونس
الضر على النفع لانه الاصل اذ العبادة لله تكون او لا خوفا من عقابه ثم طمعا في ثوابه
ولذلك قال يدعون ربهم خوفا وطمعا فكذا اكثر ما ورد في القران تقديم الضر على النفع
وما قدم فيه النفع فلسابقة لفظ يتضمنه وذلك ثمانية مواضع هنا اولها وفي الا
نعام لتقدم ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل وفي يونس لتقدم ثم ننجي رسلنا ولا
تدع وفي الانبيا لتقدم على ما هو لا ينطقون وفي الفرقان لتقدم نعم كثيرة وفي
الرعد لتقدم طوعا او كرها لتقديم الطوع وفي سبا لتقدم يبسط الرزق لتقدم البسط
وفي الشعرا لتقدم هل يسمعونكم اذ تدعون وهذا من لطائف القران وسالم برهانه
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء فيه لف ونشر مرتب وقيل تم الكلام عند قوله من
الخير وما مسني استيناف اي لم يمسني السوء وهو الجنون الذي رموني به قال مورخ السوء
الجنون بلغة هذيل نذير قيل فيه حذف واكتفاء اي للكفار لدلالة ما بعده عليه قلت ولما
كانت هذه السورة مكية قدم النذارة ولما كانت سورة البقرة مدنية قدم البشارة
في قوله انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا هو الذي خلقكم قال ابو حيان مناسبة هذه الاية

لما قبلها

لما قبلها انه لما ذكر الساعة والكفار لا يومنون بها ذكر بدء الخلق دليلا على الاعادة وقيل
وجه المناسبة انه لما ذكر الملحدين في اسمائه الذين اشتقوا منها اسما لاصنامهم فاخذوا
اللات والعزى من العزيز وامرهم بالنظر والاستدلال على الوحدانية ثم بين هنا ان اصل
الشرك من ابليس حيث ادخله على ادم وحوا بقوله سميا الولد عبد الحرث وفي ذلك ايما
الى الاتحاد في الاسماء منها اعيد الضمير فيه الى النفس مونثا باعتبار اللفظ وفي ليسكن
مذكرا باعتبار المعنى وحسنه كون الذكر هو الذي يسكن الى الانثى تغشاها كناية
عن الجماع والحمل بالفتح ما كان في البطن او على راس شجرة وبالكسر ما كان على ظهر او
راس غير شجرة وقرئ بالكسر فمرت به قال الحسن اي استمرت به وقيل هو على القلب
فمرت بها اي استمرت بها وقرئ بتخفيف الراء من المرية اي شكت فيما اصابها امر حمل او مرض
وقرئ فارت مخففا اي جاءت وذهبت من مارت الريح او ربانت ماري وقرا
ابن مسعود فاستمرت بحملها وقرا سعد ابن ابي وقاص فاستمرت به وقرا ابن عباس فا
ستمارت به من المرية اثقلت دخلت في الثقل فاصبح وامسى او صارت ذات ثقل كالمر
الرجل والتي وقرئ بالبنا للمفعول شركا بالجمع وفي قراءة بكسر الشين وسكون الرا
مصدر بمعنى الشريك اعلم ان الحديث وارد ان الاية في قصة ادم وحوا اخرجه احمد
والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث سمرة مرفوعا وله شاهد عن ابن عباس
بسند صحيح اخرجه ابن ابي حاتم وسياق الاية يرشد الى ذلك وقد توقف جماعة في ذلك
لقوله في اخر الاية فتعالى الله عما يشركون والانبيا معصومون من الشرك قبل النبوة
وبعدها اجماعا فالجاهم ذلك الى حمل الاية على بعض مشركي العرب وزوجه والى القدح
في الحديث وهذا كله قصور منهم فان حمل الاية على غير ادم وحوا مما لا يوهلها كل المنافاة
والقدح في الاحاديث الصحيحة لا يليق باهل المعرفة والذي يخلص من الاشكال ان قصة
ادم وحوا انتهت عند قوله فلما اتاهما وان قوله فتعالى الله تخلص الى قصة مشركي العرب
ولذلك الفصل بها اشركون ما لا يخلق الى اخره وقد وجدت السلف تفطنوا لذلك فاخرج عبد
الرزاق عن السدي قال هذا من الموصول المفصول واخرج ابن ابي حاتم عنه في قوله
فتعالى الله عما يشركون قال هذه فصل من اية آدم خاصة في الهة العرب واخرج عن طريق
السدي عن ابي مالك قال هذه مفصولة اطاعاه في الولد فتعالى الله عما يشركون هذه
لقوم محمد وبهذا التقرير انحلت هذه العقدة وانجلت هذه المعضلة وتوضح ذلك
تغيير الضمير الى الجمع بعد التثنية ولو كانت القصة واحدة لقال عما يشركان كقوله
دعوا الله ربهما فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما فلما غير الاسلوب في الضمير
الا لنكتة وهي اختلاف المخبر عنه ولذلك وردت الفعل في الايات المفصلة بصيغة
الجمع واكد ذلك ايضا بالعدول عن الغيبة الى الخطاب في قراءة تشركون بالفوقية فانه
خطاب للعرب المخاطبين بقوله اول الاية خلقكم من نفس واحدة وهذا النوع بديع

من فنون القرآن وهو الموصول لفظا المفصول معنى وقد عقدت له بابا في الاتقان واوردت
فيه عدة امثلة وذكرتها في هذا الكتاب في محلها أيشركون قرئ بالخطاب ما لا يخلق فيه
تغليب غير العاقل لكثرته وهم يخلقون فيه تغليب العاقل وحسنه مراعاة الفاصلة
وان تدعوهم فيه التفات على قراءة أيشركون بالغيبة وضميرهم للشركاء الاصنام وقيل الخطاب
للرسول والمؤمنين وضميرهم للكفار لا يتبعوكم شدد ومخفف ام انتم صامتون صح
عطفها على الفعلية لانها في معنى ام صمتم وحسنه مراعاة الفاصلة وان الصمت
امر لازم والدعا يحدث ويتجدد فناسب الاول الاسم والثاني الفعل ان الذين الاية جملة
مؤكدة لما قبلها وقرئ بتخفيف ان نافية ونصب عبادا وخبرها اي ليسوا امثالكم بل انتم اشرف
منهم لما لكم من الارجل والايدي والاعين والاذان فكيف تعبدون من هو دونكم ومعنى
القراءة المشهورة انهم مثلهم في كونهم مخلوقين مملوكين فلا منافاة بين القراءتين
وخرج ابو حيان الشاذة على انها ان المخففة اعملت في لغة من نصب بان الجزئين وفي
ذلك شذوذ وذاك والاول اسهل منه وامثالكم على هذه القراءة بالنصب نعت وقرئ بالرفع
خبر ان مخففة وعبادا حال مرعى بها الصلة فليستجيبوا امر تعجيز ألهم الاية استفهام
انكار وتعجيب وفي الاية الترقي من الادنى الى الاعلى لان الايدي اشرف من الارجل والا
عين اشرف منها والسمع اشرف من البصر والقراءة يبطشون بالضم والكسر والبطش
الاخذ بقوة ان وليي الله اعلام بانه لا يضره كيدهم شيئا وقرئ بيا واحدة على حذف
احدى اليائات او على تقدير ان اولياء الله فحذف التنوين للساكن على حد ولا ذاكر الله
الا قليلا وقرئ ولي الله بيا واحدة والاضافة الى الله والمراد به جبريل والتقدير
ان ولي الله من هو صالح فحذف لدلالة وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه
لا يستطيعون الاية هذا معنى ما تقدم في قوله ولا يستطيعون لهم نصرا الاية قال
الواحدي واعيد لان الاول مذكور على جهة التقريع وهذا مذكور على جهة الفرق
بين من يجوز له العبادة ومن لا يجوز كانه قيل الاله المعبود يجب ان يكون يتولى الصالحين
وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية وتراهم الاية اثبت النظر
مجازا بمعنى المقابلة ونفاه حقيقة اول وغاير بين اللفظين في الاثبات والنفي حيث
عبر في الثاني بالبصر لئلا يكون الكلام كالمتناقض والخطاب في تراهم والكاف للرسول
او لكل مخاطب وافرد بعد جمع تدعوهم لانه قطع مرحلة الشرط واستؤنف للاخبار عن
حالهم وقيل الاية في الكفار لا في الاصنام والنظر المثبت الحقيقي والمنفي المجازي ومناسبة
قوله في الاية بعده واعرض عن الجاهلين خذ العفو هذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق
فقد ورد انها نزلت فيها قال جعفر الصادق ليس في القرآن اية اجمع لمكارم الاخلاق
منها ومن استعمال هذه اللفظة في كلام العرب قول حاتم

خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

وقرئ بالعرف بضمتين وإما ينزغنك اي يحملك بوسوسته على ما لا يليق والنزغ ادنى
حركة ومن الشيطان ادنى وسوسة قاله الزجاج وقال ابن عطية حركة فيها فساد
وقل ما يستعمل الا في فعل الشيطان لان حركاته مسرعة مفسدة قلت وينزغنك
عام في الغضب وتحسين المعاصي واكتساب الغوائل وغير ذلك وفاعل ينزغنك
نزغ من الاسناد او المصدر على حد جد جده انه سميع عليم ختم بهما لان الاستعاذة
تكون باللسان ولا تجدي الا باستحضار معناها بالقلب فالسميع راجع الى القول
اللساني والعليم الى الاستحضار القلبي وفي حم السجدة انه هو السميع العليم بالتعريف
لان هذه نزلت اولا وتلك ثانيا فحسن التعريف اي هو السميع العليم الذي تقدم ذكره
عند نزغ الشيطان قال ابو حيان مناسبة هذه الاية لما قبلها ظاهرة جدا ولما ذكر
نزغ الشيطان للرسول اعقبه بمس طائفه للمؤمنين ان الذين اتقوا الاية قال ابو حيان
والنزغ اخف من مس الطائف لان النزغ ادنى حركة والمس الاصابة والطائف يشعر
بالطوفان والدوران فهو ابلغ لا محالة فكان للمتقين مزيد في ذلك على الرسول وانظر
لحسن هذا البيان حيث جاء الكلام في الرسول بلفظ ان المحتمل للوقوع وعدمه المقتضية
لقدرته على تقديره وفرضه وفي المتقين باذا الموضوعة للمحقق او الكثيرة كالمس
كلهم واقع لا محالة وغالب والنزغة له قد تقع وقلما تقع واذا وقعت فهي
نادرة وفي مس الطائف استعارة والقراءة طائف اسم فاعل وطيف مصدر او
مخفف من طيف المشدد وقرئ به قال ابو عمرو هما بمعنى الوسوسة وقال الكسائي
الطيف اللمم والطائف ما طاف حول الانسان وقال الفارسي الطيف كالخطرة
والطائف كالخاطر وتخصيص الملائكة بالوسوسة وتخصيص الجان بالطيف فلا
يقال فيه طائف لانه اسم فاعل لا حقيقة ونحو فطاف عليها طائف من ربك بالطائف
فلا يقال فيه طيف لانه اسم فاعل حقيقة قاله السهيلي ودل تذكروا على حصول
نسيان لهم وقرأ ابن الزبير تأملوا وقرأ ابي اذا طاف من الشيطان طائف تأملوا
وفي تتمة الاية مطابقة الابصار عقب التذكر واخوانهم الضمير للشياطين الذي دل
عليه الشيطان والواو في يمدونهم للغاوين فيه للاخوان وهم الكفار ويجوز عود
ضمير واخوانهم الى المتقين واريد باخوانهم الكفار من باب اخوة التقابل كما يقال
الليل والنهار اخوان وقيل ضمير اخوانهم للجاهلين والمراد بهم من تغويهم من شياطين
الانس والجن والاول قول الجمهور ورجحه ابن جرير قال الزمخشري انه اوجه
لانه في مقابلة الذين اتقوا والقراءة يمدونهم من مد وامد وقرئ يمادونهم وفي يبصرون
ويقصرون لزوم ما لا يلزم وقرئ يقصرون من قصر وادعى الزجاج ان اخوانهم
الاية متصلا بقوله ولا يستطيعون لهم نصرا الاية اجتبيتها قال الفراء العرب تقول
اجتبيت الكلام وارتجلته واختلقته اذا افتعلته من قبل نفسك قال ابو حيان

وهذا القول منهم من تابع الامداد في التي هذا بصائر اخبر عن المفرد بالجمع لان المشار
اليه القران وهو يشتمل على سور وايات وبيان وحجج وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الامام
الناس في الاستدلال بالقران على التوحيد والنبوة والمعاد ثلاثة اقسام احدها الذين
بلغوا في هذه المعارف الى حيث صاروا كالمشاهدين لها وهم اصحاب عين اليقين فالقران
في حقهم بصائر والثاني الذين وصلوا الى درجات المستدلين وهم اصحاب علم اليقين
فهو في حقهم هدى والثالث من اعتقد ذلك الاعتقاد الجازم وان لم يبلغ مرتبة المستدلين
وهم عامة المؤمنين فهو لهم رحمة وهم الذين قالوا ورحمة لقوم يؤمنون ولما ذكر
انه بصائر وهدى ورحمة امر بالانصات اليه عند قراءته لان ما اشتمل على هذه الاوصاف
حري بالاصغاء اليه ليحصل المقصد منه هذه النتائج العظيمة فقال واذا قرئ الاية
قال الفرا الانصات السكوت للاستماع ونصت وانصت واحد وقال الزجاج
المراد باستمعوا له وانصتوا اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه نحو سمع الله لمن حمده اي
اجابه ولما امرهم بالاستماع لقراءة القران او نهى الى امر رسوله بذكر ربه فقال
واذكر ربك الاية فذكر نوعي الذكر الفاضلين اذ خير الذكر الخفي وافضل النوعين ذكر
القلب بمراقبته تعالى الذي لا تسمعه الحفظة كما في الحديث فبدا به وضم ذكر القلب
بمراقبته تعالى تضرعا لطلب الثواب وخيفة من ترك العقاب ولما قال في نفسك ودون
الجهر اغنى عن ان يقول خفية ولما لم يذكر في الاية السابقة ما يدل على ذلك قال ادعوا
ربكم تضرعا وخفية وفي ربك تشريف واشعار بالاحسان والتربية فاختير على
لفظ الله ولمطابقته لتضرعا وخيفة لانها تصريح لمقام العبودية بالغدو قيل هو
جمع غدوة فلذا قابله بالجمع وقرئ الايصال مصدر آصلت دخلت في وقت الاصيل
فيكون الغدو مثله ولا تكن من الغافلين مناسب للابتدا بالذكر ففيه مبالغة تقدمت
مرارا في النهي والمراد امته تعريضا ولما امر بالذكر اخبر عن الملائكة انهم يذكرون حثا
للمؤمنين على التشبه بهم والمناظرة لهم فقال ان الذين عند ربك وضع الظاهر
مقام المضمر ومعنى العندية الزلفى والقرب وله يسجدون قدم المجرور للاختصاص
والفاصلة والتعريض بالكفار الذين يسجدون لغيره

سورة الانفال

وضع هذه السورة وبراءة هنا ليس بتوقيف من الرسول للصحابة كما هو المجمع عليه في الايات
والمرجح في سائر السور بل براجحها من عثمان رضي الله عنه كما دل عليه الحديث الاتي وقد
كان يظهر في بادي الراي ان المناسب ايلا الاعراف بيونس وهود لاشتراك كل في
اشتمالها على قصص الانبياء وانها مكية النزول خصوصا ان الحديث ورد في فصل السبع
الطوال وعد والسابعة يونس في فصلها من الاعراف بسورتين فصل للتنظير من

سائر

سائر نظائره هنا مع قصر سورة الانفال بالنسبة الى الاعراف وبراءة وقد استشكل ذلك
قديما حبر الامة وترجمان القران ابن عباس فاخرج احمد وابو داود والترمذي والنسائي
وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي
من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن
الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل
عليه السورة ذات العدد فكان اذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا
هؤلاء الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة
وكانت براءة من اخر القران نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انها منها فقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما
سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال فانظر لابن عباس رضي الله عنه
كيف استشكل على عثمان امرين وضع الانفال وهي قصيرة مع السور الطويلة و
وضعها هي وبراءة في اثناء السبع الطوال مفصولا بها بين الست والسابعة وانظر
عثمان رضي الله عنه كيف اجابه اولا بانه لم يكن عنده في ذلك توقيف وانها مستند الى
الاجتهاد وانه قرن بين الانفال وبراءة لكونها مشبهة لقصتها في اشتمال كل على الامر
بالقتال ونبذ العهود وهذا وجه من المناسبة جلي فرضي الله عن الصحابة ما ادق
افهامهم واجزل آرائهم واعظم احلامهم واقول ثم بيان مقصد عثمان رضي الله عنه
في ذلك بامور الاول انه جعل الانفال قبل براءة وبراءة سورة واحدة لا سورتان
الثاني انه وضع براءة هنا لمناسبة الطول فانه ليس في القران بعد الست السابقة
سورة اطول منها وذلك كاف في المناسبة الثالث انه خلل بالسورتين اثنا السبع الطوال
المعلوم ترتيبها في العصر الاول للاشارة الى ان ذلك امر صادر لا عن توقيف والى ان
الرسول صلى الله عليه وسلم قبض قبل ان يبين محلها فوضعا هنا كالوضع المستعار تخللا
كما لم يوضعا بعد السبع الطوال فانه كان يوهم ان ذلك محلها بتوقيف وترتيب السبع
الطوال يرشد الى دفع هذا الوهم فانظر الى هذه الدقيقة التي فتح الله بها ولا
يغوص عليها الا غواص الرابع انه لو اخرهما وقدم يونس وثنى بهود كما في مصحف
ابي لمراعاة مناسبة السبع الطوال وايلا بعضها بعضا لفاته مع ما قدمناه امر آخر
اكد في المناسبة فان الاولى بسورة يونس ان تولى بالسور الاربعة التي بعدها لما
اشتركت فيه من تناسبها في المقدار ومن اشتمال هود على قصص الانبياء ويونس على
قصة نبي وكذا ابراهيم ومن كون الجميع مكيات ومفتتحة بالحروف المقطعة وسماه
باسم نبي والرعد اسم ملك وهو مناسب لاسماء الانبياء فهذه خمسة اوجه في مناسبة الاتصال
بين يونس وما بعدها وهي اكد من ذلك الوجه الواحد في تقديم يونس بعد الاعراف ولبعض
هذه الامور قدمت سورة الحجر على النحل دون بعض سورة ابراهيم ولو اخرت براءة عن

هذه الخمسة او الستة لبعدت المناسبة جدا لطولها بعد عدة سور اقصر منها بخلاف سورة
النحل بعد الحجر التي هي اقصر منها فانها ليست كبراءة في الطول ولشهد لمراعاة الفواصل في
مناسبة الوضع ما ذكرناه من تقديم الحجر على النحل لمناسبة فواتح الر قبلها وما تقدم من
تقديم آل عمران على النسا وان كانت اقصر لمناسبة البقرة وايلا الطواسين والحواميم بعضها
بعضا وتوالي العنكبوت والروم ولقمان والسجدة لافتتاح كل بالم ولهذا قدمت على
الاحزاب التي هي اطول منها هذا ما فتح الله به في هذا المحل وان فتح بزيادة الحق واما
ابن مسعود فقدم في مصحفه البقرة والنسا وآل عمران والاعراف والانعام والمائدة
ويونس فراعى السبع الطوال وقدم الاطول منها فالاطول ثم ثنى بالمئين فقدم براءة
على النحل ثم هود ثم يوسف ثم الكهف وهكذا الاطول فالاطول وذكر الانفال
بعد النور ووجه مناسبتها لها ان كلا منهما مدنية وتشتمل على احكام وان في النور وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
الاية وفي الانفال واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون الاية ولا
تخفى ما بين الايتين من المناسبة فان الاولى مشتملة على الوعد بما تضمنته الثانية
فتأمل يسألونك عن الانفال ابن الزملكاني هو مطلق قبله قوله قل الانفال لله
والرسول اذ دل على ان السؤال كان من الانفال المذكور وليس في قوله قل الانفال
الا بيان العلة في ذلك كما قال فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم دل على ان العلة فيه لهم
في الانفال والنفل الغنيمة لانها تفضل من الله على هذه الامة اذ لم تحل لاحد قبلها انتهى واول
قد تظافرت الاحاديث على ان سبب نزول هذه وما اتصل بها تنازع الصحابة في غنائم بدر
ويستفتح من هذا امور منها وجه تسمية السورة بالانفال لانها المقصود الاعظم منها ومنها
ان المقصد من السورة بيان قسمة الغنائم ولهذا وقد قدمنا غير مرة ان السورة من
القران تستفتح بالاشارة الى المقصود ثم يستطرد منه الى غيره بادنى ملابسة ثم يعاد
الى تقرير المقصود باوضح مما ذكر في المفتتح ثم يستطرد منه من شي الى شي ثم يشار
في اخر السورة الى مثل ما افتتح به وهنا فكما افتتح السورة بحكاية السؤال والجواب
اجمالا ثم استطرد منه الى شرح قصة بدر الى دفع السؤال عن غنائمها ثم الى اشيا ملايمة
ثم عاد الى تقرير المقصود بقوله واعلموا انما غنمتم من شي الاية ثم استطرد منه الى عدة
اشيا ثم ختم بذكر الغنائم في قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى الايات فانظر الى
هذه البراعة العظيمة ان تخص كلا من المواضع الثلاثة بما ذكر فيها وتامل بعد ذلك ترى
العجب العجاب فانه لو ابتدا بذكر القسمة اولا لم يكن عندهم حالما يمنع بعض القلوب بذلك
حيث اخر بعض الغنيمة عن الغانمين وهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
وهم السهم الذي جعل الله فبدا اولا بالاخبار بان الغنائم ملك لله ورسوله فجعلا
مباحث شأن السعة ملكه في القلوب وتسربه النفوس وتوطن على اخراجه

كلها

كلها عنها وانها لاملك لها فيها ولا شبهة ملك وقوي ذلك بالتصريح بان الله هو الناصر
والوالي والمدالي غير ذلك فلا ريب اذ كانت الانفال ملكه وملك رسوله فلا ترتبت
على ذلك جا بيان القسمة المذكورة باثبات الاخماس الاربعة لهم واخراج الخمس عنهم لمن
سماه فسهل قبول ذلك والاذعان له ولو قدم العتب على اخذ الفدا من الاسرى
اول السورة لكادت قلوب الخلق تنفر من تناول الغنائم ولكن اخر الى اخر السورة
بعد تقرير قسمة الغنائم واطمانة النفوس فسبحان الحكيم المنزل لهذا الكتاب
الباهر على ترتيب الحكم الباهرة وقرا سعد بن ابي وقاص وابن مسعود يسألونك
الانفال بحذف عن فقيل هي مقدرة والصواب ان لكل قراءة معنى قال لعلي الشرا
اذا كان لاقتضا معنى في نفس المسئول عنه تعدى بعن نحو يسألونك عن الساعة يسـ
ـألونك عن الشهر الحرام ومنه يسألونك عن الانفال اي عن حكمها وقال السامة
سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم وتقول سالت زيدا عن مسالة كذا واذا
كان لاقتضا مال او نحوه تعدى للمفعول الثاني بنفسه نحو واذا سالتموهن متاعا
وتقول سالت زيدا مالا ومنه يسألونك الانفال اي يطلبونها منك ان تعطيها
لهم وكل صحيح فان من الصحابة من سأل حكمها ومنهم من سأل ان يعطيه منها شيئا
منهم سعد صاحب القراءة سأل منها سيفا فنزلت كما اخرجه احمد وغيره وقرى
علنفال على نقل حركة الهمزة بعد حذفها الى لام التعريف وادغام النون فيها ذات
بينكم ابن الزملكاني اي خصومة بينكم وقال ابو حيان البين هنا الفراق والتباعد
وذات نعت لمحذوف اي احوالا ذات افتراقكم لما كانت الاحوال ملابسة للبين اضيفت
صفتها اليه كما تقول اسقني ذا انائك اي ماء صاحب انائك اي ما فيه من الماء وقيل
البين بمعنى الوصل وعليه الزجاج وقال ابن عطية ذات هنا يراد بها نفس
الشي وحقيقته والذي نفهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوصل والالتحامات والمودات
وذات ذلك هو المامور باصلاحها اي نفسه وعينه فحض الله على اصلاح تلك الاحوال
فاذا اصلحت صلح ما يعمها وهو البين الذي لهم وقد يستعمل لفظ الذات على انها لزيمة
ما يضاف اليه وان لم يكن نفسه وعينه وذلك بقولهم بذات الصدور وذات الشوكة
وعليه ذات البين اذ تكون بمعنى انتهى ابو حيان امرهم اولا بالتقوى لانها اصل الطاعة
ثم باصلاح ذات البين لان ذلك اهم نتايج التقوى في ذلك الوقت الذي تشاجروا
فيه ثم امر بطاعته وطاعة رسوله فيما امرهم به من التقوى والاصلاح وغير ذلك وعلقه
بقوله ان كنتم مؤمنين على وجه التهييج والالهاب كما يقول الاب لابنه ان كنت ابني
فاطعني او على معنى ان كنتم كاملي الايمان وكذا قال عقبه انما المؤمنون اي الكاملون
الايمان ثم اخبر عنهم بالموصول ووصل بثلاث مقامات عظيمة مقام الخوف ومقام زيادة
الايمان ومقام التوكل ولما كانت هذه جامعة لاعمال القلوب عقبها بآية مشتملة على

ثان
وعنه

اعمال الجوارح والمال فذكرا اقامة الصلاة والصدقة لانهما عمودا اعمال الجوارح
والمال ثم اكد الحصر السابق بقوله اولئك هم المؤمنون قال الاعمش هذه الجملة بقوله
حقا فانه مصدر مؤكد واقع لتوهم المجاز في الاسناد الخبري ثم ذكر ما ادخر لهم عنده
فذكر ثلاثة امور الدرجات وهي في مقابلة الاعمال القلبية والمغفرة وهي في مقابلة
البدنية لان الصلاة تكفر السيئات والرزق الكريم وهو في مقابلة المالية قال
ابو حيان وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع وقيل ان حقا متصل بقوله
لهم درجات وكذا في اخر السورة وقرئ وجلت بفتح الجيم وقرأ ابن مسعود
وأبي فرقت ابن جماعة قال هنا اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وفي الرعد الا بذكر
الله تطمئن القلوب لان المراد هنا ذكر عظمة الله وجلاله وشدة انتقامه ممن
عصى امره لان الاية نزلت عند تنازعهم في غنائم بدر فناسب ذكر التخويف
واية الرعد نزلت فيمن هداه واناب اليه فالمراد بذلك الذكر ذكر رأفته
ورحمته وعفوه ولطفه لمن اطاعه واناب اليه وجمع بينهما في اية الزمر
فقال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم اي عند ذكر عظمته وجلاله وعقابه
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي عند ذكر رحمته وعفوه وكرمه كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق قال ابو حيان ليس في القران اشكل من هذه الجملة وقد اضطرب
المفسرون فيها على اربعة عشر قولا احدها ان الكاف بمعنى واو القسم وما بمعنى
الذي واقعة على الله وجواب القسم يجادلونك اي والله الذي اخرجك من بيتك
بالحق يجادلونك قاله ابن عبيدة الثاني ان الكاف بمعنى اذ وما زائدة اي اذ اخرجك
الثالث الكاف بمعنى على وما بمعنى الذي اي امض على الذي اخرجك ورد الثلاثة
بمنع ثبوت المعاني المذكورة في لسان العرب وخلو الموصول على الاخير عن عائد
الرابع قال عكرمة التقدير واطيعوا الله ورسوله فالطاعة خير لكم كما كان
اخراجك خيرا لهم الخامس قال الكسائي المعنى كما اخرجك على كراهة فريق منهم كذلك
يجادلونك في قتال كفار مكة لكراهتهم ذلك ويودون غير ذات الشوكة
من بعد ما تبين لهم انك تفعل ما امرت به لا ما يريدون فالتشبيه واقع في الكراهتين
كما حققه ابن عطية السادس قال الفراء التقدير امض لامرك في الغنائم ونفل من
شئت وان كرهوا كما اخرجك ربك وهم كارهون قال ابن عطية وتحريره ان
يقال هذه القصة من اخراج الله الانفال عنهم وجعلها لله ولرسوله كقصة اخراجه
من بيتك فانهم كرهوها وكان خيرا لهم فكذلك هذه خير لهم وان كرهوها فالخبر فيما
صنع الله وكذا قال الزمخشري الكاف خبر مبتدأ محذوف اي هذه الحال
في كراهتهم لها مثل حالهم في كراهة خروجهم للحرب السابع قال الاخفش الكاف
نعت لحقا الثامن انها في موضع رفع اي كما اخرجك فاتقوا الله كانه ابتداء وخبر

التاسع انها في موضع نصب صفة مصدر اي الانفال ثابتة لله ثباتا كما اخرجك اي مثل
ثبات اخراج ربك اياك العاشر انها نعت اي هذا وعد حق كما والاشارة الى لهم درجات الى
اخره الحادي عشر ان المعنى واصلحوا ذات بينكم خيرا لكم كما فالكاف نعت لخبر ابتدا محذوف
الثاني عشر المعنى فيمنك الغنائم حق كما كان خروجك حقا الثالث عشر ان التشبيه وقع
بين اخراجين اي اخراج ربك اياك من بيتك وهو مكة وانت كاره لخروجك وكانت عاقبة
ذلك الخير والنصر والظفر كاخراج ربك اياك من المدينة وبعض المؤمنين كاره ويكون وراه
الظفر والنصر الرابع عشر الكاف تتعلق بقوله فاضربوا فوق الاعناق وهي للتشبيه
مجازا كقول القائل لعبده كما وجهتك الى اعداي فاستضعفوك وسألت مددا فامددتك
وقويتك وازحت عللك فخذهم الان فعاقبهم وكما كسوتك واجريت عليك الرزق فاعمل
كذا فالتقدير كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وغشاكم النعاس امنة منه يعني اياه ومن معه
وانزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وانزل عليكم من السماء ملائكة مردفين فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان كانه يقول قد ازحت عللكم وامددتكم بالملائكة فاقتلوا الكفار وكل
هذه الاقوال او غالبها متكلف وليس فيها شيء يستحسن كما قال ابو حيان قلت واحسنها عندي
السادس ثم قال ابو حيان ظهر لي في المنام انها متعلقة بمحذوف تقديره نصرك وان الكاف
للتعليل ولاجل ان اخرجت لاظهار دين الله واعزاز شريعته وقد كرهوا خروجك تهيبا للقتال
وخوفا من الموت وجادلوك في الحق بعد وضوحه نصرك الله وامدك بملائكته وفي اسرار
التنزيل لابن الزملكاني قيل كما متصل بيجادلونك غير ان مجادلتهم في الحق مذمومة عنده
تعالى وفعله سبحانه لا يقع فيه ذم فالتشبيه محول عن موضعه وكذا الوجه متصلا بكا
رهون لانه واقع على كراهتهم ايضا فالتقدير كما كانت كراهتهم لاخراج الله اياك بالحق يجا
دلونك في الحق بعد ما تبين وهو شبيه بقوله افان مت فهم الخالدون وافان مات
او قتل انقلبتم وقوله كانما يساقون الى الموت متصل بقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون
وهذا قد يؤول الى القول السادس وفيه مزيد توافق وقرئ بعد ما بين وهم ينظرون
اي يعلمون انه واقع بهم او ينظرون اسبابه واذ يعدكم هذا مبدا تعداد النعم على المؤمنين
في وقعة بدر وذكرهم بها ليذعنوا لامره تعالى في الانفال ولكونها سيقت للتعديد جاءت
بغير عاطف اذ تستغيثون اذ يغشاكم اذ يوحي كلها منصوبة باذكر مقدرا وقرئ
بعد ما بين وقرئ يعدكم بسكون الدال وقرئ احدى باسقاط الهمزة على غير قياس
وقرئ احد بالتذكير لان تانيث الطائفة مجاز وقرئ بكلمه على ارادة الجمع او ارادة كلم
تكوين الاشيا وهي كن قيل والمراد بكلماته ما وعد نبيه بقوله يوم نبطش البطشة الكبرى الاية
في ايات اخر من هذا النمط ليحق الحق متعلق بمقدر اي فعل ذلك قال ابو حيان وتقديره متاخرا
احسن قال الزمخشري يجب ان يقدر متاخرا ليفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى
وقيل متعلق بيقطع ابن جماعة ان قيل ليحق الحق ظاهره انه من تحصيل الحاصل فالجواب ان معناه

ليحق عند المسلمين الحق على ما قال ابن الزملكاني ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اي ان ينصر دينه ويوضح
دل عليه قوله ويقطع دابر الكافرين وقوله ليحق الحق اي يظهر وليس الفصلان بمعنى واحد
اذ ليس على حد اريد ان اعطيك لاعطيك وقوله ويبطل الباطل اي يعفي الكفر بدليل ولو كره
المجرمون انتهى قال ابو حيان ولو هنا مثلها في ردوا السائل ولو بظلف اكرم زيدا ولو اسا
الاية لاستقصا ما يظن انه لا يندرج في عموم ما قبلها للمنافاة بينهما قيل وهاتان الايتان
متقدمتان في النزول على كما اخرجك ربك وفي التلاوة لعدها لتقابل الحق بالحق والكراهة
بالكراهة اذ تستغيثون قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فقط لانه الذي استغاث
يوم بدر كما في حديث الترمذي وغيره فهو من خطاب الواحد بخطاب الجمع تعظيما والاستغاثة
طلب الغوث والنصر وقيل طلب سد الخلة عند الحاجة اني بالفتح وبالكسر على الحكاية
باستجاب لانه في معنى القول او على اضمار القول مردفين بفتح الدال وكسرها اي خلف
كل ملك ملك وراه وقرئ بفتح الرا وكسرها والدال المشددة والاصل مرتدفين وقرئ بضم
الرا اتباعا للميم وبكسرها اتباعا للدال وما جعله اي الامداد الا بشرى زاد في آل عمران
لكم لان القصة فيها مطنبة وهنا موجزة وقدم به هنا واخره هناك تفننا وجاء هنا ان الله
عزيز حكيم لانه منقطع عما بعده وهناك من عند الله العزيز الحكيم لتعلق ليقطع بما قبله
ابن الزملكاني ولتطمئن معطوف على بشرى لانه على معنى ليبشركم وقيل تقديره ولتطمئن فعل
ذلك كقوله ولكن الله رمى وليبلي اذ من لطيف ما قيل فيه انه متعلق بحكيم لان القا
النعاس عليهم امنة حكمة من الله تعالى يغشاكم النعاس في قراءة يغشيكم من غشي واغشي ونصب
النعاس والفاعل ضمير الله وناسبه وينزل ربنا وناسب الاولى يغشى طائفة منكم وفيه
استعارة جعل ما غلب عليهم من النعاس غشا لهم امنة منه فيه نوع من الجناس وقرئ بسكون
الميم وهو مفعول له ما قرئ بالقصر لغة ليطهركم قرئ بسكون الطا ويذهب قرئ بالجزم
رجز الشيطان قيل الوسوسة وقيل الجنابة الحاصلة على الاحتلام وقرئ بضم الرا وقرئ رجس
وليربط على قلوبكم اصل الربط الشد وهو حقيقة في الاجسام فاستعير هنا لما حصل في القلب
من الشدة والطمانينة على لقا العدو بعد الزلزلة ويثبت به الاقدام وهو حقيقة
فالضمير للما لانه لبد الرمل الغواص وقيل مجاز عن عدم الفرار فالضمير للمصدر اي بالربط ابو
حيان ترتيب هذه التعليلات احسن ترتيب فبدا بالتطهير من الجنابة لانه الاكد ثم
بلازمه وهو التطهير المعنوي وهو اذهاب رجس الشيطان ثم بتعلق القلب ثم بلازمه
وحيث ذكر التعليل اظهر حرفه وحيث ذكر لازمه لم يظهره ولما كانت هذه الجملة مرادا وبعدكم
الى هنا لا تناسب منصب الرسالة خوطب بها المومنون ولما كان الوحي الى الملائكة من
المناسب لمخاطب به الرسول وحده فقال اذ يوحي ربك وفي ذلك تشريف له اني معكم
قرئ بكسر الهمزة على اضمار القول او اجرا يوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا قال الزجاج وابن عطية
وغيرهما باشيا يلقونها في قلوبهم يقوون بها ولهذا طابقه بقوله سالقي في قلوب الذين كفروا



الرعب بسكون العين وضمها فاضربوا من تتمة خطاب الملائكة وقيل انتقال الى خطاب
المومنين تشجيعا لهم وحضا على نصرة الدين وقيل لعظم امر في المراد به الخبر عن صورة الحالة
كما تقول اذا وصفت لمن تخاطبه لقينا القوم وهزمناهم فاضرب بسيفك حيث شئت
واقتل وخذ اسيرك اي هذه كانت صفة الحال وقال الزمخشري يجوز ان يكون فثبتوا
تفسيرا لقوله اني معكم وفاضربوا تفسيرا لقوله سالقي اذ لا معونة اعظم من التثبيت والقا
اعظم من ضرب الاعناق فوق قال الاخفش وغيره انها زائدة وقيل بمعنى على والمفعول
محذوف اي فاضربوهم على الاعناق وقيل هو بمعنى دون وقيل هي على بابها والمضروب الروس
قال ابن عطية اراد وصفا بلغ ضربات العنق واحكمها وهي الضربة التي تكون فوق
عظم العنق ودون عظم الراس من المفصل ولهذا قال دريد بن الصمة لابن الدغنة خذ سيفي
وارفع عن العظم واخفض عن الدماغ هكذا كنت اضرب اعناق الابطال فكان قوله فوق
الاعناق متمسكا على هذا بنان اسم جنس جمعي اصله بنانة وهي الاصابع وقيل المفاصل
حيث كانت من الاعضا ومن شعر عنترة ونضرب نحو الكر كل بنان ذلك خطاب للرسول
شاقوا الله قيل التقدير شاقوا اولياء الله فالمفاعلة على بابها وقيل لا تقدير لانه تعالى
لما شرع شرعا وامر امرا وكذبوا وصدوا كان كل في شق ذلكم فذوقوه خطاب شاقوا
او كتبا الله فيه التفات ولما ذكر عذاب الدنيا ضم اليه عذاب الاخرة فقال وان
للكافرين عذاب النار وفيه ايضا التفات ونكتته التعميم ولما كان عذاب الدنيا بالنسبة
الى عذاب الاخرة يسيرا سمي ما اصابهم منه ذوقا لان الذوق يعرف به الطعم وهو يسير
الزمخشري وان يعطف على ذلكم او نصب على ان الواو بمعنى مع وقرئ ان بالكسر استئنافا
يا ايها الذين امنوا الاية لما اخبر تعالى انه سيلقي الرعب في قلوب الكفار وامر بضرب
اعناقهم وبنانهم حرض المومنين على الصبر عند مكافحة العدو ونهاهم عن الانهزام زحفا
حال من المفعول وقيل من الفاعل وقيل منهما قال الليث الزحف الجماعة يمشون الى عدوهم
وقال غيره الزحف الدنو قليلا قليلا وسمي به الجيش العرمرم لانهم لكثرتهم كانهم يزحفون
اي يدبون دبيبا فلا تولوهم الادبار عدل اليه عن لفظ الظهور تقبيحا لهذا الفعل
وتشنيعا له وتخسيسا لمنزلة من تولى يومئذ اي يوم اللقا وقيل يوم بدر دبره
قرئ بكسر البا الا استثنا من حال محذوف اي ومن يولهم ملتبسا باي حال الا في حال كذا
بامناسب لتولية فلم تقتلوهم قال الزمخشري جواب شرط محذوف خوطب به الصحابة
لما افتخروا بقتلهم اي ان افتخرتم بقتلهم فلم وذلك قطع لما زعمهم في الافعال وما رميت
اذ رميت النفي للخلق والاثبات للكسب وصرح به هنا دون الاول فلم يقل فلم تقتلوهم
اذ قتلتموهم لان الرمي كان امرا خارقا للعادة معجزا اية من ايات الله فبولغ فيه وليبلي
متعلق بمقدر كما سبق والبلاء هنا الخير والنعمة المومنين فيه التفات سميع اي لاقوال
من افتخر عليم اي بنيات من قاتل ذلكم فيه التفات ابن الزملكاني اي الامر ذلكم ونحو ذلك

ومن لفظ حرمات الله ومن عاقب وقالوا اكد لك تغيض لا لا النفي ما بعدها وكذلك يثبت له
ونحو لا تلا انتهى موهن مشدد ومخفف من وهن واوهن ذا لهنا ابلغ من الضعف وفي
قراءة باضافته الى كيد ان تستفتحوا خطاب للكفار كما دل عليه سبب النزول نقله
الثقات عن قوله كيد الكافرين ولن تغني قرئ بالتذكير للفصل وان الله بالفتح عطفا
على ان الله المقدم وبالكسر استئنافا وقرأ ابن مسعود والله يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله عود الى حثه على الطاعة في امر الانفال المفتتح به السورة في قوله واطيعوا
الله ورسوله ان كنتم مؤمنين مع تضمن معنى العموم فيما وليه من عدم التولي وغيره
ولا تولوا عنه افرد الضمير اما لتلازم الطاعتين كما في والله ورسوله احق ان يرضوه
او عوده للرسول خاصة لان التولي حقيقة انما يصح عنه او عوده للامر المفهوم من اطيعوا
او للطوع المفهوم منه الكرماني لما اطلق لفظ التثنية على الله وحده لم يجمع بينه وبين
غيره في ضميره ولهذا نظائر في القران انتهى وهو نفيس جدا قالوا سمعنا وهم لا
يسمعون جاءت المنفية مضارعا لا على نمط المثبتة لان لفظ الماضي لا يدل على استمرار
الحال ودوامه بخلاف المضارع فانه يدل على انتفاء السماع في المستقبل اي هم
ممن لا يقبل ان يسمع ان شر الدواب جمع بين هاولا وبين غيرهم من الحيوان واتى بلفظ
الدواب الذي يطلق عرفا على البهائم لمناسبتهم في عدم السماع والعقل الصم البكم فيه استعارة
تحديهم بكم عمي ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ابن عطية اخبر تعالى بان عدم سمعهم وهداهم
انما هو لما علمه الله منهم من الشر وسبق في قضائه عليهم فخرج ذلك في عبارة بليغة وقال
الامام عبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم
الحجج والمواعظ سماع تفهم ولو اسمعهم لو علم ان لا خير فيهم لم ينتفعوا وقال ومعلومات الله
اربعة اقسام علمه بجملة الموجودات وعلمه بجملة المعدومات لو كان موجودا كيف يكون حاله
فالاولان علم بالواقع والاخران علم بالمقدر الذي هو غير واقع فقوله ولو علم الله فيهم خيرا
من الثاني وهو علمه بالمقدرات لا الواقعات ومنه ولئن نصروهم ليولن الادبار ولو ردوا
لعادوا اخبر عن المعدوم لو كان موجودا كيف يكون حاله انتهى يا ايها الذين امنوا الاية لما
ذم من لا يسمع امر المؤمنين بالاستجابة التي هي ثمرة السماع والمراد بها الامتثال وبالدعا
الحث والتحريض وافراد ضمير دعاكم لما تقدم والحياة هنا مجاز عن الاتصاف بالعلم
والدين ونظيره اطلاق الموت على الجهل في قوله لا تحسبن الجهول حيا فذاك وثوبه
كفن واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه حض على المراقبة وتخويف من عدم الاستجابة لئلا
يكون والعياذ بالله سببا للانقلاب ولذا ختم بالحشر وهو غالبا يذكر في معرض التخويف
والتهديد والاية فيها تلميح الى قصة التنازع في الانفال وكذا الايات التي بعدها ولذا قال
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة لان التنازع لم يقع من جميع الصحابة لان من المعلوم مثل
ابي بكر الصديق ومن جرى مجراهما لا ينظرون الى عرض الحياة الدنيا ولا ينازعون فيه

واكد

واكد المضارع المنفي بلا بالنون وهو قليل في الاستعمال ولم يقع منه في القران غير هذا
الموضع لان القران لجمعه كل شيء جمع جميع اصناف اللغات والاستعمالات العربية مشهورها
ونادرها وغالبها وشاذها بحيث لم يبق من استعمالاتها شيء اصلا حتى ان النادر والشاذ
ياتي منه في القران الكلمة والكلمتان اشارة لاصل ذلك الاستعمال كما تقدم في قراءة قتل اولادهم
شركائهم غير الشركا ونظيره ما سيحوذ في ما صحه من المثل من رسائل القران وحاز كل الاساليب
له في انواع العلوم والمعارف والبلاغة والاساليب وقرئ لتصيبن بلام القسم واعلموا
ان الله شديد العقاب مناسب لعموم اصابة الفتنة الظالم وغيره واذكروا ذكرهم
بالنعمة حثا لهم على ترك التنازع ايضا يا ايها الذين امنوا الاية نزلت في ابي لبابة حيث
استشاره بنو قريظة فنصحهم ومناسبة ذكرها بعد ما تقدم من الامر بطاعة الرسول
والاستجابة له وعدم التولي عنه والنهي عن التشبه بمن قالوا سمعنا وهم لا يسمعون واصحه
وقد ذكر ايضا في اواخر السورة ذكر قصة بني قريظة وتخونوا يحتمل الجزم والنصب في
الاول ارجح وقرئ اماناتكم بالافراد واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ذكرها لان
السبب الحامل لابي لبابة على النصح لهم ما كان له فيهم من المال والولد وناسب ذلك قوله قبل
واتقوا فتنة فكان احسن تمهيد وان الله عنده اجر عظيم اي فالرغبة فيما عنده للطاعة
اولى من الرغبة في المال والولد يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله الاية هي ما ذلك في نوبه فرقانا
ذكرها بعد قصة خيانته واذ يمكر لما ذكر قوله فاواكم والمراد الايواء الى المدينة ذكر سببها
الهجرة فان هذه القصة في المكر وهي المشاورة في دار الندوة على الامور الثلاثة
وقعت ليلة الهجرة وكانت سبب الامر بها وقرئ ليثبتوك شددا واذا تتلى الاية لما
ذكر مكر الكفار بالنبي ذكر مكرهم بالقران وفي ايبا الثقات قد سمعنا اي كلا نطيع لو نشا
لقلنا مثل هذا هذا منهم على سبيل البهت والمصادمة والا فقد طولبوا ان ياتوا بسورة مثله فعجزوا
ان كان هذا اي القران او ما جاء به من الرسول التوحيد وغيره هو الحق بالنصب لانه هو
فصل وقرئ بالرفع وهي لغة تميم رفع ما بعد الفصل حجارة من السما الكشاف فان
قلت ما فائدة قوله من السما والامطار لا يكون الا منها قلت فانه اراد ان يقول فامطر
علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السما موضع السجيل كما تقال
صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا وما كان الله ليعذبهم قيل نزلت هذه
الجملة بمكة عند ما قالوا للاخبار بانهم مستحقوا العذاب لكنه لا ياخذهم وهو فيهم اكراما
له وجريا على عادته تعالى مع مكذبي انبيائه لانه لا يعذبهم عذابا يستاصلهم ما دام انبياؤهم
مقيمون فيهم ولما كان الامطار بالحجارة منذرا بحتف العذاب سلط النفي على العذاب الذي
امطار الحجارة نوع منه وقرئ بضم اللام لغة ابو حيان الذي نفي العذاب في حال كونه فيهم
باللام التي هي للتوكيد عند الكوفيين وعلى تقدير الارادة عند البصريين يدل على انتفا
ارادة العذاب وهو ابلغ من انتفا العذاب ولم يؤكد في جملة استغفارهم وهو توهم

عمرانك غفرانك للاشارة الى ان كينونته فيهم انفع لهم من الاستغفار فشنان ما بينهما
وقيل ضمير وهم يستغفرون للمؤمنين الباقين بين اظهرهم وقيل الجملة حال اريد بها نفي
استغفارهم اي لو كانوا ممن يؤمنوا ويصلحوا وما لهم اي لا مانع من تعذيبهم وما كان
صلاتهم لما نفي عنهم ان يكونوا ولاة البيت ذكر من فعلهم الخبيث القبيح ما يؤكد ذلك
واذ من كانت صلاته ما ذكر فغير اهل لان يكون وليا له والمعنى وضعوا مكان الصلاة
التي يليق بولاة البيت التصفير والتصفيق اي اقاموها مقامها على حد قول الشاعر

وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه ۝ اداهم سودا او محدرجة سمرا ۝

اي اقاموا مقام العطا القيود والسياط ومنه قلت الطحوا المحبة وتيمما والمكا فعال
لانه باب مصادر الاصوات كالصراخ والخوار قال ابن عطية وكانت العرب تفعل
ذلك على جهة التعريب والتشرع وقرئ بنصب صلاتهم ورفع مكان وتصدية وقرئ مكا
بالقصر منونا فذوقوا فيه التفات بما كنتم تكفرون وفي الاعراف يكسبون لانه يمين
ضل واضل وفي الاضلال زيادة كسب على الضلال ان الذين كفروا فيه التفات ايضا
مناسبته لما قبلها انه لما شرح حالهم في الطاعات البدنية وهي صلاتهم بالمكا والتصدية
شرح حالهم في الطاعات المالية وهي انفاقهم في الصد عن سبيل الله على خلاف المشروع
فكان ذلك في مقابلة قوله في اول السورة وصفا المؤمنين الذين يقيمون
الصلاة ومما رزقناهم ينفقون فانظر الى هذا الارتباط العجيب الانيق بين آيات
القرآن ومبادي السور والمنفقون اسلم منهم جماعة الخبيث من الطيب وصفان
يصلحان للادميين وللمال وقد تقدما في الآية قيل العود الى الاول فليميز متعلق
بيحشرون وقال ابن العربي المعنى عذاب الكفار الى يوم القيامة يستخرج المؤمن
من اصلابهم وقيل العود الى الثاني فليميز متعلق بيغلبون او يكون ولما كان الكلب
الانسان في ماله بوجوه التصرف لرجا حصول الربح اخبر بانهم وقعوا على الضد من ذلك
بقوله اولئك هم الخاسرون ولما اخبر بحشر الكفار الى جهنم دعا المتقين الى الاسلام
وتلطف بهم فقال قل للذين كفروا الآية وقرا ابن مسعود ان تنتهوا نغفر لكم وقرئ
يغفر بالبنا للفاعل وان يعودوا الجواب محذوف دل عليه تمام الآية اي ننتقم منهم
وقاتلوهم امر للمؤمنين ويكون قرئ بالرفع بما يعملون بالتا والتا واعلموا
انما غنمتم عود الى ما ثبت السوال له من قسمة الانفال ووقع هنا اعظم موقع عقب
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة فان القتال يستلزم الغنيمة مع ما يتضمنه من بشرى
المؤمنين بغلبة الكفار وغنم اموالهم فان لله خمسه استفتاح كلام اريد به التبرك
وتفخيم الامر والتحذير من التهاون في عدم صرفه لاربابه وكان من فضل في ذلك فقد
تعرض مما هو لله ومن استبد بشيء منه فقد غصب الله ماله فاشبه الكفار ولذلك قال
ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا وفي ذلك تنكيل عظيم بولاة السو الذين استأثروا

بخمس

بالخمس وصرفوه في ملاذهم وملاذ من احبوا وحبسوا الفاضل وتركوا من ملكه الله
ذلك من فوق سبع سماواته لا تصل اليه لغير كالقطر بفقر بحاوج عاله يتكففون الناس
فترى من اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاده الشرفا الحنفا من لا يجد
ما يكفيه فضلا عن ان يغنيه وقد قال جدهم المصطفى ان لكم في خمس الخمس ما يكفيكم
او يغنيكم ولو رايتهم وهم يسالون على الابواب ويبيت احدهم طاويا او عاريا يبكيت
من دونه ذلك وما وقد يدعي منهم من هو في اغلال الحديد بيد اربه في الاسواق يباد
ثم يعاد ليلا الى السجن يدعوى لعمل كادبهم المتغلبين انه فلاحه يطالبه بالخراج فانا
لله وانا اليه راجعون وقد ان يتلى عليهم قوله صلى الله عليه وسلم ورب متخوض
في مال الله فما له النار يوم القيامة وقرئ خمس بسكون الميم وقرئ بكسر الخا اتباعا لحركة الفا
ان كنتم آمنتم جوابه محذوف لدلالة ما قبله اي فاصرفوا الخمس لاربابه وما انزلنا
فيه التفات عطف على بالله على عبدنا صيغة تشريف وقرئ بضمتين جمع عبد اريد الرسول
ومن معه من المؤمنين يوم الفرقان يوم بدر ظرف لانزلنا وقيل لغنمتم قاله الزجاج
واستحسنه ابن عطية وقيل ما قدمته من ان هذه الآية لقسمة الانفال المتنازع فيها
والله فيه التفات بالعدوة بضم العين وكسرها شاطئ الوادي وقرئ بفتح العين لغة
ثالثة العصوى بالتصحيح لغة الحجاز وقرئ القصيا بالاعلال لغة تميم وهي القياس
وقرا ابن مسعود انهم بالعدوة العليا وهم بالعدوة السفلى والركب اي عير ابي سفيان
اسفل قرئ بالرفع اتساعا على الظرف الزمخشري فان قلت ما فايدة هذا التوقيت
وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم قلت فايدته الاخبار عن الحال الدالة
على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وضعف شان المسلمين وان غلبتهم في مثل
هذا الحال ليست الا صنعا من الله بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة
القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الما والدنيا الاماما وهي رمل تسوخ بها الارجل
ولا يمشى الا بمشقة وتعب والعير ولا ضهورا العدو مع كثرة عددهم في الحماية
الناصر لهم وتقوية قلوبهم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولم تتفق لكم التلاقي
لتثبط بعضكم بعضا لكثرتهم وقلتكم ولكن تلاقيتم على غير ميعاد ليقضي الله امرا كان
مفعولا وعطف بيان للقضي والهلاك قيل من قتل من الكفار والحياة حياة من عاش منهم
وقيل المراد الكفر والايمان اي انه جعل بعد قصة ان ليومن من يومن ويكفر من يكفر
عن وضوح وبيان فهو متعلق على هذا بمفعولا وقيل الاصل وليهلك بحذف العاطف
وفي قراءة بفتح اللام لغة لسميع عليم مناسب للايمان والكفر لاشتمالهما على نطق
اللسان واعتقاد القلب ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اسند الارادة الى الرسول
وحولها في الفشل الى الامة تنويها لمنصبه الشريف ان يسند اليه الفشل الذي ليس
من خلقه وهذا من محاسن الخطاب تنويع انه عليم بذات الصدور مناسب للفشل

لانه والجبن والجزع والجراة والصبر من صفات القلوب **واذ يريكموهم** هذه ارادة لنظم
بخلاف الاولى وهي خاطبة بالامة ولما ذكر القتل ناسبه التعقيب بالامر بالثبات
فقال **يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة** اي كافرة والقاسم للقتال غالبا ولما كانت
اللقاحالة تذهل عن كل شي امروا بالذكر خوف الغفلة عنه اهتماما به فقال
واذكروا الله كثيرا فهو من هذه الجهة نظير حافظوا على الصلوات اثنا قصة الازواج
والمطلقات ومن جهة اخرى نظير الامر بالذكر اثنا قصة الحج فاذا قضيتم مناسككم
فاذكروا الله كذكركم اباكم فانهم كانوا في الحج يقفون فيذكرون ما اثار ابائهم مفاخرهم
وكانوا في الحروب يذكرون محبوباتهم ووقع ذلك في اشعارهم كثيرا قال بعضهم

ذكرت سليمى والجراد الوغى ۝ كقلبي ساعة فارقتها
وابصرت بين القنا قدها ۝ وقد مال نحوي فعانقتها

فكانه قال واذكروا الله كذكركم محبوباتكم ولم يصرح به كقوله كذكركم اباكم تنزيها
عن ذكر النسا ولانها صفة سفه بخلاف ذكر الاباء وبذكر المحبوبات لشغف بهن فكان
طلب ذكر الله في حالة الحرب اهم من طلبه في حالة الحج فلذلك قال كثيرا **لعلكم تفلحون**
اي تفوزون والفلاح كلمة جامعة للخير فيعم الظفر والنصر في الدنيا والثواب في الاخرة ثم
امرهم بطاعته وطاعة رسوله وترك التنازع ونبههم على انه سبب الفشل وعدم النصر وذهاب
القوة لتجاذب الاراء فقال **واطيعوا** الاية **فتفشلوا** وقرئ بكسر الشين لغة **وتذهب
ريحكم** عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم والنصب والريح استعارة للقوة والنصر وقيل للدولة
شبهت لنفوذ امرها بالريح وهبوبها يقال هبت رياح فلان اذا دالت له ونفذ امره

قال الشاعر

اذا هبت رياحك فاغتنمها ۝ فان لكل خافقة سكونا

وقيل المراد ريح الصبا التي كانت تبعث لنصرهم قلت والاولى ان يكون استعارة مكنية للنصر
وذكر الريح التي هي الصبا وهي من لوازم نصرهم تخييل وذلك للجمع بين القولين **بطرا** قال الهروي
وهو الطغيان عند النعمة وقال ابن الاعرابي سوء احتمال الغنى وقال الاصمعي الحيرة عند الحق
فلا يراه حقا وقال الزجاج التكبر عن الحق فلا يقبله **ويصدون** ابن الزملكاني وجه رده
الى النكرة ان يخرج في تقدير المقدر ان يجعل بطرا حالا اي يبطرون **نكص** رجع القهقرى
هاربا **اني اخاف الله** قيل معذرة كاذبة وقيل خاف ان يكون حضر الوقت الذي انظر اليه
والله شديد العقاب يحتمل ان يكون من تتمة كلام الشيطان وان يكون من كلام تعالى استئنافا
على سبيل التهديد ومن تابعه **اذ يقول المنافقون** كلها لعدها ثم من قوله واذ يعدكم
الله احدى وعلاه استطرادات كعادة القران ولذلك ترك العاطف في جميع الامالي
لكن من اعيا تعديد نعمة كقوله واذ قالوا اللهم الاية وكذا واذ يمكر الاية لانها خاصة به
صلى الله عليه وسلم فلم يندرج فيما سبق لتعداد النعم على المؤمنين المتنازعين في الانفال

والذين

والذين في قلوبهم مرض من عطف الصفات وهي لموصوف واحد وصفوا بالنفاق وبالمرض
وقيل المراد بهم قوم اسلموا بمكة ومنعوا من الهجرة واخرجوا كرها فلما نظروا الى قلة المشركين
ارتابوا وقالوا ذلك والاشارة بهؤلاء للتحقير فقال تعالى ردا عليهم **ومن يتوكل على الله** جواب
الشرط محذوف يدل عليه تمام الاية اي يعجزه ويقهره **ولو ترى** الاية نزلت فيمن قتل ببدر
من الكفار فمناسبتها لما قبلها واضحة والادبار كناية عن الاستاه وجواب لو محذوف
اي لرايت امرا فظيعا **وذوقوا** على اضمار القول من الملائكة ويقولون ذوقوا **ذلك** من تتمة
كلام الملائكة وقيل استئناف من كلام الله تعالى وقدمت ابة تحكم المتقات **كداب ال فرعون** ذكره
من تعين نكات تشبه بالصنع الذي يليه قال ابن عطية الاول داب في ان هلكوا لما كفروا والثاني
داب في انهم لم يغير نعمتهم حتى غيروا ما بانفسهم وقال غيره كرر لوجوه منها ان الثاني جرى
مجرى المفصل للاول لان في الاول ذكر اجرامهم وفي الثاني ذكر اغراقهم واريد بالاول
ما نزل بهم في العقوبة حال الموت وبالثاني ما نزل بهم من العذاب في الاخرة وفي الاول
بايات الله اشارة الى انكار دلائل الالهية وفي الثاني بايات ربهم اشارة الى انكار نعم الله من
ربابهم ودلائل تربيته واحسانه على كثرتها وتواترها في الاول اللازم منه الاخذ وفي الثاني
اللازم منه الهلاك والاغراق الزمخشري وفي قوله بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم
وجحود الحق ومن ذكر الاغراق بيان الاخذ بالذنوب **فاهلكناهم** فيه التفات وضمير راجع الى
الذين من قبلهم **واغرقنا ال فرعون** خصهم بالذكر لعتوهم بادعائهم الربوبية ففيه لف ونشر
غير مرتب **كانوا ظالمين** ومراعاة معنى كل للفاصلة **ان شر الدواب** نزلت في بني قريظة
قيل شر الناس الكفار وشرهم المصرون وهو معنى فهم لا يؤمنون اي لا يقع منهم ايمان لا شر
المصرين الناكثون للعهد فاخبر تعالى انهم جامعون لانواع الشر **عند الله** فيه التفات
الذين بدل من الذين قبله **ينقضون** عبر بالمضارع لافادة الاستمرار **فشرد بهم من خلفهم** ابو
حيان كنى به عن قبل من ظفر به وتنكيله وكان المعنى من ظفرتهم فاقتلهم قتلا ذريعا
حتى يفر عنك من خلفهم ويتفرق ولما كان التشريد وهو التطريد والابعاد ناشئا عن
قتل من ظفر به في الحرب من المعاهدين لما فهمن جعل جوابا للشرط اذ هو مسبب عن
الجواب الكرماني التشريد التخويف الذي لا يبقى معه قرار وقرئ بذال معجمة فقيل
هي بدل من المهملة وقيل بمعنى فرق قال الزمخشري وكانه مقلوب من شذر من قولهم
ذهبوا شذر مذر وقال قطرب هو بالمهملة التفريق وبالمعجمة التنكيل وقرئ من
خلفهم جار ومجرور فالمفعول محذوف اي ناسا **لعلهم** ضميره لمن لا لما عادت عليه الضمائر
السابقة **واما تخافن من قوم** عدل عن الضمير للفصل الضمير غيرهم في لعلهم مع ارادة
العموم **فانبذ اليهم** اي عهدهم **على سواء** اي على استواء في قصد كناية عن اظهاره ونبذه
وهذه الاية اشد شي اعتلاقا بقوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
وكانها العصمة الحاملة لعثمان رضي الله عنه على وضع براءة عقبها وهذا تحقق ما ذكرته لكان

الصورة تكون شارحة لقصة اجملت في سورة قبلها فانصدر براءة كلها تفصيل لهذه
الاية ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا الاية نزلت فيمن افلت من الكفار يوم بدر فهو عود الى
ما كان الكلام فيه بعد الاستطراد والقراءة بالخطاب للرسول ولكل سامع او بالغيبة فاعل
الرسول التفاتا او ضمير حاسب الذي دل عليه الفعل على حد ولا يشرب الخمر حين يشربها
وهو مؤمن او الذين والمفعول الاول محذوف اي انفسهم او على تقدير ان قبل سبقوا ويؤيده
قراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقرئ لا يحسبن الذين بالتحتية وفتح اخره على حذف النون
الخفيفة لملاقاة الساكن كقوله لا تهين الفقير علك انهم بالكسر استئنافا وبالفتح تعليلا
لا يعجزون قرئ يعجزون بتخفيف النون وتشديدها وتشديد الجيم عن عجزه ونسبه الى
العجز واعدوا انتقال من خطاب الرسول الى خطاب الامة رباط مصدر او جمع ربط
او ربيط بضمتين وبضمة وسكون فهو جمع قال ابو حيان والاظهر ان الرباط من الخيل
الخمس فما فوقها ترهبون مخفف ومشدد وقرئ بدله تخزون عدو الله قرئ بالتنوين
ولام الجر وفي ذكره تعظيم ما هم عليه من الكفر وتقوية لذمهم وعدوكم في ذكره تحريض على قتالهم
اذ في الطبع ان يعادي الانسان من عاداه ويبغي له الغوائل ولما حض على اعداد القوة ورباط
الخيل حض على النفقة في سبيل الله بقوله وما تنفقوا الاية واخرجه مخرج العموم الشامل
لما تقدم وغيره في الجهاد وغيره جنحوا اما لو تعدى بالى وباللام وضميره قيل لبني قريظة
الذين نبذ اليهم العهد وقيل للمشركين في ولا يحسبن الذين كفروا السلم بالكسر والفتح
يذكر ويؤنث حملا على معنى المسالمة وقيل على نقيضه وهو الحرب فاجنح قرئ بضم النون
لغة قيس ولما كان جنوحهم مشتملا على عهد ولي واضمار غدر ودقا وقبول الرسول
له مشتملا على قبول لنبي واضمار توكل ناسب الختم بالسميع العليم يا ايها النبي حسبك الله
ومن اتبعك من المؤمنين هي الاية مكية سابقة على نزول ما قبلها بل وعلى سائر السورة
لانها نزلت لما اسلم عمر كما صح به الاحاديث ولما كانت شديدة المناسبة لقوله
فان حسبك الله الى اخر الاية وضعت عقبها ومن عطف على الله او الكاف وهو الاجود وقرئ
اتبعك بوزن اكرمك حرض قرئ بالضاد المهملة ان يكن الى اخره كلا شرطيه خبر معنى
الامر ابو حيان حذفت الجملة الاولى بقوله صابرة وحذف من الثانية اكتفاء به واثبت
الثانية بقوله من الذين كفروا وحذف من الاولى فانظر الى فصاحة هذا الكلام حيث
حذف من كل جملة ما اثبت نظيره في الاخرى ولما كان الصبر شديد المطلوبية اعيد
في الاولى حال التخفيف دون قيد الكفر اكتفاء بما تقدم وقرأ ابن عمرو يكن منكم مائة الاولى
بالتذكير لاجل تغلبوا والثانية بالتانيث لاجل صابرة وفي قراءة بالتذكير فيهما
والاخوين بالتانيث فيهما وقرئ الاعرج بالتانيث فيما عدا الاخيرة وقرئ وعلم بالبنا
للمفعول وضعفا بالضم لغة الحجاز وبالفتح لغة تميم وقرئ بفتحتين وقرئ بالمد
جمع ضعيف كظرفاء وظريف والله مع الصابرين ترغيب في الثبات للقاء العدو ما كان

لنبي

لنبي الايات نزلت في اسرى بدر فهو عود بعد الاستطراد وقرئ للنبي معرفا قال
ابو حيان وقراءة التنكير اولى لانه لم يتوجه في العتب عليه معينا ولما كان معصوما
حول الخطاب عنه الى امته في قوله تريدون وفيما بعده لانه صلى الله عليه وسلم لم يرد
ذلك وانما هم الذين ارادوه واشاروا به فوافقهم ويكون بالتاء والياء واسرى واسارى
قرئ بهما فقيل هما جمع اسير وقيل اسارى جمع اسرى وقيل الاسرى غير الموثقين عند
ما يؤخذون والاسارى الموثقون ربطا قاله ابو عمرو بن العلاء وابو حاتم فانكره
الاخفش ويثخن مخفف ومشدد والاثخان المبالغة في القتل والجراحات والثخن
الجرح اثبته حتى يثقل عليه الحركة والثخنة المرض اثقله من الثخانة وهي الغلظ والكثافة
وقرئ يريدون بالتحتية ففيه التفات ثم في لمسكم التفات عرض الدنيا سمي
عرضا لانه حدث قليل اللبث والله يريد الاخرة قرئ بالجر على تقدير عرض الاخرة فحذف
المضاف وابقي المضاف اليه بحاله وسمي ثواب الاخرة عرضا من باب المشاكلة وقيل
تقديره باقي الاخرة لولا كتاب من الله سبق قيل المراد ما كتبه في اللوح المحفوظ من اباحة
الغنائم لهم وقيل عفوه عن هذا الذنب المصر منهم وقيل عفوه عن اهل بدر وان لا
يعذبهم نبي اصلا وقيل المراد ما ذكر في القران من انه لا يعذبهم والرسول فيهم او ان
الصغائر تغفر لمن اجتنب الكبائر ورد عليه ابن النحاس وابو المعالي فكلوا قال الزمخشري
متسبب عن جملة مقدرة اي قد ابحت لكم الغنائم او قد احللت لكم الفداء واتقوا الله
قال ابن عطية هو اعتراض لان قوله ان الله غفور رحيم متصل بقوله فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا يا ايها النبي قل لمن في ايديكم شبيه بقوله يا ايها النبي اذا طلقتم في
ابتدائه بخطاب النبي ثم خطاب الامة او هو المخاطب وحده بصيغة الجمع تعظيما
من الاسارى في قوله الاسرى وقرئ من اسرى منكرا يؤتكم قرئ يثبكم من الثواب
اخذ قرئ بالبناء للفاعل وان يريدوا جواب الشرط محذوف دل عليه المذكور اي
فليتوقعوا مثل ذلك ان الذين امنوا الايات هذه غاية البراعة في ختام هذه السورة
مطربا في وجه الختم بما لم اقف عليه لاحد وذلك ان السورة لما نزلت في تنازعهم
في الانفال وحثهم على اصلاح ذات البين وذكرهم بنعمه وحذرهم من التنازع غاية
التحذير الى اخر ما تقدم ختمها بذكر ان المؤمنين بعضهم اولياء بعض فلا ينبغي تنازعهم
بل اللائق بهم التواد والتحاب والتواصل والتوافق وان لا يكون عرض الدنيا
الفاني الزائل قاطعا بينهم ولذا اورد فيما تقدم ذم من يريد عرض الدنيا وقلل
الدنيا محقرها فسماها عرضا وما اورد هذه الايات هنا اشتملت على غاية
البلاغة واستيفاء الاقسام فذكر ان المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض
وذكر ولاية من امن ولم يهاجر على الحرج وبين ان هذه الولاية الموقوفة هي
ولاية الخصوص ولعل ولاية العموم وهي النصرة في الدين قائمة ثم بين ان الكفار

بعضهم اولياء بعض وهو تحذير من موالاة احدهم لقربه ما عقبه من التهديد لقوله
الا تفعلوه الى آخره ثم استطرد الى ذكر ولاية اخرى اخص مما تقدم وهي ولاية التوارث
فذكرها خاصة بذوي الارحام بخلاف غير القرابة وان هو مطلق الولاية في التناصر والتوا
ما نظر الى غيظ ووقع هذه الجملة هنا ولم يكن ليقع موقعا احسن من هذا الموقع وظل اثنا
هذه الولايات بالتناصر على اصناف المؤمنين والوعد الحسن لهم ابو حيان بدأ بالمهاجرين
لسبقهم ولانهم اول من استجاب لله ثم بالانصار ثم بمن آمن ولم يهاجر ولم ينصر لتاخرهم عن
هاتين الفضيلتين الكرماني قدم هنا باموالهم وانفسهم على في سبيل الله واخر عن سورة
براءة لمناسبة تقدم ذكر الاموال هنا في الفداء وعرض الدنيا والغنيمة وفي براءة لتقدم
ذكر الجهاد في قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا ولمن يؤمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
فناسب كلا منهما ورده عليه ولما كرر في الآية الثانية حذف باموالهم وانفسهم اكتفاء
بذكره في الاولى وزاد في الثالثة حذف في سبيل الله اكتفاء بما في الآيتين وقال صاحب
المناجاة لما كان في الصحابة الغني والفقير اراد الله التشابع الطائفتين ولايتهم
بالفتح بمعنى النصر والكسر بمعنى الامارة وتولي الميراث يفعلوه قرئ بالياء اولئك بعضهم قرئ
اولى ببعض قال ابن عطية وهذا يجمع الموارثة والمعاونة والنصرة الا تفعلوه
اي ما ذكرت لكم من موالاة المسلمين وقطع الكفار قال الزمخشري تكن فتنة الى آخره هو نظير
قوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وترى كثيرا ما للمتابعة والذين آمنوا الآيات
قال ابو حيان ليست تكرارا لان تلك لسوقه لولاية بعضهم بعضا وهذه للثناء والتشريف
والوعد الحسن اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم اقول هذه مناسبة اخر
السورة لاولها وخاتمتها لفاتحتها لتقدم نظير ذلك اول السورة ولما تقدم هناك
وصفهم باعمال القلوب من الخوف والزيادة الايمان والتوكل زاد في الوعد درجات
ولما لم يكن هنا سوى الافعال البدنية والمالية اقتصر على المغفرة والرزق الكريم المذكور
من اول السورة في مقابلتهم ثم ذكر من تاخر ايمانه وتاخر هجرته وعلم اهل الحرج الثانية
فقال والذين آمنوا من بعد الآية فالحقهم به تصفية من التبعيضية على حذار اراحا القوم
ومولى القوم منهم بينا انهم من المرتبتين قال ابن جرير كان الحاجز بين المهجرين نزول
الآية ان الله بكل شيء عليم قال ابو حيان الختم به في غاية البراعة اذ قد تضمن احكاما
كثيرة في مهمات الدين وقواعد وتفصيل احوال تضمنت العلم بجميع ذلك كله ومحيط
عبادته وغاياته

سورة براءة

تقدم مناسبة وضعها هنا واما وجه سقوط البسملة منها على خلاف ما عليه سائر السور
من الافتتاح بها فاخرج الحاكم في المستدرك بسند ضعيف عن ابن عباس قال سالت عليا لم لم
يكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال لانها امان وبراءة انزلت بالسيف ليس فيها امان
وكفى بهذا الكلام من هذا الامام وهنا والحديث السابق في اول الانفال اصل اصيل

في تتبع اسرار القرآن ومناسباتها ترتيبا وتقديما وتاخيرا واثباتا وحذفا وقد صح في حديث
ان براءة نسخ منها الجم الغفير انها كانت طويلة جدا وفي المستدرك عن حذيفة قال ما تقرؤون
ربعها وهذا اصرح في انه نسخ منها اكثر من ثلاثة ارباعها ولهذا انقص عشرا ثمانيها في الالفاظ
براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين انظر الى هذا المطلع الذي تكاد براعته
تسحر القلوب وتبهر العقول اما اولا فلمناسبته لمقاصد السورة فانها سيقت لنبذ
العهود وقتال الكفار حيث وجدوا وطردهم من جزيرة العرب وكشف اسرار المنافقين وما
والى ذلك فلا يكون مطلع لذلك انسب ولا ابلغ من هذا المطلع المفتتح بالبراءة ثم اضافة هذه
البراءة الى الله ورسوله وفيها من التفخيم والتعظيم ما لا يخفى وبراءة خبر مقدر اي هذه وقرئ
بالنصب قال ابن عطية اي الزموا وقال الزمخشري اي اسمعوا ثم قال فان قلت لم علقت
البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فا
تفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب
المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين
وقال ابن عطية لما كان عهد الرسول لازما لجميع امته حسن ان يقول عاهدتم فسيحوا امر
اباحة وفي ضمنه تهديد وفيه التفات عن غيبة الى خطاب واعلموا انكم غير معجزي الله
اعيد مرة ثانية قال الكرماني وليس بتكرار لان الاول للمكان والثاني للزمان وقد
ذكرا في قوله في الارض اربعة اشهر وان الله مخزي الكافرين يحتمل ان يكون التفاتا واذان
فيها ما في براءة من الفخامة وهو بمعنى الايذان كالعطاء بمعنى الاعطاء وقرئ واذن ان الله
قرئ بالكسر على تقدير القول او لان الاذان في معناه ورسوله بالرفع مبتدأ اي بريء
ايضا منهم وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان وقيل مفعول معه وقرئ بالجر على الجوار وقيل
القسم ابو حيان علق براءة الى اخرها اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فلا تكرار وعلقت
البراءة بالمعاهدين لانها مختصة بهم والاذان بالناس ليحيطوا به علما من بريء منه ومن غيره
والتعدية بالى لافادة معنى الوصول والانتهاء وبمن في بريء من المشركين هي المعدية للفعل
البراءة في نحو برئت منك ومن الدين وفي براءة من الله غيرها بل هي في موضع الصفة
متعلقة بكائنة فان تبتم فيه التفات وبشر استعارة تهكمية في مقام الانذار وفيه
التفات من خطاب الكفار الى خطاب النبي الا الذين عاهدتم فيه التفات من خطاب
الخطاب المؤمنين وهو استثناء متصل بقوله الى الذين عاهدتم ينقصوكم قرئ بالضاد
المعجمة وهي مناسبة العهد نقضه طباق معه وفي المشهور طباق مع قوله فاتموا لان
التمام ضد النقص قال الكرماني ان الله يحب المتقين حث على الوفاء بالعهد لانه
من التقوى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فيه استعارة شبه خروج الشهر بانسلاخ الثوب
قال ابو الهيثم تقول اهللنا هلال شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد
كل ليلة الى مضي نصفه لباسا منه ثم نسلخ منه نفسا بعد تكامل النصف منه جزءا

الحزاحتي تسلخه من انفسا كله فينسلخ وانشد

اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله ۞ كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي

وعرفت الاشهر بعد تنكيرها لانها عينها حيث وجدتموهم عام في الاماكن من حل وحرم وخذوهم
وقري وحاصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ليس المراد حقيقة القعود بل المعنى ارصدوهم
في كل مكان يرصد فيه فلذا جاز حذف في منه كقوله وقد تعدوا التفاتهم كل مقعد
فان تابوا اي عن الكفر بموثقين الايمان واقاموا الصلاة واتوا الزكاة ذكر اعظم
شعاير الدين فخلوا سبيلهم كناية عن الكف عنهم وفيه مطابقة لقوله وخذوهم واحصروهم
معا ان الله غفور رحيم مناسب للتوبة وما ذكره الكرماني ان اعادة هذه الجمل بعد
ذلك لا على وجه التكرار بل هذه في المشركين وتلك في اليهود لقوله اشتروا بايات
الله ثمنا قليلا وهذه صفة لليهود وان كانت في المشركين ايضا فلذلك من النوع
المسمى بالترديد وهو تعلق كل شي غير الاخر فهذه علقها بتخلية السبيل وتلك
علقها باثبات الاخوة لهم وان احد الاية لما امر تعالى بقتل المشركين حيث وجدوا
واخذهم وحصرهم وطلب غرتهم ذكر لهم حالة لا تتعرض لهم فيها وهي ما اذا جاء
احدهم مسترشدا طالبا للحجة والدلالة على ما يدعي اليه من امر الدين واستماع القران لان ذلك
ادعى الى دخول الناس في الاسلام ولما كان القران اعظم المعجزات على السماع لانه الطريق
الى العلم وكلام الله من اضافة الصفة الى الموصوف مامنه مكانا منه ذلك الامر بالاجارة
والابلاغ الماس بسبب انهم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته ما يدعى اليه
فلا بد من اعطايهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام تعجيب وانكار و
استبعاد وفي الاية اضمار اي كيف يكون لهم وهم غادرون ناكثون بدليل تمام الاية
ولما كان استفهام الانكار بمعنى النفي صلح مجي الاستثنا كيف الكرماني قيل هو تكرار
للتاكيد واكتفي بذكر كيف من الجملة لدلالة الاولى عليه وقيل التقدير كيف لا تقتلونهم
فلا يكون من التكرار في شي يظهروا قري بالبنا للمفعول الا عهدا او قرابة او حلف
او سيادة او جوار اي رفع صوته بالتضرع او قال الهم اسم الله بالسريانية وقري بفتح
الهمزة وهو مصدر من فعل الا ل وهو العهد وقري ايلا وهو اسم الله ولا ذمة قيل
هو من عطف المترادفين على ان الال بمعنى العهد وقري ايلا وهو اسم وقال
الاصمعي الذمة كل ما يجب ان تحفظ وتحمى يرضونكم استيناف اشتروا فيه استعارة
لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة قال ابو حيان لما كان في الاول فيكم وكانت قد توهم التخصيص
بالمخاطبين نبه على التعميم في كل مومن وقال الكرماني ليبطل تقدم هذه في اليهود
والاولى في المشركين وقيل الاول ذكر جزا الشرط ثم اعيد تقبيحا لهم لا تصالهم لقوله
ساء ما كانوا يعملون واما صاحب المناجاة فذكر كقول ابي حيان ثم قال
فان قلت لم لم تقل في سوء الاول الامر وما فايدة التعميم بعد التخصيص قلت

لان

لان في هذا النوع من التحريض ما ليس في الاقتصار على الثاني كما في قولك هل استبعك
ولا اجد من الناس لا تكل لعبت عشر مرتين فاخوانكم الغالب اطلاق الاخوان على اخوة الصداقة
والاخوة على الاخوة النسب وقد يا تي بخلافه نحو انما المومنون اخوة او بيوت اخوانكم ونفصل
فيه التفات واعتراض بين الشرطين فان تابوا وان نكثوا وفايدة التحريض على تامل
ما فصله تعالى من الاحكام وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم فيه طباق وطعنوا مجاز
عن العيب وحقيقته الاصابة بالرمح والعود ونحوه فقاتلوا ايمة الكفر فيه اقامة الظاهر
مقام المضمر لا ايمان لهم بفتح الهمزة اي عهد لهم وفيه رد العجز على الصدر وقري بكسر
الهمزة ففيه جناس محرف مع ايمانهم ثم قيل به المراد بهم الاسلام ففيه طباق مع الكفر
وقيل المراد به الامان يقال امنه ايمانا كاذبة ايذانا ففيه مناسبة للعهد وايهام
الطباق مع الكفر وتورية لاحتمال اللفظ معنيين وارادة البعيد وهي مرشحة
من وجهين لان الكفر يلايم المورى والعهد يلايم المورى عنه فانظر ما حوته
هذه القراءة من انواع البديع الا تحضيض وحث على المقاتلة بذكر قبايحهم اتخشونهم نهم
توبيخ فالله فيه التفات ولسف قري بالنون على الالتفات ثم فيما بعده التفات
عليهم صدور قوم مومنين ليس من وضع الظاهر موضع المضمر لان المراد بهم غير المخاطبين
وهم خزاعة الذين نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب واستنصروا بالنبي صلى الله عليه
وسلم فنبذ عهد المشركين من اجلهم ويذهب غيظ قلوبهم تاكيد للجملة قبلها لان شفا
الصدور من الم الغيظ هو اذهاب الغيظ نهي من نوع التتميم وقري يذهب بفتح اوله
لانها ورفع غيظ وقري كذلك مرفوعا استينافا ويتوب الله بالرفع استينافا
والنصب جوابا للامر وليجة بطانة تطلق على الواحد والجمع تعملون بالتا مناسب
لحسبتم وبالياء مناسب للذين جاهدوا ولم يتخذوا ما كان للمشركين الاية اول
هو مناسب للامر بقتالهم المقتضي لاخراجهم الذي هو صدا فانهم المعبر عنها بالاعما
والمنفي كونه لايقا بهم اي فاذا لم تكن اقامتهم به لايقة بهم فقاتلوهم واقتلوهم
واخرجوهم وهو ايضا تمهيد الامر باخراجهم من المسجد الحرام المعظم الاتي في انما
المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فانظر الى نظم القران
ومحاسنه يعمروا قري بضم اوله وكسر الميم اي يعينوا اهل عمارته مسجد الله بالافراد
والجمع اما اطلاقا له على المسجد الحرام للتعظيم او للعموم شاهدين حال وقري بالرفع وهم
على انفسهم قري بفتح الفا اي اجلهم قدرا واشرفهم وهو الرسول وفي النار هم خالدون
قري خالدين حال كقوله في الدار زيد قاعدا انما يعمر مساجد الله من امن بالله سيق للرد على المشركين
وتفسير للحث للمومنين على عمارتها ولم يخش الا الله ذكر تعريضا بالمومنين وحثا لهم على
ان لا يخشوا سواه فهو مناسب لقوله اتخشونهم فالله احق ان تخشوه فانظر الى الارتباط
الالهي واعلاقه بالمقصد فعسى اوليك ان يكونوا من المهتدين ذكر بصيغة الترجي

وكن تبعيضية لان المقام يناسب ذلك لانه الرد على من ادعى الفخر بعمارة المسجد وهو
كافر فقيل له ان من عمر المسجد وهو بهذه الصفات الجليلة فقصارى امره ان يرجى له
اللحوق بالمهتدين فما ظنك بمن ليس فيه صفة منها فلذا لم يقل ان يكونوا مهتدين لانها ابلغ
في التعظيم من قوله من المهتدين اجعلتم الاية انكار عليهم ايضا وفيه التفات من الغيبة
الى الخطاب وفي الكلام حذف اي اهل سقاية ليصح مقابلته بالذات في قوله كمن امن وقرئ
سقاة الحج وعمرة المسجد جمع ساق وعامر فلا حذف وقرئ كذلك بنصب المسجد على
ارادة التنوين في عمرة والله لا يهدي القوم الظالمين هو في مقابلة قوله في المؤمنين
فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ان جاءهم خبر به وفي الاية فتربصوا حتى يأتي الله بامره
والله لا يهدي القوم الفاسقين ولعله ذكر ثم سواء عليهم والله لا يهدي القوم الكافرين
لان هذه الاية نزلت فيمن فضل سقاية الحاج وعمارة المسجد على الايمان والجهاد فوضعوا
الافضل في غير موضعه وهو معنى الظلم او نقصوا الايمان بترجيح ذلك عليه والظلم
النقص ايضا كقوله ولم تظلم منه شيئا والثانية في المحلين الذين اتخذوا اباءهم
الكفار اولياء وهو وصف فسق لا ينافي الايمان والثالثة في الكفار الذين اسروا النجوى
ولذلك قال زيادة في الكفر ولما نفى استواء المؤمنين ومن ذكر ذكر ان حالهم وصرح بانهم
اعظم درجة فقال الذين امنوا الاية ولما قال واولئك هم الفائزون بين الفوز بقوله
يبشرهم الاية واسند التبشير الى ربهم لافادته معنى الاحسان والتربية والاصلاح
ونكر رحمة وما بعده للتعظيم اي رحمة لا يبلغها وصف واصف ولما تحلوا باوصاف
ثلاثة الايمان والهجرة والجهاد بشرهم بثلاثة الرحمة والرضوان والجنات وبدا
بالرحمة لانها الوصف الاعم ثم ارتقى الى الرضوان لانه الاكبر وهو غاية الاحسان من الرب
الى عبده ولما كانت الهجرة فيها ترك وطن كانوا فيه متنعمين ناسب ان يذكر لهم فيها
نعيم مقيم وقرئ يبشرهم بفتح اوله وضم الشين ورضوان بضم اوله ونقيض
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الاية اقول هو شرح لما تضمنه اواخر الانفال من قوله
اولئك بعضهم اولياء بعض وقوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض وهو متعلق بما
تقدم من قوله ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة فهو على
عادة القرآن من العود الى ما تقدمت الاشارة اليه او وقع مجملا بالتفصيل
والتبيين وقرئ ان استحبوا بالفتح تعليلية واستحبوا بمعنى احبوا وضمن معنى
الاختيار واثروا فعدي بعلى قل ان كان اباؤكم الاية قال ابو حيان هي في الحض على
الهجرة الثابتة في وصف المؤمنين لقوله ومساكن ترضونها قلت فينبغي ان
يكون الاية التي هي قبلها كذلك وان اتخاذ الاباء والاخوان الكفار هو اي مثل على
الاقامة بينهم في دار الكفر ولو انفصل عن موالاتهم انفصل عن دارهم وطريق الجمع
اخر فعوائد في الحض على الجهاد لقوله وجهاد في سبيله ولم يقل وهجرة فتكون

متصل

متصلة بالايات السابقة في الحث على القتال الا انا نقول هو ما الحق لهم فاقتلوهم ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم وهو المعنى الذي حث عليه اولا فيكون عودا بعد الاستطراد فان
قلت فما بال ذكر المساكن قلت الجهاد يحتاج الى مفارقة المسكن بالسفر ولهذا تخلفوا عن
غزوة تبوك ركونا الى الظلال والثمار وقالوا لا تنفروا في الحر نعم هذه الاية تمهيد للايات
الاتية في قصة تبوك ابو حيان ذكر في الاية السابقة الاباء والاخوان لانهم اهل الموادة والمشورة
ولم يذكر الابناء لانهم في الغالب تبع لابائهم وذكرهم في الاية الثانية لانها سيقت للمحبة وهم بالنفس
اعلق ولذا قدمهم على الاخوان وقدم الاباء لما عرف من وجوب برهم واكرامهم واخر
العشيرة لانها ابعد في القرابة وفي قراءة عشيراتكم بالجمع وهو جمع قليل قال الاخفش
العرب تجمع عشيرة على عشائر ولا تكاد تقول عشيرات وقرا الحجاج احب بالرفع فانكره
عليه يحيى بن يعمر لمخالفته اجماع القراء النقلة فنفاه من البصرة فتربصوا فيه تهديد
ووعيد لقد نصركم الله قال ابو حيان لما تقدم قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم واستطرد بعد ذلك لما استطرد ذكرهم تعالى نصره اياهم في مواطن
وهي مقامات الحرب جمع موطن بكسر الطاء الموقف والمقام ويوم حنين ظرف عطف
الزمان على المكان وقدر الزمخشري وموطن يوم حنين اذ بدل من يوم اعجبتكم اضيف
الاعجاب اليهم وان كان صادرا من بعضهم مجازا وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي مع
رحبها اي سعتها لصعوبة الحال وكانهم لا يجدون مكانا يسكنونه للهرب والنجاة لفرط ما
لحقهم من الرعب فالباء للمصاحبة وما مصدرية وقد ختمت السورة بنظير هذه الجملة في قصة
الثلاثة الذين خلفوا انتهى من مناسبة اول السورة لاخرها وقد ورد في القرآن هذه الاية
اول ما نزل من سورة براءة حرجه في الانفال وقرئ بسكون الحاء لغة تميم سكينته قيل فرح
الذي تسكن اليه النفوس وقيل رحمته التي سكنوا بها وقيل الوقار والثبات بعد الاضطراب
والقلق وقرئ بكسر السين وتشديد الكاف مبالغة في السكينة نحو شريب وصديق على رسوله
ذكر تعظيما للمؤمنين والا فالسكينة لم تزل عليه صلى الله عليه وسلم وما زال ثابت الجأش ساكنه
ولم يزل مع من ولي كما صح في الحديث نجس بفتحتين مصدر وصف به للمبالغة وقرئ بكسر النون
وسكون الجيم صفة مشبهة وقرئ انجاس فلا يقربوا نهي من حيث اللفظ للمشركين ومن حيث
المعنى للمسلمين اي لا تتركوهم يقربونه عيلة الفقر وقرئ عائلة مصدر كالعافية
دون السنين لتاخر الغنى عنهم بعد ذلك بزمن وعلقه بالمشيئة لانه يقع في حق بعض دون بعض
وفي وقت دون وقت حكيم فيما يقتضيه الحكمة قاتلوا الذين الاية هذه الاية في قتال اهل الكتاب ذكرت
بعدما تقدم الامر بقتال المشركين وهي في سنة الامر بغزوة تبوك لانها غزوة للروم وهم
اهل الكتاب يدينون من دان فلان بدين كذا اي اتخذه دينا واعتقده دين الحق قيل بعد
الدين الحق من اضافة الموصوف للصفة وقيل الحق هو الله الجزية سميت بذلك من جزى يجزي
اذا كافى عما اسدي اليه لانها جزاء معوض من الامن لانهم عرفوها اي اعطوها او لانها تجزي عن

القتل عن يد قيل المعنى عن الاعتراف منهم وطاعة وعدم امتناع لان من ابى لم يعط يده
بخلاف المطيع المنقاد ولهذا قالوا اعطى يده اذا انقاد ونزع يده عن الطاعة ومنه ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وقيل عن قوة منكم وقهر واستعلا عليهم وقيل عن انعام عليهم بذلك لان
قبولها عوضا من ارواحهم نعمة عظيمة وقيل عن غنى منهم وقيل عن انعام عليهم وقيل نقدا بلا
يوخذ من المعسر وقيل النقد من يد الى يد وقالت اليهود لما بين سبحانه الحاق اليهود و النصارى
باهل الشرك في القتال لعقيدة بما هو كالسبب له وكالشرح لقوله لا يومنون بالله وهو
مضاهاتهم لمشركين في دعوى الولد عزير قراه بالتنوين على انه عربي ومن ترك على انه
عجمي وليس مصغرا بل على صيغة كسليمان ذلك قولهم بافواههم هو كاللفظ المهمل
الذي يصدر عن الفم ولا يوثر في القلب لا معنى له قيل لم يذكر الله قولا مقرونا
بالافواه والالسن الا وهو زور يضاهون بالهمز وتركه قاتلهم الله دعا عليهم عام
لانواع الشر وقيل اصله الدعا ثم كثر استعماله على جهة التعجب في الخير والشر من
غير ارادة الدعا وهو من ... اللص لا مفاعلة فيه اتخذوا فيه لف يحمل لان العباد
على اليهود والرهبان عباد النصارى هو على حد وقالوا كونوا هودا او نصارى والمسيح
عطف على رهبانهم يريدون الاية ابو حيان مثلهم ومثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الافاق يريد
ليطفيه فنور الله هذا الصادر عن القران والشرع ثم حيث سماه نورا سمى محاولة
اطفاء وناسب ذكر الاطفا الافواه ابن عطية ممنا يريدون ان يطفيوا فان ذلك معمول له مفعول
يريدون وفي الصف يريدون ليطفيوا على حذف المفعول اي يريدون الافترا لاجل
ان يطفيوا قال ويريد هنا قلناه من اجل ان المفعول هنا وحذف ثم مثال ما ختم به الايات
ويتطلبونه ذلك المقابر انتهى ويابى الله وهو فعل موجب والموجب لا يدخل بعده الا الا بعد
كونت الا زيدا فقال الزجاج هو على حذف المستثنى منه اي ويابى الله كل شي الا ان يتم
وقال الاخفش الصغير والفرا دخلت الا لان الكلام في معنى الجحد لان يابى منع وامتناع
فضارع النفي وقال الكرماني معناه لا يرضى الا ان يتم وقال الزمخشري اجرى يابى مجرى
لم يرد او لا يريد ولهذا قوبل به يريدون ان يطفيوا فهو قائم موقع ولا يريد
الله الا ان يتم ليظهره الضمير راجع الى الرسول وقيل الى الدين يايها الذين امنوا ان كثيرا
من الاحبار والرهبان ابو حيان لما ذكر انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله ذكر ما عليه كثير منهم تنقيصا لشانهم وتحقيرا لهم وان مثل هولا لا ينبغي تعظيمهم فضلا
عن اتخاذهم اربابا قلت وفيه شرح اتخاذهم اربابا باتباعهم في الصد عن سبيل الله وصدر
... المومنين تحذيرا لهم ان يكونوا مثلهم وعبادتهم على هذه الطريقة الذميمة وقدم ذكر
اكل اموال الناس بالباطل على الصد عن السبيل مبالغة في التنفير لان الناس اشد بغضا لمن
اكل اموالهم منهم للقاضي بغير ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله

وازهد فيما ايدي الناس يحبك الناس وقيل الاكل كل تناول للمال بغير وجه شرعي والصد
عن كل معصية بغير ذلك قال ابو حيان ويصدون يحتمل ان يكون لازما وان يكون متعديا
وهو ابلغ في الذم والذين يكنزون ... كما وردت الاحاديث وتصدق بالعموم
لمن فعل ذلك من المسلمين وقرئ باسقاط الواو وجريا على ما قبله وقرئ يكنزون بضم اوله
من اكنز واصل الكنز في اللغة الضم والجمع ثم غلب استعماله في المدفون من الذهب والفضة
وخصا بالذكر من بين سائر الاموال لانهما قيمة الاشيا واثمانها ولا ينفقونها الضمير قيل
للذهب لان تانيثه اشهر وقيل للكثرة والنفقة الدال عليها الفعل وقيل للفضة عودا على
احد المذكورين كقوله تجارة او لهوا انفضوا اليها فبشرهم دخلت الفا لتضمن الذين معنى
الشرط يوم ناصبه اليم او يعذبون الدال عليه عذاب يحمى من احمى الحديد اذ
جعلتها في النار لتحمى وبالفوقية على معنى يحمى النار عليها فتكوى قرئ بالتحتية للفصل جباههم
وجنوبهم وظهورهم قيل خصت هذه المواضع بالكي لانها في الجبهة اشنع وفي الجنب والظهر
اوجع وقيل لانها مجوفة فيصل الى اجوافها الحر بخلاف اليد والرجل وقيل لانهم كانوا يعبسون
وجوههم اذا راوا الفقير ويزورون عنه بجنوبهم ويولونه ظهورهم هذا على اضمار القول
اي ويقال لهم وقت الكي والاشارة الى المال المكنوز لانه خاص يحمى عليه وتعذب به او الى
الكي على حذف مضاف اي جزاء ما كنزتم والامران في قوله فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ
بضم النون ان عدة الشهور ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر انواعا من
قبايح اهل الشرك واهل الكتاب ذكر ايضا نوعا منها وهو تغيير العرب احكام الله في الاشهر
من احلال شهر حرام وتحريم اخر بدل له فالقوم كانوا يستحلون المحرم فيقاتلون فيه
لا ... ثلاثة اشهر حرم متوالية ويحرمون بدله صفر وهذه بيان لعدد الشهور
وبيان الحرم منها وان ذلك مكتوب عند الله من مبدا الخلق واتى بالشهور جمع كثرة لانها فوق
العشرة عند الله اي في حكمه اثنا عشر قرئ بسكون الشين ولسكون العين مع اثبات
الالف ففيه جمع بين ساكنين على غير حده كما روي التقت حلقتا البطان باثبات الف
حلقتا شهرا تمييز موكد وفي تذكرة ابن الصايغ سال العلامة ركن الدين عن فايدة شهرا مع ان
اثنى عشر خبر عن عدة ولا مدخل لشهر في العدة اصلا وهو سوال حسن وجوابه انه قد
تقدم عدة الشهور بكونها عند الله فاخبر عن تلك العدة المقيدة بانها اثنى عشر شهرا من
شهورنا المعروفة وفي ذلك فايدة عظيمة الا ترى قوله تعالى وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون فكانت الفايدة في ذكره ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا مما تعدونه
شهرا في كتاب الله اي حكمه وقيل اللوح المحفوظ وقيل القران لانه علا اليه وذلك في قوله
يسالونك عن الاهلة الاية وقوله وقدره منازل لتعلموا الاية يوم متعلق بكتاب ابن عطية
اي فيما كتبه واثبته في اللوح وغيره لوصفه بفعل من خلقه ورزقه وليس بمعنى قضاه
وقدره لان تلك قبله مثل خلق السموات والارض ابو حيان لما كانت اشيا توصف بكونها

عند الله ولا يقال فيها انها مكتوبة في كتاب الله كقوله ان الله عنده علم الساعة جمع بينهما
اذ لا تعارض منها الضمير عائد على اثني عشر وفي فيهن عائد الى الاربعة لان الغالب على العربية
عودها على الكثير بها وعلى القليل بهن وسوغ ذلك الاعتبار بالتمييز كما بينا في الانفال وخص
الاربعة بالنهي عن الظلم فيهن وان كان منهيا عنه في كل وقت تشريفا لها وتعظيما لحرمتها
النسيء مصدر كالنكير بمعنى التاخير اي تاخير حرمة شهر الى غيره وفي قراءة بالتشديد بلا
همز على تسهيله والادغام كنبي وقرئ بسكون السين والنسوء بوزن فعول بفتح الفاء
يضل بالبناء للفاعل وللمفعول وقرئ يضل اوله من اضل فالفاعل ضمير الله او الذين كفروا
والمفعول محذوف اي اتباعهم وقرئ يضل بفتحتين لغة وقرئ نضل بالنون المضمومة ففيه
التفات الى المتكلم وفي حرم الله التفات منه الى الغيبة ليواطئوا قرئ بالياء المحضة بلا
من الهمز وتشديدها مبالغة في بيان الياء وتخلصها من الهمز زين قرئ بالبناء للفاعل
ففيه ضمير راجع الى ذلك الفعل يا ايها الذين امنوا هذه اول الايات النازلة في غزوة
تبوك وهي من هنا الى اواخر السورة ترتب لعتابهم على تثاقلهم عن الغزو لانه كان
في وقت عسرة وحر شديد وقد طابت الثمار والظلال ووجد ارتياحهم لما تقدم انه تعالى
لما شرح معايب الكفار رغب في مقاتلتهم ما لكم استفهام انكار وتوبيخ اثاقلتم قرئ
تثاقلتم على الاصل وقرئ اثاقلتم بفتح الهمز للاستفهام على تكرير فيما قبله اي ما لكم
عنا وتكون كما قال ابو حيان او ما تصنعون اذا قيل لكم كما قال الزمخشري ولما ضمن اثاقلتم
معنى الميل والاخلاد عدي بالى ارضيتم استفهام انكار وتعجب من الاخرة اي بدلها في الاخرة
قليل متعلق بمحذوف اي محسوبا في نعم الاخرة وقيل تعليل ولا تضروه الضمير لله وقيل للرسول
والله على كل شيء قدير الختم به مناسب لما ذكر في الاية من التعذيب والاستبدال واستغنا
الغزوات الا تنصروه الضمير للرسول خاصة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما بعده
اي فينصره في المستقبل كما نصره في الماضي سكينته عليه قيل على الرسول كضمير ايده وقيل على
صاحبه لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم تزل عليه السكينة ففيه تلوين الضماير وقيل عليهما وافرد
لتلازمهما وفي مصحف حفصة عليهما وايدهما وقرئ وايده بالمد وكلمة الله بالرفع على الاخبار
لانه اثبت وقرئ بالنصب اي وجعل والله عزيز حكيم الختم به مناسب للدلالة على القهر والغلبة
والحكمة للناس لاعزاز دينه واوليائه واذلال الكفر واعدائه انفروا خفافا وثقالا
لما توعد من تثاقل عن النفير الرسول وضرب له من الامثال ما ضرب اتبعه بهذا الامر
الجزم والخفة والثقل مستعارات لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة وجاهدوا
باموالكم وانفسكم قدم الاموال لانها اول ما يعرف وقت التجهيز لو كان عرضا الاية عدل
عن خطابهم الى الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم يخبره عن المتخلفين بعدت قرئ بكسر العين
لغة تميم الشقة هي الغاية التي تقصد وقرئ بكسر الشين لغة فيهم وسيحلفون اخبار
بغيب والقول مقدر في الاية اما قبل بالله او بعده والاقل لو استطاعوا لخرجوا لو وقرئ

بضم الواو

الواو وقرارا من ثقل الكثرة عليها ولبحها عفا الله عنك هو استفتاح كلام مخاطب به من
يراد تعظيمه ورفع قدره كما يقال اصلح الله الامير كان كذا وكذا وهو من عادة العرب في
محاوراتهم قاله جماعة ولما كان في الكلام نوع عتب على الاذن بدئ بذلك تانيسا له وخوفا
على قلبه ان يتاثر لحدة الكلام وهذا من الله بنبيه عليه الصلاة والسلام غاية المبرة حتى
غاية لمحذوف اي وهلا اخرتهم او تركتهم بلا اذن لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
الاخر لهم في القعود كراهة ان يجاهدوا او في ترك ان يجاهدوا ولما كانت الاية في المؤمنين ناسب
ختمها بالمتقين ولما كانت التي بعدها في المنافقين ناسب ختمها بقوله يترددون عدة قرئ
باسقاط التاء على حد واقام الصلاة مضافا للضمير وقرئ عدة بكسر العين وبالتاء وبالكسر وهاء
الضمير ولكن فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج
معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو صح وقوع ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل
ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم وقيل حكاية عن قول الله في سابق قضائه
والقعود عبارة عن التخلف ما زادوكم قرئ زادكم بالافراد اي خروجهم ولاوضعوا اي
اسرعوا ومفعوله محذوف اي ركائبهم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا
كقوله الى نصب يوفضون ولارقصوا فالراء بعدها وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون
حديثكم فينقلونه اليهم او قوم يسمعون لهم ويطيعونهم فاللام على الاول للتعليل وعلى الثاني
لتقوية التعدية والله عليم بالظالمين عام في المنافقين والسماعين وهو تهديد وقلبوا
قرئ بتخفيف اللام ولا تفتني قرئ بضم اوله من افتن لغة تميم سقطوا قرئ سقط مراعاة للفظ
من وفي الايات تلوين الخطاب بين النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لن يصيبنا قرئ قل
هل يصيبنا بتشديد الياء مضارع صيب وقرئ قل لن يصيبنا بنون التوكيد على تشبيه لن
بلا ولم الا احدى الحسنيين اي الغنيمة او الشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين المفسر
بما صرح به فيه احتباك حيث حذف من كل شق ما اثبت نظيره في الاخر وقرئ الا احدى
بوصل الف احدى لغة فتربصوا امر تهديد انفقوا قال الزمخشري هو امر في معنى الخبر
كقوله فليمدد له الرحمن مدا والمعنى لن يتقبل منكم ما انفقتم طوعا او كرها وقرئ بضم الكاف
انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لعدم التقبل انما يتقبل الله من المتقين وذلك في فسق مخصوص
وهو الكفر والنفاق كما زاده ايضاحا بقوله وما منعهم الاية تنبيها بالكفر وضم اليه التهاون
بالصلاة التي هي راس الاعمال البدنية والزكاة التي هي قرينتها ان جاءه فالمعنى كفروا بالله
وبرسوله وفيما ياتي وبرسوله لان ما هنا في سياق اثبات بعد نفي فناسب التاكيد
باعادة الجار والقراءة تقبل بالياء والتاء وقرئ نقبل بالنون ففيه التفات ثم في بالله
التفات ثان وقرئ نفقتهم بالافراد فلا يعجبك الاية لما قطع سبحانه رجاء المنافقين
من جميع منافع الاخرة بين ان ما اوتوه من منافع الدنيا انما هي اسباب لعذابهم فلا ينبغي
ان يستحسن قيل وفي الاية تقديم وتاخير والمعنى فلا يعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا

انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة فجملة انما يريد اعتراض لتشديد الكلام وتقوية ابتغا الاعجاب
وقيل هي على ظاهرها والتعذيب بها في الدنيا لما يقاسونه من التعب في جمعها وحفظها والرزايا
فيها من غير اجر والحسرة على تخليفها وقدم الاموال على الاولاد لانها كانت اعلق بقلوبهم وهم
اليها اميل ولهذا كان منهم من يقتل ولده خشية ذهاب ماله ابن جماعة الاية هنا بالفا
وتكرار لا وباللام في ليعذبهم ولفظ الحياة وقال بعد ولا يعجبك الاية بالواو وسقوط
لا والحياة وان يوضع اللام لان هذه في قوم احيا وقبلها افعال مضارعة تقتضي معنى الشرط
كانه قيل ان اتصفوا بهذه الصفات من الكسل فلا يعجبك والاية في قوم اموات وقبلها
افعال ماضية فلا يصلح الشرط فناسب مجيها بالواو ولما تقدم التاكيد بالحصر في قوله
ناسب التاكيد بتكرار لا بخلاف الاية ومفعول الارادة هنا محذوف اي ما هم فيه من
الاموال والاولاد واللام تعليلية ومفعولها في الاية ايجازا واكتفا بذكرها في الاولى
وانما نجيته وانها لا تستحق ان تسمى حياة ولا سيما حين تقدمها ذكر موت اربابها فناسب
ان لا تسمى حياة **ويحلفون الاية** لما ذكر سبحانه قبايح المنافقين اخبر بحالهم مع المؤمنين
من الحلف لهم انهم منهم والفرق منهم وانه لو امكنهم منهم هربوا وقرئ مغارات بضم الميم من
اغار الرجل بمعنى غار اي دخل او من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغارا **مدخلا**
تاكيد ومبالغة اصله مدتخل مفتعل من ادخل وفي قراءة مدخلا بفتح الميم من دخل وقرئ
بضم من ادخل وقرئ مندخلا بالنون من اندخل ومدخلا بالتا ابو حيان بدا بالاعم
ونحو بالملجا ثم بالمغارات وهي الغيران في الجبال وهو النفق باطن الارض **لولوا** قرئ
لوالوا من الموالاة اي لتابعوا واسرعوا اليه وقرئ لوالوا بالهمزة الذي اي لالتجوا اليه
وافرد الضمير في اليه لان العطف باو **وهم يجمحون** قرئ يجمزون بالجيم والزاي بمعناه
اي يسرعون ويهرولون **ومنهم من يلمزك** الايات هذه الايات لم يترك في فضيحة شيئا وانما
وضعت هنا لكون الامرين من المنافقين والسورة غالبها لبيان احوالهم وكشف عوراتهم
ولذا قال ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظننا انها لا تبقي احدا فناسب ذكرها في خلال
ذكرهم وقد تقدم ومنهم من يقول ائذن لي ويأتي ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من عاهد
الله اللمز الوجه وقال الجوهري العيب واصله الاشارة بالعين ونحوها وفي
قراءة يلمزك بضم الميم وقرئ يلامزك وهي مفاعلة من واحد واتى بجملة فعلية
للاشارة الى عدم ثبوته والسخط اسمية لانه ثابت لهم فلازم وقرنه باذا الفجائية
للاشارة الى سرعة مفاجاتهم بالسخط وعدم تاخيره **ولو انهم رضوا** الاية بدا بالوصف
القلبي وهو الرضى ثم بالقولي وكانت تعابير تعاطفا ثم بالرجا ثم بالالتجا ولما كانت
متلازمين وهما كالشي لقولهم حسبنا الله ترك العاطف وفي رسوله التفات عن الكاف
وفي تقديم الى الله افادة الاختصاص وجواب لو محذوف اي لكان خيرا لهم **انما الصدقات**
الاية لما ذكر تعالى من تعيب الرسول في قسم الصدقات ويريد اعطاءه منها ذكر مستحقها ليعلم

انه لاحق لغيرهم فيها فلا عيب على الرسول في عدم اعطايهم منها وليمنع من ليس من اهلها من طلبها
والتشوف اليها واكد ذلك بقوله فريضة من الله وبقوله والله عليم حكيم ليعلم ان ذلك حكم جزم
من الاله القادر الغالب القاهر العليم بما يعرض الذي لا يضيع الشي في محله لحكمته الباهرة
وعدي للعاملين بعلى لانبي لا الاستعلا المشعر بالولاية الكشاف فان قلت لم عدل
عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق
عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعا فنبه على انهم احقا بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا
مظنة لها وتكرير في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب
والغارمين لما فيهما من الجمع بين الفقر والعبادة والغربة فان قلت فكيف وقعت هذه
الاية في تضاعيف ذكر المنافقين قلت دل بكون هذه الاصناف خاصة مصارف الصدقات
على انهم ليسوا منها حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وقرئ فريضة بالرفع
على معنى تلك فريضة **ومنهم الذين يؤذون النبي** وجه الربط بما قبله ظاهر لانه كالحكاية
لما صدر من المنافقين في اذى النبي صلى الله عليه وسلم فذاك قولهم فيه انه لا يعدل في القسمة
وهذا قولهم فيه هو اذن **ويقولون هو اذن** اي يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي
هي الة السماع كان جملته اذن سامعة ويستوي فيه الواحد والجمع **قل اذن خير لكم** فيه
القول بالموجب كانه قيل سلمنا انه اذن لكنه اذن خير لا اذن شر كقوله

ولخوان حسبتهم دروعا ۝ فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صايبات ۝ فكانوها ولكن في فوادي
وقالوا قد صفت منا قلوب ۝ لقد صدقوا ولكن عن ودادي

واذن خبر ثان هو مبتدا واضافته على حد رجل صدق وقرئ بالتنوين ورفع خير نعت
او صفة اذن ثم بين جهة الخيرية بقوله **يؤمن بالله** ومن امن بالله كان خايفا منه لا يقدم
على الايذا بالباطل **ويؤمن للمؤمنين** اي يسمع منهم ويصدقهم ويسلم لهم ما يقولون لكونهم مؤمنين
لهم صادقون ولذا عدي الاول بالبا والثاني باللام لان الايمان الذي هو نقيض الكفر
يعدى بالبا والايمان الذي بمعنى التسليم يعدى باللام ومنه وما انت بمؤمن لنا قاله
في الكشاف **ورحمة** بالرفع عطفا على يؤمن وبالجر عطفا على خير وما بينهما اعتراض وقرئ
بالنصب مفعولا له حذف متعلقه اي ويأذن لكم رحمة **والذين يؤذون** عام فيهم ولا وغيرهم
رسول الله من اقامة الظاهر مقام المضمر تعظيما وتشريفا لوصفه في الاية بوصفي النبوة
والرسالة **والله ورسوله احق ان يرضوه** افرد الضمير لتلازم الرضايين اذ رضى الله ورضى
رسوله واحد وقيل حذف من الاول نظير المذكور وقيل فيه تقديم وتاخير اي والله احق ان
يرضوه ورسوله **الم يعلموا** استفهام توبيخ وقرئ بالفوقية ففيه التفات وقرئ الم تعلم
خطابا عاما او للنبي صلى الله عليه وسلم على الالتفات فيكون الاستفهام للتقرير فان بالفتح
وقرئ بالكسر على الاستيناف **عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم** الضماير الثلاثة للمنافقين وقيل

الاخير فقط والاولان للمؤمنين استهزءوا امر تهديد ان نعف بالياء مبنيا للمفعول وبالنون
فيه التفات نعذب بالتاء كذلك وبالنون وقرئ فيهما بالتحتية مبنيا للفاعل وبالفوقية
للمفعول والمنافقات بعضهم من بعض وقال في المؤمنين بعضهم اولياء بعض لان المنافقين
اعداء السريرة لا موالاة بينهم كما قال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى الا ان بعضهم من بعض
في الكفر والنفاق يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف فيه ثلاث طباقات ويقبضون
ايديهم كناية عن الشح او عن الامساك عن كل خير نسوا الله اي تركوا طاعته فنسيهم تركهم
من رحمته وفضله ابو حيان يعبر عن الترك بالنسيان مبالغة في انه لا يخطر ذلك بال
كالذين من قبلكم فيه التفات عن الغيبة الى الخطاب والكاف في موضع نصب متعلق بمحذوف
او لفعل مقدر اي فعلتم مثل فعل الذين او رفع اي انتم كالذين كانوا اشد الى اخره تفسير لتشبيههم بهم الكشاف
فان قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
مغن عنهم كما اغنى كالذي خاضوا قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع ثم يشبه
بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله ومسند
اليه فاستغنى باسناده اليه عن تلك المقدمة وقال غيره اعيد كما استمتع الذين من قبلكم
بالاسم الظاهر ليدل على التحقير لانه كما يدل بالظاهر مقام المضمر على التعظيم كذلك يدل به على
ضده وخضتم اي دخلتم في اللهو واقامة الباطل وهو مستعار من الخوض في الماء
قال ابو حيان ولا يستعمل الا في الباطل كالذي خاضوا اي كالخوض الذي خاضوه وقيل
الاصل كالذين خاضوا فحذفت النون وقيل الذي هنا موصول مصدري اولئك الاشارة
الى الذين من قبل وقيل للمنافقين والخطاب للرسول ففيه خروج من خطاب الى خطاب
عن الاول دلالة قوله الم ياتهم بالغيبة وفيه التفات ويحتمل ان يكون الى المنافقين في الاية
قبل ابتهم بيان للنبا وفيه تقدير اي فكذبوهم فاهلكوا كان والمؤمنون والمؤمنات
الاية لما ذكر المنافقين والمنافقات وصفاتهم القبيحة ووعيدهم عقبه بذكر
المؤمنين والمؤمنات واعمالهم الصالحة ووعدهم في الاية ثلاث طباقات وتعميم
بعد تخصيص وفيها مع اية المنافقين ثمان مقابلات المؤمنين في مقابلة المنافقين والمؤمنات
في مقابلة المنافقات واولياء بعض في مقابلة من بعض ويامرون بالمعروف في مقابلة
يامرون بالمنكر وينهون عن المنكر في مقابلة وينهون عن المعروف ويؤتون الزكاة في مقابلة
ويقبضون ايديهم ويطيعون الله في مقابلة نسوا الله وسيرحمهم الله في مقابلة فنسيهم
قال الزمخشري والسين مفيد تاكيد الوعد كما يفيد تاكيد الوعيد وعد الله الاية هي
تفصيل للرحمة وذكر الرضوان في مقابلة ذكر اللعنة من وعيد المنافقين يا ايها النبي
الاية ابو حيان لما ذكر وعيد غير المؤمنين وكانت السورة قد نزلت في المنافقين
بدا بهم فقال وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار ولما ذكر امر الجهاد وكان
الكفار اشد شكيمة واقوى اسبابا في القتال بدا بهم يحلفون اي المنافقون وما

نقموا

نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله هذا من تاكيد المدح بما يشبه الذم فان
يتوبوا فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم احسانا ولطفا لنصدقن ولنكونن
قرا الاعمش فيهما بالنون الخفيفة فاعقبهم الضمير لله وقيل للبخل وكذا في المعونة
الم يعلموا استفهام توبيخ وقرئ بالفوقية خطابا للمؤمنين فهو استفهام تقرير الذين
يلمزون مبتدا خبره سخر الله والذين لا يجدون من عطف الخاص على العام وهو المطوعين
تشريفا جهدهم بضم الجيم وقرئ بفتحها لغتان بمعنى وقيل الاول القوت والثاني
العمل سخر الله منهم من باب المشاكلة استغفر لهم او لا تستغفر لهم امر تسوية كقوله
اصبروا او لا تصبروا فرح المخلفون لما ذكر تعالى ما ظهر من النفاق والهزء من المنافقين
الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك ذكر حال المنافقين الذين تخلفوا
او التخلف لفظ يقتضي الذم والتحقير بمقعدهم مصدر اي بقعودهم خلاف
نصب على الظرف اي بعد وبه بدا ما قرئ خلف وقيل مفعول له ويؤيده ما قرئ
خلف بضم الخاء رسول الله فيه التفات عن الخطاب وكرهوا فيه مع فرح طباق معنوي
لان الفرح من ثمرات المحبة لو كانوا يفقهون قرا ابن مسعود يعلمون فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا هو امر اريد به الخبر وانما جرى على صيغة الامر للدلالة على انه حتم لا يكون
غيره وفيه طباقان فان رجعك الله فيه التفات واستعمال ان في الممكن للاشارة
الى انه صلى الله عليه وسلم لا يعلم من مستقبلات امره الا ما علمه الله قاله ابن عطية
وغيره فاقعدوا اي اقيموا مع الخالفين اي مع المتخلفين وقيل الخالفين وقيل
النساء ولا تصل عقوبة لهم ثانية انهم تعليل للمنع من الصلاة ولا تعجبك الاية
قال ابن عطية كررت للتاكيد والتقرير وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه
وقال بعضهم ليس بتكرير لان الايتين في فريقين من المنافقين وقيل وردت بالاولى
لا يعظمهم بعد وفاتهم لما تبع الكفر والنفاق وعطف هنا بالواو ولقوله قبل ولا تصل
والتي هناك بالفاء لقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون اي فهم معجبون بكثرة المال
والولد فنهاه عن الاعجاب مبينا السبب وقال هناك ولا اولادهم لان الاشعار بالنهي عن
الاعجاب بكل واحد على انفراده وسقطت هنا اشعارا بالنهي عن الاعجاب بالمجموع
فتضمنت الايتان النهي عن الاعجاب بها مفردين ومجتمعين وهذه دقيقة لطيفة
واذا انزلت فيه معنى التكرار وان ذلك كان ديدنهم الاستئذان في التخلف عن الجهاد
ان تفسيرية او مصدرية ثم في اسناد تلك التفات اليه قاله ابو حيان مع الخوالف
اي النساء مبالغة في الذم وطبع على قلوبهم قيل هو على حذف همزة الاستفهام اي او
طبع على قلوبهم فلاجل الطبع لا يفقهون لكن الرسول الاية لما ذكر اخبار المنافقين
الدعة وترك الجهاد ذكر حال المؤمنين في المثابرة عليه وضم اليهم الرسول تشريفا لهم
وفيه التفات الخيرات جمع خيرة وهو المستحسن من كل شيء فيتناول محاسن الدنيا والاخرة

والعدو ... بالناس لا سيما ... صح

وقيل اعد الله لهم جنات تفسير له وجاء المعذرون من الاعراب لما ذكر حال المنافقين
من اهل المدينة ذكر حال المتخلفين من الاعراب وقسمهم الى ذي عذر وغيره والمعذرون
اصله المعتذرون فادغم وقرئ به المعتذرون لمعناه وقرئ المعذرون من اعذر
وقرئ كذبوا بالتشديد ليس على الضعفاء بيان للمعذرين وتفصيل للعذر المقبول
وقرئ نصحوا الله بتعدية الفعل بنفسه ما على المحسنين شامل للمذكورين وغيرهم
ولا على الذين اذا ما اتوك هو مندرج في قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
زيد معه وصف وفي اتوك التفات وجواب اذا قلت وتولوا جواب سؤال
مقدر وكانه قيل فما كان حالهم اذا اجابهم الرسول فقيل تولوا وقيل هو الجواب وقيل حرف العاطف



نعوذ بالله من زوال النعم
ومن [illegible]

نعوذ بالله من سوء [illegible]
ومن [illegible] جهد البلاء
و[illegible]
و[illegible]